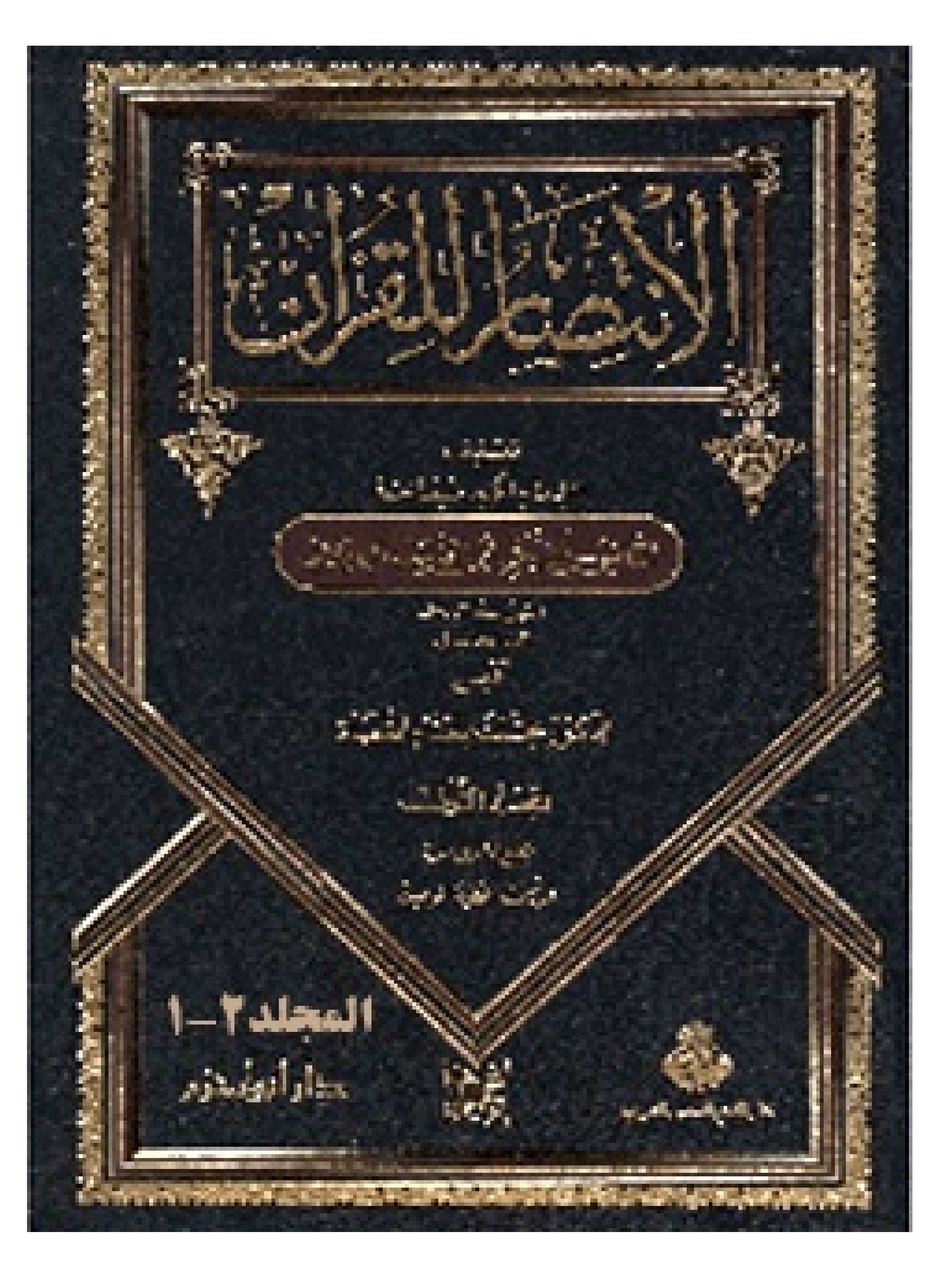

الانتصار للقرآن
المجلد ٢-١
دار ابن حزم


بسم الله الرحمن الرحیم

الإنتصار للقرآن

كاتب:

ابو بكر محمد بن الطيب الباقلانى

نشرت فى الطباعة:

دارالفتح

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الإنتصار للقرآن

اشارة

نام كتاب: الإنتصار للقرآن نويسنده: ابو بكر محمد بن الطيب الباقلانى موضوع: پاسخ به شبهات قرآنى تاريخ وفات مؤلف: ۴۰۳ ق زبان: عربى تعداد جلد: ۲ ناشر: دار الفتح / دار ابن حزم مكان چاپ: عمان / بيروت سال چاپ: ۱۴۲۲ / ۲۰۰۱ نوبت چاپ: اوّل

[المجلد الاول

الإهداء

الإهداء إلى سيدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أول من نطق و صدع بأمر اللّه تعالى .. إلى أصحابه الغر الميامين من حفظوا القرآن و أدّوه و بلّغوه كما سمعوه .. إلى العلماء العاملين الذين كان همّهم مدارسة القرآن و الدفاع عنه .. إلى صاحب هذه الدراسة العظيمة و السفر النفيس الإمام الكبير القاضى أبى بكر الباقلانى رحمه اللّه .. إلى أساتذتى و مشايخى و أحبائى .. إلى والدىّ و إخوانى و أخواتى .. إلى زوجتى و أبنائى و بناتى .. أهدى هذا الجهد المتواضع .. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۶ أصل هذا الكتاب أطروحة جامعية تقدّم بها الباحث إلى تخصّص التفسير و علوم القرآن بدائرة العلوم الشرعية فى كلية الدراسات العليا و البحث العلمى بجامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية بأن درمان- السودان، لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراة)، و حصلت على تقدير (ممتاز). و كانت بإشراف: أ. د. أحمد على الإمام، أ. د. فضل حسن عبّاس و مناقشة: أ. د. أحمد خالد بابكر، أ. د. عبد الرحيم على و قد اختصر قسم الدراسة و كثير من التعليقات لغايات الطباعة. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۷ قبس من نور القرآن الكريم إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (۲۹) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (۳۰) وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (۳۱) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (۳۲) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ (۳۳) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (۳۴) الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (۳۵). صدق اللّه العظيم الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹

مقدمة التحقيق

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق الحمد للّه ربّ العالمين، الرحمن الرحيم .. الحمد للّه خلق السموات و الأرض و جعل الظّلمات و النور ... الحمد للّه أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا .. الحمد للّه فاطر السموات و الأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى و ثلاث و رباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن اللّه على كل شيء قدير ما يفتح اللّه للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم .. الحمد للّه له ما فى السموات و الأرض و له الحمد فى الآخرة و هو الحكيم الخبير ... و الصلاة و السلام على سيد الأولين و الآخرين إمام الأنبياء و المرسلين، و قائد الغرّ المحجّلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و رضى اللّه عن الصحابة و التابعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، من أخذوا القرآن عذبا سلسلا، و نقلوه و حملوه و بلّغوه غضا غريضا كما نزل دون تغيير أو تحريف أو تبديل، فرضوان اللّه عليهم أجمعين .. أما بعد: فإن علوم القرآن الكريم مما أكرم اللّه بها عقول العلماء، و فتح لها ألباب الأصفياء، و جعلها الغذاء و الدواء لمن به عى و داء، فراح الرائح و الغادى الإنتصار للقرآن، ج ۱،

ص: ۱۰ يستشفى بها من سقمه و يرتشف منها رحيقا بلسما لروحه، لا يشبع منها العلماء، و لا يرقى إليها الحكماء، و لا تخلق و لا تبلى، كيف و هى من معين القرآن منشؤها، و إليه مردّها، و عنه صدورها، هى البحر الذى لم يبلغ الراكبون ساحله، لا ينفد و لا ينتهى، فهو من كلام اللّه بدا، و إليه ينتهى قال عنه جل جلاله و هو أعلم بما ينزل: وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ [لقمان: ۲۷]. و لبلوغ شىء من هذا الدّر المصون، و الخير المكنون، صار العلماء منذ العصور الأولى يتسابقون إلى استخراج مكنونه و إدراك شىء من مضمونه، فألفوا فيه المؤلفات، و كتبوا من خلاله الإشارات، و لفتوا الأنظار إلى هذه العبارات، و جلّوا ما قد يكون فيها من المشكلات، كما أنّهم تصدّوا و انبروا بالذبّ عن حياض الدين ورد غائلة المعتدين، ممن يتربصون به الدوائر و يحاولون الدسّ و الإفساد و إلصاق الشبهات، بما لا يمكن أن يصلوا إليه و همّوا بما لم ينالوا، فكان أولئك العمالقة لهم بالمرصاد، فبينوا الغثّ من السمين و الصحيح من القسيم، و انبروا لهم مدافعين منافحين، بما آتاهم اللّه تعالى من قوة فى الإيمان، و صلابة فى البرهان، و عزيمة على دفع العدوان. و الناظر فى تاريخنا المشرق يجد أن من علماء هذه الأمة من وفقه اللّه تعالى حتى بلغ فى العلم مبلغا و وصل درجة و منزلة من الاجتهاد فى الدين، تلمح فى كتاباتهم الأصالة و العمق و طول النفس فيما هم بصدده من البحوث لتمكنهم فى هذا العلم الذى اختصوا به، من أمثال الأئمة الأربعة المتبوعين، و أبى سليمان الخطابى فى شراح الحديث، و الطحاوى و ابن قتيبة فى حل المشكلات، و المبرّد و سيبويه فى علوم اللغة، و أبى بكر الرازى و ابن العربى فى أحكام القرآن، و من أمثال أبى بكر ابن الطيب الباقلّانى فى علوم القرآن الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱ و إعجازه و الدفاع عنه، فكان من الفحول الذين أخذوا بكلا الحسنيين و حملوا اللواء فى الجانبين، كان اللسان الذى يدافع، و القلم الذى يسارع، و العقل الذى يبرهن، و القوة التى تهيمن، يردّ الحجة بالحجة و يقمع البدعة بالسنة، و يحارب الشبهة باليقين، و يزيل الإشكال بالبرهان فناظر المبطلين، و قاوم المجرمين، و دحض شبه الفاسدين، و حمى حوزة الدين. هذا بالإضافة إلى ما كان عليه من تأليف فى علوم القرآن و إعجازه و بيان ما ينطوى عليه من الأسرار، فأبدع فى ذلك و تألق، و بحث و تعمّق، حتى سارت بكتبه الركبان، و أصبح الممدوح على كل لسان. و كان من الدرر التى كتب، و العلم الذى ورّث، كتابه الانتصار، فكان كاسمه انتصارا، نصر اللّه به دينه، و أعلى به كلمته، و كان لسان حال مؤلفه و لسان مقاله، أودعه مكنون صدره، و وضع فيه خلاصة فكره، فكان حصنا حصينا، و درعا مكينا، و وردا أمينا، أبطل من خلاله الشبهات، و دافع عن الحرمات، و انتصر للقرآن، و أوضح الحق حتى بان، حتى لقد امتدحه الإمام الشاطبى رحمه اللّه فى «عقيلة أتراب القصائد»، و أثنى على الإمام بما ألّف من كتابى «الانتصار» و «الإعجاز» فقال: للّه درّ الذى تأليف «معجزه» و «الانتصار» له قد أوضح الغررا «۱» و لما كنت قد عزمت على إكمال رحلتى مع القرآن، و الاستمرار فى المنهج الذى بدأت مع كتاب اللّه تعالى، عزمت بعد توفيق اللّه تعالى على (______________________________ ۱) ذكّرنى بهذا البيت للشاطبى فضيلة الشيخ محمد تميم الزعبى- حفظه اللّه- أثناء رحلتى للحج، و أنا فى مرحلة طباعتى للرسالة، و كان ذلك فى مدينة الرسول صلى اللّه عليه و سلّم فأضفته حين رجعت، فجزاه اللّه خيرا و بارك فيه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲ تحقيق هذا السفر العظيم و الكنز الدفين، و إخراجه للقارئ الكريم، ليفيد منه أهل القرآن، و يقف على ما فيه أهل البيان، و أسأل اللّه تعالى أن يهيئ لى سبيل ذلك و يذلّل لى كلّ صعب، فكان هذا الجهد، و هو قليل من كثير مما للقرآن علينا من الحق و ماله فى أعناقنا من الواجب، و اللّه أسأل أن يوفقنى لإتمامه على الوجه الذى يرضيه إنه سميع مجيب الدعاء.

* أهمية الموضوع:

* أهمية الموضوع: تبرز أهمية هذا العمل فى الأمور التالية: الأول: يقدم هذا العمل للقارئ الكريم واحدا من الكتب المهمة فى مجال علوم القرآن و الدفاع عنه، و هو أصل أخذ عنه من كتب فى هذا المجال كالسيوطى و الزركشى و غيرهما. الثانى: أن كتاب «الانتصار» من أوسع التركات العلمية التى تركها لنا العلامة الباقلانى و حرىّ بهذا الكتاب أن يرى النور ليفيد منه العلماء و طلبة العلم. الثالث: أنه

لم يسبق إلى تحقيقه تحقيقا علميا، و إن كان ثمّة دراسات حول الموضوع لكنها غير كافية. الرابع: إن كثيرا من طلبة العلم أخذ انطباعا أن «نكت الانتصار» للصيرفى هو بعينه كتاب «الانتصار»، و حصل هذا الخلط عند بعضهم، و بتقديمى لهذا الكتاب يظهر الفرق الكبير بين الكتابين من حيث الأسلوب و الاتساع و كثير من المناظرات و المناقشات و الردود العلمية حول قضايا القرآن الكريم بشكل عام. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۳

* العقبات و المشكلات:

* العقبات و المشكلات: من أبرز المشكلات التى واجهتها فى هذه الدراسة: ۱- أن العمل كان من خلال مخطوطة واحدة لعدم التمكن من الحصول على غيرها، و تكمن المشكلة فى حال وجود طمس أو عدم وضوح فى بعض الكلمات. ۲- اتساع الموضوع، و كثرة صفحات المخطوط، و طول نفس مؤلفه مما جعله يظهر بهذا الحجم الكبير، مع عدم إمكانية اختزال أصل النص، إذ لا بد أن نقدم أصل النص كما جاء عن مؤلفه. و العمل فى هذه الرسالة، دراسة و تحقيق:

* الدراسة:

* الدراسة: و فى قسم الدراسة قمت بدراسة وافية للعلامة الباقلانى، من حيث عصره و حياته الشخصية و العلمية، كما قمت بدراسة شاملة لكتاب «الانتصار للقرآن» من حيث تحقيق اسم الكتاب، و نسبته إلى مؤلفه، و وصف للمخطوط، و مناقشة للأفكار الرئيسة التى طرحها المؤلف فيه. كما أننى حاولت إبراز شخصية المؤلف العلمية من خلال هذا الكتاب و غيره، و بيّنت قيمة الكتاب و مكانته بين كتب علوم القرآن، و ختمت هذه الدراسة بموازنة بين كتاب «الانتصار» و كتاب «نكت الانتصار» لمحمد بن عبد اللّه الصيرفى الذى حاول فى نكته اختزال ما كتب الباقلانى و اختصار ما كان فى كتاب الانتصار. و قد اضطررنا إلى حذف كثير من مباحث هذه الدراسة لغايات الطباعة، و أبقينا على ترجمة موجزة للمؤلف، و الموازنة بين «الانتصار» و «نكته» للصيرفى، ثم نتائج الدراسة، مع توصيف النسخة الخطية المعتمدة. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴

* التحقيق:

* التحقيق: فى مجال التحقيق قمت بإخراج النص سليما قدر استطاعتى، مع تخريج للآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة، و الآثار الواردة عن السلف، و كان التحقيق بنسخة واحدة يتيمة، لعدم وجود غيرها فيما وصل إليه علمى، و هو ما أكده الأستاذ فؤاد سزكين فى أكثر من مجال، و يتلخص عملى فى المخطوط بما يلى: ۱- نسخ المخطوط و مقابلته مرارا على الأصل حتى تيقنت من صواب نسخه. ۲- ضبط النص و إخراجه سليما من التحريف و التصحيف، و معرفة الكلمات المطموسة عن طريق السياق أو كتاب نكت الانتصار أو من نقل عن كتاب الانتصار من المؤلفين أمثال السيوطى و الزركشى و غيرهما. ۳- تصويب ما كان قد وقع من الناسخ من أخطاء لغوية، و هى قليلة، أشرت إليها فى مواضعها بقولى: كذا فى الأصل و الجادّة كذا و كذا. ۴- الشكل التام للآيات الكريمة و ضبطها بما يوافق رواية حفص عن عاصم، و بيان اسم السورة و رقم الآية بجانبها مباشرة. ۵- ضبط الكلمات المشكلة بما يزيل الإشكال عنها، و يجعلها واضحة معروفة للقارئ. ۶- تخريج الأحاديث الشريفة و الآثار الواردة عن السلف من أمهات كتب الحديث و الآثار. ۷- الترجمة للأعلام فى أول موضع يرد فيه اسم العلم، دون الإشارة إليه فى المواضع التى ترد فيما بعد. ۸- توضيح ما قد يرد فى النص من أسماء لطوائف أو أماكن أو أيّام. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵ ۹- وضع ما زيد على أصل النص بين معكوفين هكذا [] للدلالة على زيادتها و أنها ليست من أصل المؤلف. ۱۰- عمل فهارس شاملة للآيات و الآثار و الأعلام و الموضوعات. ۱۱- التعليق على بعض القضايا العلمية، و إن كان الحديث عن أبرز الموضوعات جاء فى قسم الدراسة. و قد حذفنا كثيرا من التعليقات لغايات

الطباعـة، و أبقينا منها على تخريـج الأحاديث و أهم التعليقات. و بعد، فهذا جهد المقلّ، و عمل من بضاعته مزجاة، أرجو أن أكون قد وفقت فيه لإخراج هـذا الكتاب بالوجه اللائق، و المكانـة التى يرتضـيها مؤلفه، فإن وفقت للصواب فبفضل من اللّه و نعمه، و إن كانت الأخرى فمن نفسى و من الشيطان، و أعوذ باللّه من الزلل. و ختاما ... فإن الشكر للّه تعالى على ما أنعم و تفضل، و له المنة و الفضل، و من تمام شـكر اللّه تعالى المنعم شـكر من أجرى اللّه النعمة على يديه، و لذا أجد لزاما علىّ و دينا فى عنقى أن أتقدم بجزيل الشكر و التقـدير و الإكبار إلى الأسـتاذ الـدكتور المربىّ الفاضل أحمـد على الإمام، الـذى أفادنى بعلمه الواسع و خبرته الكبيرة فى تقويم هـذه الرسالة فى قسـمى الدراسة و التحقيق، فجزاه اللّه خيرا و نفع المسلمين بعلمه و بلغه الإحسان، كما أخص بالشكر الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، المشـرف المساعد على هذه الرسالة فى الأردن، حيث أعطانى من وقته ما مكننى من قراءة فصول و أبواب هذه الرسالة و أبـدى توجيهـاته، فجزاهمـا اللّه خيرا، و أكرمهمـا فى الـدنيا و الآخرة. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶ كما أتقـدم بالشـكر الجزيل إلى جامعـة القرآن الكريم و العلوم الإسـلامية التى احتضـنت هـذه الرسالـة و هيأت لى هذه الدراسة حتى أينعت و أعطت ثمارها و أخص بالشـكر الأسـتاذ الدكتور أحمد خالد بابكر مدير الجامعة و سائر العاملين فيها كما أذكر بالشكر وكيل الجامعة و نائب المدير و المدير التنفيـذى فيها و عميد الدراسات العليا و البحث العلمى و أمين مكتبتها العامرة و العاملين فيها، و أسأل اللّه تعالى أن يجزى الجميع خير الجزاء و يجزل لهم المثوبـة و العطاء. و أشـكر كـذلك لجنـة المناقشة التى قبلت مشـكورة مناقشة هذه الرسالة فلهم منى كل الشـكر و التقـدير. و لا يسـعنى فى النهاية إلا أن أتقدم بالشـكر و التقدير لكل من أسـهم فى إنجاز هذا العمل و أخص بالشـكر الأسـتاذ المحقق شعيب الأرناءوط الـذى كان السـبب فى الحصول على أصل المخطوط، و أشـكر كل من قدم لى خدمة فى طريق إنجاز هذا العمل، و أسأل اللّه تعـالى أن يجزى الجميع عنى خير الجزاء و يعظم لهم المثوبـة و العطاء .. رَبَّنا لا تُؤاخِـذْنا إِنْ نَسِـينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَمـا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنـا رَبَّنـا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُـرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۷

ترجمة موجزة للإمام القاضى أبى بكر الباقلّانى (۳۳۸– ۴۰۳ ه–) رحمه اللّه تعالى

* اسمه و نسبه «۱»:

* اسـمه و نسبه «۱»: هـو محمـد بـن الطيـب بن محمـد بن جعفر بن القـاسم، أبـو بكر القاضـى المعروف بالباقلّـانى، أو ابن الباقلّـانى. (______________________________ ۱) انظر للمزيـد حول الإمـام الباقلّانى رحمه اللّه: «ترتيب المـدارك و تقريب المسالـك» للقاضـى عياض (۲: ۵۸۵– ۶۰۲)، «تاريـخ بغداد» للخطيب (۵: ۳۷۹– ۳۸۳)، «تبيين كـذب المفترى» لاـبن عسـاكر ص ۲۱۷ – ۲۲۶)، «الوفيـات» لاـبن خلكان (۱: ۶۰۹)، «اللبـاب» لاـبن الأثير (۱: ۹۰)، «تـذكرة الحفاظ» للذهبى ص ۱۰۷۹، «الوافى بالوفيات» للصفدى (۳: ۱۷۷– ۱۷۸)، «الـديباج» لابن فرحون ص ۲۶۷– ۲۶۸، «البدايـة و النهاية» لابن كثير (۱۱: ۳۵۰– ۳۵۱)، «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى (۴: ۲۳۴)، مقدمة كتاب «التمهيد» للباقلانى، تحقيق الخضيرى و أبى ريدة، «دائرة المعارف الإسـلامية» الطبعـة الأوروبية (۹۵۸ – ۹۵۹)، «شـذرات الـذهب» لاـبن العماد (۳: ۱۶۹)، «الأعلام» للزركلى (۷: ۴۶)، «معجم المؤلفين» لكحالة (۱۰: ۱۰۹– ۱۱۰)، «الإمام الباقلانى و كتاب التمهيد» لمحمد عبد الرزاق حمزة، «الباقلانى و آراؤه الكلامية» للدكتور محمـد رمضان عبد اللّه، بروكلمان (۱: ۱۹۷ رقم ۸). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۸ و الباقلّانى: نسـبة إلى الباقلّاء و بيعه، و هى نسـبة على غير القياس كالنسـبة إلى صـنعاء، صـنعانى، و إلى بهراء، بهرانى، و كان والده يشـتغل بالباقلاء و بيعها فنسب إليها. و القاضى: لأنه تولى القضاء لعضد الدولة البويهى، و كان يعتبر رئيس القضاة، بيده أمر تعيينهم و توليتهم «۱».

* مولده و نشأته و أسرته:

* مولـده و نشأته و أسـرته: ولـد الإمام الباقلانی بالبصـرة سـنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة، و نشأ فيها و أخذ عن علمائها كثيرا من العلوم الدينيـة، ثم رحـل إلى بغـداد و نهل منها علما غزيرا و أقام فيها حتى توفاه اللّه تعالى سـنة ثلاث و أربعمائـة للهجرة. عاش الباقلانی فی كنف والـده الـذی كان من عامـة الشـعب يتاجر بالباقلاء و إليها نسب، و تذكر المصادر أن له ابنا واحدا هو الحسن، لم يرد ذكر لأحد من أبناء أو بنات له سواه.

* مذهبه فی العقيدة و الفقه:

* مـذهبه فی العقيـدة و الفقه: أما فی الاعتقاد فقـد كان أبو بكر الباقلانی سـنّيا علما فی مـذهب الإمام أبی الحسن الأشـعری رحمه اللّه تعالى، و كان من أبرز الأئمـة الـذين ساهموا فی انتشار المذهب و تثبيت قواعده و الذبّ عنه، و خاصة فی وجه المعتزلة و بعض الفرق الضالة ممّن حاولوا النيل من عقيدة أهل السـنة، فكان القاضـی الباقلانی لهم بالمرصاد، و نافح عن دين اللّه بما أوتی من حجة و قوّة و برهـان (________________________________. ۱) «تـبيين كـذب المفـترى»، لابن عساكر ص ۲۴۷. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹ أما مذهبه الفقهی فهو المذهب المالكی، كما نص على ذلک أكثر علماء عصره و من كتب عنه، بـل إن القاضـی عياضـا كان يعتبره إمام المالكيين فی وقته، و عالم عصـره المرجوع إليه فی ما أشـكل على غيره، إليه انتهت رئاسة المالكيين فی وقته. و أما الإمام السبكی الشافعی فعدّه من علماء الشافعية، كما ذكر بعض العلماء أنه كان حنبليا، و الراجح الذی تطمئن إليه النفس، و الذی استفاض عنه رحمه اللّه أنه كان مالكيا فی فروع الشريعة.

* شيوخه و تلاميذه «۱»:

أ- شيوخه:

أ- شـيوخه: ممـا لا شک فيه أن الباقلانی تتلمـذ لكثير من شـيوخ البصـرة و بغـداد و نهل من علمهم، و أخـذ عنهم مختلف المعارف و العلوم، لا سيما فی مجال العقيدة و الفقه و علم الكلام، و نحن هنا نذكر أبرز هؤلاء العلماء ممن أخذ عنهم العلم و المعرفة، و كان لهم أثر كبير فی شخصية ابن الباقلانی و نضوجه العلمی، و من هؤلاء: ۱- أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن مجاهد الطائی، درس عليه الباقلانـیّ الأـصول و المنطق و الفقه و كـان حافظـا ضابطـا متقنـا، توفی بعـد السـتين و الثلاثمائـة للهجرة. ۲- أبو الحسن البـاهلی البصـری، صـاحب أبی الحسـن الأشـعری، يـذكر أنه كـان إماميـا ثم تـاب و عـاد إلى مـذهب أهـل السـنة إثر منـاظرة مع أبی الحسـن (________________________________۱) انظر: «وفيـات الأعيان» (۱: ۴۸۱)، «الباقلانی و آراؤه الكلامية» ص ۱۷۹- ۱۹۵ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۰ الأشعری، و كان إماما فی عقيدة أهل السنة ينشر مذهبهم، و يعلم قواعد اعتقادهم، توفی سـنة سـبعين و ثلاثمائة للهجرة. ۳- أبو بكر محمد بن عبد اللّه الأبهری، شـيخ المالكية فی عصـره، تتلمذ الباقلانی على يديه و نهل من علمه الغزير فی الفقه، صـحبه الباقلانی طويلا، توفی سـنة خمس و سـبعين و ثلاثمائة. ۴- أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمـدان القطيعی، و نسبته إلى قطيعـة الدقيق فی بغداد، و هو راوية مسـند الإمام أحمد، و هو شـيخ الباقلانی فی الحديث توفی سـنة ثمان و ستين و ثلاثمائة. ۵- أبو عبـد اللّه محمد بن خفيف الشـيرازی من تلامذة أبی الحسن الأشـعری و هو فقيه شافعی، و هو شـيخ الباقلانی فی الأصول، توفی سـنة إحدى و سـبعين و ثلاثمائة. ۶- أبو أحمـد الحسن بن عبد اللّه العسـكری، إمام فی الأدب و الحفظ و صاحب أخبار و نوادر، أخذ عنه الباقلانی مسائل فی البلاغة و الأدب، توفی سنة ثنتين و ثمانين و ثلاثمائة. ۷- أبو محمد عبد اللّه بن أبی القيروانی، إمام كبير فی الفقه المالكی، جمع المذهب و شرح أقوال الإمام، و كان يعرف بمالک الصغير، رحل إليه العلماء و أخذوا عنه، و أخذ عنه الباقلانی الفقه، توفی سنة ست و ثمانين و ثلاثمائة. ۸- محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو الحسين بن سمعون

البغدادی، کان عجیبا فی الکلام علی الخواطر و حسن الوعظ، حتی کتب الناس حکمه و جمعوا کلامه، کان یأتیه الباقلانی و الأسفراینی فیقبّلان یده و یجلّانه، توفی سنهٔ سبع و ثمانین و ثلاثمائهٔ. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱

ب- تلامیذه:

ب- تلامیذه: لقد عاش الباقلانی فی عصر امتاز بکثرهٔ مجالس العلم و إقبال الناس علی العلماء، فکان فی مجلسه کثیرون، أخذوا من علمه و نهلوا من معینه، و من أبرز تلامیذه: ۱- أبو ذر الهروی، عبد بن أحمد، الحافظ الثقهٔ المالکی، محدّث الحرم، المعروف بدینه و ورعه و علمه (ت ۴۳۴ ه-)، أخذ علم الکلام علی الباقلانی. ۲- القاضی أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادی المالکی (ت ۴۲۲ ه-)، الإمام الکبیر صاحب «التلقین» و «الإشراف» و غیرهما، أخذ عن الباقلانی الفقه و علم الکلام. ۳- أبو عمران موسی بن عیسی الفاسی (ت ۴۳۷ ه-)، الإمام الجلیل، الفقیه المقرئ الحافظ، أخذ عن الباقلانی الأصول. ۴- أبو الحسن علی بن عیسی السکری الشاعر (ت ۴۱۳ ه-)، کان حافظا بالقراءات أدیبا، أخذ عن الباقلانی علم الکلام، و امتدحه بقصیدهٔ عظیمهٔ. ۵- القاضی أبو جعفر محمد بن أحمد السنانی الحنفی (ت ۴۴۴ ه-)، أبو جعفر، کان ثقهٔ عالما فاضلا. ۶- الحسین بن حاتم الأزدی، أخذ عن الباقلانی أصول الفقه، و هو الذی بعثه الباقلانی إلی دمشق، لیوضح الحق و یبین مذهب أهل السنهٔ. ۷- القاضی عبد اللّه بن محمد الأصبهانی، المعروف بابن اللبان، (ت ۴۴۶ ه-)، کان من أهل العلم الکبار، و أخذ عن الباقلانی الأصلین. ۸- محمد بن الحسین بن موسی النیسابوری، أبو عبد الرحمن السلمی، تتلمذ علی الباقلانی فی شیراز و قرأ علیه کتاب «اللمع» لأبی الحسن الأشعری. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۲ ۹- محمود بن الحسن الطبری، أبو حاتم المعروف بالقزوینی، أخذ عن الباقلانی أصول الفقه. ۱۰- صمصام الدولهٔ بن عضد الدولهٔ البویهی، أدّبه الباقلانی و علمه شتی العلوم، اغتیل بعد موت والده سنهٔ ۳۸۸ ه-، و له خمس و ثلاثون سنهٔ.

* مؤلفات الباقلانی و آثاره «۱»:

اشارهٔ

* مؤلفات الباقلانی و آثاره «۱»: تمتاز مؤلفات الباقلانی بطول النّفس و أنها فی معظمها فی الدفاع عن الدین و التصدی لرد شبهات الفرق کالرافضهٔ و أهل البدع و الضلالات، کما أنها تمتاز بالعمق و القوهٔ، و خاصهٔ أن الباقلانی رحمه اللّه یمتاز عن غیره من المؤلفین بالأصالهٔ فی کتاباته، فهو لا ینقل عن غیره فی أغلب الأحیان.

و من أهم مؤلفاته:

و من أهم مؤلفاته: ۱- التمهید، و هو الکتاب الذی ألفه بشیراز لابن عضد الدولهٔ البویهی و ولی عهده صمصام الدولهٔ و هو کتاب فیه الرد علی الملحدهٔ و الجهمیهٔ و المعتزلهٔ، و قد طبع مرتین محققا. ۲- شرح کتاب «اللمع» للإمام أبی الحسن الأشعری رحمه اللّه، و «اللمع» مطبوع. ۳- کتاب البیان عن الفرق بین المعجزات و الکرامات و الحیل و الکهانهٔ و السحر، مطبوع بتحقیق ریتشرد مکارثی سنهٔ ۱۹۵۸. ۴- الإنصاف فیما یجب اعتقاده و لا یجوز الجهل به، و المعروف برسالهٔ الحرّهٔ، و هو مطبوع بتحقیق العلامهٔ الشیخ محمد زاهد الکوثری رحمه اللّه (________________________________ ۱) انظر: «تبیین کذب المفتری» ص ۲۱۷- ۲۲۶، و مخطوطات الظاهریهٔ ص ۸۴، و «الأعلام» (۶: ۱۷۶)، و مقدمهٔ کتاب «التمهید»، و «ترتیب المدارک» (۲: ۶۰۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳ ۵- إعجاز القرآن، و قد طبع عدهٔ طبعات فی مصر علی هامش کتاب «الإتقان»، و منفردا

بتحقيق الأستاذ سيد صقر رحمه اللّه. ۶- هداية المسترشدين و المقنع في معرفة أصول الدين، مخطوط، منه نسخة في مكتبة الأزهر برقم ۳۴۲ توحيد. ۷- الإبانة عن إبطال أهل الكفر و الضلالة. ۸- كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد و العناد. ۹- كتاب إكفار المتأولين، و حكم الدار. ۱۰- كتاب التعديل و التجوير. ۱۱- كتاب الإمامة الكبير. ۱۲- كتاب الإمامة الصغير. ۱۳- كتاب شرح أدب الجدل. ۱۴- كتاب الأصول الكبير في الفقه. ۱۵- كتاب الأصول الصغير في الفقه. ۱۶- كتاب مسائل الأصول. ۱۷- كتاب أمالي إجماع أهل المدينة. ۱۸- كتاب المسائل المنثورة و المجالسات. ۱۹- كتاب فضل الجهاد. ۲۰- كتاب الرد على المتناسخين. ۲۱- كتاب الحدود. ۲۲- كتاب الرد على المعتزلة. ۲۳- كتاب في أن المعدوم ليس بشيء. ۲۴- كتاب المقدمات في أصول الديانات. ۲۵- كتاب المسائل القسطنطينية. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴ ۲۶- كتاب إمامة بني العباس. ۲۷- كتاب أجوبة أهل فلسطين. ۲۸- كتاب البغداديات. ۲۹- كتاب النيسابوريات. ۳۰- كتاب الجرجانيات. ۳۱- كتاب الأصبهانيات. ۳۲- كتاب الكرامات. ۳۳- كتاب الأحكام و العلل. ۳۴- كتاب نقض الفنون. ۳۵- كتاب تصرف العباد. ۳۶- كتاب التقريب و الإرشاد في الأصول. ۳۷- كتاب المقنع في أصول الفقه. ۳۸- كتاب دقائق الإسلام و الرد على من خالف الحق من الأوائل و منتحلي الإسلام. ۳۹- كتاب مسائل سأل عنها ابن عبد المؤمن. ۴۰- كتاب البيان عن فرائض الدين. ۴۱- كتاب مختصر التقريب و الإرشاد الأصغر. ۴۲- كتاب مختصر التقريب و الإرشاد الأوسط طبع قسم منه، بتحقيق الدكتور أبو زنيد، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت. ۴۳- كتاب مناقب الأئمة. ۴۴- كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة. ۴۵- كتاب التبصرة. ۴۶- كتاب رسالة الأمير. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵ ۴۷- كتاب كشف الأسرار و هتك الأستار في الرد على الباطنية. ۴۸- كتاب الانتصار، و هو ما نحن بصدد تحقيقه بعون اللّه تعالى. و هذه الكتب للباقلاني، أوردها القاضي عياض في ترجمته للقاضي أبي بكر رحمهما اللّه تعالى، في كتابه «ترتيب المدارك» (۲: ۶۰۱)، و هي من أوفى ما كتب عن الباقلاني من التراجم، و اللّه أعلم. هذا و قد أورد الباقلاني رحمه اللّه اسم كتاب له في مؤلفه الذي نحن بصدد تحقيقه سماه كتاب جامع الأبواب و الأدلة، و لم يذكره القاضي عياض ضمن مجموعته. و هناك مجموعة من الكتب ورد ذكرها في مصادر متناثرة، و منها ما نص عليها القاضي عياض لكن باختلاف يسير في عناوينها، مثل كتاب «الإنصاف» الذي جزم سيد صقر أنه نفسه كتاب رسالة الحرة. و من هذه الكتب: ۱- كتاب نقض النقض، ذكره الباقلاني في «هداية المسترشدين». ۲- كتاب الكسب، ذكره الأسفراييني في «التبصير». ۳- كتاب الإيجاز، ذكره أبو عذبة في كتاب «الروضة البهية». ۴- كتاب النقض الكبير، ذكره إمام الحرمين في «الشامل». و كل هذه الكتب بينها تداخل، و قد يكون بينها قدر مشترك أحيانا.

* ثناء الأئمة على الباقلّاني:

* ثناء الأئمة على الباقلّاني: يكاد يكون إجماعا بين المؤرخين أن الباقلاني رحمه اللّه كان المجدد للدين على رأس المائة الرابعة، لما قدّم من جهود، و ما بذل في خدمة مذهب أهل السنة و الجماعة و ما دافع من خلاله عن دين اللّه عز و جل، يقول ابن عساكر رحمه اللّه: «إن قول من قال: إن القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶ الباقلاني هو الذي كان على رأس الأربعمائة، أولى من قولهم: إن أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان النيسابوري هو الذي كان على رأس الأربعمائة لأنه أشهر من أبي الطيب النيسابوري مكانا و أعلى رتب القوم شأنا، و ذكره أكبر من أن ينكر، و قدره أظهر من أن يستر، و تصانيفه أشهر من أن تشهر، و تواليفه أكثر من أن تذكر، فأما أبو الطيب- النيسابوري- فإنما اشتهر ذكره ببلده» «۱». و عن القاضي أبي بكر رحمه اللّه يقول اليافعي رحمه اللّه في كتابه «مرآة الجنان» و هو من أعيان المائة الثامنة: «هو سيف السنة، و ناصر الملة، الإمام الكبير، الحبر الشهير، لسان المتكلمين، و موضح البراهين، و قامع المبتدعين، و قاطع المبطلين، الأصولي المتكلّم، الأشعري المالكي، المجدد على رأس المائة الرابعة، و كان كلّ ليلة إذا قضى ورده كتب خمسا و ثلاثين ورقة، تصنيفا من حفظه، و كان فريد عصره في فنه، و له التصانيف الكبيرة المسندة الشهيرة، و إليه انتهت الرئاسة في هذا العلم، و كان ذا باع طويلة في بسط العبارة، مشهورا بذلك» «۲». و مع ما كان عليه إمامنا

الباقلّانی من الضلوع فی علم الکلام و المناظرات و الفلسفهٔ، التی هی مظنهٔ الخواء الروحی، إلا أنه رحمه اللّه کان مع کل ذلک یمتاز بقمهٔ الورع و التقوی و المراقبهٔ للّه تعالی، یقول عن ذلک الإمام أبو حاتم القزوینی: (____١) «تبیین کذب المفتری» ص ۵۳.

(۲) «مرآهٔ الجنان» (۳: ۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۷ «إن ما کان یضمره القاضی أبو بکر الأشعری رضی اللّه عنه من الورع و الدیانهٔ و الزهد و الصیانهٔ أضعاف ما کان یظهره، فقیل له فی ذلک، فقال: إنما أظهر ما أظهره غیظا للیهود و النصاری و المعتزلهٔ و الرافضهٔ و المخالفین، لئلا یستحقروا علماء الحق و الدین» «۱». و عن ذلک یقول الصیرفی رحمه اللّه: «کان صلاح القاضی أکثر من علمه، و ما نفع اللّه هذه الأمهٔ بکتبه و بثها فیهم إلا بحسن نیته و احتسابه بذلک» «۲». و أما عن علمه وسعهٔ اطلاعه فهو بالمکانهٔ العالیهٔ، فلقد کان العالم الذی یحدّث و یکتب من علمه و حفظه دون أن یحتاج إلی الرجوع لکتب الآخرین، یقول فی ذلک علی بن محمد بن الحربی المالکی: «کان القاضی أبو بکر یهمّ بأن یختصر ما یصنفه، فلا یقدر علی ذلک لسعهٔ علمه و کثرهٔ حفظه، و ما صنف أحد خلافا إلا احتاج أن یطالع کتب المخالفین، غیر القاضی أبی بکر، فإن جمیع ما کان یذکر خلاف الناس فیه صنّفه من حفظه» «۳». و عن سعهٔ علمه و فصاحهٔ لسانه یقول أبو القاسم النحوی (ت ۴۵۶): «من سمع مناظرهٔ أبی بکر لم یستلذّ بعدها بسماع کلام أحد من المتکلمین و الفقهاء و الخطباء و المترسلین، و لا الأغانی أیضا لطیب کلامه و فصاحته، و حسن نظامه و إشارته» «۴». (____١) «تبیین کذب المفتری» ص ۲۰.

(۲) مقدمهٔ کتاب «نکت الانتصار» و کتاب «ترتیب المدارک» (۲: ۵۸۸). (۳) «ترتیب المدارک و تقریب المسالک» (۲: ۵۸۷). (۴) السابق. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۸ و یقول أبو محمد الشافعی (ت ۳۹۸): «لو أوصی رجل بثلث ماله أن یدفع إلی أفصح الناس لوجب أن یدفع لأبی بکر الأشعری» «۱». قال ابن العماد الحنبلی: «کان ابن الباقلانی ورعا لم تحفظ عنه زلهٔ و لا نقیصهٔ، و کان باطنه معمورا بالعبادهٔ و الدیانهٔ و الصیانهٔ، قال الطائی: رأیته فی النوم بعد موته و علیه ثیاب حسنهٔ، فی ریاض خضرهٔ نضرهٔ، و سمعته یقرأ: فَهُوَ فِی عِیشَةٍ راضِیَةٍ (۲۱) فِی جَنَّةٍ عالِیَةٍ [الحاقهٔ: ۲۱- ۲۲]، و رأیت قبل ذلک قوما حسنا حالهم، فقلت: من أین جئتم؟ فقالوا: من الجنهٔ من زیارهٔ القاضی أبی بکر» «۲». و لو أردنا استیفاء کلّ ما قیل عن هذا العالم لاتّسع بنا الأمر و لخرجنا عن المقصود، و أختم ذلک بما قاله عنه الصاحب ابن عبّاد- رحمه اللّه- و عن ابن فورک و الأسفرایینی: «ابن الباقلانی بحر مغرق، و ابن فورک صلّ مطرق، و الأسفرایینی نار تحرق» «۳».

* کتاب «الانتصار للقرآن»:

- اسم الکتاب:

- اسم الکتاب: الذی یرجّح لدی من خلال المطالعات أن اسم الکتاب هو: «الانتصار للقرآن»، و قد ورد بهذا اللفظ تماما دون زیادهٔ أو نقصان علی الصفحهٔ الأولی من النسخهٔ الخطیهٔ، و هو ما أثبته السیوطی فی کتاب «الإتقان» عند النقل عن القاضی أبی بکر و کذا غیره من الناقلین (____. ١) السابق. (۲) شذرات الذهب (۳: ۱۶۹). (۳) «تاریخ بغداد» (۵: ۳۸۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹ و إن مما یؤکّد هذا الاسم أنّه بعینه الاسم الذی أثبته صاحب «النکت» حین اختصره، فجعل العنوان دالا علی أصل اسم الکتاب قبل الاختصار، فقال: «نکت الانتصار للقرآن»، و کذا أورده القاضی عیاض فی کتاب «ترتیب المدارک» «۱». و قد سماه بعض الکتّاب المعاصرین «۲»: «الانتصار لصحهٔ نقل القرآن». و مستنده فی ذلک أن هذه التسمیهٔ قد وردت فی کتاب «هدایهٔ المسترشدین» للباقلانی نفسه، و لیس هذا مما یؤکد هذه التسمیهٔ، بدلیل أن المؤلف حین یتحدث فی ثنایا کتابه عن کتاب آخر له و لا یکون دقیقا فی ذکر اسم الکتاب، حیث لا یکون ذلک مجال تحقیق

الاسم بقـدر قصد الإشارة إليه و إلى القضـية التى يعالجها، و هى صـحة نقل القرآن. و بعض الكتّاب يذكر تحت عنوان «الانتصار لنقل القرآن»، و الأول أولى أن يصـار إليه. ثم إن موضوع الكتـاب أشـمل من أن يكون مقتصـرا على صـحة النقـل للقرآن، فهو كتـاب فيه الحـديث عن القرآن الكريم من حيث نزوله و ثبوته و دقـة عبارته و جزالـة ألفاظه و تواتر نقله إلى غير ذلك من القضايا التى لها تعلق مسيس بكتاب اللّه تعالى.

* نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

* نسبة الكتاب إلى مؤلفه: أما نسبة الكتاب إلى مؤلفه فتكاد تكون إجماعا بين أهل العلم قـديمهم و حديثهم، سواء من أخذ عنه، أو أشـار إليـه، أو نقـل عنه، أو لخصه، أو____

(۱) «ترتيب المـدارک» (۲: ۶۰۱). (۲) الـدكتور محمـد رمضـان عبـد اللّه فى كتـابه «الباقلانـى و آراؤه الكلاميـة» ص ۲۰۵. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰ تكلّم عليه من قريب أو بعيـد. و قـد صـدّرت النسـخة الخطيـة للكتـاب بالنص التالى: «الأول من كتاب الانتصار للقرآن، تأليف الشـيخ الإمام العالم العامل، المتقن المحقق، القاضـى أبى بكر محمد بن الطيب بن محمد الأشـعرى، الباقلانى البصـرى رضـى اللّه عنه، توفى رحمة اللّه تعالى عليه آخر يوم السبت، و دفن يوم الأحد لسبع بقين من ذى القعدة سنة ثلاث و أربعمائة ببغداد». يقول الأسـتاذ فؤاد سـزكين فى تصـديره لنشـرته للأصـل الخطى للكتـاب: «ربما لا نخالف الصواب إن قلنا إن هـذا الكتاب من أحسـن نماذج ما وصل إلينا من التركة العلمية للباقلانى، لإعطائنا انطباعا عن شخصـيته، متكلما سـنيا أخذ قضـية الدفاع عن القرآن على عاتقه، واثقا بأنه كفؤ لها» «۱».

* نسخ الكتاب:

* نسخ الكتـاب: للكتاب نسـخة فريـدة محفوظـة بمكتبـة قرّة مصـطفى باشا باسـتانبول، تحتوى على المجلـد الأول من الكتاب فقط، و سيأتى وصـفها، و لم يذكر أحد من المحققين أنه عثر على الجزء الثانى منها، أو أنه قد حصل على نسخة أخرى لأحد الجزءين، غير ما ذكره الأسـتاذ فؤاد سزكين أن قسما من كلا المجلدين موجود فى المكتبة الحسنية بالرباط، و هو غير كامل، و غير واضح الكتابة، و لم يشـر إلى رقمه أو إلى أى معلومـة تدل عليه، و حاولت الحصول على مصوّرة عن هذا النسـخة لكن دون جدوى، فاقتصـر اعتمادى فى التحقيـق على نســخة إســتانبول (____. ۱)

مقدمة الناشر لهذا المخطوط ص ۷، أصدرها أ. فؤاد سزكين، عيون التراث سلسلة ج المجلد ۴۰. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱

* وصف المخطوط:

* وصف المخطوط: يقع مخطوط مكتبـة قرة مصـطفى باشا باسـتانبول من كتاب «الانتصار» فى ما يزيد على ثلاثمائة ورقة، تم تصويره كل صـفحة على حدة، فخرج بستمائة و ثلاث صـفحات، من القطع الوسط، فى كل صـفحة عشـرون سطرا، فى كل سطر ما بين ثلاث عشرة إلى ست عشرة كلمة، بخط مشرقى جميل، واضح فى أكثره فيه شىء من الطمس فى بعض الكلمات، و عدم وضوح فى بعضها، غير مشـكول، و غالبا ينقط الحروف، و قـد يترك النقط أحيانا، على هامشه اسـتدراكات للناسـخ، أو تصويب لبعض الكلمات، أو بيان للآية التى يريد الحديث عنها، و خاصة فى باب مطاعنهم فى صـحة القرآن و نظمه من جهة اللغة. و هذه المخطوطة قام بنشرها تصويرا معهد تاريخ العلوم العربية و الإسـلامية الذى يشـرف عليه الأسـتاذ فؤاد سـزكين، ضـمن سلسـلة (ج) عيون التراث، المجلد ۴۰، و كتب عليه: «طبع بالتصوير عن مخطوطة قرة مصـطفى باشا، مكتبة بايزيد فى اسـتانبول، طبع بطريقة التصوير فى مطبعة كليت- شتوتسـغارت». فى صـفحة العنوان توقيع نصّه: أحمـد بن عثمان الشافعى. و النسـخة تبدو قديمة يقدّر أنها من مخطوطات القرن السابع، و قد ورد على

صفحة الغلاف و الأخير تأريخ، للمطالعة فى سنة ۱۰۹۰. و جاء ختم فى أوله و أواسطه فى أكثر من محلّ، و هو ختم المكتبة التى وقفت فيها هذه المخطوطة، و هو ختم بيضاوى كتب عليه: «وقف هذا الكتاب لوجه اللّه الأجلّ الأكرم، مصطفى باشا الوزير الأعظم». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۲ و يلاحظ على النسخة الأمور التالية: ۱- يكتب الناسخ أحيانا بخط متشابك الحروف بحيث يصعب تمييز الحروف بعضها من بعض. ۲- يقع فى بعض الأخطاء الإملائية أحيانا، و اللغوية أحيانا، و قد ذكرت ذلك فى مكانه و أشرت إليه فى حاشية التحقيق. ۳- وقع فى النسخة خلط فى ترتيب بعض الصفحات، و ألحقت بعض الصفحات فى غير المبحث الذى ينبغى أن تكون فيه، و قد أشرت إلى ذلك، و صوّبته بحمد اللّه.

* سبب تأليفه كتاب «الانتصار» و الداعى لذلك:

* سبب تأليفه كتاب «الانتصار» و الداعى لذلك: من أبرز الأمور التى دعت الباقلانى رحمه اللّه إلى تأليف هذا الكتاب ظهور فرق فى عصر المؤلف كان همّها الطعن فى القرآن و التشكيك فيه، و فى صحة نقله و خلوه من الخطأ و اللحن، فانبرى لهم الباقلانى مفنّدا لمزاعمهم داحضا لحججهم، مبينا و هاءها و صغارها. و هذه الطعون كما أجملها المصنف رحمه اللّه دائرة حول قضايا من أبرزها: ۱- دعوى الزيادة فى القرآن الكريم. ۲- دعوى النقص منه. ۳- دخول الخلل و اللحن على النص القرآنى. ۴- إيرادهم لشبه قد تنطلى على العامة مثل دعوى اللحن فى القرآن و أنه كان منذ تنزل القرآن و أن العرب ستقيمه بألسنتها، و ما ورد عن ابن مسعود أنه كان يحكّ المعوذتين من القرآن. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳ ۵- ما يتمسك به بعض طوائف الشيعة من الطعن فى بعض الصحابة و أنهم كانوا السبب فى ضياع جزء كبير من القرآن. بالإضافة لما سبق، لم يقتصر المؤلف على نقض الطعون التى وجهت إلى القرآن الكريم بل أضاف إلى ذلك بحوثا فى علوم القرآن الكريم أوفاها حقها مثل عد الآى، و ترتيب السور، و الأحرف السبعة و الناسخ و المنسوخ، و غيرها من الأبواب. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۴

موازنة بين كتاب «الانتصار للقرآن» و كتاب «نكت الانتصار»

– نبذة عن كتاب «نكت الانتصار»:

– نبذة عن كتاب «نكت الانتصار»: كتاب «نكت الانتصار» قال عنه مؤلفه أبو بكر الصيرفى رحمه اللّه: «لما وقفت على كتاب الانتصار للقاضى الإمام أبى بكر محمد بن الطيب الأشعرى رضى اللّه عنه وقوف تأمل لفصوله، و اطلاع على أبحاثه، رأيت كتابا عظمت فوائده و جلّت، و خصت علومه و عمّت، غير أنه رحمه اللّه عوّل فيه على أسلوبه فى سائر كتبه، فى استقصاء الأدلة، و كثرة البحث عن الحجة، فصار المنتهى يضجر عن مطالعته فضلا عن المبتدى، و السابق يكلّ دون شأوه فكيف بالمصلى، فرأيت أن أجمع نكته على سبيل الاختصار، و أسمى الكتاب «نكت الانتصار»، و لا أدّعى أن اختصار ما اختصرته عن فساد، و لا أن اختيارى يحكم بصحة الانتقاد، غير أنى لطّفت حجم الكتاب، و توخّيت طرق الصواب، ...» «۱». من خلال هذا التقديم لكتاب «النكت» ندرك قيمة كتاب «الانتصار» و ما الذى علمه صاحب «النكت» فى كتابه، من اختصار لما أسهب فيه و أطال الباقلّانى فى «الانتصار»، فلطف حجم الكتاب مع توخيه طرق الصواب. فهل أعطى كتاب «النكت» صورة واضحة حقيقية عن كتاب «الانتصار»؟ هذا ما أود بيانه فى هذا الفصل إن شاء اللّه تعالى (________________________________. ۱) مقدمة كتاب «نكت الانتصار». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵ و كتاب «النكت» له أصل مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ۸۲۸ ب، يقع فى مائة و أربع و أربعين ورقة، و فيه صورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (۲۸۴ تفسير)، كما يذكر محمد زغلول سلام فى مقدمته للكتاب، و منه نسخة مصورة على الميكروفلم فى مكتبة الجامعة الأردنية اطلعت عليها، و هى مصورة بشكل ردىء غير واضح،

فيها طمس كثير، و صفحات غير واضحة، و بعضها بياض كامل، و القراءة فيها عسيرة. حقق كتاب «النكت» الدكتور محمد زغلول سلام، أستاذ اللغة العربية و عميد كلية الآداب بجامعة بنها بمصر، و قامت بنشره منشأة المعارف بالإسكندرية. يقع الكتاب بعد الطبع فى ثلاثمائة و سبعين صفحة من القطع الوسط، ما عدا المقدمات و الفهارس، جعله مصنفه فى ثمان و ثلاثين بابا، رتبها على غير ترتيب أصل كتاب «الانتصار»، فقدّم بعضها و أخر بعضها، و أتى بها مختصرة عما عليه الأصل، و قد أغفل جلّ المناظرات التى عقدها الباقلانى رحمه اللّه، و لم يأخذ مما عند الباقلانى إلا المادة العلمية دون سواها من الحجج المنطقية و المناظرات الكلامية. قدم المحقق للكتاب بمقدّمة بين فيها نبذة عن حياة الباقلانى باختصار، ثم تكلم عن منهج الباقلانى فى التأليف، و دراساته لبيان القرآن و إعجازه، و تطرّق إلى نظريته فى الإعجاز، و صار إلى القول بنتيجة عامة هى خلاصة نظريته فى الإعجاز التى عرضها الباقلانى فى كتبه بصور مختلفة، و هى: «خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب و نظومهم، و يقول: إن عجز القوم عن معارضته دليل خروجه على نمط كلامهم» «۱» و يقول أيضا: «ليس (________________ ۱)

مقدمة «نكت الانتصار» ص ۱۱. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۶ الإعجاز فى نفس الحروف، و إنما هو فى نظمها و إحكام رصفها، و ليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة، و مترتبة فى الوجود، و ليس لها نظم سواها، و هو كتتابع الحركات، و وجود بعضها قبل بعض، و وجود بعضها بعد بعض» «۱». ثم يعقد مبحثا للحديث عن الإعجاز فى كتاب «الانتصار»، و يقول: «تمتاز دراسة الباقلانى للإعجاز فى كتاب «الانتصار» بأنها جاءت ضمن دراسته العامة للقرآن، فى تاريخه و قراءاته ... و يتدرّج فى أبواب الكتاب بابا بابا حتى يصل إلى باب (ذكر مطاعنهم على القرآن)، و يتولى فيه الردّ بالتفصيل على الآيات التى طعن عليه فيها من الناحية اللغوية، معتمدا فيما أورده على إثبات صحة الأسلوب القرآنى بمقابلته بأساليب العرب الصحيحة البليغة فى الشعر و النثر، و تكلم فى هذا الباب أيضا عن الحذف و التكرار و الزيادة و المشكل من لغات القرآن مما سبق الكلام فيه و خاصة فى «مشكل القرآن» لابن قتيبة» «۲». و يتكلم فى ابتداءات السور، و نظمه المعجز، و الدلالة على صحة مفارقة القرآن لكلام العرب، و هو لب نظريته فى الإعجاز، و يعقد بابا فى البيان، و آخر للحديث عن البراعة كما يعقد بابا للمقارنة بين فنون البيان فى القرآن و فى كلام العرب، ثم يتكلم عن موسيقى الوزن فى نظم القرآن، و كل هذه الأبواب إنما جاءت فى «الانتصار» فى جزئه الثانى الذى لم يتم تحقيقه فى هذه الدراسة، و من أراد الاستزادة منها فليرجع إلى ملخّصه منها محقق كتاب «النكت».

(________________ ۱) السابق ۱۱. (۲) السابق ۱۲.

الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۷ و بعد الحديث عن إعجاز القرآن فى كتاب «الانتصار» يفرد بابا للحديث عن الإعجاز عند الباقلانى رحمه اللّه فى كتاب «إعجاز القرآن» و يقول واصفا له: «و هو الدراسة الناضجة لآراء الباقلانى مجتمعة فى نظم القرآن، و آراؤه هنا هى آراؤه فى كتابيه السابقين، بدأ بتلخيص مجمل لنظرية الإعجاز كما يراها، ثم تناولها بالشرح و التفصيل أثناء الكتاب، و ردّ على الاعتراضات و فنّد حجج المعارضين و المخالفين فى فصول الكتاب ...». و بعد المقدمة يأتى عرض المحقق للكتاب ضمن ثمانية و ثلاثين بابا منها ثلاثة عشر بابا هى تلخيص الجزء الأول من الكتاب بينما بقية الأبواب هى تلخيص للجزء الثانى منه، و سنأتى على ذكرها لاحقا إن شاء اللّه تعالى.

– بين «الانتصار» و «النكت»:

– بين «الانتصار» و «النكت»: بعد الحديث عن كتاب «نكت الانتصار» يتجلى الفرق بين الكتابين، فالباقلانى رحمه اللّه كان هدفه من تأليف هذا الكتاب ابتداء الرد على فرق الضلال و الزيغ التى تطعن فى أصل النص القرآنى، و تحاول من خلال كثير من الشبه أن تمسّ النص الكريم بما يجعل القارئ فى شبهة أو شك، و لذا عقد الأبواب و نصب المناظرات للرد على تلك الشبه و تفنيدها. و أما كتاب «النكت» فغالبا ما كان يذكر المادة العلمية المتعلقة بعلوم القرآن من ناسخ و منسوخ و أول ما نزل و آخره، و إعجاز القرآن و

بيانه، و ما يتعلق به من سائر العلوم و الفنون، دون التعويل كثيرا على رد الشبه و الوقوف عند أقاويل الفرق الضالة حول القرآن؛ على أنه كان أحيانا يذكر تلك الأقوال و يفندها و يبين ضعفها و و هاءها، و من الأمثلة على ذلك قوله: الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۸ «فإن قيل إن الصحابة كانت تدين بجواز القراءة على المعنى دون اللفظ، و ذلك أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه سئل عن قوله تعالى: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ [هود: ۱۳]، و قوله تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ [البقرة: ۲۳]: فى أى سورة هذا و فى أى سورة هذا؟، فقال: «ما عليك أ هكذا قرأته أم هكذا»، فإنه خبر ضعيف، و إن صح فمعناه أنه فهم أن السائل سأله عن الآيتين، لأنه يعتقد اختلاف معناهما، فقال له: ما عليك، أى لا خلاف بينهما إن أردت أن تقرأ دون معرفة المعنى و الاحتجاج، فأما أن يكون خبره فى القرآن بأنهما سواء فلا يصح» «۱». و قد جاء باب (ذكر مطاعنهم على القرآن) فى حوالى ثمانين صفحة فى كتاب «النكت»، بينما جاء نفس الباب فى كتاب «الانتصار» فى مائتى صفحة و خمس صفحات. و إذا أنعمنا النظر فيما كتب الباقلانى نجده قدّم بين يدى الحديث عن الآيات بحوالى ثلاث صفحات حول قضية ما يثيره المشككون حول الآيات، ثم يبدأ بالحديث عنها تفصيلا، آية آية، مع شيء من الإسهاب، فى حين نرى كتاب «النكت» بدأ مباشرة فى الحديث عن الآيات دون أن يذكر شيئا مما ذكره كتاب «الانتصار» «۲». على أن كتاب «النكت» حين تحدث عن الآيات تحدث بشكل مختصر اختصارا شديدا، و لا يذكر ما أورده الباقلانى من الاستشهاد بالآيات و الأحاديث و أبيات الشعر و أقوال أرباب اللغة.

(۱) «نكت الانتصار» ص ۳۲۳- ۳۲۴.

(۲) انظر كتاب «الانتصار» ص ۳۹۱- ۳۹۴ مخطوط، و كتاب «النكت» ص ۱۳۵ و ما بعدها. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۹ و سأذكر لذلك مثالا واحدا حتى لا يطول الحديث فى هذا المجال، و ذلك ما جاء من الحديث على قوله تعالى: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ [الأنفال: ۵]. يقول فى «النكت»: «و أما قوله تعالى: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ فإن اللّه تعالى شبّه إخراجه من بيته مع كراهة قوم من المؤمنين، بتنفيله عليه السلام يوم بدر السلب للمقاتلة، و فعل ذلك لقلة المسلمين يومئذ، فكره قوم ذلك كما كرهوا خروجه من بيته» «۱». و أما فى «الانتصار» فقد أسهب الباقلانى فى الحديث عنها فقال: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ و لم يذكر الشيء الذى شبّهه بإخراج اللّه له من بيته بالحق، و كما أنه يدخل فى الكلام لتشبيه الشيء بغيره، و ذلك أن اللّه تعالى شبّه إخراجه له من بيته مع كراهة قوم من المؤمنين لذلك بتنفيله عليه السلام يوم بدر لسلب القاتل، و جعله لمن أتى بأسير كذا و كذا، و إنما فعل ذلك لقلة المسلمين يومئذ و كراهة كثير منهم القتال ... فقال اللّه لهم: قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ أى: يضعها حيث يشاء، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ أى: فرّقوها بينكم على ما أمر اللّه، ثم قال: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ أى: إنهم كرهوا ذلك كما كرهوا إخراجك يوم أخرجت من بيتك، فحذف و جعل ما تقدم فى أول السورة جوابا لهذا الكلام، و اقتصر على دلالة الكلام عليه، و مثل هذا قول الشاعر: فلا تدفنونى إنّ دفنى محرّم عليكم و لكن حافرى أم عامر

(۱) «نكت الانتصار» ص ۱۳۶.

الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰ يقول: لا تدفنونى، و لكن دعونى للتى يقال لها إذا صيدت حافرى أم عامر يعنى: الضبع، لتأكلنى، فحذف «دعونى» للعلم باقتضاء الخطاب له» «۱». و الفرق بين الكتابين من خلال ما ذكرت واضح، و البون شاسع، و لا يمكن لقارئ «النكت» وحدها أن يستغنى بها عن الكتاب الأم بشموله و اتساعه و بسطه للمسائل، و تسلسله فى عرض المسائل بأسلوبه الشيّق الممتع. و فى نهاية كتاب «النكت» يقول الشيخ الإمام أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الصيرفى رحمه اللّه: «قد أثبتّ فى اختصار هذا الكتاب على ما أدّى إليه الاجتهاد ... و اللّه عز و جل أسأل و إليه أرغب فى المعافاة من سوء التأويل، و أن يهدينا سواء السبيل، و هو حسبنا و نعم الوكيل ... نجز كتاب «الانتصار لنقل القرآن» على جهة الاختصار، و اللّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، و الحمد للّه رب العالمين». و فى نهاية الكتاب العبارة التالية: «هذه النكت أملاها الشيخ أبو عبد اللّه الصيرفى كما تقدم ذكره، و لما توفى رحمه اللّه رتّبه عبد الجليل بن أبى بكر الصابونى، فالخطبة له و بعض ألفاظ الكتاب».

– الجزء الثانی من کتاب «الانتصار»:

– الجزء الثانی من کتاب «الانتصار»: قـد تم فی هـذه الدراسة تحقیق الجزء الأول من کتاب «الانتصار»، و أبوابه معلومة، و مادته العلمیة هی التی بین أیـدینا فی قسم التحقیق، و الذی أرید بیانه هنا هو ما یشـتمل علیه الجزء الثانی من کتاب «الانتصار»، خاصة أننا لم نتمکن مـــــن الحصـــــــول علیـــــــه، و یری کـــــــثیر مـــــــن المحققیـــــــن أنـــــــه مفقـــــــود، لم (ـــــــــــ ۱) «الانتصـــار» ص ۳۹۵ ، ۳۹۶ مخطوط. الإنتصـار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱ یعثر علیه بعـد، و لم أجـد من یـدل علی أصـل مخطوطته أو ینبه إلیهـا، و لعلها تکون مما قد درس و ضاع من تراث هـذا العالم الکبیر. و یمکن التعرف علی محتویات هذا الجزء من خلال دراسـتنا لکتاب «نکت الانتصار»، حیث إنه مختصـر لکلاـ الجزءین کمـا رأینـا، و إذا اسـتثنینا الأـبواب التی لهـا نظـائر فی الجزء الأـول من «الانتصـار» تکون باقی الأبواب هی محتویـات الجزء الثانی، حیث إن صاحب «النکت» راعی إلی حـد کبیر ترتیب ابواب کلا الجزءین. و مما یؤکـد صـحة ما نقول أنه قد ورد فی نهایـة الجزء الأول عبارة: انتهت المجلـدة الأولی، یتلوه فی المجلدة الثانیة: باب الکلام علی من زعم من الرافضة أن القرآن قد نقص منه و لم یزد فیه شـیء، و لا یجوز الزیادة فیه، و باللّه التوفیق «۱». و بذلک تکون أبواب الجزء الثانی من «الانتصار» و موضوعاته هی: ۱– بـاب الکلاـم علی من زعم من الرافضـة أن القرآن نقص منه و لم یزد فیه. ۲– باب الکلام فی الدلالـة علی أن القرآن معجزة للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم. ۳– باب الکلام علی صـحة مفارقة القرآن لسائر کلام العرب. ۴– باب البلاغة. ۵– باب الکلام علی البیان. ۶– بـاب الرد علی مـن زعم أن القرآن العزیز شـعر. ۷– باب الکلام علی المعتزلـة القائلین بأن العرب صـرفوا عن معارضـته مع قدرتهم علی الإتیان بمثله (ـــــــــــ ۱) آخر صفحة من المخطوط ۶۰۳. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۲ ۸– بـاب فیما روی أنه سـمع من النبی صـلّی اللّه علیه و سـلّم من قوله: «تلک الغرانیق العلی». ۹– باب الکلام فی جواز نسـیان النبی صـلّی اللّه علیه و سلّم. ۱۰– باب ذکر أول من جعل القرآن بین اللوحتین، و الـدلیل علی صوابه تواتر الأخبـار. ۱۱– بـاب الکلاـم فی إبطال القراءة علی المعنی دون اللفظ. ۱۲– بـاب الکلام فی إبطال جواز القراءة بالفارسـیة. ۱۳– باب ذکر علل المخالفین و الاعتراض علیها. ۱۴– باب القول فی جمع أبی بکر رضی اللّه عنه فی المصحف، و فی أی شیء کتبه. ۱۵– باب الدلیل علی أنّ ما فعله أبو بکر رضـی اللّه عنه من ذلک صواب. ۱۶– باب جمع عثمان رضی اللّه عنه المصحف و الوجه فی ذلک. ۱۷– باب قصـة عبـد اللّه بن مسـعود و ما کان منه فی ذلک. ۱۸– بـاب الکلاـم علی جواز اختیار عثمان زیـد بن ثابت دون ابن مسعود. ۱۹– باب ذکر الأدلة علی صواب عثمان رضـی اللّه عنه فی اختیاره حرف زید دون غیره. ۲۰– باب فی أی لغة نزل بها القرآن العزیز. ۲۱– بـاب ذکر الحروف التی اختلفت فیها أهل الشام و أهل المدینـة و أهل العراق. ۲۲– بـاب ذکر ما یتعلق به عن الحجاج بن یوسف فی هـذا الباب. ۲۳– بـاب الکلاـم فی حکم قراءة الأئمـة السـبعة و وجوه اختلافهم. ۲۴– بـاب ذکر مـا یحاولون به الطعن علی عثمان رضی اللّه عنه فی حظر ما خالفه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۳ ۲۵– باب ذکر اختلاف القراء السبعة، و هل خالف جمیعهم أو بعضـهم حرف الجماعـة أم لاـ و مـا وجه اختلاف المصاحف. و الناظر فی محتوی الجزء الثانی یجـد أنّ فیه تکرارا لما ورد فی الجزء الأول، مثل الحدیث عن الصـرفة، فقد قدّم الحدیث عنها، و کذلک قصة الغرانیق، و الحدیث عن جمیع القرآن، و ما حصل بین عثمان و ابن مسـعود، و هو ما یحصل أحیانا للباقلانی، حیث إنه یکرر أحیانا لتأکیـد مسألـة أو إسـهاب الحدیث عنها فی وقت کان قد تناولها قبله بشیء من الإیجاز. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۴

الخاتمة فی النتائج و التوصیات

اشارة

الخاتمة فی النتائج و التوصیات الحمد للّه المتفضّل بجزیل نعمه علی عباده، و الصلاة و السلام علی خیرته من خلقه و خاتم رسله و أنبیائه. أما بعد: فقد منّ اللّه تعالی علیّ بإتمام هذا العمل، فله الحمد و المنة و له الفضل و الثناء الحسن، و من خلاله نقدّم کتاب «الانتصار للقرآن» للإمام الکبیر أبی بکر ابن الباقلّانی، دراسة و تحقیقا، فبعد أن کان هذا الکتاب العظیم و السّفر الدفین زمنا لا یری النور و لا یفید منه إلا النزر الیسیر ها هو- و للّه الحمد- فی طریقه لیکون مرجعا ینهل منه العلماء، و یغترفون من بحر هذا العالم ما قد یتعذّر وجوده عند غیره، و یندر من أوفی جانب الانتصار لصحة نقل القرآن کما وفّاه هذا المصنّف البحر و الکاتب الثّر رحمه اللّه تعالی. و قد جاء هذا العمل فی جانبین: جانب الدراسة و جانب التحقیق، و قد تحقّق للباحث من خلالهما أنّ کتاب «الانتصار» کتاب غنیّ بالموضوعات الهامة فی الدفاع عن القرآن و تأصیل علومه و قد خرج الباحث فی نهایة هذه الصلة من الدرس و البحث إلی النتائج و التوصیات التالیة:

أولا: النتائج:

أولا: النتائج: و قد خلصت هذه الدراسة إلی النتائج التالیة: ۱- الإمام الباقلانی إمام مجتهد مجدّد، مکثر فی شتی علوم الشریعة، تألیفا و أصالة و تعلیما، و هو مجتهد مجدّد فی مذهب الإمام أبی الحسن الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۵ الأشعری، و له مدرسته المستقلة فی ذلک؛ کان أشعریا لکنه لم یکن متعصّبا، و إنما هو صاحب مذهب وسط، و توفیق بین النصوص، متکلم سنّیّ دافع عن القرآن بکل ما أوتی من حجة و بیان. ۲- الإمام الباقلّانی صاحب طریقة فریدة فی إفحام الخصم، له حجة منطقیة قویة فی إثبات الحق، مکثر فی الحجج النقلیة و العقلیة، و علمه أصیل من فکره و إملائه قلّ أن ینقل عن غیره. ۳- کتاب «الانتصار» لا مجال للشک أنه من تألیف الإمام الباقلّانی، بل هو أوسع الترکات العلمیة له مما وصل إلینا، و هو أساس للدراسات القرآنیة، أفاد منها من جاء بعده من العلماء سواء فی مجال علوم القرآن أم فی الدفاع عنه و ردّ الشبهات. ۴- و یعدّ «الانتصار» للإمام الباقلّانی من أوسع و أهم کتب الاحتجاج للقرآن، و مناقشاته غنیة ثریة، و حججه منطقیة، و أدلته دامغة للخصم، موضحة للحق. ۵- کتاب «نکت الانتصار للقرآن» الذی لخّصه الصیرفی هو اختصار لکلا الجزءین، لکنه لا یعطی صورة کاملة عن محتویات الکتاب، و لا یستغنی قارئ «النکت» عن أصل کتاب «الانتصار».

ثانیا: التوصیات:

ثانیا: التوصیات: توصی هذه الدراسة بما یلی: ۱- الإمام الباقلانی من أعلام الأمة و مدرسته عظیمة، لذا یوصی الباحث بتشکیل لجنة علمیة للاهتمام بآثار هذا العالم و تحقیقها حتی تری النور و یفید منها العلماء. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۶ ۲- کتاب «الانتصار للقرآن» علی درجة کبیرة من السبک اللغوی و الدقة البیانیة، و هو نموذج بلاغیّ ناضج، و أسلوبه من السهل الممتنع، لذا یوصی الباحث أن یتناول المختصّون فصوله بالدراسة و التحلیل فی کلیات الآداب و الشریعة. ۳- یوصی الباحث بإعادة تحقیق کتاب «نکت الانتصار» تحقیقا علمیا أکثر دقة مما هو علیه الآن. ۴- کما یوصی الباحث أن تتم دراسة وافیة حول المدرسة الأشعریة کما یراها الباقلانی مدرسة تدافع عن العقیدة و تذبّ عن حیاضها و تقف فی وجه أهل الزیغ و الضلال من معتزلة و رافضة و باطنیة غیرهم، و أن تعطی حقّها مدرسة سنیة عظیمة حملت لواء الإسلام زمنا طویلا و دافعت عنه دفاعا مریرا، و هی العقیدة التی یدین بها جماهیر أهل العلم سلفا و خلفا. ۵- و أخیرا، یوصی الباحث باستمراریة البحث عن الجزء الثانی من کتاب «الانتصار»، و خاصة فی المکتبات الخاصة التی ترجع ملکیتها إلی بعض الأفراد و العائلات، و خاصة فی ترکیا و بلاد المغرب العربی، فهی مظنة وجود مثل هذه الکتب. هذا و نسأله سبحانه أن یجعل عملنا هذا مقبولا خالصا لوجهه الکریم، إنه ولیّ ذلک و القادر علیه، و الحمد للّه ربّ العالمین، و صلی اللّه و

سلّم بارك على نبيه الأمين، سيّدنا محمّد و على آله و صحبه أجمعين. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۵۱ النصّ المحقّق لكتاب «الانتصار للقرآن» الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۵۳

المقدّمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم المقدّمة الحمد للّه ذى القدرة و الجلال و العزّ و السّلطان و الطّول و الامتنان منزل الفرقان، و الناسخ بما أودعه من البيان و تفصيل الحلال و الحرام ما سلف من الشرائع و الأحكام، و الضامن للرسول عليه السلام حفظه و حراسته من الناس أهل الكفر و البهتان و مطاعن ذى الجهل و الشّنآن، فقال جلّ ثناؤه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹]، و قال سبحانه: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، و قال فيه تعالى: لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: ۴۲]. و جعله مهيمنا على الكتب، و قال عز و جل: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً [الكهف: ۱]، و جعله بما فيه من عجيب نظمه و جزالة لفظه و بديع وصفه و خروجه عن جميع أوزان كلام العرب و نظومه، آية لرسوله و دلالة قاهرة و حجة ظاهرة لنبوته، و فطر الخلق على القصور عن مقابلته «۱»، و بالغ فى تعريفهم بالعجز عن معارضة

(١) قد يفهم من يقرأ هذه العبارة أن الباقلانى ممن يقولون بالصرفة، و ليس كذلك، قال فى «إعجاز القرآن»: (و مما يبطل ما ذكروه بالصرفة) (أنه لو كانت المعارضة ممكنة، و إنما منع منها (الصرفة) لم يكن الكلام معجزا، و إنما يكون المنع هو المعجز فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه). «إعجاز القرآن» ص ۳۰. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۵۴ سورة من مثله، و حسم بعظيم بلاغته و أنواع فصاحته أطماع الملحدين و المنحرفين فى تكلّف نظيره و التمكن من الإتيان بشبهه و عديله، و أخبر أنّه ليس من بحار كلام المخلوقين و لا شبه ما أضافوه إليه من أساطير الأولين و تلفيق المتكلمين و نمط كلام الشعراء و المترسلين، فقال عز و جل فى نص التلاوة: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ [هود: ۱۳]، ثم قال تعالى: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ [البقرة: ۲۳]، ثم قال جل و عز: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [الإسراء: ۸۸]، و قال سبحانه: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ [الزخرف: ۴۴]، يقول إنه لشرف لك و لقومك، و قال تعالى: لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [النحل: ۱۰۳]. ثم نبّه تبارك/ و تعالى إلى أن مجيء القرآن من مثله خرق للعادة و نقض لما عليه تركيب الطبيعة مع علم القوم بنشوه و تصرفه فى ظعنه و مقامه، فقال جل اسمه: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت: ۴۸]، و قال عز و جل: وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [آل عمران: ۴۴]، و قال تعالى: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (۴۴) وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ [القصص: ۴۴- ۴۵]، و قال عز و جل فى قصة نوح: تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ [هود: ۴۹]، فتبّه و نصّ و بيّن فى نفس التلاوة على أنه إنما علم ذلك و تلقاه من قبل وحيه إليه به، ثم أمر بالرجوع عند التنازع إليه، و الاقتباس منه، و العمل بموجبه، و المصير إلى محكمه، و التسليم لمتشابهه علما منه بأنه تعالى الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۵۵ متولى «۱» لحفظه و حياطته، و عرّفنا أنه ما فرّط فيه من شيء، و أنه تبيان لكل شيء، فقال عز و جل: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ [النساء: ۵۹]، أى إلى كتاب اللّه عز و جل و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم، و قال جل ثناؤه: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [محمد: ۲۴]، و قال تعالى: ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام: ۳۸]، و قال جل ذكره: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹]، و قال سبحانه: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: ۹]، فى نظائر لهذه الآيات أخبر فيها عن حفظه لكتابه و حراسته، و الأمر بالرجوع إليه و العمل عليه، و تشريفه على سائر الكتب، و شدة تعظيمه له، و أنه محوط مصون من كيد الزائغين و تحريف المبطلين، فالحمد للّه الذى هدانا بنور كتابه و أرشدنا لتصديقه و وفقنا لاتباع متضمنه، و التمسك بمعالمه/ و النقض لمطامع القادحين فى تنزيله،

و الكشف عن شبه الملحدين في تأويله، و صلى اللّه على رسوله محمد القائم بما كلّفه من أدائه، و المناصح المجتهد فيما نصب له من كشف غامضه و تبيانه، و على السلف الصالح من أوليائه الذين جعلهم شهداء على عباده و خلفاء نبيّه و ورثهٔ علمه و حفاظ كتابه، و الذابين عن دينه، و الدّاعين إلى سبيله، و القائمين بحقه، و الحافظين لعهده، و إيّاه جلّ ثناؤه نسأل، و إليه نرغب في التوفيق، لما ألزمناه من موالاتهم، و الاقتداء لآثارهم، و سلوك سبيلهم، و المضى على نهجهم، و يجنبنا الغضّ من أقدارهم، و الطعن على أماناتهم و آرائهم (______________________________. ۱) متولى كذا في الأصل و الجادهٔ حذف الياء، و ما هنا جائز و فصيح، و قد جاء في غير موضع من رسالهٔ الإمام الشافعي الذى هي بخط تلميذه الربيع بن سليمان، انظر الفقرات (۸۱۵) و (۱۱۳۷) و (۱۱۴۶) و (۱۱۸۸) و (۱۳۵۷) و (۱۵۴۴) و (۱۵۹۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۵۶ أما بعد: فقد وقفت- تولى اللّه عصمتكم، و أحسن هدايتكم و توفيقكم- على ما ذكرتموه من شدهٔ حاجتكم إلى الكلام في نقل القرآن، و إقامهٔ البرهان على استفاضهٔ أمره و إحاطهٔ السلف بعلمه، و انقطاع العذر في نقله و قيام الحجهٔ على الخلق به، و إبطال ما يدعيه أهل الضلال، من تحريفه و تغييره و دخول الخلل فيه، و ذهاب شيء كثير منه، و زيادهٔ أمور فيه، و ما يدّعيه أهل الإلحاد و شيعتهم من منتحلي الإسلام، من تناقض كثير منه، و خلوّ بعضه من الفائدهٔ، و كونه غير متناسب، و ما ذكروه من فساد النظم، و دخول اللحن فيه، و ركاكهٔ التكرار، و قلهٔ البيان، و تأخّر المقدم، و تقديم المؤخر، إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم، و ذكر جمل مما روى من الحروف الزائدهٔ، و القراءات المخالفهٔ لمصحف الجماعهٔ، و الإبانهٔ عن و هاء نقل ذلك و ضعفه، و أن الحجهٔ لم تقم بشيء منه، و عرفت ما وصفتموه من كثرهٔ استطراد الضعفاء بتمويههم/ و عظم موقع الاستبصار و الانتفاع ببعض شبههم، و نحن بحول اللّه و عونه نأتي في ذلك بجمل تزيل الريب و الشبههٔ، و توقف على الواضحهٔ، و نبدأ بالكلام في نقل القرآن و قيام الحجهٔ به، و وصف توفّر همم الأمهٔ على نقله و حياطته، ثم نذكر ابتداء أبي بكر رضى اللّه عنه لجمعه على ما أنزل عليه بعد تفرقه في المواضع التي كتب فيها، و في صدور خلق حفظوا جميعه، و خلق لم يحيطوا بحفظ جميعه، و اتباع عمر رضى اللّه عنه و الجماعهٔ له على ذلك، و صوابه فيما صنعه، و سبقه إلى الفضيلهٔ به، و السبب الموجب لذلك، ثم نذكر جمع عثمان رضى اللّه عنه الناس على مصحف واحد، و حرف زيد بن ثابت، و نبين أنه لم يقصد في ذلك قصد أبي بكر في جمع القرآن في صحيفهٔ واحدهٔ على ترتيب ما أوحى الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۵۷ به، إذ كان ذلك أمرا قد استقر و فرغ منه قبل أيامه، و نبين صواب عثمان رضى اللّه عنه في جمع الناس على حرف واحد، و حظره و منعه لما عداه من القراءات، و إنّ الواجب على كافهٔ الناس اتباعه، و حرام عليهم بعده قراءهٔ القرآن بالأحرف و القراءات التي حظرها عثمان و منع منها، و أنّ له أخذ المصاحف المخالفهٔ لمصحفه، و مطالبهٔ الناس بها، و منعهم من نشرها و النظر فيها، و نذكر ما يتعلق به من ادعاء نقصان القرآن و تغيير نظمه و تحريفه من الروايات الشاذهٔ الباطلهٔ عن عمر و عثمان و على و أبيّ و عبد اللّه بن مسعود، و ما يرويه قوم من الرافضهٔ في ذلك عن أهل البيت خاصهٔ، و نكشف عن كذب هذه الروايات، و نبين أيضا ما خالف عبد اللّه بن مسعود عثمان و الجماعهٔ، و هل دار ذلك على جههٔ التخطئهٔ/ و نسبته إيّاهم إلى زيادهٔ فيه أو نقصان منه أو تغيير لنظمه و ما أنزل عليه، أو التصويب لما فعلوه، و إن استجاز بعد ذلك قرآنه و التمسك بحرفه، و نذكر ما شجر بينه و بين عثمان رضى اللّه عنه، و نصف رجوعه إلى مذهب الجماعهٔ و خنوعه لعثمان و قدر ما نقمه من أمر زيد بن ثابت و عنّف عليه و على الجماعهٔ لأجله، ثم نبين أن القرآن معجزهٔ للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و دلالهٔ على صدقه، و شاهد لنبوته، ثم نبين أن القرآن نزل على سبعهٔ أحرف كلها شاف كاف، و نوضح ما هذه السبعهٔ أحرف، و الروايات الواردهٔ فيها و جنس اختلافها، و نذكر خلاف الناس في تأويلها، و نفصّل من ذلك ما ليس بصواب، و ندل على صحهٔ ما نرغب فيه و نجتبيه، و نذكر حال قراءات القراء السبعهٔ، و هل قراءاتهم هي السبعهٔ أحرف التي أنزل القرآن بها، أو بعضها و هل هم بأسرهم متبعون لمصحف عثمان و حرف زيد أو مختلفون في ذلك و قارئون أو بعضهم بغير قراءهٔ الجماعهٔ، و نصف جملا من مطاعن الملحدين و أتباعهم من الرافضهٔ في كتاب اللّه عز و جل، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۵۸ و نكشف عن تمويه الفريقين بما يوضح الحق، و نذكر في كل فصل من هذه الفصول بمشيئهٔ اللّه و توفيقه ما فيه بلاغ للمهتدين و شفاء

و تبصرة للمسترشدين توخّيا لطاعة اللّه و توفيقه عز و جل و رغبة فى جزيل ثوابه، و ما توفيقنا إلا باللّه و هو المستعان. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۵۹

[تمهيد]

[تمهيد] و اعلموا رحمكم اللّه أن معرفة صواب القول فى هذه الفصول و الأبواب مما تعم الحاجة إليه، إذ كان أصل الدين و أسّه، و كان مما شهد الكتاب ببطلانه وجب إلغاؤه/ و اطّراحه، و ما أيده و دلّ على صحته لزم الإذعان له و إثباته، و لأن بالمتكلمين و الفقهاء و قراء القرآن و أهل التفسير و المعانى ألم فاقة إلى الوقوف على حقيقة القول فى هذه الفصول و معرفة الصواب منها، لكثرة تخاليط أهل الضلال فيها، و قصدهم إلى إدخال الشّبهة و التمويه بما يوردونه منها، و ذهاب كثير من حفاظ التنزيل و المتكلمين فى التأويل عن تحقق معرفتها، و حاجة الكل إلى تبين الحق من ذلك و العلم به، و المصير إلى موجبه. و قد رأيت أن نبدأ بذكر جمل ما نذهب إليه فى نقل القرآن و نظمه، و قيام الحجة به، و ما يقوله المخالفون، ثم نشرع فى ذلك حجاجنا و نقض أقاويل مخالفينا و عللهم، و الذى نذهب إليه فى ذلك، القول بأن جميع القرآن الذى أنزله اللّه عز و جل و أمرنا بإثبات رسمه، و لم ينسخه و يرفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذى بين الدفتين، الذى حواه مصحف عثمان رضى اللّه عنه، و أنّه لم ينقص منه شيء، و لا زيد فيه، و أن بيان الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم كان بجميعه بيانا شائعا ذائعا، و واقعا على طريقة واحدة، و وجه تقوم به الحجة، و ينقطع العذر، و أن الخلف نقله عن السلف على هذه السبيل، و أنه قد نسخ منه بعض ما كانت تلاوته مفروضة، و أن ترتيبه و نظمه ثابت على ما نظمه اللّه سبحانه، و رتبه عليه رسوله من آى السور، لم يقدّم من ذلك الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۰ مؤخرا، و لا أخّر منه مقدما، و أن الأمة ضبطت على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ترتيب آى كل سورة و مواضعها، و عرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القرآن و ذات التلاوة، و أنه قد يمكن أن يكون الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد رتب سوره على ما انطوى عليه مصحف عثمان، كما رتب آيات سوره، و يمكن أن يكون قد و كل ذلك إلى الأمة بعده، و لم يتولّ ذلك بنفسه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن هذا/ القول الثانى أقرب و أشبه أن يكون حقا على ما سنبينه فيما بعد إن شاء اللّه. و أن القرآن لم تثبت آية على تاريخ نزوله، بل قد قدّم فيه ما تأخر إنزاله، و أخّر بعض ما تقدم نزوله على ما وقف عليه الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم من ذلك، و أن القرآن منزل على سبعة أحرف كلّها شاف كاف و حقّ و صواب، و أن اللّه تعالى قد خيّر القراء فى جميعها، و صوّبهم إذا قرءوا بكل شيء منها، كما روى ذلك فى الآيات التى سنقصّها، و نبين قيام الحجة بنقلها، و ظهور أمرها و انتشارها. و أن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة و ألفاظها أخرى مع اتفاق المعنى، ليس منها متضاد و لا متنافى المعنى و لا أحاله، و فساد يمتنع على اللّه جلّ ثناؤه، و أنه لم يقم علينا حجة فى أنها مجتمعة فى سورة واحدة من القرآن، بل هى متفرقة فيه، و أننا لا ندرى أيها كان آخر العرض، و أن آخر العرض كان بعضها دون سائرها، و أن جميع هذه الأحرف السبعة قد كانت ظهرت و استفاضت عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و ضبطتها الأمة عنه، و لم يكن شيء منها مشكوكا فيه، و لا مرتابا به، و أن عثمان و الجماعة قد أثبتت جميع تلك الأحرف فى المصاحف، و أخبرت بصحتها، و خبّرت الناس فيها، كما صنع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن من هذه الأحرف حرف أبىّ، و حرف عبد اللّه بن مسعود، و أن عثمان و الجماعة إنما ألغت و طرحت أحرفا، و قرأت أحرفا غير الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۱ معروفة و لا ثابتة، بل منقولة عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم نقل الآحاد التى لا يجوز إثبات قرآن و قراءات بها. و أن معنى إضافة كل حرف مما أنزله اللّه عز و جل إلى أبىّ، و عبد اللّه، و زيد، و فلان و فلان، أنه كان أضيف إليه إذا أكثر قراءة و إقراء به، و ملازمة له و ميلا إليه، فقط لا غير، و أنه لا يجوز إثبات قرآن أو قراءة/ و حرف يقال إن القرآن أنزل عليه بخبر الواحد الذى لم تقم به الحجة، على أن يثبت ذلك به حكما؛ لا علما و قطعا، لما سنوضحه- إن شاء اللّه-. و أن الحجة لم تقم علينا بأن القرآن منزل بلغة قريش فقط دون جميع العرب، و إن كان معظمه منزلا بلغة قريش. و أن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [النمل: ۳۰]، قرآن منزل من سورة النمل، و أنها ليست آية من الحمد و لا فاتحة لكل

سورة «۱»، و لا- من جملة كل سورة، و لا- آية فاصلة بين السورتين، و مفردة من جميعها. و أن المعوذتين قرآن منزل من عند اللّه تبارك و تعالى، و أن استفاضة نقلهما و إثباتهما عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بمنزلة استفاضة جميع سور القرآن، و أن عبد اللّه بن مسعود لم يقل قط إنهما ليستا بقرآن، و لا- حفظ عليه فى ذلك حرف واحد، و إنما حكّهما و أسقطهما من مصحفه لعلل و تأويلات سنذكرها فيما بعد إن شاء اللّه، و أنه لا يجوز أن يضاف إلى عبد اللّه أو أبيّ بن كعب أو زيد أو عثمان أو على أو واحد من ولده و عترته جحد آية أو حرف من كتاب اللّه عز و جل، أو تغييره و قراءته على غير الوجه المرسوم فى مصحف

(۱) انظر آراء العلماء فى هذه المسألة فى «نصب الراية» للحافظ الزيلعى (۱: ۳۲۷)، و انظر حاشية «سنن الترمذى» لأحمد شاكر (۲: ۲۰- ۲۲). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۲

الجماعة بأخبار الآحاد و ما لم يبلغ منها حدّ التواتر و الانتشار، و أن ذلك لا يحلّ و لا يسع بل لا يصلح عندنا إضافة ذلك إلى أدنى المؤمنين منزلة من أهل عصرنا بخبر الواحد، و ما لا يوجب العلم، فضلا عن إضافة ذلك إلى جلة الصحابة و الأماثل، و تعليقه عليهم بما دون التواتر و الانتشار من الأخبار التى لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل، بل هو ضرب من الدعاء، و أنه لو كان قرآنا لنقل نقل القرآن، و حصل العلم بصحته، و أنه يمكن أن يكون منه كلاما كان قرآنا منزلا ثم نسخ و أبيح الدعاء/ به و خلط بكلام ليس بقرآن. و أنّ أبيّا لم يحفظ عليه قط أنه قال: إن كلام العرب قرآن منزل، و إنما روى انه أثبته فى مصحفه، و قد يثبت فى مصحفه ما ليس بقرآن؛ من دعاء و تأويل مع تنزيل، و غير ذلك لوجوه من التأويل سنبينها فيما بعد إن شاء اللّه. و أن أبيّا و عبد اللّه بن مسعود لم يطعنا قط على مصحف عثمان و الجماعة، و لا نسباه إلى أن فيه تحريفا أو تغييرا و تبديلا، و زيادة و نقصانا، أو مخالفة نظم و ترتيب، بل اعتقدا صحته، و أخبرا بسلامته، و إن رأيا جواز القراءة بجميع ما انطوى عليه مصحفهما، من غير قدح فى مصحف الجماعة. و أن عبد اللّه بن أبى سرح و غيره من كتبة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد يجوز أن تسبق يده و قلمه و لسانه إلى تلاوة آية و كلمة و آيتين مما نزل على الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم من إظهار الرسول لذلك، إذا كان ما تقدم من إملائه يقتضى ما تسبق إليه يد الكاتب و لسانه، و أنه لم يجز أن يتفق مثل ذلك فى السورة بأسرها، و ما هو معجز و آية للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و أن موافقة الكاتب و سبقه إلى مثل هذا يجعل الحدس و صحيح العلم بما يقتضيه الكلام لا يوجب الشك فى صدق الرسول، و الارتياب بنبوته، و القول بأنه يثبت القرآن برأيه، فكما يتفق له الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۳ على ما روى من أن ابن أبى سرح ظن ذلك و توهمه، فإن ما روى من أنه «۱» سمع من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من قوله: «تلك الغرانيق العلى و إن شفاعتهم لترتجى غير مقطوع على أنه مسموع منه «۲»، و أنه و إن كان مسموعا منه فإنه يجب أن يكون كلامه على وجه التقريع لهم و التفنيد لرأيهم، و اعتقادهم فى أصنامهم، و أنه لا يمكن على قول بعض الناس أن يكون قد كان قرآنا منزلا ثم نسخ لموضع الشبهة به، و ذهاب قريش و قوم من الناس عن أنه إنما تنزل على وجه الاستفهام لهم، و التعجب من قولهم، و أنه قد يمكن أيضا أن يكون بعض قريش قال ذلك عقيب تلاوة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على وجه التعظيم للأصنام فاختلط/ الكلام، و ظن من سمعه و لم يعرف الحال أنه من تلاوة

(۱) المعنىّ به هنا كاتب الوحى أيا كان، و لا يمكن أن يراد بقول الباقلانى: من أنه سمع، أن الذى سمع هو عبد اللّه بن أبى سرح و ذلك أن ما روى حول قصة الغرانيق قد وقعت على إثر نزول سورة النجم و هى مكية، و أن ابن أبى سرح أسلم بعد الهجرة قبل الفتح، و لم يكن حال نزول سورة النجم مسلما بعد، فضلا عن أن يكون كاتبا للوحى. (۲) قال ابن كثير رحمه اللّه: «و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا- و يعنى عند قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ [الحج: ۵۲]- قصة الغرانيق و ما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا، و لكنها من طرق كلها مرسلة و لم أرها مسندة من وجه صحيح و اللّه أعلم، و قد ذكرها محمد بن إسحاق فى السيرة بنحو من هذا و كلها مرسلات منقطعات و اللّه أعلم، و قد ساقها البغوى فى تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس و محمد بن كعب القرظى و غيرهما بنحو من ذلك، ثم سأل هاهنا سؤالا: كيف وقع مثل هذا

مع العصمة المضمونة من اللّه لرسوله صلوات اللّه و سلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ليس كذلك فى نفس الأمر إنما هو من صنيع الشيطان لا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و اللّه أعلم». «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (۳: ۲۲۲- ۲۲۳). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۴ الرسول، و أنه لا يجوز أن يكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال ذلك ساهيا و لا ناسيا، سوى كان من كلامه أو ممّا أنزل عليه و نسخ، كما سنوضحه إن شاء اللّه. و إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجوز منه و يصح أن ينسى شيئا من القرآن بعد تبليغه، و سيذكّره و يستثبته من حفاظ أمته، و أنه يجوز أن يسهو عن بعض عباداته التى أمر بها، و يوقعها على غير الوجه الذى أخذ عليه، مثل ما كان منه من السهو فى الصلاة، و أن ذلك أجمع غير قادح فى نبوته و لا مقتضى الارتياب به، و لا حاطّ له عن رتبة الفضل و الكمال. و أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم سنّ جمع القرآن و كتابته و أمر بذلك و أملاه على كتبته، و أنه لم يمت صلّى اللّه عليه و سلّم حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، و حفظ الباقون منهم سائره متفرّقا، و عرفوا مواقعه و مواضعه على وجه ما يعرف ذلك أحد ممّن ليس من الحفّاظ لجميع القرآن. و أن أبا بكر و عمر و زيد بن ثابت و جماعة الأمة أصابوا فى جمع القرآن بين اللوحين، و تحصينه و إحرازه و صيانته، و جروا فى كتبته على سنن الرسول و سنّته صلّى اللّه عليه و سلّم تسليما، و أنهم لم يثبتوا منه شيئا غير معروف، و لا ما تقم الحجة به، و لا أجمعوا فى العلم بصحة شىء منه و ثبوته إلى شهادة الواحد و الاثنين و من جرى مجراهما، و إن كانوا قد أشهدوا على النسخة التى جمعوها على وجه الاحتياط من الغلط، و طريق الحكم و الإنفاذ. و أن أبا بكر رضى اللّه عنه قد أحسن و أصاب، و وفّق لفضل عظيم فى جمع/ الناس على مصحف واحد و قراءات محصورة، و المنع فى غير ذلك، و أن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و عترته، و شيعته متبعون لرأى أبى بكر و عثمان، فى جمع القرآن، و أن عليا أخبر بصواب ذلك نطقا، و شهد به، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۵ و أن عثمان لم يقصد قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، و إنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، و إلغاء ما لم يجر مجرى ذلك، و أخذهم بمصحف عثمان لا تقديم فيه و لا تأخير، و لا تأويل أثبت مع تنزيل، و منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، و مفروض قراءته و حفظه، و تسليم ما فى أيدى الناس من ذلك، لما فيه من التخليط و الفساد، و خشية دخول الشبهة على من يأتى من بعد، و أنه لم يسقط شيئا من القراءات الثابتة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لا منع منها، و حظرها. و أن جميع من روى عنه من الصحابة قول فى تغيير القرآن أو فساد نظمه، أو ذهاب شىء منه، أو كون بعضه ملحونا أو أن إعرابه و تقويمه مأخوذ من بعض الأمة، فإن صحت الرواية إمّا أن تكون باطلة متكذبة، أو منصرفة، أو لما سنذكره و نبينه من التأويل الذى لا يعود بجحده أو بشكه فى شىء مما فى مصحف الجماعة. و أنه لا مجال لإعمال الرأى و القياس فى إثبات قرآن، أو قراءة و حرف يقرأ القرآن عليه، و أن ذلك الجمع سنة متبعة و رواية مأثورة، و أن هذا هو باب إثبات القرآن و القراءات و طريقه الذى لا مصرف عنه و لا معدل، و أن/ من أعمل الرأى فى ذلك فقد ضلّ و أخطأ الحق، و تنكّبه. و أن القراء السبع متبعون فى جميع قراءاتهم الثابتة عنهم، التى لا شكوك فيها و لا أنكرت عليهم بل سوّغها المسلمون، و أجازوها لمصحف الجماعة، و قارئون بما أنزل اللّه جل ثناؤه، و أن ما عدا ذلك مقطوع على إبطاله و فساده و ممنوع من إطلاقه و القراءة به، و أنه لا يجوز و لا يسوغ القراءة على المعنى دون اتّباع لفظ التنزيل، و إيراده على وجهه، و سببه الذى أنزل عليه، و أداه الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۶ و أنه لا يمكن أن يكون الحجّاج بن يوسف «۱» أو غيره من الأمراء، أو من الملوك أو من الخلفاء قد أسقط شيئا من مصحف عثمان رضى اللّه عنه أو زاد فيه أحرفا، أو غيّر شيئا مما تضمنه من قراءة أو خط أو رسم، فلم يظهر و لم ينتشر انتشارا تقوم به الحجة و ينقطع به العذر، و يعرف بعينه، و يضاف إلى فاعله. و أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن بخلاف جميع الأحرف و الوجوه التى أنزل عليها، و إن كان ما قرأه لغة للعرب، أو لبعضها، و أنه ليس فى المتكلمين بلغة العرب من لا يطوع لسانه و يجرى ببعض الأحرف و الوجوه التى أنزل القرآن عليها، و أنّه لا يجوز القراءة بالفارسية، و أنه يجوز و يحل للألثغ «۲» و الألكن «۲» و التمتام «۲» أن يقرأ القرآن على وجه ما ينطق به لسانه، و إن كنا نعلم أن اللّه جل ثناؤه لم ينزله بلفظ الألكن و التمتام. و أن القرآن آية

للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و معجز شاهد بصدقه، دالّ على نبوته من ثلاثة أوجه: أحدها: ما فيه من عجيب النظم، و بديع الوزن و الرصف المخالف لجميع أوزان العرب و نظومه، و أنه لا قدرة لأحد من الخلق على تأليف مثله، و نظم مثل سورة منه، أو آية من طوال سوره أو من قصار سوره، و لو كان فى فصاحة يعرب و قحطان و معد بن عدنان.
(____۱) الثقفى، الأمير الظالم المعروف
(ت ۹۵ ه-). (۲) هذه الكلمات تدل على عيوب فى النطق لدى بعض الناس لا يحسن الشخص بسببها الإفصاح عما بداخله، فالألثغ لا يحسن إخراج بعض الحروف مثل الراء، و الألكن لا- يحسن النطق بالحروف على وجهها و التمتام قد يردد الحروف أكثر من مرة لقصور فى قدرته على النطق. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۷ و الوجه الآخر ما تضمنه من أخبار/ الغيوب، و ذكر ما سيحدث و يكون. و الوجه الثالث: ما انطوى عليه من شرح أقاصيص الأولين و سنن النبيين، و أحوال الأمم المتقدمين التى لا يعرفها و لا يحيط بها إلا من أكثر لقاء الأمم، و دراسة الكتب، و صحبة الأحبار و حملة الآثار، مع العلم بنشوء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى مقامه و ظعنه، و أنه لم يكن يتلو قبل ذلك كتابا و لا يخط بيمينه، و لا ممن يعرف مداخلة أهل السّير و ملابسات أصحاب الآثار و حفاظ الكتب و الأخبار. هذه جمل ما نحتاج إلى الوقوف عليه من قولنا فى هذه الفصول و الأبواب، و قد قال الملحدون و أشياعهم من الطاعنين على النبوة و التوحيد أن القرآن مدخول، و أنه غير ثابت و لا مضبوط، و أن منه ما يعلم أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم يأتى به، و فيه ما لا يعرف ذلك من حاله، و أن فيه لحنا و تناقضا و فسادا كثيرا، و ما لا معنى له، و لا يحسن التكلم به، و تعلقوا فى ذلك بأمور سنذكر عمدها، و نأتى على نقضها و الكشف عن فسادها. و زعم قوم من الرافضة أن القرآن قد بدّل و غيّر و خولف بين نظمه و ترتيبه، و أحيل عما أنزل إليه، و قرئ على وجه غير ثابت عن الرسول، و أنه قد زيد فيه و نقص منه، و قال بعضهم: قد نقص منه و لم يزد فيه، و أن لو قرئ كما أنزل لوجد فيه لعن قوم من قريش و صحابة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بأسمائهم و أنسابهم، و لوجد فيه أسماء الأئمة الاثنى عشر منصوصا عليها، كما نص على ذكر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و غيره من الأنبياء. و أننا لا ندرى لعل الذى فى أيدينا من القرآن أقلّ من عشر ما أنزله اللّه تبارك و تعالى، و أن الداجن و الغنم قد أكل كثيرا مما كان أنزل و أوجب على الامة حفظه و ضبطه، و أن علم ذلك و معرفته عند الإمام الوافر المعصوم، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۸ و أن أبا بكر و عمر رضى اللّه عنهما و جماعة الأمة/ أخطئوا فى جمع القرآن و جعله بين لوحين، و أنهم لم يرجعوا فى ذلك إلى ثقة و يقين، بل إنما تلقطوه و أخذوه من الواحد و الاثنين، و من الرقاع و اللخاف، و استشهدوا على ذلك الواحد و الاثنين و من لا تقوم الحجة بقوله و شهادته، و أن هذا هو سبب اختلاف المصاحف و القراءات، و ذهاب أهل الحجاز إلى حرف، و أهل الشام إلى غيره، و أهل العراق إلى خلاف ذلك. و يحكى أن قوما قالوا: إن القرآن موجود الذات غير مزيد فيه و لا منقوص منه، و لا متلو على غير الوجوه و الحروف التى أنزل عليها، غير أن نظمه و ترتيبه ليس على ما أنزل و رتب، فنفس القرآن صحيح ثابت، و تأليفه و نظمه هو الفاسد، و لأجل فساد نظمه اختلف الناس فى الناسخ منه و المنسوخ، و المجمل المفسّر، و العام و الخاص، قالوا: و لو قد وضع كلّ شىء منه فى موضعه و ضمّ إلى ما قرن به، لعرفت معانيه، و زال الاختلاف فيه، لأنه منزل بلسان العرب، و بأفصح لغة، و أبين لسان منها، فمن أين يأتيه الرّيب و الاختلاف لو رتّب على سنته و نظم على وجهه؟! قالوا: إلا- أن أبا بكر و عثمان رضى اللّه عنهما و الجماعة قد أصابوا فى جمعه على ما هو اليوم عليه، لأن ذلك كان جهد رأيهم و غاية وسعهم و طاقتهم، و منتهى ما عندهم من الحزم و الاحتياط، لأن القرآن لم يكن محفوظا على تاريخ نزوله و ترتيبه فيثبته القوم كذلك، و إنما كان متفرقا فى الجماعة، و محفوظا لهم على حسب طاقتهم و ما ييسر لهم، فلم يمكنهم مع ذلك غير الذى صنعوه، فقد أصابوا فيما حاطوه من دخول خلل تحريف أكثر مما لحقه و دخل فيه، و كان الرأى معهم، و الصواب فى أيديهم حيث حاطوه و حصنوه من تزايد الغلط فيه و إيجاد السبيل إلى الإلباس فيه، و هذا القول الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۶۹ ليس بمحفوظ عن أحد من السلف، و لا من التابعين، و لا من الفقهاء المعدودين، و لا من أئمة أهل القرآن و الحديث، بل مذهب جميع من ذكرناه صدّ هذا القول و نقضه، و أن/ القوم اتبعوا فى نظمه و ترتيبه ما سنّ و شرع فيه، و حفظ من ضبط عن الرسول

صلّى اللّه عليه و سلّم. و قال خلق من المعتزلة و شذوذ من ضعفة القرّاء و المنتسبين إلى الحديث، لا يعرف لهم فى ذلك مصنف و لا ناصر مذكور يرجع إليه: إن عثمان جمع الناس على بعض الأحرف التى أنزلها اللّه تعالى و منع من باقيها و حظر، لما حدث من الاختلاف و الفتن، و كثرة التشاجر بين قرّاء القرآن، و أنه وفق فى ذلك و رفق به و أقام الحق، لأن الذى جمعهم عليه كان الغرض، و قال منهم قائلون: إنه لم يحظر ما خالف حرفه و لا منع منه، و لكن استنزل الناس عنه بطيب القلوب و كثرة الترغيب فى حرفه، و تنبيهه لهم على أنه أحوط الأمور و أولاها، فانقادوا له مذعنين، و رغبوا عن ما عدا حرفه، فضعف لذلك و وهى نقله و زالت الحجة به لا عن إكراه وقع فى الأصل. و قال قوم من الفقهاء و المتكلّمين: يجوز إثبات قرآن و قراءة حكما لا علما بخبر الواحد دون الاستفاضة، و كره ذلك أهل الحق و امتنعوا منه، و قال قوم من المتكلمين إنه يسوغ إعمال الرأى و الاجتهاد فى إثبات القرآن و أوجه و أحرف إذا كانت تلك الأوجه صوابا فى اللغة العربية و مما يسوغ التكلّم بها، و لم تقم حجة بأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قرأ تلك المواضع بخلاف موجب رأى القائسين، و اجتهاد المجتهدين، و أبا ذلك أهل الحق و أنكروه، و خطئوا من قال بذلك و صار إليه، و احتجوا على فساده بما سنوضحه فيما بعد إن شاء اللّه. و هذه جملة ما يجب الوقوف عليه، و سنأتى منه عند تفصيل الكلام و ترتيب الأبواب ما يأتى على البقية إن شاء اللّه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۷۱

فصلّ فيما اعترض به أهل الفساد على مصحف عثمان و ردّ شبههم

فصلّ فيما اعترض به أهل الفساد على مصحف عثمان و ردّ شبههم قال جميع من دان بما وصفناه/ فى مصحف عثمان رحمة اللّه عليه: إننا وجدنا الأمة مختلفة فى نقله اختلافا شديدا بشيعا، حتى صرنا لعظيم اختلافهم لا نقف على صحيحه من فاسده، و لا نعرف الزائد منه و لا الناقص، و لا نعرف موضع كلّ شىء منه الذى أنزل فيه و ما قبله و ما يليه، و قال قوم منهم: إنه لا يعرف الناقص منه إلا الإمام الذى أودع علمه و شيعته، و هذا قول من أنكر الزيادة فيه و أقر بنقصانه؛ قالوا: لأن أبا بكر و شيعته هم الذين تولّوا نظمه و ترتيبه و جعله سورا أو كثير منه و قدّموا منه المؤخّر، و أخّروا المقدّم، و وضعوا كثيرا منه فى غير حقه، و أزالوه عن موضعه الذى هو أولى به، قالوا: و الحجة لذلك أنه قد علم أن المصحف الذى فى أيدى الناس إنما هو مصحف عثمان الذى جمعه، و جمع بعضه من قبله أبو بكر و عمر، و إنما كانوا يجمعونه- زعموا- و يتبينونه بشهادة اثنين إذا شهدا على أنه قرآن، و خبر الاثنين و شهادتهما لا توجب علما و لا تقطع عذرا. قالوا: و قد قامت الأدلة القاطعة على نقصانه و فساد كثير من نظمه، و كونه غير متناسب و لا متلائم؛ قالوا: و ما نجده من اختلاف القراء السبعة، و أصحاب الشواذّ، و ما روى و ظهر من اختلاف سلفهم لزيد بن ثابت، و عبد اللّه بن مسعود، و أبىّ، و ما خرجوا إليه من المنافرة و المشاجرة و إعظام القول، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۷۲ و إدخال بعضهم فى القرآن ما ليس منه، كأبىّ و إدخاله دعاء القنوت فى مصحفه، و عبد اللّه بن مسعود و إلغائه الحمد و المعوذتين من مصحفه، و إنكاره أن يكون من القرآن: أوضح دليل على ضعف نقل القرآن و و هائه، و أن الحجة غير قائمة به و أن القوم إنما جمعوه و رتبوه على آرائهم/ و ما استصوبوه بغالب ظنهم و اجتهادهم، و أنهم يقدّموا «۱» بذلك بين يدى منزله الحكيم العليم، و أن القراء مثل عبد اللّه بن مسعود و أبىّ و زيد بن ثابت و من أخذ عنهم إلى القراء السبعة إنما قرءوا القرآن بحسب اجتهادهم و ما قوى فى ظنهم، و ما استحسنوه و رأوا أنه أولى و أشبه من غيره، فلذلك صار أهل مكة إلى قراءة، و أهل الكوفة إلى أخرى و أهل البصرة إلى غيرها، و أهل الشام إلى خلاف ما عليه سواهم من أهل الأمصار. قال أهل الإلحاد: فكل هذا يدل على اضطراب نقل القرآن و ضعفه و أن الحجة غير قائمة به، و إن أحسن أحواله أنه لا يعرف ما أتى به محمد صلى اللّه عليه و سلّم منه، و أيّه على ما أتى به من غيره، و لا يوقف على صحيحه من فاسده، و ناقصه من زائده، و موضعه الذى أنزل فيه من غيره. و قال كثير من الشيعة إن الأمر فى هذا أجمع على ما قاله الملحدون، غير أننا نعلم أن علم ذلك أجمع عند الإمام المعصوم العالم المنتظر، و أنه حافظ له على سبيل ما نزل، و أنه يجب الرجوع إليه فى معرفة هذا الباب؛ و قال فريق من الرافضة: إن جميع هذه المطاعن على القرآن و الصحابة صحيحة، إلا ما ادّعى من الزيادة فى القرآن فإنه لا أصل لذلك، و

أنـه لا يمكـن أن يزاد فيـه شـيء مـن مجـازه و نظمـه، قـالوا جميعـا: و إنمـا تـورّط سـلف
(____ ۱) كـذا فى الأصـل، و الصـواب:
يقدّمون. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۷۳ هذه الأمة و خلفها فى هذا الجهل و الاختلاف و الحيرة و التضييع لمّا قهروا و تآمروا و تجبّروا و غصـبوا الإمام حقه و أزالوه عن رتبته، و خالفوا و نقضوا عهد الرسول صـلى اللّه عليه و سلّم إليهم، و لو قد كانوا ردّوا الأمر إلى أهله و أقرّوه فى نصابه و سـلّموه لمستحقّه و وقفوا حيث رتبوا، و أخذوا علم ما كلفوا من بابه و معدنه و عظّموا من أمروا بتعظيمه و الرجوع إليه و الاقتباس منه: لاجتمعت/ كلمتهم، و زال اختلافهم، و وصـلوا إلى الحق الذى أمروا به و سـلموا من (تضـليل) «۱» الإمام و الوقوع فى الجهل و الضلال، فيقال لهم: أما ادعاؤكم أن علة تورّط الناس فيما وصفتم مخالفتهم الإمام المعصوم المنصوص لهم على إمامته و وجوب اتباعه و أخـذ الدين عنه و الانقياد له، فإنه باطل لا أصل له؛ لما قد أوضـحناه و بيناه فى كتابى «الإمامة» «۲» من بطلان النصّ و ثبوت الاختيار، و إطباق الأمـة من السـلف على العمل بذلك و تسـليمهم الأمر إلى من عقد له جهة الاختيار، و أن هذه الجملة مذهب أمير المؤمنين على عليه السـلام و دينه و الظـاهر المشـهور عنه فى أفعـاله و أقواله من حيث لا سبيل إلى دفعه و إنكاره. و أما ادّعاؤكم لتخطئة الخلف و السـلف فى نقل القرآن، و تضـييعه و إهمال أمره و ذهابهم عن علم صحيحه من فاسده، و عملهم فى ترتيبه و نظمه و الحرف الـذى يقرأ به على آرائهم و ظنونهم من غير عمـل على توقيف و خبر، و لا حـفظ لروايـة و أثر، فليس الأمـر فى ذلك على ما ادعيتم و لا مما يـذهب تخليطكم فيه على ذى تحصـيل، و أن الصّـدر الأول ثم من بعـدهم من التابعين و جميع المسـلمين و قادتهم و حكّـامهم و فقهـائهم فى سـائر الأعصـار كـانوا على
(____ ۱) فى الأصل غير مقروء، و لعلها كما أثبتت بين القوسين. (۲) للباقلانى كتابان تحت هـذا العنوان هما: «الإمامـة الكبير» و «الإمامـة الصـغير»، و قد سـبق ذكرهما فى مؤلفات المصنف. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۷۴ حالة معروفة من تعظيم شأن القرآن و إجلاله، و عظم محلّه من قلوبهم، و قدره فى نفوسـهم، و التقرّب إلى اللّه عز و جـل بتعلّمه و تعليمه، و تحصـيل أعظم الثواب و الشـرف بحفظه، و اعتقـاد انحطاط كل عالم عن رتبـة الكمال بالتقصير فى حفظ جميعه، و تدبر مواقعه و مواضعه، إلى غير ذلك من كثرة فضائله عند كافّة المسلمين فى كلّ وقت و أوان، متّبع عند كل عاقل عرفهم و عرف حال/ القرآن فى نفوسـهم، و حثّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم و حضه على تعليمه و التحذير من تضييعه و نسـيانه، و تغليط الأمر فى ذلك. من أن يظن بهم التشاغل عن ضـبطه و التفريط فى حفظه، و قلـة الاحتفال به، و إثبات حفظ غيره، و العدول عنه إلى سواه. و كيف يتفق ذلك لهم أو يمكن فى العادة وقوعه منهم و القرآن عندهم كتاب ربهم، و أسّ شـريعتهم، و ينبوع علومهم، و مجموع فضيلتهم، و المحتوى على أحكامهم و تفصيل دينهم، و هو مفزعهم و معقلهم، و القاضى عليهم و الفاصل بينهم، و مدار أمرهم و قطب دينهم، الذى لا شىء عندهم أعظم منه شأنا، و لا أحق بالحياطة و الحفظ و التحصين من كل سبب يوهنه، و كيف لا يكون ذلك كـذلك عنـدهم و قـد سـمعوا اللّه جلّ ثناؤه يقول: وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَـيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [الشورى: ۱۰]، و يقول تعالى فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ [النساء: ۵۹]، و يقول سبحانه: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹]، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ [الأنعام: ۳۸]، و يقول تعالى: بَيانٌ لِلنَّاسِ [آل عمران: ۱۳۸]، و يقول جلّ و عزّ: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [محمد: ۲۴]، و يقول جلّ اسمه: لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيـدٍ [فصلت: ۴۲]، و إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسـراء: ۹]، و يقول جلّ ثناؤه: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِـفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [الإسراء: ۸۲]، الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۷۵ و يقول تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... الآية [الحشر: ۲۱]، و يقول تعالى ذكره: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً [الرعد: ۳۱]، و يقول: حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ [القمر: ۵]، و يقول سبحانه: وَ ما كانَ هـذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ [يونس: ۳۷]، و يقول: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَـدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ [المائدة: ۴۸]، فكيف يمكن أن يتفق من مثل الصـدر الأول مع شدّة تبيّنهم و تشدّدهم و تبسّـطهم و تمسّـكهم بالواجب عليهم، و

بذلهم أموالهم و أنفسهم فى نصرة دينهم، و الجهاد عن نبيّهم، و قتل الآباء و الأبناء فى طاعته، و فرض الاتّباع له، أن يغفلوا عن حفظ كتاب اللّه و ضبطه، مع ما قد سمعوه من تعظيم اللّه سبحانه لشأن كتابه و إجلاله، و الأمر بالرد إليه و الإذعان لحكمه، و هم قد علموا مع ذلك أنّه أسّ دينهم، و أصل شريعتهم، و أنّ الصحيح ما نطق بصحته و الباطل ما أفصح بفساده. و هم مع هذه الحالة التى ذكرناها من حياطة الدين، و بذل النّفوس و الأموال، و مفارقة الأوطان فى نصرة الرسول، من ذرابة الألسن، و جودة القرائح، و ثاقب الأفهام، و سهولة الحفظ عليهم، و لصوق الكلام بقلوبهم، على حال لم يكن عليها أحد قبلهم، و لا ساواهم فيها أحد بعدهم، فإذا لم يكن بهم من قلّة الدين و التهاون بأمر رب العالمين، و شأن رسوله صلى اللّه عليه و سلّم ما يحملهم على ترك الإحفال بالقرآن، و التصغير لشأنه، و لم يكونوا من سوء الإفهام و جلافة الطباع، و قلة الحفظ و تعدد الكلام، و العىّ و اللّكنة، بحيث يصدّهم ذلك عن حفظ كتاب ربّهم، و مدار شريعتهم، فأىّ سبب يقتضى جواز توافى هممهم و دواعيهم على ترك تحفّظ القرآن و ضبطه، و التشاغل الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٧۶ بغيره عنه، و قد علم بمستقر العادة أنّه لا يجوز أن يذهب أهل كلّ علم انتصبوا له، و قالوا بتعظيمه و تفضيله، و رأوا الشرف فى حفظه، و النقص التامّ بالذهاب عنه، و عن حفظ أشرف باب فيه، و ضبط أعلى ضرب من ضروبه، و لا يجوز أن يتفق منهم- على كثرة عددهم- ترك حفظ كلام من هو أصل ذلك العلم و منبعه و الرجوع إليه فيه و التشاغل بغيره. هذه قصة الشعراء و الخطباء/ و أصحاب الرسائل و علم العربية و طلب علم العروض، و الأطبّاء و الفلاسفة، و أهل كل علم و صناعة، بها يصونونه و عليها يعوّلون، فى أنّه لا يجوز عليهم التهاون بحفظ ما عظم قدره عندهم، و الاشتغال بما دونه، و لا حفظ كلام الجاهل عندهم و العدول عن حفظ قول العالم المبرّز، فإذا كان ذلك كذلك و كان شأن المسلمين فى التديّن و التمسك بالشريعة ما وصفناه، و حال القرآن عندهم و فى نفوسهم، و قدره فى دينهم ما ذكرناه كان ذلك مانعا من ذهابهم عن حفظهم له، و توافى هممهم على إهمال أمره، و التشاغل بغيره. و كلّ ما وصفناه من حالهم و حال القرآن من نفوسهم من أدلّ الأمور على جهل من ظنّ بهم احتقاره و تضييعه و الاشتغال بغيره عنه، و أنّ الغنم و الداجن أكل كثيرا منه لم يكن له أصل و لا نسخة عند غير من أكل من عنده، و أنّه لم يكن المكتوب فى المصحف مما أكل و مما لم يؤكل محفوظا فى صدور كثير من الأمّة بأسره، و متفرقا عند آخرين منهم، فإنّه لو ظنّ ظانّ أن الغنم و الداجن أكل كثيرا من كتاب إقليدس «۱»، أو «المجسطى»

(١) هو ابن نوقطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة المبرّز فيها و يعرف بصاحب جومطريا، قال الكندى: كان كثير الاطلاع. «تاريخ الحكماء» ص ٩٢. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٧٧ لبطليموس «۱»، الذى كان عند علمائهم و أصول هذا العلم منهم، فضاع و درس لكان جاهلا غبيّا أو متجاهلا، و كذلك لو توهّم متوهّم أنّ نصف (قفا نبک) «۲»، (و ألا- هبّى) «۳»، و ثلثى شعر الأعشى و النابغة «۴»، و شطر كتاب سيبويه، و ثلثى كتاب «الأم» للشافعى و معظم موطّأ مالک قد ضاع و ذهب و أكلته الغنم و الدواجن من عند كل عالم بهذا الباب، و أنّه لم يكن بقى منه إلا نسخة واحدة عند رجل واحد، و لم يكن حفظ تلك النسخة عند غيره بعد أن استفاض ذلك العلم و انتشر، و سمع من قائله و حفظ و دوّن لكان من الجهل و التخلف و الذهاب عن معرفة عادات الناس فى حفظ هذه الأبواب من العلوم بمحل من لا يستحق الكلام. إذا كان ذلك كذلك و كانت الصحابة أشدّ فى دينها/ من كل أحد، و فى حياطته و حراسته من جميع من ذكرنا و كانوا قد مكثوا نيفا و عشرين سنة ينزل فيهم القرآن على النبىّ صلى اللّه عليه و سلّم و يسمعونه منه و يتلقّونه عنه، و يعملون بمحكمه، و يسألون عن متشابهه و غامضه، و يتّعظون بمواعظه، و يصيرون إلى موجبه، و يعرفون أسبابه و الأحوال التى نزل عليها، و هو آية نبيهم و أعظم حجة له،

(١) إمام فى الرياضة من فضلاء هذا العلم، عالم يونانى إليه انتهى علم حركات النجوم و معرفة أسرار الفلك، من كتبه: «المجسطى» «تاريخ الحكماء» ص ٩۵. (٢) إحدى المعلقات السبع، و هى قصيدة امرئ القيس. (٣) مطلع معلقة عمرو بن كلثوم، و تمام البيت: ألا- هبى بصحنک فاصبحينا و لا تبقى خمور الأندرينا (۴) لعله يريد النابغة الذبيانى أو النابغة الجعدى، و كلاهما شاعر مجيد، أما الذبيانى فاسمه زياد بن معاوية بن خباب

الغطفانیّ المضری أبو أمامهٔ و هو جاهلی من أهل الحجاز مات نحو ۱۸ قبل الهجرهٔ. «الأعلام» (۳: ۵۴). و أما الجعدی فاسمه قیس بن عبد اللّه بن عدس بن ربیعهٔ أبو لیلی شاعر زمانه و له صحبه، توفی نحو خمسین للهجرهٔ. «الأعلام» (۵: ۲۰۷) السیر (۳: ۱۷۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۷۸ و قد عرفوا تحدّی النبی صلی اللّه علیه و سلّم للعرب أن تأتی بمثله مجتمعین و متفرقین، و أنّه أعجزهم و أفحمهم، و کان شجیّ فی حلوقهم، و أنّهم تشتّتت آراؤهم و اختلفت أقوالهم لمّا تحدّوا أن یأتوا بمثله، و منهم من کتبه مصحفا و دوّنه کأبیّ و عبد اللّه بن مسعود و علیّ بن أبی طالب علی ما ترویه الشیعهٔ و غیرهم: لم یجز علی الصدر الأول و من بعدهم- مع أنّ حالهم ما وصفناه، و حال القرآن عندهم ما نزلناه و رتّبناه- أن یهملوا أمر القرآن و یتشاغلوا عن حفظه، و یقصّروا عن واجبه، أو یغیّروا شیئا من نظمه، أو یضعوا مکان کلّ شیء منه غیره، و أن یتساهلوا فی ذلک و هم قد ضیّق علیهم هذا الباب، و أخذوا بتلاوته و إقرائه علی ما لقّنوه و تلقّوه، و شدّد علیهم الأمر فی هذا الباب. فمن ظن أنه لم یکن القرآن یوم أکل الداجن بعضه إن صح هذا الخبر عند أحد من الأمهٔ، و لا فی صدره، و لا عند أکثرهم عددا، حتی ذهب و سقط منه شیء کثیر عند کثیر، فلیس هو عندنا بمحل من یکلّم، و لا ینتفع بکلام مثله، لأنه بمثابهٔ من لا یعرف الضرورات، و ما علیه الفطر و العادات، و هو إذا کان ذلک أبعد عن معرفهٔ ما یحتاج فیه إلی لطیف بحث و استخراج، و کیف لا یکون حال الأمهٔ فی أمر حفظ القرآن و القیام به و بتحصینه و حیاطته و المحافظهٔ علی درسه و تأمّله و تعلّمه و تعلیمه، التقدیم له علی کل مهم ماسّ من أمر دینه، مع الذی وصفناه ممّا ورد فی نفس التنزیل المحفوظ من تعظیم شأن القرآن، و الأمر بتدبره و الرجوع إلیه، و العمل علیه، مع کثرهٔ ما سمعوه من الرسول صلی اللّه علیه و سلّم فی الحض علی تعلّمه/ و تعلیمه و الأمر بالتفقه به، و الحث علی حراسته، و الإکثار من تلاوته، و ضمانه الثواب الجزیل علی قراءهٔ کل حرف منه، و تفضیل أهل القرآن علی سائر الناس، و التعظیم لشأنهم و الإخبار عن رفیع درجتهم عند اللّه، و ما أعده لهم، إلی غیر ذلک مما قد الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۷۹ تظاهرت الأخبار بذکره، و علم فی الجملهٔ ضرورهٔ من دین النبی صلی اللّه علیه و سلّم الأمر به و الدعاء إلیه، و التفخیم لشأن القرآن و إجلال حملته نحو قوله صلی اللّه علیه و سلّم: «إنّ هذا القرآن مأدبهٔ اللّه» «۱»، و «خیرکم من تعلّم القرآن و علّمه» «۲»، و «لیؤمّکم أقرؤکم لکتاب اللّه» «۳». فلقد أخرجهم تکرر سماع هذه الأقاویل من النبی صلی اللّه علیه و سلّم إلی إکثار وصیّهٔ بعضهم لبعض بحفظ القرآن و تعلّمه و تعلیمه، و المحافظهٔ علیه، و التحذیر من تضییعه حتی روی عنهم فی ذلک أمر عظیم یطول تتبعه و اقتصاصه، و کیف یظنّ بالأمّهٔ التی حالها ما ذکرناه تضییعها لوصیهٔ النبی صلی اللّه علیه و سلّم، و توافی هممها علی العدول عن حفظ القرآن علی وجه ینفی عنه الخلل و التضییع، لو لا الجهل و قلهٔ الدین. و قد روی أنس بن مالک قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم: «للّه من خلقه أهلون، فقیل: من هم یا رسول اللّه؟ قال: أهل القرآن، هم أهل اللّه و خاصّیته» «۴»، و روی أنس بن مالک قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم: «من قرأ مائهٔ آیهٔ کتب من القانتین، و من قرأ مائتی آیهٔ لم یکتب من الغافلین، و من قرأ (____ ۱) رواه بان أبی شیبهٔ فی «المصنف» (۶: ۱۲۵ برقم ۳۰۰۰۸)، و رواه عبد الرزاق فی «مصنفه» موقوفا علی عبد اللّه بن مسعود (۳: ۳۶۸ برقم ۵۹۹۸)، و رواه الحاکم فی «المستدرک» (۱: ۷۴۱ برقم ۲۰۴۰)، و رواه ابن الجوزی فی «العلل المتناهیهٔ» (۱: ۱۰۹ برقم ۱۴۵) و قال: هذا حدیث لا یصح عن رسول اللّه و یشبه أن یکون من کلام ابن مسعود. (۲) رواه البخاری من حدیث عثمان بن عفان رضی اللّه عنه. (۳) رواه أبو القاسم الرازی فی «الفوائد» (۲: ۲۶۵ برقم ۱۷۰۰)، عن أبی مسعود الأنصاری رضی اللّه عنه، و رواه الطبرانی فی «الکبیر» (۱۷: ۲۲۰ برقم ۶۰۵). (۴) رواه النسائی و ابن ماجهٔ کما فی «تهذیب الکمال» (۱۶: ۵۴۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۰ ثلاثمائهٔ آیهٔ لم یحاجّه القرآن» «۱»، و روی الضحّاک «۲» عن عبد اللّه بن عباس قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «أشرف أمتی حملهٔ القرآن و أصحاب اللّیل» «۳»، و روی بهذا الإسناد أیضا عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أنّه قال: «ثلاثهٔ لا یکترثون بالحساب، و لا تفزعهم الصیحهٔ، و لا یحزنهم الفزع الأکبر: حامل القرآن، المؤدّی إلی اللّه بما فیه، یقدم علی ربّه سیّدا شریفا حتی یرافق المرسلین، و مؤذّن أذّن سبع سنین لا یأخذ/ علی أذانه طعما، و عبد مملوک أحسن عبادهٔ ربّه و نصح لسیّدهٔ، أو قال: لموالیه» «۴». و روت عائشهٔ زوج النبی صلّی اللّه علیه و سلّم

قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «قراءة القرآن فى صلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير صلاة، و قراءة القرآن أفضل من التسبيح و التكبير، و التسبيح و التكبير أفضل من الصدقة، و الصدقة أفضل من الصوم، و الصوم جنّة من النار» «۵»، و هذا تفضيل من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لقراءة القرآن على سائر أعمال البر. و روى عبد اللّه بن مسعود عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على حرف واحد، و نزل القرآن من سبعة أبواب و على سبعة أحرف؛ زاجر و آمر، و حلال و حرام، و محكم و متشابه، و أمثال (__________، ۱)

رواه ابن عدى فى «الكامل فى ضعفاء الرجال» (٣: ٧۶)، و قد ورد بلفظ: «من قرأ بعشر آيات أو من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين»، و وردت هذه الروايات عند الدارمى (٢: ۵۴۴)، و عند أبى داود فى «السنن» (٢: ۵٧). (٢) هو ابن مزاحم البلخى الخراسانى أبو القاسم، مفسّر توفى بخراسان سنة خمس و مائة للهجرة «الأعلام» (٣: ٢١۵). (٣) لم أجده. (۴) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٢: ۵۵۵ برقم ٢٧٠٢). (۵) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٢: ۴١٣ برقم ٢٢۴٣). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۱ فأحلّوا حلاله، و حرّموا حرامه، و اعملوا ما أمرتم به، و انتهوا عما نهيتم، و اعتبروا بأمثاله، و اعملوا بمحكمه، و آمنوا بمتشابهه، و قولوا: آمنا به كلّ من عند ربّنا» «۱»، و فى هذا الخبر من الحثّ على حفظه و الأمر بالنزول عند حكمه و القطع على موجبه ما لا خفاء به على أحد. و روى عاصم بن ضمرة «۲» عن علىّ قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «من قرأ القرآن ظاهرا أدخله اللّه الجنة مع عشرة من أهل بيته، كلّهم قد استوجبوا النار» «۳»، و روى أبو الدرداء «۴» قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقرأ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ... [فاطر: ٣٢] إلى آخر الآية، فقال: «أما (__________ ۱) قال فى «فتح البارى»: أخرجه أبو

عبيد و غيره، قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت لأنه من روايات أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود و لم يلق ابن مسعود، و قد رده قوم من أهل النظر منهم أبو جعفر أحمد بن أبى عمران، قلت: و أطنب الطبرى فى مقدمة «تفسيره» فى الرد على من قال به، ... و قد صحح الحديث المذكور و رواه ابن حبان و الحاكم، و فى تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبى سلمة و ابن مسعود، و قد أخرجه البيهقى من وجه آخر عن الزهرى عن أبى سلمة مرسلا و قال: هذا مرسل جيد، ثم قال: إن صح فمعنى قوله فى هذا الحديث سبعة أحرف أى سبعة أوجه كما فسرت فى الحديث، و ليس المراد الأحرف السبعة التى تقدم ذكرها فى الأحاديث الأخرى، لأن سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا، بل هى ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين و ثلاثة و أربعة و على سبعة تهوينا و تيسيرا، و الشىء الواحد لا يكون حراما و حلالا فى حالة واحدة. انظر «فتح البارى» (٩: ٢٩). (٢) السلولى الكوفى، صدوق من الطبقة الثالثة مات سنة أربع و سبعين للهجرة. «التقريب» (١: ۴۵٧). (٣) رواه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية» من حديث عائشة، و قال عنه الخطيب: رجال إسناده كلهم ثقات إلا السقطى، و الحديث غير ثابت. «العلل المتناهية» (١: ١١۴ برقم ١۵۴). (۴) اسمه عويمر بن زيد، صحابى جليل أنصارى خزرجى، من الطبقة الأولى، توفى سنة اثنتين و ثلاثين. «معرفة القراء الكبار» (١: ۴٠). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۲ السّابق فيدخل الجنة بغير حساب، و أما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة بفضل رحمة اللّه، و أما الظالم لنفسه فأولئك يوقفون يوم القيامة موقفا كريها حتى ينال منهم، ثم يظلّهم اللّه برحمته، فهم الذين قالوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ [فاطر: ٣۴]» «۱»، و فى هذا الخبر من التعظيم لشأن حافظ القرآن و حسن منقلبه و إن كان/ ظالما لنفسه ما لا خفاء فيه. و روى الناس أنّ عمر بن الخطاب تلا هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا إلى آخرها ثم قال: «سابقكم سابق، و مقتصدكم ناج، و ظالمكم مغفور له» «۲»، و روى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يقول: «ألا إنّ أصفر البيوت من الخير بيت صفر من كتاب اللّه، و الذى نفس محمد بيده إنّ الشيطان ليخرج من البيت أن يسمع سورة البقرة تقرأ» «۳»، و روى ابن عمر عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه اللّه مالا فهو ينفق منه آناء الليل و آناء النهار و رجل آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل و آناء النهار» «۴»، و هذا حثّ و ترغيب شديد على حفظ القرآن و القيام به.

(____١) ذكره الإمام القرطبى رحمه اللّه بنحو ما ورد فى المتن و بألفاظ متقاربة. «تفسير القرطبى» (١۴: ٣۵٠). (٢) لم أجده من كلام عمر لكن ذكره ابن كثير من حديث محمد بن الحنفية بلفظ: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، و المقتصد فى الجنان عند اللّه، و السابق بالخيرات فى الدرجات عند اللّه». «تفسير ابن كثير» (٣: ۵۵٧). (٣) رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (٣: ٣۶٨ برقم ۵٩٩٨)، و هو من كلام عبد اللّه بن مسعود، و ورد عند الحارث فى «مسنده» مرفوعا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع اختلاف فى بعض ألفاظه. انظر «بغية الباحث بزوائد مسند الحارث» للهيثمى (٢: ٧٣٨ برقم ٧٣٢) .. (۴) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٢: ١۵٢ برقم ۶۴٠٣) من حديث ابن عمر باختلاف يسير فى بعض ألفاظه. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٨٣ و روى عبد اللّه بن مسعود عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة اللّه، فتعلّموا من مأدبة اللّه ما استطعتم، إنّ هذا القرآن حبل اللّه، و هو النور النيّر، و الشفاء النافع، عصمة اللّه لمن تمسّك به، و نجاة لمن تبعه، لا يعوجّ فيقوّم، و لا يزيغ فيستعتب، و لا تنقضى عجائبه، و لا يخلق عن كثرة الردّ فاتلوه، فإنّ اللّه يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول الم حرف، و لكن ألف عشر، و لام عشر، و ميم عشر» «١»، و هذا غاية الحثّ على حفظ القرآن و التعظيم لشأنه. و روى أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «القرآن شافع و مشفّع، و ما حل «٢» مصدّق، و من شفع له القرآن يوم القيامة نجا، و من محل به القرآن كبّه اللّه يوم القيامة على وجهه فى النار» «٣»، و أحق من شفع فيه القرآن أهله و حملته، و أولى من محل به من عدل عنه و ضيّعه، و الصحابة أجلّ قدرا و موضعا من أن يتفق لسائرهم الدخول فى هذه الصفة و النقيصة. و روت عائشة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن الذى يتعاهد القرآن و يشتد عليه له أجران، و الذى يقرأه/ إنّى و هو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة» «۴».

(____١) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» بألفاظ قريبة (١: ٧۴١ برقم ٢٠۴٠) و قال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. (٢) قال فى «مختار الصحاح» (م ح ل): جعله يمحل بصاحبه إذا لم يتّبع ما فيه، أى: يسعى به إلى اللّه تعالى، و قيل: معناه و خصم مجادل مصدّق. (٣) لم أجده بهذا اللفظ عن أنس بن مالك، و إنما هو مروى بألفاظ قريبة عند ابن حبان و البيهقى عن جابر، و عند الطبرانى و البيهقى عن ابن مسعود. كما أورد ذلك صاحب «كشف الخفاء» (٢: ١٢۴). (۴) لم أجده بهذا اللفظ، و قد رواه الإمام مسلم فى «صحيحه» (١: ۵۴٩ برقم ٧٩٨) بلفظ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة و الذى يقرأ القرآن و يتعتع فيه و هو عليه شاق له أجران». الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٨۴ و روى عقبة بن عامر «١» قال: خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و نحن فى الصف فقال: «أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان «٢» و العقيق «٣»، و يأتى كل يوم بناقتين حمراوتين زهراوين يأخذهما من غير إثم باللّه و لا قطع رحم؟ قالوا: كلنا يا رسول اللّه يحب ذلك، قال رسول اللّه: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب اللّه خير له من ناقتين، و ثلاث خير من ثلاث، و أربع خير من أربع، و من أداد من الإبل» «۴». و روى أبو عبد الرحمن السّلمى «۵»، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «أفضلكم من تعلّم القرآن و علّمه» «۶».

(____١) الجهنى، صحابى مشهور، اختلف فى كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حمّاد، ولى إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين، و كان فقيها فاضلا مات فى قرب الستين. «التقريب» (١: ۶٨١). (٢) بضم أوله ثم السكون، و قيل بطحان بكسر الطاء و فتح الباء و هو واد بالمدينة، و هو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق و بطحان و قناة. «معجم البلدان» (١: ۴۴۶). (٣) بفتح أوله و كسر ثانيه، العرب تقول لكل سيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره و وسعه، عقيق، و هو واد عليه أموال أهل المدينة، و هو على ثلاثة أميال أو ميلين، و قيل ستة، و قيل سبعة. «معجم البلدان» (۴: ١٣٩). (۴) رواه أبو داود فى «سننه» (٢: ٧١ برقم ١۴۵۶) باختلاف يسير فى بعض ألفاظه، و رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۴: ١۵۴ برقم ١٧۴۴۴) بنحو ألفاظ أبى داود. (۵) اسمه عبد اللّه بن حبيب بن ربيعة، لأبيه صحبة، و هو ولد فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، تابعى جليل أخذ

القراءة عنه عاصم بن أبى النجود توفى سنة أربع و سبعين للهجرة. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۵۲). (۶) رواه النسائى بهذا اللفظ (۵: ۱۹ برقم ۸۰۳۷)، و عند البخارى: «إنّ أفضلكم من تعلّم القرآن و علّمه» (۴: ۱۹۱۹ برقم ۴۷۴۰)، و رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۱: ۵۷ برقم ۴۰۵). و سبق بلفظ: «خيركم من تعلم القرآن و علمه». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۵ و روى إسماعيل بن عيّاش «۱» قال: سمعت أبا أمامة الباهلى «۲» يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «من علم رجلا آية من كتاب اللّه فهو مولاه، لا يخذله و لا يستأثر عنه» «۳». ثم يأمرهم صلّى اللّه عليه و سلّم بتعليمه للّه و طلب مرضاته فقط، و يحرم أخذ الأجر عليه، فروى ضمرة بن حبيب «۴» عن زيد بن ثابت، أن رجلا كان يعلّمه أتاه بقوس، فقال: هى فى سبيل اللّه، فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «قوس من نار، تقلّدها أو دعها» «۵»، فردّها إليه. و هذا غاية الوعيد. ثم لا يقنع يحثّهم على حفظ القرآن و تعلّمه حتى يأمرهم بالتنغّم به، و بحسن تلاوته، فروى من غير طريق أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال لأسيد بن الحضير «۶»: «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود» «۷»، يريد حسن صوته بالقرآن. و روى (______________________________ ۱) ابن سليم العنسى، أبو عتبة الحمصى من الثامنة مات سنة إحدى و ثمانين أو اثنتين و ثمانين و له بضع و تسعون سنة. «تقريب التهذيب» (۱: ۹۸). (۲) اسمه صديّ بن عجلان، صحابى مشهور سكن الشام و مات بها سنة ست و ثمانين. «تقريب التهذيب» (۱: ۴۳۷). (۳) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (۲: ۴۰۶ برقم ۲۲۱۳)، و قال بعد أن رواه: «هذا هو المحفوظ عن ابن عباس و هو منقطع و ضعيف». (۴) هو ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدى أبو عتبة الحمصى، ثقة من الرابعة، مات سنة ست و ثلاثين. «تقريب التهذيب» (۱: ۴۴۵). (۵) رواه الهيثمى (۴: ۹۵) بألفاظ متقاربة مع ما ذكره الباقلانى، و رواه الطبرانى فى «الأوسط» بألفاظ قريبة مع ألفاظ الهيثمى و كلاهما ينسب القصة للطّفيل بن عمرو الدوسى مع أبيّ بن كعب، و ليس لزيد بن ثابت رضى اللّه عنهم أجمعين. (۶) ابن سماك بن عتيك الأنصارى الأشهلى، صحابى جليل مات سنة عشرين أو إحدى و عشرين. «تقريب التهذيب» (۱: ۱۰۴) (۷) رواه البخارى فى «صحيحه» (۴: ۱۹۲۵ برقم ۴۷۶۱) و عنده أن الرسول قاله فى حق أبى موسى الأشعرى و ليس فى حق أسيد بن الحضير، و رواه مسلم فى «صحيحه» الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۶ أبو هريرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم دخل المسجد فسمع قراءة رجل فقال: «من هذا؟» فقيل: عبد اللّه بن قيس «۱»، فقال: «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود»، فى كثير من الروايات، و روى أيضا أبو هريرة و غيره عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه سئل عن أحسن الناس صوتا بالقرآن، فقال عليه السلام: «الذى إذا سمعته/ رأيته يخشى اللّه»، و فى خبر آخر: أيّ الناس أحسن قراءة؟ فقال: «الذى سمعته و أريته يخشى اللّه» «۲». ثم إنه بالغ فى زجرهم عن نسيان ما حفظ من القرآن و تضييعه، و ضيّق الأمر فيه و شدده، و كرر القول فى ذلك تكرارا يردع من به أدنى مسكة فى الدين عن مخالفته، فضلا عن الصحابة الجلة عليهم السلام، و روى أنس بن مالك عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «عرضت عليّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، و عرضت عليّ ذنوبهم، فلم أر منها ذنبا أعظم من رجل تعلم آية أو سورة من كتاب اللّه ثم نسيها» «۳». و هذا تحذير و تشديد من تضييعه ______________________________. و الحديث عنده عن أبى موسى الأشعرى كذلك (۱: ۵۴۶ برقم ۷۹۳)، و هو ما ذكره المصنف بعد هذا الأثر مباشرة، و كذا جميع أصحاب السنن، و المشهور عن أهل العلم أن هذا القول من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى حق أبى موسى الأشعرى و ليس فى حق أسيد بن حضير، أما أسيد فقد ورد فى حقه قصة فرسه التى جالت حين كان يقرأ القرآن و قول النبى حينذاك: إنها السكينة نزلت عند قراءة القرآن. (۱) و هو أبو موسى الأشعرى، مشهور باسمه و كنيته معا، مات سنة اثنتين، و قيل أربع و أربعين، و هو ابن نيف و ستين سنة. «الإصابة» (۴: ۱۸۳). (۲) روى نحو هذه الأخبار الدارمى فى «السنن» (۲: ۵۶۳ برقم ۳۴۸۹)، و سعيد بن منصور فى «السنن» (۱: ۲۰۵ برقم ۴۷)، و الطبرانى فى «الأوسط» (۲: ۳۱۱ برقم ۲۰۷۴). (۳) رواه أبو داود فى «السنن» (۱: ۱۲۶ برقم ۴۶۱)، و رواه أبو يعلى فى «المسند» (۷: ۲۵۴ برقم ۴۲۶۵)، و رواه الطبرانى فى «الأوسط» (۶: ۳۰۸ برقم ۶۴۸۹)، و قال: تفرد به محمد بن زيد الآدمى. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۷ و روى سلمان الفارسى «۱» عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «من أكبر ذنب يوافى به أمتى يوم القيامة سورة من كتاب اللّه

کانت مع أحدهم فنسیها» «۲»، و هذا کالأول. و روی سعد بن عبادة «۳» قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسیه إلا لقی اللّه أجذم» «۴». و روی عبد اللّه بن مسعود عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قال: «بئس ما لأحدکم أن یقول: نسیت آیة کیت و کیت، بل هو نسّی، استذکروا القرآن فإنه أسرع تفلّتا من قلوب الرجال، من الإبل من عقلها» «۵»، و فی روایة أخری عن موسی بن (____ ۱) أبو عبد اللّه، و یقال له سلمان الخیر، أصله من أصبهان، و قیل من رامهرمز، من أول مشاهده الخندق، و هو صاحب فکرته، مات سنة أربع و ثلاثین، یقال بلغ ثلاثمائة سنة. «التقریب» (۱: ۳۷۵). (۲) هو روایة أخری للحدیث الوارد عن أنس بن مالک، و قد سبق تخریجه. (۳) ابن دیلم بن الحارثة الأنصاری الخزرجی أحد النقباء و سید الخزرج، مات بأرض الشام سنة خمس عشرة. «التقریب» (۱: ۳۴۴). (۴) رواه الإمام أحمد فی «المسند» (۵: ۲۸۴ برقم ۲۲۵۰۹)، و الطبرانی فی «الکبیر» (۶: ۲۳ برقم ۵۳۹۰)، و رواه أبو داود، و قال فی «عون المعبود» (۴: ۲۴۲)، أجذم أی ساقط الأسنان أو علی هیئة المجذوم ... و قال الطیبی: أی مقطوع الید من الجذم و هو القطع، قال ابن منظور فی «لسان العرب»: الجذم: القطع، جذمة یجذمه جذما: قطعه فهو جذیم، و الجذم سرعة القطع، و الأجذم المقطوع الید، و قیل هو الذی ذهبت أنامله. (۵) لم أجده بهذا اللفظ، و إنما هو بألفاظ قریبة منه، فعند الإمام أحمد فی «المسند» (۴: ۴۱۱ برقم ۱۹۷۰۰): «تعاهدوا القرآن فإنه أشد تفلتا من قلوب الرجال من الإبل فی عقله». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۸ أبی علی بن رباح «۱»، عن أبیه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: تعلّموا کتاب اللّه، و تعاهدوه، و تغنّوا به، فو الذی نفس محمد بیده لهو أشدّ تفلّتا من المخاض من العقل» «۲»، و هذا غایة الوعید و التحذیر من نسیانه. و روی أبو سعید الخدری عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قال: «تعلّموا القرآن و سلوا اللّه به قبل أن یتعلمه قوم یسلون به الدنیا، فإنّ القرآن یتعلمه ثلاثة نفر: رجل یباهی به، و رجل یستأکل به، و رجل یقرؤه للّه عز و جل» «۳». و فی روایة أخری أنه قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «اقرءوا القرآن قبل أن یجیء قوم یقیمونه کما یقام القدح، یتعجّلون أجره و لا یتأجلون» «۴»، و یتبع ما روی عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم/ فی هذا الباب کثیر جدا، و فی بعض ما ذکرناه کفایة فیما قصدناه. فمن ظنّ أن الصحابة مع ما وصفناه من حالهم، و فضل دینهم و شدة حرصهم و قوة دواعیهم علی حفظ الدین و النصیحة للمسلمین، أنهم یضیّعون ما وجب علیهم من حفظه و یهملون أمره، و یحرّفونه عن مواضعه، و یتلونه (____ ۱) اللخمی، أبو عبد اللّه البصری، صدوق ربما أخطأ من السابعة، مات سنة ثلاث و ستین و مائة و له نیف و تسعون. «التقریب» (۱: ۲۲۶). و أبوه هو علی بن رباح بن قصیر اللخمی أبو عبد اللّه المصری، ثقة من کبار الثالثة مات سنة بضع عشرة و مائة. «التقریب» (۱: ۶۹۴). (۲) رواه النسائی فی «السنن الکبری» (۵: ۱۸ برقم ۸۰۳۴)، و قال الهیثمی فی «مجمع الزوائد» (۷: ۱۶۹): رواه أحمد و الطبرانی إلا أنه قال: «لهو أشد تفصّیا من المخاض فی العقل»، و رجال أحمد رجال الصحیح. (۳) أخرجه أبو عبید فی «فضائل القرآن» عن أبی سعید، قال فی «الفتح» (۹: ۱۰۰) «و صححه الحاکم و رفعه». عند الکلام علی حدیث رقم (۴۷۷۱): «لا یجاوز حناجرهم». (۴) رواه أبو داود فی «السنن» (۱: ۲۲۰) من حدیث جابر بن عبد اللّه مع اختلاف یسیر فی بعض ألفاظه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۸۹ علی غیر وجه ما أمروا به، و هم یسمعون هذه الأقاویل و أضعافها مما أضربنا عن ذکره من الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و یسمعون من تعظیم اللّه لشأنه، و یقدمون علی مخالفة اللّه و رسوله: فقد أعظم الفریة علیهم، و بالغ فی ثلبهم، و فارق بما صار إلیه من ذلک مذهب العقلاء، و جحد العادة التی ذکرناها الموجبة لحفظ القرآن و شدة الاعتناء بتحصیله و حیاطته، و لقد روی عن الصحابة رضی اللّه عنهم و من بعدهم من التابعین فی حثّ بعضهم لبعض علی حفظ القرآن و تلاوته، و العمل بموجبه و الإعظام لشأنه ما یطول ذکره و اقتصاصه. فروی حسّان بن عطیة «۱» قال: قال أبو الدرداء: «لا یفقه الرجل کل الفقه حتی یعرف القراءات و وجوهها» «۲»، و روی الحکم بن هشام الثقفی «۳» عن عبد الملک بن عمیر «۴» قال: کان یقال: أنقی الناس عقولا قرّاء القرآن» «۵»، و قال عطاء بن یسار «۶»: «بلغنی أن حملة القرآن عرفاء أهل الجنة» «۷»، و روی (____ ۱) من أهل الشام

من أفاضل أهل زمانه يروى عن سعيد بن المسيب، روى عنه الأوزاعى و عبد الرحمن بن ثابت. «الثقات» لابن حبان (۶: ۲۲۳ ترجمة رقم ۷۴۵۶). (۲) «حلية الأولياء» للأصفهانى (۱: ۲۷۱ برقم ۶۸۴). (۳) ابن عبد الرحمن الثقفى مولاهم، أبو محمد الكوفى نزيل دمشق، صدوق من السابعة. «التقريب» (۱: ۲۳۴). (۴) ابن سويد اللخمى الكوفى، ثقة فصيح عالم فقيه، تغيّر حفظه و ربما دلّس من الرابعة، مات سنة ست و ثلاثين و مائة و له مائة و ثلاث سنين. «التقريب» (۱: ۶۱۸). (۵) «مصنف ابن أبى شيبة» (۷: ۱۵۶ كتاب فضائل القرآن، فى فضل من قرأ القرآن). (۶) الهلالى، أبو محمد المدنى مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ و عبادة، من صغار الثالثة، مات سنة أربع و عشرين و مائة، و قيل قبل ذلك. «التقريب» (۱: ۶۷۶). (۷) رواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» (۳: ۱۴۴ برقم ۲۸۹۹)، و رواه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (۱: ۲۵۳ أبواب تتعلق بالقرآن، باب حفاظ القرآن عرفاء أهل الجنة). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۹۰ سالم بن أبى الجعد «۱» عن معاذ «۲» قال: «من قرأ فى ليلة ثلاثمائة آية كتب من القانتين، و من قرأ ألف آية كان له قنطار من بر؛ القنطار منه أفضل مما على الأرض من شيء» «۳». و روى حطّان بن عبد اللّه الرقاشى «۴» عن السّدوسى «۵» قال: «قدم علينا جندب بن عبد اللّه «۶» البصرة، فلما أراد أن يخرج شيّعناه و قلنا له: أوصنا يا صاحب رسول اللّه، فقال: من استطاع منكم أن يجعل لا فى بطنه إلا طيّبا فليفعل؛ فإنه أول ما ينتن من الإنسان، و من استطاع منكم أن لا يحول بينه و بين الجنة ملء كفّ من دم امرئ مسلم يهريقه/ كأنما يذبح به دجاجة، لا يأتى بابا من أبواب الجنة إلا حال بينه و بينه: فليفعل، و عليكم بالقرآن فإنه (______________________________________ ۱) و اسم أبيه رافع، الغطفانى

الأشجعى مولاهم، الكوفى، ثقة، و كان يرسل كثيرا، من الثالثة، مات سنة سبع أو ثمان و تسعين. «التقريب» (۱: ۳۳۴). (۲) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن من أعيان الصحابة، شهد بدرا و ما بعدها، مات بالشام سنة ثمان عشرة، و قبره الآن فى الأردن معروف يزار. «التقريب» (۲: ۱۹۱). (۳) رواه سعيد بن منصور فى «سننه» (۱: ۱۲۸) بسند ضعيف. (۴) حطّان بن عبد اللّه الرقاشى، قال عنه العجلى: البصرى، تابعىّ ثقة، و كان رجلا صالحا. و قال عنه ابن المدينى: ثبت. «معرفة الثقات» (۱: ۳۰۸)، «الجرح و التعديل» (۳: ۳۰۳). (۵) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن سدوس الأعمى، المفسّر، حدّث عن أنس بن مالك و غيره. «تذكرة الحفاظ» للذهبى (۱: ۱۲۲)، «الكنى و الأسماء» (۱: ۲۸۶). (۶) هو جندب بن عبد اللّه بن سفيان البجلى العلقى، كان بالكوفة ثم صار إلى البصرة ثم خرج منها، من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. «التاريخ الكبير» للبخارى (۲: ۲۲۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۹۱ هدى النهار و نور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد «۱» و فاقة، فإن عرض بلاء فقدّموا أموالكم دون دمائكم، فإن تجاوزها البلاء فقدّموا دمائكم دون دينكم، فإن المحروب من حرب دينه، و إنّ المسلوب من سلب دينه، إنه لا فقر بعد الجنّة، و لا غنى بعد النار، و إن النار لا يفكّ أسيرها، و لا يستغنى فقيرها، و السلام عليكم و رحمة اللّه» «۲». فكيف يعدل قوم هذه صفتهم و حالهم عن حفظ كتاب ربّهم، و تضييع ما وجب عليهم؟ و قال أبو هريرة: «نعم الشفيع القرآن»، قال شعبة «۳»؛ و هو راوى الحديث عنه: «نعم، و أحسبه قال: يقول يوم القيامة: يا ربّ حلّه، فيلبسه تاج الكرامة، ثم يقول: يا ربّ زده، فيكسى حلّة الكرامة، فيقول: يا ربّ ارض عنه، فإنه ليس بعد رضاك شيء، قال: فيرضى عنه» «۴»، و قد روى مثل هذا عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من طريق آخر ذكر فيه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول له: ما أعرفك، فيقول له: أنا صاحبك، القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر، و أسهرت ليلك، إنّ كل تاجر من وراء تجارته، و إنى اليوم من (______________________________________ ۱) الجهد

بالفتح و الضم: الطاقة، و الجهد بالفتح: المشقة. «مختار الصحاح». (۲) رواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» (۲: ۱۶۰ برقم ۱۶۶۲). (۳) هو ابن الحجاج بن الورد العتكى مولاهم، الواسطى، ثقة حافظ متقن، قال عنه الثورى: هو أمير المؤمنين فى الحديث، و هو أول من فتّش فى العراق عن الرجال، و ذبّ عن السنة، من السابعة، مات سنة ستين. «التقريب» (۱: ۴۱۸). (۴) رواه الترمذى فى «السنن» (۵: ۱۷۸ برقم ۲۹۱۵)، و رواه الدارمى فى «سننه» (۲: ۵۲۲ برقم ۳۳۱۱)، و رواه الحاكم فى «المستدرك» (۱: ۷۳۸ برقم ۲۰۲۹) و قال: «هذا حديث

صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، و رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (۲: ۳۴۷ برقم ۱۹۹۷)، و ألفاظهم متقاربة. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۹۲ وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه، و الخلد بشماله، و يوضع على رأسه تاج الوقار، و يكسى والداه حلّتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ و اصعد فى درج الجنة و غرفها، فهو فى صعود ما دام يقرأ؛ حدرا هدرا أو ترتيلا» «۱». و كيف يصحّ أن يتفق الأمة جميعا [على «۲» تضييع كتاب اللّه و هم قد سمعوا من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمثال هذه الأقاويل و هذا التفخيم لشأن القرآن و حملته من التعظيم، و المراد بذكر القرآن فى هذا الخبر. و فيما يروى من قوله: «البقرة و آل عمران يأتيان/ يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان يظلّان صاحبهما» «۳». و نحو ذلك: أى ثواب القرآن يأتى كذلك، و كذلك ثواب القرآن هو الذى يقول: يا رب، و يتصوّر فى تلك الصورة، لأنّ الثواب فعل مخلوق، و ليس كذلك القرآن، نعنى كلام الرّبّ جل و عز لا القراءة التى فى مقابلتها الثواب، و يمكن أن يبعث اللّه ملكا يتصوّر للمؤمن الحامل لكتاب اللّه فى تلك الصورة ليسكّن روعه، و يزيل خوفه، و يسميه قرآنا على معنى أن كلامه و تسكينه من ثواب قراءة القرآن، و كذلك يخلق اللّه تعالى جسمين عظيمين يوم القيامة، يبشّران قارئ القرآن، على معنى أن بشراهما من ثواب

(______________________________ ۱) رواه ابن ماجة فى «سننه» (۲: ۱۲۴۲ كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، برقم ۳۷۸۱)، و رواه الإمام أحمد فى «مسنده» (۹: ۱۵ برقم ۲۳۰۳۷)، و رواه الدارمى فى كتاب فضائل القرآن (۲: ۳۳۳ باب فضل سورة البقرة و آل عمران، برقم ۳۳۹۱). (۲) ما بين القوسين ساقط من الأصل. (۳) رواه مسلم (۱: ۵۵۳ بالأرقام ۸۰۴، ۸۰۵)، باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة، و رواه الدارمى (۲: ۳۳۳ برقم ۳۳۹۱ كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة و آل عمران)، و الترمذى فى السّنن (۵: ۱۶۰ برقم ۲۸۸۳) فى كتاب فضائل القرآن، و رواه الإمام أحمد فى «مسنده» (۶: ۲۰۰ برقم ۱۷۶۵۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۹۳ قراءة البقرة و آل عمران، فلا معنى لرد ما ورد من نحو هذه الأخبار من تعظيم شأن حملة القرآن من طريق ثبتت إذا احتملت من التأويل ما وصفناه، قال عبد اللّه بن عمر: «من قرأ القرآن فقد اضطربت النبوة بين جنبيه، فلا ينبغى لصاحب القرآن أن يلعب مع من يلعب، و لا يرفث مع من يرفث، و لا يتبطّل مع من يتبطّل، و لا يجهل مع من يجهل» «۱»، و هذا تعظيم منه لشأن القرآن و أهله بيّن شديد. و لما قدم أهل اليمن أيام أبى بكر سمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: «هكذا كنّا ثم قست القلوب» «۲»، يعنى بذلك أن قلوب كثير من أهل ذلك العصر قست، دونه و دون الأئمّة و من جرى مجراهم من جلّة الصحابة، و قد يمكن أن يكون ذلك على وجه العظة و طلب الزيادة و الخشوع «۳». و قد روى الناس أن عمر بن الخطّاب قرأ مرة: إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ (۷) ما لَهُ مِنْ دافِعٍ [الطور: ۷- ۸]، قال: فرنّ لها رنة عيد منها عشرين يوما، فكيف يضيّع كتاب اللّه من هذا تأمّله له و اتعاظه به، و انتفاعه بقراءته و استماعه. و كان ابن عمر إذا صلى يترنّح و يتمايل حتى لو رآه راء ممن يجهله لقال: أصيب الرجل، و ذلك لذكر النار إذا مرّ بقوله: وَ إِذا أُلْقُوا مِنْها مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً [الفرقان: ۱۳].

(______________________________ ۱) رواه البيهقى فى «الأسماء و الصفات» ص ۲۴۶، و رواه الحاكم فى «المستدرك» (۱: ۵۵۲ كتاب فضائل القرآن، أخبار فى فضائل القرآن و حملته) عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و أخرجه أبو عبيد فى «فضائل القرآن» ص ۱۱۴. (۲) أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (۱: ۳۴). (۳) و قال أبو نعيم فى معنى قول أبى بكر ثم قست القلوب: أى قويت و اطمأنت بمعرفة اللّه تعالى. «الحلية» (۱: ۳۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۹۴ و لو قصد بالتقصّى جميع ما روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و عن الصحابة و التابعين، و أئمة المسلمين من فضائل/ القرآن و قراءته، و ما خصّ اللّه به أهله، لأخرجنا كثرة ما روى فيه عن غرض الكتاب، و إنما ذكرنا هذه الجمل فى فضائل قراءة القرآن و حملته و الاتعاظ به، و إيجاب الرجوع إليه، و التعلّق به، ليعلم متأمّل الحال فى ذلك أن من صريح عادات الناس فى حفظ القرآن و ما قصر عن رتبته من أصول الشرع بخلاف ما تدّعيه الشيعة من اضطراب نقله، و ذهاب أهل الإسلام عن صحيحه من فاسده، و سليمه و سقيمه، و زائده من ناقصه، و أنّ مثل هذا الاضطراب إذا لم يجز أن يقع فى أشعار الشعراء، و خطب الخطباء، و رسائل البلغاء، و الأمثال السائرة،

و سائر الأمور التى بالناس إلى علمها حاجة مما ظهر أمره و اشتهر، و قد بيّنا أن ظهور القرآن فوق ظهور جميع هذه الامور، و أن بالناس إلى معرفة جميعه و ترتيب نظمه و الإحاطة به و معرفة لبابه و مخارجه: أتمّ فاقة و أشدّ حاجة، و إذا كان ذلك كذلك ثبت بطلان ما يدّعونه من اضطراب نقل القرآن، و ذهاب الناس عن علم صحيحه من سقيمه، و إمكان دخول الشبهة فيه و الزيادة عليه و النقصان منه. [فصل دليل آخر: و مما يدل أيضا على أن القرآن المرسوم فى مصاحفنا هو جميع كتاب اللّه الذى أنزله على رسوله، و فوّض حفظه و اثباته و الرجوع إليه، نقل جميع السلف و الخلف الكثير من بعدهم الذين ببعضهم تثبت الحجة و ينقطع العذر أنّ هذا القرآن الذى فى أيدينا هو جميع كتاب اللّه الذى أنزله و أمر بحفظه و إثباته و الرجوع إليه، و قد علم أن التشاجر و التراسل و اتّفاق الكذب متعذر ممتنع على مثلهم، فوجب لذلك العلم بصحة ما نقلوه، و سقوط كل رواية جاءت من جهة الآحاد بخلاف ذلك عن بعض الصحابة و التابعين، و ما يجوز أن يروى من ذلك و يفتعل و يتكذّب فى الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹۵ المستقبل، لأن نقل ما ذكرناه أوجب لنا علم الضرورة بصحة ما نقلوه، و انتفاء السهو/ و الإغفال و الكذب و الافتعال عنهم لما هم عليه من كثرة العدد و اختلاف الطبائع و الأسباب و الهمم. و لو ساغ لمدعى «۱» أن يدّعى أنّ القرآن قد نقص منه لأجل ما روى عن عمر و عبد اللّه بن مسعود فى المعوذتين و غيرهما، أو زيد فيه ما ليس منه لأجل ما روى عن أبيّ من إثباته القنوت فى مصحفه، أو لأنه لا يدرى أن القرآن الذى فى مصاحفنا زائد أو ناقص، أو على ترتيب ما أنزل أم لا- لأجل ما روى عن الآحاد من الزيادة فيه أو النقصان منه، و لأجل ما روى من اختلاف مصاحف الصحابة، و بجعل ذلك ذريعة إلى دفع النقل الظاهر المشهور: لساغ لآخر أن يدّعى أنه لا يدرى أن هذا المصحف الذى فى أيدينا هو مصحف عثمان على وجهه و نظمه و تأليفه، أو قد زيد فيه و نقص منه، أو نقطع على أنه مغيّر و مبدّل عما كان اجتمع عليه عثمان و الجماعة فى وقته، و إن كان هذا المصحف قد نقل عن عثمان نقلا متواترا مستفيضا، لأجل ما يرويه و يظنه كثير من الناس- و من الشيعة خاصة- من أن الحجّاج بن يوسف قد غيّر المصحف الذى هو إمام عثمان و زاد فيه أحد عشر حرفا، و نقص منه، و أخذ مصاحف أهل العراق و نشر فيهم ما كان غيّره و زاده و نقصه، فلما لم يجز ذلك و وجب القطع على صحة نقل من نقل مصحف عثمان، و ترك الإحفال و الاكتراث، بخلاف من خالف فى ذلك و ادّعى أنه مغيّر و مبدّل عما أمر به عثمان و رسمه زيد و الصحابة و الجماعة وجب لمثل هذا بعينه القطع على صحة من نقل أن مصحف عثمان هو جميع الثابت من القراءات عن الرسول، و أنه مثبت على ما أنزله و رتبه الرسول، لأنهم قوم

(۱) كذا فى الأصل، و الصواب: لمدّع، بدون ياء.

الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹۶ ببعضهم يثبت التواتر و تقوم الحجّة، و لزم لأجل ذلك ترك الإحفال بما روى مما يخالف ذلك. فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون الفرق بين الأمرين أنه لم يرو عن أحد خلاف فى أن هذا هو جميع مصحف/ عثمان الذى جمعه و ألّفه على حسب ما نظمه و رتبه، و لا وقع فى ذلك تشاجر بين الناس، و قد اختلف فى أنّ هذا المصحف هو جميع ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم عن اللّه سبحانه على وجهه و ترتيبه، أم لا؟ فادعى قوم أنه أقلّ من ذلك؛ و أنه مزيد فيه، و ادّعى آخرون أنه منقوص منه، و شكّ فى ذلك شاكّون، و قطع قوم على أنه مغيّر عن ترتيب ما أنزل عليه، و إذا كان ذلك كذلك افترقت الحال فيما ادعيتم الجمع بينهما؛ يقال لهم: أول ما فى هذا أننا لا نسلّم قطعا و يقينا أنه لا مخالف فى العالم فى هذا الباب، و لا شاكّ فيه مع سماعه لنقل الحجة، و لا ندرى لعل فى الناس من يدّعى تخليط النقلة لمصحف عثمان، و أنه مغيّر مبدّل، أو يشك فى أنه على ما رتبه عثمان، بل قد علمنا أنّ فى الناس من يدّعى تغيير الحجّاج لمصحف عثمان، و إذا كان ذلك كذلك بطل فرقكم هذا، على أننا لو تيقنا أنه لا مخالف فى ذلك. لم يمنع هذا من جواز حدوث خلاف فى هذا الباب، و أن ينشأ خلق كثير يدّعون و يرون غلط النقلة لمصحف عثمان، أو تعمدهم للكذب فيه، و دعوى تغيير النقلة له عما رتبه و نظمه عليه عثمان، فإنّ حدوث مثل هذا الخلاف غير متعذّر و لا ممتنع فى عقل و لا سمع، و قد تيقّنا أن مثل هذا الخلاف لو حدث و قاله قائل و اعتقده معتقد لم يجب لأجله جحد نقل الكافّة أو الشكّ فى صحته، لأجل ما يروى من خلاف ذلك، مع قيام الحجة و انقطاع العذر بنقل من نقل أن هذا المصحف هو

مصحف عثمان علی وجهه و ترتیبه الذی ألّفه علیه، فبطل بذلک ما فضّلوا به. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹۷

فصل [فی القول فیما یعتبر فی العلم بصحة النقل

اشارة

فصل [فی القول فیما یعتبر فی العلم بصحة النقل و اعلموا رحمکم اللّه أنه لیس المعتبر فی العلم بصحة النقل و القطع علی ثبوته بأن لا یخالف فیه مخالف، و إنما المعتبر فی ذلک مجیئه عن قوم بهم یثبت التواتر و تقوم الحجة، سواء اتفق علی نقله أو اختلف فیه، و لذلک لم یجب الإحفال/ بخلاف السمنیة «۱» فی صحة الأخبار، و قولهم إنه لا یعلم بها شیء أصلا، و لم یجب أن یبطل النقل، أو یشک فی صحته بعد ظهوره و استفاضته. و عدم الخلاف علیه إذا حدث خلاف فی صحته لم یکن من قبله، و لغیر ذلک من الأمور، و إذا کان ذلک کذلک سقط ما فصّلوا به بین الأمرین. فإن قال قائل: و لو صرنا إلی أننا لا ندری أیضا أن هذا هو مصحف عثمان و الجماعة علی وجهه و تألیفه أم لا، ما الذی کان یمنعنا و یصدّنا عن ذلک؟ قیل له: یمنع منه أن فیه جحدا للضرورات، و أن قائل ذلک صائر بمثابة من جحد وجود عثمان فی العالم، و أن یکون کان له مصحفا جمع الناس علیه، و منعهم من غیره، و أن یکون ولی الخلافة، و قتل بالمدینة، إلی غیر ذلک من الجهالات، فإنّ نقل مصحفه بمثابة نقل وجوده و خلافته و قتله و الفتنة التی

____

(۱) قال ابن الندیم: «قرأت بخط رجل من أهل خراسان قد ألف أخبار خراسان فی القدیم و ما آلت إلیه فی الحدیث قال: نبیّ السمنیة بوداسف، و علی هذا المذهب کان أکثر أهل ما وراء النهر قبل الإسلام و فی القدیم، و معنی السمنیة منسوب إلی سمنی و هم أسخی أهل الأرض و الأدیان آنذاک». «الفهرست» لابن الندیم (۲: ۴۸۶). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹۸ جرت و حدثت فی أیامه، و بمثابة نقل: «قفا نبک»، و: «ألا هبی»، و کتاب سیبویه، و موطّأ مالک، و غیر ذلک من الامور الظاهرة المشهورة، فجحد ذلک بمثابة واحدة، و لا فائدة و لا طائل فی مناظرة من صار إلی مثل ذلک. و إذا لم یجز الشک فی شیء مما وصفناه أو الجحد له لأجل خلاف یروی فی ذلک أو خلاف یجوز أن یحدث فیه: لم یجز الشکّ فی أن ما فی أیدینا هو مصحف عثمان بعینه و علی جهته، و قد بیّنا من قبل أن طریق العلم بأنه مصحف عثمان لم یغیّر و یبدّل هو طریق العلم بأن جمیع ما أتی به الرسول من القرآن الثابت رسمه علی وجهه و ترتیبه الذی أمر صلّی اللّه علیه و سلّم به، فوجب القطع علی صحة ما قلناه، و إبطال جمیع مطاعن الشیعة و الملحدین و غیرهم من أهل الضلال و القدح فی القرآن. فإن قال قائل: باضطرار یعلم أن المرسوم فی هذه المصاحف هو جمیع مصحف عثمان، علی وجهه و ترتیبه، و لسنا نعلم باضطرار و لا/ غیره أن هذا المصحف هو جمیع کتاب اللّه الثابت الرسم، و المنزل علی الرسول علیه السلام بالترتیب المدعو بأن یقال له: علی الفضل بینک و بین من قال باضطرار یعلم أن هذا المصحف هو جمیع المنزل علی رسوله، علی وجهه و ترتیبه، و لسنا نعلم باضطرار و لا غیره أنّ جمیع مصحف عثمان الذی ألفه و جمع الناس علیه، علی وجهه و ترتیبه، و أن ذلک لو کان معلوما لما اختلفت مصاحف أهل الشام و مکة و العراق، و لما اختلفت القرّاء السبعة، و لما شکّ فی ذلک أحد، فإن رام فی ذلک فضلا لم یجده، و إن مرّ علی الأمرین ردّ علیه ما سلف من جواب جحد عثمان، و کون مصحف له، و غیر ذلک مما ذکرنا، و إن عاد إلی أنّ ذلک أجمع مما لا خلاف فیه بیّن له سقوط التعلّق بذلک بما بیناه من قبل. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۹۹ و یقال للشیعة أیضا: إن وجب بطلان نقل الکافة و الدّهماء و السواد الأعظم أن المرسوم بین اللوحین الذی فی أیدینا هو جمیع القرآن المنزل علی الرسول، الثابت الرسم و التلاوة، لأجل خلاف من خالف فی ذلک، و نشکّ فیه منکم و من غیرکم ممن له تناقل الأخبار، و یعرف السیر و یخالط النقلة مخالطة تقتضی له علم الضرورة، وجب لأجل هذا بعینه بطلان نقلکم للزیادة فی القرآن و النقصان منه، و التغییر له أو الشکّ فیه، لأجل خلافنا و خلاف سائر سلف الأمة لکم علی ذلک، و خلاف جمیع فرق الأمة، خلفها و سلفها لکم فی صحة نقلکم عن الأئمة و غیرهم نقصان القرآن و

زيادته و تغييره، و تكذيبنا لكم فى هذه الدعوى، و لزمكم أيضا لأجل هذا الفصل بعينه بطلان نقلكم للنص على علىّ عليه السلام، لأجل مخالفة سائر فرق الأمة لكم فى ذلك، و تكذيبهم إياكم، فإن مرّوا على ذلك أجمع أقروا ببطلان مذاهبهم و نقلهم، و كفينا مؤنتهم، و إن راموا فيه فضلا أبطلوا اعتلالهم و أسقطوا فصلهم، و إن عوّلوا على أن الحجة قد قامت بنقل الشيعة للنص على علىّ، و تغيير القرآن، و نقصانه و إفساد نظمه، و ترتيب كثير منه، و أنه لا معتبر فى ذلك بخلاف من خالفهم، قيل لهم: و كذلك الحجة قد قامت بنقل من ذكرناه فى أن الذى فى أيدينا هو جميع ما أنزل/ اللّه على رسوله، أثبت رسمه، و فرض حفظه، على وجهه و ترتيبه، فلا معتبر خلاف من خالف فى ذلك، و هذا مما لا فضل لهم فيه أبدا، و سنتكلم إن شاء اللّه فيما بعد على دعواهم صحة نقل الشيعة لتغيير القرآن، و نوضح تكذّبهم فى ذلك، و نقيم الحجة على فساد قولهم و نقلهم بما يوضح الحق. ثم يقال لهم: ارووا لنا حرفا واحدا عن عبد اللّه بن مسعود، أو عن أبىّ، أو عن على رضى اللّه عنهم أنهم قالوا: إن المعوذتين ليستا من كتاب الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۰۰ اللّه، و أن دعاء القنوت مما أنزله اللّه على رسوله، و أن عليا قال: هذه الآية أو هذا الحرف ليس من كتاب اللّه، أو قد نقص من كتاب اللّه، و هذا مما لا يقدرون عليه أبدا، و إنما يروون برواية الآحاد أن عبد اللّه بن مسعود لم يثبت المعوذتين فى مصحفه، و أنه حكّهما من المصحف، و أن أبيا أثبت دعاء القنوت فى مصحفه، و لم يقل إن كل ما أثبته فى مصحفى من كتاب اللّه المنزل، بل قد ثبت فيه الدعاء و التفسير، إذ كان ذلك مصحفا له وحده يرجع إليه، و قد يمكن أن تكون سورة القنوت من القرآن نسخت تلاوة أثبته أبىّ، و كذلك قد يمكن ابن مسعود اعتقد أن المعوذتين من القرآن الذى لا يجوز إثبات رسمه فى المصحف، إما لظنه أنه منسوخ أو لغير ذلك من العلل. و قد ثبت بما سنصفه فيما بعد أن ما أنزل اللّه تعالى و نسخه مما لا يجوز إثباته فى المصحف، و إذا كان ما يرونه من ذلك محتملا لهذه التأويلات و غيرها، و لم يرو عن أحد منهم ذكرناه أنه جحد شيئا من كتاب اللّه، أو التصريح بأن من جملته ما ليس منه، لم يجز أن نجعل هذه الروايات معارضة لنقل الكافة بأن جميع ما فى الدنيا هو جميع ما أنزل اللّه على الرسول و ثبت رسمه، فبطل بذلك ما يدّعونه من الرواية لمخالفة قوم من السلف فى هذا الباب، و ثبت بذلك أنه لا حقيقة لما روى من ذلك. و أما ما يختصّون هم بروايته عن الصادق «۱» و الباقر «۲»/ و غيرهما من أهل البيت و غيرهم، مما لا يعرفه أصحاب الحديث و مصنّفو جميع

(____)

۱) هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، صدوق فقيه إمام، من السادسة، مات سنة ثمان و أربعين و مائة. «التقريب» (۱: ۱۶۳). (۲) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أبو جعفر الصادق ثقة فاضل مات سنة بضع عشرة و مائة. «التقريب» (۲: ۱۱۴). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۰۱ المصاحف، و الخلاف فيها، فسنبين فيما بعد إن شاء اللّه أنها من الأخبار التى يجب القطع على فسادها و تكذيب نقلتها و تنزيه أهل البيت عنها. دليل آخر: و مما يدل أيضا على أن القرآن المرسوم بين اللوحين هو جميع القرآن الذى أتى به الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم على ترتيب ما أنزل نقل الكافّة الذين ببعضهم يثبت التواتر أن هذا القرآن هو جميع ما رسم حفظه، و ألزمنا الرجوع إليه، لم يغيّر و لم يبدّل، فوجب لذلك القطع على صحة نقلهم و ثبوت علم الضرورة بصدقهم، لأنه لو جاز أن يقال فى نفس البقرة و آل عمران و الأحزاب و لَمْ يَكُنْ قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ [الكافرون: ۱] ليست على ما أنزلت، و أن يكون قد سقط من هذه السور شيء كثير أكثر مما بقى، أو زيد فيها ما ليس منها أو غيّرت و بدّلت عن نظمها و ترتيبها الذى أنزلت عليه، لساغ كذلك فى الحمد و الناس و الفلق و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، و أن يقول قائل: إن ذلك أجمع مزيد فيه أو منقوص فيه، و مرسوم فى المصحف على خلاف ما أنزله اللّه، و ما كان يتلوه الرسول و يكرره مدة أيام حياته، فى صلواته، و يجهر به، و يأخذ الناس بحفظه، و لو جاز على الجاعات الناقلة للحمد و المعوذتين و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ الكذب و الافتعال، و السهو و الإغفال، لجاز عليهم ذلك أجمع فى نقل وجود الرسول بمكة و المدينة، و دعائه إلى نفسه، و احتجاجه بالقرآن، و تحدّيه العرب أن تأتى بمثله، و فى نقل وقائعه و مغازيه و فتوحه، و غير ذلك من أحواله الظاهرة المستفيضة، فلمّا لم يجز جحد شيء من ذلك أو الشكّ فيه لم يجز الشكّ فى شيء من القرآن، و أنه هو جميع ما أتى به الرسول على وجه ما أنزل، و لا الجحد لشيء من ذلك. فإن قال قائل: نحن نعلم باضطرار أن النبى صلّى اللّه عليه و

سلّم كـان بمكـة و المدينـة و أنه دعـا إلى نفسه/ و تحـدّى بمثل الكتاب الـذى أتى به، و غير ذلك مما ذكرتم، الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۰۲ فلم يجز جحـد شـىء من ذلـك أو الشـك فيه، قيـل: فما الفصل بينكم و بين من قال: إننا نعلم باضـطرار أن هـذا القرآن هو الـذى أتى به الرسول، و ثبت رسـمه، و لزم القيام بحفظه، لم يغيّر و لم يبدّل، و إن سورة البقرة و الحمد و الأحزاب و لَمْ يَكُنْ مرسومة محفوظة على ما أنزلت عليه، من غير تغيير و لا تبديل، و لا زيادة و لا نقصان، و أنه مضطر إلى العلم بصحة ذلك عند سماع نقل النّقلة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فهل يجدون فى ذلك فصلا؟ فإن قالوا: الفصل بين الأمرين أنه لا مخالف فى ظهور الرسول عليه السلام و دعائه إلى نفسه، و ما كان من حروبه و وقائعه، و قد خالف قوم من الناس فى أن المرسوم بين اللوحين هو جميع ما أنزل اللّه على وجه ما أنزله، غير مغيّر و لا مبدّل، فلم يجب القطع على صحة النقل بذلك لأجل هذا الخلاف، قيل لهم: قد بيّنا فيما سلف أنه لا معتبر فى قيام الحجة بالنقل و العلم بصحته بعـدم الخلاف عليه و لا بوجوده، و إنما المعتبر فى ذلك بمجيئه على وجه يوجب العلم و يقطع العـذر، فبطل بـذلك ما أصّلتموه. ثم يقال لهم: فيجب لأجل فعلكم هـذا جحد ما ترونه من النص على علىّ و ما ترونه من تغيير القرآن و نقصانه أو الشك فى صحة نقلكم هذا، لأجل خلافنا و خلاف سائر الأمة لكم فى ذلك و تكذيبنا إياكم، و لا فصل لهم من ذلـك إلاـ بما يبطل ما فصلوا به، ثم يقال لهم: فخبرونا هل علمتم ضـرورة وجود النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم و ظهوره فى العالم بخبر جميع الناس أو بخبر بعضـهم؟ فإن قالوا: بخبر جميعهم لنا بذلك، كذبوا و بهتوا لأنهم لم يلقوا جميع الناس فى شـرق الأرض و غربها، و إن قالوا: بخبر بعض الناس علمنا ذلك إذا لم يخالفهم فى نقلهم مخالف، قيل لهم: و بأى شـىء تعلمون تصديق جميع الناس لذلك البعض/ فى نقلهم و أنه لاـ مخـالف لهم؟ أ بلقاء الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۰۳ جميع الناس أم بخبر بعضـهم؟ فإن قالوا: بلقاء جميع النـاس بهتوا و كابروا و لزمهم أن لا يعلموا تصـديق جميع الناس بشـىء من الأخبار، إذ كان لقاء جميع الناس متعـذرا، و إن قالوا: بخبر بعض النـاس عن بـاقيهم أنهم مصـدّقون لمـا نقـل و غير مخـالفين فيه، قيـل لهم: فـإذا جـاز أن تكون الجماعات الكثيرة التى نقلت عن الرسول الحمـد و المعوذتين و قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ قـد افتعلوا و تكـذبوا و اعتمـدوا التحريف و التغيير فيما أخبروا أنه عنه، أو وهموا أو ظنوا الأمر بخلاف ما كان، و نقلوا ما لا أصل له، فما يؤمنكم أن يكون من نقل إليكم ظهور النبى فى العالم و أنه لا مخالف له فى نقله لـذلك كاذبـا فى نقله أنّه لاـ مخالف له؟ و أن يكون فى الناس من يخالف فى ذلك؟ فإن نقل هـذا البعض أنه لا مخالف له فيما نقله فلاـ يجـدون إلى دفع ذلـك سبيلاـ و هـذا يبطـل عليهم طريق العلم بـأنه لاـ مخـالف على النقـل. و يقال لهم: إذا وجب إبطال الخبر و اطّراحه لوجود الخلاف فى نقله، فإن كان قـد نقله أهل تواتر وجب اطّراحه أيضا لجواز كون الخلاف و إن لم يتيقّن، و لجواز حدوث الخلاـف عليه فى المستقبل و لاـ فصل فى ذلك. ثم يقال لهم: إذا جاز على الجماعات الكثيرة نقل الكـذب فيما خولفت عليه، فلم لا يجوز عليهـا نقـل الكـذب فيمـا لم يتخالف عليه؟ فإن جاز الكـذب على أهل مصـر و مصـرين فلم لا يجوز على أهل جميع النواحى و الأمصـار، و سـائر الشـرق و الغرب؟ فـإن قـالوا: العادة تمنع من ذلك فى أهل سائر الأمصار، قيل لهم: و كـذلك هى تمنع منه فى أهل مصـر واحـد و مسـجد واحد و قبيلة واحدة، و نقلة القرآن عن الرسول صـلّى اللّه عليه و سـلّم أكثر عددا من أهل أمصار و أقاليم كثيرة فوجب بـذلك تصديقهم، و إحالة الكذب و الغفلة و التوهم عليهم. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۰۴ ثم يقال لهم: من أين يعلم صدق الجماعـة فى أنه لاـ مكـذّب لهم فى نقلهم لمـا نقلوا؟ فإن قالوا: بخبرهم عن أنه لا مكـذب لهم/، قيل لهم: فإذا جاز عليهم الكـذب فى بعض مـا يخبرونكم به فما أنكرتـم من جواز الكـذب عليهم، فى أنه لا مخالف لهم فى نقلهم؟ ثم يقال لهم: و من أين نعلم أيضا أنه لا مخـالف لهم فيما قالوا إنه لا مخالف لهم فيه فالكـذب جائز عليهم؟ و يقال لهم: إذا لم تعلموا صـحة نقلهم حتى تعلموا أنه لا مكـذّب لهم فيه و لاـ تعلموا أنه لاـ مكـذّب لهم فيه حـتى تعلموا صـحة نقلهم عن أنه لاـ مكـذّب لهم فيه، و أمكن أن تكـذبوا فى نقلهم إنه لا مكـذّب لهم فيما نقلوه لم يصـحّ أن يعلموا أبـدا صـحة نقلهم من حيث لم يصحّ أن يعلموا صدقهم فى قولهم و نقلهم أنه لا مكذب، و لم يأمنوا أن يكونوا فى دعواهم لذلك كاذبين، هذا ما لا خلاص لهم منه أبدا. و يقال لهم: إذا لم تعلموا صحة النقل إلا إذا علمتم أنه لاـ مخـالف لهم فيه، و لم تعلموا أنه لا مخالف لهم فيه حتى تعلموا أنه صـحيح: لم يصـح أن يعلموا أبـدا صـحة الخبر، لأنكم تجعلون

الشـيء شـرطا فيما هو شـرط فيه. و يقال لهم: يجب على اعتلالكم إبطال جميع الأخبار لخلاف السـمنية عليها، و يجب أن يصـير العلم بصـحة الخبر إذا لم يكن منه مخالف جهلا و إذا حدث مخالف فى صحته و جاحد لموجبه، و أن ينقلب العلم جهلا لحدوث الخلاف على الخبر، و تجويز انقلاب العلم بصـحته جهلا بجواز حدوث خلاف فيه، و هذه غاية من الجهل لا يبلغها ذو تحصـيل، فوجب بذلك سقوط جميع ما تعلقوا به. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۰۵ و مما يدل أيضا على بطلان قولهم فى إمكان نقصان القرآن و ضـياع شيء منه أو القطع على ذلك أو الزيادة فيه: أنه لو جاز مع ما وصـفناه من حال نقلته و حفّاظه أن يكون قد ذهب منه شيء كثير لا نعرفه و لا نقف عليه لجاز أن يكون قد ذهب أكثره و ما يزيد على سبعة أعشاره، و أن يكون الذى فى أيدينا منه أقل من العشـر، و لو جاز ذلك لم نأمنه و لم نأمن أن يكون معظم الدين و الفرائض و السـنن قد ذهب فى القدر الذى سقط منه و ذهب/ على الناس ضبطه، و لعل فيه أيضا نسـخ جميع العبادات التى فى أيـدينا و تبـديلها بغيرها، و لعل فيه توقيفا على أنبياء يأتون بعـد النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم بنسـخ شريعته، و لعـل فى ذلـك القرآن الضـائع إباحـة نكـاح الأخوات و الأمهات و سائر ذوات المحارم، و لعل فيما سـقط منه تفسير معنى الصـلاة و الزكاة و الصـيام، أن المراد بذكر هذه العبادات تولّى رجال سـموا صـلاة و حجا و صياما، و أن الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجـال أمر النـاس بلعنهم و البـراءة منهم فقـط، و لعـل فيه أيضـا ذم جميع من يعتقـد الشـيعة فيهم أنهم أئمـة منصوص عليهم و إيجـاب التـبرّى منهـم، و إيجـاب تـولّى معاويـة «۱» و زيـاد «۲» و الحجّـاج و الشـمّر و شـيعته «۳»،

(۱) معاويـة بـن أبى سـفيان، و اسـمه صخر بن حرب بن أمية الأموى، أبو عبد الرحمن الخليفة، صحابىّ أسلم قبل الفتح، و كتب الوحى، و مات فى رجب سنة ستين و قد قارب الثمانين. «التقريب» (۲: ۱۹۵). (۲) هو زياد بن عبيد الثقفى، و هو زياد بن سـمية- أمه- و هو زياد بن أبى سفيان، الذى استلحقه معاوية بأنه أخوه، يكنى أبا المغيرة، كان كاتبا بليغا، أصابه الطاعون سنة ثلاث و خمسين. «سير أعلام النبلاء» (۳: ۴۹۶). (۳) الشمرية: جماعة من القدرية المرجئة، أتباع شمر أو أبى شمر أو بنى شمر، و يقال الشـمريون، و كان منهم الأخفش. «معجم الفرق الإسلامية» ص ۱۴۸. الإنتصـار للقرآن، ج۱، ص: ۱۰۶ و لعـل القرآن إن كـان زائـدا على قـدر مـا أنزل أن يكون أكثر ما فيه من فرض الصـيام و الصـلاة و الحـج ساقطا غير لازم، و إنما زيـد فيه ما ليس منه، فإذا كان هـذا يسـدّ علينا طريق الأمان من جميع هذه الأمور و فيها إبطال الشـرع و الانسـلاخ من الإسـلام فلا شـبهة على مسـلم فى فساد كل قول و مـذهب أدى إلى ذلك. و ليس لهم أن يحتجوا فى دفع هذا بإجمـاع الأمـة على بطلانه، لأن الإجماع عنـدهم لا يجب القطع على صوابه و أمان الغلط على أهله إذا لم نعلم دخول الإمام المعصوم فيه، و نحن فلسنا نعرف مذهب الإمام فى هذه الأبواب و لا نقبل دعواهم، و روايات الشيعة عنه مداهنة، لأنهم عندنا كذبة فى ذلك، و فيمـا هو أعظم منه، و دعوى التواتر بينهم عن الإمام متعـذر و جهل فيمن صار إليه، و هم عنـدنا قـد ضـلّوا و فسـقوا بأمور لا يجوز معها قبول أخبارهم، و لأنهم عندنا و عندهم غير معصومين من الكذب و السهو و الإغفال فيما يروونه عن الإمام إن كان لهذا الإمام أصل و ما يروونه عن غيره أيضا، و لا صحة فى رواية من هذه سبيله. و ليس لهم أيضا أن يقولوا: لو كان الأمر فى هذه الشرائع و العبادات على ما وصـفتم لوجب أن يوجـد من الأمة قائل/ بهذا، لأنّ الأمّة كلّها لا يجوز أن تضـيّع الحق و الواجب، و تتركه و تعدل عنه قصدا منها و عنادا و غلطا و جهلا و سـهوا و إغفالا، و إنما يجب أن تقوم بالواجب فى هـذه الأبواب لو كانت بأسـرها حجـة أو كان فيها فرقـة هـذه سبيلها، و متى لم يكونوا كـذلك لم يجب أن لا يجوز على سائرهم تضـييع الحق و الـذهاب عنه، و لأن فيمن ينسب إلى الأمّـة و يزعم أنه أحقّ بهذه التسـمية- أعنى أنّهم أمّة محمد صـلّى اللّه عليه و سلّم- الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۰۷ خلق كثير يقولون ذلك، و هم الغلاة «۱» الإسماعيلية «۲» و من صـنّف الكتب المعروفـة المشـهورة فى أنّ المراد بـذكر العبـادات و المعاصـى المحرمات رجال أمرنا بموالاة بعضـهم و البراءة من بعضهم، و أن المراد باسم النكاح و الطلاق و العتاق و غير ذلك دخول فى البيعة و تحفّظ من نشر الدعوة أو إذاعـة لهـا و خروج عنهـا، و غير ذلـك ممـا قـد عرف من أقـاويلهم، و كـل ذلك مروىّ عنـدهم عن أهل البيت و من هم الأئمـة و الصـفوة عليهم السـلام، لعلهم مثل عـدد الشـيعة أو أكثر عـددا، و الغلبـة اليوم لهم فى كثير من الأمصار و الآفاق «۳»، و إذا كـان ذلك

کذلک بطل قولهم أن لیس فی الأمة قائل بهذا. فإن قالوا: هؤلاء لیسوا من الأمة، قیل لهم: إن جاز لکم أن تدخلوا أنفسکم فی الأمة مع قولکم بأن الأئمة الاثنا عشر أفضل من جمیع الأنبیاء إلا محمدا و نوح و إبراهیم و نفر یسیر من النبیین، و أن یقولوا إن الإمام یعلم الغیب، و أنّه لا یحکم بنسب و لا مال حتی یعلم صدق المدّعی و صدق

(۱) الغلاة هم عدة طوائف غلوا فی حق الأئمة حتی أخرجوهم من حدود الخلیفة، و حکموا فیهم بأحکام إلهیة، فربما شبّهوا واحدا من الأئمة بالإله، و ربما شبهوا الإله بالخلق، ثم إن الغلو استغرق أشخاص زعماء الغلو أنفسهم نقلا للإمامة إلیهم عبر إمام شیعی، و من هؤلاء الغلاة: المفوّضة، الخطّابیة، العجلیة، البیانیة. «معجم الفرق الإسلامیة» ص ۱۸۰. (۲) الإسماعیلیة فرقة من الإمامیة، قالوا بإمامة الستة، و أن السابع هو إسماعیل بن جعفر الصادق و لیس الإمام الکاظم کما یقول غیرهم من الإمامیة. المرجع السابق ص ۳۰. (۳) یشیر الإمام بذلک إلی الدولة العبیدیة الإسماعیلیة الباطنیة المسمّاة زورا بالفاطمیة، و قد صنف فی النقض علی هذه الفرقة کتابه «کشف الأسرار و هتک الأستار»، و کان یقول فیهم: «هم قوم یظهرون الرفض و یبطنون الکفر المحض». انظر للاستزادة: «من عبر التاریخ» للعلّامة محمد زاهد الکوثری ص ۱۹- ۲۹، و غیره. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۰۸ شهوده و یقف علی بواطنهم، و أنّ المعجزة یجوز أن تظهر علی یدی الأئمة، و أنّ الرجل یجوز له أن یجمع بین ألف حرّة بعقد متعة، و أن العمّ لا یرث مع الابنة، و مع قول کثیر منکم بتصدیق الخطب المرویة لکم عن علیّ من نحو الشّلشلیة و الشّقشقیّة «۱» التی یقول فی إحداهما: أنا رفعت سماءها، أنا دحوت أرضها، أنا أنشأت سحابها و أخرجت نباتها، أنا أهلکت/ عادا و ثمودا و لو شئت أن یعودا لعادا، حتی یقول شاعر هذه الفرقة: و من أهلک عادا و ثمودا بدواهیه و من کلّم موسی فوق طور إذ یناجیه و من قال علی المنبر یوما و هو راقیه سلونی أیّها الناس فحاروا فی معانیه و یقول فی الشقشقیة: و الذی فلق الحبّة و برأ النسمة، لو لا ما أخذ علی العلماء من کظم الظالم و صعب المظلوم لأرسلت حبل غاویها، و لسقیت أولها بکأس آخرها، و لألفیت دنیاکم عندی أهون من عفطة عنز، و شتّان بین القولین، فإنّ من أهلک عادا و ثمود و کلّم موسی، و أنشأ السحاب، و أخرج النبات من الأرض یقول: ألفیت دنیاکم عندی أهون من عفطة عنز، یعنی: من رحلة عیر، هذا بعید، فإن مثل هذا کان یقدر أن یهلک الجمیع الذین یخالفون علیه و لا یفتقر إلی بقیة منهم، و مع هذا قول دعبل «۲»

(۱) أسماء خطب لعلی بن أبی طالب رضی اللّه عنه، تشتمل علی الشکوی من أمر الخلافة ثم ترجیح صبره عنها ثم مبایعته الناس له، و سمیت بذلک لقوله فیها: إنها شقشقة صدرت ثم قرّت، و تعرف کذلک بالمقمّصة لقوله تقمّصها فلان. «نهج البلاغة» (۱: ۳۹). (۲) هو دعبل بن علی الخزاعی شاعر زمانه، له دیوان مشهور و کتاب «طبقات الشعراء» و کان من غلاة الشیعة، و له هجو مقذع، مات سنة ست و أربعین و مائتین. «سیر أعلام النبلاء» (۱۱: ۵۱۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۰۹ و کثیر «۱» و غیره منکم بالرجعة فی الدنیا، و قول الکیسانیة «۲» إنّ محمد بن الحنفیة «۳» حیّ یرزق بجبال رضوی إلی یوم یخرج، إلی غیر هذه المذاهب و التّرّهات. فإن ساغ لکم أن تدّعوا مع هذه المذاهب و الأقاویل أنکم من الأمة ساغ للإسماعیلیّة أن تدّعی أنّها من أخصّ الامة، و لا جواب عن هذا. و لیس لهم أیضا أن یزعموا أنّهم یعلمون ضرورة من دین الرسول وجوب هذه العبادات و تحریم هذه المحرّمات، فإن الغالبیة منهم ینکرون ذلک و یقولون إنهم لا یعلمون شیئا مما قالوه، و کذلک من زعم أنّ الأنبیاء باقون تتری إلی یوم القیامة، و کلّ الباطنیة یرون فی هذه الأمور خلاف رأیهم و یقولون إنّ الذی بعث به محمد صلی اللّه علیه و سلّم هو ما هم علیه. و لیس لهم أیضا الاعتصام مما ألزمناهم بأنّ الأمر لو کان علی ما قلناه لظهر عن الإمام ذکر الفرائض الذاهبة، لأننا لا نعرف هذا الإمام، و لأنه لو کان موجودا لجاز أن یسکت عن ذلک تقیة کما أمسک عن/ نقض أحکام أبی بکر و عمر و أظهر الإقرار بمصحف عثمان و سوّغ التحکیم، لأنه أیضا قد

(۱) هو کثیر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعی، أبو صخر، شاعر من أهل المدینة، أکثر إقامته بمصر توفی سنة خمس و مائة. «الأعلام» (۵: ۲۱۹). (۲) فرقة

من الشيعة أتباع كيسان مولى بجيلة، و يكنى أبا عمرة كان مولى أمير المؤمنين على، و قيل: تلميذ محمد بن الحنفية، و يعتقدون فيه اعتقادا فوق جده و درجته من إحاطته بالعلوم و اقتباسه الأسرار من علم التأويل، و يقال إن لقب المختار كان كيسان. «معجم الفرق الإسلامية» ص ۲۰۲. (۳) هو ابن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، أبو القاسم، أمه من بنى حنيفة، المدنى، ثقة عالم، من الثانية، مات بعد الثمانين. «التقريب» (۲: ۱۱۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱۰ يلقى ذلك إلى أبوابه و دعاته، و أنّ الأمر فى ذلك على ما قلناه، فيكتمونه و يحرّفون عليه و يكذبون، لأنّهم غير معصومين، و كذلك إن عيّر عليتهم بآخرين كان حالهم كذلك، و إذا كان ذلك كذلك بطل جميع ما يحاولون به دفع هذه الإلزامات. فإن قالوا: إن هذا أيضا لازم لكم و منقلب عليكم، لأنكم جميعا تعترفون بأن اللّه سجّله، فإن نسخ منه آيات كثيرة و قرآنا كان أنزله، و نهى بعد ذلك عن إثبات رسمه و قراءته، و نسخ تلاوته، و إذا كان ذلك عندكم كذلك فما يؤمّنكم أن يكون فيما نسخه و أزال رسمه جميع أحكام الباقى رسمه أو تغييرها و إزالة فرضها، و لعل فيما نسخه نصا على أنبياء و أئمة بعده و إطلاق جميع ما يعتقدون دلالة الباقى على تحريمه. قيل لهم: لا يلزمنا شيء مما قلتم، و ذلك أننا لا نجيز على الأمة بأسرها و على العدد الكثير الذين بهم تقوم الحجة أن تتفق هممهم و دواعيهم على كتمان نسخ ما نسخ عنهم فرضه، و وفقوا على تغيّر حكمه بغيره و تبديله، و لا أن يفتعلوا خبرا كذبا على نبيهم عليه السلام، فإنّه أوجب عليهم ما لم يوجبه، و شرع لهم ما ليس من دينه، بل لا يجوز ذلك عليهم فيما لا تعلّق له بباب الديانات، لامتناع ذلك عليهم فى العادة، و تعذّره من مثلهم، و أنهم متجبّرون على جميع الأئمة سوى الإمام المعصوم، أو أهل العدد الكثير، و الدّهماء منها افتعال الكذب و كتمان ما سمع و شوهد، و يزعمون أنهم قد كتموا قرآنا كثيرا كانوا سمعوه من الرسول صلى اللّه عليه و سلّم و حفظوه عنه، و لا مأمون أن يكون ما كتموه منه أضعاف ما فى أيدينا و إن كان الرسول قد وقفهم على ما كتموه كتوقيفه لهم على هذا القدر الذى نقلوه عنادا منهم و قصدا إلى الإدخال و الإلباس فى الدين. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱۱ و يحكون أن القرآن كان من الكثرة إلى حدّ لا نقله علىّ و قنبر «۱»/ و لا ينهضان بحمله مع شدة علىّ و فضل قوته، و كل هذا قد كتم و اندرس و انطوى علمه إلا عن الإمام عندكم وحده، و يروون عن أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا: ربع القرآن منزل فينا و أنتم لا تحفظون من هذا الربع تمام خمس آيات و لا تعرفون منه إلا ما نعرفه من قوله عز و جل: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ۳۳]. و يزعمون أن سائر سلف الأمة إلا أقلّ من عشرة منها كتمت النصّ على علىّ و جحدته، عاندت و أخفت الحقّ، و كذلك سائر فرق الأمة اليوم عندكم قد اتفقوا على كتمان هذا النص على الإمام، مع علمهم به و معرفتهم له، و أنهم جميعا قد افتعلوا الكذب، و تواطئوا على نقل الباطل فى نقلهم لفضائل أبى بكر و عمر و عثمان و غيرهم من الصحابة، إلى غير ذلك مما يحملون أنفسهم عليه. و إن لم تجيزوا هذا الكذب و الافتعال على جميع من عدا الإمام من الأمة فإنكم تجيزونه على معظمها و جميع فرقها المخالفة لكم، و قد علمتم أن ببعضهم يثبت التواتر، و أنه لا فصل بين إجازة الكذب و الافتعال على تسع فرق من الأمة و بين إجازته على العشرة، و إذا كان ذلك كذلك و كنتم قد اعترفتم بكتمان جمهور السلف و الخلف لأكثر القرآن مع شهرة أمره

(۱) قنبر هو مولى على بن أبى طالب، و يقال أنه أصبح حاجبا و مولى لمعاوية بن أبى سفيان، و يقال هو بفتح القاف و سكون النون و فتح الباء المعجمة بواحدة، روى عن أبى ذر و سلمان و عبادة بن الصامت و معاوية، و قال ابن ماكولا: هو قتير بضم القاف و فتح التاء المعجمة من فوقها باثنتين بعدها ياء معجمة من تحتها باثنتين، و هذا وهم و غلط. «تكملة الإكمال» لابن نقطة (۴: ۶۴۸). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱۲ و قطع الرسول صلى اللّه عليه و سلّم العذر فى بابه: لديكم أيضا فيما كتموه منه نسخ جميع ما فى أيدينا من الأحكام و كتمان شرائع و فرائض أخر تأتى بعد الرسول، و إطلاق جميع المحرّمات من حيث لا يمكنكم دفع ذلك و لا الخلاص منه. فأما نحن فإننا نحيل هذا أجمع على الأمة، على قدر عدد أهل التواتر منها، و نقول: إنه لا بد فى مستقرّ العادة من توفر دواعيها و هممها على نقل الناسخ و المنسوخ من دينها و ضبطها لذلك، فشتّان بيننا و بينكم. فإن رجعتم إلى أنّ الإمام و الأئمة من ولده هم العالمون بعلم ذلك و معرفته و أنهم لم/

يرو عنهم شيء في هذا الباب: لزمكم أن يكونوا قد قالوا ذلك و وقفوا عليه، غير أن الناس كتموا ذلك و كذبوا عليهم، و أنتم أول من يتكذب عليهم و يكتم ما قد نقل عنهم، و يفتعل عليهم ما لا أصل له، و إن ادّعيتم أو واحد منكم أنكم لقيتم الإمام فأخبركم بأنّ الشرع مبقّى و أنّ ما ألزمناكم لا أصل له فقد عرفتم الجواب عن هذا، و إنّ من جوابه ما يجب تنزيه الكتاب عن ذكره، و أقلّ ما فيه أنكم تكذبون و تعلمون أنكم تكذبون. و في الشيعة من يقول إنه قد لقي الإمام و عرّفه أن القرآن الذي في أيدينا على ما أنزل عليه لم يغيّر و لم يبدّل، و كذلك يدّعي أهل كل مذهب و رأي دان به الشيعة أنهم قد لقوا الإمام فوقّفهم على صحة ما رووه و دانوا به، و هذا كلّه من التّرّهات و ما يسترضون به الجهال و الأوغاد الطغام. و بعد: فلو سلّمنا لكم أن هاهنا إماما معصوما و أنكم قد لقيتموه: من أين كنّا نعلم صدقكم عليه و أنكم غير كاذبين فيما تروونه عنه؟ و أنتم باعترافكم غير معصومين من الكذب و السهو و الغلط، و الاعتماد لكونكم على هذه الصفة احتجتم إلى إمام معصوم وافر؟ و إذا كان ذلك كذلك فلا سبيل لهم إلى دفع ما ألزمناهم. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۱۳ و يقال لهم: أنتم تعلمون أنّ الكيسانيّة تكذبكم و تجحد إمامكم و تدّعي أن الإمام الذي عنده علم ذلك لا سبيل إلى الوصول إليه، فإنّه مقيم بجبال رضوى «۱»، أسد عن يمينه، و أسد و نمر عن شماله، و يحفظانه إلى يوم يخرج فيظهر الحق، و يقمع الباطل و أهله، فأيكم يصدّق؟ و من منكم أولى أن يتبع على هذه الخرافات و التّرّهات. و منكم من يقول إنه بعسقلان «۲»، و منكم من يقول بالطالقان «۳»، و منكم من يقول: لا- أعرف داره، و لا أصدّق من أخبر بلقائه، و كل هذا يدل على علمكم ببطلان ما أنتم عليه في هذه الدعاوي، و أن تعلّقكم في دفع ما تسألون عنه أحيانا أو تصحيحه بإقرار الإمام له أو إنكاره: من المهرب و الفرار، و من جنس اللّعب و المجون، نعوذ باللّه من التلاعب بالدين و الإدغال لأئمة المؤمنين. قال أيّده اللّه «۴»: و ما يجابون به عن هذا الاعتراض أيضا: أن في الأمة من يقول: لا- أعلم أنّ من القرآن المنزل ما قد نسخ رسمه و رفعت تلاوته،

(۱) جبال رضوى، جبل بالمدينة، و هو من ينبع على مسيرة يوم، و من المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، و مياسره طريق البريراء، و هو على ليلتين من البحر، و هو جبل بين ينبع و الحوراء. «معجم البلدان» (۳: ۵۱). (۲) عسقلان: هو الإقليم الثالث من جهة المغرب خمس و خمسون درجة و عرضها ثلاث و ثلاثون درجة، و هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة و بيت جبرين، و يقال لها عروس الشام، نزلها بعض الصحابة. المرجع السابق (۴: ۱۲۲). (۳) قال ياقوت الحموي: هما بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ و بلخ، بينهما و بين مرو الروذ ثلاث مراحل، و هي أكبر مدينة بطخارستان، و هي مدينة في مستوى الأرض، و بينها و بين الجبل علوة سهم، و لها نهر كبير و بساتين. المرجع السابق (۴: ۶). (۴) هذا من كلام الناسخ. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۱۴ و أنّ جميع الأخبار في ذلك أخبار آحاد لم تقم بها الحجة، و لا يجوز القطع على إنزال قرآن و نسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها، و هذا يبطل أيضا اعتراضهم إبطالا ظاهرا. دليل آخر: مما يدلّ على صحة القرآن و بطلان ما يدّعونه فيه من النقصان و الفساد ما صحّ و ثبت من شدّة نصرة السلف للرسول صلى اللّه عليه و سلّم و بذل أموالهم و أنفسهم و الجهاد بين يديه، و قتلهم لآبائهم و إخوانهم في نصرته و تشييد دعوته و إقامة دينه و شريعته، و ما كان من هجرتهم الهجرتين و ما احتملوا من العذاب في اللّه، و حملوا أنفسهم عليه من مفارقة العز و الأهل و الأوطان و الدّعة، إلى القلة و احتمال الهوان و الضّيم و الانتقال عن الديار، و أنّ من هذه صفته و سبيله لا يجوز عليه أن يقصد إفساد ما نصره، و إبطال ما أيّده، و القدح فيما دان به، و رأى الاستنقاذ من النار باعتقاده و الانقياد لمورده، و إذا كان ذلك كذلك و كانت الرافضة تدّعي أن فيما كتمه القوم من القرآن و غيره ما يعلم أنّه لا- غرض في كتمانه و تغييره، و لا طائل لهم فيه و لا هو مما يتعلّق بولاية أحد و البراءة من غيره، و لا تقتضي تفضيل تيم و عديّ و بني أمية على بني هاشم، و لا ينقص الولاء و لا يفسد البراءة، و لا يوجب رئاسة، و لا يقتضي عاجل نفع و رئاسة، و لا يعود بصلاح عاجلة و لا آجلة في النفس، و لا في العاقبة و الذرية، و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ من هذه سبيله لا يجوز أن يحمل عاقل ليس بذي دين نفسه عليه؛ فضلا عن أهل الوقار و الدين و حسن النسك و المسألة و الجهاد. فمن التغيير الذي ادّعوه و لا- غرض/ لعاقل منه قولهم إنّ أبا بكر و عمر و عثمان و الجماعة فصلوا بين الكلام

المتصل المتناسب و عضوه حتى صار منبترا غير مقيد، و قدّموا المدنىّ على المكى فى الكتابة و الرسم، فاللّه الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١١۵ سبحانه بزعمهم قدّم المكّى على المدنى فى التأليف و الترتيب، و نقصوا قوله (و هى صلاة العصر) من قوله: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: ٢٣٨]، و حذفوا قوله: (و نوائب الدهر، و إن فيه إلى آخر الدهر) من سورة العصر، و أسقطوا قوله: (و الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة نكالا من اللّه، و اللّه عزيز حكيم)، أثبتوا مع ذلك الحكم و فرض الرجم على المحصنين، و أبدلوا مكان قوله: (صراط من أنعمت عليهم) ب: الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، و حذفوا من قوله: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّام (متتابعات) [المائدة: ٨٩] ذكر التتابع، و حذفوا من قوله: وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً [الكهف: ٧٩] قوله: (صحيحة)، و أبدلوا مكان قوله: (و لقد نصركم اللّه ببدر و أنتم ضعفاء) بقوله: وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ [آل عمران: ١٢٣]، و أسقطوا من قوله: (حتى تسلّموا و تستأنسوا) ذكر الاستئناس، أسقطوا من قوله: قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ [النمل: ۴٠]: (أنا أنا أنظر فى كتاب ربى اللّه، ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)، فى أمثال لهذه الترّهات التى قد رويت رواية الآحاد عن قوم من السلف يطول تتبعها، قد نقلوها من تصانيف أصحاب الحديث و رواة الشواذّ، و علّقوها على الصحابة، و ادّعوا أنّ الأئمة و العترة الهادية وقّفتهم على حذف القوم لها و قصدهم إلى نقصانها، و هى بأسرها موجودة فى كتب من صنف القراءات و ذكر الشواذّ من الروايات، و قصد إلى الإلباس على الجهّال من أتباعهم، و قد بيّنا فيما سلف أنه لا غرض لعاقل فى هذا الباب و لا نفع فى عاجل و لا آجل يجرى بذلك إليه، و إذا كان ذلك كذلك ثبت كذب هذه الروايات و كذب من ادّعى على القوم اعتمادهم التخليط فى التأليف و نقصان ما لا غرض فى حذفه. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١١۶ فإن قالوا: ما أنكرتم أن يكونوا إنما قصدوا بذلك الإفساد/ للشريعة و إيقاع الخلل و التخليط فى الكتاب معاندة للدين و الرسول فقط، قيل لهم: ما قدمناه من وصف دينهم و تشدّدهم و عظيم عنائهم و نصرتهم و إنفاقهم و جهادهم فى تأييد الدين و نصرة الرسول و إقامة كلمة الحق: ما ينفى ذلك عنهم، و كيف يقصد مثل هذا من قتل أباه و أخاه و عشيرته فى نصرة الدين و مورده، و أنتم إلى التهمة بإفساد الدين و الطعن على الشريعة و القرآن و إيقاع التخليط و الإلباس فيما يتعلق بالدين أقرب، فلذلك يقدمون على قذف الصحابة و الجلّة من الأئمة بمثل هذه الأمور، ليحمل العامة أنفسهم على ثلب السلف، ثم ثلب من قدّمهم اللّه و أجلّهم و أظهر إكرامهم، و أنتم تعترفون بأن النبى صلى اللّه عليه و سلّم فعل بهم ذلك، ثم بثلب من وادع هؤلاء، و أخذ عطائهم و حكّم مصحفهم و قرأه و أقرأ أصحابه به، و لم يعرض لنقض أحكامهم، و أورد التمويه و الكلام المحتمل للتأويلات فى بعضهم، ثم ثلب من أظهر تسليم الامر إلى من هو شرّ من الطبقة التى قبله، ثم كذلك إلى وقتنا هذا. و قد علمتم أن كثيرا من الناس من يحكى أن كثيرا منكم يبرأ من الرسول حيث قرّب هؤلاء القوم و لم يكشف للناس حالهم، ثم يرقى إلى ثلب جبريل و صاحب الرّوشن، ثم يختم ذلك بأن يقول: كل هذا التخليط من قبل اللّه الذى وثّق هؤلاء و جعلهم وسائطا إلى خلقه متحملين لرسالته، و ربما كنّى عنه- جلّ ثناؤه- بالقبسىّ، و كل هذا تلاحد و تلاعب بالدين و إدغال له و لأهله، و فتح باب ماحل به، فأنتم فى شتم السلف و قذفهم بما قد نزّههم اللّه عنه أقرب إلى قصد عناد الرسول و الطعن فى الدين و القدح فى أئمة المسلمين. دليل آخر: و مما يدلّ أيضا على أن الصحابة لم يثبتوا فى المصحف إلا ما كان ظاهرا مشهورا بينهم و أن نقلهم لجميع القرآن واقع على وجه تقوم به الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١١٧ الحجة و ينقطع العذر علمنا بأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم ألقى القرآن إلى جميع الأمة و بيّنه و نشره و أظهر أمره فيهم على طريقة واحدة، و أنه/ بيّن لهم أنّ يوسف و الرعد و الأحزاب و لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا [البينة: ١] مما أنزل عليه و أقر برسمه كما بيّن لهم ذلك فى الحمد و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و البقرة و آل عمران، و أنه كان يبلّغ ذلك و يؤدّيه و يظهره و يعلنه تبليغا واحدا و على طريقة واحدة متساوية، و أنه لا يجوز فى وضع العادة أن يكون قد عرف من حال الرسول أنه ربما بيّن بعض القرآن للكافّة أو من ينقطع به العذر منهم فى نقله عنه، و ربما لم يفعل ذلك فى بعضه و بيّنه الواحد (و الاثنان) «١» و من لا يحجّ خبره و لا يعلم صدقه و لا ينقطع العذر بقوله، لأمرين: أحدهما: أنه لا يخلو مدّعى إلقاء ذلك من أن يكون مفصّلا لهذا الباب و عارفا بما يذكر أن رسول اللّه ألقاه و بلّغه بلاغا قطع به العذر، و أقام به الحجة و ما ليس هذه سبيله منه أو غير عارف بتفصيل ذلك، فإن كان عارفا به و ادّعى أن

البيـان العـامّ وقـع منـه فى البقرة و آل عمران و لم يقـع فى الأـحزاب و لَمْ يَكُنْ قيـل لـه: مـا أنكرت أن يكـون ذلـك إنمـا وقـع منه فى الأـحزاب و لَمْ يَكُنْ و العصـر، و لم يقع منه فى البقرة و آل عمران و الرعـد، فلا يجـد إلى دفع ذلك طريقا، لأن الأمـة تنقل ذلك عن نبيّها نقلا واحـدا متساويا، و إن كان غير عارف بـذلك قيل له: فأنت لا تعرف ما قامت به الحجـة من القرآن من غيره، و لعل الحمـد و جميع المفصّل مما لم يقم به الحجة به، و لعل قوله: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ [المائدة: ۵۵]، و قوله:* أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ

(۱) فى الأصل: الاثنين، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱۸ بِاللَّهِ [التوبـة: ۱۹] الآيـة، و قوله: إِنَّمـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ۳۳] و جميع ما يـدّعونه فى علىّ و أهل البيت ما لم تقم الحجّـة به، و لعلّ الحجّـة لم تقم بقوله: يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (۲۷) يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا (۲۸) [الفرقان: ۲۷- ۲۸] و جميع ما يدّعون أنه نزل فيمن يبرءون منه من الصحابة مما لم تقم به الحجّة فلا يجدون إلى دفع ذلك سبيلا. و الوجه الآخر:/ أنه لو عرف من حال الرسول أنّه ربّما ألقى القرآن إلقاء خاصا إلى الواحـد و الاثنين لوجب أن ينقل ذلك الأمة عنه و أن يعرف من دينه كما عرف ذلك من حاله فى الأحكام التى كان بيّنهما على الوجهين جميعا، فلمّا لم يكن ذلك كـذلك و لا كان هذا معروفا من حال النبيّ صـلى اللّه عليه و سـلّم بطل ما قالوه. و يدلّ على فساد ذلك أنّه لو جاز لمدّع أن يدّعى أنّ ما هو من أصل الدين و أسّ الشـريعة و معدن علمها، و مفزع الأمّة المتعبّدة بها و ملجئها، و منتهى علمهـا و الفاصـل بينها: ما كان يبشّـر الرسول صـلى اللّه عليه و سـلّم بيانا خاصا لا تقوم به الحجّـة لساغ أن يـدّعى مثل ذلك عليهم فى النصّ على الإمام المفروض الطاعـة عنـدهم بعـده، و لساغت هـذه الدعوى فى بيان كثير من أركان الصـلاة و الحج و صـيام رمضان و تحريم القتل و الخمر و الزنا و اللواط و غصب الأموال، و أن يقول قائل و يتوهّم متوهّم أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلّم كان ربما ألقى كثيرا من أحكـام هـذه الأـمور إلقاء خاصّا لا تقوم الحجـة بمثله، و أنه كان يسـتثنى فى حكم جميعها أمورا يسوّغها لبعض أمته و يلقيها إليه وحـده دون غيره من تجويز الأكل فى أيام الصـيام، و إباحة الصـلاة بغير وضوء، و ترك حضور عرفة و طواف البيت و رمى الجمار، و يسوغ له فى كثير من الأوقات الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۱۹ ترك الصلاة لغير علّة و لا عذر يبيح له الإفطار فى بعض أيّام الصـيام من رمضـان، و أن يترك سـائر الكفّارات، و أن يشـرب الخمر، و يقتل النفس، و يسـتبيح الفرج، و يغصب الأموال، و أنّ ذلك كـان معروفـا من عادة الرسول و حاله فى بيان هـذه الأمور، و أنّنا لا نأمن أن يكون قـد حضّ كثيرا من صـحابته بإطلاق هـذه الأمور و إباحتهـا، و فى هـذا تعطيل الـدين، و الشكّ فيه، و الخروج عنه، و لا سبيل إلى الخلاص منه. و إن هم قالوا فى جميع هـذا: لا يجوز ما طالبتمونا به فى هذه الأمور لإجماع الأمّة على أنّ ذلك لم يقع من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلّم، قيل لهم: أنتم لا تحفلون بالأمّة و لاـ تكترثون بقولهـا،/ إنمـا يجب أن تعرفوا مـذهب الإمـام المعصوم فى ذلك فقط فإنه هو الحجّـة، و لعلّ مـذهب الإمام فى بيان هـذه الأمور و الفرائض ما ألزمناكموه، و أنتم لا تعرفون ذلك من دينه، و إن ادّعيتم أنكم قـد عرفتم دينه فى هـذا لم تكونوا حجّة فى الخبر عنه و قلبنا دعواكم، و قلنا لكم: فكذا تقول الشيعة الموافقة لنا على أنّ نقل جميع القرآن شائع ذائع قد قامت به الحجّة، و أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلّم بيّنه بيانـا واحـدا: إنّنا لا نعرف أنّ هـذا دين الإمام فى نقل القرآن و إذاعته، و بيان الرسول، فلا يجـدون إلى دفع ذلك سبيلا، و إذا كان ذلك كـذلك صـحّ بهذه الجملة أنّ نقل جميع القرآن قد قامت به الحجة و انقطع العذر، و أن بيان الرسول له وقع على وجه واحـد، و أنّ كلّ طريق يثبت به قيام الحجّـة بالبقرة و آل عمران و الحمـد و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و كلّ آية يحتجّ بها الشـيعة هو الطريق الـذى يجب به قيام الحجّـة بنقل سورة من القرآن و آية من آياته و كلمة من كلماته. و كذلك فلا يجوز أن يكون الرسول صلى اللّه عليه و سـلّم يلقى بيـان بعض القراءات و الأـحرف التى نزل عليهـا القرآن إلقـاء خاصّـا لا تقوم به الحجّـة، لأنّه ليس الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۰ مـدّع ذلـك فى بعض الأحرف أسـعد من مخالفيه و مـدّعيه فى غير ما ادّعاه، و لأنّ ذلك لو كان كـذلك من الرسول لـو تجب أن يعرف من دينه، و أن ينقـل ذلـك عنه نقلاـ تقوم به الحجّـة، و لأـنه بمثابـة دعوى ذلـك فى بيـان بعض أحكـام

الفرائض العامّـۀ اللازمـۀ للأعيان المشـهورة من دين الرسول. و إذا كان ذلك كذلك بان أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم قد بيّن جميع القرآن و صـدع به و قطع العـذر فى بابه فى بيان جميع وجوهه و أحرفه التى تدلّ عليها، و أطلق القراءة بها، و أخبر أنّ اللّه شـرع تسويغ القراءة بها. و ممّا يدلّ على ذلك أيضا و يوضّـحه وجودنا جميع الأمّة فى زمن أبى بكر و وقت جمعه للقرآن، و فى أيام عثمان و جمعه النـاس على الأـحرف و القراءات/ التى أثبتها و أخـذ الناس بها متفقين مطبقين على إثبات ما أثبتوه من القرآن و القراءات، فلو كـان من ذلـك ما نقل إليهم نقل الآحاد و ما لم يقم به الحجّـۀ و لا انقطع العـذر لم يجز فى مسـتقرّ العادة و موضوعها أن يطبقوا على إلحاق قرآن و قراءة تروى لهم من جهۀ الآحاد لم تقم به حجّة بالقرآن و القراءة الثابتة المعلومة من دين الرسول صـلّى اللّه عليه و سلّم بـالخبر الظاهر المسـتفيض القاطع للعـذر، و أن يخلطوا ما لم يعلم من ذلك و لم يثبت بالخبر الظاهر المعلوم، و لكان لا بـد فى مسـتقرّ العـادة من أن يمتنعوا من ذلك أو أكثرهم، أو أن يقول خلق منهم: كيف يجوز أن يلحق بما قـد علمناه من القرآن و القراءات و تيقّناه و انقطع عذرنا فيه ما لم نعلم صـحّته و لا ندرى لعلّ الرسول لم يبلّغه و لم ينزل عليه، أو لعلّه بلّغه و أنزل عليه على غير هذا الوجه و أن يمرجوا و يموجوا فى ذلـك، و يكثر خوضـهم و يكون الرادّ لـذلك و المنكر له و المـانع من إثبـاته و إلحـاقه بالظـاهر المعلوم أكثر و أغلب من الراضـى به و المسوّغ له، لأنّه لا يجوز على مثل عـددهم فى فضـلهم و دينهم و أماناتهم أن الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۱ يهملوا ذلـك و أن يسـتجيزوا ترك قراءة قرآن قـد قـامت به الحجّـۀ إلى قراءة و قرآن و تلاوة على وجه لم تقم به الحجـۀ و لاـ انقطع العذر، و يدوّنونه و يعظّمونه تعظيم ما علموه فى دين نبيهم عليه السـلام، كما أنّه لا يجوز على مثلهم فى حالهم تعظيم الشـعر و الآداب و كتب الفلسـفة و التنجيم على كتـاب ربّ العـالمين، و إلحـاقه بـدرجته، أو أن يعظّمـوا هـذه الكتب و يمتهنـوا المصـاحف و يحتقروا القرآن، و لأجل أنّ العادة ممتنعة من كل أهل علم و صـناعة تعظيم لعالم و علم صـنّفه و كتاب وضعه هو معظم علمه و موضع شرفه و فضـيلته، و قـد عرفوا مـا وضـعه منه و تيقّنوه و لقّنوه عنه، و شاهـدوا إثبـاته له و حثّه عليه و أمره بـالرجوع إليه أن يلحقوا بمـا فى ذلك الكتـاب مـا يرد عليهم عن ذلـك العـالم المصـنّف ورود الآحـاد الـذى لا يعرف صـدق ناقله و راويه. و كـذلك ما/ لا يجـد الفقهاء و المتكلّمين و الشـعراء و المتأدّبين و الفلاسفة و المنجّمين يستجيزوا أن يلحقوا «بموطإ مالك» و «مختصر المزنى» «۱» و «المقتضب» «۲» و «إقليدس» و «المجسطى» «۳» و (قفـا نبك من ذكرى حبيب و منزل) ما يرد عليهم الورود الشاذّ الـذى لا يعرفونه و لا يحقّقونه تحقيق معرفتهم بما تضـمنته هذه الكتب من الأمر الظاهر المشـهور، هذا معلوم بالعادة و الطباع، فكتاب اللّه أولى بذلك، و السلف الصالح من الأمّـۀ أحـقّ من (____ ۱) الإمام العلامـۀ أبو إبراهيم إسـماعيل بن يحيى بن إسـماعيل بن عمرو المزنى المصرى، أحد أبرز و أجلّ تلامذة الإمام الشافعى، توفى سنة أربع و ستين و مائتين. «سير أعلام النبلاء» (۱۲: ۴۹۲). (۲) مؤلف كتـاب «المقتضب» هو أبو العبـاس محمـد بن يزيـد المبرد، و هو أول كتـاب عالج مسائل النحو و الصرف بالأسلوب الواضح و العبارة المبسوطـة، و الذى يظهر أنه ألّفه أثناء شـيخوخته. «المقتضب» (۱: ۷۰، ۷۲). (۳) هـذه أسـماء كتب لبعض الفلاسـفة سبق الحديث عنها. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۲ سـبق إلى إنكـار إلحاق شـىء غير معلوم عن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بما ثبت و علم عنه من كتاب اللّه الذى هو الأمل و المفزع، و عليه عند الكافّة العماد و المعوّل. و إذا كان ذلك كذلك وضح بهذه الجملة قيام الحجة بنقل جميع القرآن الثابت فى مصحفنا و القراءات، و أنّ ذلك أجمع ثابت معلوم من دين الرسول صـلّى اللّه عليه و سـلّم و إثباته لجميعه و قليله و كثيره و لطوال سوره و قصارها، كان على وجه واحـد فى الإذاعـة و الإعلان و الإشاعة و القصد إلى إقامة الحجة و إثبات الحفظ له عنه، و حصول العلم به، و هذا ما لا شبهة على عاقل فيه. و مما يدلّ أيضا على أنه لا يجوز أن يكون قـد ذهب و سـقط على الأمّـۀ حفظ شـىء من كتاب اللّه مما قلّ أو كثر، و أن الـذى بين الدفتين هو جميع كلام اللّه الذى أقرّ برسـمه و إثباته و حفظه أنه لو كان قد ضاع منه شـىء و ذهب علمه و حفظه على الأمّة لم يخل ذلك الضائع الذاهب من أن يكون سورة كاملـة من سور القرآن أو آيات من سورة معروفة أو كلمات من آيات من السور، و لكان أيضا لا بد من أن يكون سـبب سقـوط ذلـك و ذهـاب علمه و معرفته عن الأمـة هـو أنّ الرسول لم يبلّغ ذلـك و يصـدع به و يؤدّيه، لو أنّ الأمّـۀ لم تصغ إلى مـا أدّاه

الرسول من هـذا الضـائع و لم تعه و لا حفظته عنه و لا أحفلت به و أعظمته، بل كـذّبته فيه و ردّته و صـغّرت شأنه و حقّرته، و لم تحلّه محلّ غيره مما تلى عليها فحفظته و أعظمت شأنه و انصرفت هممها إلى حفظه و العلم به، فإن كان ذلك لأجل أنّ الرسول لم يؤدّه/ و يبلّغه و يقوم بحقّ اللّه فيه و فى تلاوته عليهم و أمرهم بحفظه، فهـذا طعن على الرسول و قـدح فى نبوّته و دينه و أمـانته لاـ شـىء على الأمّـهٔ فيه و لاـ لوم و لا عيب، و نحن فلم نوجب على الأمّـهٔ حفظ ما لم يبلغها و يؤدّى إليها، و ليس فى المسلمين من يستجيز وصـف النبىّ بهـذه الصـفهٔ و يحلّون فى هـذه المنزلهٔ مع اعتقاد تصديقه و نبوّته. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۳ و إن كان السبب فى سقوط حفظ ذلك و ذهابه على الأمّـهٔ أنها لم تصغ إليه و لا أحفلت به و لا صـدّقت الرسول فيما أتى به منه فـذلك محال، لأنّه ليس من دين أحـد من المسلمين اعتقاد شـىء من هذا فى القرآن و لا فيما دونه من السـنن و الآثار، و لأنّ الأمّهٔ مطبقهٔ و غيرهم من الملل و كل من عرف سيرهٔ المسلمين فى تلقّى القرآن من النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يعلم أنه لم يكن هذا دين المسلمين أو رأيهم أو أحدا منهم فى شىء من القرآن الـذى يتلوه عليهم و يخبر بـأنّه منزّل من عنـد اللّه، بـل كـانوا على سـجيّهٔ واحـدهٔ و نمـط متساو فى حفـظ القرآن عن الرسول و تعظيم جميعه و انصـراف هممها إلى تحفّظه و اعتقاد تعظيمه و تصـديق من جاء به. و لو ساغت مثل هـذه الـدعوى لمدّعيها لساغ لآخر أن يدّعى أنّ القرآن الذى تلاه رسول اللّه صـلى اللّه عليه على أمّته و أمرهم بحفظه كان أكثر من مائهٔ ألف ألف ألف آيهٔ، و إنه كان يزيـد على ألف حمل بعير، غير أنّ الأمـهٔ لم تحفظ منه إلا هذا القدر، و لم تع الباقى عن الرسول و لا اكترثت به و لا عظّمته و لا أصـغت إليه، و لا كانت حالها فى قبوله و الحرص على تحفّظه و تعلّمه كحالها فى قبول هـذا القـدر الحاصل فى أيدينا و الحرص على تحصـيله و الإحاطهٔ بعلمه، فذهب كلّ ما تلاه عليهم عنهم، و بقى هذا القدر اليسير لشهوتهم بحفظه و خفّهٔ ذلك على قلوبهم، أو لتعظيم هـذا القرآن أكثر من تعظيمهم كان لما «۱» لم يصـغوا إليه و لاـ يعلموا بحفظه، و هـذا جهـل ممن صار إليه و دان به، و لو ساغ مثـل هـذا لقـائله لسـاغ لآـخر أن يقـول: إنّ الثـابت فى شـريعهٔ الرسـول مـن الفرائض و السّـنن و الحـدود و الأـحكم أضـعاف مـا فى/

---

(۱) هكذا فى الأصل، و لعل الصواب: «لما كان».

الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۴ أيدينا من ذلك، و أنه قد ذهب على الأمّهٔ حفظ أكثر ما شرعه الرسول لها، و إن كانت قد حفظت هـذا القدر الباقى لأجل أنّها لم تحفظ تلك الأحكام و الحدود و الفرائض لتركهم للإصـغاء للرسول عليه السـلام و قبول ذلك منه، و قلّهٔ احتفـالهم به، و إنّما حفظوا هـذا القـدر لخفّته على قلوبهم، أو لسبب أوجب ذلك لا يعرفونه، و من بلغ إلى هـذا فقـد ظهر جهله، و كفينا مئونـهٔ كلامه. و إن كان هذا و الذى قبله محالا و كانت الأمّهٔ قد حفظت عن الرسول صـلّى اللّه عليه جميع ما أتى به من القرآن و عظّمته و جرت فى تفخيم شأنه على سبيل واحـد غير أنّها أسـقطت ذلك فتركت نقله و ضـبطه بعد أن كانت و عنه و حفظته فذلك أيضا محال، لأنّه لا يخلو سقوط ذلك عليها و تركها لإثباته من أن يكون عن قصد منهم إلى ذلك و مواطأهٔ و تراسل على طيّه و كتمـانه، أو باتفـاق ذلـك و سـهو سـائرهم عنه عن غير قصـد إلى ذلـك و لا اعتماد لتركه و تواطئ على كتمانه فيسـتحيل أن يكون ذلك واقعا منهم بعـد حفظه و معرفته على سبيل القصـد و الاعتماد و التشاعر و التراسل على كتمانه، لأنّه لو كان ذلك كذلك لوجب فى مستقرّ العادهٔ و مقتضاها أن يظهر عليهم و عنهم ذكر هذا التواطى أو التراسل، و أن يدور الحديث به بينهم، و يعلم ذلك من حالهم فى يسير الوقت و أقصر المدّهٔ، فإن يذكروا أسبابهم و دواعيهم الباعثهٔ لهم على كتمان ما قد عرفوه و سمعوه من القرآن حتى لا يخفى على أحد عرفهم و تأمّل بأحوالهم و خالطهم أنّهم أهل تراسل و تشاعر على إنكار ما عرفوه و دفع ما علموه، فلمّا لم يظهر ذلك عليهم و يعلم من حـالهم ثبت بـذلك أنّهم لم يتواطئوا على كتمـان شـىء من كتـاب اللّه. و لو جـاز أن يكتموا من القرآن سورهٔ أو سورا أو آيـات بقـدر سورهٔ أو سور منه لأسـباب تعنيهم أو أغراض و بواعث حـدتهم عليه، ثم لاـ يظهر ذلـك الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۵ عليهم و لاـ يعرف من حـالهم لجـاز أن يقع منهم/ تواطؤ و تراسـل على كتمـان فرائض كـثيرهٔ، و أحكـام و حـدود هى أكثر ممـا نقلوه لأسـباب دعتهم إلى ذلـك، ثم لاـ يعرف ذلـك من حـالهم و أن يتفقوا على كتمـان وقائع كثيرهٔ و غزوات و حروب هزموا فيها، و نال الرسول فى سائرها جراح و كلوم، و قتل كثير من أصـحابه و جلّهٔ الأئمـهٔ الأربعـهٔ، و أن يتفق لهـم التواطؤ على كتمان أسـر قريش للنبى

صلّى اللّه عليه مرات، و أن يطبقوا على كتمان معارضة القرآن و سائر آيات النبيّ صلّى اللّه عليه، ثم ينكتم ذلك عليهم، و لا يعرف الاتفاق عليه من أحوالهم، فكذا لا نأمن أن يكون قد كتموا فرض عشر صلوات كانت مفروضة مع هذه الخمسة، و فرض صيام شهور أخر فرض صومها كفرض رمضان، و حجّ واجب و حدود و أحكام هى أكثر مما فى أيدينا، و أن لا نأمن أن يكون النبيّ صلّى اللّه عليه قد غزى ألف غزاة و أسر ألف مرّة و قتل من أصحابه خلق هم فى محلّ أبى بكر و عمر و عثمان و عليّ و حمزة بن عبد المطلب «۱» و سعد بن معاذ «۲»، غير أنّهم كتموا ذلك أجمع، و اتّفقوا على طيّه. و أن لا يأمن بأن يكون القرآن قد عورض بمثله و سائر آياته، و اتّفقت الأمّة أو معظمها على جحد ذلك و إنكاره، فإن مرّوا على ذلك هذا كفينا مئونة الكلام معهم، و صاروا إلى القدح فى الرسالة و جحد العادة (____. ۱) ابن هاشم بن عبد مناف القرشى، أبو عمارة عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أخوه من الرضاعة، ولد قبل النبى بسنتين، و أسلم فى السنة الثانية من البعثة، و استشهد بضربة وحشى فى غزوة أحد فى السنة الثالثة. «الإصابة» (۲: ۱۰۵). (۲) ابن النعمان الأنصارى الأشهلى، أبو عمرو سيد الأوس، شهد بدرا و استشهد من سهم أصابه فى الخندق، و مناقبه كثيرة. «التقريب» (۱: ۳۴۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۶ و إن أبوه و قالوا: لو وقع منهم اتّفاق على كتمان شيء من هذا لوجب ظهوره عليهم و العلم به من حالهم، و أن يعلم ذلك أيضا من ليس من أهل ملّتهم، لأنّ ذلك هو موجب العادة فى كتمان الجمّ الغفير و العدد الكثير فيما يتّفقون على كتمانه، و إن جاز حقّا تواطؤ الاثنين و النفر اليسير على ما يتّفقون على كتمانه. قيل لهم: و كذلك لو اتّفقت الأمّة أو عدد كثير منها على كتمان شيء من كتاب اللّه لوجب أن يظهر ذلك عليهم و يتحدّث به من أمرهم و يعرف من حالهم، و هذا ما لا جواب عنه. و يستحيل أيضا أنّ ما أسقطوا ما كان حفظوه عن الرسول من القرآن و وعوه بعد ذكرهم له و معرفتهم به، و تركوا إثباته لأجل سهو/ عن ذلك عمّهم، و نسيان شملهم، و عمّ سائرهم، لأنّه ممتنع على مثل عددهم فى العادة، و من هو أقلّ منهم فى العدد الكثير، و لو جاز ذلك عليهم لجاز أن يكونوا جميعا قد تركوا ذكر فرائض و حدود، و أحكام و حروب، و غزوات، و مقاتل فرسان جلّة، كانوا بمحلّ الصدر الأوّل، و تركوا أيضا ذكر آيات أخر للرسول هى أكثر مما نقلوه بأمر عظيم، لا عن سهو عن ذلك عمّهم، و نسيان لحق سائرهم و غفلة اقتطعتهم عن ذكر شيء منه، و من صار إلى ركوب مثل هذا فقد بلغ فى الجهل حدّا لا يرجى معه برؤه و استقامته، و لا يطمع فى الانتفاع بكلامه، لأنّ هذا أجمع دفع للضرورة و جحد لموجب العادة، أو آفة و غلبة تقطع صاحبها عن التميز، و يستحيل أن يكونوا إنّما تركوا إثبات ما سقط عليهم من القرآن لأجل هلاك من كان يحفظ تلك السّور و الآيات، التى ترك القوم إثباتها إمّا بالقتل أو الموت لأمرين: الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۲۷ أحدهما: أنه كان لا بد فى وضع العادة و مستقرّها من أن يتحدّث الباقون من الأمّة بأنّه قد ذهب قرآن كثير و سور، و آيات من سور بقيت منتثرة «۱» بذهاب حفّاظها، لأنه لا بدّ أن يكون علم ذلك مشهورا مستقرا عندنا فى الأمّة، و إن كانوا لا يحفظون ذهاب الذاهب على ترتيبه و نظامه و تعيّنه كما يعلم أهل بلد و إقليم من أقاليم المسلمين و قرية من قراهم اليوم أنّ من حفظ من الكهف إلى الناس فإنّه لم يحفظ جميع القرآن، و أنّ من حفظ عشرين آية من سورة البقرة فلم يحفظ سائرها، و إنّ ما لم يحفظه زيد من السّور هى السورة التى تسمّى كذا و سورة كذا، و إن لم يحفظوا هم أيضا ذلك القدر؛ لأنّ القرآن كان أشهر عندهم و أظهر من أن يخفى أمره، لأنّهم كانوا يتلقّنون ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه، سوره مرتبة منظومة على سبيل ما يتلقّنه الناس اليوم، و كان من لا يحفظ السورة منه/ يعلم أنّ فى القرآن سورة تدعى بكذا و إن كان لا يحفظها، هذه هى العادة فى علم الناس بالقرآن و معرفتهم بجملته حفاظا كانوا له أو غير حفّاظ. و إذا كان ذلك كذلك وجب أنه لو سقط من القرآن سور و آيات لهلاك من كان يحفظ ذلك أن يعلم الباقون من الأمّة أنّه قد ذهب كثير من القرآن، و أن يتحدثوا بينهم حديثا لا يمكن معه الجهل بما ضاع من القرآن لذهاب حفظته، و لو كان منهم قول فى ذلك و تحدّث به لوجب أن ينقل ذلك عنهم، و يتّسع ذكره فيهم، و فى علمنا بأنّ ذلك لم يكن: دليل على بطلان هذه الدعوى. و الوجه الآخر: أنه لا يجوز فى مستقرّ العادة أن يتّفق القتل و الموت و الهلاك بأيّ وجه كان بجميع من كان يحفظ الذاهب من القرآن و بقاء

(____ ۱) لعلها: مندثرة. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۲۸ الحافظين لغيره، كما أنّه لا يجوز أن يتّفق هلاك جميع من يحفظ سورة الكهف و بقاء جميع من يحفظ مريم و عطب «۱» كلّ حافظ لشعر جرير و بقاء كل حافظ لشعر الفرزدق، و هلاك جميع المرجئة و بقاء سائر المعتزلة، و عطب جميع من يحفظ مسائل و بقاء جميع الحفّاظ للوصايا، كلّ هذا باطل ممتنع فى مستقرّ العادة، و ذلك لا يجوز فيها هلاك جميع من حفظ شيئا من كتاب اللّه، و بقاء الحافظين لغيره منهم. و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّه لا يجوز سقوط شىء من القرآن بهذا الضرب من الضياع و هلاك الحفّاظ له دون الحافظين لغيره، فإذا كان كذلك ثبت بهذه الجملة أنه لا يجوز ضياع شىء من كتاب اللّه تعالى و ذهابه على الأمّة بوجه من الوجوه التى عددناها و وصفناها، و لا- فرق بين أن يقول القائل إنّ الذاهب على الأمّة سور من القرآن أو سورة منه طويلة أو قصيرة أو آيات أو آية من سورة لأجل أنّ جميع القرآن كان ظاهرا مستفيضا عندهم على عصر الرسول و حين أدائه إليه و تبليغه لهم، فكما أنّه لو هلك حفّاظ سورة منه ليس عند الباقين حفظها وجب علم الباقين من الأمّة بها و إن لم يحفظوها/ لأجل شهرتها فيهم و ظهور أمرها، فكذلك يجب عليهم بذهاب الآية منه سقوطها بهلاك حفّاظها لأجل شهرتها، و معرفتهم فى الجملة بها. و لو ساغ و جاز أن يذهب عليهم حفظ آية أو آيات نزلت و رتّبت فى بعض السور بذهاب حفّاظها لساغ أيضا و جاز أن يذهب عليهم سور كثيرة من القرآن أو سورة منه قد كانت أنزلت مع السور، و أن يخفى أمرها لذهاب حفّاظها و هلاكهم، فإن مرّوا على ذلك تجاهلوا (____ ۱) العطب: العلاك، «مختار الصحاح» (عطب) ص ۱۸۴. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۲۹ و إن أبوه قالوا: يجب أن لا- يخفى نزول السورة على من حفظها منهم و من لم يحفظها، قيل لهم: و كذلك لا يجوز أن تخفى عليهم آية منه إذا سقطت لأجل ذهاب حفّاظها، لظهور أمرها و علمهم بنزولها، و أمر الرسول لهم بإثباتها. فإن قالوا: نزول السورة أظهر فيهم و أشهر من نزول آية مضافة إلى سورة. قيل لهم: ما الفصل بينكم و بين من قال: بل نزول الآية و الآيتين المضافة إلى سورة من سور القرآن، فقد كانوا عرفوا نزولها من قبل، و أنّ تلك الآية لم تكن فيها، و لا مضافة إليها، أشهر و أظهر فيهم من نزول سورة بكمالها، لم يتقدم علمهم بها و تحفّظهم لها لأجل أنّ ما تقدّم نزوله و حفظ عاريا مجرّدا مما أضيف إليه يجب فى العادة أن لا يخفى البتة نزول ما نزل بعده و أضيف إليه، لأنّ الناس يعمدون أبدا لحفظ ما نزل و تجدّد و أضيف إلى ما سلف، و إلى ذكر سبب نزوله و قصّته و فيمن نزل و لأجل ما ذا ألحق بتلك السورة، و بنقل أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه الناس أن يضعوها فى السورة المعيّنة دون ما قبلها و بعدها، و كلّ هذا يوجبه أن يكون نزول الآيات الزوائد المضافة إلى السّور أشهر من نزول سورة كاملة، فإن لم يكن الأمر فيها كذلك فلا أقلّ من أن يكون فى الشهرة كهى، و إذا كان ذلك كذلك صحّ بجميع ما وصفناه أنّه لا يجوز أن يكون قد سقط و ذهب على الأمّة شىء من كتاب/ اللّه تعالى، و أن يكون الذى بين اللوحتين هو جميع ما أنزل اللّه تعالى، و بقى رسمه و أمر بحفظه و إثباته، و العمل به و الرجوع إليه، و أنّ من ادّعى ذهاب شىء منه لبعض الوجوه و الأسباب التى قدّمنا ذكرها فقد قال باطلا و جهل جهلا عظيما. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۰ دليل آخر: و ممّا يدلّ أيضا على صحّة نقل القرآن و أنّه هو المرسوم فى مصاحفنا على وجهه و ترتيبه الذى رتّبه اللّه جلّ و عزّ عليه، اتفاقنا و الشيعة على أنّ عليّا عليه السلام كان يقرأه و يقرئ به، و أنّه حكّمه أيام التحكيم من فاتحته إلى خاتمته، و أقرّ من حكّمه بإحياء ما أحيا و إماتة ما أماته، و أنّه كان يحتجّ و يستدلّ به و رجع إليه، هذا ما لا- خلاف بيننا و بينهم فيه، فوجب بذلك أن يكون نقله و تأليفه صحيحا ثابتا و أن يكون غير منقوص منه و لا- مزيد فيه، و لا- مرتّب على غير الوجه الذى أمر عليه السلام بترتيبه عليه، لأنّه لو كان فيه شىء من ذلك لسارع علىّ عليه السلام إلى إظهاره و إشهاره، و لكان تشدّده فيه أعظم من تشدّده فى كل ما حارب و نابذ عليه، و لم يحكّمه و لم يقرّه، و كان أحقّ الناس و أولاهم بذلك. و قولهم بعد هذا إنّه و إن كان قد فعل جميع هذا فإنّه قد أظهر أحيانا ضدّ ذلك، و أنّه كان فى إظهاره لذلك فى تقية و تحت غلبة: قول باطل و دعوى لا- برهان معها و لا شبهة فى سقوطها، و أىّ تقية تعاب عليه مع كثرة أجناده و نصّاره، و نصبه الحرب سجالا مع أهل البصرة و صفّين و حروراء و النخيلة و النهروان و قتل من قتل فى هذه المواقف لو لا

القحة «۱» و قلّة الدّين و التحصيل، و سنتكلّم بعد هذا فی إبطال تعلّقهم بهذه التقیة، و شدّة و هاء قولهم، و نذكر ضروبا من الكلام فيها و ما یعنی اليسير منها إن شاء اللّه، فبطل بذلك ما قالوه، و ثبت أنّ من مذهب علیّ عليه السلام فی اعتقاده: صحّة مصحف الجماعة و سلامة نقله و تأليفه من التخليط و الفساد مذهب سائر الأمّة فی وقته/ و من حدث بعده.

(______________________________________۱) وقح الرجل أی قلّ حياؤه فهو وقح و وقّاح. بيّن القحة بالفتح و الكسر فی القاف. «مختار الصحاح» (ص ۳۰۴). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۱

دليل آخر على صحة نقل القرآن و صحة تأليفه و ترتيبه

دليل آخر على صحة نقل القرآن و صحة تأليفه و ترتيبه و مما يدلّ على ذلك قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹] و قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، و قد ثبت بإجماع الأمّة منا و منهم أن اللّه تعالى لم يرد بهاتين الآيتين أنه تعالى يحفظ القرآن على نفسه و لنفسه، و أنه يجمعه لنفسه و أهل سماواته دون أهل أرضه، و أنه إنّما عنى بذلك أنّه يحفظه على المكلفين للعمل بموجبه و المصير إلى مقتضاه و متضمّنه، و أنّه يجمعه لهم فيكون محفوظا عندهم و مجموعا لهم دونه و محروسا من وجوه الخطأ و الغلط و التخليط و الإلباس. و إذا كان ذلك كذلك وجب بهاتين الآيتين القطع على صحة مصحف الجماعة و سلامته من كل فساد، و ليس لأنّه لو كان مغيّرا أو مبدّلا أو منقوصا منه أو مزيدا فيه و مرتّبا على غير ما رتّبه اللّه سبحانه لكان غير محفوظ علينا و لا مجموع لنا، و كيف يسوغ لمسلم أن يقول بتفريق ما ضمن اللّه جمعه، و تضييع ما أخبر بحفظه له، و لس هاهنا مصحف ظاهر فی أيدی الشيعة أو غيرهم يدّعون أنّه هو كتاب اللّه الظاهر المنقطع العذر به الذی حفظه اللّه على عباده! و كيف يدّعون ذلك و هم يزعمون أنّ ربع القرآن نزل فی أهل البيت و أنّهم و سائر الأئمة مسمّون فيه كما سمّی من قبلهم، و هم لا يعرفون من هذا الربع، و هذه التسمية شيئا، و يدّعون أن سورة (لم يكن) كانت فی طول البقرة، و لا يعرفون من الساقط عندهم منها شيئا، و يدّعون أنّ معظم الأحزاب قد سقط، و لا يعرفون ذلك، و أن سورة نزلت فی طول البقرة ليس الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۲ مع الناس من حفظها إلا كلمة أو كلمتين: «لو أنّ لابن آدم و اديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا، و لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، و يتوب اللّه على من تاب»، و لا عندهم مصحف يدّعون تواتر الشيعة أو غيرهم فی/ نقله عن علیّ عليه السلام أو عن أحد من الأئمة من ولده. و إذا لم يكن القرآن الصحيح السليم من عوارض الإلباس و الشّبه عندنا و لا عندهم و لا عند غيرهم من فرق الأمة؛ وجب لذلك أن يكون غير مجموع لنا و لا محفوظ علينا، و هذا تكذيب للّه تعالى فی خبره، و قبح افتراء و جرأة عليه، فوجب بذلك القطع على سلامة مصحف عمر و الجماعة، و كذب كلّ من ادّعى دخول خلل فيه ببعض الوجوه. فإن قالوا: ما أنكرتم أنّه و إن لم يكن محفوظا عندنا و لا عندكم و لا عند أحد من فرق الأمّة أن يكون محفوظا على وجه و هو أن يكون مودعا عند الإمام القائم المعصوم المأمور بإظهاره لأهله، فی حين ظهور و انبساط سيفه و سلطانه، فهذا ضرب من الحفظ له، يقال لهم: أقلّ ما فی هذا أنه لا أصل لما تدّعونه من وجود إمام معصوم منصوص عليه، و قد أوضحنا ذلك و دلّلنا عليه بوجوه من الأدلة فی كتابی الإمامة، و غيرها من الشروح و الأمالی بما يغنی اليسير منه، و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّه لا أصل لوجود هذا الإمام و لا معنى فی التعلّق فی حفظ القرآن و جمعه بإيداعه إياه. ثم يقال لهم: فيجب أن يكون اللّه سبحانه ما حفظ القرآن و لا جمعه لأحد من المكلّفين منذ وقت وفاة النبی صلّى اللّه عليه و سلّم و إلى وقتنا هذا، لأنّ عليا عندكم كان فی تقية فی أيام نظرة و قبلها و إلى أن توفی عليه السلام، و لا يظهر ما عنده ظهورا تقوم به الحجة، و إنما كان يعتمد فی الظاهر على مصحف عثمان و القوم كذلك، و إلى وقتنا هذا، و إنما يجب أن يكون القرآن محفوظا الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۳ وقت ظهور المهدی فقط، و على أهل عصره دون سائر الأعصار، و هذا خلاف الظاهر و الإجماع، و إن ساغ ذلك لمدّعيه ساغ لآخر أن يقول: أنّه ما جمع و لا حفظ إلا على أهل عصر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فی أيام حياته فقط، و أنّه مضيّع فی سائر الأعصار إلى يوم القيامة، و لا فصل فی ذلك. و كذلك إن قالوا: فكل إمام فی وقته لا/ يخلو من دعاة و أبواب

يوعز إليهم صحيح القرآن المودع عنده، قيل لهم: فيجب أن يكون محفوظا على الأبواب دون غيرهم، و إن ساغ ذلك ساغ لآخر أن يقول: إنه محفوظ على أهل عصر واحد فقط، و على قريش دون من سواهم أو على الأنصار دون غيرهم، و كلّ هذه الدّعاوى باطلة فارغة. فإن قالوا: فإن الدعاة و الأبواب يجب أن يؤخذ ذلك عنهم، و يرجع الناس إليهم، قيل لهم: كيف يجب ذلك و هم عندكم غير معصومين و لا كالإمام، بل يجوز عليهم الكذب و الغلط و التغيير و التبديل، فكيف يحفظ على المكلّفين القرآن بقوم هذه صفتهم، فإن صاروا إلى أنهم معصومون كالإمام، تركوا قولهم و ألزموا عناء الأمة بعصمة هؤلاء الأبواب عن الأئمة. ثم يقال لهم: و يجب أيضا على قولكم أن لا يكون القرآن محفوظا على جميع الأمة إذا ظهر الإمام و انبسط السلطان و تمكّن من إظهار مكنون علمه و مخزونه، لأنه إنما يظهر فى بعض بلاد المسلمين و لا يمكنه لقاء أهل الشرق و الغرب، و إنما يمكنه المشافهة بالبيان لأهل داره فقط، دون أهل سائر دور الإسلام. فإن قالوا: لا يجب ما قلتم لأنه يرسل رسله و أبوابه إلى أهل الأقاليم و الأطراف، قيل لهم: و ما ينفعهم ذلك و هم قد علموا أنّ الرّسل و الأبواب الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۴ غير معصومين، و أنّه يجوز عليهم الكذب و التبديل و التغيير و التحريف على الإمام و الشهود و الأغفال. ثم يقال لهم: أىّ فائدة و نفع فى إيداع صحيح القرآن إماما غائبا لا يقدر على إزالة جهالة، و لا إيضاح حجة، و لا كشف نقمة، و لا تجديد نعمة، و لا ردّ مظلمة، و لا يوصل إليه و لا يعرف له دار و لا قرار، و لا تقدّم منه قبيل غيبته بيان ما عنده، فيكون ذلك عذرا و غير مضرّ بالعباد غيبته و تقيته. و إن قالوا: هذا أجمع لازم لكم فى تجويز تقية الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم وقت غيبته و اختفائه فى الغار، يقال لهم: و لا سواء، لأننا نحن إنما أجزنا تقية الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بعد تقدّم بيانه/ و إيضاح ما حمّله و كثرة صبره على الأذى و المكاره، و مناظرته و تركه دعاة إلى دينه و مباينين لمخالفيه، و إن كانوا تحت الضّيم و الغلبة، و منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى يقول: «و اللّه لا يعبد اللّه سرّا بعد اليوم» صلوات اللّه عليهم، و يقول لهم: «لو بلغت عدّتنا مائة لعلمتم أنكم تتركونها لنا أو نتركها لكم» يعنى مكة، و أنه كان ينصب الحرب معهم بمائة، و يقول لهم فى جموعهم يوم هجرته و وقت غيبة الرسول عليه السلام: «شاهت الوجوه، لا يرغم اللّه إلا هذه المعاطس، إلا من أراد أن يرمّل زوجته و يوتم ولده فليلحق بى وراء هذا الوادى»، ثم يخرج عنهم مهاجرا معدّا شاكيا فى سلاحه. فلو توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى الغار لم يكن بقى عليه شىء يحتاج إلى إنفاذ و بيان، و ليست هذه حال إمامكم و لا صفته، لأنه لم يتقدّم منه بيان و لا إعداد، فشتّان بيننا و بينكم. فإن قالوا: أ فليس القرآن عندكم محفوظا و الشرع أيضا كذلك، و قد أدخل فى تأويل القرآن و فى أحكام الشرع ما ليس منه، و أخرج منه بعض ما الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۵ هو منه، و طعن فى ذلك أهل الزّيغ و الإلحاد، فكذلك حكم القرآن فى جواز تغييره و تبديله، و إن كان اللّه تعالى قد حفظه على الأمة و جمعه. يقال لهم: لا معنى لما أوردتموه، لأن مطاعن الملحدين و غلط المتأولين، و تحريف الزائفين و المنحرفين، لا يمنع من إظهار اللّه تعالى تأويل كتابه بواضح الأدلة و البراهين المنصوبة الناطقة بالحق، و صحيح النقل لأحكام الشرع، إما على وجه يوجب العلم أو العمل دون العلم، على ما رتّبت عليه عباداتنا، و لن يخلّينا اللّه تعالى فى جميع ذلك من حجة لائحة، و دلالة قاطعة ناطقة، و إن صرف النظر فيها أهل التقصير و الجهل، فهم عندنا فى ذلك بمثابة المكذّب بتنزيل القرآن، و الجاحد أن يكون من عند اللّه، و أن يكون معجزا للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و كلّ ذلك لا يخرجه عن صحة نزوله و كونه آية للرسول، إذ كانت الحجج على ذلك باهرة ظاهرة، و القرآن/ الصحيح الذى يدّعون ضياعه و ذهاب جمعه على الأمة غير ظاهر و لا موجود و لا منصوب لنا عليه دليل يوصلنا إليه بعينه، و يفرق لنا بينه و بين غيره، فشتّان ما شبّهتم به و ظننتم الاعتصام بذكره. و إن قالوا: أ فليس قد قال اللّه جل و عز: وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدی [الأعلى: ۳]، و قال: إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدی [الليل: ۱۲]، فضمن هدى العالمين و إن ضلّ منهم خلق كثير، يقال لهم: ليس الأمر على ما توهّمتم، لأن اللّه جل و عز أراد بهاتين الآيتين أن يهدى المؤمنين فقط و من فى معلومه أن يهديه و أن يأخذ خلقه لنفعه و المصير إلى جنته، دون من أضلّه و ختم على قلبه و سمعه، و أخبر أنّ القرآن عمى عليه، و أنه قد أضلّه و ضيّق صدره و جعله حرجا و خلقه لناره، فإذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّمتم من أنه إذا جاز أن يهدى اللّه من يضل، و لا ينفع من يستضرّ جاز أن يحفظ ما ضاع، و يجمع ما افترق و تشذّر و تبدّل، و كلّ هذا يدل على الهرب و

الوغادة و التلفيق من المتعلّق به. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۶ فإن قالوا: ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله: وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹] نفس الرسول عليه السلام دون القرآن، لأنه هو المبدأ بذكره، لأن اللّه تعالى قال: وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر: ۶]، إلى قوله تعالى: وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ، يعنى الرسول و أنه محفوظ من الجنون الذى قذفوه به، و أضافوه إليه، يقال لهم: هذا أيضا من ضيق الحيلة و الطعن، و تطلّب الغميزة و الطعن فى كتاب اللّه تعالى، لأنه لا خلاف بين الأمة فى أن المراد بالآية حفظ القرآن، و أنه بمعنى قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، فلا معنى لما قلتموه، و لأنه أيضا قطع لسياق الكلام و نظمه، و ردّه إلى أمر مستبعد غير مستعمل فى اللسان، لأن الظاهر من قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹]، أنّه حافظ للمنزّل من الذكر، فلا معنى لقطع الكلام عن نظامه و حمله على المستبعد، و لأنه لا تعلّق بين إنزاله للذكر، و بين حفظه للرسول، لأنه قد يحفظه و إن لم ينزل عليه الذكر، فما معنى إناطته إنزال القرآن بحفظ الرسول من الجنون، هذا ما لا وجه له، على أنه يكفى/ فى تصحيح ما قلناه التعلّق بقوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، فوجب بذلك سقوط ما ظنوا الانتفاع به، اللهمّ إلا أن يقولوا إنّ تنزيل هذه الآية الأخرى عندنا: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، فيصيرون بذلك إلى الترّهات، و إلى فتح باب يجب تنزيه الكتاب عن ذكره، و لا طائل فى مناظرة من انتهى إلى هذه الجهالات. ثم يقال لهم: إنّ التنزيل ورد كذلك أن قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ [القيامة: ۱۶] يقتضى جوابا و تماما و صلة، يجعل الكلام مقيّدا، فإذا وصل ب إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷] لم يكن الكلام مفيد شیء، لأنه لا ينبغى أن لا يحرّك به الرسول صلى اللّه عليه لسانه، و يشتدّ حرصه على الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۷ حفظه و تحصيله، لأن عليا عليه السلام جمعه و قرأ به، لأن ذلك ليس مما يوجب حفظ الرسول له، و تمكينه من أدائه، و لا ضمان من اللّه سبحانه لمعونته على جمعه و تسهيل سبيله له، و كذلك لو قال بأن جبريل جمعه و قرأ به لم يكن مفيدا لشیء، و إنما قال اللّه سبحانه: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷] على سبيل الإخبار له عن معونته فى جمعه له و حفظه إياه، على وجه يتمكّن به من تفهّمه و أدائه، و حفظ الغير له لا يوجب كون النبى صلى اللّه عليه على هذه الصفة، فبطل ما قالوه. ثم يقال لهم: قد أجمع المسلمون و سائر أهل التأويل على أنّ هذا الكلام إنما خوطب به الرسول صلى اللّه عليه وقت نزول القرآن عليه و عند تلقّيه الوحى من جبريل، و شدة حرصه على تحفّظه لتفهّمه و أدائه، لم يكن حفظ ذلك و القراءة له عند علىّ و لا عند غيره من الأمة، فكيف يجوز أن يقال له: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، و بعد لم يحصل للرسول حفظه و لا كان منه أداؤه، و ترى أنه متى جمعه علىّ و قرأ به فى الذّرّ الأول أو فى القدم، أو بعث به إليه قبل الرسول و نسخه، أو ألهمه و اضطر إليه و صعب حفظه و تلقّيه على الرسول، و لو لا جهل من يتعلق بهذا و يورده لوجب ترك الإخبار به. ثم يقال لهم: إذا كان السلف قد أسقط من القرآن شيئا كثيرا و حذفه جملة و لم يصحّفه و لم يبينه إلى غير معناه و كانوا/ قد سمعوا هذه الآية فى تعظيم شأن على عليه السلام و هم من قلة الدين و الإدغال «۱» له و العناد لعلىّ عليه السلام على ما وصفهم: وجب أن يحذفوا أيضا هذه الآية من الكتاب،

(۱) من الدّغل بفتحتين و هو الفساد.

اه- من «مختار الصحاح» ص ۸۶. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۳۸ و يقطعوا بذلك تعلقكم بها، كما صنعوا فى إسقاط ربع القرآن المنزّل فى أهل البيت، و حذف أسماء الأئمة من غير تصحيف و لا ترك لما يحتمل جملة و توهمه على ما أنزل عليه، فكيف لم يحذفوا منه هذه الفضيلة العظيمة لعلىّ و تركوها على وجه يمكن حمله على تعظيمه و ما نزلت عليه؟! و هل هذه الدعوى إلا بمنزلة دعوى من قال إنّما قال:* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ و (آل على) عَلَى الْعالَمِينَ [آل عمران: ۳۳]، و إنما جعل آل عمران قصدا و عنادا، و كل هذا مما لا شبهة على نقلتهم فى فساده و إنما يوردونه (ليوهموا) «۱» به العامة و الجهّال، و أن يكون طريق العلم بصحة نقل القرآن و ثبوته هو طريق العلم بظهور النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و دعائه إلى نفسه و سائر ما ظهر و استفاض من أحواله و دينه و أحكامه، و هذا ما لا سبيل إلى الخلاص منه. و هذه جملة مقنعة فى صحة نقل القرآن تكشف عن بطلان قول من ادّعى فيه الزيادة و النقصان، و ذهاب خلق من السلف و الخلف عن حفظ كثير منه و إدخالهم فيه ما ليس منه، و موقف من نصح

لنفسه و هدى لرشده، على سلامة نقل القرآن من كل تحريف و تغيير و تبديل، و قد بيّنا فيما سلف من عادات الناس فى نقل ما قصر عن حال القرآن فى عظم الشأن و وجوب توفّر هممهم و دواعيهم على إشاعته و إذاعته و اللّهج بتحفّظه، و أخذ الأنفس بحياطته و حراسته و إعظامه و صيانته بما يوجب أن يكون القرآن من أظهر الأمور المنقولة و أكثرها إشاعة و أرشدها إذاعة و أحقّها و أولاها بالإعلان و الاستفاضة، و أبعدها عن الخطأ و الخمول و الإضاعة و الدّثور، و أن تكون هذه حال جميعه و كلّ سورة و آية منه.

(_______________ ۱) ما بين القوسين غير مقروء فى الأصل، و لعل الصواب ما ذكرته و اللّه أعلم. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۳۹ و قد وصفنا أيضا فيما سلف ما كانت عليه أحوال سلف الأمة من إعظام القرآن و أهله، و أخذهم أنفسهم/ بتحفّظه و إجلال مؤدّيه إليهم، و بذلهم أنفسهم و أموالهم فى نصرته و تثبيت أمره و تصديق ما جاء به، و الخنوع لموجبه، و أنّ ذلك أجمع يمنع فى وضع العادة و ما عليه الفطرة من ضياع شىء من كتاب اللّه تعالى و إدخال زيادة فيه يشدّك أمرها، و يخفى على الناس حال الملتبس بها. و لقد أخرج الصحابة ظهور القرآن بينهم و شهرته فيهم و شدة تعليم الرسول و تعلّمهم إياه منه، و مداومتهم على ذلك، و جعله ديدنا و شعارا إلى ضرب المثل به، و إقرائه بما شهر تعليم الرسول له على وجهه و ترتيبه الذى لا يجوز و يسوغ مخالفته و تقديم مؤخّر منه أو تأخير مقدّم. و كانوا يقولون فى حديث التشهّد: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يعلّمنا التشهّد كما يعلّمنا السورة من القرآن» «۱»، و إنما قالوا ذلك على وجه تعظيم أمر التشهّد و الإخبار عن تأكّد فريضته، و لزوم ترتيبه على سنن من لقّنوه، و كيف يجوز مع هذا أن يذهبوا عن حفظ القرآن الذى هو الأصل أن يؤخّروا منه مقدّما أو يقدّموا مؤخّرا، و يجتهدوا فى إحالة نظمه و تغيير ترتيبه. و لقد كانوا يأخذون أنفسهم بكثرة دراسة القرآن، و القيام به و التبتّل له، حتى ظهر ذلك من حالهم و انتشر، حتى تظاهرت الروايات بأنّ الصحابة كان لهم إذا قرءوا فى المسجد دوىّ و اشتباك أصوات بقراءة القرآن، حتى يروى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمرهم إذا قرءوا أن يخفضوا أصواتهم لئلا يغلّط بعضهم بعضا، و روى عن عبد اللّه بن عمر أنه قال: «إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان إذا قرأ

(_______________ ۱) رواه مسلم فى «صحيحه» (۱: ۳۰۲ كتاب الصلاة باب التشهد فى الصلاة برقم ۴۰۳)، و رواه أبو داود فى «سننه» (۱: ۲۵۶ كتاب الصلاة باب التشهد برقم ۹۷۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۰ سورة السجدة سجد فنسجد معه حتى لا يجد أحدنا مكانا لجبهته» «۱»، و روى عنه أيضا أنه قال: «كنّا نقرأ عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم السجدة فنسجد حتى يزحم بعضنا بعضا»، و هذا من أوضح الأدلة على أنه صلى اللّه عليه و سلّم كان يلقى القرآن إلقاء شائعا ذائعا و يجمعهم له و يأخذهم بتعليمه و الإنصات له، و أنّ الحفظة له كانوا فى عصره خلقا كثيرا. و كان عبد اللّه بن مسعود يقول: «تعلّمت من فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم سبعين سورة، و إنّ زيدا له ذؤابة/ يلعب مع الغلمان» «۲»، و قال معاذ بن جبل: «عرضنا على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم فلم يعب على أحد منّا، و قرأت عليه قراءة سفرتها سفرا فقال: يا معاذ هكذا فاقرأ» «۳»، و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم يقرأ على أبىّ و هو أعلم بالقرآن منه و أحفظ، ليأخذ أبىّ نمط قراءته و سنته، و يحتذى حذوه، و قد روى هذا التأويل عن أبىّ و ابن أبى. و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم يعرّفهم قدر القراء، و يأمرهم بتعظيمهم، و أخذ القرآن منهم، و يقول: «خذوا القرآن من أبىّ و عبد اللّه بن مسعود و حذيفة» «۴» فروى عنه صلى اللّه عليه أنّه قال: «خذوا القرآن من أربعة: عبد اللّه بن_______________

(۱) رواه البخارى فى كتاب أبواب سجود القرآن و سنتها، باب من سجد سجود القارئ حديث ۱۰۷۵، و باب ازدحام الناس إذا قرأ الإمام السجدة (۱: ۳۲۸ برقم ۱۰۷۶)، و رواه مسلم فى كتاب المساجد و مواضع الصلاة باب سجود التلاوة حديث ۱۰۳، ۱۰۴، و رواه أبو داود فى «سننه» (۲: ۶۰)، و البيهقى فى «السنن» (۲: ۴۵۸)، و الحاكم فى «المستدرك» (۱: ۲۲۲) و أحمد فى «المسند» (۶: ۲۳۵ برقم ۴۶۶۹). (۲) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (۱: ۱۷۲ برقم ۳۷۸). (۳) لم أجده. (۴) رواه مسلم (۴: ۱۹۱۳ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عبد اللّه بن مسعود و أمه، برقم ۲۴۶۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۱ مسعود، و سالم مولى أبى حذيفة، و أبىّ بن كعب، و

معاذ بن جبل» «۱»، ثم يحثّهم على كثرة دراسته، و يأمرهم بتزيين القرآن بأصواتهم، و يحثّهم على ذلك خوف الكلال و الملال، فقال صلى اللّه عليه و سلّم: «زيّنوا القرآن بأصواتكم» «۲». و روى عنه رواية مشهورة أنه قال و قد سمع قراءة أبى موسى الأشعرىّ: «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود» «۳». و روى عنه أنه قال لأسيد بن حضير و كان حسن الصوت بالقرآن و قد قرأ من الليل فسمع حسّا جالت منه فرسه حتى خشى أن تطأ ابنه، فانصرف من صلاته إلى فرسه، و نظر فإذا مثل الظّلّة من السماء، فيها كالمصابيح، فأخبر بذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم فقال صلى اللّه عليه و سلّم: «تلك الملائكة دنت لصوتك، و لو مضيت لرأيت العجائب» «۴». و كان مع ذلك يأمر بتقديم القراء و تعظيمهم، و يعرّفهم ما لهم من عظيم الثواب فى تحصيله، و شدة الأمر فى الإبطاء عنه و النسيان له، و يأخذ كلّ (______________________________ ۱) رواه البخارى (۵: ۴۱۹ كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبى، برقم ۴۹۹۹) و الترمذى فى «الجامع» (۵: ۶۷۴ برقم ۳۸۱۰ كتاب المناقب)، و النسائى فى «سننه» كتاب فضائل القرآن، باب ذكر الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه، برقم ۸۰۰۱)، كما ورد عند النسائى فى الأحاديث (۸۲۴۱، ۸۲۵۹، ۸۲۸۰، ۸۲۲۹) انظره (۵، ۹، ۶۷، ۷۲، ۷۶، ۶۴)، و رواه أحمد فى «مسنده» (برقم ۶۸۰۰، ۶۸۰۴، ۶۸۰۹، ۶۸۵۳). (۲) رواه أحمد فى «مسنده» (۶: ۴۰۴ برقم ۱۸۵۲۰، ۱۸۷۳۴)، و أبو داود فى «السنن» (۲: ۷۴ برقم ۱۴۹۸)، و ابن ماجة فى «السنن» (۱: ۴۲۶ برقم ۱۳۴۲). (۳) رواه أحمد فى «مسنده» (۹: ۲۸۲، ۵۱۹ برقم ۲۴۱۵۲، ۲۵۳۹۸). (۴) رواه مسلم فى «صحيحه» (۱: ۵۴۸ كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن برقم ۷۹۶)، و رواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» (۱: ۲۰۸ برقم ۵۶۶).
الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۲ داخل فى الإسلام بقراءة القرآن و تعلّمه إياه بعد الشهادتين، و لا- يقدّم على ذلك شيئا غيره، و يعرّفهم قدر موقعه، و لا يدع ذلك ببلده و دار مهاجره و سائر الآفاق و الأقطار التى افتتحها و فشا الإسلام فيها، و لا يخلّى أهل ناحية و جماعة من الأمة من معلّم القرآن و منتصب له فيهم، كما لا يخلّيهم من معلّم للإسلام و أركانه و فرائض دينهم التى لا يسعهم/ جهلها و التخلّف عن حفظه و معرفتها، و ظهر ذلك من أمره و اشتهر لكثرة إبدائه و إعادته بالقرآن و تعظيم الشأن فيه و الحثّ عليه و كثرة تلاوته بقوله على أهل المواسم و المحافل فى أيام الحج و غيرها، و الإذاعة له فى أندية قريش و مجالسهم، و ذكر أصحابه و رسله و الداعين إليه للقرآن، و أخذهم الناس بتعليمه و تحفّظه حتى صار كثير من قريش و من اليهود و النّصارى يحفظون كثيرا منه كما يحفظ المسلمون، و يعرفون ما يتلى عليهم منه كما يعرفه الناظر فى المصحف من المسلمين و الذى كثر طرقه لسمعه و إن لم يحط حفظا به. و لم يكن هذا أمرا خافيا و لا مكتوما، فروى الناس رواية ظاهرة أنّ النفر من الأنصار الذين منهم النقباء و الأفاضل لما لقوا رسول اللّه صلى اللّه عليه فى الموسم فأجابوه إلى الإسلام و لم يرجعوا إلى المدينة حتى حفظوا فى وقتهم صدرا من القرآن و كتبوه و رجعوا به إلى المدينة، فلما كان من قابل كانت العقبة الأولى، و نشأ الإسلام فى المدينة، فأرسلت الأنصار إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه يطلبون رجلا- يقرئهم القرآن و يفقّههم فى الدين، فوجّه إليهم مصعب بن عمير «۱»، و كانوا يسمّونه المقرئ، و ما زال مقيما عندهم (______________________________ ۱) ابن هاشم بن عبد مناف العبدرى، أحد السابقين إلى الإسلام، يكنّى أبا عبد اللّه، أسلم قديما، شهد بدرا ثم أحدا و معه اللواء فاستشهد فيها، أول من علّم القرآن الكريم بالمدينة المنورة بعد بيعة العقبة. «الإصابة» (۶: ۹۸). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۳ و يقرئهم القرآن إلى أن انتشر الإسلام بالمدينة و استعلى، و كانت العقبة الثانية، و ذكر أنّ مصعب بن عمير عاد إلى النبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه فى بعض تلك الأيام إلى مكة ثم عاد إلى المدينة و هاجر ابن أمّ مكتوم «۱» معه، أو بعده، و كان مصعب و ابن أم مكتوم يقرءان القرآن بالمدينة إلى توافى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه إلى المدينة مهاجرين إليها «۲». و لما افتتح رسول اللّه صلى اللّه عليه مكة خلّف بها معاذ بن جبل يعلّم الناس القرآن، و يفقّههم فى الدين، و قال عبادة بن الصامت «۳»: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه إذا قدم عليه الرجل مهاجرا دفعه إلى رجل منّا يعلّمه القرآن، قال: فدفع إلىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه رجلا- و كان معى فى البيت أعشّيه عشاء البيت و أقرئه القرآن» «۴»،/ و قال عبادة أيضا: «علّمت رجلا من أهل الصّفّة القرآن و الكتابة» «۵». و كان المسلمون بأرض الحبشة لما هاجروا إليها

يتدارسون القرآن و يحاجون به مخالفيهم، و يستظهرون به على الطاعن فى دينهم، و ذكروا أنه لمّا أنزلت: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ [آل عمران: ۶۴] مع آيات أنزلها اللّه تعالى فى محاجّة أهل الكتاب كتب بهنّ رسول اللّه صلى

(____۱) هو عبد اللّه بن أم مكتوم، الأعمى القرشى العامرى، كان قديم الإسلام و هاجر إلى المدينة، و قيل اسمه عمرو، مات فى آخر خلافة عمر. «الاستيعاب» (۳: ۱۱۹)، «الإصابة» (۴: ۹۹۴). (۲) رواه ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» (۴: ۲۰۶)، (۳: ۱۱۷). (۳) ابن قيس الأنصارى الخزرجى، أبو الوليد المدنى، أحد النقباء، بدرىّ مشهور، مات بالرملة سنة أربع و ثلاثين و له ثنتان و سبعون سنة. «تقريب التهذيب» (۱: ۴۷۰). (۴) انظر تخريجه فى «نصب الراية» للزيلعى (۴: ۱۳۷)، بألفاظ قريبة. (۵) رواه أبو داود فى «السنن» (۳: ۲۶۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۴

اللّه عليه إلى جعفر ابن أبى طالب عليه السلام و أمره أن يحاجّ بهنّ النصارى فيما كان يحاجّهم به من القرآن. و لما قدم وفد الحبشة إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و هو بمكة و دعاهم إلى الإسلام و احتجّ عليهم و أوضح لهم، فأسلموا و حسن إسلامهم، و أقاموا عنده ثلاثا، فيقال إنهم أخذوا عنه فى تلك الأيام قرآنا كثيرا و رجعوا به إلى بلادهم. و لما جاء وفد ثقيف كان منهم عثمان بن أبى العاص «۱»، فجعل يستقرئ رسول اللّه صلى اللّه عليه القرآن و يتعلّمه منه و يختلف إليه فيه، حتى أعجب رسول اللّه صلى اللّه عليه ما رأى من حرصه على تعلّم القرآن فأمّره على قومه، و كان من أحدثهم سنا. و روى عبد اللّه بن مسعود قال: «جاء معاذ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه فقال: يا رسول اللّه أقرئنى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه: يا عبد اللّه أقرئه، قال: فأقرأته ما كان معى، ثم اختلفت أنا و هو إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه فقرأت و معاذ و صار معلّما من المعلّمين على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه. و لما هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه إلى المدينة لقيه بريدة ابن الحصيب «۲» فى بعض الطريق، فعرض عليه الإسلام فأسلم، و علّمه من وقته صدرا من سورة مريم، ثم قدم بريدة بعد ذلك إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه فقال له رسول اللّه: ما معك من القرآن يا بريدة؟ فقال: يا رسول اللّه علمتنى

(____۱) الثقفى الطائفى، أبو عبد اللّه، صحابى شهير، استعمله رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم على الطائف، و مات فى خلافة معاوية بالبصرة. «التقريب» (۱: ۶۶۰). (۲) هو بريدة بن الحصيب بضم الحاء المهملة و فتح الصاد، الأسلمى، شهد خيبر، و روى عنه ابناه عبد اللّه و سليمان و الشعبى، و توفى سنة ۶۲، و هو آخر من توفى من الصحابة بخراسان. «الكاشف» (۱: ۹۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۵ بالغميم ليلة لقيتك صدرا من السورة التى يذكر فيها مريم، فأقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه على أبىّ بن كعب، فقال: «يا أبىّ أكملها له»، ثم قال: «يا بريدة تعلم سورة الكهف معها، فإنها تكون لصاحبها نورا يوم القيامة»، و كان بريدة/ يقرئ قومه، و استعمله رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم على صدقاتهم. و قد عرفت حال الصحابة فى حسن طاعة النبى صلّى اللّه عليه و الانقياد له و إيثار نصرته و الانتهاء إلى أوامره، و أنهم قتلوا الآباء و الأبناء فى طاعته، فكيف يجوز مع ذلك أن يهملوا القرآن و يحتقروا شأنه و هم يرون و يسمعون من تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و حثّهم على تعليمه، و أخذهم بدرسه و إقرائه بالشهادتين، و جعله تالى ما يدعو إليه من فرض التوحيد؟! و لقد ظهر من حرصهم و شدة عنايتهم لحفظ القرآن و دراسته، و القيام به فى آناء الليل و آخر النهار ما ورمت معه أقدامهم، و اصفرّت ألوانهم، و عرفت به سيماهم من أثر السجود و الركوع، حتى همّ خلق كثير منهم بالتبتّل و الرهبانية و الإخلاد و الاجتهاد إلى العبادة فقط، و قطع الحرث و النسل حتى أنكر ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و نهاهم عنه، حتى ظهر عن سعد بن مالك أنه قال: «لقد ردّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه على عثمان بن مظعون «۱» التبتل «۲»، و لو رخّص فيه لاختصينا» «۳».

(____۱) ابن حبيب بن وهب الجمحى، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، و هاجر إلى الحبشة هو و ابن السائب، توفى بعد شهوده بدرا فى السنة الثانية من الهجرة، و هو أول من مات بالمدينة من المهاجرين. «الإصابة» (۴: ۳۸۱). (۲) التبتل هنا المراد منه الانقطاع للعبادة و ترك شواغل الدنيا و عدم الزواج حتى لا ينشغل بالزوجة و الأولاد عن العبادة، و هو أمر منهى عنه فى الشرع الحنيف. (۳) رواه النسائى فى «السنن الكبرى» (۳: ۲۶۳ كتاب

النكـاح، باب النهى عن التبتل برقم ۵۲۲۳). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۶ و لقد كثرت قراءة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و الصحابة للقرآن و إقراؤهم إياه و تدارسه بينهم و مواظبتهم عليه و كثرة دعائهم الناس إليه حتى حفظ كثيرا منه البوادى و الوفود و الأعراب، فضلا عن المهاجرين و الأنصار، فروى عن عمرو بن سلمة «۱» قال: «كنا على حاضر فكان الركبان يمرون بنا راجعين من عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه، فأدنوا منهم فأسمع حتى حفظت قرآنا كثيرا» «۲»، و هذا لا يكون إلا مع كثرة الراجعين بالقرآن من عنده، و انطلاق ألسنتهم به، و لصقه بقلوبهم، و حرصهم على معاودته و دراسته. و فى رواية أخرى عن عمرو بن سلمة قال: «كان ركبان يأتوننا من قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه فنستقرئهم فيخبروننا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال: «ليؤمّكم أكثركم قرآنا» فكنت أؤمّهم و كنت من أحدثهم سنا، و كنت من أكثرهم قرآنا» «۳»، و هذا يدل على حفظ الوفود له و شهرة إمرة القرآن فيهم، و كثرة/ الحافظين له منهم، و لقد حفظوه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم و حفظ كثيرا منه النساء و الصبيان، لظهور أمره و تعاظم قدره و كثرة حثّ الرسول عليه السلام و حضّه على تعليمه. قالت عائشة رضوان اللّه عليها فى قصة الإفك لما قصّتها و ذكرتها لما نزلت به من القرآن فى الوقت الذى أجابت فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه:

(______________________________ ۱) هو عمرو بن سلمة الجرمى، أمّ قومه زمن النبى صلى اللّه عليه و سلّم، لم يصحّ له سماع و لا رواية عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم، و روى أنه وفد مع أبيه و به قال ابن حبان و أبو نعيم، و هو ما يقتضى صحبته. «الكاشف» (۲: ۲۸۵). (۲) رواه البخارى فى «صحيحه» (۵: ۱۰۴ كتاب المغازى برقم ۴۳۰۲). (۳) رواه الإمام أحمد فى «مسنده» (۵: ۳۸۶ برقم ۱۵۹۰۲)، (۷: ۲۹۴، ۳۷۳، ۱۵۹۰۲، ۲۰۳۵۵، ۲۰۷۱۲، ۵: ۳۸۶، ۷: ۲۹۴، ۷: ۳۷۳). و رواه أبو داود فى سننه حديث ۵۸۵، (۱: ۱۶۰) كتاب الصلاة. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۷ «و كنت جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن» «۱»، فدلّت بذلك على أنها قد كانت تقرأ منه و أنّ كبار النساء آنذاك كنّ يحفظن كثيرا من القرآن، و أنّ الحداثة منعتها من مشاكلتهن فى ذلك. و جاءت الأخبار بأنه قد كان إذ ذاك نساء كنّ يحرصن على قراءة القرآن و جمعه و حفظه، و أن أخت «۲» عمر بن الخطّاب رضوان اللّه عليها كانت تقارئ زوجها سورة طه، و أنّ عمر عليه السلام دخل عليها فجأة فسمعهما يقرءان، و سأل عن ذلك، و كان ما سمعه و استعاده سبب إسلامه «۳». و روى الوليد بن عبد اللّه بن جميع «۴»: مما حدّثتنى جدّتى أم ورقة بنت عبد اللّه بن الحارث الأنصارى «۵»، و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم يسميها الشهيدة، و كانت قد جمعت القرآن، و روى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم كان يزورها و يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة»، و أقرّ أن يؤذّن لها، و أن يؤذّن فى أهل دارها فى الفرائض» «۶».

(______________________________ ۱) قول السيدة عائشة رضى اللّه عنها ورد فى قصة الإفك، و هى مروية فى كتب الصحاح، انظر: «صحيح البخارى» (۲: ۹۴۵)، و «صحيح مسلم» (۴: ۲۳۵). (۲) اسمها فاطمة، أسلمت قديما مع زوجها سعيد بن عمرو بن نفيل القرشى. «الإصابة» (۸: ۲۷۱). (۳) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (۱: ۲۶۷) باب إسلام عمر رضى اللّه عنه، «سيرة ابن هشام» (۱: ۴۳۱) قصة إسلام عمر بن الخطاب. (۴) هو ابن جميع بالتصغير، عن أبى الطفيل و أبى سلمة، ثقة، قال عنه أبو حاتم: صالح الحديث. «الكاشف» (۳: ۲۱۰). (۵) أنصارية صحابية، كانت تؤمّ أهل دارها، و ماتت فى خلافة عمر، قتلها خدمها، و كان النبى يسميها الشهيدة. «التقريب» (۲: ۶۷۴). (۶) رواه أبو داود (۱: ۱۶۱ فى كتاب الصلاة باب إمامة النساء برقم ۵۹۱)، و رواه أحمد فى «مسنده» (۱۰: ۳۶۲ برقم ۲۷۳۵۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۴۸ و كانت أمّ الدرداء «۱» من المشهورات بحفظ القرآن و أخذ نفسها بدرسه و القيام بإعرابه، و روى يونس بن ميسرة الجيلانى عن أم الدرداء قالت: «إنى لأحبّ أن اقرأه كما أنزل» و كانت أم عامر الأشملية ممّن تقرأ القرآن و يكتب لها، و جاءت بما كانت تحفظه إلى زيد بن ثابت أيام جمع أبى بكر القرآن مكتوبا لها بخط أبيّ بن كعب. و روى داود بن الحصين «۲» عن أبيه «۳» عن أبى سفيان «۴» مولى ابن أبى أحمد «۵» قال: «سمعت أمّ عامر «۶» تقول: «قرأت قبل أن يقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه علينا من مكة/ إحدى و عشرين سورة»، ثم عدّتها فى الرواية عنها، منها من الطوال و منها من المفصّل، و من الطوال يوسف، و طه، و مريم، و من الحواميم. فنرى أنه كم يجب على هذا أن يكون

حفظ القرآن و كثيرا منه عند انتشار الإسلام و ظهوره فى الآفاق، و كثرة أهل العلم و الشدة فيهم و سماع أزواج (______________________________١) هى زوج أبى الدرداء، اسمها هجيمة، و هى الصغرى، و الكبرى اسمها خيّرة، و الصغرى ثقة فقيهة من الثالثة، ماتت سنة إحدى و ثمانين. «التقريب» (٢: ۶۶۷). (٢) الأموى مولاهم، أبو سليمان المدنى، ثقة من السادسة، مات سنة خمس و ثلاثين. «التقريب» (١: ٢٧٨). (٣) قال الذهبى: مولى آل عثمان، ضعّف. «الكاشف» (١: ١٧۶). (۴) اسمه قزمان، و قيل وهب، من رجال البخارى، مدنيّ، و كان له انقطاع إلى ابن أبى أحمد فنسب إلى ولائهم. «التعديل و التجريح» للباجى (٣: ١٢٧۵). (۵) اسمه عبد اللّه بن أبى أحمد بن جحش الأسدى، ولد فى حياة النبى صلى اللّه عليه و سلّم، تابعيّ ثقة. «تقريب التهذيب» (١: ٢٩۵). (۶) اسمها أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، إحدى نساء بنى عبد الأشهل، من المبايعات، تكنّى أمّ سلمة و أمّ عامر، مدنية، كانت من ذوات العقل و الدين. «الاستيعاب» (٨: ١٧٨٨). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ١۴٩ الرسول عليه السلام كحفصة و أمّ سلمة و عائشة عند ترادف نزول الوحى به و تلاوته فى بيوتهن، و أخذه من منازلهن، و حضور من يحضر من النساء عندهن، و يقرأ عليهن و يحتجن إلى تدريسهن، و يأمرهن الرسول صلّى اللّه عليه بتعليمهن. و كان الرسول صلّى اللّه عليه يأخذ الصحابة بتعليم الولائد و الأطفال و الأخذ لهم به، حتى روى سعيد بن جبير عن عبد اللّه بن عباس أنه قال: «جمعت المحكم على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه»، يعنى المفصّل و كانت سنّة إذ ذاك ثلاث عشرة سنة أو دونها. و قد تحفّظ أيضا زيد بن ثابت شيئا كثيرا فى حال صغر سنه، فروى ابن أبى الزّناد «١» عن أبيه أبى الزناد «٢» عن خارجة «٣» بن زيد بن ثابت أنه أخبره أنه قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه المدينة، قال زيد: فذهب بى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه ليعجب بى، فقالوا: يا رسول اللّه هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل اللّه عليك سبع عشرة سورة، قال: فأعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و قال لى النبيّ صلّى اللّه عليه: «يا زيد، تعلّم كتاب يهود، فإنى و اللّه ما آمن يهود على كتابى»، قال: فتعلّمت له كتابهم، فما مرّت بى (______________________________١) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد و كان فقيها من السابعة مات سنة أربع و سبعين و مائة و له أربع و سبعون سنة. «التقريب» (١: ۵۶٩). (٢) هو عبد اللّه بن ذكوان القرشى، أبو عبد الرحمن المدنى، ثقة فقيه من الخامسة مات سنة ثلاثين و مائة و قيل بعدها. «التقريب» (١: ۴٩٠). (٣) الأنصارى، أبو زيد المدنى، ثقة فقيه من الثالثة مات سنة مائة و قيل قبلها. «التقريب» (١: ٢۵۴). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ١۵٠ خمسة عشر حتى حذقته، و كنت أقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه، و أجيب عنه إذا كتب، و ذكر أنه كانت سنة إذ ذاك إحدى عشرة سنة «١». و أن زيد بن ثابت قال: «كانت وقعة بعاث و أنا ابن ست سنين، و كانت قبل هجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه لخمس سنين، فقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه المدينة و أنا ابن إحدى عشرة سنة، فلم أجز فى بدر و لا أحد، و أجزت فى الخندق». و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه مع أمره للصحابة/ بتعليم القرآن و الانتصار له و تأكيد الوصية بذلك ينهاهم عن أخذ رفد أو أجرة عليه، إعظاما له، و حثا على طلب القربة و المثوبة به، فروى أن رجلا قدم و أبيّ يقرئ فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، فجعل يختلف إليه يعلّمه، فأعجبت أبيّا قوس كانت مع الرجل، فسأله أن يبيعه إياها، فوهبها له الرجل، ثم سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه عن ذلك فنهاه عن قبولها، و ذكر فى بعض الأخبار أنه قال: «قوس من نار» «٢». و ذكر أن هذا الرجل كان الطّفيل بن عمرو الدّوسى «٣»، قال بعض الرواة: إن المقرئ كان زيد بن ثابت، و قال آخرون: كان عبادة بن الصامت، و قال آخرون: أبيّ بن كعب، مع اتفاقهم على تصحيح هذه القصة و ثبوت الرواية (______________________________. ١) رواه الإمام أحمد فى «مسنده» (٨: ١۴۶ برقم ٢١۶٧۴). (٢) رواه ابن ماجة فى «سننه» (٢: ٧٣٠ كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن، برقم ٢١۵٧، ٢١۵٨). (٣) هو ابن طريف ابن العاص بن ثعلبة الدوسى، نسبة إلى قبيلة دوس، أسلم بمكة، و قصة إسلامه مشهورة، استشهد يوم اليمامة «الاستيعاب» (٢: ٣١٠)، «الإصابة» (٣: ۴٢٣). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ١۵١ و لقد كثر حفّاظ القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و انتشروا و عرفوا به حتى كانوا يدعون أهل القرآن و قرّاء القرآن و القراء من الصحابة، و ينادون به فى المغازى و عند

المعترك و شدة الحاجة إلى الجهاد و الإذكار بالآخرة، و يتنادون بأصحاب سورة البقرة، هذا مع العلم بأن طالب القرآن منهم لم يكن يبدأ بتحفّظ البقرة و أمثالها و إن كان منهم الشاذّ النادر ممن يفعل ذلك، و إنما كانوا يبدءون بالمفصّل و ما خفّ و سهل حفظه على النفس، و إنما كان يتعرّض لحفظ البقرة و أخواتها من الطّوال من قد حفظ سائر ما أنزل و لم يبق عليه منه إلا القليل، و ربما جعل البقرة آخر شيء يحفظه، هذا هو العادة و المعروف من أحوال من سبقت هجرته و طالت صحبته، و حال من ابتدأ الدخول في الإسلام و من بلغ الحلم و احتاج إلى التعليم و التدريج، فثبت بذلك أن أهل سورة البقرة إنما كانوا حفّاظ القرآن، و كان يكنى بذكر البقرة عن حفظ سائر القرآن لكونها أصعب سورة منه و أطولها. و قد روى الناس «۱» أنه لما كان يوم حنين خاضت بغلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و كانت بغلة بيضاء/، فكره رسول اللّه صلّى اللّه عليه أن ينهزم فاعتنق البغلة حتى مال السرج حتى كاد يقع عن بطنها، قال عبد اللّه: فأتيته فأدخلت يدى تحت إبطه، ثم رفعته حتى عدّلت السرج، ثم قلت: «ارتفع رفعك اللّه»، ثم أخذت بلجام البلغة فوجهتها في وجه العدو، و نودى في الناس: يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب الصّفّة، فأقبلوا بالسيوف كأنها الشهب، و أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم، فهزمهم اللّه جلّ و عزّ، و في رواية العباس مثل ذلك، و أنه قال: فرمى بالتراب و قال:

(______________________________
۱) رواية يوم حنين و انحسار الناس عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم و ثباته عليه الصلاة و السلام مروية في «صحيح مسلم» (۳: ۱۳۹۸ كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين برقم ۱۷۷۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۲ «شاهت الوجوه»، و أن المؤمنين و أهل القرآن توافوا بالسيوف، و أحدقوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و حفّوا به إحداق البقر بأولادها، قال: حتى خفت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه، يعني من الزّحام حوله و شدة الذّيادة عنه. و الأغلب من حال هذه الرواية أن يكون أكثر من أحدق برسول اللّه صلّى اللّه عليه هم أهل سورة البقرة، و حفّاظ كتاب اللّه، و أهل الصفّة الذين كانوا متبتّلين لعبادة ربهم، و منتصبين لقراءة القرآن و لحفظه، و أخذ أنفسهم به، و لعل سائر أهل الصفة كانوا حفّاظا لكتاب اللّه جلّ و عزّ على ما يوجبه و يقتضيه ظاهر حالهم، لأنهم لم يكن لهم في زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه عمل و لا معيشة و لا حرفة غير ملازمة المسجد و الصلاة و تعلّم القرآن و التشاغل بصالح الأعمال، لا يتشاغلون بشيء سوى ذلك، و كان الناس قد عرفوهم بذلك فكانوا لأجل ما ذكرناه من أحوالهم يحنون عليهم، و يؤثرونهم على أنفسهم، و يراعون أمورهم، و يشركونهم في أقواتهم، و يرون تفضيلهم على أنفسهم، و إجارتهم عظيم الفضل بما انقطعوا إليه من التشاغل بأمر الآخرة و الانتصاب لحفظ القرآن و تدارسه و الصلاة به. و الأشبه بمن هو دون هؤلاء في الفضل و الدين و حسن البصائر، و ثاقب الأفهام، و صحة القرائح و النحائر، و سرعة الحفظ و الاقتدار على الكلام و حفظ ما قصر/ و طال: أن لا يبطئوا و يتخلّفوا عن حفظ القرآن الذى هو أصل دينهم، و عماد شريعتهم، و أفضل أعمالهم، و أعظمه ثوابا عند اللّه تعالى، فوضع العادة يقتضي إحاطة جميع أهل الصفّة بحفظ جميع ما كان ينزل من كتاب اللّه تعالى، فكيف يجوز مع ما وصفناه أن يهملوا أمر القرآن، و يعرضوا عن تحفّظه، و يحتقروا شأنه، و يتشاغلوا بغيره عنه، و قد سمعوا من الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۳ اللّه و من رسوله في الحثّ عليه و التفضيل لقرأته ما حكيناه من حالهم في إعظامه و إعظام أهله ما وصفناه؟! و هم مع ذلك لم يحولوا طول تلك الأيام عن صفتهم، و لا ارتدوا عن دينهم، و لا لحقهم عناء و لا فتور في طاعة ربهم، و نصرة نبيهم، و حسن الإصغاء و الإنصات لما يورده عليهم، و يأخذهم بحفظه، و يأمرهم بحياطته، بل يزدادون في كل يوم بصيرة و تيقّنا و تمسّكا بطاعة اللّه تعالى و تثبيتا، و بذلك وصفهم اللّه تعالى في غير موضع من كتابه و على لسان رسوله، فمن أى ناحية يتجه عليهم الظنّة في تضييع القرآن و إهماله و الذهاب عن تأليفه و ترتيبه و استجازة تغييره و تبديله و الزيادة فيه و النقصان منه لو لا قلة الدين و الذهاب عن التحصيل؟! و لقد اتسع حفظ القرآن في الناس في زمن عمر بن الخطاب رضوان اللّه عليه و كثر حفّاظه، و القائمون به، و التالون له، حتى إنه كان لهم في ذلك هيعة و ضجة و أمر عظيم مشهور. و روى عبد الرزاق «۱» عن معمر «۲» عن ابن سيرين «۳» قال «۴»: «كان أبيّ (______________________________
۱) هو الإمام الحافظ أبو بكر عبد الرزّاق بن همّام الصّنعاني، أحد الأعلام، روى عن معمر و ابن جريج و غيرهم، و روى عنه الإمام أحمد و

ابن راهويه و الرمادی و غيرهم، صنف التصانيف، توفی سنة ۲۱۱. اه- من «الكاشف». (۲) هو معمر بن راشد، أبو عروة الأزدی مولاهم عالم اليمن، عنه عبد الرزاق و ابن المبارك و غيرهم، قال أحمد: لا تضم معمرا إلى أحد إلا وجدته يتقدمه، قال عبد الرزاق: سمعت منه عشرة آلاف حديث. توفی فی رمضان سنة ۱۵۳. «الكاشف» (۳: ۱۴۵). (۳) هو محمد بن سيرين، أبو بكر، أحد الأعلام، البصری العابد، ثقة ثبت من الثالثة، روى عن أبی هريرة و عمران، له سبعة أوراد من الليل، مات سنة ۱۱۰. «التقريب» (۲: ۸۵)، «الكاشف» (۳: ۴۶). (۴) خبر قيام أبیّ و أبی حليمة للناس فی رمضان، رواه عبد الرزاق فی «المصنف» (۴: ۲۵۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۴ يقوم للناس على عهد عمر فی رمضان، فإذا تمت عشرون ليلة انصرف إلى أهله و قام للناس أبو حليمة» «۱». و روى ابن عيينة «۲» عن إبراهيم بن ميسرة «۳»، عن طاوس «۴» قال: سمعت ابن عباس يقول: «دعانی عمر أتسحّر عنده، أو أتغذى عنده فی شهر رمضان، فسمع عمر هيعة الناس خرجوا من المسجد، فقال لی: ما هذا؟ قلت: الناس حين خرجوا من المسجد، قال: ما بقی من الليل أحبّ إلیّ مما ذهب منه» «۵». و روى عاصم «۶» عن أبی عثمان «۷» قال «۸»: «كان لعمر ثلاثة قرّاء، فأمر أسرعهم قراءة بأن/ يقرأ ثلاثين آية، و أوسطهم بخمس و عشرين، و أدناهم

---

(۱) اسمه معاذ بن الحارث القارئ، صحابیّ صغير، استشهد فی الحرة، روى عنه نافع مولى ابن عمر. «الكنى و الأسماء» (۱: ۲۷۲). (۲) هو سفيان بن عيينة بن أبی عمران ميمون الهلالی، أبو محمد الكوفی ثم المكی، ثقة حافظ فقيه، مات سنة ثمان و تسعين و مائة. «التقريب» (۱: ۳۷۱). (۳) إبراهيم بن ميسرة الطائفی، نزيل مكة، ثبت حافظ من الخامسة، مات سنة ثنتين و ثلاثين و مائة للهجرة. «التقريب» (۱: ۶۷). (۴) هو طاوس بن كيسان اليمانی، أبو عبد الرحمن الحميری مولاهم الفارسی، يقال: اسمه ذكوان و طاوس لقبه، ثقة فقيه فاضل، مات سنة ستّ و مائة، و قيل: قبل ذلك. «التقريب» (۱: ۴۴۹). (۵) رواه ابن أبی شيبة فی «المصنف» (۲: ۲۸۸ كتاب صلاة التطوع، باب فی قيام الليل). (۶) هو عاصم بن سليمان الأحول، أبو عبد الرحمن البصری، ثقة من الرابعة، مات بعد سنة أربعين. «التقريب» (۱: ۲۸۵). (۷) هو عبد الرحمن بن ملّ النهدی، روى عنه قتادة و عاصم الأحول، و سمع من عمر بن الخطاب. «الكنى و الأسماء» (۱: ۵۴۲). (۸) رواه ابن أبی شيبة فی «المصنف» (۲: ۲۸۴ كتاب صلاة التطوع، باب صلاة رمضان). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۵ بعشرين». و روى حمّاد بن زيد «۱» عن كثير بن شنظير «۲» عن الحسن «۳» أن عمر بن الخطّاب رضوان اللّه عليه أمر أبيّا أن يصلّی بالناس فی رمضان. و روى يزيد بن خصيفة «۴» عن السائب بن يزيد «۵» عن عمّه قال: «جمع عمر الناس على أبیّ بن كعب و تميم الداری» «۶». و روى محمد بن سيف «۷» عن السائب بن يزيد أنه قال: «أمر عمر بن الخطّاب أبیّ بن كعب و تميم الداری أن يقوما للناس، قال: فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصیّ من طول القيام، و ما كنا ننصرف إلا فی بزوغ الفجر» «۸».

---

(۱) ابن درهم الأزدی الجهضمی، أبو إسماعيل البصری، ثقة ثبت فقيه، من كبار الثامنة، مات سنة تسع و سبعين و مائة و له إحدى و ثمانون سنة. «التقريب» (۱: ۲۳۸). (۲) المازنی، أبو قرة البصری، صدوق يخطئ، من السادسة. «التقريب» (۲: ۳۸). (۳) هو أبو سعيد الحسن ابن أبی الحسن البصری، من أسياد التابعين، مناقبه عظيمة، من الطبقة الثالثة. توفی سنة عشر و مائة. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۶۵). (۴) هو يزيد بن عبد اللّه بن خصيفة الكندی، ثقة ناسك، و قال عنه أحمد: منكر الحديث. «الكاشف» (۳: ۲۴۶). (۵) السائب بن يزيد بن سعيد من ثمامة الكندی، و يعرف بابن أخت النمر، صحابیّ صغير، روى الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث و ستين أو أربع و سبعين. و قيل: ست و ثمانون. «التقريب» (۱: ۳۴۵)، «الكاشف» (۱: ۲۷۳- ۲۷۴). (۶) هو تميم بن أوس بن خارجة الداری، صحابیّ مشهور، سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان، قيل: مات سنة أربعين. «التقريب» (۱: ۱۴۳). (۷) محمد بن سيف الأزدی الحدّانی، أبو رجاء البصری، ثقة من السادسة. «التقريب» (۲: ۸۵). (۸) هذه الآثار جميعها رواها ابن أبی شيبة فی «المصنف» (۲: ۲۸۴، ۲۸۵ كتاب صلاة التطوع، باب كم يصلی فی رمضان من ركعة). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۶ و روى ابن جريج «۱» أنّ أول من قام لأهل مكّة فی خلافة عمر بن الخطّاب زيد بن منقذ بن زيد بن جدعان «۲»، و كان من شاء قام معه، و من شاء قام لنفسه، و من شاء طاف».

(____ ۱) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم المكى، ثقة فقيه فاضل، من السادسة، مات سنة خمسين و مائة و قد جاوز السبعين. «التقريب» (۱: ۶۱۷). (۲) لم أجده. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۷

سبب جمع عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه الناس فى صلاة التراويح على إمام واحد

سبب جمع عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه الناس فى صلاة التراويح على إمام واحد و روى مالك بن أنس عن ابن شهاب «۱» عن عروة بن الزّبير «۲» عن عبد الرحمن بن عبد اللّه القارى «۳» قال: «خرجت مع عمر بن الخطّاب ليلة فى شهر رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يصلّى الرجل لنفسه، و يصلّى الرجل فيصلى لصلاته الرّهط، فقال عمر: «إنى لأرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل»، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، ثم خرجت بعد ليلة أخرى و الناس يصلون، فقال عمر بن الخطاب: «نعمت البدعة هذه، و التى ينامون عنها أفضل من التى يقومون» يريد آخر الليل، و كان الناس يقومون أوله» «۴».

(____ ۱) هو محمد بن مسلم بن عبد اللّه بن شهاب الحارث القرشى الفقيه الحافظ، من رءوس الرابعة، مات سنة خمس و عشرين و مائة، و قيل غير ذلك. «التقريب» (۲: ۱۳۳). (۲) هو ابن الزبير بن العوّام الأسدى، أبو عبد اللّه المدنى، ثقة فقيه مشهور من الثالثة، مات سنة أربع و تسعين على الصحيح، و ولد فى أوائل خلافة عثمان. «التقريب» (۱: ۶۷۱). (۳) ورد فى «التقريب» باسم: عبد الرحمن بن عبد، دون إضافة فى اسم أبيه، من ثقات التابعين، مات سنة ثمان و ثمانين، رأى النبيّ و سمع عمر و أبا طلحة، و القارى بتشديد الراء نسبة إلى قبيلة القارة من خزيمة. «التقريب» (۱: ۵۸۰)، «الكاشف» (۲: ۱۵۵). (۴) رواه البخارى (۲: ۶۱۸ كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان برقم ۲۰۱۰)، و رواه الإمام مالك فى «الموطّأ» (۱: ۱۱۴ كتاب الصلاة فى رمضان، باب ما جاء فى قيام الليل). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۸ و ذكر أصحاب التواريخ أنّ عمر بن الخطّاب أمر بالقيام فى شهر رمضان فى المدينة، و كتب إلى البلدان فى سنة أربع عشرة، ثم لم يزل كذلك طول سنينه و أيام نظره إلى أن مات رضوان اللّه عليه، و لم يزل الأمر كذلك إلى أيام عثمان و علىّ و التلاوة تكثر، و الحفظ يتّسع، و القرآن ينتشر، و الإصغاء إليه يحصل من الصغير و الكبير، و الحاضر و البادى، و القاصى و الدانى، فلا يحفظ على أحد من الناس أنه قال فى طول تلك الأيام: إنّ القرآن مبدّل و مغيّر، و مزيد فيه و منقوص منه، و مرتّب على غير سننه و وجهه الذى أنزل/ عليه، و لا يقدح بهذا على راع و لا رعية، و لا تابع و لا متبوع، و لا يتناكر الناس شيئا مما يظهر بينهم منه، و لا يتحزّن متحزّن و لا يتأسّف متأسّف على ضياع شىء منه، و لا يطعن طاعن، و لا يقدح قادح على تاليه و مقرئه و كاتبه و ناسخه بتغيّر شىء منه، أو الزيادة فيه، أو النقصان منه، و كل هذا يدلّ دلالة بيّنة على تكذّب من ادّعى تغيير القرآن و انقطاع نقله و خفاء أمره، و قلة حفّاظه، و انصراف همم الناس و دواعيهم عن حفظه و إحرازه، و أنه لو وقع فيه تغيير أو تبديل، أو زيادة أو نقصان، أو مخالفة فى الترتيب لسارع الناس إلى نقل ذلك و المذاكرة به، و التذامر لأجله، و الإبداء و الإعادة له، و فى فقد العلم بذلك دليل على بطلان ما يدّعونه من هذا الباب. فإن قال قائل: هذا الفصل من الكلام و من فعل عمر و سيرته و إن كان شاهدا لكم على ما قلتم، و حجة لصحة ما اعتقدتم، فإنه من أوله إلى آخره طعن على عمر و قدح فيه، و غضّ فى عمله و قدره، لأنكم جميعا تشهدون عليه بأنه أحدث فى هذا الباب سنّة لم تكن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و فعل ما لم يره الرسول صوابا، و قدّم رأيه لرأى النبى صلّى اللّه عليه، و اعتقد أنه قد استدرك من مصلحة الأمة و حسن الاحتياط لها ما ذهب على الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۵۹ الرسول علمه، و كل هذا طعن على من اعتقده فى نفسه و أبدع فى الدين ما لم يشرعه اللّه سبحانه و لم يسنّه رسوله، فما العذر عندكم لعمر فى هذا الباب، و ما المخرج له منه؟ فيقال لمن اعترض بهذا من أغبياء الرافضة و أوغادها: ليس الأمر فى هذا على ما توهّمتم، بل ما وصفناه: من فضائل عمر الشريفة و سننه الرضيّة الحميدة التى رضيها المسلمون، و نوّر بها مساجدهم، و قوّى بها هممهم و دواعيهم على طاعة ربهم، و حفظ كتابه، و

إعظام دينه، و إقامة معالمه، و كان ما صنعه/ من ذلك متّبعا للرسول صلّى اللّه عليه و حاضّا على ما حثّ عليه و دعا إليه و رغّب فيه، و ذلك أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم قد كان صلى بالناس هذه الصلاة فى شهر رمضان، جمعهم لها و قام بهم فيها، ثم ترك ذلك مع إيثاره له و رغبته فيه خوفا من فرضه على أمته، أو خوف توهّم متوهّم من بعده أنها لمداومة الرسول عليها من اللوازم المفروضات، و أخبرهم بأنه إنما تركها لهذه العلة، لا لقبحها و لا لكونها بدعة فى الدين، و لا لأجل أنها مفسدة للدين و المسلمين، و لا ـ مما يجب أن يزهدوا فيه و يرغبوا عنه. و روى أحمد بن منصور الرّمادى «۱» عن عبد الرزاق عن معمر عن الزّهرى عن عروة عن عائشة رضوان اللّه عليها قالت: «صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه بالناس فى شهر رمضان فى المسجد، ثم صلى الثانية و اجتمع تلك الليلة أكثر من الأولى، فلما كانت الليلة الثالثة و الرابعة امتلأ المسجد حتى غصّ بأهله، فلم يخرج إليهم، فجعل الناس ينادونه الصلاة، فلم يخرج (______________________________، ۱) هو الحافظ أحمد بن منصور بن سيار، أبو بكر الرمادى، مات سنة خمس و ستين و مائتين. و الرمادى نسبة إلى بلدة رمادة. «الكاشف» (۱: ۲۸- ۲۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۶۰ فلما أصبح قال عمر بن الخطّاب: ما زال الناس ينتظرونك يا رسول [اللّه البارحة، قال: أمّا إنه لم يخف علىّ أمرهم، و لكنى خشيت أن تكتب عليهم» «۱». و روى قتيبة بن سعيد «۲» عن مالك (عن) «۳» ابن شهاب، عن عروة عن عائشة رضى اللّه عنها أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه صلى فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه، فلمّا أصبح قال: «قد رأيت الذى صنعتم، و لم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن يفرض عليكم»، و ذلك فى رمضان. و قد تظاهرت الأخبار بصلاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه بهم، و إخبارهم بأنه إنما امتنع من ذلك لما ذكره، فبيّن بهذه الأخبار أنّ هذه الصلاة سنة حسنة، فإن الاجتماع لها و القيام بها فضل كثير، و سنة جميلة، و لو كان ذلك مكروها عند اللّه تعالى فى دينه لم يفعله و إنما وقع من الرسول صلّى اللّه [۸۲] عليه/ باجتهاده: لكان خليقا بأنّ جبريل نهاه عن ذلك و أخبره أنّ هذه الصلاة (______________________________۱) رواه البخارى فى كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان (۲: ۶۱۹ برقم ۲۰۱۲)، و رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين و قصرها باب الترغيب فى قيام رمضان (۱: ۵۲۴ برقم ۷۱۶). (۲) ابن جميل بن طريف، أبو الرجا البغلانى البلخى، ثقة ثبت، من العاشرة مات سنة أربعين و مائتين عن تسعين سنة، من العاشرة روى عن مالك و الليث بن سعيد. «الكاشف» (۲: ۳۴۱)، «التقريب» (۲: ۲۷). (۳) ما بين القوسين ساقط من الأصل، و الصواب ما أثبته، حيث إن مالكا يروى عن ابن شهاب، و ليس فى الرواة مالك بن شهاب. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۶۱ بدعة مكروهة، و أنّ الاجتماع لها ليس من المصلحة، فلمّا عدل عن ذلك إلى القول بأنه إنما ترك ذلك مخافة أن تفرض عليهم ثبت أنّ هذه الصلاة و التجمّع لها سنة حسنة، و أنه إنما امتنع من ذلك- مع إيثاره لها- خيفة أن تفرض، فلما توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و انختم الوحى و انقطعت الرسالة، أمن فرض ذلك و زال الخوف منه عادت الصلاة و التجمّع لها إلى ما كانت عليه من الحسن، و استحبّ لكل مسلم فعل مثل ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه فعله- على وجه التقرّب- و دعا إليه، و رغّب فيه، و قد تظاهرت الأخبار عنه صلّى اللّه عليه أنه كان يكثر الترغيب فى هذه الصلاة و يحثّ على فعلها، و يرى الناس مجتمعين للقيام بها و أفذاذا، فيقرّ الفريقين جميعا و يستحسن ذلك من صنيعهم. و روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء «۱» أن القيام كان على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه فى رمضان يقوم النفر و الرجل كذلك، و النفر وراء الرجل، فكان عمر أول من جمع الناس على قارئ واحد، و من المحال أن يكثر هذا منهم و يتردّد على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و لا يرى عليه السلام اجتماعهم، و لا يسمع منه بذلك، و لو كان الاجتماع لهذه الصلاة منكرا لأنكره و زجره عنه، و رغّب فى سواه، و إنما ترك هو التقدّم بهم لعلة ما ذكره، و لعلهم أو كثيرا منهم مجمّعون لأنفسهم و يبلغه ذلك فلا ينكر عليهم، و كيف ينكر عليهم ذلك و هو يحثّهم و يبعثهم على هذه الصلاة و المحافظة عليها بغاية الترغيب (______________________________!؟ ۱) هو ابن أبى

رباح، و اسم أبی رباح: أسلم، القرشی المکی، من الموالی، ثقة فقیه فاضل، لکنه کثیر الإرسال، من الثالثة، مات سنة أربع عشرة و مائة علی المشهور. «التقریب» (۱: ۶۷۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۶۲ و روی الزّهری عن أبی سلمة «۱» عن أبی هریرة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه کان یرغّب فی قیام شهر رمضان من غیر أن یأمر بعزیمة فیه، فیقول: «من قام رمضان إیمانا و احتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه» «۲». [۸۳] و روی الزّهری قال: أخبرنی أبو سلمة بن عبد الرحمن/ و عبید اللّه بن عبد الرحمن «۳» عن أبی هریرة أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه قال: «من قام رمضان إیمانا و احتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه». و فی أمثال لهذه الروایة کلّها بهذا المعنی، و قریبة من هذا اللفظ، فکیف تکون هذه الصلاة بدعة. و هذا قدر حثّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه علیها، و ترغیبه فیها، و قد ثبت مع ذلک أنه جمع الناس للقیام بها، ثم امتنع من ذلک للعلة التی ذکرناها، و قد بیّنا أن هذه العلة مأمونة غیر مخوف وقوعها بعد وفاة النبی صلّی اللّه علیه فوجب أن یکون القیام بها و الاجتماع لها سنة حسنة جمیلة مع ما فی ذلک من أخذ الإمام نفسه بتجوید الحفظ و إقامة القراءة و الحذر من عیب الغلط و شدة إصغاء من خلفه و تذکّرهم و ضبطهم لما یسمعونه، و تفریغ قلوبهم و أذهانهم کذلک، و انصراف هممهم إلی سماعه و تأمّله و تصفّحه

---

(۱) هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أحد الأئمة، روی عن أبیه و عائشة و أبی هریرة، و عنه ابنه عمر و الزهری و غیرهم، و فی موته أقوال أشهرها أنه توفی سنة أربع و تسعین للهجرة. «الکاشف» (۳: ۳۰۲). (۲) رواه البخاری (۲: ۶۱۸ کتاب صلاة التراویح، باب من قام رمضان برقم ۲۰۰۹)، و رواه مسلم (۱: ۵۲۳ کتاب صلاة المسافرین و قصرها برقم ۷۵۹، ۷۶۰). (۳) هو ابن رافع، و قیل غیر ذلک، روی عن جابر و أبی سعید، صحّح الإمام أحمد حدیثه فی بئر بضاعة. «الکاشف» (۲: ۲۰۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۶۳ و الاتّعاظ به، فإنّ لسماعه من قارئه فی المحراب من عظیم الاتعاظ و الموقع و التدیّن من نفوس المؤمنین ما لا خفاء به، فأی بدعة فی هذا و مخالفة للسنة! و هی سنة جمیلة فی تعظیم الدین و مصالح المسلمین و إکادة عدوهم، و إقامة معالم دینهم و تنویر مساجدهم، و الترغیب فی طاعة ربهم، و التشاغل بعبادته و تعظیم کتابه، فمن ظن هذا بدعة من أغبیاء الشیعة و عامّتهم فلا حیلة فی أمره، و من قال ذلک و ناظر علیه ممن له أدنی مسکة منهم فلا شکّ و لا شبهة علینا و لا علی أحد فی تلاحده و تلاعبه، أو فرط تعصّبه و تنقّصه لعمر رضوان اللّه علیه و الحرص علی بخسه حظّه، و تحیّفه فضائله، و تطلّب العنت له و العیب علیه بما لا عیب فیه و لا نقیصة، و لا أقلّ- مع الإنصاف و ترک العناد- من سلامة عمر من هذا الفعل، کفافا، لا له و لا علیه، فأما الطعن علیه و الغضّ منه و من قدره لأجله فإنه إفراط فی الجهل و العنادة، و اللّه المستعان. فإن قیل: ما معنی قول النبی صلّی اللّه علیه: «ما منعنی أن أخرج إلیکم إلا خشیة أن تکتب علیکم»؟ قیل له: معنی ذلک ظاهر، و هو إیثاره التخفیف عن الأمة، و یمکن أن یکون قد/ أخبره اللّه جلّ و عزّ علی لسان جبریل أنه إن خرج إلیهم و واصل [۸۴] هذه الصلاة فرضت علیهم، إمّا لإرادته فرضها فقط علی ما یذهب إلیه، أو لأنه إن دام علیها حدث فیهم من الاعتقادات و تغیّر الحالات و الأسباب ما یقتضی أن تکون أصلح الأمور لهم کتب هذه الصلاة علیهم، و أنه إذا ترکها لم یکن منهم ما یوجب کون فرضها صلاح حالهم. و یحتمل أیضا أن یکون ظنّ أن ذلک سیفرض علیه، و أن تکون قد جرت عادته و عادة الصحابة فی أعمال القرب أنهم إذا داوموا علیها علی وجه الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۶۴ الاجتماع علیها و الاشتراک فیها کتب علیهم، فامتنع من ذلک علی وجه إیثار التخفیف عن الأمة، و قد یمکن أیضا أن یکون عنی بقوله: «خشیة أن تکتب علیکم» أننی أخاف أن یظن ظانّ بعدی من خلیفة و إمام أنّها واجبة فی شریعتی لمداومتی علیها فیلزمکم إیّاها و یأخذکم بها و بالقول إنها مفروضة فی الدین، و ما قلناه أولا أقرب، لأن إطلاق القول إنها تکتب و تفرض علیکم إنما یعقل منه أن یکتبها و یفرضها من له- تعالی- تعبّد خلقه و تکلیفهم و امتحانهم، دون من لیس له ذلک ممن یظنّ أن اللّه قد فرض و کتب علی خلقه ما یدعوهم هو إلیه، و کل هذه الأسباب مأمونة بعده صلّی اللّه علیه، و فی إقامتها و الاجتماع علیها و لها من الفضل و الانتفاع بها ما قدّمنا وصفه، فبطل بذلک جمیع ما توهّموه قادحا فی فضیلة عمر بهذا الباب و إضافة بدعة إلیه، و أنّه شرع فی الدین ما لیس منه. فإن قال قائل: جمیع ما ذکرتموه من أخبار الرسول صلّی اللّه علیه فی الحثّ علی حفظ القرآن و إقرائه له، الشهادة الحق، و کلمة التوحید، و تعلیمه إیاه کلّ داخل فی

الإسلام، و قراءته على الوفود أيام المواسم، و حفظ خلق من أهل الكفر لكثير منه، فضلا عن المسلمين بحفظ النساء و الصبيان له، و إنفاذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه خلفاءه و دعاته به إلى البلاد، و سبق الأنصار [۸۵] بحمله إلى المدينة قبل الهجرة، و حصول قرّاء له عندهم و منتصبين/ لإقرائه الناس قبل مهاجره و ظهور تسمية حفّاظه بأنهم أهل القرآن، و أهل سورة البقرة، و وجوب توافى همم أهل الصّيفّة على حفظه، و تشاغل سائرهم به دون غيره، و مما روى من تغليظ القول فى نسيانه بعد حفظه، و شدة تفلّته و عظيم المأثم فى تركه، إلى غير ذلك مما أطنبتم فى ذكره، يقتضى فى مستقرّ العادة و تركيب الطبيعة و ما فطر الناس عليه أن يكون فى الصحابة خلق الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶۵ كثير من المهاجرين ثم من الأنصار قد حفظوا جميع القرآن و جمعوه، و أحاطوا به حتى لم يذهب عليهم شىء منه، بل يجب أن تكون هذه حال كافة أهل العلم و الفضل و الهجرة و السابقة من الصحابة، فإذا لم يكن الأمر على هذا علم أنّ الحجّة لم تقم بهذه الأخبار التى رويتموها، و أن الأمر فى حال القرآن و تعظيم شأنه لم يكن عند القوم و لا فى صدر الشريعة على ما وصفتم، و الأخبار قد تظاهرت من الجهات المختلفة بأن الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه كانوا أربعة نفر فقط أو خمسة، و هذه الأخبار هى من طرقكم و رواياتكم، و عن الرجال الذين توثّقون نقلهم و تسكنون إلى أخبارهم، فروى الحكم «۱» عن مقسم «۲» عن ابن عباس قال: «جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه أربعة: معاذ بن جبل، و أبيّ بن كعب، و مجمع بن جارية، و سالم مولى أبى حذيفة، و كان ابن مسعود قرأ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه سبعين سورة»، فى أمثال لهذا الخبر كلّها وردت بأنّ قدر عدد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه ما ذكرناه، و هذا نقيض ما ادّعيتموه. يقال لهم: جميع ما قدّمناه من أحوال الصحابة و شدّة تديّنهم و تمسّكهم بالدين و القرآن و تحفّظه و تلقّنه، و الإقبال عليه، و حثّ الرسول عليه السلام لهم على حفظه و دراسته، و إنفاذ الدّعاة به، إلى غير ذلك مما وصفناه، مما (____ ۱) هو الحكم بن عتيبة الكندى مولاهم، فقيه الكوفة، عابد قانت ثقة صاحب سنّة، توفى سنة ۱۱۵ هجرية. «الكاشف». (۲) هو مقسم بن بجرة، عن ابن عباس و عائشة، و عنه الحكم و خصيف و عبد الكريم توفى سنة ۱۰۱ هجرية، كان يقال له: مولى ابن عباس للزومه له، قال عنه ابن حجر: صدوق و كان يرسل. «الكاشف» (۳: ۱۵۲). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶۶ قد تواترت و تظاهرت به الأخبار على المعنى و إن اختلفت فى ذلك الألفاظ [۸۶] و العبارات، و علم ضرورة ثبوته، كما نعلم فى الجملة تمسّك/ الصحابة بالإيمان و تصديقهم الرسول و إعظامهم له و شدة نصرتهم إياه، و إن اختلفت الروايات فيما كان من أفعالهم و ألفاظهم و حالاتهم الدالة على صدق جهادهم، و شدة إيثارهم له، و عداوتهم لأهل الشرك، و ليس هذا مما لعاقل فيه شبهة و لا يجب ترك هذه الروايات المتوافية على المعنى و العلم بما عليه العادات و ما كانت عليه الصحابة بمثل الأخبار المروية فى أنه لم يجمع القرآن من الصحابة إلا أربعة نفر، بل يجب أن يعتقد فيه أحد أمرين: الضعف و الوهاء، و السهو و الإغفال لما هى عليه من اختلاف المتون و الألفاظ، و زيادة عدد الحفّاظ فى بعض الأخبار و نقصانهم فى بعضها، و الشكّ فى حفظ آخرين، و تنافى ما جاءت به أو تصحيحها و تخريجها و تأويلها على وجه صحيح يمكن معه الجمع بينها و بين ما قدّمناه، و اعتقاد حفظ هؤلاء النفر و حفظ خلق معهم من المهاجرين و الأنصار، هذا ما لا بدّ منه. و أوّل ما نقول فى هذا أنّ الأخبار المروية فى حفظ هؤلاء النفر قد وردت من جهة الآحاد ورودا مختلفا متفاوتا يدل على الاضطراب و قلة الضبط و ضعف المخرج و النقل، و ذلك أنه روى عن عبد اللّه بن عبّاس ما حكيناه عنهم،/ و روى أيضا عبد اللّه بن إدريس «۱» عن شعبة عن قتادة «۲» قال (____: ۱) ابن زيد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ المقرئ، القدوة شيخ الإسلام، أبو محمد الأودى، ولد سنة عشرين و مائة، و توفى سنة ۱۹۲ هجرية. «سير أعلام النبلاء» (۹: ۴۲). (۲) قتادة بن دعامة السّدوسى، أبو الخطّاب البصرى، ثقة ثبت مات سنة بضع عشرة و مائة، رأس الطبقة الرابعة. «التقريب» (۲: ۲۶). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶۷ سمعت أنسا يقول: «قرأ معاذ و أبيّ و زيد و أبو زيد، قال: قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى» يعنى: على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه. و روى مسلم بن إبراهيم «۱» عن قرّة «۲» قال: حدّثنا قتادة قال: «قرأ القرآن

على عهـد رسول اللّه صلّى اللّه عليه أبىّ بن كعب و زيـد بن ثابت و معاذ بن جبل و أبو زيـد، قال: قلت: من أبو زيد؟ قال: من عمومة أنس» «۳»، و لم يخبر قتادة فى هذين الخبرين و لا عبد اللّه بن العبّاس بذلك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و لا عن النفر الأربعة بلفظ ينفى حفظ غيرهم للقرآن، و إنما قالا ـ ذلك من جهة غالب الظنّ و الرأى، أو على وجه ما يـذكره من التأويل، و كـذلك كلّ رواية وردت فى ذلك ليست عن الرسول و لا ـ بلفظ عن قوم يحجّ خبرهم يقتضى/ أن لا حافظ للقرآن سوى من ذكره الرواة. [۸۷] و روى غير واحد فى غير خبر عن محمد بن سيرين فى ذلك روايات مختلفة، فمنها أنه قال فى بعض: «جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه أبىّ بن كعب و زيد بن ثابت و عثمان بن عفان و تميم الدارى»، و فى

(____) الأزدى الفراهيدى، أبو عمرو البصرى، ثقة مأمون مكثر، من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين و عشرين و مائتين، من شيوخ أبى داود. «التقريب» (۲: ۱۷۷). (۲) هو قرة بن خالد السّدوسى، روى عنه القطّان و مسلم، ثقة ثبت مات سنة ۱۵۴ ه‍. «الكاشف» (۲: ۳۴۴). (۳) رواه البخارى فى «صحيحه» (۴: ۶۰۳ كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب زيد بن ثابت برقم ۳۸۱۰)، و رواه مسلم فى «صحيحه» (۴: ۱۹۰۴ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبى بن كعب و جماعة من الأنصار برقم ۲۴۶۵)، و رواه الترمذى فى «جامعه» (۵: ۶۶۶ كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل و أبىّ بن كعب و زيد بن ثابت برقم ۳۷۹۴). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶۸ رواية أخرى عنه أنه قال: «كان أصحابنا لا يختلفون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه مات و لم يجمع القرآن من الصحابة إلا أربعة كلّهم من الأنصار: معاذ بن جبل و أبىّ بن كعب و زيد بن ثابت و أبو زيد»، و روى الواقدى «۱» قال: حدّثنى معمر و جماعة عن أيوب «۲» عن محمد بن سيرين قال: «لم يختلفوا فى أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و اختلفوا فى رجلين، قال: «جمع القرآن على عهد النبى صلّى اللّه عليه أبىّ و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد الأنصارى، و اختلفوا فى رجلين: عثمان بن عفان و تميم الدارى»، و قال بعضهم: «عثمان بن عفان و أبو الدرداء». و روى سعد بن إسحاق «۳» عن أبىّ بن كعب القرظى قال: «جمع القرآن على عهد النبى صلّى اللّه عليه خمسة من الأنصار: أبىّ بن كعب و أبو أيوب و عبادة بن الصامت و معاذ بن جبل و أبو الدرداء». و روى أيضا ربيعة بن عثمان «۴» عن أبىّ بن كعب القرظىّ قال: «علىّ و ابن مسعود و عثمان جمعوا

(____) هو محمد بن عمرو بن واقد الأسلمى الواقدى المدنى القاضى، نزيل بغداد، قال فى «التقريب»: متروك مع سعة علمه، مات سنة سبع و مائتين و له ثمانون سنة. «التقريب» (۲: ۱۱۷). (۲) هو أيوب بن أبى تميمة، كيسان السختيانى، أبو بكر البصرى، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء و العبّاد من الخامسة، مات سنة إحدى و ثلاثين و مائة و له خمس و ستون سنة. «التقريب» (۱: ۱۱۶). (۳) ابن كعب بن عجرة البلوى المدنى، حليف الأنصار، ثقة من الخامسة، مات بعد الأربعين و مائة للهجرة. «التقريب» (۱: ۳۴۲). (۴) هو ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمى المدنى، روى عن نافع و زيد بن أسلم، ليس بذاك كما قال أبو زرعة، مع أن ابن حبّان ذكره فى الثقات. توفى سنة أربع و خمسين و مائة. «الكاشف» (۱: ۲۳۸). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۶۹ القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه» و روى عن سليمان بن يسار «۱» قال: «كان عثمان بن عفّان قد جمع القرآن من المهاجرين على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه» فقلت: غيره؟ قال: «لا أعلمه». و روى الأصبع بن أبى منصور «۲» عن زيد بن أسلم «۳» أن عثمان بن عفان جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه» و روى الثورى «۴» عن إسماعيل «۵» عن الشعبى «۶» قال: «جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، و أبىّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبو زيد، و أبو الدرداء». و روى عاصم «۷» عن الشعبى أنه قال: «ستة بعد

(____) الهلالى المدنى مولى ميمونة و قيل أم سلمة، ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة مات بعد المائة و قيل قبلها. «التقريب» (۱: ۳۹۳). (۲) هو إصبع بن زيد الواسطى، المصاحفى، نسبة إلى كتابة المصاحف، عن القاسم بن أبى أيوب و عدة، صدوق، توفى سنة ۱۵۷ ه‍. «الكاشف» (۱: ۸۴).

(۳) العدوى، مولى عمر، أبو عبد اللّه أو أبو أسامة، مدنىّ ثقة من الثالثة، كان يرسل، توفى سنة ست و ثلاثين و مائة. «التقريب» (۲: ۱۳۳). (۴) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، أبو عبد اللّه الكوفى، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رءوس السابعة، مات سنة إحدى و ستين و مائة. «التقريب» (۱: ۳۷۱). (۵) هو إسماعيل بن سلمان الكوفى الأزرق، روى عن أنس و الشعبى، قال الذهبى: ضعيف. «الكاشف» (۱: ۷۳). (۶) عامر بن شراحيل أبو عمرو الشعبى، أحد الأعلام، ولد زمن عمر، و سمع عليا و أبا هريرة و المغيرة، قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، فقيه فاضل من الثالثة، مات سنة ثلاث و مائة. «الكاشف» (۲: ۴۹). (۷) هو عاصم بن سليمان، أبو عبد الرحمن البصرى الأحول الحافظ، ثقة توفى سنة ۱۴۲ ه-. «الكاشف» (۲: ۴۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۷۰ [۸۸] هؤلاء» قال: «و نسيت السادس»/. و روى ابن أبى ذئب «۱» عن سعيد بن خالد «۲» عن ابن مسعود أنه جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و روى صالح بن محمد بن زائدة «۳» عن مكحول «۴»: قال أبو الدرداء: «ممن جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه: أبىّ بن كعب، و معاذ، و زيد، و أبو الدرداء، و سعد بن عبيد «۵»، و لم يقرأه أحد من الخلفاء من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه إلا عثمان بن عفان، و قرأه مجمع بن جارية «۶» إلا سورة أو سورتين». و روى ابن عيينة عن زكريا «۷» عن الشعبى قال: «لم يقرأ القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه إلا ستة، كلّهم من الأنصار: معاذ بن جبل، و أبىّ بن

(______________________________________) هو محمد بن عبد الرحمن بن الحارث أبى ذئب القرشى، أبو الحارث المدنى، ثقة فقيه فاضل، من السابعة، مات سنة ثمان و خمسين و مائة. «التقريب» (۲: ۱۰۵). (۲) هو سعيد بن خالد القارظى المدنى، عن ربيعة بن عباد و ابن المسيب، و عنه ابن أبى ذئب و ابن إسحاق و كثير من العلماء. «الكاشف» (۱: ۲۸۴). (۳) هو صالح بن محمد بن زائدة، أبو واقد الليثى، روى عن أنس و ابن المسيب، أورده البخارى فى فصل من مات من الأربعين إلى الخمسين و مائة. «الكاشف» (۲: ۲۱). (۴) مكحول الشامى، أبو عبد اللّه، ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور من الخامسة، مات سنة بضع عشرة و مائة. «التقريب» (۲: ۲۱۱). (۵) الزّهرى، مولى ابن زهر روى عن عمر و على، و روى عن الزهرى سعيد بن خالد، توفى سنة ثمان و تسعين، يكنى أبا عبيد، من الثانية، يقال إن له إدراكا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هذا ما يؤكده الخبر المروى عن الشعبى. «التقريب» (۱: ۳۴۵)، «الكاشف» (۱: ۲۷۹). (۶) مجمع بن جارية الأنصارى، أحد من جمع القرآن إلا يسيرا، قال الشعبى: كان بقى عليه سورتان حين قبض النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، توفى زمن معاوية بن أبى سفيان. «الكاشف» (۳: ۱۰۷). (۷) هو زكريا بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى الحافظ، روى عن الشعبى و سماك بن حرب، ثقة يدلّس عن شيخه الشعبى، توفى سنة ۱۴۹ ه-. «الكاشف» (۱: ۲۵۲). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۷۱ كعب، و زيد بن ثابت، و أبو الدرداء، و سعد بن عبيد، و بقى على مجمع بن جارية سورة أو سورتين»، و روى موسى بن عقبة «۱» عن شيخ من ولد عبادة ابن الصامت، عن عبادة بن الصامت قال: «جمع القرآن أبىّ بن كعب، و عبادة بن الصامت، و معاذ بن جبل، و زيد بن ثابت، و أبو الدرداء، و عثمان ابن عفان». و أكثر هذه الروايات مختلفة متفاوتة مضطربة على ما نراها من الزيادة و النقصان، عن الرجال و عن الرجل الواحد أيضا، و ليس فيهم أحد أخبر بذلك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و لا عن أحد الصحابة أو جماعة منهم بلفظ يقتضى لا محالة نفى حافظ القرآن غير من ذكره، و قد يجوز إن صحّت الأخبار عن هؤلاء القوم أن يكون ذلك إخبارا عن تقديرهم و غالب رأيهم و اجتهادهم، و أ يكون معناها ما سنذكره فيما بعد، و إذا أحصى عدد من ذكر فى هذه الأخبار من الحفّاظ على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه كانوا نحو خمسة عشر رجلا، لأنه قد ذكر منهم: أبىّ، و معاذ، و سالم، و زيد بن ثابت، و عبد اللّه بن مسعود، و أبو زيد، و مجمع، و أبو الدرداء، و سعد بن عبيد، و تميم الدارىّ، و أبو أيوب الأنصارىّ/، و عبادة بن الصامت، و علىّ [۸۹] بن أبى طالب، و عثمان بن عفان، و هؤلاء أربعة عشر رجلا من المهاجرين و الأنصار، و المعترض علينا بهذه الأخبار و بهذا الضرب من المطالبة و السؤال أراد أن يجعل الحفّاظ على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه أربعة نفر فقط، و الأخبار التى حاول التعلّق بها توجب أنّ الحفّاظ أضعاف ما قاله.

(______________________________________) هو موسى بن عقبة بن أبى عياش

الأسدی، مولی آل الزبیر، ثقة فقیه من الخامسة، مات سنة إحدی و أربعین و مائة. «التقریب» (۲: ۲۲۶). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۷۲ فهذه جملة تدل علی اختلاف الروایات و اضطرابها فی هذا الباب، و أنه لا یجوز أن یترک ما قدّمنا ذکره من الأخبار المستفیضة عن الصحابة و ما علیه ترکیب الطبائع و العادة لأجل هذه الروایات، فإما أن تکون مدخولة أو منصرفة إلی ما سنذکره من التأویل، علی أنه قد روی جماعة عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص «۱» أنه کان ممن جمع أیضا علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه صلی اللّه علیه و سلّم، و ما یوجب أن یکون أبوه عمرو بن العاص «۲» ممن جمعه أیضا علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه، و روی أیضا ما یوجب أن یکون عثمان بن أبی العاص ممّن حفظه و جمعه علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و قرأه فی لیلة، فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه: «إنّی أخشی أن یطول علیک الزمان و أن تملّ، فاقرأ به فی شهر»، فراجعه فی ذلک و نازله إلی أن بلغ إلی تقریره له سبع لیال «۳». و روی سماک بن الفضل «۴» عن وهب بن متبّه «۵»، عن عبد اللّه بن عمرو أنه سأل النبیّ صلّی اللّه علیه فی کم یقرأ القرآن، فقال له: «فی أربعین»، قال عبد اللّه: إنی أطیق أکثر من ذلک، قال: «فی شهر؟» قال: إنی أطیق أکثر من

(۱) ابن وائل السهمی، صحابیّ مشهور، أحد السابقین المکثرین من الصحابة، أحد العبادلة الفقهاء، مات فی ذی الحجة لیالی الحرة علی الأصح. «التقریب» (۱: ۵۱۷). (۲) أبو عبد اللّه، أسلم عام الحدیبیة، و ولی إمرة مصر مرتین و هو الذی فتحها، و مات بها سنة نیف و أربعین، و قیل بعد الخمسین. «التقریب» (۱: ۷۳۸). (۳) رواه الإمام أحمد فی مسنده حدیث رقم ۶۵۲۶ و حدیث ۶۸۹۰ (۲: ۶۵۰، ۶۳۹). (۴) سماک بن الفضل الصنعانی، ثقة قدیم. «التقریب» (۱: ۳۹۵). (۵) وهب من منبه بن کامل الیمانی، أبو عبد اللّه الأبناوی، ثقة من الثالثة، مات سنة بضع عشرة و مائة. «التقریب» (۲: ۲۹۳). قال فی «الکاشف»: أخباری علّامة قاصّ، صدوق صاحب کتب، مات سنة ۱۱۴ ه-. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۷۳ ذلک، قال: «فی خمسة عشر»، ثم قال: «فی عشر»، ثم قال: «فی سبع»، و لم ینزل من سبع «۱». و روی معمر عن قتادة أنّ عبد اللّه بن عمر سأل النبیّ صلّی اللّه علیه: فی کم تقرأ القرآن؟ قال: «فی شهر»، فقال: إنی أطیق أکثر من ذلک. فذکر مثل حدیث سماک، حتی انتهی إلی ثلاث، ثم قال النبیّ صلّی اللّه علیه: «من قرأه فیما دون ثلاث لم یفهمه» «۲»، و ظاهر هذه الروایة تقتضی أن عبد اللّه کان ممن جمع القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و إن کان یحتمل أن یکون جمع کثیرا منه من المکی إلی وقت سأل رسول اللّه/ صلّی اللّه علیه عن [۹۰] هذا السؤال، غیر أنّ ذلک خلاف الظاهر. و روی الحارث بن سعد «۳» العتقی «۴» عن عبد اللّه بن منین من بنی عبد هلال «۵» عن عمرو بن العاص أن النبیّ صلّی اللّه علیه أقرأه خمس عشرة

(۱) رواه الإمام أحمد بألفاظ متقاربة (۲: ۵۴۹، ۵۶۰ برقم ۶۴۸۷، ۶۵۲۶)، و رواه الدارمی فی «سننه» (۲: ۳۴۵ کتاب فضائل القرآن، باب فی ختم القرآن برقم ۳۸۴۶). (۲) رواه الإمام أحمد فی «مسنده» (۲: ۵۶۳، ۶۲۶، ۶۳۱ برقم ۶۵۴۶، ۶۸۲۴، ۶۸۵۶)، و رواه ابن أبی شیبة فی «المصنف» (۲: ۳۸۴ کتاب صلاة التطوع و الإمامة، باب فی القرآن فی کم یختم) و رواه ابن ماجة (۱: ۴۲۸ فی کتاب إقامة الصلاة باب فی کم یستحب الختم برقم ۱۳۴۷). (۳) کذا فی الأصل، و الصواب: سعید. «الکاشف» (۱: ۱۳۸). (۴) هو الحارث بن سعید العتقی، نسبة إلی العتقیین و العتقاء، و هم قبائل عدة، و روی عن عبد اللّه بن منین و عن نافع بن یزید. «الکاشف» (۱: ۱۳۸). (۵) عبد اللّه بن منین، مصری، روی عن عبد اللّه بن عمرو، ذکره ابن حجر فی «تهذیبه» و قال فیه: عدة من الثقات لیعقوب بن سفیان، روی عنه الحارث بن سعید. «الکاشف» (۲: ۱۲۰). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۷۴ سجدة فی القرآن، منها ثلاث فی المفصّل و فی الحجّ سجدتان» «۱»، و هذا الخبر یوجب ظاهره فی غالب الحال جمع عمرو بن العاص جمیع القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه، لأنه لا یمکن أن یتفق أن لا یتحفّظ عمرو من هذه السورة إلا سجود القرآن فقط، و لا اتفق هذا لغیره، و لا یعلم أنّ أحدا اعتمد علی ذلک و قصده وحده، و لو کان ذلک مما انفرد به عمرو لکان مفارقا لعادة القوم و ما نحن أیضا علیه فی هذا الوقت و لوجب أن یظهر ذلک عنه و أن یبحث عن غرض فیه و أن یکون من الناس قول فی هذا الباب، و فی عدم ذلک دلیل علی أنه کان یعرض القرآن علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه

و أنّه وقفه على السجدات التى فى القرآن و فصّلها له، و عرّفه مواضعها، و هذا أمر لا يصنع مع المبتدئ و لا يؤخذ به، فوجب لظاهر الحال من هذه الرواية أن يكون عمرو ممن جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه. و روى مبارك بن فضالة «۲» قال: حدّثنى أبو محرز «۳» مولى عثمان بن أبى العاص، عن عثمان بن أبى العاص قال: «وفدت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه مع ناس، فكنت أنا أصغرهم، قال: فلمّا قدمنا المدينة خلّفونى أحفظ متاعهم، قال: فقلت لهم: إنى أشترط عليكم أن تنتظرونى حتى آتى

(____١) رواه ابن ماجة (١: ٣٣٥ فى كتاب إقامة الصلاة و السنن فيها، باب عدد سجود القرآن برقم ١٠٥٧)، و رواه أبو داود (٢: ٥٨ كتاب الصلاة، باب كم سجدة فى القرآن برقم ١۴٠١). (٢) أبو فضالة مبارك بن فضالة بن أبى أمية البصرى العدوى، مولى آل الخطّاب، من علماء البصرة، ثقة من النسّاك، و كان يدلّس. انظر «الكاشف» و «تهذيب التهذيب» (١٠: ٢٧). (٣) اسمه حشيش، روى عن أبى عمران الجونى، و روى عنه سعيد بن عامر. «الكنى و الأسماء» (٢: ٨٢٩). الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٧٥ رسول اللّه صلّى اللّه عليه فأطلب إليه حاجة، قالوا: نعم، فلما رجعوا أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه فسألته عن أشياء قال أبو فضالة «١»: حفظتها قال: قلت: أعطنى المصحف الذى عندك، قال: فأعطانى و استعملنى عليهم، فكنت أؤمّهم حتى جئت». و ما على أحد شكّ و لا شبهة فيما كان عليه عثمان بن أبى العاص من التوفّر و الحرص على تعلّم القرآن لمّا وفد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و تلقّنه منه، حتى قيل إنه لم يلبث إلا يسيرا حتى تحفّظ/ القرآن عن رسول [٩١] اللّه صلّى اللّه عليه و طلب منه مصحفه فأعطاه، و لو لا أنه أكثر قومه الوافدين معه قرآنا و أخذا عن الرسول صلّى اللّه عليه لم يولّه الصلاة عليهم، و لم يوقّره و يستعمله عليهم، و لم يقدّموه فى صلاتهم، و لم يخصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه بإعطائه مصحفه على ما ورد فى هذه الرواية، و هذا الظاهر من الأمر يدلّ على أنّ عثمان كان أيضا ممن حفظ القرآن و جمعه على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه. و لو تتبع هذا لطال و كثر و اتسع الخرق فيه، و إذا كان ذلك كذلك، لم يكن لقول من قال إنّه لم يجمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه إلا أربعة نفر: معنى، و مثل روايته التى يتعلّق بها فى ذلك يقتضى أن يكون قد حفظه نحو عشرين رجلا، و إذا كان ذلك كذلك زال التعلّق علينا بما ذكروه، فإنّ القول بأنّ فلانا جمع القرآن كلّه على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه دون غيره قول يتعذّر العلم بالوصول إلى حقيقته، لأنه لا يمكن علم ذلك مع قيام رسول اللّه صلّى اللّه عليه بينهم، و اتصال نزول الوحى عليه، و العلم بتجويز (____١) و هو مبارك بن فضالة الآنف الذكر. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٧٦ قرآن ينزل عليه فى كل يوم و ليلة إلى يوم يموت صلّى اللّه عليه مع العلم أيضا بأنه لا يمكن أن يقال فى كلّ سورة نزلت على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه إنّها قد كملت لجواز أن ينزل بعد ذلك ما يضمّ إليها، و يكتب معها، على ما كان يأمرهم به الرسول صلّى اللّه عليه و إذا كان ذلك مما اتّفق عليه تعذّر العلم بأنّ فلانا قد حفظ جميع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، لأن ذلك أمر لا يتحقّق و يتيقّن إلا بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و انقطاع الوحى. و إذا كان ذلك كذلك لم يستجز كثير من الصحابة أن يخبر عن نفسه أنه قد حفظ جميع كتاب اللّه و هو لا يدرى لعلّه سينزل على الرسول بعد ذلك مثل قدر ما حفظه عنه، و لا يدرى لعلّ فيما نزل ما قد نسخ و رفعت تلاوته [٩٢] فلم يحفظه، و لعله قد/ نزل على الرسول فى الساعة التى فارقه عليها قرآن كثير غير الذى قرأه لم يقرئه الرسول إياه و حفظه غيره و ألقاه إلى سواه، و إذا كان جوّز العلماء و الفضلاء منهم جميع هذه الأمور لم يستجيزوا أن يخبر كلّ واحد منهم عن نفسه و لا عن غيره أنّه قد حفظ جميع القرآن و جمعه، بل يجب أن يتجنبوا هذا القول و أن يعدلوا عنه. و إذا وجب ذلك لم يستفيض «١» بينهم عدد حفّاظ جميع ما نزل، و لم يكن لهم إلى ذلك سبيل و لا طريق، و لم ينكر لأجل هذا أن يكون حفظ القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه جماعة لم يخبّروا بذلك عن أنفسهم و لا خبّر به عنهم غيرهم، لأنّ ذلك أمر لا ينتشر و يستفيض و يتقرّر علمه إلا بعد موت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و انقطاع الوحى و العلم بآخر ما نزل و ختم به____

(١) هكذا فى الأصل، و الصواب: لم يستفض. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٧٧ الكتاب، و أن السورة قد كملت و استقرّت و تم نظمها

و رتّبت فی مواضعها، و جمعت فیها آیاتها. و إذا کان ذلک کـذلک وجب بهذه الجملهٔ أن لا یکون فیما روی من هذه الأخبار حجهٔ تـدفع مـا قلنـاه، و أن یکون القوم الـذین قـالوا ذلـک و خبّروا بمـا أخبروا به عن الاجتهاد و غلبـهٔ الظنّ و أمر غیر متیقّن و علی قـدر ما سمعوه ممّن قال: حفظت جمیع القرآن، أو فلان قـد حفظ جمیعه، و الظنّ فی هـذا لا حجـهٔ فیه، و قـد یمکن أیضا أن یکون علی عهد الرسول صلّی اللّه علیه خلق کثیر قد حفظوا القرآن و کتموا ذلک علی أنفسهم و لم یذیعوه و لا دعاهم داع إلی إظهاره و التحدّث به، و رأوا أن کتمانه و ترک المفاخرهٔ و التّبجّح به أولی و أفضل لأجل أن التزیّن بذلک قدح فی العمل و شوب و نقص یلحق صاحبه، و إن اتفق أن یقول ذلـک قائـل من الصـحابهٔ فلأجـل سـبب یـدعوه إلی ذلک غیر القصـد إلی التزیّن به و الإخبار بکثرهٔ علمه و عمله، و عظم مرتبته، هـذا أولی الأـمور بالصـحابهٔ. و قـد روی ذلـک عن جلّهٔ منهم، فروی أنّه قیل لعبـد اللّه بن مسعود فی رجل یزعم أنه قرأ القرآن/ البارحـهٔ، فقال: «ما له إلا کلمته التی قال» «۱». [۹۳] و روی عن تمیم الـداریّ أنّ رجلاـ قال له: کم جزءا تقرأ؟ فغضب تمیم و قال: لعلّک من الـذین یقرأ أحـدهم القرآن فی لیلهٔ ثم یصـبح فیقول: قرأت القرآن اللیلهٔ! هذا شأن القوم و سـجیّتهم، فکیف یمکن مع ذلـک اسـتفاضهٔ حـال حفظـهٔ القرآن و اشـتهارهم بـه و هـذه صـفتهم؟! و قـد روی عـن الحسـن البصـریّ أنه

(____ ۱) أخرجه أبـو عبیـد فی «فضـائل القرآن» ص ۳۸۰ بلفـظ: «حظه من قراءته کلامه»، أو قـال: «ذلک حظه من قراءته». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۷۸ قال: «لقد أدرکنا أقواما إنّ أحدهم قد جمع القرآن و ما شعر به جاره، و لقد أدرکنا أقواما ما کان فی الأرض عمل یقدرون علی أن یعملوه سرا فیکون علانیهٔ أبدا» «۱». و کذلک روی أن رجلا قال بحضرهٔ قوم من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قرأت اللیلهٔ کذا و کذا، فقالوا: «حظّک منه هذا»، و هذا تغلیظ منهم شدید فی التحدّث بذلک، فکیف لا تتوفّر دواعی خلق منهم علی أن لا یشعر غیره بما یحفظه، و لاـ یرون إظهـاره. و قـد یجوز أیضا أن یکونوا إنما کرهوا أن یقال فلان حافظ للقرآن کلّه أو جامع له أو قرأ جمیع القرآن لأجل أنّه لا یأمن قائل هـذا قـد سـقط علیه من الحفظ أو الـدرس کلمـهٔ أو آیـهٔ، أو شـیء منه، أو بعض حروفه التی أنزل بها، فیکون إطلاق القول لـذلک تزیّدا فی المعنی، فتورّعوا عن ذلک، و یمکن أیضا أن یکونوا إنما کرهوا أن یقال ذلک لأجل أنهم کانوا یرون أن المسـتحقّ لهذه الصـفهٔ و التسـمیهٔ هو المتمسّک العامل بجمیع حدود القرآن، و العالم بأحکامه، و حلاله و حرامه. و قد روی أبو الزاهدیهٔ «۲» أن رجلا أتی أبا الـدرداء فقال: یا أبا الدرداء، إن ابنی هذا قد جمع القرآن، فقال: «اللهمّ غفرا، إنما جمع القرآن من سـمع له و أطاع» «۳»، فهـذا إنکـار یـدلّ علی أنّ هـذا الوصـف عنـدهم بجمعـه إنمـا یجری علی مـن عمـل بمـوجبه و وقـف عنـد حـدوده.

(____ ۱) رواه ابـن المبـارک فی کتـاب «الزهد» ص ۴۵. (۲) اسـمه حدیر بن کریب، سـمع أبا أمامهٔ و عبد اللّه بن بسر، روی عنه معاویهٔ بن صالح، وثّقه ابن معین، مات سـنهٔ تسع و عشـرین و مائهٔ، من الثالثهٔ. «الکنی و الأسماء» (۱: ۳۵۰). (۳) أورد هذا الخبر ابن حجر العسقلانی فی «الفتح» (۹: ۵۱) و قال: قد أخرجه أحمـد فی «الزهد». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۷۹ و روی أن بعض التـابعین ذکر عنـده إنسـان فقیل: «أحکم القرآن؟» فکره ذلـک فقیل: «حامل قرآن» فکرهه، و قال: «قولوا: حفظ». لأنّه اعتقـد أنّ الحفظ إنما یراد به التلاوهٔ، و قولهم (أحکم، و حمل القرآن، و حافظ القرآن) إنما یجری علی القائم بحـدوده السامع المطیع لموجبه/. و حکی عن الحسن البصـری أنه کان یقول: إنّ أحدکم لیقول: و اللّه لقد قرأت القرآن کلّه، و ما أسقطت منه حرفا واحدا، و قد و اللّه أسقطه کلّه» «۱»، یعنی بذلک ترک العمل بموجبه، و المحافظهٔ علی حـدوده و مراسـمه. و روی أن عقبـهٔ بن عـامر کان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، فاسـتقرأه عمر فقرأ علیه براءهٔ، فبکی عمر، ثم قـال: «مـا کنت أظنّ أنّها نزلت» «۲». إنمـا قال ذلک لما وجـد من نضارتها و جـدّتها بحسن قراءهٔ عقبـهٔ، و ما جـدّدته و أحـدثته له من الخوف و الوجل و الإذکار بأمر اللّه تعالی، و التحـذیر من وعیده، و الترغیب فی ثوابه علی نحو ما یقول القائل: کأنی ما قرأتها قطّ و لا سمعتها. و من ظنّ بعمر رضـی اللّه عنه أنّه لم یعرف أنّ سورهٔ براءهٔ قد نزلت مع شـهرتها و إنفاذ الرسول بها إلی أهل مکهٔ مع أبی بکر و علی، و تذلّل أبی هریرهٔ بها، و ما تضمنته من حال العقود و العهود و غیر ذلک: فهو الغبیّ المغرور، بل من ظنّ ذلک بأدنی المؤمنین

منزلـة فقد جهل جهلا فاحشا. و قد يجوز أيضا أن تكون كراهتهم لإطلاق القول بأنّ فلانا حافظ للقرآن و جامع له لأجل أنهم اعتقدوا أن ذلـك إنمـا يجرى على مـن حفـظ ناسـخ القرآن و منسـوخه، و جميـع وجـوهه و حروفه الـتى أنزل عليهـا، فلا- يوصـف به عنـدهم (____١) رواه ابن المبارك فى «الزهد» ص ٢٧۴. (٢) لم أجده. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨٠ إلا من أخذه و جمعه من فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و قرأه عليه لما لا يؤمن من الغلط بكلمـة أو آية أو حرف أو قراءة شـيء منه بوجه لا يجوز و يسوغ مثله. و إذا كان ذلك كذلك وجب حمل الأمر فى إنكار هذه الألفاظ و الامتناع من هـذه الإطلاقات، و دعوى القوم حفظ القرآن و الحمل له و الإحاطة به: على الوجوه التى ذكرناها دون ما ظنّوه و توهّموه من سـقوط شـيء من القرآن على سـائر الأمـة أو عـدم حافظ لجميعه فيهم، و كونه غير مشـهور ظـاهر بينهم. و إذا كان ذلك كذلك كان هذا أيضا أحد الأسباب المانعة من العلم بجميع عدد حفظة القرآن على عهد الرسول صلّى اللّه عليه. و ما ينكر أيضا [٩۵] على هذا الأصل أن لا يعرف ذلك بعد موته، لأنه لا ينكر أن يحفظه/ بأسره قوم منهم، و ماتوا بعد موت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و لم يطّلع على ذلك من أمرهم و إن علم فى الجملـة أنهم من حملـة القرآن و درسـته، و هـذا يمنعهم من التعلّق بما ذكروه منعا عنيفا. فإن قالوا: فما تأويل هـذه الأخبار المرويـة فى تحديـد عـدد حفظـة القرآن على عهـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه؟ قيل لهم: يحتمل أن نثبت وجوها من التأويل، فمنها: - أن يكون معنى قولهم: ما جمع القرآن على عهـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه إلا أربعـة نفر أو خمسة أنه لم يجمعه على جميع الوجوه و الأحرف و القراءات التى نزل بها و خبّر الرسول صلّى اللّه عليه أنها كلّها شاف كاف إلا أولئك النفر فقط، و هذا غير بعيد، لأنه لا يجب على سائرهم و لا على أولئك النفر أيضا أن يحفظوا القرآن على جميع أحرفه و وجوهه السـبعة. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨١ - و يمكن أيضا أن يكون معنى ذلك أنه لم يجمع ما نسـخ منه و أزيل رسـمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسـمه و بقى فرض حفظه و تلاوته إلا تلك الجماعة وحدها، لأنه قد ثبت أنه قد كان أنزل قرآن نسخ رسـمه، و أزيلت تلاوته. - و يجوز أيضا أن يكون معنى ذلـك أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم و يأخـذه من فيه تلقّيـا غير تلك الجماعـة، فإنّ أكثرهم أخـذ بعضه عنه و بعضه عن غيره. - و يحتمل أيضا أن يكون معنى هذا القول أنه لم يجمع القرآن على عهد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه: ممّن ظهر به و أبـدى ذلـك من أمره و انتصب لتلقينه عن تلك الطبقـة المـذكورة، مع جواز أن يكون فيهم حفّاظ لا يعرفهم الراوى إذا لم يظهر ذلـك منهم. هـذا ما لا بـدّ من صـرف الأخبار إليه إن ثبت و حملها عليه، لأجل ما قـدّمناه و لأجل تظاهر الروايات أيضا بما يوجب و يقتضـى حفظ الأئمـة الأربعـة لجميع القرآن على عهـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و إحاطتهم به، و لأجل أنّ هذا هو الواجب من حـالهم فى العادة و ما كانوا عليه من الأحوال فى السـبق إلى الإسـلام و التقـدّم و إعظام الرسول لهم و ما توجبه العادة فى/ مثلهم، [٩۶] و تـأمين النبى صـلّى اللّه عليه لهم و تقـديمه إيـاهم، و ما روى من طول قراءتهم و كثرة تعليمهم الناس القرآن له عنهم، و هم عنـدنا أولى النـاس بحفـظ كتاب اللّه، و أحقّهم بالسـبق إلى ذلك، و الرغبـة عن الإبطاء عنه و التمادى فيه، مع ما كانوا منصوبين و مرشّحين له، و مع ارتفاع أقدارهم و علوّ شأنهم، و امتداد الأعين و الأعناق إليهم، و تعويل النبى صلّى اللّه عليه فى النوائب و المهمّات عليهم.*** الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨٢

[فصل فى فضل أبى بكر الصدّيق رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن

[فصل فى فضل أبى بكر الصـدّيق رضـى اللّه عنه و حفظه للقرآن فأما أبو بكر الصدّيق صـلوات اللّه عليه فقد وردت الأخبار المتظاهرة بـدوام تقدّمه فى الصـلوات و قراءته لطوال السور فى المحراب التى لا يتهيأ إقامتها إلا لأهل القدر و الإتقان و القوة فى الحفظ، و كثرة الـدرس و الدّربـة بقراءة القرآن، فروى هشام الدّسـتوائى «١» قـال: حـدّثنا قتادة عن أنس: «صـلى بنا أبو بكر الصـدّيق رضوان اللّه عليه صلاـة الصـبح، فقرأ آل عمران، فقالوا له: يا خليفـة رسول اللّه كادت الشـمس أن تطلع، فقال: لو طلعت لم تجـدنا غافلين» «٢». و روى سفيان بن عيينـة «٣» عـن الزّهرى عـن أنس بن مالـك: «أنّ أبـا بكر رضـوان اللّه عليه قرأ فى صـلاة الصـبح البقرة، فقـال عمر: كـادت

الشمس أن تطلع، فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين».

(١) هشام بن أبى عبد اللّه سنبر، أبو بكر الدستوائى، ثقة ثبت من كبار السابعة، مات سنة أربع و خمسين و مائة و له ثمان و سبعون سنة. «التقريب» (٢: ٢٦٧). (٢) لم أجده. (٣) ابن أبى عمران ميمون الهلالى، الكوفى المكى، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بأخرة، من رءوس الثامنة، مات فى رجب سنة ثمان و تسعين و له إحدى و تسعون سنة. «التقريب» (١: ٣٧١). الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨٣ و قد علم أنّ كثيرا من الحفّاظ و أهل الدّربة و إدمان درس القرآن يتهيّبون الصلاة بالناس مثل هذه السّور الطوال، و ما هو دونها بالشيء الكثير، و هذا يقتضى أن أبا بكر كان حافظا للقرآن، و ليس بين هذين الخبرين معارض، لأجل أنه ذكر فى أحدهما صلاته بالبقرة، و فى الأخرى صلاته بآل عمران، و وقوع جواب واحد عن ذلك، لأنه لا يمكن أن يكون ذلك فى وقتين و فى صلاتين، و أن يكون جوابه لعمر قد وقع له و لغيره بلفظ واحد، و هذا غير مستنكر و لا بعيد. و قد تظاهرت الروايات بأن أبا بكر رضوان اللّه عليه بنى مسجدا بمكة قبل الهجرة فى فناء داره، و أنه كان يقوم بالقرآن فيه و يدعو/ إلى اللّه و إلى [٩٧] رسوله، و يشترى عرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و يزيّن صوته بالقرآن، و يكثر بكاؤه و نشيجه، فإذا كان ذلك منه أسرع عوامّ المشركين و نساؤهم و ولدانهم يسمعون قراءته و تسبيحه، حتى قالت عائشة رضوان اللّه عليها فى خطبتها: «أبى و ما أبيه، أى و اللّه لا تعطوه الأيدى، ذلك و اللّه طود منيف، و ظل مديد، صدّق و اللّه إذ كذّبتم، و سبق إذ وثبتم سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئا و كهفها كهلا، يكلأ عانيها، و يريش مملقها، و يرأب صدعها، حتى خلبته قلوبها، ثم استشرى فى دينه، فما برحت تلك شكيمته فى ذات اللّه، حتى اتّخذ بفنائه مسجدا، يحيى به ما أمات المبطلون، و كان رحمة اللّه عليه غزير الدمعة، و قيد الجوارح، شجىّ النّشيج، فأصفقت إليه نسوان قريش و ولدانها، يسخرون منه و يستهزءون به، اللّه سبحانه يستهزئ بهم و يمدّهم فى طغيانهم يعمهون، و أكبرت ذلك رجالات قريش، فحنّت له أفئدتها، و فوّقت يمامها، و امتثلوه عرضا فما ملوا له صفاة، و لا قصفوا له قناة». الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨٤ ثم مرّت رضوان اللّه عليها فى صفته و صفة دعائه إلى اللّه تعالى، و عظيم عنائه فى الإسلام، و تمسّكه به، و كيف لا يظنّ بمثل أبى بكر فى فضله و سابقته و قيامه فى الدعوة إلى الإسلام يقرأ بالقرآن، و تزيينه لصوته، و شدّة نشيجه: أنه أولى الناس بحفظ كتاب اللّه عزّ و جلّ و أحرصهم عليه و أقربهم إليه، فكيف لا ـ يظنّ بمثله أنّه حافظ؟ و كان عثمان بن أبى العاص لمّا دخل فى الإسلام و قصد رسول اللّه صلّى اللّه عليه ليتعلّم القرآن يختلف إلى النبىّ صلّى اللّه عليه، فإذا لم يجده جاء إلى أبى بكر فاستقرأه القرآن، و ربما جاء إلى أبىّ بن كعب على ما ذكر، فلو لا أن أبا بكر كان إذ ذاك محلّ من يحفظ القرآن، و يؤخذ عنه لم تكن هذه حال من اختلف إليه، إذا لم يجد الرسول صلّى اللّه عليه و لو لا علم النبىّ صلّى اللّه عليه بذلك من أمره لم يقدّمه لإمامة المسلمين، و هو حاضر يشاهد [٩٨] مكان غيره و يقول: «يأبى اللّه/ و رسوله و المؤمنون إلا ـ أبا بكر، و إنّكنّ لصويحبات يوسف» «١»، هذا مع قوله: «يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب اللّه، و أكثرهم قرآنا» «٢»، و فى خبر آخر إلى ذكر الهجرة و السن، إلى أن قال: «فأثبتهم صلاحا»، و قوله: «أئمتكم شفعاؤكم إلى اللّه، فانظروا بمن تستشفعون» «٣»، و قوله: «ليؤمّ القوم أفضلهم». فى أمثال لهذه الأخبار كلّها تدلّ على أنه يجب أن [لا] «۴» يتقدّم فى

(١) رواه أبو داود (۴: ٢١۵ كتاب السنة، باب استخلاف أبى بكر، برقم ۴۶۶٠)، و رواه الترمذى (۵: ۵٧٣ كتاب المناقب، باب فى مناقب أبى بكر و عمر، برقم ٣۶٧٢). (٢) رواه مسلم (١: ۴۶۵ كتاب صلاة المسافرين و قصرها، باب من أحق بالإمامة برقم ۶٧٣). (٣) لم أجده. (۴) ما بين القوسين ساقط من الأصل، و لا تستقيم العبارة إلا به. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ١٨۵ ذلك المقام الشريف إلا أقرأ الأمة لكتاب اللّه تعالى و أثبتهم فضلا و صلاحا، و لو لا علم الرسول بذلك من حاله و سكونه إليه لم يؤمّره على الناس فى المواسم سنة تسع، و تقديمه يوم المجتمع الأعظم للصلاة بالناس و تعليمهم المناسك و أركان الحج و تقويمهم و إرشادهم فى هذا الشأن العظيم و الخطر الجسيم، فكلّ ما ذكرناه مع مقتضى العادة و موجبها فى مثل حال أبى بكر يوجب أن يكون من كبار الحفّاظ و الأماثل. *** الإنتصار للقرآن، ج ١،

ص: ۱۸۶

[فصل في فضل عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن

[فصل فى فضل عمر بن الخطّاب رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن و أما عمر بن الخطاب صلوات اللّه عليه فقد تظاهرت الروايات عنه بمثل ذلك، فروى الناس عنه أنّه كان يؤمّ الناس بالسّور بالطوال، و حفظوا عنه أنّه كان قرأ مرة سورة يوسف فبلغ إلى قوله تعالى: وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ [يوسف: ۸۴] فأنشج حتى سمع بكاؤه من وراء الصّفوف، و أنّه قرأ يوما سورة الأحزاب فلمّا بلغ إلى قوله تعالى: يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ [الأحزاب: ۳۰] جهر جهرا شديدا، فقيل له فى ذلك فقال: «أذكّرهنّ العهد»، و أنّه قرأ من سورة الحجّ فسجد فيها سجدتين. و روى عبد اللّه بن عمر أنّه قال: «لقد رأيت أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب و أنّه لجالس على المنبر و المهاجرون «۱» و الأنصار حوله يعلّمهم الدين و القرآن كما يعلّم الكاتب الغلمان» و كيف تكون هذه حاله و قدره إلا و حفظ القرآن سجيّته و شأنه، و تلاوته دأبه و ديدنه. و روى أبو معاوية «۲» عن ....

(______________________________۱) فى الأصل: المهاجرين، و الصواب ما أثبتناه. (۲) هو أبو معاوية الضرير، محمد بن خازم بالخاء المعجمة، حافظ ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش، من كبار التاسعة، مات سنة خمس و تسعين و مائة. «التقريب» (۲: ۷۰)، «الكاشف» (۳: ۳۳). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۸۷ الأعمش «۱» عن زيد بن وهب «۲» قال: «جاء رجلان إلى عبد اللّه- يعنى ابن مسعود- فقال أحدهما: يا أبا/ عبد الرحمن، كيف نقرأ هذه الآية، فقال [۹۹] عبد اللّه: من أقرأك؟ قال: أبو حكيم المزنى «۳»، و قال للآخر: من أقرأك؟ قال: أقرأنى عمر، قال: اقرأ كما أقرأك عمر، ثم بكى حتى سقطت دموعه فى الحصى، ثم قال: إنّ عمر كان حصنا حصينا على الإسلام، يدخل فيه و لا يخرج منه، فلما مات انثلم ذلك الحصن بفريق يخرج منه و لا يدخل فيه» «۴». و روى زائدة «۵» قال: قال عبد الملك بن عمير «۶»: حدّثنى قبيصة بن جابر «۷» قال: «ما رأيت أحدا كان أعلم باللّه، و القراءة لكتاب اللّه، و لا أفقه فى دين اللّه من عمر».

(______________________________۱) سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى، تابعىّ رأى أنسا، من الطبقة الثالثة، ولد سنة إحدى و ستين، و توفى سنة ثمان و أربعين و مائة. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۹۴). (۲) الجهنى، أبو سليمان الكوفى، مخضرم ثقة جليل، لم يصب من قال: فى حديثه خلل، مات بعد الثمانين، و قيل: ست و تسعين. «التقريب» (۱: ۳۳۲). (۳) اسمه عقيل بن مقرن، ذكره الواقدى و ابن عبد البر فى الصحابة. «الكنى و الأنساب» (۱: ۲۶۱). (۴) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۴۷۹، ۴۸۰، ۴۸۴ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عمر بن الخطاب). (۵) زائدة بن قدامة الثقفى، أبو الصلت الكوفى، ثقة ثبت، من السابعة، مات سنة ستين و مائة، و قيل بعدها. «التقريب» (۱: ۳۰۷). (۶) عبد الملك بن عمير الكوفى، رأى عليا و سمع جريرا و المغيرة و النعمان، و عنه شعبة و السفيانان، مات سنة ست و ثلاثين و مائة. «الكاشف» (۲: ۱۸۷). (۷) قبيصة بن جابر، أبو العلاء الأسدى، عن عمر و على، و عنه عبد الملك بن عمير و جماعة من الفقهاء الفصحاء بالكوفة، مات سنة تسع و ستين. «الكاشف» (۲: ۳۴۰). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۸۸ و روى أيضا عبد الملك بن عمير عن زيد بن وهب قال: قال عبد اللّه يعنى ابن مسعود: «ما أظنّ أهل بيت من المسلمين لم يدخل عليهم حزن على عمر يوم أصيب عمر إلا أهل بيت سوء، إنّ عمر كان أعلمنا باللّه، و أقرأنا لكتاب اللّه، و أفقهنا فى دين اللّه». و لو لا- أنّ هذه كانت حاله و صفته فى حفظ القرآن و أنه من أقرأ الناس لكتاب اللّه لم يكن أبو بكر الصدّيق بالذى يضمّ إليه زيد بن ثابت و يأمرهما بجمع القرآن و اعتراضه، و يجعل زيدا تبعا له، لأنه لا يجوز فى صفة من هو دون أبى بكر فى الفضل و الحزم أن ينصّب مع مثل زيد بن ثابت لاعتراض القرآن و جمعه من ليس بحافظ له، و لا كلّ حافظ أيضا يصلح لهذا الباب، فبان بذلك أنّه أحد حفّاظ القرآن المتقدّمين، فمن هذه حاله و صفته فى تقدّمه و فى قراءته بالطّوال، و إقرائه الصحابة و تعليمهم بالقرآن مع الفقه و الدين، و قول ابن مسعود فيه: «و محلّه من حفظ القرآن محلّه، كان أقرأنا

لكتاب اللّه»، كيف يمكن أن يكون غير حافظ لكتاب اللّه الذى هو أقرؤهم له؟!*** الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۸۹

[فصل فى فضل عثمان بن عفان رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن

[فصل فى فضل عثمان بن عفان رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن و أما عثمان بن عفان رضوان اللّه عليه فقد وردت الروايات بأنه كان ممن جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه على ما قد بينا، و قد كان من المشهورين بقراءة القرآن و كثرة درسه، و القيام به فى آناء الليل و النهار، و إكثاره من ذلك و بلوغ الغاية القصوى منه، هذا مع سنّه/ و سابقته و تقدّم [۱۰۰] إسلامه، و عظم محلّه من الدين و المسلمين. و قد روى الناس أن عثمان رضوان اللّه عليه لما دخل عليه المصريّون ليقتلوه ابتدروه ضربة بالسيف، فوقعت على يده فمدّها و قال: «إنّها و اللّه لأوّل يد خطّت المفصّل» «۱». و قد روى الناس أنّ إحدى نساء عثمان إمّا نائلة بنت الغرافصة أو غيرها قال: «لما هجموا عليه الدار ليقتلوه إن يقتلوه أو يتركوه فإنّه كان يحيى الليل بجميع القرآن فى ركعة»، و فى رواية أخرى: «فلطالما ختم القرآن فى ركعة» «۲ (____». ۱) لم أجده.

(۲) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (۱: ۹۴ برقم ۱۶۳، ۱۶۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۰ و روى أنّ عبد الرحمن بن عثمان التيمى «۱» قال: قلت: لأغلبنّ الليلة على المقام، فلما قمت إذا أنا برجل يزحمنى عليه، فنظرت فإذا عثمان، فتأخرت عنه فصلا، فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلت هذه هوادى الفجر أوتر بركعة لم يصلّ غيرها ثم انطلق» «۲». و روى أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام كان إذا سئل: كم بقى من الليل؟ قال: «انظروا أين بلغ عثمان من القرآن» «۳»، و كلّ هذا و ما هو أكثر منه ظاهر مشهور من حال عثمان، فمن هذه حاله فى ختم القرآن فى ركعة، و من تقدّر ساعات الليل و ماضيه و باقيه بدرسه للقرآن و قيامه به، كيف يتوهّم أنّه لم يكن حافظا جامعا للقرآن (____!*** ۱)

هو ابن أخى طلحة، صحابى قتل مع الزبير، أسلم يوم بيعة الرضوان، و كان يسمّى شارب الذهب. «التقريب» (۱: ۵۸۱)، «الكاشف» (۲: ۱۵۶). (۲) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (۱: ۹۴ برقم ۱۶۲)، و أخرجه الشافعى فى «كتاب الأم» (۲: ۲). (۳) لم أجده. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۱

[فصل فى فضل علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن

[فصل فى فضل علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه و حفظه للقرآن و أما علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه فقد عرفت حاله و فضله و سابقته و جهاده، و ثاقب فهمه و رأيه و سعة علمه، و مشاورة الصحابة له، و إقرارهم بفضله، و تربية الرسول صلى اللّه عليه له و نشوؤه عنده، و أخذه له بفضائل الأخلاق و الأعمال، و رغبته فى تخريجه و تعليمه، و كثرة أقاويله فيه، و ما كان يرشّحه له و ينبّه عليه من أمره، نحو قوله: «أقضاكم علىّ، و إن تولّوها عليّا تجدوه هاديا مهديا، يحملكم على المحجّة البيضاء و الطريق المستقيم» «۱». و من البعيد الممتنع أن يقول مثل هذا فيه و ليس هو من قرّاء الأمّة للقرآن، و ممّن إن تقدّم فى الصلاة كان أقرأهم لكتاب اللّه، أو من الطبقة الذين هذه سبيلهم/. و قد كان ممّن يقرئ القرآن و يؤخذ عنه، و أحد من قرأ [۱۰۱] عليه أبو عبد الرحمن السّلمىّ و غيره، و كان من المشهورين بقراءة القرآن و التبحّر فيه، و معرفة تنزيله و تأويله، و الكلام فى مشكله و غامضه، و قد كان سائر أصحابه الدعاة إلى طاعته يظهرون عند استدعاء الناس إلى نصرته (____۱) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (۱: ۱۰۴ برقم ۱۹۵، ۱۹۶)، و ذكره صاحب «كنز العمال» (۱۱: ۶۱۲ برقم ۳۴۹۶۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۲ و الدخول فى بيعته أنّه أفقه الأمّة و أعلمها و أقرؤها لكتاب اللّه، و لا يردّ عليهم أحد و لا يعترض فيه، منهم الحسن و عمّار «۱» و عبد اللّه بن عباس، و زيد، و صعصعة بن صوحان العبدى «۲» و غيرهم من شيعته، و هو أول من نشر المصحف بالبصرة ثم بصفّين، و دعا إلى تحكيمه و الرجوع

إلى ما فيه، على ما سنشرحه فيما بعد إن شاء اللّه. و روى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص «۳» أنه قال: قلت لعبد اللّه بن عباس بن أبى ربيعة: أ لا- تخبرنى عن أبى بكر و على؟ قال: «إنّ أبا بكر كانت له السّنّ و السابقة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكلّ الناس صاغية إلى علىّ»، قال: «يا ابن أخى، كان له و اللّه ما شاء من حرس قاطع، و البسطة فى المنصب، و قرابة من الرسول و مصاهرته، و السابقة فى الإسلام، و العلم بالقرآن، و الفقه فى السنة، و النجدة فى الحرب، و الجود فى الماعون». فهذا و غيره ممن ذكرنا بفضيلة له، و شرح خطبه و مقاماته بفضل على فى كتابى الإمامة يذكرون أنه من أعلم الناس بالقرآن و إقرائهم له، فلا يعترض فى ذلك معترض يحفظ قوله. و قد كان أبو عبد الرحمن السّلمى من حفّاظ

(____) عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك

العنسى، أبو اليقظان، مولى بنى مخزوم، صحابى جليل مشهور من السابقين الأولين، بدرىّ، قتل مع علىّ بصفّين سنة سبع و ثلاثين. «التقريب» (۱: ۷۰۸). (۲) فى الأصل: (و صعصعة، و زيد بن صوحان العبدى) و الصواب ما أثبتناه، و ذلك أن ابن صوحان هو صعصعة و ليس زيدا، أما زيد فهو ابن ثابت، و أما صعصعة فقال الذهبى: هو صعصعة بن صوحان العبدى، عن عثمان و على، و عنه الشعبى و أبو إسحاق، ثقة. «الكاشف» (۲: ۲۶). (۳) هو الأموى المدنى ثم الدمشقى ثم الكوفى، ثقة من صغار الثالثة، مات بعد العشرين و مائة. «التقريب» (۱: ۳۶۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۳ كتاب اللّه تعالى و أهل العلم به، و هو يعترف لعلىّ بأنّه ما رأى رجلا أقرأ للقرآن منه. روى همام بن أبى نجيح «۱» عن عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن السّلمىّ حدّثه، قال: «ما رأيت رجلا أقرأ للقرآن من علىّ بن أبى طالب، صلى بنا الصّبح فقرأ سورة الأنبياء فأسقط آية، ثم قرأ تدرّجا ثم رجع إلى الآية التى أسقطها فقرأها ثم رجع إلى المكان الذى انتهى إليه، لا يتتعتع»/. [۲۰۱] و روى أيضا عن أبى عبد الرحمن السّلمىّ قال: «صلى بنا علىّ فى شهر رمضان فقرأ بنا عشر آيات عشر آيات»، و هذا لا يكون إلا مع تقدّم الحفظ و كثرة الدراية و حسن الإتقان. و إذا كان ذلك كذلك وجب بما وصفناه فى وضع العادة و ما عرف من أخلاق هؤلاء الأئمة و طرائقهم و ما كانوا عليه و منصوبين له، و ما ظهر من قراءتهم و تقدّمهم، و تقدمة الرسول لهم أن يكونوا حفّاظا للقرآن و جامعين له، و أن يكون العمل بذلك و الرجوع إليه أولى من الرجوع إلى الأخبار التى يذكر فيها أنّ الحفّاظ كانوا على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه أربعة نفر ليس فيهم أحد من هؤلاء الأئمة القادة الذين هم عمد الدين و فقهاء المسلمين. و على أننا أردنا بما بسطناه و وصفناه من حال هؤلاء الأئمة ما تقتضيه العادة من وجوب كثرة الحفّاظ للقرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و بعده: تأكيد أمر القرآن، و دفع قول من قال على القطع و البتات أنّه لم

(____) ۱) هو الحافظ همام بن يحيى العوذى

نسبة إلى (عوذ) بطن من الأزد، روى عن الحسن و قتادة و عطاء، قال أحمد: ثبت فى كل المشايخ، توفى سنة ۱۶۳ ه-. «الكاشف» (۳: ۱۹۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۴ يجمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه أربعة نفر، لأننا لا نحتاج فى حفظ جميع الأمة للقرآن و ظهور نقله و الإحاطة بجميعه إلى أن يعتقد و يتبيّن أنّ فيهم حفّاظا لجميعه، لأنه لو اتفق مع بعد ذلك فى العادة و تعذّره أن لا- يجمعه أحد منهم لوجب بالعادة المعلومة من تركيب الطباع و عظم شأن القرآن و مورده و الداعى إلى حفظه و التمسّك به و التحاكم إليه، و الرد إلى موجبه و إخباره بأنّ معدن العلم و ينبوعه أن لا يذهب على جميع الأمّة حفظ سائره، و أن لا بدّ أن يتفق لخلق منهم أن يحفظوا مواضع منه، و لآخرين أن يحفظوا مواضع أخر، و لخلق الاستكثار منه، و لقوم الاقتصار على ما يجزئ به من قراءته، و لقوم إيثار الطّوال منه، و لآخرين إيثار حفظ المفصّل السهل، [۱۰۳] و لخلق منهم حفظه و معرفته ضبطا و نظرا فى المصاحف،/ و لخلق منهم التفقّه به، و لآخرين القيام للصلاة به، و لآخرين الانتصاب لتعليمه، حتى لا يذهب شىء منه على كافّتهم، و لا يتوهّم من له أدنى مسكة و فهم و معرفة بعلوم التجربة و العادة توافى همم جميع الأمّة على تضييع شىء منه و ذهابه عليهم، و أن الشاة دخلت فأكلت كثيرا منه! كانوا جمعوه فلم يوجد فى غير تلك النسخة، و لا فى صدر رجل من الأمة، و لا عند أحد ممن يقرأ نظرا حفظه و العلم به، و أن اعتقاد ذلك من الأمور الدالّة على فرط الجهل و الغباوة. فوضح بهذه الجملة أنه لا حاجة ماسّة و لا غير ماسّة إلى إقامة الأدلّة و

البراهين على كون حفّاظ لجميع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بعده، و أنّ ذلك إن ذكرناه فعلى سبيل التأكيد و الكشف عن صورة الحال و موجب العادة فى ذلك. فإن قال قائل: فإذا كانت الحال فى موجب شهرة الأخبار التى رويتموها فى كثرة الحفّاظ و ارتفاع النزاع فى حفظ الأربعة نفر على عهد رسول اللّه الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۵ صلى اللّه عليه فى وضع العادة فى وجوب حفظ جلّة المهاجرين و الأنصار للقرآن لما هم عليه مما وصفتموه، فما وجه القول عندكم فى الأخبار المروية بأنّ هؤلاء الأربعة لم يكونوا ممن حفظ جميع القرآن و لا الأئمة الأربعة و من جرى مجراهم فى الفضل، و هى واردة بنقيض ما ادّعيتموه بموجب العادة و الأخبار التى قدّمتم ذكرها، فمن هذه الأخبار ما رواه ابن عليّة عن منصور بن عبد الرحمن عن أبى عبد الرحمن عن الشعبى قال: «مات أبو بكر و عمر و علىّ و لم يجمعوا القرآن»، و روى عنه من طريق آخر «أنّ عمر مات و لم يجمع القرآن، لأنه كان يحبّ أن يموت و هو فى زيادة و لا يموت و هو فى نقصان بنسيان القرآن». و روى عبيد بن جبير «۱» قال: «قلت لزيد بن ثابت عند مقتل عثمان: اقرأ علىّ الأعراف، فقال زيد: لست أحفظها، و لكن اقرأها أنت علىّ، فقرأتها فما أخذ علىّ ألفا و لا واوا»، و روى أنّ جماعة من الصحابة أتوا عبد اللّه بن مسعود ليقرأ عليهم طسم الشعراء فقال: «ما هى عندى «۲»، عليكم [۱۰۴] بأبى عبد اللّه خبّاب» «۳»، فأتينا خبّابا فسألناه يقرأها علينا (________________ . ۱) ذكره فى «الكاشف» (۲: ۲۰۷) و قال: عبيد بن جبر، أبو جعفر المصرى، عن مولاه أبى بصرة، و ذكر أنه مات سنة أربع و سبعين بالإسكندرية، و هو ثقة. قال فى «التقريب» (ترجمة ۴۳۶۴): يقال: كان ممن بعث به المقوقس مع مارية، فعلى هذا فله صحبة، و قد ذكره يعقوب بن سفيان فى الثقات، و قال ابن خزيمة: لا أعرفه. (۲) جاء فى الأصل: (ما هى عندى و لا عليكم ...) بزيادة: (و لا)، و لا يستقيم النص إلا بحذفها. (۳) أبو عبد اللّه خباب بن الأرتّ، من السابقين إلى الإسلام و كان يعذّب فى اللّه، و شهد بدرا، ثم نزل الكوفة و مات بها سنة سبع و ثلاثين. «التقريب» (۱: ۲۶۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۶ و روى أبو إسحاق الهمدانى «۱» عن سعيد بن وهب «۲» قال: «قدم علينا عبد اللّه- يعنى ابن مسعود- فقلنا: اقرأ علينا البقرة، فقال: لست أحفظها» «۳»، و روى الهيثم بن واقد عن عطاء بن أبى مروان «۴» قال: «قلت للطّفيل بن أبى «۵»: أبوك جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه؟ قال: بعده، قلت: إن أناسا أخبرونا أنّه جمعه أربعة على عهد رسول اللّه، فيهم أبوك، فقال الطّفيل: أ ترى أنّ أناسا أعلم بأبى منّى؟». و روى عكرمة «۶» عن ابن عباس: «إنّ القرآن لم يجمعه أحد على عصر رسول اللّه صلى اللّه عليه»، و روى بشر بن حميد المرّىّ عن أبيه قال: «سمعت أبا قلابة «۷» يحدّث عمر بن عبد العزيز «۸» فى خلافته أنّ أربعة من (________________ ۱) هو عمرو بن عبد اللّه السّبيعى، الهمدانى- بالدال المهملة، ثقة عابد من الثالثة، مات سنة ست و عشرين و مائة، رأى عليا و ابن عباس و ابن عمر. روى عنه الأعمش و شعبة و الثورى. و السّبيعى: بفتح السين و كسر الباء. «اللباب» (۲: ۱۰۲)، «الكاشف» (۳: ۵۳)، «الكنى و الأسماء» (۱: ۳۵). (۲) الهمدانى الكوفى من كبراء شيعة على، وثّقه يحيى بن معين، مات سنة ست و سبعين. (۳) لم أجده فى كتب الآثار، و كذا الأثران السابقان. (۴) الأسلمى أبو مصعب المدنى، نزيل الكوفة، و اسم أبيه سعيد، و قيل عبد الرحمن، ثقة من السادسة، مات بعد الثلاثين و مائة. «التقريب» (۱: ۶۷۵). (۵) هو ابن أبىّ بن كعب الأنصارى الخزرجى، ثقة من الثانية. «التقريب» (۱: ۴۵۰). (۶) هو عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر المكى المقرئ، تفرد عنه البزّى بحديث التكبير من (و الضحى) إلى الناس، من الطبقة الخامسة. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۱۴۶). (۷) اسمه عبد اللّه بن زيد بن عمر الجرمى البصرى، ثقة فاضل كثير الإرسال، من الثالثة، مات بالشام هاربا من القضاء سنة أربع و مائة. «التقريب» (۱: ۴۹۴). (۸) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى، أمير المؤمنين، ولى إمرة المدينة للوليد، و ولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، من الرابعة، مات فى رجب سنة إحدى و مائة بعد سنتين من الخلافة الراشدة، عن أربعين عاما. «التقريب» (۱: ۷۲۲). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۱۹۷ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه جمعوا القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه معاذ بن جبل، و أبىّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبا زيد، فقال عمر: قد بحثت عن هذا الحديث بالمدينة إذ كنت عليها واليا فقلت لخارجة بن

زيد: إنّ الناس يقولون إنّ أباك جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه، فقال: جمعه بعد، أو جمع أكثره» «۱». فى أمثال لهذه الأخبار و الألفاظ كثيرة، وردت تنفى حفظ أحد من هؤلاء و غيرهم للقرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه، فما وجه هذه الأحاديث عندكم؟ قيل له: وجه القول عندنا فيها أنّها أخبار آحاد غير ثابتة، و لا سبيل إلى العلم بصحتها، و أنّها حالة فى الظهور و الانتشار محلّ الأخبار الواردة بحفظ هذه الجماعة، و الشيء الظاهر المعلوم لا يترك لما ليس ثابتا و ما لا سبيل إلى العلم بثبوته، فوجب ترك الإحفال بهذه الأخبار، و لأجل أنّ العادة فى الصحابة و ما كانوا عليه و جميع ما وصفناه يدلّ على ضعف هذه الأخبار و اضطرابها و أنها مما لم تقم الحجة بها، و أقصى أحوال هذه الأخبار أن تكون معارضة للأخبار الواردة بحفظ هذه الجماعة للقرآن على عهد الرسول صلى اللّه عليه، و معاذ اللّه أن يكون كذلك لإطباق أهل النقل على/ أنّها [۱۰۵] ليست فى الثبوت و الظهور و صحّة المخارج و الطرق و اتفاق الألفاظ: بجارية مجرى الأخبار المرويّة فى حفظ هذه الجماعة للقرآن و شهرتها. و قد روى مقسم «۲» عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «جمع القرآن

(______________________________
۱) لم أقف عليه. (۲) هو مقسم بن بجرة، أبو القاسم مولى عبد اللّه بن الحارث، صدوق كان يرسل من الرابعة، مات سنة إحدى و مائة. و قد قدّمنا ترجمته. «التقريب» (۲: ۲۱۱). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۹۸ على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه أربعة. و عدّ معاذ بن جبل و أبيّا و عبد اللّه و زيد بن ثابت»، و هذا معارض لما روى عنه من أنّه لم يجمع القرآن أحد فى حياة الرسول، فيجب إذا كان ذلك كذلك اطّراح هذه الأخبار، و الرجوع إلى ما ذكرناه من الأخبار الثابتة و مقتضى العادة فى مثل الصحابة. على أنّنا لو سلّمنا للسائل صحّة هذه الأخبار التى تعلّق بها و سلامتها من التخليط و الفساد، و أحللناها محلّ الصحيح الذى رويناه فى حفظ الجماعة التى تقدّم ذكرها للقرآن لوجب حملها على وجوه من التأويلات توافق موجب الأخبار بالعادة التى ذكرناها، فإنّها كلّها معرّضة لتأويل لا يخالف ما قلناه، فمنها: - أن يكون معنى قولهم إنّهم لم يحفظوا القرآن أنّهم لم يحفظوا جميع ما نزل من ناسخه و منسوخه الذى سقط رسمه و زال فرض حفظه بعد ثبوته، و هذا ليس ببعيد، لأنّهم لا يجب عليهم و لا على غيرهم أن يعنوا بحفظ ما نسخ و رفع رسمه، و يكون معنى قول خارجة بن زيد: «جمعه أو أكثره بعد ذاك»؛ أى: جميع المنسوخ المزال فرض رسمه و تلاوته أو أكثره بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه. - و يحتمل أيضا أن يكون معنى ذلك أنّ هؤلاء الأربعة لم يحفظوا جميع حروف القرآن السبعة التى أنزل عليها، و أخبر الرسول عليه السلام أنه أقرأ بها، و لا أحاطوا بجميعها و لا أحد غيرهم أيضا من الأمّة فى حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه، ثمّ جمع ذلك منهم من يعمل بحفظها و أخذ نفسه بها كأبيّ و غيره من المبرّزين فى حفظ القرآن على جميع وجوهه و أحرفه. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۱۹۹ - و يحتمل أن تكون رواية الشّعبيّ و غيره ممن روى مثل روايته أنّ أبا بكر و عمر و عليّا عليهم السلام لم يجمعوا القرآن أنّهم لم يجمعوا ناسخه و منسوخه، و لم يجمعوه بجميع قراءاته و حروفه التى أنزل/ عليها. [۱۰۶] - و يحتمل أيضا قول عبد اللّه بن مسعود فى البقرة و الشعراء أنّهما ليستا عنده و أنه لا يحفظهما، و قول زيد بن ثابت لعبيد بن جبير: «لست أحفظ الأعراف» أنهما لا يحفظان ذلك عن رسول اللّه صلى اللّه عليه، و أنّهما لم يقرءا هذه السورة عليه و لا أخذاها من فيه بغير واسطة، و إنّما حفظاها عمّن أخذ عنه، فلذلك قال عبيد بن جبير: «فقرأت الأعراف على زيد فما أخذ علىّ ألفا و لا واوا». يعنى أنه لم يحفظ عليه فيها غلطا واحدا و لا عرف، و لو لا أنّ زيدا كان يحفظ الأعراف كيف كان يجوز أن يأخذ عليه فيها الغلط؟ و ليس ينكر أن يكون لم يتفق لهما جميعا و لا لغيرهما من الأمة أن يكونا حفظا جميع القرآن عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سمعاه منه، و إن أخذا عنه الأكثر و سمعاه منه و أخذا باقى ذلك و سمعاه ممن أخذ عنه و سمع منه، و إذا كان ذلك كذلك ساغ هذا التأويل أنّ أحدا لم يجمع القرآن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و هم يريدون هذا أو بعض ما تقدّم. و يمكن أيضا أن يكون كلّ واحد من هؤلاء النفر قد سمع منه قبل موت النبى صلى اللّه عليه يخبّر عن نفسه أنّه لم يجمع القرآن، و إنّما كانوا يقولون ذلك- و إن حفظوا جميع ما نزل- لما لا يأمنون من نزول ما ينزل بعد ذلك، و علمهم بأنّ الوحى و نزول القرآن غير مأمونين منه ما دام الرسول حيّا، فامتنعوا لذلك أن يقولوا (حفظنا جميع القرآن) و إن كانوا قد حفظوا

جميع ما أنزل على الرسول إلى وقت سمع منهم هذا القول. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۰۰ و بعد، ما ندرى من قال إنهم لم يحفظوا جميع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و لا أحد غيرهم أنّ ما قاله على ما ذكره، و قد بيّنا من قبل أنّهم كانوا يحفظون و لا يمارون و لا يتحدّثون بذلك، و لا يشعر به من أحوالهم، خوف المدح فى الطاعة، و إيثار الاستسرار بفعل الخير و التقرّب إلى اللّه تعالى، و إذا كان ذلك كذلك، و كانت هذه الأخبار التى اعترضوا بها [۱۰۷] تحتمل من التأويل ما قد ذكرناه وجب حملها إن صحّت على/ موافقة موجب العادة فى باب الصحابة و الأخبار المشهورة التى قدّمنا ذكرها فى حفظ هذه الجماعة و غيرها للقرآن، و هذا بيّن فى زوال الشّبهة بما تعلقوا به. و إن هم قالوا: إن موجب العادة التى وصفتم فى أمر الصحابة لأجل سبقهم و جهادهم و حرصهم على نصرة الدين و حفظه و الأخذ بمعالمه، و تقديم الأعظم فالأعظم، و الأهمّ فالأهمّ منه يوجب حفظ جميع الفضلاء الأماثل منهم للقرآن، و أنّهم لا ـ يتأخّرون عن ذلك لقاطع يصدّهم و أمر يكون التشاغل به أولى و أهمّ من التشاغل بحفظ القرآن. قيل لهم: أجل، كذلك توجب العادة و الحال عندنا فى أمرهم. فإن قال: كيف يكون ذلك كذلك و قد روى عن عبد اللّه بن عباس أنه كان يقرئ عبد الرحمن بن عوف «۱» فى خلافة عمر بن الخطّاب، و عبد الرحمن عندكم من الفضل و السابقة و الجهاد و العلم و السّنّ و العناء فى الإسلام و لحوقه بالطبقة الأوّلة من الصحابة بالمحلّ المعروف، و عبد اللّه من حداثة السنّ و قرب العهد بحيث يعرفون، و قد روى الزّهرىّ أنّ عبيد اللّه بن (________________________ ۱) ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث القرشى الزّهرى، أحد العشرة المبشّرين بالجنة، أسلم قديما و مناقبه كثيرة، مات سنة اثنتين و ثلاثين، و قيل غير ذلك. «التقريب» (۱: ۵۸۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۰۱ عبد اللّه بن عتبة بن مسعود «۱» أخبره أنّ عبد اللّه بن العباس أخبره أنه كان يقرئ عبد الرحمن بن عوف فى خلافة عمر بن الخطّاب، قال: فلم أر أحدا يجد من القشعريرة ما يجد عبد الرحمن عند القراءة، قال ابن عباس: فجئت ألتمس عبد الرحمن يوما فلم أجده، فانتظرته فى بيته حتى رجع من عند عمر و هو يومئذ بمنى آخر حجة حجّها عمر» «۲»، و هذا خلاف موجب أخباركم و العادة التى وصفتم. يقال لهم: فظاهر تلك الأخبار و ما ذكرناه من موجب العادة فى مثل عبد الرحمن فى فضله و تقدّمه و نبله يوجب المصير إلى ما قلناه من وجوب حفظه القرآن و إيقاف خبركم هذا، و إحالة علم طريقه و تخرّجه على اللّه سبحانه الذى هو أعلم به، فإما أن نترك ما وصفناه من المتيقّن لأجله، فذلك غير سائغ، على أن الخبر إن صحّ و ثبت فمعناه محمول/ على موافقة ما [۱۰۸] ادّعيناه، و ذلك أنّ الناس كانوا يتحفّظون القرآن بأن يقرءوه على الحفّاظ، و بأن يقرأه عليهم الحافظ، و يأخذونه من لفظه، و فى الناس إلى هذا الوقت من ذلك أسهل عليه و أقرب إلى فهمه، و أكثر من يعمل ذلك إنما يعمله ليأخذ نمط القارئ الحافظ و يسلك فى القراءة سننه، و يتّبع ألفاظه، و كذلك كان الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، إنّما قرأ على أبىّ على وجه التخصيص و التعظيم ليأخذ أبىّ طريقته، و يحكى لفظه، و يقفو أثره، و كذلك ذكر عن أبىّ و ابن أبى. (________________________ ۱) الفقيه الأعمى، روى عن عائشة و أبى هريرة و ابن عباس، و روى عنه الزهرى و أبو الزّناد، و هو معلّم عمر بن عبد العزيز، و كان من بحور العلم، مات سنة ثمان و تسعين. «الكاشف» (۲: ۲۰۰). (۲) رواه البخارى (۱۲: ۳۴۰ كتاب المحاربين من أهل الكفرة و الردة برقم ۶۸۳۰)، و رواه مسلم (۵: ۱۱۶)، و أحمد فى «مسنده» (۱: ۵۵ برقم ۳۹۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۰۲ و إذا كان ذلك كذلك وجب حمل قراءة عبد الرحمن على عبد اللّه على هذا التأويل، مع أنّ عبد اللّه بن عباس قد صرّح بهذا المعنى عن نفسه، فى خبر آخر ورد من هذا الطريق، فروى معمر عن الزّهرىّ عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عباس أنّ عبد الرحمن بن عوف رجع إلى منزله بمنى، قال ابن عباس: «و كنت أقارئ رجلا من المهاجرين، فكان عبد الرحمن ممن أقارئ، فوجدنى عبد الرحمن بن عوف فى منزله أنتظره فى آخر حجّة حجّها عمر»، فقد صرّح عبد اللّه بأنّه كان يقارئ الصحابة، و الرجل لا يقارئ إلا الحفظة، و لا يقارئ من لا يحفظ أو من هو دونه، فوجب حمل الخبر على ما قلناه، على أنّ اختلاف عبد اللّه إلى عبد الرحمن إلى منزله و انتظاره له يدلّ على أنّه كان يقصده ليتعلّم القرآن منه و يذاكره به، لأنّ العادة لم تجر بقصد الملقّن إلى المتعلّم و انتظاره إلا عادة الأجراء و المتكسّبين بإقراء القرآن، و

الصحابة أجلّ قدرا من أن ينسب أحد منهم إلى ذلك، فإذا كان هذا هكذا سقط ما ظنّه السائل. و مما يدلّ أيضا على تعظيم منزلة عبد الرحمن و شدّة تقدّمه، و أنّه كان من المشهورين بحفظ القرآن و من أقرأ الناس و أكثرهم قرآنا ما رواه الناس من تقدّم عبد الرحمن بن عوف رضى اللّه عنه للصّلاة بالناس و صلاة النبىّ [۱۰۹] صلى اللّه عليه/ خلفه، و ذلك من المشهور المدوّن فى كتب فقهاء الأمصار. و قد روى عروة بن المغيرة «۱» عن المغيرة بن شعبة «۲» أنه غزا مع رسول

(____١) ابن شعبة الثقفى، أبو يعفور الكوفى، ثقة من الثالثة، مات بعد التسعين، تولّى الكوفة زمن الحجاج سنة ۷۵ ه-، روى عن أبيه و عائشة. «الكاشف» (۲: ۲۳۰). (۲) ابن مسعود بن معتّب الثقفى، صحابىّ مشهور، أسلم قبل الحديبية، و ولى إمارة البصرة ثم الكوفة، مات سنة خمسين. «التقريب» (۲: ۲۰۶). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۰۳ اللّه صلّى اللّه عليه غزوة تبوك، قال: فبرز رسول اللّه صلّى اللّه عليه قبل الغائط، فحمل معه إداوة قبل الفجر، فلما رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه أخذت أهريق على يده من الإدواة، و هو يغسل يديه ثلاث مرّات، ثمّ غسل وجهه، ثم ذهب يحسر جبّته عن ذراعيه، فضاق كمام جبّته، فأدخل يده فى الجبّة حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبّة، و غسل ذراعيه إلى المرفق، ثم توضّأ و مسح على خفّيه، ثم أقبل، قال المغيرة: ثم أقبلت معه حتى نجد الناس قدّموا عبد الرحمن بن عوف قد صلّى بهم، فأدرك النبىّ صلّى اللّه عليه إحدى الركعتين و صلّى معه الناس الركعة الآخرة، فلما سلّم قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه فأتمّ صلاته، فلما قضى صلاته أقبل على الناس يعلّمهم، ثم قال: «أحسنتم»، يغبطهم أن صلّوا الصلاة لوقتها، قال المغيرة: و فى رواية أخرى: فأردت تأخير عبد الرحمن فقال النبى صلّى اللّه عليه: «دعه»، و لو لا أنّ عبد الرحمن كان أقرأ أهل تلك الغزاة و أشهرهم بذلك أو كان كأقرئهم و أكثرهم قرآنا لم يقدّموه و يعدلوه عمّن هو أقرأ منه و أحقّ بالتقديم، و لو لا علم الرسول صلى اللّه عليه بذلك لم يقرهم على ذلك، و لم يخلّهم من التنبيه و التصريح على وجوب تقدمة غيره و أنّهم قد عدلوا عن الواجب أو الأفضل و هو يقول: «يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب اللّه» و «أئمتكم شفعاؤكم» و «أئمتكم خياركم». و فى تركه لهم و قوله: «أحسنتم» أوضح دليل على فضل عبد الرحمن، و أنّه كان يومئذ من حملة القرآن، و أهلا للإمامة و التقدّم بالناس، فإذا كان ذلك كذلك زالت هذه الشّبهة، و وجب صحة ما قلناه من موجب العادة و الأخبار المتظاهرة التى قدّمنا ذكرها فى حفظ أفاضل الصحابة و الأماثل منهم/ لجميع كتاب اللّه تعالى قبل موت الرسول صلى اللّه عليه، [۱۱۰] و أنّ الأخبار المروية فى نقيض ذلك محمولة على ما ذكرناه و بيّناه من قبل. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۰۴

باب القول فى بيان حكم بسم اللّه الرحمن الرحيم و الناس و الفلق، و دعاء القنوت و ترتيب سور القرآن و نظم آياته و عددها و القول فى أوّل ما أنزل منه و آخره

باب القول فى بيان حكم بسم اللّه الرحمن الرحيم و الناس و الفلق، و دعاء القنوت و ترتيب سور القرآن و نظم آياته و عددها و القول فى أوّل ما أنزل منه و آخره فإن قالوا: جميع ما وصفتم و أكّدتم القول فيه من ظهور أمر القرآن على عصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و بعده، و كثرة حفّاظه و القائمين به، و المنقطعين إلى تحفّظه و تبحّره و ظهور نقله و إذاعته، و كثرة فضائله و توفّر الهمم و الدواعى على الإحاطة به، و معرفة أحواله و أسبابه و تنزيله و فاتحته و خاتمته إلى غير ذلك مما قلتموه: يقتضى لو كان الأمر فى بابه على ما وصفتم علم جماعة الصحابة و كافّة الأمة بحكم بسم اللّه الرحمن الرحيم، و هل هى آية من كتاب اللّه تعالى فى افتتاح كلّ سورة أم لا؟ و هل هى آية من سورة الحمد أم لا؟ و هل هى إن كانت آية فى افتتاح كلّ سورة من جملة السّور أو منفصلة عنها و غير داخلة فيها؟ و هل كان يجهر بها الرسول صلى اللّه عليه أم لا؟ و قد علمتم أنّ كل هذا مختلف فيه من حكمها، فمن مثبت له، و من رادّ منكر، و إذا كانت هذه حالهم فى البعد عن العلم بحكم بسم اللّه الرحمن الرحيم كانوا عن تحصيل حكم غيرها أبعد، و إلى التخليط فيه أقرب، و هذا يمنع أشدّ المنع من أن يكون أمر القرآن فى الظهور و الانتشار و قيام الحجة به على ما وصفتم. الإنتصار للقرآن، ج ۱،

ص: ٢٠٥ و كذلك كل الذى وصفتم و أطنبتم فيه و أسهبتم يوجب لو كان على ما ادّعيتم ظهور أمر المعوّذتين، و هل هما من كتاب اللّه المنزل أم لا؟ و أن يرتفع اللّبس و الإشكال عن الصحابة فى أمرهما، و أن لا يخفى ذلك على عبد اللّه بن مسعود حتى يخرجه جحدهما إلى حكّهما من مصحفه،/ و إلى [١١١] أن يقول: «لا تدخلوا فيه ما ليس منه» و أن يقول إذا سئل عنهما: «سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه عن ذلك فقال: «قيل لى قل، فقلت»، فنحن نقول كمال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه». و كان يجب أيضا أن لا يختلف ترتيب المصاحف و فواتحها إن كان قد وقفوا على ترتيب السّور فيها، و قد روى ذلك فى اختلاف كثير سنذكر طرفا منه عند القول فى جمع أبى بكر الصديق رضوان اللّه عليه للقرآن بين لوحين، فواحد يثبت فاتحة الكتاب أوّله و آخر يثبت اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، و آخر يثبت غير ذلك، ثم يخالفون أيضا بين ترتيب باقى السّور، و كان يجب أن لا يختلفوا فى عدد آى القرآن و رءوسها، و قد ظهر من حالهم فى ذلك ما لا خفاء به، و كان يجب على كافّتهم العلم بأوّل شىء أنزل منه و آخره و ارتفاع تنازعهم فى هذا الباب. و كلّ هذا يدلّ دلالة قاطعة على بطلان ادّعائكم لظهور نقل القرآن و كثرة حفظته، و قيام الحجّة على المكلّفين بجميعه، و أنّ بيان سائره وقع فى الأصل شائعا ذائعا على حالة تقتضى تظاهر نقله و إحاطة الأمّة بمعرفته. يقال لهم: ليس فى شىء مما ذكرتموه دليل على فساد ما ادّعيناه، و بعض ما ذكرتموه قد وقفوا عليه و ظهر بينهم و حصل عليهم به، و بعضه مما لم يوقفوا عليه و لم تقم الحجّة بظهوره، و لم تكن الحاجة إلى معرفته كالحاجة الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٠٦ إلى معرفة نفس التلاوة و نظم آيات السّور، و نحن نفصّل كلّ شىء من ذلك و نكشف عن حقيقة القول فيه إن شاء اللّه. و أما بسم اللّه الرحمن الرحيم فإنّها عندنا ليست ثابتة من فاتحة الكتاب و لا هى فاتحة كلّ سورة، و إن كانت قرآنا فى سورة النمل، و قد زعم قوم من أهل العلم أنّها آية من فاتحة الكتاب، و قال آخرون: هى آية فى فاتحة كلّ سورة، و وقف آخرون مع اعتقاد كونها قرآنا فى أنها آية فاصلة مفردة أو من أوّل كلّ سورة، و نحن نبدأ بإبطال قول من زعم أنّها كذلك منزلة، و ذكر ما تحمله، ثم نبيّن ما نقوله. [١١٢] و قد استدلّ من يزعم أنه قرآن منزل على ذلك باتفاق/ الصحابة فى عصر الرسول صلّى اللّه عليه أو فى زمن أبى بكر و عمر و عثمان عليهم السلام على القول بأنّ ذلك قرآن منزل، و أنّ جميع ما فى المصحف من أوّله إلى آخره كلام للّه تعالى و وحيه و منزل من عنده، و أنّهم قد وقفوا على ذلك و أخبروا به هذه الجملة مما لا شبهة على أحد فى قول الجماعة بها، و اتفاقهم على نقلها و الإخبار بها. و ليس لأحد أن يقول إنّ هذا الإجماع منهم و النقل إنّما وقع على ما عدا بسم اللّه الرحمن الرحيم المرسومة فى فواتح السّور، لأنّ ذلك مما لم يوقفونا عليه و لا عرف من قصدهم و لا بعادة و عرف مواضعة بينهم، كما أنّه ليس لأحد أن يدّعى ذلك فيما عدا تبّت أو الناس و الفلق، فلما اتفقوا على أنّ جميع ما انطوى عليه المصحف- الذى هو الإمام- كلام اللّه و وحيه بغير اختلاف بينهم: ثبت أنّ ذلك كلام اللّه و قرآن منزل، و هذا مما لا خلاف بينهم فى اعتقاد جملته، و ليس هذه حال الأمّة فى جميع ما انطوت عليه المصاحف التى هى عن الإمام المجمع عليه. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٠٧ و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية و قرآن منزل فى كل موضع رسمت فيه، لأنّ إطباق الأمّة على ذلك قائم مقام توقيف الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و نصّه على أنّ جميع ما فى ذلك الإمام قرآن منزل و تلاوة و نصّ قرآن بذلك، فكما أنّه لو وقف على ذلك و تلا به قرآنا يجب حمله على ما عدا بسم اللّه الرحمن الرحيم مع معرفة قصده إلى التوقيف، على أنّ جميع ما فيه قرآن منزل فكذلك سبيل توقيف الأمّة على هذا الباب. قالوا: و قد تظاهرت الأخبار بذلك عن الرسول صلّى اللّه عليه، و نقل أهل الآثار أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و المسلمين إنما كانوا يعرفون انقضاء السورة و الابتداء بغيرها إذا نزلت بسم اللّه الرحمن الرحيم، و لا يجوز أن يقال: نزل فى جملة القرآن، و مع ذكره و بواديه و خواتمه ما ليس بقرآن. قالوا: و قد روى عمرو بن دينار «١» عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «إنّ جبريل عليه السلام كان إذا نزل/ على النبىّ صلى اللّه عليه بسم اللّه [١١٣] الرحمن الرحيم عرف أنّها سورة قد ختمت و استقبل السورة الأخرى» «٢»، و روى ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أمّ سلمة «أنّ النبىّ صلى اللّه عليه كان يعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية فاصلة» «٣»، و روى ابن جريج و سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: «ما كان رسول اللّه صلى اللّه عليه يعرف انقضاء السورة حتى تنزل عليه بسم اللّه الرحمن الرحيم» «۴».

(______________________________ ١) المكى، أبو محمد الأثرم الجمحى مولاهم، ثقة ثبت من الرابعة، مات سنة ست و عشرين و مائة. «التقريب» (١: ٧٣٤). (٢) رواه أبو داود فى «سننه» (١: ٢٠٩ كتاب الصلاة، باب من جهر بها برقم ٧٨٨)، و أخرجه ابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (٣: ١٧٨) بألفاظ مختلفة عن ابن عباس. (٣) لم أقف عليه. (۴) انظر «نصب الراية» للزيلعى (١: ٣٢٧). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٢٠٨ و روى ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: «كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل بسم اللّه الرحمن الرحيم، فيعلمون أنّ السورة قد انقضت» «١»، و روى عطاء عن ابن عباس قال: «كنّا نتعلم القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه فما يعرف فصل السورة حتى تنزل بسم اللّه الرحمن الرحيم» «٢». و كلّ هذا ينبئ عن أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منزلة عند فواتح السور، و لفظ الأخبار توجبه. قالوا: على أننا نعلم علما لا شكّ فيه أنّه قد ادّعى كون بسم اللّه الرحمن الرحيم قرآنا منزلا عند فواتح السّور جماعة من الصحابة، و أعلنوا ذلك و ظهر عنهم و عرف القول به من دينهم، فلم ينكر ذلك عليهم أحد و لا ردّه و لا قال فيه قولا يمكن ذكره و حكايته، و هذا أيضا يدل على ظهور هذا القول بينهم و تسويغه و الرضا به و المصير إليه، لأنّه ليس مما يجوز أن يقال إنّ كل مجتهد فيه مصيب أو إنّ الإثم عن مخطئ الحقّ فيه موضوع، لأنّه إدخال فى القرآن ما ليس منه، و هو بمثابة إخراج بعضه منه، و ليس ذلك كمسائل الأحكام، و القول فى الحلال و الحرام الموكول إلى الاجتهاد بالرأى عند عدم النصوص، فيظنّ تسويغ إطلاقه مع الخلاف فيه و احتمال الأمر. و قد تظاهرت الأخبار و الروايات عن عبد اللّه بن عباس «أنه كان يقول قولا ظاهرا فيمن يترك افتتاح السّور ببسم اللّه الرحمن الرحيم حتى ترك (______________________________ ١) رواه الحاكم فى «المستدرك» (١: ٣٥۶) بلفظ: «كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة»، و قال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. (٢) رواه أبو داود فى «سننه» (١: ٢٠٩) بلفظ: «كان النبى لا- يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم اللّه الرحمن الرحيم». الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٢٠٩ الناس من كتاب اللّه تعالى آية و سرق الشيطان من إمام المسلمين آية «١»، و من ترك أن يقرأ بهذه الآية فقد ترك آية من كتاب اللّه عزّ و جلّ». و روى حنظلة «٢» و شهر بن/ حوشب «٣» عن ابن عباس قال: «من ترك بسم اللّه الرحمن الرحيم [١١۴] أن يقرأ بها فقد ترك آية من كتاب اللّه» «۴»، و روى عمر بن قيس «۵» عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس قال: «ترك الناس من كتاب اللّه بسم اللّه الرحمن الرحيم» «۶»، و روى جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إنّهم ليتركون من القرآن آية بسم اللّه الرحمن الرحيم» «۶»، و روى عطية «٨» عن ابن عباس و غيره أيضا عنه أنّه قال: «سرق الشيطان من إمام المسلمين بسم اللّه الرحمن الرحيم» «٩». (______________________________ ١) أخرجه ابن عبد البر فى «التمهيد» (٢٠: ٢١١) بلفظ: «سرق الشيطان من أئمة المسلمين آية». (٢) هو حنظلة السّدوسى- نسبة إلى سدوس جد أو قبيلة، و الأغلب أنه جد- أبو عبد الرحيم، روى عن أنس و عبد اللّه بن الحارث، ضعّفه أحمد. «الكاشف» (١: ١٩۶). (٣) شهر بن حوشب الأشعرى الشامى، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، صدوق كثير الإرسال و الأوهام، من الثالثة، مات سنة اثنتى عشرة و مائة. «التقريب» (١: ۴٢٣). (۴) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (١: ۴۴٠ برقم ٢٣۴١). (۵) عمر بن قيس، سندل، روى عن عطاء و نافع، و روى عنه ابن وهب، واه، قال عنه البخارى: متروك. «الكاشف» (٢: ٢٧٧). (۶) لم أجد هذين الأثرين بهذا اللفظ، لكن الأثر المروى عن شهر بن حوشب شاهد لهما. (٨) هو عطية بن سعد بن جنادة الجدلى الكوفى، أبو الحسن، صدوق يخطئ، و كان شيعيا مدلسا، من الثالثة، مات سنة إحدى عشرة و مائة. «التقريب» (١: ۶٧٨). (٩) سبق تخريج هذا الحديث. الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٢١٠ فهذه قصة ظاهرة عن ابن عباس و ظاهر من قوله لا ينكر عليه أحد و لا يردّه، و لا يقول له قد فرّقتنا بترك آية من كتاب اللّه، و ما هذا نحوه، و كل ذلك ينبئ عن كون بسم اللّه الرحمن الرحيم منزلة عند فواتح السور. و مما يدلّ على علم الصحابة بأنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منزلة عند افتتاح كل سورة و أنّ التارك لقراءتها فى درسه إنما يترك عند نفسه آية منزلة ليست من جملة السور بل منفردة عنها: اتفاق جميعهم على إثبات بسم اللّه الرحمن الرحيم فى افتتاح كلّ سورة، و تركهم لذلك فى افتتاح سورة براءة، فولا أنهم موقوفون على إثباتها و كونها

آيـة عنـد افتتـاح كل سورة سوى سورة براءة لأثبتوها أيضا فى أول سورة براءة، لأنهم كانوا إنما فعلوا ذلك بالرأى و الاستحسان على وجه الافتتاح للتلاوة بها، وجب لهذه العلة افتتاح براءة أيضا بها، و فى عدولهم دليل على أنها ليست بآية فى ذلك الموضع و إن كانت آيـة منزلـة فى افتتـاح كل سورة. قالوا: و مما يـدل أيضا على هـذا القول و يؤكّده ما ظهر و عرف من كراهـة جماعـة من سـلف الأمة الأفاضل النّبل أن نثبت فى المصـحف شيئا ليس منه، من ذكر اسم السورة و ذكر خاتمتها و أعشارها و غير ذلك من تزيين المصاحف بالـذهب و إحـداث أمر فيه لم يكن مرسوما فى مصـحف الجماعـة الـذى هو الإمام، إلى أن أعظموا القول فى ذلك، و قالوا إنه بـدعة ممن فعله، [۱۱۵] و طلبت العلـل و المعـاذير لمن فعل ذلك بأخـذه لحاجته/ إلى معرفـة أسـماء السور، و مواضع الأعشار منها، هـذا مع ظهور الحال فى ذكر أسـماء السورة و خاتمتها، و عـدد أعشارها و أخماسـها، و أنه لا شـبهة على أحد فى أنّ ذلك ليس بقرآن منزل، فكيف بهم فى إثبات ما يلتبس و يشـكل، و قـد شاع ذلك عنهم، فلو كانت بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست من جملـة القرآن و لا مما الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱۱ أمروا و اتفقوا على رسـمه و إثباته لظهر أيضا اختلافهم فى ذلك و إنكاره و الخوض فيه ظهورا يجب لنا العلم به، فلما لم يكن ذلك كذلك صحّ هذا القول و ثبت. فروى ليث عن مجاهد أنه كره التعشير فى المصحف «۱»، و روى أيضا ليث «۲» عن مجاهد أنه كان يكره أن يكتب فى المصـحف تعشيرا أو تفصيلا «۳» و روى هشام بن الغاز «۴» عن مكحول أنه كره نقط المصاحف «۵»، و روى ابن جريـج عن عطاء قال: «هـذه بدعة» «۶»، يعنى ما يكتب عن كل سورة خاتمتها، و هى كـذا و كـذا آيـة، و روى أيضا عن عكرمة أنه قال: «هو بدعة». قالوا: فأمّا جلّة الصـحابة فذلك أيضا مروى عن كثير منهم، فروى إسرائيل «۷» عن عامر «۸» قـال: «كتـب رجـل مصـحفا عنـد كـل آيـة تفسـيرها، فـدعا

(۱) لم أجده عن مجاهد، و هو مروى عن عبد اللّه بن مسعود كما سيمر قريبا. (۲) ابن أبى رقيـة الشامى الثقفى، مولى أم الحكم بنت أبى سفيان كاتب عمر بن عبد العزيز، مقبول، من السادسـة. «التقريب» (۲: ۴۷). (۳) لم أجـده. (۴) هشام بن الغاز بن ربيعـة الجرشـى الدمشـقى، نزيل بغـداد، ثقـة من كبار السابعة، مات سنة بضع و خمسين و مائة. «التقريب» (۲: ۲۶۸). و ألغاز بمعجمتين بينهما ألف، «تهـذيب التهـذيب» (۱۱: ۴۹). (۵) لم أجده. (۶) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۱۹۸ كتاب فضائل القرآن). (۷) إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى الهمدانى، أبو يوسف الكوفى، ثقة تكلّم فيه بلا حجة، من السابعة، توفى سنة ستين و مائة، و قيل بعدها. «التقريب» (۱: ۸۸). (۸) هو عامر بن واثلة أبو الفضل الكنانى، له رؤية و رواية عن أبى بكر و عمر و معاذ، و عنه الزهرى و غيره، و به ختم الصـحابة فى الدنيا، مات سـنة عشـر و مائة على الصحيح. «الكاشف» (۲: ۵۲). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱۲ به عمر بن الخطّاب رضوان اللّه عليه فقرّضه بالمقاريض» «۱»، و روى يحيى بن وثّاب «۲» عن مسروق «۳» عن عبد اللّه أنه كره تعشير المصاحف «۴»، و روى سلمة بن كهيل «۵» عن أبى الزّعراء «۶» عن ابن مسـعود قال: «جرّدوا القرآن»، يقول: «لا تعشّـروه» «۷»، و روى عن عبـد اللّه أيضـا أنه رأى خطّا فى مصـحف فحكّه و قال: «لا تخلطوا به غيره» «۸» و هـذا أكثر ممّا يحصـى جمعه و يتّسع. و كل هـذه الأخبار تدل على اتفاق الأمة أنّ جميع ما فى الإمام الذى كتبه عثمـان قرآن منزل من عنـد اللّه جـلّ و عزّ، و لو كـان بسم اللّه الرحمن الرحيم مكتوبـا على وجه الفصل و الخاتمـة لوجب أيضا إنكار هؤلاء القوم لـذلك، لأنه ليس من جملـة المنزل، بل هو مثل ما أنكروه بعينه. و يوضح ذلك أيضا و يكشـفه أن قوما من التابعين و من بعـدهم مـن السّـلف قـد اسـتجازوا كتـب التعشـير و خاتمـة سـورة كـذا و عـدد آياتهـا كـذا و كـذا، فـأنكر

(۱) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۱۹۸ كتاب فضائل القرآن). (۲) يحيى بن وثّاب الجزرى، مجهول من مشايخ خارجة بن مصعب، من السابعة. «التقريب» (۲: ۳۱۷). (۳) مسروق بن الأجـدع بن مالك الهمدانى الوادعى، أبو عائشة الكوفى، ثقة فقيه عابد مخضـرم، من الثانية، مات سـنة اثنين- و يقال: سنـة ثلاث و ستين و مائـة. «التقريب» (۲: ۱۷۵). (۴) رواه ابن أبى شـيبة فى «المصـنف» (۷: ۱۹۹ كتـاب فضائل القرآن). (۵) سلمة بن كهيـل الحضـرمى، أبو يحيى الكوفى، ثقـة من الرابعـة. «التقريب» (۱: ۳۷۸). (۶) اسـمه عبـد اللّه بن هـانئ الكنـدى، وثّقه العجلى، من

الثالثة، سمع ابن مسعود و روى عنه سلمة بن كهيل، و قال ابن المدينى: لا أعلم روى عنه إلا سلمة. «الكنى و الأسماء» (۱: ۳۴۶). (۷) لم أجده. (۸) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۱۹۸ كتاب فضائل القرآن). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۱۳ ذلك عليهم من بدّعهم فيه، فلم يحتجّوا لصواب فعلهم بكتابة عثمان بسم اللّه الرحمن الرحيم/ فى فواتح السور، و أنّه لم يكن من القرآن فى شيء، و لو كانوا يعتقدون ذلك لسارعوا إلى الاحتجاج به، و لم يجز على سائرهم إغفال هذا الأمر الظاهر الناقض لقول من خالفهم و بدّعهم، فهذا أيضا يكشف عن أنّ إثبات عثمان و الجماعة بسم اللّه الرحمن الرحيم لم يكن على وجه الفصل و الافتتاح، و العلامة تدل على أنه منزل من عند اللّه سبحانه. قالوا: فإن قال قائل: كيف يسوغ لكم أن تدّعوا أنّ أحدا لم يدفع أن تكون بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منزلة عند كل سورة، و قد وردت الأخبار عن الحسن البصرى بأنه أنكر ذلك، و قال لما سئل عنها: «صدور الرسائل»، و صحّ عنه أنه كان لا يفتتح الجهر بها و يقول: «إننى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و الأئمة من بعده لم يجهروا بها» «۱». يقال لهم: ليس فى هذه الرواية ما يدل على إنكار الحسن لكونها آية منزلة فى فواتح السور، و إنما فيها أنه كان ينكر أن تكون من الحمد و لا بعدها آية منها، و لا يرى الجهر بها، و كل ذلك لا يدل على أنها ليست بآية

(____) ۱) قول الحسن: «إنى رأيت رسول اللّه و الأئمة من بعده لم يجهروا بها»، الحسن لم ير النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فهو من التابعين، و تحمل هنا (رأيت) على العلمية لا على البصرية، فهى بمعنى (علمت مما ورد عن النبى و أصحابه ...)، و هذا الخبر مروىّ عن أنس رضى اللّه عنه فى «الصحيحين» قال: «صليت خلف رسول اللّه و خلف أبى بكر و عمر و عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم»، و أحوال الصحابة و من بعدهم فى الجهر بالبسملة لا تعنى عدم قرآنيتها، و قد تم بيان ذلك. «نصب الراية» للزيلعى (۱: ۳۲۹). * قلت: و حديث أنس فى عدم الجهر بالبسملة معلّ بعلة فى متنه، انظر تفصيلها فى «تدريب الراوى» للحافظ السيوطى (۱: ۲۵۴- ۲۵۷). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۱۴ منزلة و إن لم تكن من الحمد و لا من جملة غيرها سوى النمل، و نحن لا نعتقد أنها آية من الحمد و لا نرى افتتاحها بها و لا- يتبين بهذا القدر فقط أنها ليست بآية من كتاب اللّه منزلة فى فواتح السّور، و على هذا خلق من أهل العلم جلّة أماثل. و قوله: «صدور الرسائل» ليس فيه أنها ليست بآية منزلة، لأنها قد تكون آية و إن صدّرت بها الرسائل، و قد تصدّر بها أيضا السّور و تفتتح و إن صدّرت بها الرسائل، و قد كان المسلمون يصدّرون (باسمك اللهمّ) حتى أنزلت: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [النمل: ۳۰]، فصدّر بها رسول اللّه صلى اللّه عليه و المسلمون، و قد يجوز أيضا أن يكون الحسن ممّن اعتقد أنه تصدّر بها الكتب و الرسائل، و أنه يجب أن تصدّر بها السور، و يستفتح بها فى الكتابة، كما كان يفعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و كما اتفق عليه المسلمون من بعده و إن لم يجب أن يفتتح بها فى القراءة. و كل ذلك إذا [۱۱۷] أمكن لم يكن فى قول الحسن/ هذا نطق بإنكار كونها آية منزلة. قالوا: فأما ما روى أيضا عن الحسن من أنه قال: «يكتب فى أول الإمام، و اجعلوا بين كل سورتين خطّا»، فإنه خبر باطل، لأن فاعل ذلك و الآمر به مخالف لسنة الرسول صلى اللّه عليه و المسلمين و ما قد اتفقوا عليه، لأنّ الحسن و كلّ أحد من أهل عصره يعلم علما لا شبهة عليه فيه أنّ الأمة كانت تكتب ذلك، و لم يكن من رأيه مخالفة فعل الأمة، و كيف يصنع ذلك و هو يحتجّ لترك الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم بترك الأئمة لذلك، و الأئمة بأسرها قد أثبتوا بسم اللّه الرحمن الرحيم بين كل سورتين، و لو صحّت هذه الرواية لوجب حملها على وجهين: الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۱۵ أحدهما: أنه يمكن أن يكون بلغه أنّ قائلا قال: إنها من كل سورة، أو ظنّ ذلك كما يقول هذا و يظنه بعض أهل عصرنا فقال: «يجعل بين كل سورتين خطّا» لزوال هذه الشبهة، و إن كان السلف قد كتبوها غير أنه لم يدخل عليهم فى ذلك شبهة، و الآن فقد تغيّرت الحال. - و يمكن أيضا أن يكون الحسن قد اعتقد أنه لا يجب أن تكتب فى فواتح السور إذا دوّنت و اتصلت الكتابة مما لا يجب أن يقرأ إذا اتصلت قراءة السّور، و هذا لا ينبئ عن أنه يعتقد أنها ليست بآية منفردة منزلة عند افتتاح كل سورة و إن لم يكن منها، و لم يجب على كاتب القرآن و تاليه و خاتمه أن يكتبها و يتولها. قالوا: فإن قال القائل: فخبّرونا عن بسم اللّه الرحمن الرحيم أ هى عندكم آية من الحمد أم لا؟ قيل له: لسنا نعلم أنها آية من

الحمد أم لا، كما لا نعلم أنها آية من غيرها أم لا و إن كنّا نعلم أنّها آية مفتتحة بها، لأنه ليس معنا توقيف على ذلك يوجب العلم و لا توقيف على أنّها ليست منها، و ليس فيما يتعلّق به من زعم أنّها آيـة من الحمد لأجل أنّ الحمد سبع آيات، و بسم اللّه الرحمن الرحيم مشبهة لآياتها و ما بعدها فى العدد و الطول، فإذا اتّفق على أنّ الحمد سبع آيات و لم تعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منها وجب على مسقطها أن يعدّ مكانها أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ «۱» آية، و ليست مشبهة لآيات الحمد، أو يعدّ

(۱) خلاصة مذاهب العلماء فى عد الآى أن علماء الكوفة و مكة يعدّون البسملة آية من الفاتحة، بينما علماء المدينة و الشام و البصرة يعدون أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آية و لا يعدون البسملة آية من الفاتحة، قال العلّامة القاضى رحمه اللّه: و الكوف مع مكّك يعدّ البسملة سواهما أولى عليهم عدّ له الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱۶ [۱۱۸] مكانها إِيَّاكَ نَعْبُدُ آية منها/ كما روى عن الحسن البصرى، و إِيَّاكَ نَعْبُدُ لا تشاكل أيضا مثيلاتها من آيات الحمد، فوجب إذ ذاك عدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منها و جعلها من جملتها. فهذا عندنا مما لا شبهة فيه و لا تعلّق لأحد لأجل الاتفاق على أنّه لا يجب أن تكون آيات السورة كلّها متساوية متشابهة، لأنّ أهل البصرة قد عدّوا لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ آية من سورة الصافّات و فى سورة محمد صلى اللّه عليه، و ليست مشبهة لآياتها، و عدّوا فى لم يكن مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ آية و ليست مشاكلة لما قبلها و لا لما بعدها، و عدّ الناس جميعا إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ آية و هى لا تشبه ما بعدها، و عدّ أهل الكوفة فى سورة طه ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا آية و هى غير مشبهة لشىء من آيات طه، و عدّوا فى بنى إسرائيل يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً آية و ليست كآياتها، و لو تتبع ذلك لكثر، و إذا كان ذلك كذلك بطلت هذه الشّبهة. و الصحيح عندنا أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بآية من الحمد و لا من غيرها سوى سورة النمل فإنّها قرآن من جملتها، لأنّه قد ثبت و صحّ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه ترك الجهر بها و إن كان قد روى أنّه ربّما جهر بها و أنّ الأئمة بعده تركوا الجهر بها، و قد ثبت وجوب الجهر بجميع سورة الحمد فى صلاة الجهر و موضعه، فلو كانت آية من الحمد لوجب الجهر بها كوجوبه فى سائر آياتها، لأنه لا وجه للجهر ببعض السورة فى موضع الجهر و ترك الجهر ببعضها، و لا مثل لذلك فى الشرع و لا نظير، فهذا يدلّ على أنّها ما تستفتح بها السور، و أنّه لا يجب تقديمها أمامها، و لا اعتقاد كونها أنّها من جملتها. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱۷ و مما يدل أيضا على أنّها ليست بآية من الحمد اتفاق الكلّ من الأئمة و القرّاء على أنها ليست بآية من غير الحمد و إن كانت مرسومة فى افتتاحها، لأنّه لا خلاف بينهم فى ترك عدّها مع آيات كلّ سورة و إن اختلفوا فى عدّها آية من الحمد، فيجب حملها مع الجهر على وجه حملها مع غيرها من السّور فى أنّها ليست من جملتها. غير أنّ القائل/ بأنّها من جملة الحمد أعذر ممّن قال: هى منها و من كل [۱۱۹] سورة، لارتفاع الخلاف فى أحد الموضعين، و على أنّه ليس ببعيد أن يجعل اللّه بسم اللّه الرحمن الرحيم آية من الحمد و بعضا لها، و لا يجعلها بعضا لغيرها بل آية مفردة منها تفتتح السّور بها أو كلاما ليس بقرآن يندب إلى افتتاح سور القرآن بها، و لكنّا سنذكر بعد ما يدلّ قطعا على أنّها ليست من الحمد و لا من غيرها، قال الزاعمون إنّها آية فاصلة بين السور، و أننا لا ندرى أنّها من الحمد أو لا. إن قال قائل: خبّرونا عمّن قرأ جميع القرآن و أسقط تلاوة بسم اللّه الرحمن الرحيم من أوّلها أ هو عندكم خاتم للقرآن؟ كما أنّ قارئها فى افتتاح كل سورة خاتم للقرآن؟ قيل له: أجل، و قد جعل اللّه تعالى ختم القرآن على وجهين: أحدهما ختم سائر سوره مع إسقاط بسم اللّه الرحمن الرحيم، و ختم له مع تلاوة بسم اللّه الرحمن الرحيم، كلاهما ختم للقرآن. قالوا: فإن قال: كيف يكون مسقط بسم اللّه الرحمن الرحيم خاتما لجميع القرآن و قد أسقط عندكم منه كلاما كثيرا و حروفا كثيرة؟ قيل له: لأجل أنّ اللّه سبحانه و رسوله و المسلمين جعلوا فاعل ذلك خاتما للقرآن، يراد بذلك لجميع سور القرآن و إن أفرد منها بسم اللّه الرحمن الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۱۸ الرحيم، لأنها ليست من جملتها، و إن كان قارئ جميع السور مع بسم اللّه الرحمن الرحيم قد ختم جميع السّور و ضمّ إليها قرآنا ليس منها، و لو كان مسقط بسم اللّه الرحمن الرحيم غير خاتم للقرآن لأنّه قرأ ما هو أقلّ عدد حروف من عدد الحروف التى قرأها تالى بسم اللّه الرحمن الرحيم لوجب أن يكون قارئ جميع سور القرآن مع بسم اللّه الرحمن الرحيم غير خاتم للقرآن إذا قرأه على غير قراءة أهل مكّة، بل بإسقاط و او الجمع و حذفه فى قوله

عليهموا و عليكموا و هموا و أنتموا و إليكمو، و ما أشبه ذلك فى جميع سور القرآن: غير خاتم القرآن، لأنّه ترك ما قد اتّفق على أنّه أصل الكلام و تحقيق [۱۲۰] لفظه، و قد ترك بترك ذلك حروفا لا تحصى كثرة، و قارئ القرآن/ بحرف أهل مكة قد أتى بذلك أجمع. و لمّا لم يجب ذلك و كانت الأمة متفقة على أنّ قارئ القرآن على الوجهين خاتم له لأنّ اللّه جلّ ذكره جعل التلاوتين ختما لكتابه، كذلك حكم خاتم القرآن بإسقاط بسم اللّه الرحمن الرحيم، إلا فى سورة النمل، و خاتمه مع تلاوة بسم اللّه الرحمن الرحيم فى فواتح سوره إلا- بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وحدها، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه. قالوا: فإن قال: أ فترون مع قطعكم على أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منزلة فاصلة بين السور أنّ ثواب خاتم جميع القرآن مع إسقاطه تلاوة بسم اللّه الرحمن الرحيم كثواب خاتم مع تلاوتها و الافتتاح بها؟ قيل له: كثرة الثواب و قلّته مما لا تعلّق له فى هذا الكتاب، و لو قلنا: إنّ ثواب خاتمه مع الافتتاح ببسم اللّه الرحمن الرحيم أكثر من ثواب خاتمه مع إسقاطها لم يدلّ ذلك على أنّ من قلّ ثوابه ليس بخاتم للقرآن، لأنّه قد يكون له ختمتان، ثواب أحدهما أكثر من ثواب الأخرى، على أنّ هذا مما لا الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۱۹ سبيل أيضا إلى علمه، كما أنّه لا سبيل لنا إلى أنّ خاتم القرآن بحرف أهل مكة و النطق بواو الجمع أكثر ثوابا من مسقط هذا الواو، و إن تيقّنا أنّ عدد حروف إحدى الختمتين أكثر من عدد الأخرى بشيء كثير، لأجل أنّ الاجتهاد إذا أدى إلى أنّ حذف هذا الحرف- الواو- أولى و أخفّ على القلب و اللسان و ألطف موقعا فى قلوب سامعى القراءة، أو أدعى لهم إلى التعلّم و الإصغاء كان ذلك بمنزلة من أدّاه اجتهاده إلى أنّ إثباتها أولى، و النطق بها لأجل وجوه أخر، و لأنّها الأصل فى الكلام، و غير ذلك. فكذلك من أدّاه اجتهاده إلى إسقاط قراءة بسم اللّه الرحمن الرحيم عند افتتاح كل سورة يريد وصلها بغيرها التى بعدها لأجل ما يقصده من تذليل لسانه و رياضة نفسه و اقتداره على وصل آخر السورة بابتداء غيرها لمعرفة حكم الابتداء و الإعراب فى ذلك، مع اعتقاده فيه الوقف عند/ فراغه من [۱۲۱] آخر السورة، و اتباعها فيه الوصل لافتتاح ما بعدها، و ليعرف كيف يفعل ذلك، و كيف كلام أهل العلم و اللغة فيه، فإنّ هذا الجمع اجتهاد و توصّل إلى علم نافع و تدرّب بهذا القرآن و التبسّط فى تلاوته و حسن الإفصاح به، فما يمكننا مع قصد مسقط الافتتاح ببسم اللّه الرحمن الرحيم من ختمته إلى ما ذكرناه أن نعلم أنّ ثوابه أقلّ من ثواب المفتتح بما فى مبادئ السور فى ختمته. و ربّما كان أيضا ثواب الخاتمين مع تلاوة بسم اللّه الرحمن الرحيم أكثر من ثواب الآخر لما تقارب ختمته من الخنوع و الخشوع و الاتّعاظ و الإخلاص و صدق العمل، و ربّما كان ثواب الختمة الواحدة أكثر من ثواب الختمات الكثيرة إذا توافرت مثل هذه الأسباب، و ربّما كان ثواب قراءة الآية و أقل أو السورة الواحدة أكثر من ثواب الختمة إذا قادت الآية إلى الإخلاص و صدق الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۰ النيّة، و ارتفاع الشّوب و القصد إلى القربة، ما لم يقارف الختمة، و إذا كان ذلك بطل هذا السؤال، و زال عن القوم ما ظنّوه. و اعلموا وفّقكم اللّه أنّ الذى نختاره و نذهب إليه أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بآية من الحمد، و لا- من سورة سوى النمل، فإنّها قرآن من جملتها، و أنّ القطع بذلك واجب، و أنّه لا- حجّة فى شيء مما قدّمناه عن القوم قاطعة على أنّها آية من القرآن مفردة فاصلة بين السورتين، و لا- على أنّها من جملة كل سورة. و الدليل على ذلك أنّنا نحن و جميع من خالفنا فى هذا الباب ممّن يعرف أصوله و طريق نقل القرآن و كيفية بيان الرسول صلّى اللّه عليه له و تلقّيه عنه: متّفقون على أنّه قد ثبت أنّ الرسول صلى اللّه عليه بيّن جمع القرآن بيانا واحدا على وجه تقوم به الحجّة و ينقطع العذر، و أنّه لم يبيّن بعضه بيانا ظاهرا معلنا تقوم به الحجّة، و بيّن بعضه بيانا خفيّا موعزا إلى الواحد و الاثنين و من لا تقوم الحجّة بإخباره عنه لما سمعه منه صلّى اللّه عليه من القرآن، و أنّ هذه العادة فى بيان جميع القرآن كانت عادة الرسول صلّى اللّه [۱۲۲] عليه و سلّم،/ لأنّه لو كان ذلك كذلك لوجب فى مستقرّ العادة و طريقة رسول اللّه صلّى اللّه عليه فى بيان القرآن و ترتيبه و ما يجب فيه و تضييق تركه و تحريم الجهل به و أن يكون قد بيّن ذلك لأمة بيانا تقوم به الحجة، و أن يعرّفها هذين الوجهين اللذين لكلّ واحد منهما إذا قرئت السورة عليه خاتمة مخصوصة، و يكشف لهم عن ذلك كما عرّفه ابن مسعود، و يوضّحه لهم الإيضاح الذى إذا شكّ فيه ابن مسعود و وهم لم يشكّ غيره، و لم تجر العادة بتوافى همم جميع من بيّن ذلك له على إهماله أو السهو عنه و الشكّ فيه، و أن لا يلقى الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۱ ذلك إلى ابن مسعود وحده إلقاء خاصا لا

تقوم الحجة به و لا يعرفه من دينه غير عبد اللّه وحده، لأنّه لم تكن هذه عادته صلى اللّه عليه فى بلاغ القرآن. و لو جاز ذلك عليه لجاز أن يبيّن بعض الحروف السبعة و بعض ترتيب السّور لعبد اللّه بن مسعود وحده، و لا يوقف عليه غيره، و لو أمكن ذلك لأمكن أيضا و جاز أن يبيّن بعض القرآن الذى كان أنزل عليه و يبلّغه إلى ابن مسعود وحده دون غيره، فإذا كان هذا باطلا من قولنا جميعا وجب أحد أمرين: - إمّا أن يكون هذا الخبر ضعيفا مدخولا لم تقم به الحجّة عن عبد اللّه. - أو يكون ثابتا، و يكون ذلك ممّا كان مباحا أن يختم السورة بخاتمتين على التخيير بغير اشتراط وجهين من القراءة ثم نسخ ذلك و ذهب عن عبد اللّه، أو يكون مما كان مباحا و مشروطا أن تقرأ السورة على وجهين، لكلّ وجه فيهما خاتمة مخصوصة، فنسخ أحد الوجهين و نسخت خاتمته و بقى الوجه الآخر و بقى أيضا خاتمته، و ذهب ذلك على عبد اللّه و عرفته الأمّة، فإمّا أن يكون باقيا ثابتا و لا تعرفه الأمّة و لا تقف عليه الأمّة، و لا تقف عليه من دين الرسول إلا عبد اللّه وحده، فإنّه باطل بعيد لما بيّناه من قبل، فيسقط بما وصفناه من تعلّقهم بهذه القصة. فإن قالوا: أ فليس قد روى ابن جريج عن عطاء أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه مرّ بأبى بكر الصدّيق/ رضى اللّه عنه و هو يخافت فى قراءته، و مرّ بعمر [۱۲۳] صلى اللّه عليه و هو يجهر، و ببلال و هو يقرأ من هذه السورة، و من هذه السورة، فقال: «كلّ ذلك حسن» «۱» أو نحوه من الكلام، و هذا إقرار منه (________________ ۱) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» (۲: ۴۳۱) بلفظ: «كلكم قد أصاب». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۲۲ لبلال على جواز خلط السّور و إدخال بعضها فى بعض، كما أنّه إقرار على المخافتة و الجهر. يقال لهم: قد روى أبو عبيد «۱» عن الحجّاج عن اللّيث بن سعد «۲» عن عمر مولى غفرة «۳» عن النبى صلى اللّه عليه أنّه مرّ بأبى بكر و هو يخافت، و مرّ بعمر و هو يجهر، و مرّ ببلال «۴» و هو يقرأ من هذه السورة، و من هذه السورة، فقال لأبى بكر: مررت بك و أنت تخافت، فقال: إنّى أسمعت من ناجيت، فقال: ارفع شيئا، و قال لعمر: مررت بك و أنت تجهر، فقال: أطرد الشيطان و أوقظ الوسنان، فقال: اخفض شيئا، قال لبلال: مررت بك و أنت تقرأ من هذه السورة، و من هذه السورة فقال: أخلط الطيّب بالطيّب، فقال: إذا قرأت السورة فأنفذها» «۵»، يعنى صلى اللّه عليه اقرأها على وجهها إلى آخرها، لا معنى لإنفاذها هاهنا إلا هذا (________________ ۱) القاسم بن سلّام الأنصارى البغدادى، قرأ على الكسائى و غيره، و كان إمام أهل دهره فى كل العلوم، و فضائله كثيرة، من السادسة، توفى سنة ۲۲۴. «معرفة القراء» (۱: ۱۷۰). (۲) ابن عبد الرحمن الفهمى، أبو الحارث المصرى، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، مات فى شعبان سنة خمس و سبعين و مائة. «التقريب» (۲: ۴۸). (۳) هو عمر بن عبد اللّه، مولى غفرة، يقال: أدرك ابن عباس و سمع أنسا و ابن المسيب، عامة حديثه مرسل، مات سنة خمس و أربعين و مائة. «الكاشف» (۲: ۲۷۴). (۴) بلا بن رباح، و أمه حمامة، أبو عبد اللّه مولى أبى بكر، من السابقين الأولين، شهد بدرا و المشاهد، مؤذّن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، مات بالشام سنة سبع عشرة و له بضع و ستون سنة. «التقريب» (۱: ۱۴۰). (۵) رواه عبد الرزاق فى «المصنف» (۲: ۴۹۵) عن سعيد بن المسيب رحمه اللّه، و رواه البيهقى فى «الشعب» (۲: ۴۳۰ برقم ۲۳۰۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۲۳ فهذا أمر منه لبلال و لكل قارئ لسورة بأن ينفذها و يقرأها على وجهها، و هذه الرواية أظهر و أشهر من الرواية التى ذكروا فيها أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه قال: «كل ذلك حسن»، فوجب العمل على التفضيل و التفسير الذى وردت به الرواية الزائدة. و قد يجوز أن يكون أراد بقوله: «كل ذلك حسن» لصنع أبى بكر و عمر فقط من الجهر و المخافتة، و واجههما بذلك لمّا أقبل عليهما، و لم يسمع الراوى تمام كلامه لبلال فأدرج القصة و لم يفصّل من غير اعتماد لتحريف على الرسول صلى اللّه عليه و طعن، يتعلّق قوم من بعده بهذا فى جواز خلط السور بعضها ببعض، و بعض ترتيبها، و مخالفة تاليها فلا تعلّق لهم فى لفظ خبرهم- لو ثبت- مع جواز ما قلناه، و قد روينا من قبل أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال لبلال عند ذلك: «اقرأ السورة على نحوها»، و قد روى: «على وجهها»، و روى ذلك سعيد بن المسيّب عن النبىّ صلى اللّه عليه/. و إذا كان ذلك كذلك بطل تعلّقهم بهذه القصة. فإن قالوا: أ فليس قد روى أن عليا عليه السلام كان يقرأ سورة الأنبياء فأسقط آية، ثم قرأ بعدها ثم رجع إليها فقرأها ثم عاد إلى الموضع الذى كان بلغ إليه، و هذا فعل منه يدلّ على جواز تقديم بعض آيات السورة على بعض و

مخالفة تأليفها، و لو لا أنّ ذلك عنده كذلك لم يستجز بعد أن رجع إلى ما أسقطه و قرأه أن يتبعه من الموضع الذى بلغ إليه، و إنّما كان أن يتبعه بما يليه حتى يكون جميع ما قرأه إلى حيث بلغ، و يصله بما بعده. يقال لهم: ليس فى الأمّة ممن روى هذا الحديث و من غير روايـة ابن عمر أنّ عليا عليه السلام اعتمـد ذلك و قصـده، بل كان من صـحّح هـذه الرواية عن ابن عمر أنّه فعل ذلك على طريق العذر و وجه السـهو، و أنّه لم يكن من دينه خلط آيات السور بعضها ببعض، و نقصها، و مخالفة ترتيبها و إفساد الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۴ تأليفها، لأنّ ذلك فساد و تخليط، و عائد بدخول الخلل و اللّبس و قلّة الضبط لكتاب اللّه تعالى، و الذهاب ببهائه و بهجته، و قـد يسوغ من هـذا الباب على وجه السـهو و النسيان ما لا يجوز مع الـذّكر و الاعتماد، كما يجوز التفرقة بين حكم الأفعال الواقعة على وجه السـهو و النسـيان و الأفعال الواقعة على وجه العمد و القصد فى الصـلاة، و كثير من أحكام الشـرع فى باب سـقوط الإثم فى آخر الفعل إذا وقع على وجه السـهو، و إفساده إذا وقع على وجه العمـد. و قد اسـتقرّ من عمل الأمّة و دينها جواز مثل فعل علىّ عليه السـلام إذا وقـع لعـذر و على وجه السـهو، و على حظره و منعه إذا وقع على وجه القصـد و العهـد، و الحكم بـأنّه إفسـاد لنظم القرآن، و نقض لتأليفه، و مخالفـة لسنّة الرسول صـلى اللّه عليه و السـلف الصالـح من بعده، فلا وجه للجمع بين الأمرين أو حمل ذلك الفعل من علىّ عليه السـلام على أنّه قصده و اعتمده، و قد يجوز أن يكون اللّه سبحانه إنّما أباح ذلك فى حال السّهو و عذر فاعله، [۱۲۵] لأجل علمه سبحانه بأنّ أحدا لا يكاد يسلـم من السـهو و الإغفال،/ و أنّهم لم كلّفوا متى سـهوا عن آية أن لا يقرءوا ما بعدها حتى يذكروها لمنعوا بـذلك من الـدرس، و اكتساب عظيم الأجر و تهـذيب الحفظ، و لو كلّفوا إذا ذكروا الآيـة التى أسـقطوها فى الخمس الأول من البقرة بقرب آية الدّين أن يرجعوا فيقرءوها ثم يعيدوا جميعها ما كانوا قرءوا بعدها إلى حيث بلغوا: لعاد ذلك بتغليظ المشـقّة عليهم و السآمة منهم و الضـجر و الملال بما كلّفوا، و شدّة الاستثقال لما ألزموا، و قلّة الحرص عليه و القيام به، و اللّه تعالى أعلم بتدبير خلقه و مصالح عباده و وجوه الألطاف فيما تعبّـدهم به، و إذا كان ذلك كـذلك سـقط تعلّقهم بهـذا الخبر إن صحّ، و لزم قلوبنا العلم بثبوته. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۵ فـإن قـال قائـل: فهـل يجوز مثل هـذا إن نال الإنسان أو لحقه فى سورة الحمـد؟ قيل لهم: أما من قال إنّ قراءة الحمـد على ترتيبهـا ركن من أركان الصـلاة أو فرض من فروضـها فإنّه لا يجوز ذلك و لا يقيم به العـذر، كما أنّه لا يجيز الصـلاة مع ترك الإـحرام و الركـوع و السـجود و لكـل فرض فيهـا و إن وقع على وجه السـهو، و أمّـا من لم يقـل من العلمـاء إنّ قراءة الحمـد من فرائض الصـلاة فإنه يجيزه و يجعل الصـلاة صحيحة، و ليس الكلام فى هذا مما نحن فيه من جواز نقص آيات السور، و مخالفة ترتيبها مع القصد و الذكر فى الصلاة و غيرها فكنّا نغرق فيه؛ و هذه جملة كاشفة عن صحّة ما قلناه مع ثبوت النصوص و الإجماع على وجوب ترتيب آيـات السّور و قراءتها على وجهها، و أنّ ذلك لم يكن عن رأى و اجتهاد من الأمّـة، و إن كان تأليف السور و تصـنيفها ممّا لا نصّ فيه و لا توقيف عندها. *** الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۶

باب ذكر اختلافهم فى عدد الآى و تقديرها و معنى وصفها بأنها آية

اشارة

باب ذكر اختلافهم فى عـدد الآى و تقـديرها و معنى وصـفها بأنها آيـة فإن قالوا: كيف سوّغ لكم أن تدّعوا ظهور نقل القرآن و إذاعة الرسول لشأنه و إشاعته و إقامـة الحجّـة على المكلّفين به و نحن نجـدهم يختلفون فى قـدر الآيـة، فيعـدّ بعضـهم قدرا من الكلام آية و ينكر ذلك غيره، و يعدّ بعضهم [۱۲۶] السورة مائة آية مثلا و يعدّها غيره أكثر من ذلك/ و أقل، و ما ذكرتموه من ظهور توقيف النبى صلى اللّه عليه على بيان القرآن و كشف ترتيبه و تأليفه و أحكامه الواجبـة له فى حفظه و تلاوته، و إحصاء آياته، فوجب علم جميعهم بـذلك، و ارتفـاع النزاع بينهم فيه. يقـال لهم: ليس فمـا وصـفتموه قـدح فيمـا قلنا و لا توهين لما ادّعيناه و بيّناه، و ذلك أننا إنّما ادّعينا وجوب ظهور نقل ما فرض رسول اللّه صـلى اللّه عليه على الأمّـة حفظه و حظر عليهم الذهاب عنه، و ألزمه اللّه تعالى إشاعته و إذاعته،

لتقوم الحجّة به، و عرفت عادته عليه السلام من إظهار البيان و شدّة القصد، و الإيثار له للكشف و الإعلان به، و إذا كان ذلك كذلك و كنّا لا نقول إنّ من هـذا الباب عـدد آيات سور القرآن و قـدر ما هو آية من الكلام، بل نقول: إنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه لم يحدّ فى عـدد آيات السّور حـدّا، و لا وقفهم عليه فى ذلك على شـىء، و لا كان هو صـلى اللّه عليه يعـدّ ذلك و إن جاز أن يكونوا هم قد كانوا يعدّون فى عصره و عند القراءة عليه لأنفسهم، الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۷ فلا ينكر ذلك عليهم، بل يخلّيهم و ما عـدوّا إذا لم ينقصوا من السورة و لم يزيـدوا فيها شـيئا، و لا غيّروا من تأليف آياتها أمرا، و لا قـدّموا مؤخّرا، و لا أخّروا مقـدّما، و إذا كان ذلك كـذلك لم يلزمنا شـىء مما قلتم، لأنّه لا نصّ من الرسول على عـدد الآى و مقاديرها. فإن قالوا: و ما الـدليل على ذلك؟ قيل لهم: من الأدلّة عليه علمنا بأنّه لو كان صـلى اللّه عليه قد نصّ لهم على عدد الآيات و قدر الكلام الذى يكون آية، و مواضع الفصول من السور، و ضـيّق عليهم معرفـة ذلك و جعله من فرائض دينهم، و حـدّ لهم فيه حدّا أخذهم به وحده و منعهم من تجاوزه أوجب أن يكون بيانه لذلك كبيانه لتأليف آيات كل سورة، و كبيانه للقرآن نفسه، و لوجب فى مستقرّ العادة ظهور ذلك عنه، و توفّر الدواعى و الهمم على ضبطه و ذكره و حراسته و تقييـده، كمـا وجب عليهم بتـأليف آيات كلّ سورة، و بالقرآن نفسه،/ [۱۲۷] و لاـرتفع الخلاف عليهم فى ذلك و النزاع، و لمّا لم يظهر ذلك و لم نجد أنفسنا عالمة بهذه الجملة من توقيف الرسول و دينه كما نجدها عالمة بتوقيفه على نزول جميع القرآن من عند ربّه، و على تأليف آيات السور و كلماتها: علمنا أنه لا نصّ كان منه على هذا الباب، و لا قول ظهر منه فى ذلك و لا أمر يجب حفظه و إذاعته، و لزم القلوب العلم به. و مما يقوّى ذلك و يشـهد له أن ثبت أنّه قـد وردت بهـذه الروايـة، فروى يحيى بـن سـعيد الأمـوى «۱» عـن الأعمش عـن ....

(۱) يحيى بن سعيد بن أبـان الأمـوىّ الحافظ، روى عن أبيه و هشام بن عروة و ابن إسـحاق، و عنه ابنه سـعيد صاحب المغازى، و أحمد و إسحاق. ثقة يغرب عن الأعمش، عاش ثمانين سنة، مات سنة ۱۹۴ هـ. قاله فى «الكاشف». الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۸ عاصم «۱» عن زرّ بن حبيش «۲» عن عبد اللّه بن مسعود قال: «تمارينا فى سورة من القرآن. فقال بعضنا خمس و ثلاثون، و قال بعضنا ستّ و ثلاثون، فأتينا رسول اللّه صلى اللّه عليه فتغيّر لونه، و أسـرّ إلى علىّ عليه السلام شيئا، فسألنا عليّا: ما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه؟ فقال: «إن اللّه يأمركم أن تقرءوا القرآن كما علّمتمـوه». و هـذا الخبر يـدل على أنّه لم يـأمرهم بعـدّ الآـى بـل نهـاهم عنه إذ ذاك، أو أطلقه لهم و وكله إلى آرائهم و مـا يـؤدّيهم الاجتهاد إلى أنّه فصل و موضع آخر الآية، ليستعينوا بذلك على الحفظ و يقيّدوه، و يدلّ أيضا على أنّهم كانوا يعدّون عدّا مختلفا. فإن قالوا: فهل تقطعون بهذا الخبر على أنّ القوم كانوا يعدّون فى زمن الرسول صـلى اللّه عليه أم لا؟ قيل لهـم: لا لأنّه من أخبار الآحاد التى لاـ توجب علمـا. فـإن قيـل: أ فتجوّزون أن يكونوا قـد كـانوا يعـدّون إذ ذاك؟ قيل لهم: يجوز ذلك. فإن قيل: فهل تجوّزون أن يكون عـددهم لآيـات السـور و قـدر الآيـات متفقـا أو أن يكـون ذاك مختلفـا؟

(۱) هو الإمـام أبو بكر ابن أبى النجود الأسـدى الكوفى القارئ، أحـد السـبعة، و اسم أبيه بهدلـة على الصـحيح، قرأ على أبى عبـد الرحمن و زرّ و غيرهم، من الطبقـة الثالثة، توفى سـنة سبع و عشـرين و مائـة، و إليه تنتهى القراءة فى معظم بلاد الـدنيا هـذه الأيام. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۸۸). (۲) ابن حباشة الأسـدى الكوفى، أبو مريم، ثقة جليل مخضـرم، مات سـنة إحدى و ثمانين و هو ابن مائة و سبع و عشـرين سـنة. «التقريب» (۱: ۳۱۱). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۲۹ قيل لهم: أجل، يجوز أن يكونوا قد عدّوه فى عصـره صلى اللّه عليه عددا متفقا غير مختلف، غير أنّهم عدّوا ذلك لأنفسـهم اسـتعانة به على تقييد الحفظ و ضـبط السور من غير أن ينصّ لهم الرسول على ذلك، فلذلك لم ينقل عنه شـىء فى هـذا الباب، فلما انقرض ذلك العصـر و لم ينقل ذلك العدد عنهم لأنّه لم يكن من فرائض دينهم و لا مما نصّ لهم الرسول عليه و أخـذهم به: ذهب على من بعدهم العدد/ الذى كانوا اتفقوا عليه فى زمن [۱۲۸] الرسول، و الناس من بعدهم يعدّون ذلك لأنفسهم، و بحسب مـا أدّاهم الاجتهـاد إليه. و يجوز أيضا أن يكونوا قـد عـدّوا على عصـر الرسول و عنـد القراءة عليه عـدّا مختلفا، و عرضوه على

الرسول، و عرف اختلافهم فيه، و أقرّهم على جميعه، و سنح لكل واحد منهم العمل بما غلب على ظنّه، إذا علم أنّه يقصد بذلك تقييد حفظه و ضبطه، و الاستعانة عليه، و لم يكن اللّه سبحانه قد أمره بتوقيفهم على حدّ محدود و شيء معلوم في ذلك و لا ألزمهم إيّاه، فما ندرى أنّه كان ذلك كذلك، فكيف كان حقيقة هذا الأمر منهم على زمن الرسول. و قد يجوز أيضا أن لا يكونوا تشاغلوا بعدد متفق و لا مختلف في زمن الرسول، بل أقبلوا على حفظ القرآن فقط على سياق آيات سوره و تعرّف أحكامه و حلاله و حرامه، و رأوا أنّ التشاغل بعدد الآي و مواضع الفصول من السور شاغل لهم عن حفظ القرآن نفسه و تعلّم ما يحتاج إلى العلم به من أحكامه، و يكون حالهم في ذلك حال خلق من حفّاظ القرآن في هذا الوقت، الذين يحفظونه و يتقنونه و لا يشتغلون بوضع عدد لآياته من عند أنفسهم و علامات لهم على مواضع الفصول، و لا يتعرّف ما قاله غيرهم في العدد لاعتقادهم العناء به و الاشتغال بما هو أهمّ و أمسّ، من علم تأويله و أحكامه الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۳۰ و معانيه و غير ذلك من فروض الدّين كلّ هذا الذى وصفناه جائز من أمر الصحابة و غير بعيد و لا ممتنع. فإن قالوا على هذا الجواب: فكيف يجوز أن يخلّيهم اللّه تعالى من نصّ لهم على عدد الآي و مواضع الفصول التي هي عنده و في معلومه سبحانه أنّها مواضع الفصول؟ قيل: يجوز ذلك من حيث أمكن أن يكون تعالى قد علم أنّ نصّه لهم على حدّ في ذلك تضييق عليهم و شغل لهم عن حفظ القرآن نفسه، و مؤدّ إلى رغبتهم عن طاعته و إيثار إلى معصيته، و أنّه إذا وكل ذلك إليهم و جعلهم في فسحة من عدّه بحسب اجتهادهم و على وجه إيثارهم كان ذلك رفقا لهم [۱۲۹] و عونا على ضبط ما يحاولون ضبطه، و لطفا لهم في فعل الطاعة/ و ترك المعصية، كما علم سبحانه أنّه إذا أفقدهم النصّ على حكم كثير من الحوادث و وكلهم فيها إلى العمل بآرائهم و ما يؤدّيهم إليه اجتهادهم كان ذلك تخفيفا لمحنتهم و توسعة عليهم و لطفا لهم في فعل الطاعة و ترك المعصية، وادعا «۱» الأمور لهم إلى حسن الانقياد و الخنوع. و كما أنّه يجوز أن يعلم أن ترك نصّه لهم على عدد حروف السورة و كلماتها من أصلح الأمور لهم و أن نصّه على ذلك مما لا ينتفعون به و لا يصلحون عنده بل يكون مفسدة و شاغلا لهم أو لكثير منهم عن حفظ القرآن نفسه و ما يجب و يلزم من معرفة أحكامه و تأويله، و إذا كان ذلك كذلك بان بما وصفناه سقوط التعجّب من ترك النصّ لهم على عدد الآي.

(۱) أي تاركا، انظر «مختار الصحاح» مادة (ودع). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۳۱

فصل من الكلام في هذا الباب

فصل من الكلام في هذا الباب فإن قال قائل: فهل تقولون: الآية التي يختلف الناس في عددها لا بدّ أن يكون عند اللّه و في معلومه تعالى على ما يقوله أحد العادّين لها، أم ليس الأمر كذلك؟ يقال لهم: قد اختلف الناس في ذلك، فقال فريق منهم: إنّ الآية عند أهل العدد و في مواضعتهم لها سمّيت آية لأنها علامة للفصل بين الكلامين، و أنّ اللّه سبحانه جعل ذلك كذلك ليستعين الناس بما يظنونه فصلا موضع آية على تقييد السور و حفظها و ضبطها، فإذا أفقدهم مع ذلك النصّ منه على الفصول، و لم يجد لهم في ذلك حدا فقد عرفنا أنه إنما و كل هذه التسمية إلى آرائهم و اجتهادهم و ما يظنّه كلّ قارئ منهم أنّه موضع علامة و فصل و أنّه يجب على هذا أن يرجع في حصول هذه التسمية إلى ما يضعه القرّاء و يغلب على ظنونهم من مواضع الفصول. لأنّ قولنا حينئذ إنه لا يفيد حقيقة هي علّته و صفة لازمة لها، و قدر من الأحرف و الكلمات لا يجوز الزيادة عليه و النقصان منه، بل هو اسم مقصور على اجتهاد القرّاء، فهو في هذا الباب بمثابة تسمية الشيء حراما على قول بعض الفقهاء إذا أدّاه اجتهاده إلى أنّه حرام، و تسمية الآخر حلالا إذا أدّاه الرأي/ أنّه حلال إذا كان هذا هو حكم اللّه تعالى في تسمية الأفعال و الحوادث [۱۳۰] التي لا نصّ له فيها و لا حكم سوى ما أدّى إليه اجتهاد العلماء، و الحادثة مستحقة للاسمين في الحقيقة على القولين و في المذهبين، فكذلك الآية الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۳۲ مستحقة للتسمية بأنّها آية على الحقيقة عند من أدّاه اجتهاده إلى أنّه موضع الفصل، و غير مستحقة لذلك في الحقيقة على قول من لم

يؤده الاجتهاد إلى ذلك، و هذا القول قريب لا دخل عليه. و قال فريق آخر من الناس: إنّ الآية إنّما سمّيت آية لانفصالها عن الآية الأخرى، و أنّها في القرآن بمثابة البيت من القصيدة و القوافي في الشعر، غير أنّه لا يتميّز كتميّز القوافي في موضع الرّويّ من الشعر، لأنّ الآية ليست منفصلة عن الأخرى بمثل القافية و الرّويّ من الشعر، و لذلك اختلف في قدر كثير من الآيات، و إنّما تنفصل الآية من الآية الأخرى بقصد المتكلّم بالقرآن إلى فصل ذلك القدر منه مما بعده و قطعه عنه، و إذا لم يقصد ذلك لم تكن آية و لا موضع الفصل، و قصده إلى ذلك لا يتبيّن و يظهر للحسّ. و لكن لو جعل عليه علامة من الكتابة عند رسمه لعرف ذلك من حاله، كنحو ما يجعله الكاتب في كتابته في البياض و مدّ الأحرف في مواضع الفصول، و إن كان من لم يشاهد ذلك و لا يعرف قصده إلى الفصل إذا أمكن أن يكون بعض الكلام متعلّقا ببعض. و إذا كان ذلك كذلك فلا بد على هذا من أن يكون اللّه تعالى قد قصد إلى قطع الكلام عمّا بعده و إفراده عنه، فيكون ذلك موضع الآية عنده و في معلومه، و أن لا يكون قصد ذلك، فلا يكون موضع آية عنده، غير أنه لم ينصّ للعباد على ذلك و لا كلّفهم إياه و لا أمر الرسول بجدّ فيه، فهو إذن بمثابة قول القائل: أي شيء يحسن زيد، و قوله: سلام عليكم الذي يصح أن يقصد الاستفهام عما يحسنه أو التقليل له أو التفخيم و التعظيم. و يصح أن يقصد بقوله: سلام عليكم الهزل و الاستجهال و يصح أن يريد التحية و الإكرام، فيصير مرة تحية و استفهاما بالقصد، و يصير الكلامان تارة الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۳۳ أخرى تقليلا و استجهالا بالقصد إلى ذلك/ و إنّما يكون القصد بهذا ضرب [۱۳۱] المثل لما يصير الشيء به مستحقّا للوصف بالقصد و إذا لم يكن هذا المثل مستمرا في نفس الكلام القائم في النفس عندنا، لأنّ الاستفهام منه استفهام لنفسه لا لمعنى، و كذلك الأمر به و النهي و الخبر و جميع أقسامه، غير أنّ هذه الأصوات التي هي عبارة عنه عندنا تسمّى استفهاما إذا قصد به التعبير عن استفهام في النفس لدلاتها على الاستفهام، و تسمّى تارة أخرى تقليلا لما يحسنه المذكور للقصد بها إلى التعبير عن التقليل الذي في النفس لدلالتها عليه. و هذا الجواب الثاني أيضا قريب مستمر لا دخل فيه، و قد بيّنا أنّ ذلك في الجملة ليس من فرائض الدّين و لا ممّا نصّ الرسول عليه، فضلا عن أن يكون نصّه عليه مستفيضا متواترا يقتضي حصول العلم به و ارتفاع النزاع فيه، و هذا هو الذي حاولوه، و قد أوضحنا عن فساده بما أبطل ما حاولوه. فأما تسمية الآية بأنها آية على طريقة أهل اللغة فإنّما تفيد أنّها علامة، و على هذا المعنى سمّيت الآية من القرآن آية، لأنّها علامة على موضع الفصل. قال النابغة الذبياني: توهّمت آيات لها فعرفتها لستّة أعوام و ذا العام سابع فسمّى ما عرفها به آية، و قولهم في آيات الرسل إنها آيات لما يعنون بها أنّها دلالة على صدقهم و الفصل بينهم و بين الكذّابين، و قوله تعالى: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ [البقرة: ۲۴۸] يقول: علامة ملكه ما ذكره، و قولهم آي و آيات إنّما هو اسم الجمع. / فأمّا فائدة تسمية السور من القرآن بأنّها سورة، فقد قيل فيه أشياء: الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۳۴ - أحدها: أنه يفيد فيه الإبانة لها من غيرها من السور المنفصلة عنها. و قال النابغة: أ لم تر أنّ اللّه أعطاك سورة ترى كلّ ملك دونها يتذبذب يريد انقطاعا من الناس و الملوك و مباينة لهم. و قيل: إنّ فائدة وصفها بأنها سورة أنّها قطعة منه و طائفة من القرآن، [۱۳۲] مأخوذ من قولهم: إنّ فيه لسورة من جمال؛ أي: طائفة و بقية/ منه/. و قيل أيضا: إنّ فائدة وصفها بذلك أنّها سورة معظّمة شريفة، و أنّ ذلك مأخوذ من معنى قولهم: فلان له سورة في المجد و سؤدد فيه، و المعنى في ذلك أنّ له شرفا فيه و ارتفاعا، من ساد يسود، قالوا: و منه سمّي سور المدينة سورا لعلوّه و ارتفاعه. و أمّا تسمية القرآن قرآنا فإنّه قد قيل فيه أقاويل، نحن نذكرها، و نقول قبل ذلك إنّه من قرأت قراءة و قرآنا فيكون مصدّقا، و إنّما قال اللّه تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷] يعني قراءته، فهو على هذا المعنى مصدر، و قال تعالى: وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً [الإسراء: ۴۵]، هو هاهنا اسم لا مصدر، و مرادهم بقوله: قرأت قرآنا أي: قراءة، و هو على نحو ما جاء من قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷]؛ أي: إنباتا، و قولهم: كتبت كتابا، و شربت شرابا، أي كتبت كتابة، و شربت شرابا، فيقيمون الاسم مقام المصدر. قال حسّان بن ثابت «۱» يرثي عثمان بن عفّان (______________________________ : ۱) ابن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، شاعر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، مشهور، مات سنة أربع و خمسين و له مائة و عشرون سنة. «التقريب» (۱:

۱۹۸). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳۵ ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحا و قرآنا أى قراءة، فأقام الاسم مقام المصدر، فأخذ ما قيل فى تسميته قرآنا لأنّه جمع و ضمّ و ضمّت آيات كلّ سورة منها إلى أخواتها، قال: و قول عمرو بن كلثوم «۱»: ذراعى عيطل إذ ما بكرّ هجان اللون لم تقرأ جنينا أى أنّها لم يضم رحمها ولدا. و قيل أيضا: إنّما سمّى قرآنا لأنه يحمله و يجمعه حفظته، و أنّه مأخوذ من قولهم: قرأت المرأة إذا حملت الجنين فى بطنها. و قيل أيضا: إنّما سمى بذلك لأنّه يلقى من الفم إذا تلى و هذ و يظهر بالنطق و الدرس، و أنّ ذلك مأخوذ من قول العرب: ما قرأت الناقة سلايقطّ؛ أى: لم ترمى به و تلقيه./ و قيل: إنّه سمّى فرقانا لأنّه يفرّق بين الحقّ و الباطل، و قيل إنّ معنى قوله: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [الأنفال: ۲۹] أى مخرجا و طريقا، و كأنّ القرآن طريق و مخرج إلى معرفة الحق من الباطل و مفرّق بينهما، و ليس/ الكلام فى [۱۳۳] هذه الأسماء مما قصدنا له و ما يريده القادحون فى نقل القرآن و إنّما ذكرناه لاتصاله بالباب الذى ذكرناه، و لأنّه ربّما مسّت الحاجة إلى ذكره و معرفته فى خطاب القوم، و إنّما قصدهم ما قدّمنا ذكره من دعوى النصوص على الآيات، و ذهاب الأمّة عن معرفتها ليسهّلوا بذلك سبيل القول بنصّ الرسول على قرآن قد ذهب علمه على الأمّة و لم ينتشر و يظهر نقله، و قد بيّنا فساد ما ظنّوه بما يوضّح الحقّ إن شاء اللّه./

(۱) ابن مالك بن عتّاب من بنى تغلب، أبو الأسود، شاعر جاهلى، ولد فى شمال جزيرة العرب فى بلاد ربيعة، توفى نحو ۴۰ قبل الهجرة. «الأعلام» (۵: ۸۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳۶

باب الكلام فى بيان الحكم فى أول ما نزل من القرآن و آخره و مكّيه و مدنيّه، و هل نصّ الرسول عليه السلام على ذلك أم لا

باب الكلام فى بيان الحكم فى أول ما نزل من القرآن و آخره و مكّيه و مدنيّه، و هل نصّ الرسول عليه السلام على ذلك أم لا فإن قال قائل: كيف يمكن أن يكون أمر القرآن فى الظهور و الانتشار و استفاضة النقل و حصول علم السلف و الخلف به، و معرفتهم لجملته و تفصيله و أوّله و آخره، و مكيه و مدنيّه، و الأحوال التى خرج عليها، و الأسباب التى نزل لأجلها: صحيحا على ما قلتموه مع اختلاف الصحابة الذين هم القدوة فيه عندكم فى أول ما أنزل منه و آخره، و مكيه و مدنيّه، و ذهاب بعضهم فى ذلك إلى ما يردّه غيره و يدين بخلافه؟ و ما ذكرتموه من شهرة نقله و وجوب إحاطة السلف به يقتضى- إن كان على ما ادّعيتموه- معرفة القول بأول ما نزل منه و آخره، و مكيه و مدنيّه، و متى اختلفوا فى ذلك علم أنّ الأمر فى ظهور نقله و انتشاره و قيام الحجّة به بخلاف ما قلتم و أنّه لا سبيل إلى منع دخول التحريف فيه و التغيير له و الزيادة و النقصان فيه، و عدم قيام الحجّة بكثير. يقال لهم: ليس فيما ذكرتموه من اختلافهم فى هذين الفصلين ما يفسد شيئا ممّا ادّعيناه و كشفناه بواضح الأدلّة عن صوابه، و ذلك أننا لم ندّع وجوب ظهور ما نقل ما لم ينصّ الرسول عليه، و توفّر الهمم على معرفة ما الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳۷ لم يكن منه قول فيه، و لا أوجبنا اتفاق الأمّة و حصول معرفة من تقوم الحجّة منا بما ليس من فرائض دينها و لا هو من نوافله أيضا و مما يسعها ترك الخوض فيه، و إنّما أوجبنا هذا أجمع فيما نصّ الرسول عليه/ نصّا جليا [۱۳۴] معلنا قطع العذر فيه و فيما فرضه على أمّته، و ضيّق عليهم وجوب معرفته، و لم يعذرهم فى التخلّف و الإبطاء عن علمه و إدراكه، و فيما يقتضى موضوع العادة تحريك البواعث لهم على نقله و حفظه و اللّهج بذكره و الإشاعة و الإذاعة له. و إذا كان ذلك كذلك و كنّا لا نعتقد مع هذه الجملة أنّ الرسول قد نصّ لصحابته على ما نزل عليه من القرآن أولا و ما نزل منه آخرا و على جميع مكّيه و سائر مدنيّه، و لا كان منه قول فى ذلك ظاهرا جليّا لا يحتمل التأويل و لا ألزم الأمّة حفظه و التديّن به و لا جعله أيضا من نوافل دينهم كما أنّه ألزمهم نظم سور القرآن و ترتيب كلماته و حروفه على وجه مخصوص و حدّ مرسوم أخذ عليهم لزومه و منعهم من تغييره و العدول عنه: لم يجب أن يظهر و ينتشر نقل ذلك عنه، و كيف يجب نقل ما لم يكن و ما لا أصل له و الإخبار به فضلا عن وجوب ظهوره و انتشاره! و إذا كان ذلك كذلك فقد بان سقوط ما سألتم عنه و زوال ما توهّمتموه. فإن قالوا: ما الدليل على أنّه لم يكن من الرسول نصّ على ذكر أول ما أنزل عليه من القرآن و على آخره، و على مكيه و

مدنيّه، و أنّه لم يلزم الأمّة علم ذلک و يدعهم إلى معرفته حسب نصه على ترتيب آيات السور و كلماتها و إلزامهم العلم بها، و لزوم المنهج الذى شرعه و نصّ عليه فى تلاوتها؟ قيل لهم: الدليل على ذلک أنّه لو كان كما تدّعون و كان نصّه على الأمرين قد وقع سواء و فرضه لهما على الأمّة قد حصل حصولا متماثلا الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳۸ معتدلا لوجب فى مستقرّ العادة نقل ذلک و ظهوره و حفظ الأمّة له، و علمهم به و تأثيم من خالف المنصوص عليه فى ذلک، و تخطئة من عدل عن الواجب عن معرفة ما فرض العلم به، و يجرى أمرهم فى ذلک و تخطئته على حسب ما جرى أمرهم عليه من حفظ للقرآن نفسه، و معرفة نظمه و ترتيب آياته و كلماته، و على وجه ما أوجب حفظهم لترتيب صلواتهم و ما يجب أن يكون [۱۳۵] متقدّما منها و متأخرا، و ما يفعل منها فى النهار دون/ الليل، و فى الليل دون النهار، و غير ذلک من فرائض دينهم الواجبة عليهم، و التى وقع النصّ لهم عليها وقوعا شائعا ذائعا. و لما لم يكن ذلک كذلک و لم يدّع أحد من أهل العلم أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه كان قد نصّ على ذكر أول ما أنزل عليه من القرآن و آخره نصّا جليا ظاهرا فرض علمه، و لم يكن بين سلف الأمّة و خلفها اختلاف فى أنّ العلم بذلک ليس من فرائض الدين، و أنه مما يسع الإبطاء عن علمه و السؤال عنه، و لا يأثم التارک للنظر فيه إذا قرأ القرآن على وجهه و لم يغيّره عن نظمه و لم يزد فيه و لم ينقص منه: علم بهذه الجملة أنه لا نصّ من الرسول قاطع على أوّل ما أنزل عليه من ذلک و آخره، و على تفصيل مكّية و مدنيّه، و إذا ثبت ذلک بطل ما حاولتموه. و ممّا يدلّ أيضا على صحّة ما قلناه أنّ المختلفين فى ذلک من الصحابة لا يرون اختلافهم فيه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه، بل إنّما يخبرون بذلک عن أنفسهم و ما أدّاهم إليه اجتهادهم و استدلالهم بظاهر الأمر، و إن روى بعضهم فى ذلک عن النبى صلى اللّه عليه شيئا لم يروه نصّا قاطعا، و إنّما يحكى عنه قولا محتملا و قصّة للتأويل و الظنون عليها سبيل و طريق، و ليس يجب اتفاقهم على ما هذه سبيله، و لا أن يكون نقلهم لما سمعوه منه فى هذا الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۳۹ الباب من الكلام المحتمل ظاهرا منتشرا إذا كان لم يقع من الرسول وقوعا معلنا بحضرة من تقوم به الحجّة، و لا هو ممّا أراد و قصد وقت قوله ذلک للواحد و الاثنين أن يذاع عنه و ينتشر من قبله حتى يكرّره و يردّده و يقصد إذاعته و إقامة الحجّة بإظهاره، و إذا كان ذلک كذلک لم يجب شىء مما قلتموه. و قد اختلف الصحابة و من بعدهم فى أول ما أنزل من القرآن و آخره، و رويت فى ذلک روايات كلّها محتملة للتأويل،/ فقال قوم منهم: أول شىء أنزل: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [المدثر: ۱]، و قال آخرون: أول ما أنزل: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ [العلق: ۱]، و قال قوم: أول ما أنزل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ إلى آخر فاتحة الكتاب. فروى/ يحيى بن أبى كثير «۱» قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن: [۱۳۶] أىّ القرآن أنزل أولا؟ فقال: سألت جابر بن عبد اللّه «۲»: أىّ القرآن أنزل أولا؟ قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [المدثر: ۱] قلت: أو اقْرَأْ؟ قال جابر بن عبد اللّه: أ لا أحدّثكم بما حدّثنا به رسول اللّه صلى اللّه عليه؟ قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه: «إنى جاورت بحراء شهرا، فلمّا قضيت نزلت استبطنت بطن الوادى، فنوديت فنظرت أمامى و خلفى و عن يمينى و عن شمالى فلم أر شيئا، ثم نوديت فنظرت أمامى و خلفى و عن يمينى و عن شمالى فلم أر شيئا، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش- قيل: يعنى أنه الملک على العرش- فى الهواء، فأخذتنى رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثّرونى، ثم

____
(۱) الطائى، مولاهم، أبو نصر اليمامى، ثقة ثبت، لكنه يدلس و يرسل، من الخامسة، مات سنة اثنين و ثلاثين و مائة. «التقريب» (۲: ۳۱۳). (۲) ابن عمرو بن حرام الأنصارى، صحابىّ جليل، و أبوه صحابى، غزا تسع عشرة غزوة، مات بالمدينة بعد السبعين و هو ابن أربع و تسعين. «التقريب» (۱: ۱۵۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۰ صبّوا علىّ الماء، فأنزل اللّه تعالى «۱»: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْذِرْ (۲) وَ رَبَّکَ فَكَبِّرْ (۳) وَ ثِيابَکَ فَطَهِّرْ (۴) [المدثر: ۱- ۴]. و روى الزّهرىّ عن عروة بن الزّبير عن عائشة رضوان اللّه عليها قالت: «أول سورة أنزلت من القرآن: اقرأ باسم ربّک»، و روى همّام «۲» عن الكلبى «۳» عن أبى صالح «۴» أنّ أول شىء أنزل من القرآن: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ [العلق: ۱] حتى بلغ إِلى رَبِّکَ الرُّجْعى و قال قتادة أيضا بمثل ذلک، و فى بعض الروايات التى أسند فيها هذا الحديث أنّ حجّاجا قال: «ثم أنزل بعدها ثلاث آيات من أول نون، و ثلاث آيات من أول المدّثّر» «۵». و روى سفيان عن ابن أبى نجيح «۶» عن مجاهد «۷» قال: «هى أول سورة

أنزلـــــت على محمـــــد صـــــلى اللّـــــه عليـــــه: اقْرَأْ بِـــــاسْمِ رَبِّكَ، ثـــــم نـــــون».

(____۱) هـذا الأثـر رواه أبـو عوانـة في «مسنده» (۱: ۱۱۴) بـاب فترة الوحي و حزن النبي صلّى اللّه عليه و سلّم. (۲) هو همّـام بن يحيى العوذي الحافظ، روى عن الحسن و قتادة و عطاء، قال أحمـد: هو ثبت في كل المشايـخ، مات سنة ثلاث و ستين و مائـة. «الكاشف» (۳: ۱۹۹). (۳) هو محمد بن السائب الكلبي، أبو النضـر الكوفي، روى عن الشـعبي و أبي صالح، مات سنة ست و أربعين و مائة. «الكاشف» (۳: ۴۰). (۴) رواه الحاكم في «المستدرك» (۳: ۵۲۹) كتاب التفسير. (۵) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (۷: ۱۹۵) كتاب فضائل القرآن. (۶) هو عبد اللّه بن أبي نجيـح، يسار، المكي أبو يسار الثقفي مولاهم، ثقة رمي بالقدر، و ربما دلس، من السادسة، مات سنة إحدى و ثلاثين و مائة أو بعدها. «التقريب» (۱: ۵۴۱). (۷) هو مجاهد بن جبر أبو الحجّاج، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن أبي هريرة و ابن عباس و سعـد، تابعيّ جليل، مات سنة أربع و مائة، إمام حجة في القراءة و التفسير. «الكاشف» (۳: ۱۰۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۱ فأما من قـال: إنّ أول سورة أنزلت الحمـد للّه رب العالمين، فإنّهم يروون ذلك من طريق إسـرائيل بن أبي إسـحاق «۱» عن أبي ميسرة «۲» قال: «كان رسول اللّه صـلى اللّه عليه إذا مرّ سـمع من يناديه: يا محمـد، فإذا سـمع الصوت انطلق هاربا، فأتى خديجـة فأخبرها، فأسـرّت ذلك إلى أبي بكر الصـديق، فقال: انطلقي بنا إلى ورقـة، فحـدّثه، فقال ورقـة: هل رأيت شـيئا؟ قال: لا، فقال: إذا سـمعت النداء فاثبت حتى تسـمع مـا يقـال لـك، فلمّا سـمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه: يا محمـد قال: لبيك، قال: قل: أشـهد/ أن لا إله [۱۳۷] إلاـ اللّه و أنّ محمـدا عبـده و رسوله، ثم قل: الحمـد للّه رب العالمين .. فاتحـة الكتاب» و ساق الحـديث. و هذا الخبر منقطع غير متصل السـند، لأنّه موقوف على أبي ميسـرة، و أثبت الأقاويـل من خلاـف الصـحابة قول من قال: إنّ أول ما أنزل: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، و ما يليه في القوة قول جابر، و من قال أول ذلك يا أَيُّهَا الْمُـدَّثِّرُ. و ليس في هذه الأخبار نصّ من الرسول لا يحتمل التأويل و لا فيها ما يقتضـي لفظه و مجيئه أنّه قال ذلك للكافّة و ألزمهم نقله و اعتقاده و حظر عليهم التخلّف عن حفظه و معرفته، فلـذلك لم يجب ظهور هـذه الأخبار، و لزوم القلوب العلم بصـحّتها و القطع عليها، و إن كنّا في الجملـة نقول: إنّ الحق لا يخرج عن اختلاف الصـحابة للـدليل القائم على ذلك، و هـذه الأخبار المرويـة (____۱) في الأصـل: إسـرائيل عن أبي إسحاق، و الجادة إسرائيل بن أبي إسحاق، فهو واحد و ليس يروي إسرائيل عن أبي إسحاق! و هو ابن يونس بن أبي إسـحاق، سبق الحديث عنه. (۲) و اسـمه عمر بن شـرحبيل الهمداني، ثقة عابد، سـمع عمر و ابن مسـعود، روى عنه أبو وائل، مات سنة إحـدى و ستين. «الكـاشف» (۸۲۴). الإنتصـار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۲ في هـذا البـاب و إن لـم يكن متضـمّنها من فروض الـدين فهي محتملة للتأويل أيضا، لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه لم يقل في خبر عائشة و خبر جابر بن عبد اللّه و خبر أبي ميسرة إنّ اللّه تعالى أنزل عليه يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ و لم ينزل عليّ شيئا قبل ذلك، و كذلك القصة في قوله: (قيل) في اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و قوله: (قيل لي: قل الحمد للّه رب العالمين)، لأنّه لم يقل في القصتين: و لم ينزل عليّ شـيء قبل ذلك، و لا قال في كل قصّة: و كان ذلك أول شـيء أنزل عليّ من القرآن لم يتقـدّمه شـيء، و لا نحو ذلك من الكلام الظاهر الجليّ الذي لا يحتمل غير ما صـرّح به فيه، فيحتمل إذا لم يقل ذلك. و قد كـان ينـادى مرات كثيرة، و يرى النور و يسـمع الصوت و يرجف لـذلك، و يتردّد ذلـك عليه عنـد اسـتفتاح النبوة؛ حتى أوجب ذكره لخديجـة عليهـا السـلام و لورقـة بن نوفل أن يكون قـد كان ابتـدأ بأن أنزل عليه اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ في بعض تلك المرّات، ثم نودي بعد ذلـك فمضـى إلى خديجـة، و دثّر ثم أنزل: يا أَيُّهَا الْمُـدَّثِّرُ (۱) قُمْ فَأَنْـذِرْ (۲)، فيكون بعـد شـيء أنزل قبله، و كذلك خبر أبي ميسـرة يحتمل أن يكون قيل له في أحـد تلك المرّات: قل الحمـد للّه [۱۳۸] رب/ العالمين إلى آخرها، بعـد أن قد كان أنزل عليه اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ و يا أَيُّهَا الْمُـدَّثِّرُ و إذا احتمل الأمر ما ذكرناه ساغ فيه التنازع و الخلاف و الاجتهاد و ترجيـح الظنون. و قد كان يسـمع من تكلّم في ذلـك من الصـحابة و روى فيه مـا روى ترك الكلام فيه، و لم يكن مأثوما لو تـرك الكلام فيه، و لم يكن ليمنعه أن لا يتلو السورة على ترتيب آياتهـا و نظامها، لأنّ ذلك من آكـد شـيء فرض عليه و ألزمه، و حظر عليه خلافه على ما بيّناه من قبل، فافترق الأمران في

هذا الباب، و كذلك من ترك من أهل عصرنا الخوض فى أول ما أنزل من القرآن الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۳ و عدل عنه لم يكن بذلك مأثوما و لا تاركا للفرض، و أن يوجب عليهم إذا خاضوا فى ذلك أن لا يخرجوا عن أقاويل السلف التى اتفقوا على أنّ الحقّ فى أحدها، و غير خارج عنها إذا حصل لهم إجماع على ذلك متيقّن معروف. / كذلك أيضا فقد اختلفت الصحابة و من بعدهم فى آخر ما أنزل من القرآن، فروى عن أبيّ بن كعب أنه قال «۱»: «آخر آية أنزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ [التوبة: ۱۲۸]، و روى سعيد «۲» عن عليّ بن زيد «۳» عن يوسف بن مهران «۴» عن ابن أبيّ بن كعب عن أبيه قال: «آخر آية أنزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ الآية. و ابن أبيّ هذا إما أن يكون محمدا أو الطّفيل، و هما المعروفان، و كلاهما مقبول الحديث. و روى ذلك عن أبى قتادة «۵» أيضا.

(____۱) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۸: ۴۶) برقم (۲۱۲۸۴). (۲) سعيد بن زيد، أبو الحسن، أخو حمّاد، روى عن عبد العزيز بن صهيب و ابن جدعان، و عن عارم و مسلم بن إبراهيم، وثّقه ابن معين. «الكاشف» (۱: ۲۸۶). (۳) ابن عبد اللّه بن زهير بن عبد اللّه بن جدعان التيمى، البصرى، أصله حجازى، ضعيف من الرابعة، مات سنة إحدى و ثلاثين و مائة، و قيل قبلها «التقريب». (۱: ۶۹۴). (۴) يوسف بن مهران البصرى، لين الحديث، قال فى «التقريب»: لم يرو عنه إلا ابن جدعان من الرابعة. «التقريب» (۲: ۳۴۶). (۵) الأنصارى، فارس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، اسمه الحارث بن ربعى، و قيل: النعمان أو عمرو، روى عنه ابن المسيب و ابنه عبد اللّه، توفى سنة ۵۴ للهجرة، و فيها خلاف «الكاشف» (۳: ۳۲۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۴ و روى ابن عباس قال: «آخر ما أنزل من القرآن، إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ». و روى عبد الحميد بن سهل عن عبيد بن عدى «۱» قال: قال لى ابن عباس: «تعلم آخر سورة من القرآن أنزلت جميعا؟ قلت: نعم، إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ، قال: صدقت» «۲». و روى أنّ عائشة رضوان اللّه عليها قالت: «آخر سورة أنزلت المائدة» «۳». و روى أبو الزاهر عن جبير بن نفير «۴» قال: «حججت فدخلت على عائشة رضى اللّه عنها فقالت: يا جبير، هل تقرأ المائدة؟ قلت: نعم، [۱۳۹] قالت: أما إنّها/ آخر سورة انزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه، و ما وجدتم فيها من حرام فحرّموه». و روى أنّ البراء بن عازب «۵» قال: «آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة». و روى هنّاد بن السّرىّ «۶» عن أبى ....

(____۱) عبد اللّه بن عدى بن الخيار النوفلى الفقيه، عن عمر و عثمان و الكبار، و عنه عروة ابن الزبير و جماعة، موثوق من ثقات التابعين، مات سنة تسعين للهجرة. «الكاشف» (۲: ۲۰۲). (۲) رواه مسلم (۴: ۲۳۱۸) كتاب التفسير برقم (۳۰۲۴). (۳) رواه الحاكم فى «المستدرك» (۳: ۳۱۱) كتاب التفسير، و رواه النسائى فى «السنن» (۶: ۳۳۱) كتاب التفسير برقم (۱۱۱۳۷). (۴) جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمى، ثقة جليل من الثانية، مخضرم، و لأبيه صحبة، مات سنة ثمانين، و قيل بعدها. «التقريب» (۱: ۱۵۷). (۵) البراء بن عازب بن الحار بن عدى الأنصارى الأوسى، صحابى ابن صحابى، نزل الكوفة، مات سنة اثنتين و سبعين. «التقريب» (۱: ۱۲۳). (۶) هنّاد بن السّرى بن يحيى بن السرى التميمى الكوفى، حافظ ثقة، من العاشرة، مات سنة ثلاث و أربعين و له إحدى و تسعون سنة. «التقريب» (۲: ۲۷۰). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۵ الأحوص «۱» عن أبى إسحاق «۲» عن البراء بن عازب قال: «آخر سورة من القرآن أنزلت كاملة سورة براءة، و آخر آية أنزلت خاتمة النساء» «۳». و روى أن أبا صالح و سعيد بن جبير قالا: «آخر آية نزلت من القرآن: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة: ۲۸۱] إلى آخر الآية» «۴». و روى أن إسماعيل السّدّىّ «۵» قال: «آخر آية أنزلت: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ [التوبة: ۱۲۹]». و روى ابن شهاب عن سعيد بن المسيب «۶» أنه أخبره أنّ أحدث آية بالعرش آية المواريث: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ [النساء: ۱۷۶]./ و ليس فى شىء من الروايات ما رفع إلى النبى عليه السلام، و إنّما هو خبر عن القائل به، و قد يجوز أن يكون قال بضرب من الاجتهاد، و تغليب الظنّ____

(۱) سلّام بن سليم الحنفى الكوفى، ثقة متقن، سمع أبا إسحاق و سماك بن حرب. «الكنى و الأسماء» (۱: ۹۱). (۲) و هو السّبيعى،

تقدّمت ترجمته. (۳) رواه البخاری (۵: ۲۲۳) کتاب التفسیر برقم (۴۶۰۵) و مسلم (۳: ۱۲۳۶) کتاب الفرائض برقم (۱۶۱۸)، و ابن أبی شیبهٔ فی «المصنف» (۷: ۱۹۵) کتاب فضائل القرآن. (۴) رواه البخاری (۴: ۱۶۵۲) باب: و اتّقوا یوما ترجعون فیه إلی اللّه من حدیث ابن عباس رضی اللّه عنهما. (۵) هو إسماعیل بن عبد الرحمن بن أبی کریمهٔ، أبو محمد الکوفی، صدوق یهم و رمی بالتشیّع، من الرابعهٔ، مات سنهٔ سبع و عشرین و مائهٔ. «التقریب» (۱: ۹۷). (۶) هو سعید بن المسیب بن حزن بن أبی وهب القرشی المخزومی، أحد العلماء الأثبات و الفقهاء الکبار، تابعیّ جلیل، من أعیان الثانیهٔ، مرسلاته أصحّ المراسیل، مات بعد التسعین، و قد ناهز الثمانین. «التقریب» (۱: ۳۶۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۶ و بظاهر الحال، و لیس العلم بذلک أیضا من فرائض الدین، و لا هو مما نصّ الرسول علی أمر فیه بیّنه و أشاعه و أذاعه و قصد إلی إیجابه و إقامهٔ الحجّهٔ به، فلذلک لم یجز ظهوره عنه و حصول الاتفاق علیه و ثبوت العلم به قطعا یقینا. و قد یحتمل أن یکون کل قائل ممّن ذکرنا یقول إنّ ما حکم بأنّ ما ذکره آخر ما نزل لأجل أنّه آخر ما سمعه من رسول اللّه صلی اللّه علیه فی الیوم الذی مات فیه، أو ساعهٔ موته علی بعد ذلک، أو قبل مرضه الذی مات فیه بیومین أو ساعهٔ، و قد سمع منه غیره شیئا نزل بعد ذلک و إن لم یسمعه هو لمفارقته له و نزول الوحی بقرآن بعده، و یقد یحتمل أیضا أن تنزل الآیهٔ التی هی آخر آیهٔ تلاها الرسول صلی اللّه علیه علیهم مع آیات نزلت معها، فیؤمر برسم ما نزل معها و تلاوتها علیه بعد رسم ما أنزل أخیرا و تلاوته، فیظنّ سامع ذلک أنّه آخر ما نزلت فی الترتیب، و یحتمل أیضا أن ینزل علیه آیهٔ فی اللیل منع من أدائها و شغل بعذر عن ذلک و انتظر النهار، فلما أصبح أنزلت [۱۴۰] علیه آیهٔ لا شیء/ نزل علیه بعدها، ثم قیل له: اتل علیهم هذه أولا و اکتبها ثم اتل علیهم بعد ذلک ما کان نزل قبلها و مرهم برسمه و إثباته، هذا ما لا سبیل إلی منعه و إحالته، فیظن سامع الأخیر من القرآن أنّه آخر ما أنزل علیه، و لیس کذلک، بل قد أنزل بعده ما قدّمت تلاوته و إثباته. و إذا کان ذلک کذلک و کان الرسول لم یکشف و لم یفرض علی الأمّهٔ علمه، و لا أمره اللّه سبحانه بإلزامهم ذلک و بیانه لهم، و لا رأی ذلک من مصالحهم و مراشدهم و لا مما تمسّهم الحاجهٔ إلیه فی دینهم: لم یجب أن یظهر ذلک عن الرسول و لا أن ینقل نقلا متواترا، و لا أن لا یختلف فیه و لا یعمل الاجتهاد، و تزحم الظنون فیه، و لم یرو فی شیء من هذه الآثار إن کلّ قائل بمذهب من هذه المذاهب سئل فقیل له یقطع و یتیقّن أنّ هذا هو آخر ما الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۷ أنزل أو أوله من حیث لا یجوز غیر ما قلته فقال: نعم، و لا نقلت الأمّهٔ عنه أنها عرفت من دینه أنّه لا یقول ذلک علی ظاهر الحال و غالب الظن و الرأی. إذا کان ذلک کذلک بان صحهٔ ما قلناه، و بطل ما حاولوا به الطعن علی نقل القرآن و جواز تغییره و تبدیله. فأما المکّیّ و المدنیّ من القرآن فلا شبهٔ علی عاقل فی حفظ الصحابهٔ و الجمهور منهم إذا کانت حالهم و شأنهم فی حفظ القرآن و إعظامه و قدره من نفوسهم ما وصفناه لما نزل منه بمکهٔ ثم بالمدینهٔ، و الإحاطهٔ بذلک و الأسباب و الأحوال التی نزل فیها و لأجلها، کما أنّه لا بدّ فی العادهٔ من معرفهٔ معظم العالم و الشاعر و الخطیب و أهل الحرص علی حفظ کلامه و معرفهٔ کتبه و مصنفاته من أن یعرفوا ما نظمه و صنّفه أولا و آخرا، و حال القرآن فی ذلک أمثل، و الحرص علیه أشد، غیر أنه لم یکن من النبیّ علیه السلام فی ذلک قول و لا نصّ، و لا قال أحد و لا روی أنّه جمعه، أو فرقهٔ عظیمهٔ منهم تقوم بهم الحجّهٔ و قال: اعلموا أن قدر ما أنزل علیّ من القرآن بمکهٔ هو کذا و کذا/، و أنّ ما أنزل بالمدینهٔ کذا و کذا، و فصّله لهم و ألزمهم معرفته، و لو [۱۴۱] کان ذلک منه لظهر و انتشر، و عرفت الحال فیه. و إنما عدل صلی اللّه علیه عن ذلک لأنّه مما لم یؤمر فیه، و لم یجعل اللّه تعالی علم ذلک من فرائض الأمّهٔ، و إن وجب فی بعضه علی أهل العلم مع معرفهٔ تاریخ الناسخ و المنسوخ، لیعرف الحکم الذی ضمنها، و قد یعرف ذلک بغیر نصّ الرسول بعینه و قوله هذا هو الأول و المکّی و هذا هو الآخر المدنی. و کذلک الصحابهٔ لمّا لم یعتقدوا أنّ من فرائض التابعین و من بعدهم معرفهٔ تفصیل جمیع المکّیّ و المدنیّ و أنّه ممّا یسع الجهل به، لم تتوفّر الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۸ الدواعی علی إخبارهم به و مواصلهٔ ذکره علی أسماعهم و أخذهم معرفته، و إذا کان ذلک کذلک ساغ أن یختلفوا فی بعض القرآن هل هو مکّیّ أو مدنیّ، و أن یعملوا فی القول بذلک ضربا من الرأی و الاجتهاد، و إن کان الاختلاف زائلا عنهم فی جلّه و کثیره، و إذا کان ذلک کذلک لم یلزم أیضا أن ینقل عن الصحابهٔ نقلا متواترا ذکر المکّیّ و المدنیّ، و لم یجب أیضا علی

الصحابة و على كل داخل فى الإسلام بعد الهجرة و عند مستقرّ النبيّ صلى اللّه عليه فى المدينة أن يعرف أنّ كل آية أنزلت قبل إسلامه مكية أو مدنية، يجوز أن يقف فى ذلك أو يغلب على ظنّه أحد الأمرين، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه من وجوب نقل هذا و شهرته فى الناس و لزوم العلم به لهم و التفريط بالتخلّف عن علمه و وجوب ارتفاع الخلاف و النزاع فيه. و قد روى شعبة عن قتادة و يزيد النحوى «۱» عن عكرمة و الحسن بن أبى الحسن قال: قال قتادة: «إنّ الذى أنزل بالمدينة البقرة و آل عمران و النساء و المائدة، و آية من الأعراف: وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ [الأعراف: ۱۶۳] و الأنفال و الرعد، غير أنّ فيها مكّيا، وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ [الرعد: ۳۱] إلى آخرها، و من إبراهيم* أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ [۱۴۲] بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً [إبراهيم: ۲۸] إلى آخر السورة،/ و الحجّ غير أربع آيات أولهن: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ [الحج: ۵۲] إلى قوله: عَقِيمٍ [الحج: ۵۵]، و النور و عشرة من العنكبوت، و الأحزاب و الحمد و الفتح و الحجرات و الرحمن و الحديد و المجادلة و الحشر و الممتحنة و الصفّ و الجمعة و المنافقون و يا أيها النبىّ إذا

(۱) هو يزيد بن أبى سعيد النحوى، أبو الحسن القرشى مولاهم، المروزى، ثقة عابد من السادسة، قتل ظلما سنة إحدى و ثلاثين و مائة. «التقريب» (۲: ۳۲۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۴۹

طلقتم النساء، و يا أيها النبىّ لم تحرّم، و لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، و إذا زلزلت، و إذا جاء نصر اللّه، و بقية السور مكىّ كلّه». و روى شعبة عن قتادة هذا الحديث على سياق ما ذكرناه، و ذكر ابن مسعود أنه قال: «كلّ شىء فى القرآن (يا أيها الناس) أنزل بمكة»، و ذكر ذلك عن علقمة، و ذكر عن علقمة قال: «كلّ شىء فى القرآن (يا أيها الذين آمنوا) مدنىّ»، و الروايات عنهم فى ذلك كثيرة، و لا يعرف منها ما يرفعونه عن الصحابة عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و السبب فى ذلك ما قدّمناه من أنه لم يكن منه صلى اللّه عليه فى ذلك نصّ على تفصيل ذلك و قول قاطع، و لا هو مما عنيت الصحابة بذكره للتابعين و إن كان قد ذكره منهم القرّاء و من انتصب لذلك لمن أقرأه القرآن إذا سئل عن الآية و السورة، غير أنّ ذلك لم يقع وقوعا ظاهرا منتشرا. و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه قادحا فى نقل القرآن و عائدا بالطعن عليه، و أنّ هذا الذى ذكرناه هو الذى يمنع تجويز كون قرآن كثير أنزله اللّه تعالى على رسوله صلى اللّه عليه و إن كان لا سبيل لنا إلى العلم و القطع على أنّه قرآن منزل من اللّه سبحانه على رسوله، و أنّنا لا نأمن أن يكون عند علىّ أو أبىّ و عبد اللّه بن مسعود أو بعض آحاد الأمة عشر آيات أو عشر سور بيّنها الرسول له وحده، دون جميع الأمة، و أنّ مدّعى ذلك مبطل لا شبهة علينا فى كذبه لعلمنا بعادة الرّسول فى بيان جميع المنزل عليه. و إذا كان ذلك كذلك وجب أن نعلم بهذا الدليل قطعا أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بقرآن منزل فى غير سورة النمل، و أنّها ليست من جملة كلّ سورة، و لا أنّها فاصلة بين السورتين، لأنّها لو كانت آية منزلة إمّا على أن تكون مفردة فاصلة بين السورتين أو على أن تكون من جملة كلّ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۰ سورة لوجب أن يبيّن ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه بيانا ظاهرا مكشوفا، موجبا للعلم، قاطعا للعذر، مزيلا للرّيب، رافعا لاختلاف الأمّة و دخول شبهة على أحد منهم فى هذا الباب كما فعل ذلك فى جميع آيات السّور و سائر ما أنزل اللّه تعالى من كلامه الذى ضمن حفظه و حياطته و جمعه و حراسته. فلمّا لم يكن ذلك كذلك، و لم نجد أنفسنا عالمة بذلك، و لا وجدنا الأمة متفقة على هذا الباب اتفاقها على جميع سور القرآن و آياتها المبيّنة فيها، بل وجدنا فيهم من يقول إنّها آية من الحمد وحدها، و فاتحة لغيرها، و منهم من يحمّل نفسه عند حدّ النظر على أن يقول إنّها من كلّ سورة، و منهم من يقول إنّها آية فاصلة بين السورتين و ليست من جملة كلّ سورة، و إنّنى أعلم ذلك قطعا و إننى لا أدرى أنّها من جملة سورة الحمد أم لا لموضع الخلاف فيها، و منهم من يقول: لست أدرى أنّها من كل سورة أم لا [۱۴۳] و أنّه يجوز/ أن تكون مفردة فاصلة، و يجوز أن تكون من جملة كلّ سورة هى فاتحتها: علم بذلك أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يوقف على شىء من هذه المذاهب و الأقاويل، فلم يبيّن للأمّة أنّها قرآن منزل. و لو جاز لمدّعى أن يدّعى أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد بيّن أنّها قرآن منزل و إن خفى ذلك على أكثر الأمّة لجاز لآخر أن يدّعى أنّ عند الإمام و آحاد من الصحابة قرآنا كثيرا و إن خفى ذلك على أكثر الأمة لجاز

أيضا أن يـدّعى مـدّع أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه قـد نصّ نصّا بيّنا قاطعا معلنا على أنّها آيـة من الحمـد وحدها و فاتحة لغيرها، و إن خالف فى ذلك كثير من الأمّـة و خفى ذلك عليهم، و أن يـدّعى مـدّع أنّه قد نصّ صـلى اللّه عليه نصا قاطعا معلنا على أنّها آية منزلة مفردة فاصـلة بين السور، و ليست من جملـة شـىء منهـا، و إن خالف أكثر الناس فى ذلك، و خفى عليهم. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۱ و لمّا لم يسمع هذه الدّعاوى و بطلت و تكافأت علم أنّه لو كان منها حقّ قد بيّن على حسب ما ادّعى لكان ظاهرا مشهورا كظهور سـائر آيات القرآن و سوره، و وجب القطع على أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بقرآن منزل فى غير النمل، و لا فاصل بين السور، و لاـ من جملتهـا أيضـا، فلهـذا لم يجب عنـدنا علم الأمـة بأنّها قرآن و أنّها من سورة الحمـد على ما طالبنا به القادحون فى نقل القرآن و صحّته، لأنّه إنما يجب تواتر النقل و حصول الاتفاق على ما بيّنه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و أنزل عليه من القرآن دون ما لم يبيّنه و لم ينزل عليه. و هـذا الـذى قالوه أيضا بأن يـدلّ على صـحّة ما قلناه فى وجوب ظهور نقل القرآن و العلم به أولى، و ذلك أنّه إذا اختلفت الأمّـة فى إثبات ما يظنّ قوم أنّه قرآن لأجل افتتاح الرسول به و إثبات الأمّـة له فى أوائل السور، فقطعوا لذلك على أنّه قرآن و دانوا به و تـوفّرت هممهـم و دواعيهـم على حفظـه و الإحاطـة به و بلـغ به قـوم إلى أنّه قرآن منزل: وجب أن يكـون حفظهم و تـوفّر هممهم و دواعيهم على نقـل مـا بيّنه/ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه من القرآن أولى [۱۴۴] و أحرى، و أن يكـون ذلـك فيهم أظهر و هم به أعرف، فكلّ هذا يدل على وجوب حفظ الأمّة لما نصّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه على أنّه قرآن، و على أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست من جملـة القرآن فى غير المواضع التى اتفقوا عليها، و على أنّ الرسول صـلى اللّه عليه بيّن كونها قرآنا فيه و قطع العـذر، و هـذا أيضا أحد الأدلّة على أنّه لم يكن من النبىّ صـلى اللّه عليه بيان لكون بسم اللّه الرحمن الرحيم قرآنا منزلا و فاصلا بين السّور و لا من جملتها و لا من جملـة الحمـد، لأنّه لو كـان منه بيـان لـذلك لجرى مجرى بيانه لكونها قرآنا فى سورة النمل بقوله: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الإنتصـار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۲ [النمل: ۳۰]، و لارتفع لأجل بيانه لـذلك الشكّ و الرّيب عن جميع الأمّـة فى كونها آيـة مفردة فاصـلة إن كانت أو من جملـة الحمد وحدها إن كانت كذلك، و إن لم يكن هذا هكذا بطلت جميع هذه الأقاويل، و ثبت بما وصـفناه أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست من القرآن إلا فى السورة التى يـذكر فيها النمل. فإن قال قائل: فقولوا لأجل دليلكم هذا إنّ المعوّذتين ليست بقرآن منزل أصـلا، و إنّ الرسول لم يبيّن كونها قرآنا منزلا بيانه لسائر سور القرآن و آياته، لأجل خلاف عبـد اللّه بن مسعود فى ذلك و جحده أن يكونا من القرآن! قيل له: ليس الأمر عندنا فى جحد عبد اللّه كذلك على ما ادّعيت، بل ذلك كذب و زور لا ينبغى لمسـلم أن يثبته على عبـد اللّه و يضـيفه إليه بأخبار آحاد غير موجبة للعلم كلّها معارضة بما هو أقوى و أثبت عن رجال عبـد اللّه فى إثباتهـا من القرآن و إقرائهم إياهـا، و سنستقصـى القول ممـا روى عنه فى ذلـك و قـدر ما قاله و تأويله، و أنّه ليس فيه ما يوجب إخراجها من القرآن إن شاء اللّه. فأمّا ما اعتمـد عليه من زعم أنّ الأمّـة اتفقت على أنّ جميع ما بين اللوحين قرآن منزل من عند اللّه تعالى، و أنّ ذلك بمنزلـة قول النبى أو أخذ [۱۴۵] المصـحف و نشره ورقة ورقة/ و قال: اعلموا أنّ جميع ما فيه قرآن و تلى عليهم أيضا بذلك قرآنا فإنه لا تعلّق فيه، لأنها دعوى باطلة، لأنّنا لا نعلم من دين الأمّة المتفقة على كتبة المصحف أنّها وقفت على أنّ جميع ما فيه من فواتـح السّور و غيرها قرآن منزل من عند اللّه، و إن علمت أنّهم قد أثبتوا بسم اللّه الرحمن الرحيم فاتحة للسّور، و كيف نعلم ذلك و نحن و جميع من يوافقنا على قولنا يعتقد أنّ الصـحابة لم تتفق قطّ على القول بذلك و إضافته الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۳ إلى الرسول صـلى اللّه عليه، و نقول: إنه لو ثبت ذلك من عقـدهم و دينهم لوجب القطع على أنّه قرآن، لأنّ الأمّـة عنـدنا لا تجتمع إلا على حقّ و صواب، فبـان أنّه لاـ شـبهة فى فسـاد هـذه الـدعوى. و أمـا قولهم بعـد هـذا إنّهم لاـ يخالفون فى إطلاقهم القول بأنّ ما بين اللوحين قرآن منزل، و ليس لنـا أن نقيّـد مـا أطلقوه و لا أن نخصّ ما عمّوه، فإنّه تعليل و تـدقيق عن مبوح به، لأنّ العموم عنـدنا و عند أكثر الأمة ما ثبت له الأمّة للعمومات فى الأحكام و المواضع التى اعتقدت العموم بها بإطلاقها للّفظ الذى يدّعى أنّه موضوع للعموم، و إنّما يعلم ذلك عنـد مشاهـدتها ضـرورة بالأمارات الظاهرة المقارنـة لإطلاقها، و يعلم ذلك من دينها عنـد الغيبـة عنها بنقل من يوجب خبره العلم أنّه علم ذلـك من دينهـا و يحقّق قطعهـا عليه، و لاـ يسـأله عن وجه علمه بـذلك و يعلم أنّه لم يعلم ذلـك من حالها بنفس

اللفظ و لا- الإطلاق الذی یحتمل الخصوص و العموم، و لکن بالأسباب و القرائن و الأمارات المقارنة للفظ الذی لا یمکن نعتها و وضعها و تجدیدها و تحبیسها لما قد بیّناه فی أصول الفقه و غیره فی فصول القول فی إبطال العموم، و إذا کان ذلک کذلک فلا معنی للتعلّق و التشبّث بأنّه لا وجه لتقیید ما أطلقوه، و تخصیص ما عمّوه. و أما قولهم إنّه لو لم یعلم ذلک بنفس قول الأمّة و إطلاقها لم یعلم ذلک أیضا/ بقول رسول اللّه صلی اللّه علیه و إطلاقه و نشره المصحف ورقة ورقة، [۱۴۶] فإنّه کذلک یقول لأنّه قد یطلق رسول اللّه صلی اللّه علیه اللّفظ الذی یدّعی قوم أنّه العموم و یکون مراد به الخصوص، و یتلو أیضا بذلک قرآنا یظنّ قوم أنّه علی العموم و المراد به الخصوص. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۵۴ و لیس قوله صلی اللّه علیه لو قال: کلّ ما فی مصحف عثمان کلام اللّه، تأکّد من قوله تعالی: تُدَمِّرُ کُلَّ شَیْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها [الأحقاف: ۲۵]، وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ [النمل: ۲۳]، و یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ [القصص: ۵۷] وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ، و قد ثبت أن ذلک علی الخصوص بقول اللّه تعالی و قول رسوله، و قول الأمّة فی هذا سواء فی أنّه کلّه علی الاحتمال للخصوص و العموم، فإن لم یظهر معنی قول الرسول إنّ کلّ ما فی المصحف أو جمیعه و سائره و قلیله و کثیره و سواده و عمومه و بوادیه و خواتمه أمارات و أحوال یضطر عندها إلی مراده و معرفة قصده إلی استیعاب جمیع ما فی المصحف، و لم یقطع علی مراده و وقفنا، و لیس هذا من الحجّة لثبوته و الشکّ فی خبره علی ما یظنّه بعض الجهّال بسبیل، و لکنّه وقف فی مراده باللّفظ المحتمل لأمرین لیس أحدهما أولی به من الآخر لفقد الدلیل علی مراده به. و إن کان ذلک کذلک و کنّا لا نعلم ضرورة لمشاهدة السلف و سماع توقیفهم علی أنّ جمیع ما فی المصحف قرآن منزل و رؤیة أماراتهم و مخرج خطابهم و معرفة أسبابهم و الأحوال التی صدر علیها خطابهم، و لا- ینقل من یضطر إلی صدقه أنّه عرف ذلک من قصد الأمّة و اعتقادهم لعموم إطلاقها، کما نعلم ضرورة من دینها أنّ تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ من القرآن، و أنّ قوله: إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ [النمل: ۳۰] من القرآن: بان و ظهر أنه لا جدوی و لا طائل لأحد من التعلّق بإطلاق السلف لهذه الألفاظ، و لا سیّما مع قیام الدّلیل علی أنّ بسم اللّه الرحمن الرحیم لیست من القرآن، و أنّ ما بیّنه الرسول صلی اللّه علیه منه لا یحتاج فی إثباته إلی حصول إجماع علیه، و إنّما یجب أن یکون متواترا، و مما یعلم صحّته و بیان الرسول له اضطرارا. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۵۵ و أما قولهم إنّه قد/ ساغ و ظهر فی الصحابة أنّ قوما منهم ادّعوا أنّ بسم [۱۴۷] اللّه الرحمن الرحیم آیة من القرآن فلم ینکر ذلک الباقون و لا اعترضوا فیه بشیء: فإنّه باطل، و أول ما فیه أنّنا لا نعلم أنّ ذلک شاع و ظهر فی الصحابة، لأنّ ذلک لم یرو عن أحد منهم إلا عن عبد اللّه بن عباس، و الأخبار الواردة عنه بذلک أخبار آحاد لا نجد أنفسنا عالمة بصحّتها لا اضطرارا و لا نظرا و استدلالا، فلا حجّة فیها. علی أنّه یمکن لو صحّت الأخبار التی قدّمنا ذکرها عن ابن عباس فی هذا الباب و علم بثبوتها: أن یکون کفّ القوم عن إنکارها لأنّه لم یظهر و یشیع فیهم، و إنّما یجب أن ینکروا ما تأدّی إلیهم، و قد یمکن أن یکون أیضا إنما ترکوا إنکار قوله لذلک، و إنّما قال: «سرق الشیطان من إمام المسلمین آیة، و من ترک قراءة بسم اللّه الرحمن الرحیم ترک من کتاب اللّه آیة» و نحو ذلک، و هذا کلّه قوله و رأیه و لیس فیه ما رفعه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه، فقد بیّن بترک الذکر لذلک الشکّ فی صحّة مذهبه و عدم العلم بأنّه حقّ أو باطل، و قد یترک کراهة المناظرة علیه و العلم بأنّه لیس من الأمّة قائل بذلک، و أنّه لا شبهة فی بطلانه، و أن المناظرة علیه تغری صاحبها بالتمسّک به، و قد ینزل اللّه علیه لاعتقاد کثیر منهم أنّ ذلک مسألة اجتهاد و أنّ الغلط فیها سهل مغفور لموضع أنّ الرسول کان یفتتح السّور بها، و ربما جهر بها إمام الجهر فی صلاته، و أنّ ذلک قائم مقام توقیفه علی أنّها قرآن منزل، فیصیر ذلک محلّه التأویل، و الصحیح أنّ هذه الأخبار غیر ثابتة و لا- معلومة عن ابن عباس، فلا- وجه لدعوی ظهور هذا القول و انتشاره فی الصحابة مع الإمساک علیه. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۵۶ و أما قول ابن عباس: «کان المسلمون لا یعرفون انقضاء السورة حتی تنزل بسم اللّه الرحمن الرحیم، فیعلمون أنّ السورة قد انقضت» فإنّه لا- تعلّق فیه لأمرین: أحدهما: أنّ قوله حتی تنزل بسم اللّه الرحمن الرحیم إخبار عن ظنّه أنّها [۱۴۸] تنزل لاعتقاده کونها قرآنا، و لیس فی اعتقاده لذلک و إخباره/ به لا عن توقیف الرسول: حجّة. الوجه الآخر: أنّ قوله: (حتی تنزل) محتمل لأن یکون تحقیقا لنزولها، و أنّ الرسول وقف علی أنّ الملک ینزل بها، و یحتمل أن یکون أراد علی أنّها کلام تفتتح به السور و

يعرف بها انقضاء ما قبلها، و يكون علامة لذلك و إن لم يكن قرآنا منزلا أمام السور، لأنّه قد ينزل الملك على الرسول بقرآن و ما ليس بقرآن من الوحى. و قولهم بعد ذلك: «ظاهر قوله (ينزل) يقتضى أنّها منزلة قرآنا» لا حجّة فيه، لأنّه قول يحتمل، لأنّ الظاهر و الإطلاقات غير مقنعة فى إثبات قرآن منزل مقطوع به على اللّه سبحانه، فبطل ما قالوه. و هذا الجواب عما روى من قول ابن عباس: «كان جبريل إذا أتى النبىّ صلى اللّه عليه ببسم اللّه الرحمن الرحيم علم أنّها قد ختمت سورة فاستقبل الأخرى»، لأنّها قد جعلت علامة للرّسول و لغير ذلك عند التلاوة و الكتابة، و إن لم يكن من القرآن. فأمّا ما روى عن أم سلمة من أنّ النبىّ صلى اللّه عليه كان يعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية فاصلة فإنّه من أخبار الآحاد التى لا نعلم بثبوتها اضطرارا و استدلالا، و قد بيّنا فيما سلف بما يزيل الشكّ و الرّيب أنّ رسول اللّه صلى الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۷ اللّه عليه لو عدّ ذلك و بيّنه لوجب علمنا به و نقل الأمّة له نقلا ظاهرا متواترا كنقل سائر ما عداه من آيات القرآن و بيّنه، و ما هذا الخبر عندنا إلا بمثابة رواية راو عن أم سلمة أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه كان يصلّى صلاة سادسة و سابعة مفروضة واجبة و يعرف الناس ذلك من حالها فى وجوب ردّ هذا الخبر و العلم بأنّه لو كان صحيحا عن أمّ سلمة لوجب أن تنقل الأمة تلك الصلاة نقلها الخمس صلوات و سائر الفروض العامة، و كذلك لو بيّن أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم آية و عدّها كبيانه لغيرها لظهر و استفاض نقلها، و للزم القلوب العلم بكونها قرآنا منزلا، فإذا لم يكن ذلك كذلك لم يجب تصحيح هذا الخبر. على أنّها لم تجب بذلك عن قول الرسول، و إنما قالت: «كان رسول اللّه صلى اللّه عليه/ يعدّها آية فاصلة»، و ذلك إن صحّ عنها خبر عن رأيها [۱۴۹] و اعتقادها، و ليس ذلك بحجّة بخلاف غيرها لها فى ذلك. و أمّا كراهة عبد اللّه بن مسعود و غيره مما قدّمنا ذكره من قتادة و غيره من التابعين لتفسير القرآن و كتب آية كذا وعدها كذا و كذا آية، و إنكار عمر لكتب التأويل و التفسير مع التنزيل، مع تسويغه و تسويغ جماعة الصحابة و التابعين لكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم فصلا فى فواتح السور، فإنّه أيضا مما لا حجّة فيه و لا تعلّق، و ذلك أنّهم إنّما أنكروا ذلك و قال بعضهم إنّه بدعة لعلمهم بأنّ الرسول لم يبيّن ذلك و لا أمر بكتابته، و أنّه قد أمر بكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم فى فواتح السور ما نزل عليه مما أمر بكتبه، و ليس يجب أن يسوّغوا كتب ما لم يأمر به الرسول لتسويغهم رسم ما سنّ كتبه، و لا- يجب أن يعتقدوا أيضا أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه لا يكتب فى افتتاح السورة المنزلة إلا قرآنا منزلا- لجواز أن يؤمر بافتتاحها فى الكتابة بما ليس بقرآن الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۸ على ما بيّناه من قبل، و لأجل أنّهم سمعوا الرسول يفتتح فى الصلاة ببسم اللّه الرحمن الرحيم، و يجهر بها أحيانا إمام الجهر، فأجيز الائتمام به فى افتتاح السور فى الكتابة بها، و ليس مثل عدد من فعله فى تعشير القرآن و كتب رأس الأجزاء و الأسباع و الأخماس و خاتم كذا و عدد آياتها كذا، و كتب التفسير مع التأويل. و إذا كان ذلك كذلك بان أنّه لا حجّة لهم فى شىء مما أوردوه، و أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بآية من القرآن، و أنّها جعلت علامة و فاصلة بين السور، و أمارة على ختم السورة و الأخذ فى الأخرى. فإن قال قائل: فإذا كان الأمر فيها على ما وصفتم فلم لم تكتب فى أول سورة براءة للفصل بينها و بين الأنفال؟ قيل له: لأمرين: أحدهما: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم لم يفعل ذلك ليشعر من بعد أهل عصره أنّ السلف من الأمّة الآخذين عنه لم يكتبوا بسم اللّه الرحمن الرحيم فى فواتح [۱۵۰] السور باجتهادهم/ و آرائهم، و إنّما اتّبعوا فى ذلك ما سنّ و شرع لهم، و أنّ ذلك لو كان برأيهم لوجب عليهم أن يكتبوا بين الأنفال و براءة، لأنّه لا معنى يقتضى الفرق بين الفصل بين هاتين السورتين بها و بين الفصل بين غيرهما بها، و لو فعل ذلك فى غير سورة براءة و أسقطها من افتتاحها لسدّ ذلك مسدّ اطّراحها من أول سورة براءة فى إشعارهم بهذا الباب، و لو أعلمهم أيضا- سبحانه- أنّ السلف ما كتبوها فى أوائل السور إلا لسنّة الرسول بغير هذا الوجه و شىء سوى إسقاطها من أول سورة براءة لصحّ ذلك منه و جاز، غير أنّه يمكن أن يكون إعلامهم هذا الباب بهذا الضرب من التنبيه و بإسقاطها من الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۵۹ أول براءة دون غيرها: لطفا لهم أو لبعضهم، و أدعى الأمور لهم إلى التصديق بالقرآن و تحفّظه و العمل بموجبه، و إعظام مؤدّيه و متحمّله. و قد يمكن أيضا أن يكون إنّما أسقطت فى أول سورة براءة لأنّها نزلت بالسيف و الوعيد و التهديد و الطرد و الإبعاد و الإخافة و الإهانة، و كانت إنّما تكتب فى أوائل ما يتلى من السور على وجه الرفق و الإيناس و التسكين بالابتداء بذكر اللّه تعالى و وصف فضله و رحمته. و ممّا يدلّ

على بطلان قول من زعم أنّ السلف أجمعوا على اعتقاد كون بسم اللّه الرحمن الرحيم آية أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم فيها معنى الرحمة و الأمان «۱»، و براءة لم تجيء فى هذا المعنى، و إنّما جاءت بضدّه و نقيضه، فلم تكتب كذلك فى أوّلها، و قد روى علىّ بن عبد اللّه بن عباس عن أبيه عبد اللّه قال: سألت علىّ بن أبى طالب: لم لم يكتب بين براءة و الأنفال بسم اللّه الرحمن الرحيم؟ فقال: «لأنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم أمان، و براءة نزلت بالسيف لا أمان فيها»، فهذا هو نفس التأويل الذى قلناه و علمه الجمهور من أهل العلم، و إذا كان ذلك كذلك زال ما اعترضوا به. و مما يدلّ على بطلان قول من زعم أنّ السلف أجمعوا على اعتقاد كون بسم اللّه الرحمن الرحيم أنّها آية من الحمد و من كلّ سورة ما ظهر على ما ذكر و انتشر من قول ابن عباس: «ترك الناس آية من كتاب اللّه، و سرق الشيطان آية من كتاب اللّه»، و قد علم أنّه لا يقول ذلك حتى/ يترك الناس [۱۵۱] قراءة بسم اللّه الرحمن الرحيم فى فاتحة الكتاب و فاتحة كلّ سورة، و يكون هو وحده هو المتمسّك بذلك، هذا هو الذى يقتضيه ظاهر قوله: «سرق

(۱) لا تستقيم العبارة دون تقدير هذه الكلمات هنا. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۰ الشيطان آية من كتاب اللّه، و ترك الناس آية من كتاب اللّه»، لأنّهم لو كانوا يقرءونها لما قال ذلك، فهذا يدلّ على مخالفة الجماعة له على قوله هذا و تركهم لقراءتها و ذلك بأن يدلّ على فساد ما قالوه أولى. فإن قيل: فإذا كان قد اعتقد عندهم أنّها من القرآن و هم يعلمون أنّها ليست من القرآن، فلم تركوا النكير عليه، و أن يقولوا له: قد أعظمت الخطأ و الفرية فى إدخالك ما ليس من القرآن فيه؟ يقال لهم: يكفى فى الردّ لقوله و الخلاف عليه تركهم الرجوع إلى قوله مع سماع ذلك منه و تكرّره و كثرة ضجيجه هو بقوله: «ترك الناس آية من كتاب اللّه، و سرق الشيطان آية من كتاب اللّه»، لأنّ هذا القول مع ظهوره منه يدلّ على أنّ القوم لا يعتدّون بقوله هذا و لا يثبتون به بسم اللّه الرحمن الرحيم قرآنا، و لعلّه أن يكون فيهم من قال فى خلافه ما ذكروه و خرج عن الإغلاظ له إلى مثل ما وصفوه. و يمكن أيضا أن يكونوا إنّما تركوا الإنكار عليه و أن يقولوا له: أخطأت ليست من القرآن؛ لأجل أنّه لم يتحقّق عندهم أنّه اعتقد أنّها آية منزلة من كلّ سورة، و ظنّهم أنّه اعتقد أنّه كلام يفتتح به السور و الجمل، و أنّ السنّة قد جرت بذلك عنده، و أنّه إنّما قال: «سرق الشيطان من كتاب اللّه آية، و ترك الناس من كتاب اللّه آية» يريد أنّه سرق منه ما يقوم مقام آية مما جرت السنّة عندنا بالافتتاح به، و قد قال اللّه سبحانه: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ [النحل: ۹۸]، فلو ترك تارك الاستعاذة عند قصده عرض القرآن، لساغ أن يقول قائل: «سرق الشيطان الاستعاذة، و سرق آية من كتاب اللّه، يريد بذلك أنّه سرق ما يقوم مقام آية من الاستعاذة التى أمر بها، و ساغ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۱ أن يقول أيضا: «سرق الشيطان آية» أىّ: أنّه/ سرق موجب آية و هو قوله: [۲۵۱] فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، إذا احتمل قوله جميع ما ذكرناه و بطل التعلّق به. و يمكن أن يكون معنى قوله: «سرق الشيطان آية من كتاب اللّه»، أى: سرق قرآنا ثابتا فى النّمل، و مفتتحا به فى الحمد، و فى كلّ سورة، لأنّه قرآن من النمل يفتتح به عنده فى غيره، و قد كان أنس بن مالك ينكر ما يقوله ابن عباس، و يروى أنّ النّبى صلى اللّه عليه و سلّم و من بعده من الأئمة لم يكونوا يقرءون ببسم اللّه الرحمن الرحيم، فروى مالك عن حميد «۱» عن أنس: «أنّ النّبى صلى اللّه عليه و أبا بكر و عمر كانوا لا يقرءون ببسم اللّه الرحمن الرحيم» «۲». فإن قيل: أراد أنّهم كانوا لا يجهرون بقراءتها. قيل لهم: ظاهر الخبر ترك القراءة بها جملة، لأنّ ترك الجهر بالقراءة ليس بترك للقراءة، فلا وجه للعدول بالخبر عن ظاهره، و شيء آخر و هو أنّه إن كان معنى الخبر ترك الجهر بها فذلك دليل على أنّها ليست من الحمد لاتّفاقهم على الصلاة التى يجب الجهر فيها، لا يجهر فيها ببعض السورة و يخافت بالبعض، كما لا يفعل ذلك فيما عدا الحمد من السورة التى يجب الجهر فيها.

(۱) حميد بن تير الطويل، أبو عبيدة البصرى، مولى طلحة الطّلحات، الخزاعى، و يقال الدارمى، روى عن أنس و الحسن، و عنه شعبة و القطان، و كان طوله فى يديه، مات و هو قائم يصلى سنة (۱۴۲)، وثّقوه، يدلّس عن أنس. «الكاشف» (۱: ۱۹۲). (۲) تقدّم أنّ هذا الحديث معلول و إحالة البحث على «تدريب الراوى» للحافظ السيوطى (۱: ۲۵۴- ۲۵۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۲ و قد روى أيضا عن الأعمش عن شعبة عن ثابت

«١» عن أنس بن مالك قال: «صليت خلف النبيّ صلى اللّه عليه و أبى بكر و عمر و عثمان، و كانوا لا يجهرون ببسم اللّه الرحمن الرحيم» «٢»، و لو كانت من الحمد لجهروا بها فى صلاة الجهر، و قد ظهر أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال لأبىّ: «كيف تقرأ إذا كبرت؟» فقال: «اللّه أكبر، الحمد للّه رب العالمين» «٣»، فلم يذكر بسم اللّه الرحمن الرحيم، و لا قال له رسول اللّه صلى اللّه عليه تركت آية من الحمد، كما قال ابن عباس على ما رووه عنه، و قول النبيّ و تعليمه الصلاة و ترك الأخذ بقراءة بسم اللّه الرحمن الرحيم أولى أن يعمل به و يكون حجّة. و قد روى عبد الوارث «۴» قال: حدّثنا عبد العزيز بن صهيب «۵» قال: سئل أنس: أ يفتتح الرّجل الصلاة ببسم اللّه الرحمن الرحيم؟ فقال: ما قالها رسول اللّه صلى اللّه عليه و لا أبو بكر و لا عمر و لا عثمان حتى كانت هذه

(______________________________١) هو ثابت بن قيس أبو الغصن الغفارى، روى عن أنس و ابن المسيب، ثقة رأى أبا سعيد، و عمّر مائة، مات سنة ثمان و ستين و مائة. «الكاشف» (١: ١١٧). (٢) حاله كما تقدم فى التعليق قبل السابق. (٣) أخرجه البخارى فى «صحيحه» (۵: ١٧٣ كتاب التفسير، باب ما جاء فى أم القرآن برقم ۴۴٧۴) عن ابن سعيد بن المعلّى، و رواه الإمام مالك فى «الموطأ» (١: ٨٣ كتاب الصلاة باب ما جاء فى أم القرآن برقم ٣٧) بلفظ: «كيف تقرأ القرآن إذا افتتحت الصلاة». (۴) عبد الوارث بن سعيد التنورى البصرى الحافظ المقرئ، ولد سنة اثنتين و مائة، قرأ على أبى عمرو بن العلاء، من الطبقة الخامسة، توفى سنة ثمانين و مائة. «معرفة القرّاء الكبار» (١: ١۶٣). (۵) عبد العزيز بن صهيب البنانى البصرى، ثقة، من الرابعة، مات سنة ثلاثين و مائة. «التقريب» (١: ۶٠۴). الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢۶٣ الغشية»،/ فهذا إنكار منه شديد و اعتقاد لكون قراءتها و الافتتاح بها بدعة فى [١۵٣] الدّين. و روى الناس أنّ عبد اللّه بن مغفّل «١» سمع ابنا له يقرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم فقال: «يا بنىّ إيّاك و الحدث، فإنى صلّيت خلف رسول اللّه صلى اللّه عليه و أبى بكر و عمر و عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم اللّه الرحمن الرحيم»، و هذا أيضا إنكار من عبد اللّه بن مغفّل لقراءة بسم اللّه الرحمن الرحيم، و إخبار عن اعتقاده و اعتقاد السلف أنّ فعل ذلك بدعة و حدث فى الدّين، فكيف يمكن أن يقال إنّه لم يكن فى السلف منكر غير ابن عباس، و حالهم ما وصفناه. و مما يدلّ على أنّها ليست بآية من الحمد أيضا و من كل سورة اتفاق الدّهماء على أنّ: تَبارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ثلاثين آية، و ظهور الخبر بذلك عن الرسول، و قد روى شعبة عن قتادة عن عباس الجشمى عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه: «إنّ من القرآن سورة ثلاثين آية، جعلت تجادل عن رجل غفر له، و هى تبارك» «٢». و قد اتفق على أنّها إذا عدّت مع «بسم اللّه الرحمن الرحيم» كانت إحدى و ثلاثين آية. و كذلك قد اتفق القرّاء كلّهم على أنّ الكوثر ثلاث آيات، فلو كانت بسم اللّه الرحمن الرحيم آية منها لكانت أربع آيات، و ذلك خلاف الإجماع.

(______________________________١) عبد اللّه بن مغفل بن عبد نهم، أبو عبد الرحمن المزنى، صحابىّ بايع تحت الشجرة، و نزل البصرة، مات سنة سبع و خمسين، و قيل بعد ذلك. «التقريب» (١: ۵٣٧). (٢) رواه أبو داود فى «سننه» (٢: ۵٧ كتاب الصلاة، باب فى عدد الآى برقم ١۴٠٠)، و رواه الترمذى فى «سننه» (۵: ١۵١ كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فى فضل سورة تبارك برقم ٢٨٩١). الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢۶۴ فإن قيل: هى فى تبارك و الكوثر بعض آية، و فى الحمد آية تامة. قيل: هذا محال، لأنّه لا يجوز أن تكون آية كاملة فى موضع و فى غيره بعض آية و هى كلام واحد غير مختلف و لا متفاضل فى نظمه أو عدد حروفه، فكلّ هذا يدلّ على أنّها ليست بقرآن و لا آية من الحمد و لا من غيرها إلا فى سورة النمل. و ممّا يدلّ على ذلك أيضا قوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ٩]، فلو كانت من الحمد و من كل سورة لحفظها اللّه تعالى علينا، و جعل لنا إلى العلم بذلك طريقا، و لم ينكر سلف الأمّة و أكثر خلفها كونها قرآنا من الحمد و من كل سورة، كما أنّها لمّا كانت قرآنا من النّمل لم ينكر ذلك أحد و لم يختلف فيه. [١۵۴] فإن قيل: فإن لم تثبتوا بسم اللّه الرحمن الرحيم قرآنا، باختلاف و خبر/ غير متواتر فلا تثبتوا أيضا المعوّذتين قرآنا لوقوع الخلاف فيهما! قيل لهم: معاذ اللّه أن يكون السلف اختلفوا فى أن المعوّذتين قرآن، و إنّما اختلفوا فى إثباتها فى المصحف، و كان عبد اللّه بن مسعود لا يرى ذلك، لأنّه لم يكن عنده سنّة

فيهمـا، فأمّـا أن ينكر كونها قرآنا فـذلك باطل. و شـيء آخر، و هو أنّه قـد ثبت القرآن بإعجاز نظمه و إن لم يثبت بالتواتر، و الإعجاز قـائم فى المعوّذتين و ليس هى فى بسم اللّه الرحمن الرحيم، و لا ـ خبر متواتر يعلم فى ذلک، فبطل ما قالوه. فإن قيل: فإذا قلتم إن بسـم اللّه الرحمن الرحيم ليست آيـة من الحمد و لا من كل سورة هى فى افتتاحها، فهل تكفّرون من قال إنّها من الحمد و أنّه بمثابة من قال إنّ: «قفا نبک» من الحمد أم لا؟ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۵ قيل له: لا، و إنما يلزم هذا الكلام من قال من أصحابنا: لو كانت من الحمـد و من كـل سورة لوجب إكفـار من أنكر كونهـا من الحمـد، فيقـال له: و لو لم تكن من الحمـد لوجب إكفـار من قـال إنّها من الحمد، و ليست هذه عندنا طريقة صحيحة و لا مرضيّة فى النظر، و لا واجبة فى حكم الدّين، بل الواجب أن نقول: إن معتقد كونها من الحمـد و من كـل سورة، أو آيـة منزلـة مفردة فاصلـة بين السور: مخطئ ذاهب عن الحق، لأجـل عـدوله عمّـا وجب عليه من العلم بأنّ الرسول صـلى اللّه عليه لو كان قـد نصّ على ذلک من حكمها لوجب تواتر نقله و ظهوره و انتشاره، و لزم فى القلوب العلم بصـحّته، و أنّ ذلـک عادة الرسول فى بيان جميع ما أنزل عليه من القرآن، فلما عـدل عن ذلک و عمل على ظاهر افتتاح الرسول بها و أمره بكتبها للفصـل بين السّور، و جهره بهـا تـارة، فظنّ بهـذا أنّها من جملـة القرآن: كان بـذلک غالطا و عادلا عن بعض ما لزمه و وجب عليه فى العلم ببيـان الرسول بمثـل القرآن و عـادته فيه، و كـان بـذلک متأوّلا ـ ضـربا من التأويل لا يصـيّره بمنزلـة من ألحق بالقرآن ما قـد علم ضرورة من دين الرسـول، و باتفـاق أمّته/ أنّه ليس من القرآن. [۱۵۵] و لأننا أيضا لسـنا نقول- مع قولنا إنّها ليست بقرآن من الحمـد و أول كـل سورة- أنّ الرسول صـلى اللّه عليه قـال قولا ـ ظـاهرا معلنا أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم ليست بآيـة من كتاب اللّه، و لا هى من جملـة الحمد و لا من جملة غيرها، و أنّ هذا التوثيق سـمع منه، و نقلته الحجّة القاطعة عنه، حتى يكون من حجّته هذا القول، و قال إنّها من القرآن كافّة أو بمثابـة من سـمع ذلـک من الرسول فردّه و امتنع من قبوله، فلم يجب إكفـار المتأوّل لكونها من القرآن. و كـذلک مخطّئو مخالفينـا يقولون إنّه لا يجب إكفار من قال إنّها ليست من الحمـد و لا من كل سورة سوى النمل، لأنّ الرسول لم يوقف توقيفا الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۶ ظـاهرا معلنـا باديا منقولا متواترا على أنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم قرآن و بعض لسورة الحمـد و لكلّ سورة هى افتتاحها، و إنّما يعلم ذلک بدليل و ضـرب من الطلب و الاجتهاد، فلم يجب إكفار جاحد كونها آية من الحمد أو غيرها من حيث وجب إكفار جاحد الحمد جملة أو آية الدّين أو غيرها من آيات السّور المعلوم ضرورة من دين النبيّ صلى اللّه عليه توقيفه على أنّهما قرآن، و إجماع الأمّـة على ذلک، و إذا كان هـذا هكذا سـقط ما توهّموه، و بان بطلان التعلّق بهذا الفصل من الفريقين جميعا، و اللّه الموفّق للصواب. اه-. *** الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۷

باب القول فى بيان حكم كلام القنوت، و ما روى عن أبىّ من الخلاف فى ذلک

بـاب القول فى بيـان حكم كلاـم القنوت، و مـا روى عن أبىّ من الخلاـف فى ذلـک فـإن قـال قائل: إذا كان أمر القرآن فى الظهور و الانتشـار، و حصول علم الأمّـة بمـا هو منه و مـا ليس من جملته على مـا ذكرتم، وجب لـذلک أن يكون أبىّ بن كعب من أعلم الناس بـذلک، و أحفظهم له، و أشـدّهم حرصـا عليه، و أعرفهم بمـا هـو منه ممـا ليس منه، فكيف جـاز أن يـذهب عليه مع ذلـک أنّ كلاـم القنوت ليس من القرآن الـذى أنزل، و وقفت الأمّـة عليه، و يجب- كيف دارت القصّـة- أن يكون أمر القرآن على/ خلاـف ما ادّعيتم من الظهور [۱۶۵] و الانتشـار بين الصـحابة و من بعـدهم، لأجـل أنّ سورتى القنوت إما أن تكون قرآنا أو ليسـتا بقرآن، فإذا كانتا غير قرآن فقـد ذهب على أبىّ و أثبتهما فى مصـحفه، و اعتقـد أنهما قرآن، و إذا جاز ذلک عليه جاز مثله على غيره، و جاز منه و من غيره أن يعتقـدوا أيضا فى كلام آخر من كلام رسول اللّه صـلى اللّه عليه و الأدعيـة أنّه من كلام اللّه تعالى، و لم يأمن أن يكون فيما أثبتوه كثير هـذه سبيلهم فيه، و إن كان دعاء القنوت من القرآن فقـد عرفه أبىّ وحده و أثبته، و جهله و ذهب عن علمه جميع الأمّة سوى أبىّ وحده، و إذا جاز ذلک فى سورتى القنوت، جاز مثله فى غيرهما، و بان بذلک أنّ إثبات جميع ما هو من القرآن و ما ليس منه، لم يقع من النبى صـلى اللّه عليه على وجه واحد من الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۸ الإشاعة و الإذاعة و الإعلام، و قطع عذر الكافّة فيه، و أنّ

منه ما قد أثبتت بظنّ و اجتهاد، و إعمال رأى و ظنّ بمن رواه لهم من جهة الآحاد، و شـهد عندهم من العدول بأنّه سمعه من الرسول و تلقّاه، و كلّ هـذا نقض لما أصّلتموه، و خلاف لما ادّعيتموه. يقال لهم: الذى عندنا فى هذا أنّ دعاء القنوت ليس من القرآن بسبيل، و لأنّه لو كـان من القرآن لكـان بيـان النبىّ صـلى اللّه عليه و إيعازه فى أمره كبيانه لسائر القرآن، و لكانت الحجّـة قائمـة و العادة جارية بضـبطه عنه و حفظه، و توفّر الهمم و الـدّواعى على إظهاره و إشـهاره، فإذا لم يكن أمره كذلك بطل بطلانا بيّنا أنّه من القرآن، و لأنّنا أيضا قـد علمنا قصور نظمه فى البلاغـة و الفصاحة عن رتبة القرآن و إن كان أفصح و أوجز و أحسن من كثير من كلام العرب، و إنّما يعلم ذلـك و يتـأمّله أهـل العلم و الفصاحـة و أهـل البيـان و البلاغـة و المعرفـة بنظوم الكلام و أوزانه و موقع معانيه، و شـرف تأليفه و معانيه، [۱۵۷] و مبـاينته لسـائر/ مـا قصـر عن بلاـغته. و يـدلّ على ذلك أيضا ما سـنذكره من اتفاق أبىّ و عبـد اللّه و جميع الأمّـة على تصـحيح مصـحف عثمان و أنّ ما انطوى عليه هو جميع القرآن الثابت الرسم، و أنّ ما خالفه و زاد عليه فليس بقرآن، و الأمّـة لا تجتمع على خطـأ و ضـلال، و قـد ثبت أنّ أبيّا عمّر إلى زمن جمع عثمان الناس على مصـحفه، و أنّه كان أحـد من حضـر ذلك و أشاد به بما سنـذكره فيمـا بعـد إن شـاء اللّه فلعلّ أبيّا إن كان قال ذلك أو كتب الـدعاء فى مصـحفه و رقعه التى كان يثبت فيها القرآن إنّما قاله و أثبته على وجه التوهّم و الغلط ثم استدرك ذلك و استرجع لمّا وجد الأمّة دافعة لذلك و راغبة عنه، و لمّا علم أنّها لا تجمع على خطأ و تضـييع للحق. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۶۹ و هـذا هو المعتمـد، لأـنّ ذلـك لو كـان قرآنا على ما ظنّه لوجب ظهوره و انتشاره و معرفة الكافّة به، و علم أن هذا هو العادة فى نقل ما يقتضى أحواله تحرّك الدواعى و الأسباب على نقله و إذاعته، فكلّ هذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ القنوت ليس من القرآن بسبيل. و أوّل ما نقول ما روى عن أبىّ بعد تقريرنا لهذه الدلالة على أنّ دعاء القنوت ليست من القرآن فى شـىء أنّ أحـدا لا يقـدر أن يروى عن أبىّ لفظة واحدة فى أنّ دعاء القنوت قرآن منزل، و إنما روى قوم عنه أنّه أثبت دعاء القنوت فى مصـحفه، و إذا لم يقل ذلك تصـريحا و لا حفظ عليه و لم يكن إثباته له فى مصحفه أو رقعة من مصحفه يدلّ دلالة قاطعة على أنّه يعتقـد كونه قرآنا لما سـنبيّنه فيما بعـد: بان بهـذه الجملة أنّه لا حجّة لأحد فيما يروى من إثبات أبىّ لهذا الدعاء. ثم إذا صـرنا إلى القول فيما روى عنه من إثبات هذا الدعاء فى مصـحفه لم نجده ظاهرا منتشـرا و لا مما يلزم قلوبنا العلم بصحّته و يلزمنا الإقرار به و القطع على أبىّ بـأنّه كتب ذلـك، بـل إنّما يروى ذلك من طرق يسيرة نزرة روايـة الآحاد التى لا توجب العلم/ و لا تقطع العـذر، و لا ينبغى لمسلم عرف [۱۵۸] فضـل أبىّ و عقله و حسن هـديه و كثرة علمه و معرفته بنظم القرآن و وزنه و ما هو منه ممّا ليس من جملته: أن تنسب إليه أنّه كتب دعـاء القنوت فى مصـحفه أو اعتقـد أنّه قرآن! فـإنّ اعتقـاد كونه قرآنـا أبين و أفحش فى الغلـط من كتـابته فى المصـحف و أن يقطع على أبىّ الشـهادة بـذلك من جهة أخبار الآحاد و يشـهد بذلك عليه، و يشـهد به على من دون أبىّ من العلماء المؤمنين، و إذا كان ذلك كذلك و كنّا لا نعرف صـحّة إثباته له بهذه الرواية: فسـقط التعلّق بها سـقوطا ظاهرا. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۷۰ و ممّا يـدلّ على و هاء هـذا الخبر عن أبىّ علمنا بأنّ عثمان يشـدّد و يصـعّب فى قبض المصاحف المخالفـة لمصـحفه، و فى المطالبة بها و تحريقها و درس آثارها، و المنع من العمل على ما فيها، و إذا كان ذلك كذلك كانت العادة توجب أن يكون مصحف أبىّ أول مقبوض و مـأخوذ، و أن يكون عثمان تسـرّع إلى مطالبته و حرصه على قبضه و تحصـيله أشـدّ من تسـرّعه إلى مصـحف غيره ممن تنقص رتبته عن منزلته، و لا تتعلّق القلوب و تتطلّع النفوس إلى ما عنده و ما فى مصحفه، و قد جاءت الرواية عن محمد و الطّفيل ابنى أبىّ بن كعب و أنّهمـا قالا لوفـد من أصـحاب عبـد اللّه عليهما يطلب مصـحف أبيهما، فـذكرا أنّه قـد قبضه عثمان منه، و إذا كان ذلك كـذلك، وجب أن يكون مصـحف أبىّ الـذى فيه إثبات هذا الدعاء- إن كان ذلك على ما روى- مما قد أخذ و قبض، فكيف بقى حتى رآه النـاس و رووا أنّه كـان عنـد أنس بن مالـك و أنّه كـان فيه دعـاء القنوت! و يقول بعضـهم: هـذا لا أصل له، و قـد رأينا مصـحف أنس الذى ذكر أنّه مصحف أبىّ و كان موافقا لمصحف الجماعة بغير زيادة و لا نقصان، و لو صحّ و ثبت أنّه وجد مصحف ينسب إلى أبىّ فيه دعـاء القنوت لوجب أن يعلم أنّه متكـذّب موضوع قصـد بوضـعه لفسـاد الـدين و تفريق كلمـة المسـلمين و القـدح [۱۵۹] فى نقلهم،/ و الطعن فى مصـحفهم الـذى هو إمـامهم، و لاـ ينبغى لعاقـل أن يقطع الشـهادة على أبىّ بـأنّه أثبت دعاء القنوت فى

مصحفه و اعتقد أنّه قرآن بوجود صحيفة ذلك فيها يذكر أنّه مصحف أبيّ من وجه لا يوجب العلم و لا يقطع العذر و لا يحلّ فى الظهور و الانتشار محلّ ما من شأنه أن يظهر عن مثل أبيّ و يكثر الخوض فيه و الرواية له. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۱ و كذلك فلا يجب أن تقطع الشهادة بذلك برؤية صحيفة هذه سبيلها على من هو دون أبى من المؤمنين، و أنّ الوضع و الكذب و التلفيق قد يرسم فى المصحف و ينسب إلى أهل الفضل لقصد ما ذكرناه، و إنّما يجب أنّ يقطع على أنّ الكتاب و المصنّف كتاب الرجل و تأليفه، و ثبتت الشهادة عليه بذلك بالأخبار المتظاهرة المستفيضة الموجبة للعلم دون وجود الكتاب فقط، و بمثل هذه الأخبار أثبتنا مصحف عثمان و أنّه جمعه، و بمثلها علمنا أنّ «موطأ مالك» و «رسالة الشافعيّ» و «مختصر المزنيّ» و «العين» للخليل «۱» و «المقتضب» للمبرّد: من تصنيف [من ينسب إليه من العلماء، لا- بوجود الكتب و الصحف فقط التى لا- تبين عن نفسها و لا- تخبر عن صحّتها و بطلانها، فإذا كان ذلك كذلك لم يكن فى وجودنا أيّة نسخة أو بأيّة نسخة فيها دعاء القنوت منسوبة إلى أبيّ ما يوجب القطع عليه بذلك و العلم بأنّه من جمعه و إثباته، فبان أنّه لا تعلّق لهم فى هذه الآية. و قد ذكر الناس أنّ الذى لهج بذكر ذلك على أبيّ و خاض فيه و أشاع ذكره عنه أصحاب عبد اللّه بن مسعود، و أنّ الداعى كان لهم إلى ذلك شدة حرصهم و عنايتهم بطلب كلّ مصحف يخالف مصحف عثمان بما قلّ أو كثر ليجعلوا ذلك حجّة و ذريعة إلى تسهيل سبيل مخالفة الناس لمصحف عثمان و العمل به و بغيره من مصحف عبد اللّه و أبيّ و غيرهما، و كان هذا سبب ذكر الناس لهذه القصة عن أبيّ، فروى بشر بن سعيد عن محمد بن أبيّ بن كعب (________________ ۱) الخليل بن أحمد

الفراهيدى، أبو عبد الرحمن البصرى، أحد الأعلام، صاحب العربية و منشئ علم العروض، ولد سنة مائة و مات سنة بضع و ستين و مائة، و قيل: سبعين و مائة. «سير أعلام النبلاء» (۷: ۴۳۰). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۲ أنّه قال: «قدم ناس من أهل العراق إليّ فقالوا: إنّا قد أعملنا إليك المطيّ [۱۶۰] من العراق، فأخرج لنا مصحف أبيّ،/ فقلت لهم: قد قبضه عثمان، فقالوا: سبحان اللّه! أخرجه إلينا، فقلت: قد قبضه عثمان»، و روى صدقة بن زياد عن أبى نعيم «۱» عن الطّفيل بن أبيّ «۲» بن كعب أنّه قال: «قدم أربعة نفر من أهل الكوفة بعد وفاة أبيّ فى خلافة عثمان فقالوا: إنّا قدمنا إليك لتخرج إلينا مصحف أبيك لننظر فيه، فإنّ أباك كان أعلم الناس بالقرآن، فقلت: قد قبضه عثمان، فقالوا: سبحان اللّه! ما لعثمان و لمصحف أبيك، قلت: ما لعثمان و لكنّ عمر بن الخطّاب حرّقها». فهذا ينبئ عن قبض عثمان لمصحف أبيّ على ما قد بيّناه من قبل، و على ما ذكرناه من شدّة حرص أهل العراق و طمعهم فى أن يعثروا على مصحف يخالف مصحف عثمان، فقد يجوز إذا كان ذلك كذلك و تحدّث متحدّث و قال: إنّي رأيت عند أنس بن مالك أو غيره مصحفا هو مصحف أبيّ فيه دعاء القنوت: أن يكثر أصحاب عبد اللّه ذكر ذلك و يجعلوه حجّة فى الامتناع من تسليم مصحف عبد اللّه و غيره من المصاحف الخالفة لمصحف عثمان، لظنّهم صدق هذا الراوى و إن لم يكن لذلك أصل، و إذا كان ذلك كذلك بطل التعلّق بهذه الرواية الشاذّة الموجبة لخلاف ما عليه العادة فى شهرة ذلك عن أبيّ و ما هو عليه من معرفة القرآن و حسن تلقّيه و وجوب علمه و معرفته بتمييزه من غيره.

(________________ ۱) هو وهب بن كيسان، ثقة من كبار الرابعة، سمع جابرا و عمر بن أبى سلمة، روى عنه عبيد اللّه بن عمر و ابن عجلان و مالك. «الكنى و الأسماء» (۲: ۸۴۶). (۲) فى الأصل: (عن الطفيل بن أبيّ عن أبى بن كعب)، و لا- يستقيم الكلام إلا بحذف: (عن أبيّ)، فتأمّل. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۳ على أنّه لو صحّت الرواية عن أبيّ بإثبات دعاء القنوت فى مصحفه من وجه لا يمكن جحده و الشكّ فيه لوجب أن يحمل ذلك منه على وجه لا يقتضى اعتقاد كونه قرآنا و مخالفة الجماعة فى ذلك، بل على ما يوجب موافقة الأدلة التى قدّمنا ذكرها، و هو أن يكون أبيّ لمّا وجد دعاء القنوت و داوم عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و صار سنة متأكّدة و بابا من أبواب الشريعة و عملا من أعمال الصلاة يجب حفظه و المواظبة عليه: رأى أن يثبته فى آخر مصحفه أو تضاعيفه إن كان مصحفه مثبتا على قدر ما كان من/ [۱۶۱] أخذه و حفظه للقرآن على غير ترتيب السّور و تاريخ نزوله، لكى لا يذهب عليه كلمة و لا حرف من الدعاء، لا على أنّه قرآن منزل و مما قد

قامت الحجّة به، فهذا غير ممتنع و لا مدفوع. و يمكن أيضا أن يكون لم يثبت دعاء القنوت فى مصحفه، و لكن فى صحيفة أو ورقة كان فيها كلام أراد نقله و ضمّه إلى المصحف، و كما يتفق للنّاس مثل ذلك عند الحاجة إلى التعليق و الضبط، فلما حملت الصحف و الرّقاع إلى أبى بكر الصدّيق رضوان اللّه عليه ليجمع ما فيها و يضمّه و يجعله إماما وجد دعاء القنوت فى بعض ما كان عند أبيّ، ثم درس ذكر ذلك و الخوض فيه و السؤال لأبيّ عنه لعلمه بارتفاع الشّبهة عنه فى أنّه دعاء ليس بقرآن، فلما تمادى الزمان و جمع عثمان الناس على مصحفه و حرّقه جدّد ذكره لذلك مجدّدا و أعاده و أبداه ليجعل ذلك ذريعة إلى مخالفة عثمان و تسهيل سبيل لقرآن غير ما فى مصحفه و ظهوره. و قد يمكن أيضا أن يحمل أمر أبيّ فى هذا الباب على غاية ما حاولوه من أمره، و هو أن يقال إنّ ذلك إن صحّ عن أبيّ فإنّه إنّما فعل ذلك لأنّه اشتبه عليه دعاء القنوت و ظنّ لفصاحته و بلاغته و وجدانه مداومة الرسول الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۴ صلى اللّه عليه عليه فى صلواته و افتتاح عمر بن الخطّاب و غيره من الصحابة ببسم اللّه الرحمن الرحيم فى قنوته و فى أول التشهّد فى الصلاة: فقدّر لأجل هذا أجمع أنّه من جملة القرآن فأثبته معه، فقد روى عن عطاء عن عبيد بن عمير «۱» أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول فى قنوته بعد دعائه للمؤمنين و دعائه على الكفرة: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللّهمّ إنا نستعينك و نستهديك و نثنى عليك الخير، و نشكرك و لا نكفرك، و نخلع و نترك من يكفرك، بسم اللّه الرحمن الرحيم، اللهم إيّاك نعبد، و لك نصلّى و نسجد، و إليك نسعى و نحفد، نرجو رحمتك و نخاف عذابك، إنّ عذابك [الجدّ] بالكافرين ملحق» «۲». [۱۶۲] و هذا القدر لا يدلّ على أنّ الدعاء من القرآن/ كما لم يدلّ افتتاح كثير من كلام التشهّد ببسم اللّه الرحمن الرحيم على أنّه قرآن، و قد روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: قلت لنافع: كيف كان ابن عمر يتشهّد، قال: كان يقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم، التحيات للّه الصلوات الطيبات»، و روى عن طاوس أنه كان يقول فى التشهّد: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، التحيات المباركات و الصلوات و الطيبات للّه» إلى آخر كلام التشهّد، و روى الحارث «۳» عن عليّ عليه السلام أنه كان إذا تشهّد قال: «بسم اللّه الرحمن الرحيم» «۴». فإذا رأى

(____ ۱) عبيد بن عمير بن قتادة الليثى المكى الواعظ المفسّر، ولد فى حياة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و توفى سنة أربع و سبعين من ثقات التابعين. «سير أعلام النبلاء» (۴: ۱۵۶). (۲) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۱: ۲۱۳ كتاب صلاة التطوع و الإمامة، باب ما يدعو به فى قنوت الفجر). (۳) هو الحارث بن عبد اللّه الأعور الهمدانى الكوفى أبو زهير، صاحب علي فى حديثه، ضعّف، مات فى خلافة ابن الزبير «التقريب» (۱: ۱۷۵). و للسيد عبد العزيز الغمارى «الباحث عن علل الطعن فى الحارث»، توسّع فيه فى دراسة حاله، و هو مطبوع. (۴) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۱: ۳۲۹ كتاب الطهارة، باب من كان يقول فى التشهد بسم اللّه). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۵ أبيّ مداومة الرسول صلى اللّه عليه على ذلك و افتتاح عليّ و عمر به جاز أن يظنّ أنّ ذلك [كان «۱» قرآنا منزلا فيلحقه بالمصحف. فإن قالوا على هذا الجواب: فأبيّ على قولكم لم يكن يعرف وزن القرآن من غيره! قيل لهم: معاذ اللّه! بل كان من أعرف الناس بذلك، و لكنه ظنّ أنّ دعاء القنوت و إن قصر عن رتبة باقى السور فى الجزالة و البلاغة فإنّه يجوز أن يكون قرآنا، و أنّه يتعذّر أن يؤتى بمثله و إن كان غيره أبلغ منه من القرآن، كما قد قال الناس: إنّ من القرآن ما هو أوجز و أفصح و أبدع مما سواه عنه، و إن كان معجزا كلّه، قوله تعالى: فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا [يوسف: ۸۰] و قوله تعالى: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ [هود: ۴۴]، و قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ [الأعراف: ۱۹۹]، فهذا أوجز و أفصح من مثل قدره من غيره و لو كان معجزا كلّه إذا بلغ قدر سورة أو آية فى طول السورة. و قد زعم قوم أنّه لا يمتنع أن يكون دعاء القنوت كان قرآنا فنسخ أو أزيل فرض كتابته و تلاوته مع القرآن لما فيه من فصاحة النظم و جزالته و مناسبته و مقاربته لنظم القرآن، و إن كان هذا هكذا فإثبات أبيّ له كإثبات قوم غيره لأشياء نسخت بعد أن أنزلت، و إنّما لم يجب أن يسيغ نقل دعاء القنوت ما يظهر على هذا الجواب كظهور نقل غيره مما يثبت،/ لأجل أنّه [۱۶۳] لما نسخ انصرفت الهمم و الدواعى عن نقله و إحاطته إلا فى موضع الدعاء به فقط، كما انصرفت هممهم عن نقل كثير مما نسخ رسمه و تلاوته، ففى هذا نظر! أعنى قولهم إنّه معجز، لأنّ نظمه مباين

لنظـم القرآن و غير خـارج عـن (ـــــــــــــــــــــــــــــ ١)
زيادة اقتضاها السياق. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٧٦ وزن كلام العرب، و لكن يحتاج ذلك إلى لطيف فكر و تدبّر و نقل و تأمّل، و مـا يعلم أنّ أحـدا من الأمّـة ينكر أن لا ـ يكون العلم بكون جميع القرآن معجزا ممـا يعلم بالبديهـة و بـأول سـماع حتى يعرف أنّ دعاء القنوت ليس بمعجز كمـا يعرف أنه كلامـ أعيى النـاس و ألكنهم ليس بمعجز، و يعرف أنّ النـاس و الفلق معجزتـان بأول سـماع لهما، كمـا يعرف بـأنّ البقرة و آل عمران معجز بـاهر بـأول سـماع، بـل لا ـ ينكر أن يكون ممـا ليس بمعجز من الكلامـ مـا يكاد أن يخفى و يقـارب، فيحتـاج إلى تأمـل، و أنّ بعض ما هو معجز إذا كان يسيرا قليلا كالناس و إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ احتاج فى العلم بأنّه معجز إلى نظر دقيق و فكر و تحرّ بقـدر شـرف نظم الكلام و معانيه، و عـدد ما يشـتمل عليه من المعانى الصـحيحة و المقاصد الكثيرة، و إذا كان ذلك كـذلك جاز أن يكون حال أبيّ محمولـة فى ذلك على بعض هـذه الوجوه التى ذكرناها. و قد زعم أيضا بعض الناس أنّ دعاء القنوت معجز قاهر من كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه، و إنّه لا يمتنع أن يكون المعجز من الكلام و النظم ضربين: أحدهما: كلام اللّه، و الآخر: كلام لرسوله، و فى هذا نظر أيضا، لأنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه ما ظهر عند التحدّى بمثل شيء من كلامه، و لا ادّعى ذلك قطّ لنفسه، و لو كان ذلك كـذلك لظهر ذلك عنه و علم من حاله، و لكان ذلك زيادة فى حجّته، و لأنّ ذلك أيضا لو فعله عنـد قوم لعـاد بتهمته و دخول الشّـبهة على سـامع كلام اللّه منه، و ظنّه أنّه من بلاغته هو صـلى اللّه عليه و نظمه، و رجع بالشكّ فى ثبوته، و اللّه تعـالى قـد حماه مما هو دون ذلك من قول الشـعر المعروف عنـدهم، و من أن يخطّ كتابا أو يتلوه قبل نبوّته، لئلا [١٦٤] يظنّوا أنّه من تقوّله و أنّه افتراه و نظمه، أو أنّه مما وجـده فى الكتب/ و لقنه. و لأجل أنّ تامّل كلام القنوت ينبى من عرفه أنّه ليس بمعجز البشـر عن الإتيـان بمثله و إن كـان من فصـيح الكلام و وجيزه و بليغه، فوجب أنّه لا معنى الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٧٧ لهذا القول و لا الذى قبله، و وجب أن يحمل أمر أبيّ فى ذلك إن صحّ الخبر عنه على بعض ما قدّمناه، و إن لم يصحّ فقد كفينا مؤنة تطلّب تأويل له، و هذا هو الثابت أعنى بطلان هذه الرواية عنه و تكذّبها، و ليس يروى ذلك إلا عن ابن سيرين و آخر معه، أنّهم قد وجدوا مصحفا عند أنس ذكر أنّه مصـحف أبيّ، فيه دعـاء القنوت، و مثـل هـذا لا ـ يثبت فيه على أبيّ إدخـال شـيء فى القرآن ليس منه. و روى بعض المعـتزلة القدريـة عن عمرو بن عبيد «١» أنّه قـال: «رأيت مصـحفا كان لأنس بن مالك قرأه على أبيّ بن كعب، فكان فيه دعاء القنوت»، و هـذا أوهى و أضـعف و أولى بالرّدّ من الأول، قال أبو الحسن علىّ بن إسـماعيل الأشـعرى «٢»: «و قد رأيت أنا مصـحف أنس بالبصرة عند بعض ولد أنس، فوجدته مساويا لمصحف الجماعة لا يغادر منه شيئا»، و كان يروى عن ولد أنس عن أنس أنّه خطّ أنس و إملاء أبيّ، و إذا كـان ذلك كـذلك وجب أن يكون ما رواه من ذلك باطلا لما ذكرناه من العادة فى بيان القرآن و قلّـة شـهرة ذلك عن أبيّ، و معارضة الأخبار الثابتة لهذه الرواية بأنّ مصـحف أنس كان موافقا له، و شهادة الطّفيل و محمد ابنى أبيّ أنّ عثمان قبض مصحف أبيّ، فوجب بهذه الجملة وضوح سـقوط التعلّل بهذه الرواية، و الاستناد فى الطعن فى نقل القرآن و إبطال شهرة بيانه، و ظهور نقله، و حفظ الأمّـــــــــة لجميعـــــــــه إلى مثلهـــــــــا و الاعتمـــــــــاد عليهـــــــــا.

(ـــــــــــــــــــــــــــــ ١) عمرو بـن عبيـد بـن بـاب التميمى مولاهم، أبو عثمان البصرى المعتزلى المشـهور، كان عابدا من السابعة، مات سـنة ثلاث و أربعين و مائة. «التقريب» (١: ٧٤٠). (٢) ابن أبى بشـر، بن أبى بردة بن صاحب رسول اللّه أبى موسـى الأشعرى، إمام أهل السنة و الجماعة، قدوة المتكلّمين و ناصر السّنّة، ولد سنة ستين و مائتين، و قيل: بقى إلى سنة ثلاثين و ثلاثمائة. «سير أعلام النبلاء» (١٥: ٨٥). الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٧٨

باب القول فى ترتيب سور القرآن و هل وقع ذلك منهم عن توقيف أو اجتهاد

بـاب القول فى ترتيب سور القرآن و هـل وقع ذلك منهم عن توقيف أو اجتهاد فإن قالوا: كيف يسوغ لكم أن تـدّعوا أنّ بيان الرسول صلى اللّه عليه للقرآن وقـع شائعـا ذائعـا مسـتفيضا، و أنّ القـوم حفظوا ذلـك عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم، و هم غير عـالمين

بترتيب سور المصحف و نظامها، بل مختلفون فى [۱۶۵] ذلک اختلافا شديدا، فمنهم/ من رتّب فى أول مصحفه الحمد، و منهم من جعل فى أوله اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ، و هذا أول مصحف علیّ بن أبی طالب عليه السلام فيما رواه عنه الزبير بن عبد اللّه بن الزبير عن زياد الأخرم قال: مررت على محمد بن عمر بن علیّ «۱» فقال: أ لا أريک يا زياد مصحف علیّ، قال: فأراه فإذا أوله اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ./ فأمّا مصحف ابن مسعود فإنّ أوّله فيما رواه مالِکِ يَوْمِ الدِّينِ ثم البقرة، روى ذلک طلحة بن مصرّف «۲» أنّه قرأ على يحيى بن وثّاب و قرأ يحيى على علقمة «۳»، و قرأ

(۱) هو محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، روى عن أبيه و عمه ابن الحنفية، و عنه الثورى و ابن جريج، ثقة. «الكاشف» (۳: ۷۳). (۲) طلحة بن مصرّف بن عمرو بن كعب الكوفى، ثقة قارئ فاضل، من الخامسة، مات سنة اثنتى عشرة و مائة. «التقريب» (۱: ۴۵۲). (۳) هو علقمة بن قيس، أبو شبل الفقيه، عن ابى بكر و عمر و عثمان و عبد اللّه، كان أشبه الناس بعبد اللّه، مات سنة ثنتين و تسعين. «الكاشف» (۲: ۲۴۲). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۷۹ علقمة على عبد اللّه، و أنّ تأليف مصحفه كان مالِکِ يَوْمِ الدِّينِ، ثم سورة البقرة ثم سورة النساء، ثم كذلک على ترتيب مختلف لا حاجة إلى الإطالة به. و أمّا مصحف أبیّ فقد روى بعض ولد أنس عن أنس أنّ مصحف أبیّ كان عنده، و أنّ أوله الحمد و البقرة و النساء، ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم كذلک على اختلاف شديد فى ترتيب السور. و قد روى من الاختلاف ما هو أكثر من هذا، فإن جاز أن يكون الرسول قد وقف على ترتيب السّور و تأليفها، و قد ذهب عليهم علم ذلک حتى صاروا فى الاختلاف إلى مثل هذا الحدّ، فلم لا يجوز أن ينصّ على قرآن و يوقفهم عليه و إن جاز أن يختلفوا فيه عنده و أن يقرّ به قوم و يجحده آخرون؟ و هذا يبطل أيضا ما ادّعيتموه من ظهور نقل القرآن و حصول بيانه على وجه يوجب العلم و يقطع العذر. فيقال لهم: أمّا اختلاف مصاحفهم فى ترتيب السّور فإنه كالظاهر المشهور و ما يدفعه، و إن كان فى الناس من ينكر ذلک و يقول إنّ هذه الأخبار أخبار آحاد غير أنّنا لا نقول- مع إثبات اختلافهم فى ترتيب السور- إنّه قد كان من الرسول صلى اللّه عليه توقيف على ترتيبها و أمر ضيّق عليهم فى تأليفها إلا على حسب ما حدّه و رسمه لهم، بل إنّما كان منهم تأليف سور المصحف على وجه الاجتهاد و الاحتياط و ضمّ السّور إلى مثلها و ما يقاربها، و إذا كان ذلک عندنا كذلک سقط ما توهّمه السائل. و قد زعم قوم أنّ تأليف السور على ما هو عليه فى مصحفنا إنّما كان توقيفا من الرسول لهم/ على ذلک و أمر به، و أنّ ما روى من اختلاف [۱۶۶] مصحف أبیّ و علیّ و عبد اللّه و مخالفة سائرهم لمصحف الجماعة إنّما كان قبل العصر الأخير، و أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه رتّب لهم تأليف السّور بعد الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۰ أن لم يكن فعل ذلک، و الذى نختاره ما قدّمناه، و فيه سقوط ما ظنّوا القدح به فى ظهور نقل القرآن و استفاضته. و اعلموا رحمكم اللّه أنّ من قال من أهل العلم إنّ تأليف سور المصحف كان واجبا عن توقيف من الرسول لا يقول مع ذلک إنّ تلقين القرآن و تلاوته و الصلاة به يجب أن يكون مرتّبا على حسبت الترتيب الموقف عليه فى المصحف، بل إنّما يوجب تأليف سوره كذلک فى الرسم و الكتابة، و لا نعلم أحدا منهم قال إنّ ترتيب ذلک واجب فى الصلوات المفروضة و غيرها، و فى تلقين القرآن و درسه، و إنّه لا يحلّ لأحد أن يتلقّن الكهف قبل البقرة، و يقرأ فى صلاته الحجّ بعد الكهف، و لا أن يدرس البقرة ثم يدرس بعدها النحل و الرعد، هذا مما لا نعرفه مذهبا لأحد و إن كان وجوب الترتيب فى الرسم و الكتابة مذهبا لجماعة من أهل العلم و القرآن، و الذى نقوله: إنّ تأليف السور ليس واجبا فى الكتابة و لا فى الصلاة و لا فى الدرس و لا فى التلقين و التعليم، و إنّه لم يكن من الرسول فى شیء من ذلک نصّ على ترتيب و تضييق لأمر حدّه لا يجوز تجاوزه، فلذلک اختلفت تأليفات المصاحف التى قدّمنا ذكرها، و استجاز الرسول و الأئمة من بعده و سائر أهل أعصار المسلمين ترک الترتيب للسور فى الصلاة و الدرس و التلقين و التعليم. فإن قالوا: و ما الدليل على صحّة قولكم هذا؟ قيل لهم: الذى يدلّ على ذلک أنّه لو كان من الرسول نصّ و توقيف ظاهر على وجوب ترتيب تأليف السور فى الكتابة و الرسم لوجب ظهور ذلک و انتشاره و علم الأمّة به، و أن ينقل عنه نقل مثله، و أن يغلب إظهار ذلک و إعلانه على طيّه و كتمانه، كما أنّه لمّا كان منه نصّ و توقيف على سور الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۱ القرآن وجب

نقله و ظهوره، كـذلك لمّـا كان منه نصّ/ و توقيف على سور القرآن وجب نقله و ظهوره، و كـذلك لمّا كان منه نصّ و توقيف على وجوب ترتيب آيات كلّ سورة من السور و المنع من تقديم كتابة بعضـها على بعض و تلاوة بعضـها قبل بعض: نقل ذلك عنه و ظهر، و اتفقت الأمّـة على وجوب ترتيب الآيـات و حظر تقـديم بعضـها على بعض و تغييرها فى الكتابـة، و التلاوة و غير ذلك، فكـذلك لو كـان منـه صـلى اللّـه عليـه توقيـف على ترتيـب سـور القرآن لنقـل ذلـك عنـه، و عرف مـن دينه، و لم يختلـف فى تـأليف السـور فى المصاحف الاختلاف الذى قدّمناه، فوجب بذلك أنّه لا توقيف من الرسول صـلى اللّه عليه على ترتيب تأليف سور القرآن. و مما يدلّ أيضا على صـحّة ما قلناه و يؤكّده ما رواه يزيد الرقاشى «۱» عن ابن عبـاس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمـدتم إلى الأنفال و هى من المثانى و إلى براءة و هى من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سـطر بسم اللّه الرحمن الرحيم و وضـعتموها فى السبع الطّوال؟ فقال عثمان: «كان رسول اللّه صلى اللّه عليه يأتى عليه الزمان و هو ينزل عليه من السّور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشـىء دعا من يكتب له فيقول: «ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا»، و إذا نزلت عليه الآيات قال: «ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يـذكر فيها كـذا و كـذا»، و إذا نزلت عليه الآيات قال: «ضـعوا هـذه الآيات فى السورة التى يـذكر فيها كذا و كذا»، قال: و كانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، و كانت براءة من آخر القرآن فكانت شبيهة بقصّـتها، فظننت أنّها منها، و قبض صلى اللّه عليه و لـم يـبيّن أنّهـا (______________________________

۱) يزيـد بـن أبـان الرقاشـى، أبو عمر البصـرى القاصّ، زاهد ضـعيف، من الخامسة، مات قبل العشرين و مائة. «التقريب» (۲: ۳۲۰). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۲ منهـا، فمن أجـل ذلـك قرنت بينهما، و لم أكتب بينهما سـطر بسم اللّه الرحمن الرحيم و وضـعناها فى السـبع الطّوال». فهـذا تصريح من عثمان بأنّه لم يكن من الرسول نصّ على وجوب تأليف الأنفال إلى براءة، و أنهم إنّما عملوا ذلك بالرأى و الاجتهاد الذى ذكره عثمان عن نفسه، و ما غلب على ظنّه، و ليس فى الامّة من يفرّق بين تأليف السورة فيجعل بعضه مضـيّقا موقفا على ترتيبه و بعضه موسّـعا/ و مخيّرا فيه و غير منصوص على تأليفه، فلذلك لم يجز لأحد أن يقول: إنّما ترك رسول اللّه صلى اللّه عليه التأليف و الترتيب فى الأنفـال و براءة فقط، و أوجبه و نصّ عليه فى غيرها. فإن قال قائل: فهل تزعمون أنّ ظنّ عثمان لكون براءة من الأنفال لشبه قصـتها بقصـتها صـحيح و أمر يجوز الاعتلال به؟ قيل له: لا، و لسـنا نعلم قطعا أنّ كلام عثمان خرج على هـذا الوجه، بل لعلّه خرج على وجه آخر بزيـادة لفظـة و نقصـان لفظـة اختصـره الراوى أو زاد فيه، و يـدلّ على ذلـك أيضـا أنّ عثمـان قـد قـال و علم أنّ كلّ واحـدة من السورتين لها اسم يخصّـها و علم تعرف به، و أنّه قـد كان يتلقّى إحـدى السورتين على عهد الرسول، و بعده من لا يحفظ الأخرى و لا يعلمها و من يضمّ إلى تعلّم الأنفال سورة أخرى مما بعد براءة، و كلّ هذا يوجب أنّهما سورتان منفصلتان تعرف كلّ واحدة منهما بغير التى تعرف بهـا الأـخرى، و ليس تـرك الفصـل بينهما بكتب بسم اللّه الرحمن الرحيم دليلا على أنّهما سورة واحـدة، لأنه قـد يجوز أن يكون إنّما لم يكتب فى أول براءة بسم اللّه الرحمن الرحيم لما قـدّمناه من قبل من كونها نازلـة بالسـيف لا أمان فيها، أو لغير ذلك، لا لأنّها من جملة الأنفال، و يدلّ على صـحّة ما قلناه و يوضّحه ما الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۳ رواه ابن جريج عن يوسف بن ماهك «۱» قـال: «إنى عنـد عائشـة إذ جاءهـا عراقىّ فقـال: أرينى مصـحفك، قـالت: لم؟ قـال: لعلّى أؤلّف القرآن عليه، فإنّا نقرؤه غير مؤلّف، قـالت: فلا يضـرّك أيّه قرأت قبل، إنّما نزل أول ما نزل من المفصّل فيها ذكر الجنّـة و النار، حتى إذا تاب الناس نزل الحلال و الحرام، لقد أنزل بمكـة- و أنا جارية ألعب- على محمد صلى اللّه عليه: وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ [القمر: ۴۶]، و ما نزلت سورة البقرة و النساء إلا و أنـا عنـده»، ثم أخرجت إليه مصـحفا، فجعلت تملى عليه. فهـذا أيضـا نصّ من عائشـة رضوان اللّه عليها على سـقوط فرض ترتيب سور القرآن، و أنّه لا يجب أيضا تأليفه على تاريخ نزوله، و لو قد كان من الرسول نصّ فى ذلك يوجب العلم و يقطع العذر لوجب شهرته، و أن تكون عائشـة/ أقرب الناس إلى علمه و أعرفهم به، و لم تكن بالـذى يقول: «لا تبالى بأيّـة بدأت قبل»، و هذا يدلّ على أنّهم كان مخيّريـن فى تـاليف السـور، و كـان مردودا إلى رأيهـم و اجتهـادهم. فأمـا اسـتدلال مـن اسـتدلّ على إسـقاط وجـوب ترتيب السـور و المصحف و تأليفها على ما هى به فى الإمام بأنّ الرسول صلى اللّه عليه كان يقرأ فى إحدى الركعتين بسورة و يقرأ فى التى بعدها بغير

التی تلیها، و أنّه کان یعلم أنّ فی الناس من یتحفّظ السورة و یأخذ بعد الفراغ من حفظها فی حفظ غیر التی تلیها، و أنّ فیهم من یتعلّم المفصّل قبل الطّوال و یقتصر علیه، و أنّ فیهم من یدرّس السور علی غیر هذا الترتیب الذی فی المصحف، فلا ینکر ذلک (______________________________ ۱) یوسف بن ماهک بن بهزاد

الفارسی المکی، ثقة من الثالثة، مات سنة ستّ و مائة، و قیل: قبل ذلک، و ماهک: بفتح الهاء. «التقریب» (۲: ۳۴۵). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۴ و لا یردّه، و أنّ عمل الأمّة بذلک مستقرأ إلی الیوم فی تلقّی القرآن علی هذه السبیل، و درسه أیضا کذلک، و الصلاة به علی غیر تألیف، و أنّ ذلک أجمع ینبی عن أنّه لا توقیف من الرسول فی تألیف سوره، فإنّه باطل لا حجّة فی شیء منه، لأنّ هذا أجمع یدلّ- لعمری- علی أنّ تألیف السور غیر واجب فی التلاوة و الدرس و فی الصلوات و فی الحفظ و التلقین و التعلیم، و ذلک لا یدلّ علی أنّه ساقط فی الکتابة و تألیف المصحف، لأنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه لو قال نصّا: «إذا تحفّظتم القرآن أو درستموه أو لقّنتموه أو تلقیتموه أو صلّیتم به فلا جناح علیکم فی البدایة بأیّ السور شئتم، و لکم الخیار فی ذلک، و إذا أنتم درستموه و کتبتموه فعلیکم أن تؤلّفوه علی هذا الضرب من التألیف الذی علیه مصحف عثمان، و یجب أن تکتبوا کذا قبل کذا، و کذا بعده»، لم یکن ذلک مستحیلا و لا ممتنعا و لا مما لا یجوز أن یکون لطفا و مصلحة و عائدا بالاحتیاط للإمام الذی یکتب فیه القرآن لا یقع مختلطا اختلاطا یمکن أن یوقع معه الشکّ فیه، و إن یدخل فیه ما لیس منه و إن لم یکن یجب الترتیب فی التلقین و التحفّظ و الدرس و فی الصلاة، و إذا کان ذلک کذلک لم یجب أن یکون ما دلّ علی سقوط الترتیب فی أحد الموضعین یدلّ علی سقوط فی الآخر/ و قد أجاز المسلمون اللفظ بأحرف فی القراءة، لا یجوز إثباتها فی المصحف علی ذلک اللفظ، و إثبات أحرف فی المصحف لا یجوز التعلّق بها کذلک، و إذا کان ذلک کذلک بطل اعتبار أحد الأمرین بالآخر بطلانا بیّنا. و استدلّ أیضا قوم علی سقوط ترتیب تألیف السور بأنّه قد علم أنّه لیس فی الدنیا مترسّل أدیب و لا شاعر مفلق و لا خطیب مصقع یأخذ الناس بترتیب تألیف قصائده و خطبه و رسائله، و إنّما یرید أن یحفظوا قصیدة منها علی الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۵ ترتیب نظمها و تألیف أبیاتها و سیاق بیانها، ثم لا یبالی أیّهما کتب فی دیوانه أولا و آخرا و وسطا، کذلک المترسّل و الخطیب. قالوا: فکذلک رسول اللّه صلی اللّه علیه إنّما أراد من الأمّة حفظ السّور و تلاوتها علی نظامها و ترتیب آیاتها فقط، و لم یرد منهم تألیف کلّ سورة منها قبل صاحبتها. و هذا أیضا باطل من الاعتلال لا حجّة فیه، و ذلک أنّه لا یجب القیاس فی مثل هذا، لأنّه لا یمتنع علی قول أحد أن یعلم اللّه سبحانه أنّ من مصالح الأمّة أو بعضها أو من اللّطف للرسول فقط: الأمر بتألیف السور علی وجه مخصوص لا یتجاوز و لا یحلّ سواه، و کذلک الأمر فی الحفظ و التلاوة، و لا ورد بذلک سمع و أنّ ذلک واجب کان نصّه واجبا علینا، و إن لم یجب حمل وجوب ترتیب قصائد الشاعر و خطب الخطیب. و إذا کان ذلک کذلک سقط ما قالوه. و یدلّ علی فساد ذلک أیضا أنّه حرام غیر جائز قراءة السورة منکوسة الآی و الأحرف من آخرها إلی أوّلها و إن لم یحرّم ذلک فی کلام الخطبة و الرسالة و إنشاد القصیدة، و لیس ذلک إلا لأنّ اللّه سبحانه أوجب ذلک فی القرآن و حظر تجاوزه، و أسقطه فی الخطب و الرسائل و الشعر و لم یوجبه، و إذا کان ذلک کذلک سقط هذا الاعتبار، و فیما قدّمناه من الأدلّة علی ذلک غنیّ/ عن هذه التلفیقات. فأمّا من زعم أنّ الرسول قد نصّ علی تألیف سور القرآن و رسمها فی المصاحف علی ما هی علیه من الإمام فقد استدلّ علی ذلک بأمور لا حجّة فی شیء منها، فمن ذلک أن قالوا: قد اشتهر عن بعض السّلف و هو عبد اللّه ابن مسعود و عبد اللّه بن عمر أنّهما کرها أن یقرأ القرآن منکوسا، فروی أنّ عبد اللّه بن مسعود سئل عن رجل یقرأ القرآن منکوسا فقال: «ذاک منکوس القلب»، و أنّ عبد اللّه بن عمر ذکر له أنّ رجلا یقرأ القرآن منکوسا فقال: «لو الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۶ رآه السلطان لأدّبه» «۱»، و کلام هذا نحوه، قالوا: یدلّ ذلک علی وجوب ترتیب السور و تألیفها فی القراءة و الرسم. و هذا لا حجّة فیه، لأنّهما إنّما عنیا بذلک من یقرأ السورة منکوسة و یبتدئ من آخرها إلی أوّلها، لأنّ ذلک حرام محظور، و فی الناس من یتعاطی هذا فی القرآن و فی إنشاد الشعر فیذلّل عند نفسه بذلک لسانه و یقتدر به علی الحفظ، و ذلک مما حظره اللّه تعالی و منعه فی قراءة القرآن، لأنّه إفساد للسورة و مخالفة لما قصد بها و تجاوز لما حدّ فی کتابتها و تلاوتها، و لیس یرید

بـذلك من قرأ القرآن من أسـفل إلى فوق، و من بـدأ بآل عمران و ثنّى بالبقرة، و كيف يريدون ذلك و هم قد علموا اختلاف تأليف المصـاحف، و أنّ فى الأمّـة من يبـدأ بحفـظ مـا خفّ من المفصّـل ثم يرتفع إلى حفـظ ما طال و صـعب، و منهم من يحفظ متفرّقا من المواضع المختلفـة و يتلوه كـذلك، و من يصـلّى به فى فرائضه و نوافله على هـذا الوجه، و هو غير مـذموم بـل عمل الأمّـة على تجويز ذلك و أنّه شائع مستقرّ إلى اليوم، و قول ابن مسعود: «ذاك رجل منكوس القلب» إنّما خرج على وجه الذمّ، فلا ذمّ على من قرأ البقرة و ثنّى بالنحل لو صـلّى كـذلك، فثبت أنّ التأويل ما قلناه. و يـدلّ على ذلك قول ابن عمر: «لو رآه السـلطان لأدّبه أو عاقبه»، و قد علم أنّه لا أدب و لا عقاب على من قرأ البقرة و ثنّى بالحج، فصحّ أنّ تأويل منكّس القراءة تنكيس آيات السور، و قول عبد اللّه بن مسعود: «ذاك رجـل منكوس القلب» يعنى أنّه مقيم على معصـية اللّه تعالى/ و مخالف لأمره فى لزوم ترتيب آيات السور و ترك قلبها أو قلب حروف آياتهـا (________________________________. ۱) هـذه الآثار رواها ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۲۰۶ كتـاب فضائل القرآن، باب من كره أن يقرأ القرآن منكوسا). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۷ و اسـتدلّوا أيضـا على وجوب ترتيب سور القرآن على مـا فى الإمـام بما رواه أبو قلابـة عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه أنّه قال: «من شـهد خاتمـة القرآن كان كمن شـهد فتحا فى سبيل اللّه تعالى» «۱»، و أنّ المسـلمين أجمعوا على أنّ للقرآن فاتحـة و خاتمـة و هذا أيضا لا حجّـة فيه، لأنّ قوله من حضـر خاتمـة القرآن إنّما يريـد آخر ما يقرأ منه، الـذى يكون قارئه مع قراءة ما قبله خاتما به لكتاب اللّه، و لم ينصّ على خاتمته فلا حجّـة لهم فى ظاهر الخبر، و لكنّا لا ننكر مع ذلك أن تكون الحمـد قـد جعلت فاتحة ما يكتب و يتلى، و الناس خاتمـة لـذلك، و إن لم يوجب ترتيب ما بينهما من السور، فلذلك اتفق أصـحاب المصاحف على الافتتاح بالحمد فى القراءة و الختم بالناس، و إن لم يرتّبوا ما بينهما، و أنّه يمكن أن تكون الفاتحـة و الخاتمة قد جعلتا فاتحة و خاتمة فى التلاوة دون الرسم و الكتابة، فلا حجّة فى التعلّق بهذا، و نرى أنّ هذا الخبر لم يسـمعه أصـحاب المصاحف المختلفة الترتيب. و استدلوا أيضا على وجوب تأليف السّور على ما فى الإمام و نصّ الرسول على ذلك بأنّ عمل أهل مكّة اسـتقرّ على التكبير عند ختم القرآن إذا بلغ القارئ إلى سورة الضـحى، و أنّهم يكبّرون عنـد ختم كـل سورة إلى آخر القرآن. قـالوا: و ذلـك لا يكون إلا عنـد توقيف على ترتيب السور، و إيجاب التكبير. و هـذا أيضا ما لا شـبهة فيه، لأنّه قـد يجوز أن يكون الجماعـة لما رتّب المصـحف هـذا الترتيب عمل أهل مكّـة على التكبير عند مقاربة الختمـــــة، تعظيمـــــا للقرآن و توخّيـــــا للثـــــواب و إنـــــذار النـــــاس بقرب ختمـــــه و البلـــــوغ إلى آخره (________________________________۱) رواه الدارمى فى «سـننه» (۲: ۳۴۳ كتاب فضائل القرآن، باب فى ختم القرآن برقم ۳۴۷۱). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۸۸ للحضور إلى ذلك، و الاجتماع للدعاء عنده و التبرّك به و غير ذلك مما أصّـلوه، و ليس يـدلّ ذلك على وجوب التكبير و لا وجوب التأليف. و احتجّوا أيضا لـذلك بأنّه قد روى أنّه كان عند عبد اللّه بن الزبير مصحف فيه القرآن على نظمه و تاريخه الذى أنزل عليه و ألّف، و هذا باطل،/ لأنّها من روايات الآحاد، و ما روى أنّ أحدا رأى هذا المصحف أو وجده، و لو رؤى ذلك لم يدلّ تأليفه على ما هو به أنّه مما أمر الرسول بتأليفه كذلك، لأنّ للنـاس آراء فى التأليف، فلعلّ مؤلّف ذلك المصـحف رأى أن يجمع سوره على تاريـخ نزوله المكّىّ منها ثم المـدنىّ، و إن لم يمكنه ذلك فى آيات السّور لما نبيّنه فيما بعـد إن شاء اللّه، فوجب بهـذه الجملة أنّه لا حجّة لأحد فى صـحّة توقيف الرسول على تأليف سور القرآن و ترتيبها فى التقديم و التأخير. فإن قال قائل: فإذا أثبتّم بما وصفتم أنّه لا نصّ فى ذلك، و أنّهم ألّفوا سوره بالرأى و الاجتهاد و ضمّ الشـىء إلى ما أشـبهه و قاربه، فألا ألّفوه على تاريـخ نزوله فبـدءوا بالمكّىّ منه قبل المـدنىّ، و بما أنزل منه أولا ثم بما أنزل بعـده على ترتيب نزوله، فيكونون بذلك أقرب إلى الصواب و ترتيب إنزاله أو إلى معرفة تاريخ الناسخ و المنسوخ و ما يحتاج إليه فى معرفة الأحكام؟ قيل له: إنّما لم يفعلوا ذلك لأنّه أمر لا يصـحّ إلا بنقض آيات سور القرآن و إفساد نظمها و تغييرها عمّا حدّ لهم، و قد صـحّ و ثبت أنّه لا ـ رأى لهم و لا عمل و لا اجتهاد فى ترتيب آيات سور القرآن على ما سـنذكره فيما بعـد إن شاء اللّه، و قبل أن نبيّن ذلك فإنّا نقول: إنّ كـلّ عاقل يعرف فضل عقول الصـحابة و لطيف نظرهم و قوّة أفهامهم و معرفتهم بالتنزيل و أسـبابه، و أنّهم أولى الناس،

بصحيح الرأى و التدبير، فمن ظنّ بنفسه فضل تقدّم عليهم فى الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٨٩ ذلك و استدراك عجز و تفريط و ترك حرم كان منهم: فهو من الغباء و الجهل بحيث لا ـ ينتفع بكلامه. ثم نقول: ليس لأحد أن يقول: لم لم يؤلّفوا سور القرآن على تاريخ نزوله ليكونوا بذلك متوافقين فى التقديم و التأخير أوقات نزوله؟ و ليس هو بقوله هذا بأولى ممّن قال: بل الواجب هو ما فعلوه من تصنيف السور و ضمّ كلّ شىء إلى مثلها و شكلها، لا سيّما إذا علموا أنّ اللّه سبحانه و رسوله عليه السلام قدّم فى السورة الواحدة إثبات المنسوخ على الناسخ، و أنّه كان منزل منه/ المدنىّ فيؤمروا بإثباته فى السور المكية، و أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه لم يراع فى إثبات آيات السّور و تاريخ نزولها، فكذلك لا يجب عليهم هم أن يراعوا فى تأليف تاريخ نزولها، و لجاز أيضا لأحد أن يقول: ما الحقّ إلا ـ فيما فعلوا من تقديم طوال السور على القصار، لأنّها أعظم قدرا فى النفوس و أخرق للعادة، و أعظم فى الإعجاز، و أجمع للفوائد، و أكثر اشتمالا على المواعظ و الأقاصيص و ضرب الأمثال و تفصيل الحلال و الحرام، و كان ذلك من فعلهم أولى. و قد يسوغ أيضا لآخر أن يقول: بل كان الواجب عليهم تقديم قصار السّور لكونها أقرب مأخذا و أسهل و أخفّ على المتعلّم من التشاغل بطوالها، و كلّ هذا تخليط و تعنّت للصحابة، و محاولة للقدح فى آرائهم بما يعود بالدلالة على غباوة المتعرض و جهله، و الذى يدلّ على أنّه لا يجوز لهم تأليف سور القرآن على تاريخ نزوله أنّهم لو فعلوا ذلك لوجب أن يجعلوا بعض آيات السور فى سورة أخرى، و أن ينقضوا ما وقفوا عليه من سياق ترتيب آيات السور و نظامها، لأنّه قد صحّ و ثبت أنّ الآيات كانت تنزل بالمدينة فيؤمروا بإثباتها فى السور المكية. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٩٠ و يقال لهم: «ضعوا هذه فى السور التى يذكر فيها كذا»، فلو ألّفوا السورة على تاريخ النزول لوجب أن ينقضوا ترتيب آيات السور و يخلطوها و يجعلوا بعض هذه السورة فى هذه السورة، و بعض هذه فى هذه، و هذا تخليط و إفساد قد حرّم عليهم. و لو قصدوا أيضا إلى تأليف معظم ما نزل من الآى متتابعا، فجعلوه فى صدر السور و أخّروا ما نزل بعد ذلك لم يكن فيه فائدة و لا دلالة على تاريخ الناسخ و المنسوخ، لأنّ الآية الناسخة قد تنزل بعد المنسوخة فى سورتها فيؤمروا بإثباتها قبل المنسوخة، و ربّما كانت الناسخة مدنيّة فيؤمروا بإثبات ذلك فى سورة مكّية و أن لا يثبت فى شىء من المدنيّة، فلا معنى لضمّ ما يقارب نزوله و توالى ذلك و جعله فى صدور السور لأجل ما وصفناه. و قد يجوز أن يكونوا إنّما عدلوا أيضا عن هذا/ خوفا من أن يظنّ ظانّ أن ترتيب جميع آيات السور على هذا التاريخ، و ذلك أمر يدهشه، و يخيّل إليه أنّ الآية الناسخة ليست بناسخة لما تقدّم من نزوله إذا وجدوها فى آخر السورة و كانت المنسوخة متقدّمة النزول و فى صدر السورة، فإذا خيف ذلك و لم يؤمن توهّم مثله وجب العدول عن مراعاة تاريخ نزول القرآن فى تأليف سوره، و وجب أن يكون ضمّهما على وجه المشاكلة و المقاربة و التصنيف لذلك، و ضمّ الشىء إلى ما يقاربه أولى، و سقط بذلك ما سأل عنه السائل. فإن قال قائل: و ما الدليل على صحّة ما ادّعيتموه من أنّ الرسول كان يأمر بإثبات الآية النازلة فى سورة متقدّمة النزول دون الموضع الذى قبلها فى قرب نزوله؟ قيل: هذا ظاهر مكشوف من دين الرسول و حاله و أمره برسم القرآن، و قد وردت بذلك الأخبار و تظاهرت، فروى الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٢٩١ عباس فى قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة: ٢٨١]، قال: «هذه آخر آية نزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه، و إنّ جبريل نزل عليه فقال: ضعها على رأس ثمانين و مائتين من البقرة»، و قد علم أنّ ذلك الموضع ليس هو الذى يلى نزولها، فهذا يدلّ على صحّة ما قلناه. و روى الزّهرىّ عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عباس قال: حدّثنى أبىّ بن كعب قال: ربّما نزل على رسول صلى اللّه عليه الصدر من السور فأكتبها، ثم ينزل عليه فيقول: «يا أبىّ اكتب هذه فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا»، و ربّما نزل عليه فأقف حتى أنظر ما يقول حتى يحدّث إلىّ فيقول: «تلك الآيات ضعها فى سورة كذا و كذا» «١»، و هذا أيضا تصريح بأنّه كان يلحق ما يتأخّر نزوله بما دون ما يليه، و كان أبىّ قد علم أنّ إثباته على تاريخ نزوله باطل غير واجب، و لو لا ذلك لم يكن ليوقفه، و انتظار أمر الرسول بأن يثبتها معنىّ، و هو قد أعلمه و استقرّ من دينه أنّه يجب إثبات الآيات على تاريخ نزولها، فهذا يقضى على صحة ما قلناه. و روى عبد الرحمن بن شماسة «٢» المهرى عن/ زيد بن ثابت قال: بينما نحن مع رسول اللّه صلى اللّه عليه نؤلّف القرآن من الرّقاع إذ قال: «طوبى

(____۱) رواه النسائی فی «السنن الکبری» (۵: ۱۰ کتاب فضائل القرآن برقم ۸۰۰۷)، و رواه الطحاوی فی «شرح معانی الآثار» (۱: ۲۰۱ کتاب الصلاة، باب قراءة بسم اللّه الرحمن الرحیم فی الصلاة). (۲) المصری، ثقة من الثالثة، مات سنة إحدی و مائة أو بعدها. «التقریب» (۱: ۵۷۴). قال فی «القاموس»: شماسة کثمامة و یفتح اسم، و فی «التقریب»: بکسر المعجمة و تخفیف المیم بعدها سین مهملة، و المهری بفتح المیم و سکون الهاء، منسوب إلی مهرة بن حیدان. «تهذیب التهذیب» (۶: ۱۷۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۲ للشام»، قیل: یا رسول اللّه، و لم ذلک؟ قال: «إنّ ملائکة الرحمن باسطو أجنحتها علیه» «۱»، و هذا حدیث ینبئ أیضا عن أنّ القرآن کان سورة تؤلّف علی غیر تاریخ نزوله، لأنّه لو کان مرتّب الآیات علی تاریخ النزول ما احتاج إلی تألیف و ترتیب، و یدلّ علی ذلک أیضا ما رواه عبد اللّه بن عباس عن عثمان بن عفان رضوان اللّه علیه لمّا سأله: لم لم یجعلوا بین الأنفال و براءة سطر بسم اللّه الرحمن الرحیم؟ فقال عثمان: إنّ الآیة و الآیات کانت إذا نزلت یقول رسول اللّه صلی اللّه علیه: «ضعوا هذه الآیة فی سورة کذا». و کلّ هذه الأخبار تکشف عن صحة ما قلناه من وجوب ترک مراعاة تاریخ نزول القرآن، و أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه کان لا یراعی فی تألیف آی السور تاریخ نزول الآیات، فإذا ثبت ذلک لم یکن تألیف سور القرآن علی تاریخ نزوله إلا بخلط بعض السور ببعض و إفساد نظمها و نقص تألیفها الذی أمروا بقراءتها علیه.

(____۱) رواه الترمذی فی «السنن» (۵: ۷۳۴ کتاب المناقب، باب فی فضل الشام و الیمن برقم ۳۹۵۴)، و رواه الإمام أحمد فی «المسند» (۸: ۱۴۴ برقم ۲۱۶۶۲، ۲۱۶۶۳)، و رواه الطبرانی فی «المعجم الکبیر» (۵: ۱۷۵ و ۱۷۶ برقم ۴۹۳۳، ۴۹۳۴، ۴۹۳۵)، و رواه ابن حبان فی «صحیحه»، (۱۶: ۲۹۳ برقم ۷۳۰۴ من الإحسان). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۳

باب الکشف عن وجوب ترتیب آیات السور و أنّ ذلک إنّما حصل بالنصّ و التوقیف دون الاجتهاد و أنّه لیس لأحد أن یخلط آیات السّور بغیرها و لا یضع مکان الآیة غیرها مما قبلها أو بعدها

باب الکشف عن وجوب ترتیب آیات السور و أنّ ذلک إنّما حصل بالنصّ و التوقیف دون الاجتهاد و أنّه لیس لأحد أن یخلط آیات السّور بغیرها و لا یضع مکان الآیة غیرها مما قبلها أو بعدها فإن قال قائل: قد قلتم فی غیر موضع إنّ ترتیب آیات السّور فیها واجب و إنّ ذلک لم یکن إلا عن نصّ و توقیف، فما الدلیل علی ذلک؟ و ما الحجّة فی أنّه لیس لأحد أن یخلط فی التلاوة بعض آیات السورة بغیرها، و أن یقدّم من آیاتها المؤخّر، و یؤخّر المقدّم؟ قیل له: یدلّ علی ذلک أمور، أحدها: جمیع ما قدّمناه من الأخبار فی الباب الذی قبل هذا؛ لأنّ جمیع ذلک یدلّ علی أن رسول اللّه صلی اللّه علیه هو الذی کان یأمرهم و یوقفهم علی إثبات آیات السورة و ترتیبها، و أنّه لیس لهم فی ذلک خیار،/ و لا هو ممّا ردّ إلی آرائهم، فیجب أن تکون هذه حال التلاوة و الدرس. و ممّا یدلّ علی ذلک أنّه لا یخلو أن یکون النبیّ صلی اللّه علیه قد أخذ علی القراء و الکتبة أن یرتّبوا سور القرآن فی الرسم و التلاوة، و ضیّق ذلک علیهم، و جعلهم فی فسحة من تقدیم بعض الآیات علی بعض، و جعل أول السورة آخرها و آخرها أولها، و جعل شطرها فی غیرها و شطر غیرها فیها، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۴ و أن یضعوا فی ذلک کیف رأوا و أحبّوا، فإن کان قد وقفهم علی الترتیب و تألیف آیاتها علی النظام الذی هی علیه فی الإمام فذلک ما نقول، و إن کان قد نصّ لهم علی التخییر فی ذلک وجب أن یظهر هذا من دینه و یعرف من حاله و تتوفّر الدواعی علی نقله و ذکره، و أن لا یسوغ أن یقع من الأمّة ترتیب للسّور و حصر لها و تتمیّز بأسماء تدعی بها، و أمور تذکر فیها، کما أنّه لو نصّ صلی اللّه علیه علی جواز تقدیم الآیة علی غیرها و تأخیر المتقدّم منها من کلماتها و حرفها و تقدیم المتأخّر، و علی جواز القراءة من آخر السورة إلی أوّلها: لوجب أن یکون ذلک ظاهرا منتشرا عنه و معلوما من دینه، و فی العلم ببطلان ذلک و عدم ذکره، و عمل الأمّة بخلافه بأخذهم أنفسهم و من یعلّمونه بقراءة السورة علی ترتیب آیاتها، و حظر تأخیر المقدّم منها و تقدیم المتأخّر و خلطها بغیرها: أوضح دلیل علی فساد هذا القول، فأمّا نصّه علی الترتیب الذی قلناه، فقد ذکرنا تظاهر الأخبار به

من قبل، و بيّنا أنّ عمل الأمّة مستقرّ بذلك، و حاصل إلى اليوم. و يدلّ على ذلك أيضا و يوضحه ما قدّمنا ذكره من قول عبد اللّه بن مسعود و ابن عمر فيمن يقرأ القرآن منكوسا: «ذاك رجل منكوس القلب»، و «لو رآه السلطان لعاقبة»، و قد بيّنا أنّ ذلك غير واجب فى تقديم بعض السور على بعض، فيجب أن يكون فى تقديم بعض آيات السور على بعض، و على أنّهما إن كانا عنيا بذلك تقديم بعض السور على بعض فلأن يكون تقديم بعض آيات السور على بعض و خلطها بغيرها أولى و أحرى أن تستحقّ ذلك، فهذا أيضا يدلّ/ دلالة قاطعة على علمهم بوجوب ترتيب آيات السور فى الكتابة و التلاوة. و لو كان الأمر على ما يدّعيه السائل عن هذا الباب لم تحتج السور إلى أن يكون لها أوّل و آخر، و ابتداء و خاتمة، و لم يكن على أحد فى حفظ الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۹۵ القرآن كلفة إذا كان له خلطه و تلاوته كيف شاء، و مما يدلّ أيضا على صحّة ما قلناه و يؤكّده ما رواه عبد الرحمن بن حرملة «۱» عن سعيد بن المسيّب قال: «مرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه على بلال هو يقرأ القرآن من هذه السورة و من هذه السورة، قال: مررت بك يا بلال و أنت تقرأ من هذه السورة و من هذه، فقال: بأبى أنت يا رسول اللّه، إنّى أردت أن أخلط الطيّب بالطيّب، فقال: اقرأ السورة على نحوها» «۲»، يعنى صلى اللّه عليه: على نظامها و ترتيبها من غير خلط لآياتها بغير ما هو منها، و هذا نصّ على ما قلناه. و مما يدلّ على ذلك و يوضّحه، أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه كان ربما سهى و أسقط من تلاوته آية فيستعيدها ممّن حفظها عنه، و إذا أسقط آية و هو فى الصلاة شعر بذلك من خلفه، و كانوا يسألونه إذا فرغ و يقولون له: تركت آية كذا يا رسول اللّه، ليتعلّموا بذلك أنّه قد سها، أو حدث نسخ أو رفع و تغيير، و لذلك قال له أبيّ و غيره فى مثل هذا: «يا رسول اللّه نسيت آية كذا، فقال: «نسّيتها» «۳»، و لو كان له أن يؤخّر و يقدّم و يضع موضع الآية غيرها و يجعل بعض آيات السورة فى غيرها لساغ له أيضا أن يترك قراءة بعض السور، و يزيد فى ذلك و ينقص منه، و لم يكن لقولهم «نسّيت» أم «نسخت» معنى، و كلّ هذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الواجب رسم السورة و تلاوتها فى الصلاة و غيرها على نظام آياتها و ترتيبها.

(۱) عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى، روى عن ابن المسيّب و ثمامة، و روى عنه مالك، قال ابن معين: صالح، توفى سنة ۱۴۴ ه-. «الكاشف» (۲: ۱۴۳). (۲) أخرجه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (۷: ۲۰۰ كتاب فضائل القرآن، باب الرجل يقرأ من هذه السورة و هذه السورة). (۳) رواه ابن خزيمة فى «صحيحه» (۳: ۷۳ باب تلقين الإمام إذا تعايا أو ترك شيئا برقم ۱۶۴۷). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۲۹۶ و مما يدلّ على ذلك و يؤكّده ما رواه الفضل بن دكين «۱» عن الوليد بن جميع «۲» أنّ خالد بن الوليد «۳» أمّ الناس بالحيرة فقرأ من سور شتّى، ثم التفت حين انصرف فقال: «شغلنى الجهاد عن تعلّم القرآن»، و فى رواية أخرى أنّه/ قال: «إنّى بطّأت عن الإسلام و شغلنى الجهاد عن تعلّم القرآن» «۴»، و لو كان للناس تقديم المؤخّر من الآى و تأخير المقدّم، و خلط آيات السور بآيات سور غيرها، و لم يكن عليهم فى ذلك ترتيب و حدّ محدود: لم يحتج خالد إلى اعتذار، و لم يقل: «شغلنى الجهاد عن حفظ القرآن»، لأنّ القرآن لا يجب حفظه عند الخصم إلا على ما قرأه خالد و أورده، فهذه أيضا رواية تنبئ عن وجوب ترتيب آيات السّور و تلاوتها على سياقها، اللهم إلا أن يعرض عارض مثل الذى عرض لخالد من النسيان و الأمور الصادّة عن ذلك. فإن قال قائل: أ فليس قد روى عن عبد اللّه بن مسعود أنّه قال: «نزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه سورة المرسلات و نحن فى غار فأقرأنيها، و أنا أقرؤها قريبا مما أقرأنى، فلا أدرى أختمها بقوله: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ [المرسلات: ۴۸] أو بقوله: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ [المرسلات:

(۱) الفضل بن دكين الكوفى، و اسم دكين عمرو بن حمّاد بن زهير التيمى مولاهم، الأحول، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة ثمانى عشرة و قيل تسع عشرة و مائة، و كان مولده سنة ثلاثين، و هو من كبار شيوخ البخارى رحمه اللّه. «التقريب» (۲: ۱۱). (۲) الوليد بن جميع بن عبد اللّه بن جميع الزهرى المكّى، نزيل الكوفة، صدوق يهم، رمى بالتشيع، من الخامسة. «التقريب» (۲: ۴۹۲). (۳) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه المخزومى، سيف اللّه، أبو سليمان، من كبار الصحابة، أسلم بعد الحديبية، توفى سنة إحدى أو اثنتين و عشرين. «التقريب» (۱: ۲۶۴).

(۴) رواه أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۲۰۰ كتاب فضائل القرآن). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۷ ۵۰]». و هذا نصّ منه على أنّه لا يعلم خاتمتها، و أنّه قد يختم تارة بهذا و تارة بهذا، و أنّ الأمر فى ذلك عنده سهل قريب بقوله: «فأنا أقرؤها قريبا مما أقرأنى»، و لأجل أنّه ترك أن يستثبت ذلك من رسول اللّه صلى اللّه عليه إلى أن مات، فلو كان ترتيب آيات السور و ختمها بآية منها مخصوصة لا يجوز وضع غيرها مكانها أمرا مضيّقا: لم يهمل عبد اللّه سؤال رسول اللّه صلى اللّه عليه عن ذلك، و لم يستجز أن يقول: «فأنا أقرؤها قريبا مما أقرأنى»، و هذا يدلّ على خلاف ما ادّعيتم. يقال له: ليس فيما ذكرته ما يدفع قولنا، بل هو من أدلّ الأمور على صحّة ما نذهب إليه و فساد قولك، لأجل أنّ عبد اللّه لو لم يجب عنده مراعاة خاتمة السورة و سياقها على نظم آياتها و على وجه ما لقّنوه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و لو لا ـ ذلك لم يكن لذكر إقراء رسول اللّه صلى اللّه عليه له معنى و لذكر خاتمة السورة، و لقوله: «فأنا أقرؤها قريبا مما أقرأنيها»، فهذا الخبر بأن يدلّ على صحّة قولنا أولى. فإن قيل: فإذا كان ذلك عندكم كذلك/ فلم لم يستثبت عبد اللّه ذلك من رسول اللّه صلى اللّه عليه و يعرفه حتى لا يخالف نهج قراءته و نظمه؟ قيل لهم: إنّما لم يفعل ذلك لأجل أنّه كان يعتقد أنّ لسورة المرسلات خاتمتين إذا قرئت على وجهين، فيختم بإحدى خاتمتيها إذا قرئت على وجه و بالآية الأخرى إذا قرئت على وجه آخر، لأنّه قد صرّح بذلك فيما صحّ عنه من الرّواية لهذه القصّة، و ذلك أنّ الأعمش روى عن ابن رزين عن زرّ بن حبيش قال: قال ابن مسعود: «نزلت على النبيّ صلى اللّه عليه وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً و نحن فى غار، فأقرأنيها، فإنّى لأقرؤها قريبا مما أقرأنى، فما أدرى بأىّ خاتمتها ختم: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ أو: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۸ يُؤْمِنُونَ، و هذا نصّ منه على أنّ لها عند الرسول خاتمتين يختم بهما هذه السورة، و ليس يمتنع أن يجعل اللّه سبحانه لبعض السّور خاتمتين، إمّا على التخيير بأن يختم القارئ بأيهما شاء، و يجعل الخاتمة الأخرى قبل أن يختم بها و أقرب الآيات إليها لكونها خاتمة مثلها، أو يجعلها حيث شاء من السورة، أو بأن يجعل لها خاتمتين إذا قرئت على وجهين مختلفين فى الترتيب، فإن قرئت على وجه كذا كانت خاتمها كذا، و إن قرئت على الوجه الآخر ختمتها بالآية الأخرى. و يكون هذا الوجه أحد الأحرف السبعة التى أنزل القرآن عليها، أو أحد الوجوه من سبعة أحرف أخر غير السبعة الثابتة، و أن يكون اللّه سبحانه قد نسخ إطلاق ذلك بعد أن أطلقه و جعل للمرسلات خاتمة واحدة، و عرف ذلك المسلمون و ذهب على عبد اللّه بن مسعود إذ لم يسمعه، لأنّ نسخ ذلك كان قريبا من موت النبيّ صلى اللّه عليه لأن الأمّة قد أجمعت على أنّه ليس لهذه السورة بعد موت النبى صلى اللّه عليه إلا خاتمة واحدة، و يكون عبد اللّه قد تمسّك بالحكم الأول، فلمّا عرّفه المسلمون ذلكم عرفه و علم صحّة ما نقلوه من نسخ ما كان مباحا، و الدليل على ذلك اتفاق جميع أصحاب/ عبد اللّه و كلّ من أخذ القراءة منه و روى عنه على أنّه ليس لهذه السورة عنده فيما ثبت و استقرّ به عمله و قراءته إلا خاتمة واحدة، فيجب إذا كان ذلك كذلك أن يكون نسخ إحدى خاتمتيها. فإن قيل على هذا: أ فليس من دينكم أنّ السبعة الأحرف و الوجوه من القراءات كلّها شافية كافية باقية لم تنسخ؟ قيل لهم: أجل، و قد ينزل القرآن على سبعة أوجه و أحرف أخر ينسخ بعضها و يبقى البعض، و يترك على ثلاثة أحرف، و قد وردت بذلك الأخبار الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۲۹۹ و فسّرت السبعة الأوجه بتفسير ورد عن النبيّ صلى اللّه عليه و الصحابة لا ـ يجوز أن تلغى من الوجوه السبعة وجها ثابتا غير منسوخ، فوجب أن لا يكون للمرسلات خاتمتان بإجماعهم على منع ذلك، و أن لا يكون هو من السبعة الأوجه من القراءات الثابتة على ما سنبيّنه فيما بعد عند بلوغنا إلى الكلام فى هذا الباب إن شاء اللّه. فإن قيل: فلم لم يظهر فى الناس نقل هذا الحكم و هو أن للمرسلات خاتمتين نسخت إحداهما؟ قيل لهم: لأنّه ليس من شأن الناس فى العادة أن يصرفوا هممهم إلى نقل ما كان و رفع و إذاعته، و إنّما يأخذون أنفسهم بذكر ما ثبت و استقرّ عليهم فرضه، و ربّما نقلوا فرض التلاوة المنسوخة و الحكم الذى تضمّنها و عدلوا عن نقل التلاوة الموجبة لها إذا نسخت و أزيلت و بقى حكمها، و إذا كان ذلك كذلك لم يجب أن يعبأ الناس بأنّه كان للمرسلات خاتمتان نسخت إحداهما، و إنّما ذكر ذلك ابن مسعود لنسيان كان عن نسخ إحدى الخاتمتين. فلما عرف ذلك بنقل من نقله إليه و أخبره به استقرت قراءته و عمله بذلك، و هذا ينفى التخيير الذى ادّعوه، و هذا الذى ذكرناه أولى من قول من قال إنّه قد كان لها خاتمتان إذا قرئت على وجهين، و إنّ عبد اللّه شكّ فى الوجه الذى قرئت

عليه كانت خاتمته كذا و كذا و لم يشكّ في الخاتمتين، و إنّ إطلاق قراءتها على الوجهين و ختمها بالخاتمتين ثابت مستقرّ إلى أن مات رسول اللّه صلى اللّه عليه/. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۰۰

باب الكلام في المعوّذتين و الكشف عن ظهور نقلهما و قيام الحجّة بهما، و إبطال ما يدّعونه من إنكار عبد اللّه بن مسعود لكونهما قرآنا منزلا، و تأويل ما روى في إسقاطهما من مصحفه و حكّه إيّاهما، و تركه إثبات فاتحة الكتاب في إمامه و ما يتّصل بهذه الفصول

باب الكلام في المعوّذتين و الكشف عن ظهور نقلهما و قيام الحجّة بهما، و إبطال ما يدّعونه من إنكار عبد اللّه بن مسعود لكونهما قرآنا منزلا، و تأويل ما روى في إسقاطهما من مصحفه و حكّه إيّاهما، و تركه إثبات فاتحة الكتاب في إمامه و ما يتّصل بهذه الفصول فإن قال قائل: كيف يسوغ لكم أن تدّعوا وجوب تظاهر نقل جميع القرآن و قيام الحجّة و تساوى حال الرسول صلّى اللّه عليه في بيانه إلى الكافّة على وجه/ يوجب العلم و يقطع العذر و يزيل الرّيب و الشّكّ مع الذى قد ظهر و انتشر عن عبد اللّه بن مسعود من إنكاره أن تكون المعوّذتان من جملة القرآن و منافرته في ذلك و إسقاطه إياهما من مصحفه، و حكّه لهما من مصحف غيره، و ما يقوله عند حكّه لهما: «لا تخلطوا فيه ما ليس منه» «۱»، فكيف يمكن أن يعتقد أنّ ظهور بيان المعوّذتين و التوقيف على أنّهما قرآن منزل كظهور النصّ على غيرهما من السور، بل كيف يمكن أن يقال إنّ الصحابة

(____ ۱) هذا الأثر رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (۷: ۱۹۳ كتاب فضائل القرآن، باب في المعوذتين). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۰۱ قد كانت أحاطت علما بجميع كتاب اللّه لظهور أمره و إقامة الحجّة به؟ و هذه حال عبد اللّه بن مسعود في إنكار بعضه و جحده و هو من جملتهم و عمدة من عمدهم في حفظ الكتاب، و المتبتّلين لقراءته و إقرائه و التبحّر في علم أحكامه و وجوهه و حروفه و المناظرة عليه، الذابّين عنه، و لو لم يرو عن الصحابة إلا هذه القصّة وحدها لكان ذلك كافيا في إبطال ما أصّلتموه و فساد ما ادّعيتموه. فيقال لهم: أما دعوى من ادّعى أنّ عبد اللّه بن مسعود أنكر أن تكون المعوّذتان قرآنا منزلا من عند اللّه تعالى و جحد ذلك فإنّها دعوى تدلّ على جهل من ظنّ صحّتها و غباوته و شدّة بعده عن التحصيل، و على بهت من عرف حال المعوّذتين و حال عبد اللّه و سائر الصحابة، لأنّ كلّ عاقل سليم الحسّ يعلم أنّ عبد اللّه لم يجحد المعوّذتين و لا أنكرهما، و لا دفع أن يكون النبيّ صلّى اللّه عليه تلاهما على الأمّة، و خبّر أنّهما منزلتان من عند اللّه تعالى، و أنّه أمر بأن يقولهما على ما قيل له في أوّلهما، و كيف يمكن عبد اللّه ابن مسعود أو غيره من الصحابة جحد ذلك و إنكاره، و ذلك مما قد أعلنه الرسول و أظهره و تلاه و كرّره و صلى اللّه به و جهر به في قراءته، و خبّر أنّه من أفضل ما أنزل عليه، و كشف ذلك و أبانه بيانا قد اتّصل بنا نحن و لزم العلم به قلوبنا، و ارتفع منه شكّنا و ريبنا. حتى لو حاول أحدنا و غيرنا من أهل الملل السامعة لأخبارنا و العارفة بما/ أتى به نبيّنا أن يجحد ذلك و يدفعه لم يجد إلى ذلك سبيلا، هذا مع [۱۸۴] تطاول المدّة و تباعد عصرنا من عصر النبيّ صلّى اللّه عليه، فإذا كانت الأخبار متواترة متظاهرة علينا بذلك تواترا قد أصارنا في اليقين و زوال الرّيب إلى ما وصفناه، فكيف بأهل عصر الرسول الذى تلقّوه و سمعوه، و أخبروا به من بعدهم و نقلوه؟! لأنّه لا بدّ أن يكون عبد اللّه بن مسعود أحد من حضر الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۰۲ تلاوة الرسول لها، و إخباره بنزولها، أو واحدا ممن خبّر بذلك، و جاءته الأخبار من كل طريق و ناحية مجيئا لا يمكن معه الشكّ في ذلك، كما لا يمكنه الشّكّ في جميع ما ظهر و انتشر من دين الرسول و أقواله و أفعاله التى لم يسمعها منه و لم يشاهدها، و لو تهيّأ لأحد من أهل عصر الرسول أن يشكّ في نزول المعوّذتين و تلاوة الرسول لهما طول حياته، و إلى بعد وفاته بخمس و عشرين سنة، و الحال ما وصفناه لأمكنه لحق ذلك. و في العلم بفساد هذا و لزوم العلم بما وصفناه لقلوبنا و زوال الرّيب عنّا: دليل واضح على أنّه لقلب عبد اللّه ألزم، و أنّه عنده أظهر و أشهر، و إذا كان ذلك كذلك بان أنّ عبد اللّه بن مسعود لا يجوز منه مع عقله و تمييزه و جريان التكليف عليه، أن يحمل نفسه على جحد المعوذتين و إنكار نزولهما و أنّ اللّه تعالى أوحى بهما إلى نبيّه صلّى اللّه عليه. و ممّا يوضّح ذلك أيضا و يبيّنه أنّه لو كان عبد اللّه قد جحد المعوّذتين و أنكرهما مع ظهور أمرها

و إقرار جميع الصحابة بهما لم يكن بدّ من أن يدعوه داع إلى ذلك و أن يكون هناك سبب يعتدّ عليه، و لو كان هناك سبب حداه على ذلك و حرّكه لخلاف فيه لوجب في موضوع العادة أن يحتجّ به و يذكره و يعتدّ به، و يبدى و يكثر اعتذاره له و تعويله عليه، و لكان لا بدّ أيضا في مقتضى العادة من ظهور ذلك عنه و انتشاره و حصول العلم به، إذا كان [۱۸۵] خلافا في أمر عظيم و خطر جسيم، و أعظم مما نهى عنه من/ الإقامة على التطبيق في الصلاة، و قوله في تزويج بنت فاسق، و خلافه في الفرائض، و غير ذلك، مما شهر من مذاهبه و كلّما عظم الخطر في الأمر و جلّ وقعه في النفوس كان الخلاف فيه أظهر و العناية به أشدّ، و اللّهج بذكره و تطلّب النقض و الردّ له أكثر و أشهر. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۳ و لو كان من عبد اللّه هذا الخلاف على الصّحابة مع العلم بأنّهم يعتقدون كون المعوّذتين قرآنا، و يرون أنّ جاحدهما بمنزلة جاحد الكهف و مريم، لوجب في مستقرّ العادة أن يعظم ردّهم عليه و عسفهم له، و تبكيتهم إياه، و المطالبة له بذكر ما دعاه إلى ذلك، و المناظرة له على ما يحتجّ به و لكان ذلك أعظم معايب عبد اللّه و سقطاته عند مخالفه و منافره، و لوجب أن يحتجّ بذلك عثمان عليه في عزله و العدول في كتابة المصحف عنه، و لوجب تغليظ القوم له، و الحكم عليه بالكفر و الردة، و أنّه بمثابة من جحد جميع كتاب اللّه، و أن يطالبوا الإمام بإقامة حقّ اللّه تعالى عليه في ذلك، و مفارقته و ترك مقاربته على جحد ما يعلمون أنّه سورتان من كتاب اللّه، لأنّهم أنكروا عليه ما هو دون هذا، و كرهوه من قوله حيث قال: «معشر المسلمين أعزل عن كتابة المصحف، و اللّه لقد أسلمت، و إنّ زيدا لفي صلب رجل كافر» «۱». قال ابن شهاب و غيره: «و لقد كره مقالته هذه الأماثل من أصحاب رسول اللّه «۲» صلّى اللّه عليه» و ما هذا نحوه من اللفظ، و قد كان ناظره عثمان و راسله مناظرة ظاهرة على امتناعه من تسليم مصحفه، فكيف لم يناظره على إنكاره المعوّذتين و يهتف به و يجعل ذلك ذريعة و سبيلا إلى الدلالة على سوء رأيه و شدّة عناده، و أنّه لا يجب أن يعبأ بمن جحد سورتين من كتاب اللّه قد اشتهر نصّ الرسول عليهما في الخاص و العام، و الصغير و الكبير، و القاصي و الداني.

(______________________________
۱) أخرجه أبو عبيد في كتاب «فضائل القرآن» ص ۲۸۳. (۲) رواه البخاري (۹: ۱۴ و ما بعدها، باب في فضائل القرآن)، و أخرجه الترمذي (۳۱۰۳)، كما أورده أبو عبيد في كتاب «فضائل القرآن» ص ۲۸۳. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۴ و في عدم العلم بظهور الخلاف من عبد اللّه في ذلك و ذكر السبب [۱۸۶] الباعث له عليه، و العلم بأنّ الأمّة/ و إمامها لم يناظروه على ذلك بحرف واحد و لا أغلظوا له فيه و لا ظهر عنهم أمر يجب ظهوره في مثل ذلك، و لا عرضوا عبد اللّه على السيف و لا أقاموا عليه حدّا، و لا شهدوا عليه بتفسيق و تضليل تجب الشهادة به على من جحد كلمة من كتاب اللّه فضلا عمّن جحد سورتين منه: أوضح دليل على أنّه لم يكن من عبد اللّه قطّ جحد المعوّذتين، و إنكار لكونهما قرآنا منزلا. و مما يدلّ أيضا على كذب من أضاف إلى عبد اللّه جحد المعوّذتين و عناده إن كان عالما بما ركّبت عليه الطباع و العادات، أو جهله و غفلته إن كان مقصّرا عن منزلة أهل البحث عن هذا الباب؛ اتفاق الكلّ من جميع فرق الأمّة و أهل النقل و السيرة على أنّ عبد اللّه كان أحد القرّاء المبرّزين، و وجها من وجوه المقرئين المنتصبين لتدريس كتاب اللّه جلّ و عز و تعليمه و الأخذ له عنه، و أنّه من المعروفين بذلك على عصر الرسول صلى اللّه عليه و سلّم و إلى حين وفاته صلى اللّه عليه، و أنّه قد أخذ عنه القرآن و لقّنه منه و رواه عنه جماعة جلّة مشهورون معروفون منهم عبيدة السّلماني «۱»، و مسروق بن الأجدع، و علقمة بن قيس، و عمرو بن شرحبيل «۲»، و الحارث بن قيس «۳»، و الأسود بن يزيد بن

(______________________________
۱) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، تابعيّ كبير مخضرم، فقيه ثبت، مات سنة اثنتين و سبعين، و صوّب ابن حجر أن يكون مات قبل السبعين. «التقريب» (۱: ۶۵۰). (۲) أبو ميسرة الهمداني الكوفي، ثقة عابد مخضرم، مات سنة ثلاث و ستين. «التقريب» (۱: ۷۳۷). (۳) الحارث بن قيس الجعفي الكوفي، ثقة من الثانية، قتل بصفّين، و قيل مات بعد علي رضي اللّه عنه. «التقريب» (۱: ۱۷۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۵ قيس «۱»، و جماعة غير هؤلاء أخذوا عنه و رووا قراءته، فما ذكر عن جميعهم و لا عن أحد منهم رواية ظاهرة و لا غير ظاهرة أنّه أنكر

كون المعوّذتين قرآنـا و لاـ أسـنده عن عبـد اللّه، و لاـ قال- مع إضافته ذلك إلى عبـد اللّه- إنّه حقّ على ما ذكره و لا أنّه باطل يرغب عنه، و قد علم بمستقرّ العادة أنّه إن كان قد صحّ عن عبد اللّه كون المعوّذتين غير قرآن فلا بدّ من معرفة أصحابه و المتمسّكين لحرفه، و المنحازين إلى كتبته، و الناصـرين لقوله من أن يعرفوا ذلك من دينه و أن يكونوا أقرب الناس إلى العلم به، و أنّه لا بدّ مع ذلك أن يصوّبـوه على قـوله هـذا و يتّبعوه، أو يردّوه و ينكروه، و لاـ بـدّ من ظهور ذلـك عنهم و انتشـاره من قولهم، و أن يكون/ قولهم فيه من موافقـة عبد اللّه على ذلك و مخالفته [۱۸۷] أشـهر و أظهر من تمسّـكهم بحرفه و أخذهم أنفسـهم به، و لو قد كان منهم أحد الأمرين لاستفاض و ظهر و لزم قلوبنا العلم به و الخنوع بصحّته، فلمّا علمنا و علم الناس جميعا أنّه لم يرو عن جميع الصحابة و لا عن أحد منهم قول و لاـ لفظـة فى هـذا البـاب- أعنى إنكار عبـد اللّه لكون المعوّذتين قرآنا- علمنا أنّه لا أصل لما يـدّعى عليه من ذلك و أنّه زور و بهتان. فإن قيل: فلعلّ أصـحاب عبد اللّه إنّما لم يعرضوا لذلك عن عبد اللّه لقبح هذا القول عندهم و شناعته و خروج قائله عن مذهب الأمّة، و تركه ما يجب عليه عن الإقرار بتوقيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على المعوّذتين و نصّه. قيل له: فقد كانوا مع هذا قوما مسـلمين أخيـارا أبرارا، فكان يجب انحرافهم عن عبـد اللّه فى هـذا القول و إظهارهم لغلطه، و تفنيـد رأيه، لأنّ العادة لم تجر بإمساك مثلهم عن إنكار منكر لأجل تعصّب و ميل و طلب

(۱) الأسود بن يزيـد النخعى الكوفى، فقيه، أخـذ عن عمر و على و معاذ، كان يختم فى ليلتين، مات سـنة سـبعين و أربع للهجرة. «الكاشف» (۱: ۸۰). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۶ رئاسـة، على أنّه لو أمكن مثـل ذلـك منهم مع تعـذّره فى العادة لم يكن إمساك جميع الناس عن مسألتهم فى هـذا الباب و المطالبـة بما يصـحّ عنـدهم من قول عبـد اللّه فى ذلك، و ما الذى يعتقدونه و يدينون به فيه، و لكان لا بدّ لهم عند ذلك من الجواب بتصويبه أو تخطئته أو تصـحيح هـذا القول عليه و الشـهادة به، أو إنكـاره و نفيه عنه، و لكان لا بـدّ من أن يظهر ذلك عنهم و ينتشـر و يلزم القلوب لزومـا لاـ يمكن الشكّ فيه و لا الارتياب به، و فى إطباق الأمّـة من أهل السـيرة و جميع أهل العلم على أنّه لا شـىء يروى عن أحد من أصحاب عبد اللّه فى هذا الباب: أبين شاهد على تكذّب هذه المقالة، و وضع هذه الرواية. و مما يبيّن أيضا أنّ عبد اللّه لم يجحـد كون المعوّذتين قرآنا و وحيا منزلا، علمنا بما هو عليه من جزالـة الوصف و مفارقة وزنهما لسائر أوزان كلام العرب و نظومه، و أنّ عبـد اللّه مع براعته و فصاحته و علمه بمصادر الكلام [۱۸۸] و موارده و أنّه من صاهلـة هـذيل و هى من أفصح القبائل: لا يجوز أن يـذهب/ عليه أنّ المعوّذتين ليسـتا بقرآن و أنّهما على وزن كلام المخلوقين و بحاره، و يجب فى حكم الـدّين نفى مثل ذلك عمّن هو دون عبد اللّه بطبقات كثيرة فى الجلالة و القدر و حسن الثناء و المعرفة و عظيم السابقة و الصحبة و تدرّبه بمعرفة حال القرآن و نظمه، و الفرق بينه و بين غيره، و إذا كان ذلك كـذلك وجب إبطال هـذه الروايـة عنه و الحكم بتكذّبها عليه. و ممّا يدلّ على وجوب إنكار هـذه الروايـة عن عبـد اللّه و تنزيهه عنها أنّه قـد صـحّ و ثبت إيمان عبـد اللّه و جلالته و فضل سابقته و وجوب تعظيمه و موالاته، و أنّ الواجب على المسـلمين من سـلف الأمّـة و خلفها خلع ولايـة من جحد ما قد صحّ و ثبت أنّه سورتان من القرآن و لعنه و البراءة منه، و الحكم بقتله و ردّته، و إذا كـان ذلـك كـذلك وجب إنكـار هـذا القول عن عبـد اللّه لأنّنـا الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۷ لا نعرف صحّته و لاـ نقف عليه، فلو كان من الأخبار التى يمكن أن تكون صـحيحة لوجب اطّراحها، لأنّ مثبتها على عبـد اللّه و الشاهـد بـذلك عليه قـد عمل على مطالبتنا بوجوب إكفار عبـد اللّه بن مسـعود و لعنه و البراءة منه و القدح فى إيمانه و الحكم عليه بحبوط عمله بخبر واحـد لا يوجب العلم و لا يقطع العـذر. و هو مع ذلك مما لا يمكن أن يكون صـحيحا لأمور، منها: ما قدّمناه من وجوب ظهور ذلك عن عبـد اللّه لو ثبت و انتفى الشـكوك عنّا فيه، و غير ذلـك مما قـدّمناه، و منها: أنّه لو كان صـحيحا عليه و قـد علمنا أنّه لم يكن من الصـحابة إنكار عليه و لا إغلاظ و لا عسف، و لا قتل و لا عقوبـة و نكال و لا حكم مما يجب أن يحكم به على جاحـد آية من كتاب اللّه تعـالى و كلمـة فضـلا عن جاحـد سورتين منه لوجب الحكم على جميع الأمّـة بالضـلال و الانسـلاخ من الـدين، لأنّ ذلك يوجب حينئـذ أن يكون عبـد اللّه قـد ضلّ و أخطأ و فسق بإنكاره و جحده سورتين من كتاب اللّه، و أن يكون جميع باقى/ الأمّة الذين [۱۸۹]

هم غيره قد ضلّوا و فسقوا بترك تكذيبه و الردّ عليه و إقامة حدّ اللّه فيه و كشف حاله للناس و العدول إلى تركه و مسامحته و التمكين له من الترؤّس و التصدّر، و إقراء و نشر الذكر، و التوصّل إلى الأسباب التى يصير بها إماما متّبعا و حجّة مقتفى. فمن ظنّ أنّنا نحكم على عبد اللّه و على الأمّة فى تركه و تمكينه من ذلك بهذه الأحكام لأجل خبر واحد ضعيف واه يجىء من كل ناحية متّهمة و سبيله و غيره يكون معارضا بما هو أثبت و أظهر منه؛ فقد ظنّ عجزا و حلّ من الجهل محلا عظيما، و هذا لو أمكن أن يكون هذا الخبر صحيحا، فكيف و قد بيّنا بغير طريق أنّه من أخبار الآحاد التى يجب كونها كذبا لا محالة. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۸ و اعلموا رحمكم اللّه أنّ هذه سبيل القول عندنا فى كل أمر يروى من جهة الآحاد يوجب تفسيق بعض الصحابة و تضليله أو تفسيق من هو دونه من المؤمنين و إلحاق البراءة منه و اعتقاد الذّم له فى أنّه لا- يجب قبوله و لا العمل به، كما أنّه لا يجب العمل بصحّته، و إنّما يوجب العمل بخبر الواحد الذى لا يوجب العلم فى مواضع مخصوصة من الشريعة لموضع التعبّد بذلك، فأمّا أن نعلمه فى تفسيق المؤمنين الأبرار و إيجاب خلع موالاتهم و القضاء على إحباط أعمالهم، و فى الحكم على الأمّة قاطبة بالضلال و الفسق و فى ترك إنكار ذلك الشىء المرويّ الذى يجب إنكاره و أنّه غير جائز؛ فهذا أيضا جملة توجب الحكم بإبطال هذه الرواية و بترك الإحفال بها و العمل عليها، و كيف يجوز لمسلم الشهادة على عبد اللّه بن مسعود بجحد سورتين من القرآن و بما يوجب الكفر و الارتداد و التبرّى بخبر الواحد و يعدل عمّا ثبت عنده من إيمانه و سابقته و كثرة أقاويل الرسول فيه، و كونه مرضيّا مقبولا عند الصحابة، نحو قوله صلى اللّه عليه: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّا كما أنزل فليقرأ بحرف ابن أمّ عبد» «۱»، و قوله: «رضيت لأمّتى ما رضى لها ابن أمّ [۱۹۰] عبد، و لو كنت مستخلفا/ أحدا من أمتى استخلفت ابن أمّ عبد» «۲»، و قول عمر فيه مع جلالة قدره: «كشف طىّ علمها» «۳»، إلى غير هذا مما هو (______________________________ ۱) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۲: ۱۷۳ برقم ۴۳۴۰)، و ابن ماجة (۱: ۴۹ فى المقدمة، فضل عبد اللّه بن مسعود، برقم ۱۳۸)، و رواه الحاكم فى «المستدرك» (۳: ۳۱۸ كتاب معرفة الصحابة). (۲) أخرجه ابن أبى شيبة (۷: ۵۲۰ كتاب الفضائل، باب ما ذكر فى عبد اللّه بن مسعود)، و الحاكم فى «المستدرك» (۳: ۳۱۸ كتاب معرفة الصحابة). (۳) لم أقف عليه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۰۹ معروف من فضائله و مناقبه و شدّة نسكه و مسألته، و كلّما وصفناه من حاله يقتضى نفى هذا التكذّب عليه. قال بعض أصحابنا: و مما يدلّ على أنّ المعوّذتين قرآن منزل من عند اللّه تعالى اتفاق الأمّة فى هذا العصر و قبله من الاعصار منذ لدن التابعين و إلى وقتنا هذا على أنّهما من جملة القرآن، فلو ثبت أنّ عبد اللّه خالف فى ذلك أهل عصره لوجب أن يكون حصول الإجماع بعده على خلاف قوله قاطعا لحكم خلافه، لأنّ الإجماع بعد الاختلاف حجّة، كما أنّه حجّة إذا انعقد و انبرم ابتداء عن غير اختلاف تقدّم، و قد أوضحنا نحن فيما سلف أنّ هذه الرواية متكذّبة مفتعلة، و أنّه لم يحفظ على عبد اللّه حرف واحد فى التصريح بأنّ المعوّذتين ليستا من القرآن فلم يحتج مع ذلك إلى التعلّق بالإجماع بعد الاختلاف. و ممّا يدلّ أيضا على تكذّب هذه الرواية على عبد اللّه و الغلط و التوهّم للباطل فى هذه الإضافة إليه تظاهر الأخبار عن النبىّ صلى اللّه عليه بالنصّ على أنّ المعوّذتين من القرآن، و من أفضل ما أنزله اللّه عليه، و كثرة أقاويلهم و تضخيم شأنهما و صلاته بهما جهرا، و إنّ مثل هذا إذا كثر و تردّد وجب ظهوره و انتشاره، و أن يكون متواترا عن الرسول صلى اللّه عليه على المعنى و إن لم يكن اللّفظ متواترا، و إنّ مثل هذا لا يكاد يخفى على عبد اللّه و ينطوى عنه حتى لا يسمعه و لا شيئا منه من الرسول، و لا يبلغه عنه من الجهات المختلفة فيحصل العلم به حسب حصوله بجميع ما اشتهر من دينه و ظهرت فيه أقاويله. فمن هذه الأخبار المروية عن الرسول فى هذا الباب ما رواه قيس بن أبى حازم عن عقبة بن عامر الجهنى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه: الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۰ [۱۹۱] «أنزلت علىّ آيات لم ينزل علىّ مثلهنّ قطّ: المعوّذتان» «۱». و روى أيضا/ عقبة بن عامر قال: اتّبعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و هو راكب فوضعت يدى على قدمه، و قلت: أقرئنى من سورة هود أو سورة يوسف، فقرأ، و قال: «لم تقرأ شيئا أبلغ عند اللّه من قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» «۲». و روى زيد بن أسلم عن معاذ بن عبيد بن خبيب «۳» [عن أبيه «۴» قال: «كنت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه فى طريق مكّة و معنا صحابة، فوقعت علينا ضبابة من الليل حتى سترت بعض القوم، فلمّا أصبحنا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه: «قل يا

خبيب»، فقلت: ما أقول يا رسول اللّه؟ قال: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فقرأها و قرأتها حتى فرغ منها، ثم قال: «ما استعاذ أو ما استعان أحد بمثل هاتين السورتين قطّ» «۵». و روى ابن عابس

(۱) رواه مسلم في «صحيحه» (۱: ۵۵۸ كتاب صلاة المسافرين و قصرها، باب فضل قراءة المعوذتين برقم ۸۱۴). (۲) رواه الدارمى فى «سننه» (۲: ۳۳۹ كتاب فضائل القرآن برقم ۳۴۳۹)، و رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۶: ۱۲۸ برقم ۱۷۳۴۶). (۳) كذا فى الأصل، و الصواب أن اسمه معاذ بن عبد اللّه بن خبيب الجهنى المدنى، روى عن أبيه و عقبة بن عامر و ابن عباس، و عنه زيد بن أسلم، ثقة، توفى سنة ثمان عشرة و مائة. «الكاشف» (۳: ۱۳۶). (۴) ما بين المعقوفتين من زيادتى، و فى أصل الكتابة أن القائل هو معاذ بن عبد اللّه بن خبيب، و لا يستقيم ذلك، إذ أنّ معاذا لم يكن من الصحابة، و الصواب أن القائل هنا هو أبو عبد اللّه بن خبيب، و هو صحابى جليل، روى عنه ابناه معاذ و عبد اللّه. اه- من «الكاشف» (۲: ۷۴). (۵) هذا الحديث أيضا مروىّ عن عقبة بن عامر الجهنى، و رواه الدارمى فى «سننه» (۲: ۳۴۰ كتاب فضائل القرآن برقم ۳۴۴۰)، و أبو داود فى «سننه» (۲: ۷۳ كتاب الصلاة برقم ۱۴۶۳)، و النسائى فى «السنن» (۵: ۲۴ كتاب فضائل القرآن برقم ۸۰۶۳)، و الحميدى فى «مسنده» (۲: ۳۷۶ برقم ۸۵۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۱ الجهنىّ «۱» قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه: «يا ابن عابس، أ لا- أخبرك بأفضل ما تعوّذ به المعوّذون؟» قال: «قل أعوذ بربّ الفلق، و قل أعوذ بربّ الناس» «۲». و روى عقبة بن عامر الجهنىّ قال: قال لى رسول اللّه صلى اللّه عليه: «اقرأ بالمعوّذتين كلّما نمت و كلّما قمت» «۳». و روى جابر بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «اقرأ قل أعوذ بربّ الفلق»، ثم قال: «اقرأ»، قلت: و ما أقرأ؟ قال: «اقرأ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ يا جابر، اقرأهما و لن تقرأ مثلهما» «۴»، و روى أيضا عقبة بن عامر الجهنى قال: كنت اقود ناقة رسول اللّه صلى اللّه عليه فى السّفر، فقال: «يا عقبة، أ لا- أعلّمك خير سورتين قرئتا، فعلّمنى قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» «۵». و روى معاوية بن صالح «۶» عن عبد الرحمن بن جبير «۷» عن أبيه «۸» عن

(۱) ابن عابس بالموحّدة التحتية و السين المهملة، صحابىّ جليل، روى عنه أبو عبد اللّه. «الكاشف» (۳: ۳۶۸). (۲) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۵: ۲۶۳ برقم ۵۴۴۸)، و (۶: ۱۱۹ برقم ۱۷۲۹۸). (۳) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۶: ۱۱۹ برقم ۱۷۲۹۷). (۴) أخرجه ابن حبان فى «صحيحه»، انظر «الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان» (۳: ۷۶ كتاب الرقائق، باب قرّاء القرآن برقم ۷۹۶). (۵) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۶: ۱۳۷ برقم ۱۷۳۹۷). (۶) معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى الحمصى، قاض من أعلام رجال الحديث، أصله من حضرموت، توفى سنة ۱۵۸ ه-. «الأعلام» (۷: ۲۶۱). (۷) عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى، عن أبيه و أنس و كثير بن مرة، و عنه الزبيدى و معاوية بن صالح، ثقة، مات سنة ثمانى عشرة و مائة. (۸) جبير بن نفير الحضرمى الحمصى، ثقة جليل، من الثانية، لأبيه صحبة، مات سنة ثمانين، و قيل بعدها. «التقريب» (۱: ۱۵۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۲ عقبة بن عامر أنّه سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه عن المعوّذتين، و قال: «أمّنا بهما رسول اللّه صلى اللّه عليه فى صلاة الفجر»، و فى رواية أخرى قال: «سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه عن المعوّذتين، أ من القرآن هما؟ فأمّنا بهما فى صلاة الفجر»، و روى وكيع «۱» عن هشام بن الغاز عن سليمان بن موسى «۲» عن عقبة بن عامر قال: «كنّا مع النبىّ صلى اللّه عليه فى سفر، فلمّا طلع الفجر أذّن و أقام و أقامنى عن يمينه، ثم قرأ بالمعوّذتين، فلمّا انصرف قال: «كيف [۱۹۲] رأيت؟» قلت: قد رأيت يا رسول اللّه،/ قال: «و اقرأهما كلّما نمت و قمت». فكلّ هذه الأقاويل و إن اختلفت صيغها نصّ من رسول اللّه صلى اللّه عليه على أنّ الفلق و الناس قرآن منزل من عند اللّه سبحانه، و لم يرد فى أكثر سور القرآن من النصوص عليها مثل هذه الأخبار، و لا- بدّ أن يكون عقبة بن عامر قد سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه عن المعوّذتين أ من القرآن هما؟ على ما ذكرناه فيما روى و ظهر منه ما يعلم به أو يغلب على الظنّ عند رؤيته و سماعه أنّ عقبة قد ظنّ أنّ المعوّذتين ليستا بقرآن، فلمّا اعتقد الرسول فيه ذلك صلى بهما الفجر من حيث يسمع عقبة و غيره ليؤكّد فى نفسه أنّهما قرآن منزل، فلذلك قال له: «و كيف رأيت أنّى قد صلّيت بهما» و يمكن أن يكون عقبة لم يسمع الرسول قطّ يصلّى بهما، فسبق لأجل ذلك إلى

اعتقاده تجنّب النبيّ صلى اللّه عليه للقراءة فى الصلاة بهما لكونهما غير قرآن فصلّى بهما رسول اللّه، فقال له: «كيف رأيت؟» ليعلم بذلك أنّهما قرآن، و أنّه لم يتجنّب________________________________

(۱) وكيع بن الجرّاح بن مليح، أبو سفيان، الكوفى، ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات فى حدود سبع و تسعين و مائة. «التقريب» (۲: ۲۸۳). (۲) سليمان بن موسى الأموى بالولاء، أبو الربيع، المعروف بالأشدق، من قدماء الفقهاء، دمشقىّ ينعت بسيد شباب أهل الشام، مات نحو تسع عشرة و مائة. «الأعلام» (۳: ۱۳۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۳ الصلاة بهما للسّبب الذى خطر له، و هذا غاية التأكيد و أبلغ فى النصّ على أنّهما قرآن، فكيف يجوز أن يذهب سماع هذا أجمع و علمه عن عبد اللّه بن مسعود و أن يخفى عليه خفاء يجوز معه إنكار كون المعوّذتين قرآنا؟! و قد بيّنّا من قبل أنّه لو صحّ عن عبد اللّه جحد المعوّذتين لوجب أن يكون أصحابه أعلم الناس بذلك عنه و أنّه لم يكن من أحد منهم لفظة فى هذا الباب، بل المروىّ عن جلّتهم الإقرار بأنّهما قرآن، و روى سفيان عن الأعمش عن إبراهيم قال: «قلت للأسود: أ من القرآن هما، قال: نعم»، يعنى المعوّذتين، و روى زائدة «۱» و ابن إدريس «۲» عن حصين عن الشّعبىّ قال: «المعوّذتان من القرآن»، فهذان وجهان من وجوه أصحاب عبد اللّه يخبران بأنّ المعوّذتين من القرآن، و فى بعض ما ذكرناه أوضح برهان على كذب من ادّعى على عبد اللّه جحد كون المعوّذتين قرآنا منزلا. فإن قال قائل: جميع ما قدّمتموه من موجب العادة فى إيجاب ظهور إنكار/ عبد اللّه للمعوّذتين إذا كان ذلك صحيحا، و وجوب مشاجرة الصحابة [۱۹۳] له، و وجوب علم أصحابه به و حرصهم فيه، و إقرار ذلك من قلبه، أو إنكاره إلى غير ذلك مما وصفتموه يقتضى بأن يكون قد كان من عبد اللّه بن مسعود أو غيره أمر اقتضى الخوض فى أمر المعوّذتين و حصول كلام فيهما، و حال أوجبت إضافة مثل هذا القول إلى عبد اللّه و أنّه لو لم يكن منه فيهما شىء لم يجب فى وضع العادة إضافة جحد المعوّذتين إليه دون غيره من الصحابة (____۱) زائدة بن قدامة الثقفى، أبو الصلت الكوفى، ثقة ثبت، من السابعة، مات سنة ستين و مائة، و قيل بعدها. «التقريب» (۱: ۳۰۷). (۲) عبد اللّه بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودى، أبو محمد الكوفى، ثقة فقيه عابد، من الثامنة، مات سنة اثنتين و تسعين و مائة. «التقريب» (۱: ۴۷۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۴ و سائر أهل عصره، و لم يجز أيضا أن يضاف ذلك إليه فى المعوّذتين خصوصا من بين سائر القرآن كما لا يجوز أيضا أن يضاف شىء من هذا إليه فى البقرة و آل عمران و كلّ ما لم يكن فيه قول منه. يقال له: أمّا هذا الذى قلته فصحيح لا شكّ فيه، و لا بدّ من أن يكون قد كان منه سبب يقتضى تعليق ذلك عليه و إضافته إليه، أو كان من غيره أمر واجب عنده أن يكون منه فى أمرهما شىء يسوغ مع مثله افتعال الكذب عليه أو التّيوهّم و الغلط عليه، و الذى كان منه عندنا فى هذا الباب أمور، منها: - أنّه أسقط المعوّذتين من مصحفه و لم يرسمهما فيه، فتوهّم لأجل ذلك عليه قوم من المتأخّرين الذين لم يعرفوا ما دعاه إلى ذلك أنّه إنّما أسقطهما لكونهما غير قرآن عنده. - و منها: أنه قد روى عنه أنّه حكّ من المصحف شيئا رآه فيه لا يجوز عنده إثباته فظنّ مع سمع ذلك- مع سماعه أنّه لم يكن يثبت المعوّذتين فى مصحفه- أنّه حكّهما من مصحف غيره، و قد ذكر فى بعض الروايات أنّه حكّهما و لم يقل الراوى المعوّذتين بل بهذا اللفظ، و قال: «لا تخلطوا به ما ليس منه»، فظنّ سامع ذلك أنّه حكّ المعوّذتين. - و لعلّه أن يكون حكّ حرفين أو كلمتين الفاتحة و الخاتمة لأنّ منه من كان يكتب فاتحة كذا و خاتمة كذا، و كان هو ينكر ذلك و لا يراه. - و قد يمكن أيضا أن يكون بعض الناس سأل عبد اللّه بن مسعود عن [۱۹۴] عوذة من العوذ رواها عن رسول اللّه/ فظنّ السائل عنهما أنّهما من القرآن، فقال عبد اللّه: «إنّ تلك العوذة ليست من القرآن»، فظنّ سامع ذلك أو من روى له عنه أنّه قال ذلك فى المعوّذتين. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۵ - و قد يجوز أن يكون منها سماعه سؤال أبىّ بن كعب للنبىّ صلى اللّه عليه عن المعوّذتين على ما رواه أبو عبيد عن عبد الرحمن «۱» عن سفيان «۲» عن عاصم عن زرّ بن حبيش عن أبىّ بن كعب قال: سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه عن المعوّذتين، فقال: «قيل لى: قل، فقلت»، قال أبىّ: قال لنا رسول اللّه صلى اللّه عليه فنحن نقول كما قال»، فلما سمع هذا الجواب من الرسول أو أخبره به أبىّ أو غيره اعتقد أنّهما من كلام اللّه تعالى و وحيه، غير أنّه لا يجب أن يسمّيا قرآنا، لأنّ رسول اللّه صلى اللّه

عليه لم يسمّهما بذلك، و قد يمكن أن يكون أحد ما قوّى هذا فى نفسه سماعه لسؤال عقبة بن عامر الجهنى لمّا قال للنبىّ صلى اللّه عليه: «أ من القرآن؟»، قال: «فصلى الصبح بهما»، فيمكن أن يكون عبد اللّه لمّا لم يسمع جواب النبىّ صلى اللّه عليه بأنّهما قرآن و عرف أنّه صلى الصبح بهما قوى عنده أنّهما من كلام اللّه تعالى المنزل عليه غير أنّه لم يحبّ أن يسمّى قرآنا، لأنّ رسول اللّه لم يسمّه بذلك. - و منها: أن يكون لم يسمع قطّ الرسول صلى اللّه عليه يصلّى بهما فى صلاة كما صلى بغيرهما و لا سمعه يفردهما بالدرس، فلما سئل عبد اللّه عن جواز الصلاة بهما قال لسائله: «ما رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه صلى بهما قطّ»، فظنّ به لأجل ذلك أنّه يعتقد أنّهما ليستا من جملة القرآن. فهذه الأسباب هى التى طرحت عليه إضافة جحدهما إليه، و دخول الشبهة على بعض من ليس من أهل عصره، و لا ممّن شاهده و عرف أحواله

(۱) هو عبد الرحمن بن مهدى بن حسّان، الحافظ أبو سعيد البصرى، روى عنه أحمد بن حنبل، توفى سنة ثمان و تسعين و مائة. «الكاشف» (۲: ۱۶۵). (۲) هو الثورى سفيان بن سعيد، الإمام أبو عبد اللّه، أحد الأعلام، توفى سنة إحدى و ستين و مائة. «الكاشف» (۱: ۳۰۰). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۶

و مقاصده، و لو لا أنّ ذلك قد كان منه لم يكن إلى التأويل عليه سبيل و لا طريق، و ليس لأحد أن يقول: ما يكون السبب الذى كان منه غير ما وصفتم؟ لأنه لا شىء ظهر عنه و حال بدت يتوهّم بها عليه ما أضيف إليه غير ذلك، [۱۹۵] و لو قد كان منه أو حدث هناك فى باب/ المعوّذتين شىء غير ما وصفناه لوجب ذكره و توفّر الدواعى على نقله، و ليس فى شىء من هذه الأمور ما يدلّ على أنّ عبد اللّه لم يكن يعتقد كون المعوذتين قرآنا منزلا- من كلام اللّه تعالى و وحيه و إن رأى أن لا- يسمّيه قرآنا. فإن قال القائل: فخبّرونى قبل أن تكلّموا على تأويل سبب كل خبر كان منه فى هذا الباب: إذا كنتم قد عرفتم أنّه ليس فيما ذكر عنه من هذه الأمور ما يدلّ على إخراجه المعوّذتين من القرآن، فلم سأل زرّ بن حبيش أبيّا عن ذلك؟ و لم سأل الناس علقمة و الأسود «۱» و غيرهما من أصحاب عبد اللّه عن المعوّذتين و عن قولهم و قول عبد اللّه فى ذلك؟ قيل لهم: إنّ هذا أيضا مما لا يلزمنا عهدته و تطلّب المخرج منه، و لا- معرفة السبب الباعث على السؤال عن ذلك و المبيّن له، غير أنّنا نقول: ليس يمتنع أن يكون زرّ بن حبيش و غيره ممّن سأل أصحاب عبد اللّه عن هذا الباب توهّموا أو خطر لهم أنّ عبد اللّه قد اعتقد أنّهما ليستا من القرآن لتركه الصلاة بهما أو تركه تسميتهما قرآنا و تركه إثباتهما فى مصحفه، و لم يكن منهم نظر فى ذلك و توفية للفحص عنه حقّه، فلمّا نظروا و تأمّلوا عرفوا أنّه ليس فى شىء من ذلك ما يدلّ على ما ظنّوه، و لمّا لم يجد زرّ بن حبيش عند

(۱) الأسود بن قيس العبدى، و يقال العجلى الكوفى، يكنى أبا قيس، ثقة من الرابعة. «التقريب» (۱: ۱۰۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۱۷

أبىّ إلا الإخبار بأنّهما من وحى اللّه تعالى و كلامه، و لم يجد من سأل أصحاب عبد اللّه عندهم إلا- الإقرار بكونهما قرآنا و أنّه مذهب عبد اللّه؛ انقطع الكلام و الخوض و قلّ خطره و درس ذكره، و زالت الشبهة عن الناس فى هذا الباب، فلمّا نبغ الملحدون و المنحرفون و الطاعنون على القرآن و السّلف و نصبوا الحبائل و الغوائل فى ذلك لأهل الإسلام و تطلّبوا لكفرهم و بدعتهم الأباطيل و التعاليل أكثروا و أعادوا و أبدوا بذكر سؤال زرّ لأبىّ عن ذلك، و سؤال من سأل أصحاب عبد اللّه عن هذا الباب، و خيّلوا للناس أنّ كلّ من سأل عن ذلك فإنّما كان يسأل لدفعه أن يكون قرآنا،/ و لظهور شكّ الناس فى ذلك [۱۹۶] و نزاعهم و تشاجرهم فيه، و ليس الأمر فى ذلك على ما أوهموا به، و إنّما قصدهم الطعن على الشريعة و القدح فى نقل القرآن فقط، فأمّا أن يكون على أحد من الصحابة و التابعين شكّ فى أنّ المعوّذتين من كلام اللّه تعالى و وحيه و ممّا أنزله على رسوله صلى اللّه عليه فمعاذ أن يكون ذلك كذلك. فإن قالوا: فلم زعمتم أنّه ليس فى شىء مما ذكرتموه، و قلتم إنّه هو الذى طرق سوء التأويل على عبد اللّه، ما يدلّ على أنّه لم يكن معتقدا لجحد المعوّذتين و إنكاره أن يكون من كلام اللّه تعالى؟ قيل لهم: يدلّ على ذلك أنّ إسقاطه للمعوّذتين من مصحفه يحتمل أمورا غير جحده لكونهما قرآنا و كلاما للّه تعالى، فمنها: أنّه يمكن أن يكون إنّما لم يثبت الحمد و المعوّذتين فى مصحفه لشهرة أمرهما فى الناس و كثرة

الحفّاظ لهما و دوام الصلاة بالحمد و المعوّذتين فى كل ليلة، و كثرة تعوّذ الناس بالناس و الفلق، و اعتقاده أنّ حفظهما و حفظ الحمد فى الناس فاش ظاهر لا يحتاج معه إلى إثباتهما و تقييدهما بالخطّ، فدعاه ذلك إلى ترك إثبات هذه السورتين. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ٣١٨ و يمكن أيضا أن يكون إنّما لم يكتبهما و لا الحمد لأنّه لم ير قطّ رسول اللّه صلى اللّه عليه أكتبهنّ أحدا و لا أمر بكتابتهن، و لا اتفق أنّه بلغه ذلك من وجه يوجب العلم عنده، و رآه صلى اللّه عليه قد كتب جميع سور القرآن، و أمر بأن تكتب فكتب منه ما كتّبه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم و كتب بحضرته و أمر بأن يكتب، و لم يكتب الحمد و المعوّذتين، لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه لم يكتبها، فتكون شدّة إيثاره للاتباع و ترك الإحداث فى القرآن لما لم يفعل رسول اللّه صلى اللّه عليه هو الذى حداه على ذلك، و هذا غاية التشدّد، و أدلّ الأمور على الورع، و يكون باقى الناس، إنّما كتبوا هذه السورة لعلمهم بأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه كتبهن كما كتب غيرهن. [١٩٧] فإن قال قائل: هذا الذى قلتم ممّا/ لم يذكر و لا روى عن عبد اللّه. يقال لهم: يمكن أن يكون لم يقل ذلك كلّه لأنّه لم يسأل عنه، لأنّ الناس لما سمعوه- مع ترك كتابته هذه السورة- يقرؤهن و يصلّى بهنّ، و يديم الصلاة بهنّ و الدرس لهنّ، و إن كان لا يفردهنّ فى الصلاة و لا فى الدّرس: زالت عنهم الشّبهة فى أن يعتقد كونهنّ قرآنا، فلم يباحثوه عمّا دعاه إلى ترك كتابتهن فى مصحفه، و هذا جائز ليس ببعيد، و إذا احتمل ترك كتابة هذه السورة ما وصفناه بطل التعلّق بهذا الباب. و يجوز أيضا أن يكون عبد اللّه إنما لم يكتب الحمد و المعوّذتين فى مصحفه على خلاف ترتيب إثباتها فى مصحف عثمان، بل كان يرى أن يثبته على تاريخ نزوله، فلمّا رتّب ذلك لنفسه كره أن يقدّم على سورة فى المصحف السّور التى أنزلت قبلها على ما أوجبه التاريخ و ترتيب مصحفه، لأجل تسمية رسول اللّه صلى اللّه عليه و جمع الأمّة الحمد فاتحة الكتاب و أمّ الكتاب، فامتنع لذلك من أن يفتتح المصحف بغيرها لئلا يخالف السّنّة فى الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ٣١٩ هذه التسمية و يؤخّر كتابة ما هو الفاتحة، و كره أيضا مع ذلك أن يثبتها فى أول المصحف مقدّمة على ما نزل قبلها، فيكون بذلك كاتبا لها على غير تاريخ النزول، و مفسدا به ما أصّل كتابة مصحفه عليه، فترك لأجل ذلك أن يكتبها لا لأجل جحده أن تكون قرآنا منزلا، فلمّا فعل ذلك فى الحمد الذى هو فاتحة الكتاب فعل مثله فى الخاتمة، لاعتقاده أنّه قد نزل بعد نزول الناس و الفلق شيء من القرآن، فكره أن يختم بذلك النازل الذى هو آخر ما نزل لأنّ السّنّة غير ذلك، و كره أن يثبت الناس فى خاتمة مصحفه فيكون قد قدّم على الناس و الفلق فى الرسم ما هما قبله فى النزول، فيفسد أيضا بذلك تأليف مصحفه على التاريخ الذى عمل عليه، و إذا احتمل الأمر ما وصفناه لم يجب حمل ذلك منه على جحد ما ترك رسمه و كتابته و إن كان عنده كونه قرآنا منزلا/. [١٩٨] فإن قال القائل: ما قلتموه فى الخاتمة من التأويل إنّما يتم لكم فى الناس التى هى الخاتمة، فما باله لم يثبت الفلق- و هى سورة منفصلة عنها- على تاريخ نزولها؟ قيل له: يمكن أن يكون إنّما فعل ذلك لأنّه لم يسمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم قطّ يتلو الناس مفردة منفصلة من الفلق، و لا رأى أحدا يكتبها مفردة عنها، فرأى أنّ السّنّة فى إثباتها ما فعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه من الجمع بينهما فى الرسم، و ذلك كان عنده ناقضا لتأليف مصحفه أو فعله، فلم يفعله، أو لأنّه رأى أنّ السّنّة فى إثبات هاتين السورتين فى الوصل بينهما كالسّنّة فى تلاوة الرسول لهما، فلم يجب أن يفرّق بينهما فى الرسم و لا أن يختم بهما جميعا مصحفه، و قد نزل قبلهما قرآن غيرهما، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما سأل عنه السائل. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ٣٢٠ و قد يحتمل أيضا أن يكون إنما ترك كتابة الحمد فى مصحفه لأجل أنّه كان المستحبّ المندوب إليه عنده أو من سننه هو و عادته أن لا يقرأ شيئا من القرآن إلا قرأ قبله سورة الحمد، فإذا قطع القراءة و أخذ فى عمل غيرها ثم أراد العود إليها ابتدأ أيضا بالحمد من حيث قطع، ثم كذلك أبدا كلّما قطع و ابتدأ، و رأى مع ذلك أن المستحبّ فى كتابة القرآن من هذا مثل المستحبّ منه فى تلاوته، و لم يمكنه التبتّل لكتابة مصحفه من أوله إلى آخره دفعة واحدة من غير قطعه و تشاغل بعمل غيره، و أن يستكتب له كتّابا يكتبه له على هذه السبيل، و هو مستسلم يحتاج إلى إقامة صلاته و أكل ما يقيم رمقه و غير ذلك مما تمسّ الحاجة إليه و يقطعه الاشتغال به عن كتابته للمصحف، فرأى عند ذلك أنّه يجب أن يكتب الحمد فى كلّ موضع قطع عند الكتابة ثم يصلها بما بعد الذى انتهى إليه، فيحتاج أن يكتبها فى مواضع كثيرة من المصحف، و فى ذلك نقض لتأليف المصحف و إفساد له، فعدل لأجل ذلك عن إثبات

[۱۹۹] الحمد/ جملة، و روى عن إبراهيم النخعىّ «۱» أنّ عبد اللّه بن مسعود كان لا يكتب فاتحة الكتاب، و يقول له: «لو كتبتها لكتبتها فى أوّل كلّ شىء»، يعنى بذلك أنّه كان يكتبها عند كل شىء ابتدأ به بعد قطع ما قبله على ما قلناه من قبل، و أن يكتبه فى أول كل جزء إذ قسّم المصحف و جعله أجزاء مفردا، و ذلك نقض لتأليف المصحف، فهذا إن صحّ عنه يدلّ على أنّ الأمر فى ذلك كان عنده على ما تأوّلناه. و فى الجملة فإنّنا قد علمنا أنّ عبد اللّه بن مسعود لم يكتب الحمد فى مصحفه، و جاءت بذلك الأخبار عنه كمجيئها بأنّه لم يكتب المعوّذتين فى________________________________

(۱) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعى، أبو عمران الكوفى الفقيه، ثقة يرسل كثيرا، من الخامسة، مات سنة ۹۶ و هو ابن خمسين سنة أو نحوها. «التقريب» (۱: ۶۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۲۱ مصحفه، و قد علم و تيقّن أنّ عبد اللّه لم يكن ينكر كون الحمد قرآنا منزلا، و أنّه كان يعتقد هو و كلّ مسلم إكفار من جحد كونها من القرآن، و كيف لا يكون ذلك كذلك و أمرها أظهر و أشهر و أقاويل الرسول صلى اللّه عليه فيها أكثر منه فى غيرها، و هو يراه و يسمعه و يصلّى بها فى اليوم و الليلة يبيت مرات يجهر بقراءتها فيها و يداوم عليها، و يسمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم يقرؤها و يحثّ على تعلّمها و حفظها و يعظّم شأنها و يعيد و يبدى بذكر فضلها. و روى أبو هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و قد قرأ عليه أبىّ ابن كعب أمّ القرآن فقال: «و الذى نفسى بيده ما أنزل اللّه جلّ و عزّ فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى الزّبور و لا فى القرآن مثلها، إنّها السبع من المثانى» «۱»، و روى أبو هريرة أيضا عن النبىّ صلى اللّه عليه أنّه قال: «هى فاتحة الكتاب، و هى السبع المثانى و القرآن العظيم» «۲»، و روى الحسن عن النبىّ صلى اللّه عليه أنّه قال: «من قرأ فاتحة الكتاب فكأنّما قرأ التوراة و الإنجيل و الزّبور و الفرقان» «۳». (________________________________۱) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۳: ۲۷۶ برقم ۸۶۹۰)، و البيهقى فى «السنن الكبرى» (۲: ۵۲۶ برقم ۳۹۵۴)، و الترمذى فى «السنن» (۵: ۱۵۵ برقم ۲۸۷۵)، و البغوى فى «شرح السنة» (۳: ۱۲ برقم ۱۱۸۱، ۱۱۸۳). (۲) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (۳: ۴۵۹ برقم ۹۷۹۵، ۹۷۹۷)، و النسائى فى «السنن» (۲: ۱۱ كتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب، برقم ۸۰۱۰) عن أبى سعيد المعلى، و أخرجه مالك فى «الموطّأ» (۱: ۸۳ كتاب الصلاة، باب ما جاء فى أم القرآن، برقم ۳۷)، و البغوى فى «شرح السنة» (۳: ۱۳ كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب برقم ۱۱۸۲). (۳) لم أجده بهذا النص، و الرواية فى ذلك عند ابن خزيمة فى «صحيحه» عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم: ما أنزل اللّه فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى القرآن مثل أم الكتاب و هى السبع المثانى». الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۲۲ و روى أيضا ابو هريرة عن النبىّ صلى اللّه عليه أنّه قال: «يقول اللّه سبحانه: قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين، نصفها لى و نصفها لعبدى، و لعبدى [۲۰۰) ما سال، يقوم العبد فيقول:/ الحمد للّه رب العالمين، فيقول اللّه تعالى: حمدنى عبدى، و يقول العبد: الرحمن الرحيم، فيقول اللّه: أثنى علىّ عبدى، و يقول العبد: مالك يوم الدين، فيقول اللّه تعالى: مجّدنى عبدى، و يقول العبد: إيّاك نعبد و إيّاك نستعين، فيقول اللّه تعالى: هذه بينى و بين عبدى: أوّلها لى و آخرها لعبدى، و له ما سأل، و يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها، فيقول اللّه تعالى: هذا لعبدى، و لعبدى ما سأل» «۱». فى نظائر لهذه الأخبار وردت فى تعظيم شأن الحمد و فضيلتها، و النصّ على كونها قرآنا، فقد أصارها إلى ما هى عليه من الظهور، فلا شبهة على عبد اللّه بن مسعود و لا على غيره فى كفر من أنكرها و جحدها، و عبد اللّه مع ذلك يترك كتابتها فى مصحفه لوجه ما، فكذلك يجب أن يكون إنّما ترك كتابة الناس و الفلق لوجه ما. و روى أبو عبيد عن إسماعيل بن إبراهيم «۲» عن أيوب «۳» عن ابن سيرين قال: «كتب أبىّ بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب و المعوّذتين، و اللّهمّ إنّا (________________________________۱) رواه النسائى فى «السنن الكبرى» (۲: ۱۱ كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب برقم ۸۰۱۲)، و البيهقى فى «السنن الكبرى» (كتاب الصلاة، باب تعيين القراءة بفاتحة الكتاب بالأرقام ۲۳۶۵، ۲۳۶۶، ۲۳۶۸)، و الحميدى (۲: ۴۳۰ برقم ۹۷۳)، و الترمذى فى «السنن» (۵: ۲۰۱ كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الفاتحة برقم ۲۹۵۳). (۲) هو إسماعيل بن إبراهيم بن عليّة، الإمام أبو بشر، روى عن أيوب و

ابن جدعان و عطاء، إمام حجّة، مات سنة ثلاث و تسعين و مائة. «الكاشف» (۱: ۶۹). (۳) هو أيوب بن أبى عتيمة سبق ترجمته. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۲۳ نستعينک، و اللّهمّ إيّاک نعبد، و تركهنّ ابن مسعود، و كتب عثمان منهم فاتحة الكتاب و المعوّذتين»، و روى الشّعبىّ عن ابن عوف «۱» عن محمد بن أبىّ بن كعب: «كتب أبىّ خمس سور فى المصحف، فاتحة الكتاب و المعوّذتين، و اللّهم إنّا نستعينک، و اللّهمّ إيّاک نعبد، و لم يكتبهنّ ابن مسعود، فلمّا جمع ابن عفّان المصحف كتب ثلاثا و أخّر اثنتين، فاتحة الكتاب و المعوّذتين، و أخّر اللّهمّ إنّا نستعينک، و اللّهمّ إيّاک نعبد». فمن ظنّ بعبد اللّه أنّه إنما أسقط المعوّذتين من مصحفه لكونهما غير قرآن عنده لزمه مثل ذلک فى إسقاطه الحمد من مصحفه، و من اتّهم عبد اللّه بذلک و قذفه به و اعتقد فيه فليس هو عندنا بمحلّ من يكلّم فى العلم و لا ممّن يرجى فهمه و استدراكه. فأمّا ترک عبد اللّه لإفرادهما فى درسه و إفرادهما/ فى الصلاة بهما إذا [۲۰۱] صلى و يملأ وقته أبدا فى الصلاة و الدرس بغيرهما، إن كان فعل و ثبت من اختياره فإنّه لا يدلّ أيضا على أنّه كان لا يعتقدهما قرآنا منزلا، لأجل أنّه قد يعتقد أنّ السّنّة و الفضل و الاختيار فى أن لا يفردهما فى الدرس و لا فى الصلاة، لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه لم يفعل ذلک فيما رواه و سمعه. و قد كان مجاهد فيما ذكر عنه يكره ذلک، و روى يحيى بن [أبى بكير «۲» عن إبراهيم بن نافع «۳» قال: سمعت سليما مولى أم على أنّ مجاهدا

(______________________________ ۱) هو عبد اللّه بن عون بن أرطان، أبو عون البصرى، ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب فى العلم و السن، من السادسة، مات سنة ثلاث و تسعين و مائة. «الكاشف» (۱: ۶۹). (۲) سقطت لفظة (أبى) من الأصل، و يحيى هذا هو العبدىّ، قاضى كرمان، روى عن شعبة و فضيل، ثقة مات سنة ثمان و مائتين. «الكاشف» (۳: ۲۲۱). (۳) إبراهيم بن نافع المخزومى المكى، ثقة حافظ من السابعة، روى عن عطاء و طائفة. «التقريب» (۱: ۶۸)، «الكاشف» (۱: ۵۰). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۲۴ كان يكره أن يقرأ بالمعوّذات وحدها حتى يجعل معها سورة «۱»، و لم يجب لأجل ذلک أن يكون مجاهد منكرا لكون المعوّذتين قرآنا، و كذلک عبد اللّه، إن ثبت ذلک عنه، و قد قال الشافعىّ: إنّه لا يقتصر فى الأربع ركعات على فاتحة الكتاب وحدها، و لم يدلّ ذلک على أنّها ليست بقرآن عنده و كذلک حكم الناس و الفلق عند عبد اللّه و مجاهد فى أنّهما لا يفردان فى الصلاة و الدرس عن غيرهما، و لا يقرءان إلا متّصلتين بسواهما، و إن كانتا من القرآن المنزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه، و إذا كان ذلک كذلک بطل ما التأوّل عليه فى إخراج المعوّذتين من كلام اللّه تعالى بهذا الضرب من التأويل. و أمّا جوابه لمن قال له: «إنّ العوذ من القرآن» بأنّها ليست من القرآن، فإنّه ردّ يدلّ على إنكاره إن كان قد سئل عن ذلک فى عوذة ليست من القرآن، و قال ذلک لأنّه لم يسأل عن العوذة التى هى الفلق و النّاس أو هما، و إنّما سئل عن عوذة ليست من القرآن، و ليس كلّ عوذة رويت عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلّم من القرآن، و كان يجب لمتوهّم ذلک على عبد اللّه أن يتأمّل ما الذى يسأل عنه من العوذ و أن يستفهم عبد اللّه: أىّ عوذة أنكرت كونها من القرآن؟ الناس و الفلق أم غيرها؟ و لا يتسرّع إلى اعتقاد الباطل فيه بالتوهّم و الظنّ، [۲۰۲] فبطل أيضا التأوّل/ عليه بهذا الجواب و إن كان قد وقع منه. و أمّا التأويل عليه فى جحدهما و إنكارهما بمنعه تسميتهما قرآنا- إن كان قد امتنع من ذلک- فإنّه أيضا باطل، لأنّ اللّه تعالى لو نصّ لنا أو رسوله عليه السلام على أن لا يسمّى يوسف و الرعد قرآنا لوجب أن لا يسمّيها بذلک لأجل السمع و الاتباع، و إن لم يدلّ تركنا لهذه التسمية على اعتقادنا أنّهما

(______________________________ ۱) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۱۹۴ كتاب فضائل القرآن). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۲۵ ليستا من القرآن، فكذلک سبيل من تأوّل تأويلا أدّاه إلى الامتناع من تسمية المعوّذتين قرآنا فى أنّه لا يجب بهذا القدر أن يعتقد فيه إنكار كونهما قرآنا، و سواء غلط و توهّم فى ذلک الاجتهاد أم أصاب و صحّح. فأمّا تعلّق عبد اللّه فى منع تسميتها قرآنا و غيرها برواية أبىّ عن النبى صلى اللّه عليه أنّه قال لمّا سأله: أ من القرآن هما؟: «قيل لى: قل، فقلت»، فإنّه لا تعلّق فى ذلک لعبد اللّه و لا لأبىّ و لا غيرهما من كلّ من توهّم ذلک، لأنّ قول الرسول صلى اللّه عليه: «إنّما قيل لى: قل، فقلت»، ليس بنفى لتسميتهما قرآنا، بل هو تنبيه منه على أنّه قرآن، قيل له: «قل، و اقرأ على حسب ما أوحى إليک و قيل

لك)، و لو كان قول اللّه تعالى له فى السورتين: (قل) و إخبار الرسول بأنّه أقرّ بـذلك دلالـة على أنّهما ليسـتا من كتاب اللّه لوجب أن تكون هـذه سبيـل كـلّ موضع قيـل له: قـل. و قـد قـال اللّه سـبحانه لنبيه: قُلِ اللّهُمَّ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [الزمر: ۴۶]، و قال: فَإِنْ أَعْرَضُوا «۱» فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً [فصلت: ۱۳] و قُلِ اللّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ [آل عمران: ۲۶] فى نظائر لهذه الآيات قد قيل له صلى اللّه عليه فى جميعها: (قل)، و لم يصيّر ذلك شبهة لأحد فى أنّها ليست بقرآن، و لا ممّا يجب أن يسمّى قرآنا، و كـذلك قوله: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ و قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ لا يـدلّ على ذلك، و قول الرسول صلى اللّه عليه: «قيل لى: قل ..» ليس فيه تصريح بأنّ ما قيل/ له فيه: (قل) [۲۰۳] ليس بقرآن و لا تنبيه على ذلك أيضا، فبطل التأويل فى إخراج المعوّذتين عن أن تكون قرآنا بهـذه الروايـة و هـذا الجواب من رسول اللّه صلى اللّه عليه (________________________________. ۱) فى الأصل:

(فإن تولوا)، و هو من خطأ الناسخ. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۲۶ روى عبد اللّه بن محمد بن أبى شيبة «۱» عن حسين بن على «۲» عن زائدة «۳» عن عاصم عن زرّ بن حبيش قال: قلت لأبيّ: إنّ ابن مسعود لا يكتب المعوّذتين فى مصحفه، فقال: «إنى سألت عنهما النبيّ صلى اللّه عليه فقال: «قيل لى: قل، فقلت»، فقال أبيّ: نحن نقول كما قيل لنا»، و قد علم أنّ أبيّا مع ذلك و مع قوله: «فنحن نقول كما قيل لنا» قد كتب المعوّذتين و لم يعتقد خروجهما عن كلام اللّه جلّ و عزّ و لا منع تسميتها قرآنا، و هو الأصل فى هـذه الروايـة، فوجب أنّه لا تعلّق لأحد فيها مع نفى كون المعوّذتين قرآنا، و لا فى من تسميتها بذلك. فأمّا ما روى من حكّ عبد اللّه للمعوّذتين من المصحف فإنّه بعيد، و يجب أن يكون ذلك إنّما روى عنه عن طريق الظنّ به و التوهّم عليه، لأنّه لو كان من عبد اللّه حكّ المعوّذتين من المصحف ظاهرا مشهورا معلوما لم يخل ذلك الحكّ الذى كان منه و ظهر من أن يكون حكّا لهما من مصحفه و مصاحف أصحابه التى انتسخت منه أو من مصحف عثمان و فروعه التى انتسخت منه، فإن كان ذلك إنّما كان حكّا من مصحفه، فذلك باطل، لأنّه لم يلفهما ثابتتين من مصحفه و لا كتبهما، فكيف يمحوهما منه! و كذلك سبيل فروع مصحفه. (________________________________۱) عبد اللّه بن محمد بن أبى شيبة

إبراهيم بن عثمان الواسطى الأصل الكوفى، ثقة حافظ صاحب تصانيف، من العاشرة، مات سنة خمس و ثلاثين و مائتين. «التقريب» (۱: ۵۲۸). (۲) حسين بن على الجعفى الكوفى، قرأ على أبى عمرو و أبى بكر بن عياش، مات سنة ثلاث و مائتين عن أربع و ثمانين سنة من الطبقة الخامسة. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۱۶۴). (۳) زائدة بن قدامة، أبو الصلت الثقفى الكوفى الحافظ، روى عن زياد و سماك، ثقة حجّة، توفى غازيا بالروم سنة ۱۶۱ ه-. «الكاشف» (۱: ۲۴۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۲۷ و إن كان إنّما حكّهما من مصحف عثمان أو بعض فروعه فذلك أمر عظيم و خطب جسيم و عمل لنفسه على خطّه من الخلاف الشديد و شقّ العصا، و قد علم أنّ ذلك لم يكن مما يتهيّأ لعبد اللّه بن مسعود، و لأنّه لو كان منه لعظم الخطب بينه و بين عثمان و الجماعة و يجرى فى ذلك ما تشيب منه النواصى، و ما يجب أن يهجم علمه على نفوسنا فيلزم قلوبنا، و فى عدم العلم بذلك دليل على أنّ ذلك لم يكن من عبد اللّه. و إن كان إنّما فعل ذلك سرا و فى خفية عن الناس فى بعض المصاحف فقد دلّ هذا الخوف منه/ أنّ أمر المعوّذتين فى المسلمين مشهور ظاهر، و أنّه [۲۰۴] لا يمكن لمسلم أن يكاشف بإنكارهما أو حكّهما من المصحف، و عبد اللّه أولى الناس بعلم ما عرفه المسلمون و إنكار ما أنكروه، على أنّه إن كان قد فعل ذلك فمن ذا الذى رآه منه و خبّر به عنه و هو قد استسرّ بذلك؟! و إن كان قد استسرّ بين جماعة يعلم أنّه لا يكتم عليه ما يظهرهم عليه من أفعاله و أقواله فليس ذلك بسرّ منه، بل يجب أن يكون ظاهرا عنه، و إن كان قد استسرّ به بحضرة الواحد و الاثنين ما يجب أن تضيف إلى عبد اللّه ذلك و يقطع عليه و من دينه بخبر واحد و من جرى مجراه ممّن لا يوجب خبره علما و لا يقطع عذرا، فيجب إذا كان ذلك كذلك إبطال هذه الرواية عنه. و قد روى عن عبد اللّه أنّه كان يحكّها بلفظ الواحد دون التثنية، و هذه الرواية خلاف رواية من روى: كان يحكّهما، فلعل بعض المنحرفين زاد فيه ميما، أو لعلّ بعض الرواة توهّم ذلك، أو لعلّ بعض الكتبة غلط فزاد ما يدلّ على الكناية عن الاثنين و هذا ليس ببعيد، و قد روى عبد الرحمن

بن زيد «۱ (______________________» ۱) هو النخعى، روى عن عمّه علقمة، و عن عثمان و ابن مسعود، و روى عنه منصور و الأعمش، أورده ابن سعد فى الثقات. «الكاشف» (۲: ۱۶۸). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۲۸ قال: «كان عبد اللّه يحكّها و يقول: لا تخلطوا به ما ليس منه» «۱» يعنى المعوّذتين، و هذا تفسير الراوى ليس هو النصّ من عبد اللّه على ذلك فيحتمل أن تكون التى حكّها هى الفواتح و الفواصل التى لا يجوز عنده أن تكتب فى المصحف على ما رويناه عنه و عن غيره فى باب الكلام فى بسم اللّه الرحمن الرحيم، فهذه الرواية التى ليس فيها لفظ التثنية تقوّى ما قلناه من تأويل ذلك عليه أو توهّمه، فقد روى عن عبد اللّه بن مسعود أنّه رأى خطأ فى مصحف فحكّه و قال: لا تخلطوا به غيره»، فيمكن أن يكون من رآه يحكّ لم يره يحكّ الخط، و قد كان سبق علمه بأنّه لا يكتب المعوّذتين فتسرّع إلى أنّه كان يحكّ المعوّذتين، فروى على التأويل أنّه كان يحكّهما. على أنّه لو روى بلفظ التثنية أنّه كان حكّهما لاحتمل ذلك التأويل، [۲۰۵] فيحتمل أن يكون كان يحكّ/ حرفين و قراءتين لم يثبتا عنده، و كلمتين قد كتبتا ملوّنتين، أو على وجه لا يجوز عنده. و يحتمل أيضا أن يكون المراد بلفظ التثنية أنّه كان يحكّ الفاتحة و الخاتمة، فعبّر عن جنس الفاتحة و الخاتمة اللتين كان يكتبهما بعض الناس (______________________۱) قضية أن ابن مسعود رضى اللّه عنه كان يحك من مصحفه المعوذتين، رواها الإمام أحمد فى «مسنده» (۵: ۱۳۰) قال: حدثنا عبد اللّه قال: حدثنى أبى: ثنا سفيان: عن عبده و عاصم عن زر قال: قلت لأبى: إنّ أخاك يحكّهما من المصحف، فلم ينكر، قيل لسفيان: ابن مسعود؟ قال: نعم، و ليستا فى مصحف ابن مسعود، و كان يرى رسول اللّه يعوّذ بهما الحسن و الحسين و لم يسمعه يقرؤهما فى شيء من صلاته، فظن أنهما عوذتان و أصرّ على ظنه، و تحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه؛ مع أنه صحّ عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم قال: «لقد أنزل علىّ آيات لم ينزل علىّ مثلهن، المعوّذتين»، رواه الطبرانى فى «الأوسط»، و رجاله ثقات، انظر «مجمع الزوائد» (۷: ۱۴۹). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۲۹ بلفظ التثنية، و قد رويت أخبار بأنّه كان يحكّهما ليس فيها ذكر المعوّذتين، و إذا كان ذلك كذلك حمل الأمر فيما روى عنه على ما وصفناه على بيانه. و لو ثبت عنه بنصّ لا يحتمل أنّه كان يحكّ الناس و الفلق من المصحف لاحتمل ذلك تأويلات عن إنكاره أن يكونوا قرآنا، فمنها أن يكون إنّما حكّهما لأنّه لم ير رسول اللّه صلى اللّه عليه كتبها بحضرته، و لا أمر بذلك فيهما، فاعتقد لهذا أنّ السّنّة فيهما أن لا يكتبا. و منها أن يكونا قد كتبا فى بعض المصاحف فى غير موضعهما الذى يجب أن يكتبا فيه و أن يكون الذى كتبهما حيث تيسّر له و إلى جنب البقرة لمّا حفظها، فحكّهما و أراد بقوله: «لا تخلطوا به ما ليس منه»: التأليف الفاسد الذى ليس منه، دون ذاتى السورتين. و منها أن يكون قد رآهما كتبتا بزيادة و نقصان و ضرب من التغيير فحكّهما لما لحقهما فى الرسم ممّا يفسد نظمهما و ترتيبهما و قال: «لا تخلطوا به ما ليس منه» يعنى: فساد نظمها و ترتيبهما، و لم ير فى ذلك شيئا لحقه الفساد و التغيير غيرهما فخصّهما بالذكر لهذه العلّة. و منها أن يكون إنّما حكّهما لأنّه كان من رأيه أن لا يثبت القرآن إلا على تاريخ نزوله، و أنّه يجب لذلك إسقاط رسم فاتحة الكتاب و المعوّذتين لأنّهما قد جعلتا خاتمتين فى التلاوة، و تقديم نزولهما يمنع من تأخيرهما فى الرسم و إن تقدّم عليهما ما نزل بعدهما، فحكّهما لذلك و قال: «لا تخلطوا به ما ليس منه»، يعنى بذلك إن ختموه فى القراءة و التلاوة بهذه الخاتمة و افتتحوه بالفاتحة، و لا تكتبوهما على غير تاريخ نزولهما. و إذا كان ذلك كذلك و احتمل حكّهما ما وصفناه بطل من زعم أنّه يجب حمل هذا الفعل منه على جحد المعوّذتين و إنكار كونهما قرآنا، و فى بعض الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۳۰ [۲۰۶] هذه الجملة دلالة باهرة واضحة على/ أنّ هذه الأخبار متكذّبة على عبد اللّه بن مسعود لا أصل لها، أو محمولة متأوّلة على ما قلناه دون الجحد و الإنكار منه لكونهما قرآنا، و أنّه لا خلاف بين سلف الأمّة فى كون المعوّذتين قرآنا منزلا و كلاما للّه تعالى، و أنّ النقل لهما و العلم بهما جار مجرى نقل جميع القرآن فى الظهور و الانتشار و ارتفاع الرّيب فى ذلك و النزاع. و أمّا اعتراضهم بأنّه لو كان نقل القرآن ظاهرا مشهورا عندهم لم يحتج أبو بكر فى إثبات ما جمعه منه إلى شهادة شاهدين عليه، و لم يشكّ زيد فى آيات منه لمّا جمعه فى أيّام عثمان؛ فسنقول فى ذلك قولا بيّنا عند القول فى جمع أبى بكر القرآن

و جمع عثمان الناس على مصحفه، و نجيب هناك عن جميع ما يسوغ التعلّق به إن شاء اللّه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۱

باب ذكر اعتراضهم فى نقل القرآن بما روى عن النبيّ صلى اللّه عليه و سلّم

اشارة

باب ذكر اعتراضهم فى نقل القرآن بما روى عن النبيّ صلى اللّه عليه و سلّم من قوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلّها شاف كاف»، و وصف تواتر الأخبار بذلك، و ذكر تأويلها و اختلاف الناس فى تفسيرها، و هل نصّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم للأمّة على جميعها و جملتها و تفصيلها و وقفهم على إيجابها على حسب نصّه و توقيفه على نفس القرآن و جميع ما ظهر من دينه من الأحكام أم لا، و وصف ما نختاره فى هذه الفصول فإن قالوا: كيف يجوز لكم أن تدّعوا أنّ ظهور نقل القرآن، و ما يجب له و فيه، و أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه ألقى ذلك إلى من تقوم الحجّة بنقله و يجب العلم بخبره، و أنتم قد رويتم روايات كثيرة متظاهرة عن النبى صلّى اللّه عليه أنّه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلّها شاف كاف» «۱»، ثمّ

(______________________________ ۱) هذا الحديث و ما شاكله من الروايات عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ورد من عدة طرق صحيحة أجملها بما يلى: هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها النسائى فى «السنن الكبرى» (۲: ۵ كتاب فضائل القرآن، باب على كم نزل القرآن، برقم ۷۹۸۶)، و رواه الإمام أحمد (۸: ۷ برقم ۲۱۱۵۰)، و بألفاظ أخرى متفاوتة رواه البخارى من حديث عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه (۶: ۴۱۷)، و رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب و أبيّ بن كعب (۱: ۵۶۰ الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۲ أنتم مع ذلك مختلفون فى تأويل هذه السبعة الأحرف و مدهشون فى تفسيرها و لا تعرفون شيئا تحكونه عن النبيّ صلّى اللّه عليه فيها. فإن كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه عندكم قد بيّن هذه الأحرف السبعة و نصّ عليها، و عرف أجناس اختلافها و ما هى، و كيف يجب أن يقرأ بها، [۲۰۷] و أوضح ذلك و قطع العذر/ فيه و أنتم مع هذا مختلفون فى ذلك الاختلاف الكثير، فلا تجدون خبرا تروونه عن النبى صلّى اللّه عليه فى تفصيل هذه الأحرف السبعة و النصّ عليها و التعريف لكل شىء منها، إمّا لانقطاع الخبر عن النبيّ صلّى اللّه عليه عن ذلك أو دثوره، أو لعناد الأمّة و غلط سائر النّقلة أو لغير ذلك، فما أنكرتم أن يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه قد نصّ على قرآن كثير شهر أمره و أعلن النصّ عليه و قطع العذر فى بابه، و إن جاز أن يجهله بعض الأمّة و ينكره و يذهب عن معرفته، و جاز أيضا أن ينقطع ذكره و يعفو أمره و يهى نقله و يندرس ذكره، حتى يصير إلى حدّ ما لا يروى عن النبيّ صلّى اللّه عليه، و لا يذكر كما جرى مثل ذلك فى اندراس ذكر تفصيل الأحرف. و إن كان الرسول صلّى اللّه عليه عندكم لم يبيّن هذه الأحرف التى أنزل القرآن بها و جرت الأمّة فى القراءة بأيّها شاءوا، و أمروا أن يعتقدوا أنّها كلّها منزلة من عند اللّه و مما لا يجوز ردّه و إنكاره و تسخّطه، و أنّ ذلك رخصة منه و تيسير على عباده و استصلاح لخلقه، و مما يجب أن يعلموا أنه منزل من

______________________________ برقم ۵۶۱)، و رواه الإمام أحمد من حديث أبيّ بن كعب (۸: ۳۳ برقم ۲۱۲۳۴)، و (۸: ۴۱ برقم ۲۱۲۶۲)، و رواه الترمذى من حديث أبيّ بن كعب (۴: ۱۷۸)، و رواه الطبرانى فى «تفسيره» من حديث أبى هريرة (۱: ۱۹). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۳ وحيه و مشروع فى دينه، أو بيّنها لآحاد و أفراد من أمّته لا يحتجّ بخبرهم و لا يقطع العذر نقلهم، فما أنكرتم أيضا من أنّه يجوز أن لا يبيّن كثيرا من القرآن الذى أوحى به إليه، و لا ينصّ عليه و لا يبلّغ كثيرا من فرائض الدّين و نوافله و ما شرع للأمّة معرفته و أن يصدف عن ذكره جملة، أو يثبته لآحاد و أفراد لا تقوم الحجّة بهم، و لا يوجب العلم خبرهم، كما صنع ذلك فى الأحرف التى أمر بتعريفها و بلاغها و النصّ عليها. قالوا: و هذا مما لا جواب لكم عنه، و هو من أدلّ الأمور على تخليطكم هذا، على أنّكم قد رويتم أيضا فى هذه الأخبار تفسيرا لهذه السبعة الأحرف عن النبيّ

صلّى اللّه عليه و الصحابة لا- يجوز و لا- يمكن أن تكون تفسيرا لها على قولنا و قولكم، لأنّكم رويتم أنّها تحليل و تحريم و وعد و وعيد و قصص و أمثال و أمر و نهى، و أنتم مع هذا ترون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال: «فاقرءوا كيف شئتم»، و قال فيمن قرأ عليه بالأحرف/ المختلفة: «أصبتم [۲۰۸] و أحسنتم»، و أنّه قال: «فبأيّها قرأتم فقد أصبتم و أحسنتم»، فيجب على قولكم و روايتكم هذه أن يكون من جعل مكان الأمر نهيا و موضع الوعيد وعدا و مكان القصص أمرا و نهيا فقد أصاب و أحسن و أجمل، و هذا جهل من قائله و خلاف دين المسلمين. و كيف يكون أمر القرآن فيهم ظاهرا مشهورا، و قد رويتم فى هذه الأخبار أنّ أبيّا و عمر بن الخطّاب و عبد اللّه بن مسعود نافروا هشام بن حكيم و غيره لمّا قرأ بخلاف قراءتهم و ردّوها حتى ترافعوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه فأقرّهم جميعا على ما قرءوا به، و شهرة القرآن توجب علمهم جميعا به. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۴ ثم رويتم بعد ذلك كلّه ما ينقض ما رويتموه أولا! لأنّكم قد رويتم عن النبىّ صلى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «أنزل القرآن على أربعة أحرف» «۱»، و أنّه قال مرة أخرى: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف» «۲»، و هذا ينقض أن يكون أنزل على سبعة أحرف. و هذا كلّه يدلّ على أنّ أمر القرآن لم يكن مشهورا عندهم و لا- كان عذرهم بيّنا منقطعا، و أنّهم لم يعلموا فى جميع ما كانوا فيه على نصّ الرسول فى ذلك، بل اجتهدوا و استحسنوا و استعملوا غالب الظنّ و الرأى و تغيّروا و تأمّروا و عدلوا عن معرفة الصواب و أخذ الأمر عن أهله، و من أمر بالرجوع إليه، و أن لا- يفرّقوا بين الكتاب و بينه حيث قال لهم صلّى اللّه عليه: «إنّى مخلّف فيكم الثقلين و ما إن تمسكتم به لم تضلّوا: كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى، ألا و إنّهما حبلان ممدودان و لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» «۳».

(____ ۱) هذا الحديث بلفظ أربعة أحرف

عزاه فى «كنز العمال» (۲: ۵۵ برقم ۳۰۹۸) إلى الطبرى و إلى أبى نصر السجزى و ابن المنذر و ابن الأنبارى فى «الوقف و الابتداء» عن ابن عباس، و لا يصحّ. (۲) رواه الحاكم فى «المستدرك» (۲: ۲۲۳)، و الطبرانى فى «المعجم الكبير» (۷: ۲۰۶ برقم ۶۸۵۳)، و الطحاوى فى «مشكل الآثار» (۸: ۱۳۵ برقم ۳۱۱۹). (۳) رواه مسلم فى «صحيحه» (۴: ۱۸۷۳ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل على، برقم ۲۴۰۸) بنحوه، و الإمام أحمد فى «المسند» (۸: ۱۳۴، ۱۵۳ برقم ۲۱۶۳۴ و ۲۱۷۱۱)، و الطحاوى فى «مشكل الآثار» (۹: ۸۸ و ۸۹ برقم ۳۴۶۳، ۳۴۶۴)، و الطبرانى فى «الكبير» (۵: ۱۸۵ برقم ۴۹۶۹، ۴۹۷۱)، ۵: ۱۹۰ برقم ۴۹۸۰، ۴۹۸۱، ۴۹۸۲)، و الترمذى (۵: ۶۶۳ كتاب المناقب برقم ۳۷۸۸)، و الدارمى فى «السنن» (۲: ۳۲۰ برقم ۳۳۱۶)، و ابن خزيمة فى «صحيحه» (۴: ۶۲ برقم ۲۳۵۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۵ قالوا: على أنّ فى الخبر إحالة عن وجوه أخر، منها: - أنّه لا- يجوز أن يقال: أنزل القرآن على سبعة أحرف قبل نزول جميع القراءات الكاملة، و أنتم ترون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال ذلك قبل موته بدهر طويل، فهذا إحالة منكم. و منها: أنّ فى الخبر ما يوجب إبطاله، لأنّه إذا نزل القرآن على سبعة أحرف أدّى ذلك إلى الاختلاف و النزاع و الهرج و الرّيب و الشكّ و إلى مثل ما رويتم أنّه جرى بين عمر/ و هشام بن حكيم «۱» و أبىّ و عبد اللّه بن مسعود مع [۲۰۹] من سمعوه يقرأ بخلاف ما أقرأهما الرسول صلّى اللّه عليه حتى شكّ أبىّ و اضطرب على ما رويتم، و ذلك ما لا يجوز ردّه. فيقال لهم: ليس فى جميع ما وصفتم شىء يعترض على نقل القرآن و لا- يوهنه و لا يوجب دخول زيادة فيه و لا نقصان منه، و لا تغيير له و لا إمكان ذلك فيه، و ليس الخبران اللذان يذكر فيهما أنّ القرآن أنزل على أربعة أحرف و ثلاثة أحرف مناقضين للخبر الذى فيه أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، و ليس منافرة عمر بن الخطّاب لهشام بن حكيم، و منافرة أبىّ و عبد اللّه لمن نافراه و استشنعا قراءته بدليل على أنّ أمر القرآن نفسه و ما أنزل منه لم يكن ظاهرا معلوما عندهم، و كذلك ليس اختلافنا نحن اليوم فى تأويل هذه السبعة الأحرف دليلا على أنّ نصّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه على نفس القرآن و تأليف آيات سوره لم يكن ظاهرا مشهورا، و نحن نبيّن ذلك بما يوضّح الحقّ إن شاء اللّه.

(____ ۱) هشام بن حكيم بن حزام بن

خويلد القرشى الأسدى، صحابىّ جليل، مات قبل أبيه، كان أمّارا بالمعروف ذا فضل. «التقريب» (۲: ۲۶۶)، «الكاشف» (۳: ۱۹۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۳۶ فأمّا شهرة أمر القرآن نفسه و ظهور نصّ الرسول صلّى اللّه عليه على جميع ما أنزله اللّه على طريقة

واحدة و وجه يوجب العلم و يقطع العذر، فقد بيّناه و أوضحناه من قبل بما يغنى عن إعادته، و ليس يوجب ذلك عندنا على الرسول و لا فى حكم التعبّد و الشريعة أن ينصّ الرسول لكافّة الأمّة أو من تقوم به الحجّة على كلّ حرف من تلك الحروف و الفصل بينه و بين غيره، و أن يوقفه على أنّ هذا الحرف الذى أقرأتك به أو الحروف التى أقرأتك بها هى من جملة الحروف السبعة التى أنزلها اللّه تعالى دون وجوه أخر قد كان أنزلها فيما سلف و مما نزل من القرآن، و وجوه قد كان يقرئ بها. و لا يمتنع و لا يستحيل أن يكون الرسول عليه السلام قد أعلم فى الجملة أنّ القرآن قد أنزل على سبعة أحرف و أوجه نصّ له عليها و على تفصيلها، و خيّر فى أن يقرئ أمّته مجتمعين و متفرّقين كيف أحبّ و شاء على أىّ وجه سهل عليه و على الأخذ عنه و تيسّر له، و أن يقرئ واحدا منهم [۲۱۰] جميع السبعة الأحرف فى سور كثيرة من القرآن أو فى جميعه و لا ينصّ/ له على أنّ هذه الوجوه على السبعة الأحرف أو من السبعة الأحرف، و يقرئ آحادا منهم بواحد منها فقط و لا ينصّ له على أنّه أحد الأحرف السبعة، فيظنّ القارئ أنّ ذلك الوجه ليس هو من السبعة الأحرف، و يقرئ آخر باثنين منها أو ثلاثة و لا يعرّف ذلك كما لم يعرّف الواحد، فلا يخرج عليه السلام من الدنيا حتى يقرأ جميعها على هذه السبيل و إن لم يكن منه نصّ على تفصيلها لكلّ آخذ عنه و إن كانت قد حصلت لجميعهم و عرفت عندهم على السبيل الذى وصفناه، و أن يكون تعالى قد علم أنّ إلقاء هذه الأحرف و بيانها على هذه السبيل من الجملة دون التفصيل من أصلح الأمور للأمّة و أدعاها لهم إلى الإيمان و قبول القرآن و الحرص على حفظه و دراسته، و أنّه لو الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۳۷ جمعهم و نصّ لهم على تفصيل عدد هذه الأحرف و جنس اختلافها لنفروا عن طاعته و خالفوا رسوله. و إذا لم يمتنع هذا ساغ أن يكون بيانه لهذه الأحرف لم يقع إلى كلّ واحد منهم و إلى جماعتهم مفصّلا مبيّنا بيانا يمكن أن يتقنه و يحكمه، و إن كان الرسول قد لقّن تلك السبعة الأحرف جميع الأمّة على سبيل ما وصفناه، حتى إنّه لم يبق منها حرف إلا و قد أقرأ به بعض أمته و نصّ على جوازه. و نظير ذلك أنّ إنسانا منّا لو عرف قراءة السبعة الأحرف و علم ذلك من حاله و اتساع معرفته بالقراءات ثم آثر أن يقرئ الناس بالجائز من ذلك و أن لا يلقّن كلّ أحد حرفا مجرّدا على وجهه من هذه الأحرف لساغ له و جاز أن يقرئ بعض الناس بحرف أبى عمرو «۱» و لا يعرّفه أنّه حرفه، و يقرئ آخر شيئا من القرآن بحرف ابن عامر «۲»، و شيئا منه بحرف عاصم و يقرئ آخر شيئا بحرف حمزة «۳»، و شيئا بحرف ابن كثير، و شيئا بحرف يعقوب الحضرمى «۴»، ثم لا يعرّفه تفصيل هذه الحروف بل يعلّمه أنّ ذلك كلّه شائع

(۱) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان المازنى النحوى القارئ، اسمه زبّان أو العريان أو يحيى، و الأول أشهر، ثقة من علماء العربية، من الخامسة، مات سنة أربع و خمسين و مائة، أحد القرّاء السبعة. «التقريب» (۱: ۶۶۰). (۲) عبد اللّه بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبى الدمشقى المقرئ، أبو عمران، ثقة من الثالثة، مات سنة ثمانى عشرة و مائة، أحد السبعة القرّاء. «التقريب» (۱: ۵۰۴). (۳) حمزة بن حبيب بن عمارة، أبو عمارة الزيّات، أحد القرّاء السبعة، من الطبقة الرابعة، ولد سنة ثمانين و أدرك الصحابة بالسن، توفى سنة ستّ و خمسين و مائة. «معرفة القراء» (۱: ۱۱). (۴) يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمى مولاهم، أبو محمد المقرئ النحوى، صدوق، أحد الثلاثة المتممين للعشرة، من صغار التاسعة، مات سنة خمس و مائتين. «التقريب» (۲: ۳۳۷). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۳۸ جائز و أنّه حقّ و صواب: لكان ذلك من فعله حسنا جائزا و لا سيّما إذا كان ذلك أسهل عليه و أيسر. و إذا ظنّ أن أخذه على المتعلّم بالجائز أقرب عليه و أسهل و أن تجويز [۲۱۱] إقرائه/ بحرف على وجهه مما يشقّ و يصعب و ينفّره عن الحفظ و الضبط؛ فكذلك الرسول عليه السلام إذا خيّر فى إقراء الناس بالسبعة الأحرف المنزلة عليه و جعل له فعل الأخفّ عليه، و لم يؤخذ عليه تفصيل تعريف ذلك الناس، و ظنّ أنّ إقراءهم بالجائز من ذلك أسهل عليهم و أيسر: جاز له له تلقينه على هذه السبيل و أن يقرئ ربع القرآن بحرف منها و يقرئ الربع الآخر بحرف آخر و يقرئ كلّ سبع منه بحرف من تلك السبعة، و يخلط ذلك فلا يفصّله تفصيلا تعرفه الأمة و الآخذون عنه حرفا من حرف، بل يظنون ذلك حرفا واحدا من السبعة يقرأ على وجهين و ثلاثة أو سبعة، أو حرفان منها يقرءان على تلك الوجوه. و يجوز أن تكون هى كلّ السبعة قد أقرئوا بها شائعا فى جميع القرآن، و يكون ذلك أصلح لهم و أنفع و أقرب إلى تحفّظهم و حرصهم و تسهيل دواعيهم على جميع

القرآن و معرفة تأويله و أحكامه دون عدد حروفه، و تجريد كلّ حرف منه، غير أنّه لا بدّ فى الجملة من أن يشتهر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم جملة ما أقرأ به من الحروف، إما بتلقّيه منه أو بالإخبار به عنه، و إن لم يعرف بذلك تفصيل السبعة الأحرف. فإن قال قائل: فهذا الذى ذكرناه من إقراء الرسول و الصحابة على هذا الوجه يوجب أن تكون الصحابة غير عالمة بأنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف و لا متّبعين لذلك: أنّها إذا لم تعرف و لا كلّ واحد منها تلك السبعة الأحرف و تفصّيلها لم تكن عالمة بأنّه منزل على سبعة أحرف. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۳۹ يقال له: لا يجب ما قلته لأجل أنّهم إذا ظهر بينهم نصّ الرسول صلّى اللّه عليه بأنّه منزل على سبعة أحرف و يكون ذلك على أسماعهم و عند التنازع و الترافع إليه و تواتر الخبر بذلك عنه على من لم يسمعه من فيه: حصل لجميعهم العلم بأنّه على سبعة أحرف، و إن لم يعرفوا تفصيل ذلك و ظنّوا أن بعضها إذا سمعوه و لم يكن تقدّم علمهم به ليس منها، و لهذا أن يعلم اليوم أكثر الناس بالخبر المتواتر أنّ للقرّاء السبعة سبعة أحرف يقرءونها لا يشكّون فى ذلك، و إن لم يعرفوا تفصيلها و لم يحيطوا علما/ بجميعها، و لم يعلموا [۲۱۲] أنّ بعض ما يسمعونه يقرأ بشيء منها هو من جملتها، و كذلك أكثر الناس يعلم أنّ للرسول أحكاما كثيرة هى معظم دينه و جلّ شريعته، و إن لم يعرف تفصيلها، و لم يحفظ ألفاظ نصوصه صلّى اللّه عليه عليها، و جوّز إذا لم يكن من أهل هذا الشأن أن يكون بعض ما يحكى له من الأحكام و يذكر له فيه من الآثار ليس من جملة ما استقرّ فى دينه و لا مما قاله و نصّ عليه. و لهذه العلة بعينها ساغ لأبىّ و عمر بن الخطّاب و عبد اللّه بن مسعود أن ينكروا بعض القراءات التى سمعوها مخالفة لما لقّنوه من الرسول، لأنّهم لمّا لم يكن كلّ واحد منهم يحفظ جميع هذه الحروف و يحيط علما بتحصيلها و تفصيلها، و لم يكن من سمعوه يقرأ ممّن يوثق بضبطه و حفظه أو ممن يسكن السكون التامّ إلى رضائه و أمانته، ظنّوا به الغلط أو التحريف أو القراءة على المعنى أو التساهل فى ذلك، و كان أمر القرآن عندهم أشدّ و أضيق من أن يقع فيه ضرب من التساهل أو التغافل، فلذلك خرج عمر و أبىّ و عبد اللّه إلى ما خرجوا إليه، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما حاولوه من القدح فى نقل القرآن متى لم يبيّن الرسول جميع هذه الأحرف و يفصّيلها لكلّ الأمّة مجتمعين أو لكل واحد من الأمة، و زال جميع ما طالبوا به. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۰ فإن قالوا: فإذا قلتم إنّ الرسول صلّى اللّه عليه لم يكن يبيّن لكلّ واحد ممّن يقرئه جميع الأحرف و الوجوه التى نزل القرآن عليها و يفصّيلها لكل الأمة مجتمعين، و أنّه كان يقرئهم قراءة مختلفة من تلك الحروف و على سبيل ما تيسّر له: وجب أن لا تقوم الحجّة على الأمّة بكلّ حرف مما أقرأ به، و أن لا يتيقّن ذلك من دينه، و أن يجد الملحد و المعاند سبيلا إلى إدخال حرف و وجه فى القرآن ليس هو مما أنزل على الرسول، و يعمل له إسنادا و طريقا و يضيفه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و يدخل بذلك فيما أنزل اللّه تعالى من الوجوه ما لم ينزله، و يفسد القرآن و يوقع الشبهة و الإلباس على أهل [۲۱۳] الإسلام،/ كما زعمتم من قبل أنّه لو كان يبيّن بعض القرآن بيانا خاصّا لا تقوم به الحجّة لصار ذلك طريقا إلى أن يدخل فى القرآن كلمات و آيات تقصر عن حدّ المعجز، و أن يضاف ذلك إلى الرسول أو أن يكون ذلك ذريعة إلى الشبهة و الإلباس، و هذا ما لا فصل لكم فيه. يقال له: لا يلزم ما وصفته، لأنّنا قد قلنا من قبل إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و إن كان لم يبيّن تفصيل الحروف السبعة لكلّ واحد ممّن أقرأه و أخذ عنه و لا جمع الأمّة و وقفهم على ذلك، و أنّه كان يقرئ بما يسهل و ييسّر له و للمتعلّم منه، فإنّه لا بدّ أن يظهر عنه و يستفيض كلّ وجه و حرف قرأ به و أقرأه، إما بتكرّر سماع ذلك منه أو بالنّقل له عنه، و لا بدّ أن يبلغ الحديث و السماع فى طول تلك السنين، و تكرير عرضه صلّى اللّه عليه القرآن على جبريل عليه السلام فى كلّ عام، و عرضه إيّاه مرتين فى العام الذى مات فيه، و تكرّر قراءته و إقرائه إيّاه و أخذه عنه مبلغا يظهر و يستفيض حتّى يزول عن الناس فيه الرّيب و الشكّ، و أنّه مما قرأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و أقرأ به. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۱ كما أنّه لا بدّ إذا بيّن الآية إذا نزلت عليه فى منزله لأهله و قرابته و من حضره من الآحاد من أن يبيّنه أيضا لغيرهم و من أن يتحدّث بذلك عنه، و من أن يبلغه الحديث به عنه و دعوى نزوله له عليه، و أنّه ممّا ألقاه و بلّغه حتى يبلغ مبلغا يزول معه الرّيب و الشكّ فى أنّه مما أنزل عليه و بلّغه، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما ظننته و بطل ما حاولته. و نظير هذا أنّنا إذا عرفنا عدالة رجل فى وقتنا هذا و طهارته و شدّة تديّنه و حسن منسكه و علمه بقراءة الأئمة السبعة و أنه يقرئ الناس بها، غير أنّه لا يجرّد كلّ حرف منها و

يفرد للأخذ عنه و لا يبيّن ذلك له و يفصّله و يقول له: هذا حرف فلان و هذا حرف فلان و رواية فلان: لا يمتنع علينا مع ذلك أن نعلم أنّ الحروف و الوجوه التى يقرئ بها هى الأحرف السبعة المشهورة و يتيقنها، و إن كنّا لا نعرف تفصيلها و نعلم أنّه لم يفصّلها للآخذين/ عنه، و أن [۲۱۴] نعلم مع ذلك كذب من يكذب عليه و أضاف إليه القراءة بالشّواذ، و مما يستنكر و لا يجوز مثله و مما لم يقرئ به أحدا لأنّه و إن كان لا يجرّد لكلّ أحد عنه حرفا واحدا يقرئه جميع القرآن به، فإنّه مع ذلك قد اشتهر عند كلّ وجه و حرف مما يقرئ به و عرف من رأيه، فإذا أضيف إليه مع ذلك أنّه يقرأ أو كان يقرئ فى أيّام حياته قراءة ابن شنبوذ و الشّواذّ المنكرة، و القراءة المرويّة عن السبعة علمنا بكذب ذلك عليه لشهرة ما كان يقرئ به عنه و العدول عمّا سوى ذلك، و إن كان يقرئ قراءة مختلطة ممتزجة من قراءة جميع الأئمة. و كذلك الرسول إذا كان لم يمت حتى ظهر عنه و انتشر جميع الوجوه و الأحرف التى كان يقرئ بها و يداوم عليها و لا يقرئ بغيرها لم يسغ أن يتوهّم عليه متوهّم صحّة ما يروى عنه أنّ ما كان يقرئ به: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فإذا (قرأه) فاتّبع (قراءته) [القيامة: ۱۷] و أنّه كان يقرئ: وَ كَفَى الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۴۲ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ (بعليّ) [الأحزاب: ۲۵]، و أمثال هذا إذا كان قد ظهر و انتشر عنه جميع ما أقرأ به و ليس هذا من جملته، و إذا كان ذلك كذلك فقد بطل ما سألوا عنه بطلانا ظاهرا. فأمّا قولهم: كيف يسوغ أن تدّعوا ظهور إقراء الرسول بهذه الوجوه و أنتم تختلفون فى تفسيرها فإنّه لا تعلّق فيه، لأنّنا قد بيّنّا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه أقرأ بجميعها و ظهر منه ذلك، و أنّه مع هذه الحال لم يفسّر تلك الوجوه و يسمّى كلّ شيء منها باسم يخصّه، فنحن نعلم فى الجملة أنّه منزل على سبعة أحرف و أنّ الرسول قد بلّغها و أقرأ بها و ظهرت عنه، و إن اختلف فى تأويلها لعدم نصّه على التأويل و التفسير، كما أنّنا نعلم أنّ ما بلّغه قرآن من عند اللّه، و أنّه قد بيّنه و ظهر عنه و قامت الحجّة بأنّه كلام اللّه تعالى، و إن كنّا نختلف فى تفسير كثير منه و نتنازع فى تأويله الذى لم ينصّ لنا صلّى اللّه عليه و لا وقفنا عليه، فاختلافنا فى تفسير الآية لا يمنعنا من العلم بأنّها قرآن، [۲۱۵] و كذلك اختلافنا فى تأويل/ السبعة الأحرف و الأوجه لا يمنعنا من العلم أنّه منزل على سبعة أحرف، و أنّ الرسول صلّى اللّه عليه قد بلّغها و أقرأ بها، فبطلت بذلك شبهتهم باختلاف الأمّة فى هذا الباب. و أمّا قولهم: إنكم قد رويتم فى تفسير هذه الأحرف ما لا يمكن و لا يجوز فى صفة الرسول أن يفسّرها به، نحو رواية من روى أنّها: أمر و نهى و قصص و مواعظ و أمثال و حلال و حرام و نحو ذلك، و أنّه لا يجوز أن يكون الجاعل مكان الأمر نهيا و موضع الوعظ مثلا و مكان الوعد وعيدا: محسنا مصيبا، و أنتم قد رويتم أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه قال لكلّ مختلفين فى هذه الأحرف: «أحسنتما و أصبتما»، و «هكذا أقرأتكما»، و الرسول عليه السلام يجلّ من هذه الصفة و يرتفع عن هذه الرتبة، بل يجب تبرئة أدنى المؤمنين الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۴۳ منزلة عن ذلك، فإنّه باطل لا تعلّق لهم فيه، و ذلك أنّ إخباره عليه السلام بأنّ القرآن منزل على سبعة أحرف و أوجه من القراءات كلّها جائزة و حسنة و صواب، لأنّها فى الخبر، غير أنّه قد أنزله على سبعة أحرف هى أوجه أخر منها أمر و منها نهى و منها وعد و منها وعيد و منها قصص و أمثال و تحليل و تحريم، فلا تكون هذه السبعة هى التى إذا اختلف المختلفون فيها و جعلوا مكان كلّ شيء منها غيره فقد أحسنوا و أصابوا، بل لا يمتنع أن تكون هذه السبعة الأوجه و الأقسام قسما من السبعة الأحرف التى أنزل اللّه القرآن عليها، و باقى السبعة يصوّب المختلفون فيها سوى هذا الوجه، و لا يمتنع غير ذلك على ما سنشرحه فيما بعد إن شاء اللّه، و إذا كان ذلك كذلك بطل توهّمهم لتعارض هذين الخبرين، و إحالة هذا التفسير على الرسول عليه السلام. و أمّا قولهم: إنّ روايتكم فى هذا متناقضة لأجل أنّكم قد رويتم عن النبيّ صلّى اللّه عليه أنّ القرآن نزل على ثلاثة أحرف، و أنّه قال فى خبر آخر: «أنزل على أربعة أحرف»، فإنّه أيضا لا شبهة فيه لعالم و لا تعلّق، و ذلك أنّ أوّل ما فى هذا الباب أنّ الثلاثة و الأربعة/ داخل فى السبعة، فيمكن أن تكون [۲۱۶] هذه الأحرف أنزلت أولا فأوّل، و أنزل منها ابتداء ثلاثة فقط، ثم زيد الرسول عليه السلام رابعها، ثم زيد ثلاثة فصارت سبعا، هذا غير ممتنع لو لا أنّ فى لفظ إخبارنا بأنّه أنزل على سبعة ما يمنع هذا التأويل، و لكن لهم من الزيادة ما لم يدخلوه فى شيء من اعتراضهم، و هو أنّ فى كثير من الروايات أنّ الملك قال: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذى معى عن شمال: على حرفين، فقال الملك: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال: على ثلاثة، إلى أن بلغت سبعة أحرف، و هذا اللّفظ يقتضى أن يكون قد أقرئ

بالسبعة جملة، و شرع له ذلك فى مجلس واحد، على أنّه يحتمل أن تكون بعض تلك الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۴ الأحرف السبعة يقرأ على ثلاثة أوجه كلّها جائزة، و بعضها يقرأ على أربعة أوجه تسمّى أحرفا كلّها جائزة، فيكون قوله: أنزل على أحرف و أربعة أحرف منصرفا إلى وجهين من وجه القراءات السبعة، يقرأ أحدهما على ثلاثة أوجه و الآخر على أربعة أوجه، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه من التعارض. و يحتمل أيضا أن تكون الثلاثة الأحرف و الأربعة اللاتى خبّر فى هذين الخبرين و أنّ القرآن أنزل عليها غير الأحرف السبعة التى خبّر فيها، و ليس يمتنع أن ينزل القرآن على سبعة أحرف و ينزل أيضا على أربعة أحرف و ثلاثة أوجه أخر غير الأربعة و غيّر السبعة على ما نبيّنه فيما بعد، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموا من تعارض هذه الأخبار و تنافى موجبها. و أما قولهم: كيف يكون أمر القرآن ظاهرا مشهورا و عمر و أبيّ و عبد اللّه يناكرون من قرأ خلاف قراءتهم و ينافرونه و يرافعونه إلى الرسول، و قد قلنا فى ذلك من قبل ما يغنى عن إعادته، و هو أنّ الرسول كان يقرئهم قراءة من وجه من السبعة الأحرف، و لم يكن كلّ واحد منهم يعرف جميعها و لم تكن [۲۱۷] الأخبار/ بذلك ظهرت و استفاضت بجميع ما يقرئه الرسول على الأوقات، فلذلك أنكروا خلاف ما لقّنوه عن الرسول. و يحتمل أن يكون الرسول كان يقرئ عمر و أبيّا و عبد اللّه بوجوه و أحرف جائزة قبل نزول هذه السبعة الأخر التى خبّر الرسول عنها، ثم نزلت هذه الأحرف و أقرأ بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وقت نزولها أو يوم ذلك، و لم يكن انتشر عنه، فلمّا سمع القوم ذلك أنكروه و احتاجوا إلى البحث عنه و سؤال الرسول عن صحّته. و يحتمل غير هذا ممّا لعلّنا أن سنذكره فيما بعد إن شاء اللّه، و إذا كان ذلك كذلك بطل قدحهم فى ظهور نقل القرآن بإنكار هذه الفرقة ما لم يكن الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۵ تقدّم سماعها له، و لم يمرّ من الزمان و تطاول الوقت ما يقتضى ظهوره و حصول الغنى عن السؤال عنه، و هذا يبطل جميع ما عوّلوا عليه و موّهوا به فى نقل القرآن و عدم قيام الحجّة. فإن قال منهم قائل: إنّ فى خبركم هذا إحالة و تناقضا ظاهرا من وجه آخر، و هو أنّه قد ثبت و علم أنّ القرآن لم ينزل على الرسول صلّى اللّه عليه جملة واحدا و إنّما نزل فى نيّف و عشرين سنة، و أنّه لم يتكامل نزوله إلا عند تقارب وفاة الرسول صلّى اللّه عليه و آخر عهده بالدنيا، و هذا الخبر الذى رويتموه لا شكّ أنه قد قاله قبل موته بدهر طويل و قبل نزول كثير من القرآن، فهذا تناقض بيّن. يقال له: لا يجب ما قلته، لأنّ من الناس من يقول: إنّ هذا الظاهر لا يقتضى أكثر من أن يكون فى القرآن كلمة واحدة أو اثنتين تقرأ على سبعة أوجه، فإذا حصل ذلك فيه وفّى الخبر حقّه و موجبه، و منهم من يقول: ذلك إنّما يستعمل إذا قرئ جملة القرآن أو كثير منه على سبعة أحرف و أوجه، و هذا هو الذى نختاره، و سندلّ على ذلك فيما بعد إن شاء اللّه. و إذا كان ذلك كذلك و لم ينكر أن يكون النبيّ صلّى اللّه عليه قد قال هذا القول بعد أن نزل شطر/ القرآن أو ثلثاه أو ستة أسباعه: ساغ أن يقال إذ ذاك [۲۱۸] إنّه منزل على سبعة أحرف، و يعنى بذلك صلّى اللّه عليه هذا الذى نزل، و يكون جبريل عليه السلام قد أخبره أنّ قدر ما نزل عليك هو معظم القرآن و كثيره، و أنّ ما ينزل عليك فيما بعد قليل بالإضافة إليه، فيحسن لذلك، و جاز أن يقال: أنزل القرآن على سبعة أحرف لأنّ معظمه قد أنزل كذلك، فبطل بذلك ما قلتموه. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۶ و لو حمل الأمر فى هذا على أنّ قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف لا بدّ أن يتناول كلّ سورة لوجب أن يحمل على أنّه قد أريد به أنّ كلّ آية منه تقرأ على سبعة أوجه، و على أنّ كلّ كلمة من الآية يجب أن تقرأ على سبعة أوجه، بل يجب أن يحمل على أنّ كلّ حرف من حروف الكلمة منه تقرأ على سبعة أوجه، و لمّا لم يجب ذلك كما لا يجب إذا قلنا هذه القصيدة تنشد على وجهين، و هذه الخطبة و الرسالة تروى على وجهين، و مصنّف فلان فى الفقه يروى على وجهين، أن يكون كلّ بيت من القصيدة، و كلّ مصراع و كلّ كلمة و كلّ حرف من الكلمة تنشد على وجهين، و كلّ مسألة من الكتاب و كلّ كلمة منه تروى على وجهين؛ لم يجب إذا قيل إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف أن تكون كلّ سورة منه و كلّ آية و كلّ كلمة و كلّ حرف من الكلمة منزلا على سبعة أحرف، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما ظنّوه من إحالة هذا القول. على أنّه قد يجوز أيضا أن يكون جبريل لما أقرأ الرسول عليهما السلام فى ابتداء أمره شيئا من سور القرآن أنزل مواضع منها على سبعة أوجه و وقفه على أنّها جارية فى جميع ما ينزّل عليه على هذه السبيل و الطريقة، كأنه قال له: اقرأ غير المغضوب عليهم و عليهمو، فكلّ ما جاء من كتابة الجمع فهذه طريقته نحو إليهم و

إليهمو، و أنعمت عليهمو، أو قرأ هـذا الحرف بالهمزة، [۲۱۹] و ترك الهمزة/، و كـلّ حرف مثله مما نزل عليك، و مما سـينزل مثله، و كـذلك القول فى الإمالـة و ترك الإمالة فى الحرف و الكلمة التى يجوز فيها الرفع و النصب، و غير ذلك، فيعلم رسول اللّه صـلى اللّه عليه بـذلك أنّ جميع مـا نزل و ينزل عليه من القرآن، فهـذه سبيـل اختلاف حروفه و وجوهه، و إذا كان ذلك كـذلك بان سـقوط ما تعلّقوا به من أنّه لا يجوز أن يقول مثل هذا القول حتّى يتكامل نزول جميع القرآن. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۷ فأمّا قولهم: إنّ فى الخبر ما يدلّ على فساده، و أنّ متضـمّنه لا يجوز على اللّه سبحانه، و هو أنّ القرآن منزل على سبعة أحرف مختلفة، و قد علم أنّه جهته، و لا ـ معنى فى إنزاله على سـبعة أحرف إلا ـ القصـد إلى حصول الخلاـف و التنازع و التنافر فيه، و التحريف له، و وجود السبيل إلى أن يـدخل فيه حرف ليس منه و إلى تعـذّر حفـظ هـذه السـبعة و الإحاطـة بهـا، و تثقيـل العبادة بتكليف معرفتها، حتى يؤدى ذلك إلى ما رويتم من تلبب عمر بن الخطّاب بهشام بن حكيم، و أخذه إلى النبى صـلى اللّه عليه منكرا عليه حرفا أقرأه به رسول اللّه صلى اللّه عليه لم يقرأه عمر و لم يعرفه. مثـل مـا رويتم أنّه قـال أبىّ بن كعب لما أنكر على رجل آخر سـمعه يقرأ بخلاف ما كان لقّنه هو من رسول اللّه صلى اللّه عليه فلما قرأ عليه و قال لهما: «فيما رويتماه أحسنتما و أصبتما، هكذا أقرأتكما»، فقال أبىّ: فأخذنى عند ذلك من الشكّ أشـدّ ممـا أخـذنى فى الجاهليـة، فضـرب النبىّ صـلى اللّه عليه صـدرى و أخسـأ عنّى الشـيطان، فقـال: يـا أبىّ، أ عنـدك من الشـكّ و التكـذيب، قـال: ففضت عرقـا، و كـأنى أنظر إلى اللّه فرقـا، ثم قـال لى: إنّ جبريـل أتـانى فقال لى: اقرأ القرآن على حرف فقلت: ربّ خفّف عن أمّتى، فلم يزل يقول كـذلك حتى قـال له- فيمـا رويتم: إنّ اللّه تعـالى يأمرك أن تقرأ القرآن على سـبعة أحرف، فلا معنى لإنزاله على سبعة إلا ما رويتموه، و يؤدى/ إليه من هذه الشكوك و الرّيب و التخاصم و الخلاف، و ذلك مما لا [۲۲۰] يجوز على اللّه سبحانه، فوجب بـذلك بطلان ما رويتموه. فيقال لهم فى جواب هـذا و جواب جميع ما قـدّمناه عنهم: فإن كان هـذا الخبر باطلا مفتعلا فقد نال طعنكم على نقل القرآن بأنّ الرسول لم يبيّن تلك السبعة الأحرف، و أنّه كان يجب ظهورها، و أن لا تختلف الأمّة و أزلتم عنّا الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۸ بـذلك كلفته، و إن كان هـذا عندكم صـحيحا و هو ذاك على أنّ أمر القرآن لم يكن عندكم ظاهرا مسـتفيضا فقـد بطـل مـدحكم فيه بهـذه المطـاعن، و هـذا الاختلاـط منكم أنتم إلى أن نبيّن عن فسـاد كلّ شـىء توهّمتموه مبطلا لهـذه الأخبار، فهـذا مما تجب موافقتهم عليه عنـد المطالبـة بواجب كلّ اعتراض يوردونه على هـذه الروايـة. ثمّ يقال لهم: لا يجب أن يكون هذا الذى توهمتموه قادحا فى الخبر، و ذلك أنّه لا يمتنع أن يعلم اللّه سـبحانه أنّ مصلحة عباده متعلقة بإنزال القرآن على سبعة أحرف أو أكثر منهـا، كمـا لاـ يمتنع أن يعلم أنّ مصـلحتهم متعلقـة بإنزاله على حرف واحـد، لأنّه إذا علم سـبحانه أنّ طباع الناس و سـجاياهم مختلفـة فى النطق و الكلام، و أنّ منهم من يألف التكلّم بالكلمـة و الحرف على وجه و طريقة هى أخفّ عليه و ألصق بقلبه و أسـهل و أجرى على لسـانه، و منهم من يصـعب عليه و يستثقل أن يميـل و يهمز الحرف و يزيـد الـواو من قوله: عليهمو و إليهمو، و يخفّ عليه إليهم و عليهم، و أنّه لو كلّف كلّ واحد منهما ما هو فى طبع غيره و أسـهل عليه لشقّ ذلك عليه، و صار طريقا إلى نفوره و اسـتثقاله و ملاـله و صـعوبة حفظه، و أنّه إذا لم يلزمه إلاـ قـدر مـا تيسّـر عليه منه كـان ذلك لطفا له، ساغ لهـذا أن يكون إنزاله الحرفين و السـبعة أحرف أصلح [۲۲۱] من تضـييق الأمر فيه، و حمل الناس فى النطق به على وجه واحد صعب/ متعسّر ثقيل على أكثرهم، فلعلّه لو كلّف هشـام بن حكيم و الرجـل الـذى خـالف أبيا أن لا يقرأ إلا بما أقرأه النبىّ صـلّى اللّه عليه عمر و أبيا لثقل ذلك عليهم أو أعرضا عنه و شكّا فى نبوّة الرسول، و صارا حربا للرسول صـلى اللّه عليه و عمر و أبىّ على أصل الـدّين و دعوة الحق، و إذا كان ذلك ممّا لا يمتنع فى المعلوم بطل ما توهّموه. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۴۹ و كذلك إذا علم أنّ فى الناس الألكن و الفصيح و الألثغ و الطّلق الذرب و التّمتـام العىّ، و القـادر المنبسط ساغ أن ينزل القرآن بالهمز و غير الهمز، و أن يجعل مكان الحركـة التى تثقل على التّمتام تسـكينا لا يثقل عليه، و هـذا أولى و أجدر و أقرب فى تخفيف المحنة و تيسـير العبادة و أحرس للعباد إلى الطاعة. و كذلك إذا جاز أن يعلم أنّ من النـاس السـكتة النزر الكلاـم القليـل الحفـظ، و أنّ منهم الـذكىّ الحفوظ () «۱» الـذى يميـل طبعه إلى تشويق الكلاـم و التبسّـط و التصـرّف فى وجوه الألفاظ و العبارات، و أنّه ينقل عليه لزوم نهج واحد و سبيل لا يختلف فى النطق و يعظم عليه حفظ ذلك، و يؤدّيه

تكليفه إيّاه إلى الضجر و الملل و قلّة الرغبة و الإعراض، جاز لذلك أن ينزله على حرفين و سبعة و عشرة ليحفظه على الوجه الواحد من قدّمنا ذكره، و يحفظ على هذه الوجوه الكثيرة من وصفنا قدرته و تبسّطه و ميله إلى الإكثار و التنقّل في وجوه الخطاب. و كذلك أيضا فقد يجوز أن يعلم سبحانه أنّه إذا أنزل القرآن على حرف واحد، لزم الأمّة بأسرها أن لا تقرأ الآية، جاز أن يشكّ شاكّ في ذلك الحرف و يتبناه، و ينطلق لسانه بحرف غيره يقوم مقامه و لا يبطل معناه، و أنّهما إذا ترافعا إلى النبي صلى اللّه عليه و سلّم فأقرأهما فأخطأ أحدهما و ترك القراءة بذلك الحرف الواحد المنزل، و قال له الرسول/ عند ذلك: أخطأت، أو أسأت، [۲۲۲] أو ما هكذا أقرأتك، انكسف باله و صغرت حاله و نفسه، و انكسرت حدّته، و فترت شهوته، و قلّ حرصه، و صار ذلك طريقا إلى ضجره و ملاله، و قلّت (______ ۱) ما بين القوسين غير مقروء في الأصل. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵۰ دواعيه في تعلّم القرآن و تحفّظه أو لحقه عند ذلك من الأنفة و الحميّة و عزّة النفس و كراهة الغلبة عند المناقشة و المشاحة و الهرب من عار القهر و نسبته إلى السهو و الغفلة و سوء الفهم و جلافة الطبع و قلّة الحفظ و الضبط، ما يكون أدعى الأمور إلى الزهد في الإسلام جملة و الرغبة عنه، و متى أمكن أن يكون هذا أجمع مما قد سبق في علم اللّه سبحانه، بطل بذلك طريق من توهّم أنّه لا وجه لإنزال القرآن بسبعة أحرف إلا الاستفساد للعباد و التهارج و الفساد و هذا ما لا مدخل لهم عليه. ثم يقال لهم: فيجب على اعتلالكم أن لا ينزل اللّه سبحانه في كتابه مجملا و لا محتملا و لا متشابها بل يجعله كلّه نصّا جليّا، لأنّنا نعلم أنّ في الناس من يلحد في تأويله و يتعلّق بمتشابهه و يلبس و يوهم الباطل في التعلّق بمجمله و محتمله، و هذا أولى مما قلتم و أقرب لو كنتم مقسطين «۱» و لأنّ اللّه سبحانه قد نصّ على هذا، و الذي قلناه من فساد خلق بمتشابهه و لم ينصّ على ما ادّعيتم من فساد قوم بإنزاله على سبعة أحرف، و لا رأينا هشام بن حكيم و لا أبيا و لا عبد اللّه، و لا من خالفهم كفروا و لا ارتدّوا عند الترافع إلى النبيّ صلّى اللّه عليه بل استجابوا لقوله و خنعوا لطاعته، و رضوا جميعا بما أقرّهم به على اختلافهم. و قد قال سبحانه فيما عارضناكم به: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ [آل عمران: ۷] فكان يجب على موضوع اعتلالكم أن لا ينزل من القرآن متشابها يبتغي العسر به و يلبس على العباد في تأويله و يلحد في صفات اللّه سبحانه عند تنزيله، فإن لم يجب هذا عندكم [۲۲۳] فقد بطل جميع ما أوردتموه/ في هذا الفصل بطلانا بيّنا، و بان لكم أنّ هذا (______ ۱) وردت في الأصل مسقطين، و الصواب أي: عادلين. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵۱ الضرب من الطّعن في نقل القرآن و إنزاله من مطاعن الملحدين على اللّه و على رسوله و على جملة كتابه و تفصيله، و هكذا فعل اللّه سبحانه بمن صدّ عن دينه و صدف عن صحيح النظر في براهينه، و اشرأب قلبه إلى التعلّق بالشبهات و الميل إلى الزيغ و الضلالات. فإن قالوا: أ فليس قد رويتم أنّ الذين بعث عثمان رضى اللّه عنه على جمع الناس على مصحفه، و قراءته و المنع من باقي الحروف التي أنزلها اللّه جلّ و عز ما حدث في عصره، و شدّة الاختلاف و التشاجر و التبرّي و الإكفار في القراءات بهذه الحروف المختلفة، فألا علمتم أنّ إنزاله على سبعة أحرف سبب لما قلناه؟ يقال لهم: ليس الأمر في هذا على ما وصفتم؛ لأنّ القوم عندنا لم يختلفوا في هذه الحروف المشهورة عن الرسول صلّى اللّه عليه التي لم يمت حتى علم من دينه أنّه أقرأ بها و صوّب المختلفين فيها، و إنّما اختلفوا في قراءات و وجوه أخر لم تثبت عن الرسول عليه السلام و لم تقم بها حجّة، و كانت تجيء عنه مجيء الآحاد و ما لا يعلم ثبوته و صحته، و كان منهم من يقرأ التأويل مع التنزيل نحو قوله: و الصلاة الوسطى، (و هي صلاة العصر)، فاءو (فيهن)، و لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربّكم (في مواسم الحج)، و أمثال هذا ممّا وجدوه في بعض المصاحف، فمنع عثمان من هذا الذي لم يثبت و لم تقم الحجّة به و أحرقه و أخذهم بالمتيقّن المعلوم من قراءات الرسول عليه السلام. فأمّا أن يستجيز هو أو غيره من أئمة المسلمين المنع من القراءة بحرف ثبت أنّ اللّه أنزله و يأمر بتحريقه و المنع من النظر فيه و الانتساخ منه، و تضييق على الأمة ما وسّعه اللّه تعالى، و يحرّم من ذلك ما أحلّه اللّه و يمنع منه ما الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵۲ أطلقه و أباحه، فمعاذ اللّه أن يكون ذلك كذلك، و إذا كان هذا هكذا سقط ما قلتموه، على أنّنا لو سلّمنا لكم نظرا أنّ أهل عصر عثمان

رضوان اللّه عليه [۲۲۴] اختلفوا فی/ هـذه الأحرف السبعة، و أدّى ذلك خلفا منهم إلى البراءة من أهل الحقّ، لم يجب أن لا ينزل اللّه سبحانه القرآن بها إذا علم أنّ من يصلح بقراءته بها على اختلافها أكثر ممن يفسد، أو أنّه لا أحد يفسد عنه ذلك إلى- زمن عثمان، فيسوغ حينئذ لعثمان على قول بعض الناس أخذه للأمّة ببعض تلك الأحرف و المنع من باقيها لأجل حدوث ما حدث مما لم يكن من قبل. أو لعلّه سبحانه قد علم أنّه لو لم ينزل القرآن على سبعة أحرف كان منكر حرف منها و المختلفين فيها يعرضون عن الإسلام جملة و الانخلاع من الإيمان و إلى أن يكونوا حربا للرسول صلّى اللّه عليه و إن اختلافهم فی القراءات أسهل من اليسير من ذلك. فإنّنا ننكر عليكم و نقول لكم: فيجب على اعتلالكم أن لا ينزل اللّه سبحانه المتشابه المحتمل من كتابه لموضع إخباره باتّباع أهل الزيغ لما تشابه منه ابتغاء الفتنة و الإلحاد فی تأويله، فإن لم يلزم ذلك لم يلزم شیء مما قلتموه، و قد بيّنا- رحمكم اللّه- فی غير موضع من الكلام فی التعديل و التجويز أنّه لا يجب على اللّه استصلاح جميع خلقه، و فعل أصلح الأمور لهم، و المساواة فی اللطف لجميعهم، و أنّه لا يصح منه أن يضرّ بعضهم و يطبع على قلبه و يختم على سمعه و بصره، و أنّه قال سبحانه فی كتابه: إنه هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [البقرة: ۲]، و قال فی أخرى: وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى [فصلت: ۴۴]، و قد بيّنا ذلك بما يغنی الناظر فيه، و لو لا أنّنا لم نصنع كتابنا لهذا الفنّ من الكلام لأسهبنا فی ذلك، غير أنّه مخرج لنا من غرض الكتاب، و فيما أجبناهم به بلاغ و إقناع. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵۳

فصل

فصل و نحن الآن نذكر بعض ما جاء من الروايات فی أنّ القرآن منزل على ثلاثة أحرف و أربعة و سبعة ليعلم قارئ كتابنا ظهور ذلك و انتشاره فی علماء الأمّة من سلفها و خلفها، و نتكلّم على ما يجب الكلام عليه من هذه الأخبار ثم نبيّن القول فی تفسير السبعة الأحرف بما يوضّح الحقّ و يزيل الشكّ/ [۲۲۵] و الرّيب، و ما توفيقنا إلا باللّه. و قد روى الشّعبی عن ابن عوف عن محمد عن ابن مسعود قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف» «۱» كقولهم: هلمّ، تعال، أقبل. و روى حمّاد بن سلمة «۲» عن قتادة عن الحسن عن سمرة «۳» عن النبیّ صلى اللّه عليه قال: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف»، و روى سعيد بن أبی سعيد المقبریّ «۴» عن أبيه «۵» عن أبی هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه

(۱) مضى الحديث على روايات هذا الحديث و الطرق التی وردت منها فی موضع سابق من هذا الكتاب انظر ص ۲۰۷. (۲) حماد بن سلمة بن دينار الإمام، أبو سلمة، أحد الأعلام، قال عمر بن عاصم كتبت عن حماد بضعة عشر ألفا، ثقة صدوق يغلط و ليس فی قوة مالك، توفی سنة سبع و ستين و مائة. «الكاشف» (۱: ۱۸۸). (۳) سمرة بن جندب بن هلال الفزاری، صحابیّ جليل، حليف الأنصار مات بالبصرة سنة ثمان و خمسين و قيل تسع و خمسين. «الكاشف» (۱: ۳۲۲). (۴) سعيد بن أبی سعيد كيسان، أبو سعد المقبری، روى عن أبيه و أبی هريرة قال أحمد ليس به بأس توفی سنة ثلاث و عشرين و مائة، ثقة من الثالثة. «التقريب» (۱: ۳۵۴)، «الكاشف» (۱: ۲۸۷). (۵) أبوه أبو سعيد كيسان المقبری المدنی مولى أم شريك، ثقة ثبت من الثانية مات سنة مائة. «التقريب» (۲: ۴۶). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۵۴ عليه: «أعربوا القرآن و التمسوا غرائبه، و غرائبه فرائضه، فإنّ القرآن أنزل على خمسة وجوه: حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال، فخذوا بالحلال و دعوا الحرام، و اعملوا بالمحكم و آمنوا بالمتشابه، و اعتبروا بالأمثال». فهذه الثلاثة الأخبار تقتضی أن يكون القرآن منزلا على ثلاثة أحرف و على أربعة أحرف و على خمسة أحرف، و قد بيّنا فيما سلف أنّ ذلك لا يناقض ما روى من أنّه منزل على سبعة أحرف، و تكلّمنا على ذلك بما يوضّح الحقّ، و قلنا إنّ ذلك الحلال و الحرام، و ما أتبع يحتمل أن يكون وجها من وجوه السبعة، و أنّ الأظهر أنّه غيرها، لأنّ تلك مخيّر فی القراءة بأيّها شاء القارئ على ما وردت به الروايات التی سنذكرها، و قلنا إنّ الثلاثة الأوجه و الأربعة التی لم تفسّر بهذه الأقسام من الأمر و النهی و غيرهما، يحتمل أن يكون بعض السبعة التی خيّر الناس فی القراءة بأيّها شاءوا، و يحتمل أن تكون غيرها. و قد تحتمل أيضا هاتان الروايتان أن يكون معنى قول النبیّ صلّى اللّه عليه أنزل القرآن على ثلاثة أحرف و على أربعة

أحرف، أنّ من الحروف السبعة حرفا يقرأ على ثلاثة أوجه، و إنّ حرفا منها آخر يقرأ على تلك الثلاثة و على وجه رابع، أو أن حرفا منها يقرأ على أربعة أوجه غير الثلاثة الأوجه التى يقرأ حرف آخر من السبعة عليها، و يكون باقى السبعة الأحرف لا يقرأ كلّ شىء منها إلا على طريقة واحدة، فلا يكون فى هذا تعارض و لا تناقض. و يمكن أيضا أن يكون أراد بهذين الخبرين أنّ ثلاثة أحرف من تلك السبعة الأحرف يقرأ على وجه و نحو من الاختلاف متقارب، ليس بالمتباين [۲۲۶] الشديد/ و هو حرف زيد و الجماعة، و الذين أكثرهم كان يألفه و يقرأ به و يعلق بقلبه و ينطلق به لسانه، و أربعة أحرف أخر من السبعة منزلة على تباين الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۵۵ شديد غير متقارب، و عسى أن تكون هى حروف الأربعة النفر الذى أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه بأن تؤخذ القراءة عنهم و هم أبىّ بن كعب و عبد اللّه ابن مسعود و معاذ بن جبل و سالم مولى أبى حذيفة، أو لعلّ هذه الأربعة الأحرف المتقاربة التى ليست بشديدة التباين هى التى كان يقرأ الناس كثيرا بها و عليها الجمهور و عامّة الناس. و لسنا نقف على حقيقة هذا غير أنّنا قد بيّنا أنّ قوله صلّى اللّه عليه: أنزل القرآن على ثلاثة أحرف و أربعة و خمسة لا تنافى قوله: إنّه منزل على سبعة أحرف، و هذا هو الغرض المقصود دون تفصيل أجناس الاختلاف بين الثلاثة و الأربعة و الخمسة و السبعة، و إذا كان ذلك كذلك بطل إكثارهم بذكر هذا الباب و وجب حمل الأمر فيه على ما قلناه. فأمّا الروايات الواردة عنه صلى اللّه عليه بأنّ القرآن منزل على سبعة أحرف فإنّها كثيرة متظاهرة مشهورة عند أهل العلم و النقل، و هى أكثر شىء روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم و كلّها مع اختلاف ألفاظها و طرقها متوافية على المعنى، فيجب لذلك وصول العلم بمتضمّنها و إن اختلفت ألفاظها و تشعّبت طرقها فمنها ما رواه عبيد اللّه بن عمر «۱» عن أبى الحكم «۲» عن أبىّ بن كعب أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال: «أتانى ات من ربّى جلّ و عزّ فقال: يا محمد

(___________) ۱) عبيد اللّه بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدنى الفقيه الثبت عن أبيه و القاسم و سالم، كان من سادات أهل المدينة فضلا و علما و عبادة و شرفا و حفظا و إتقانا مات سنة سبع و أربعين و مائة. «الكاشف» (۲: ۲۰۲). (۲) المطلب بن عبد اللّه المخزومى عن أبى هريرة، روى عنه الأوزاعى، صدوق كثير التدليس و الإرسال، من الرابعة و وثقه أبو زرعة و الدار قطنى. «الكنى و الأسماء» (۱: ۲۳۹). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۵۶ اقرأ القرآن على حرف، فقلت: يا ربّ، خفّف على أمّتى، ثم أتانى آت من ربّى فقال: يا محمد اقرأ القرآن على حرفين، فقلت: خفّف على أمّتى، ثم أتانى فقال: يا محمد اقرأ القرآن على سبعة أحرف، و لك بكلّ ردّة مسألة لك، فقلت: يا ربّ اغفر لأمّتى، ثم قلت: يا ربّ اغفر لأمّتى، و أخّرت الثالثة شفاعة لى يوم القيامة، و الذى نفسى بيده إنّ إبراهيم عليه السلام ليرغب فى شفاعتى» «۱». [۲۲۷] و روى يونس «۲» عن ابن شهاب/ قال: حدّثنا عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عباس «۳» حدثه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال: «أقرأنى جبريل عليه السلام على حرف، و لم أزل أستزيده و يزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، قال ابن شهاب: «بلغنى أنّ تلك السبعة إنّما هى فى الأمر الذى يكون واحدا لا يختلف فى حلال و لا حرام» «۴».

(___________) ۱) حديث أبىّ رواه البيهقى فى «السنن الكبرى» بألفاظ قريبة من الألفاظ التى أوردها المصنف رحمه اللّه، «سنن البيهقى» (۲: ۳۸۳)، و رواه بألفاظ قريبة أيضا الإمام مسلم فى «صحيحه» (۱: ۵۶۱)، و أحمد فى «مسنده» (۵: ۱۲۷) برقم (۲۱۲۰۹). (۲) هو يونس بن عبيد، أحد أئمة البصرة، من العلماء العاملين الأثبات مات سنة تسع و ثلاثين و مائة. «الكاشف» (۳: ۲۶۶). (۳) كذا فى الأصل، و الجادّة أن تكون العبارة، حدّثنا عبيد اللّه بن عبد اللّه أنّ عبد اللّه بن عباس حدّثه أنّ رسول اللّه قال ..» ا ه- و عبيد اللّه هو ابن عبد اللّه بن أبى ثور، روى عن ابن عباس، و روى عنه الزهرىّ و محمد بن جعفر بن الزبير، ثقة، قال الخطيب: لم يرو عن غير ابن عباس و لم يرو عنه غير الزهرى. «الكاشف» (۲: ۲۰۰). (۴) حديث عبد اللّه عن ابن عباس رواه الإمام مسلم فى «صحيحه» (۱: ۵۶۱) برقم (۸۱۹)، و قد أورده مع زيادة ابن شهاب حول الأحرف، و رواه البيهقى فى «السنن الكبرى» (۲: ۳۸۴)، برقم (۳۷۹۹)، و رواه الإمام أحمد فى «مسنده» (۱: ۳۱۳). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۵۷ و روى حميد قال: قال أنس: قال أبىّ بن كعب: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه قال: «جاءنى جبريل و ميكائيل فقعد

جبريـل عن يمينى و ميكائيـل عن يسـارى، فقـال جبريـل: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سـبعة أحرف و كلّ كاف شاف». و روى سـعد عن الحكم عن مجاهـد عن عبـد الرحمن بن أبى ليلى «۱» عن أبىّ بن كعب «أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه كـان بأضـاة بنى غفـار فأتـاه جبريـل فقـال: إنّ اللّه تعـالى يـأمرك أن تقرأ القرآن على حرف، قـال: أمّتى لاـ تطيق ذلك، ثم أتاه فقال: على حرفين، فقـال: أمّتى لاـ تطيق ذلـك، ثم أتـاه الثالثـة فقـال: على ثلاثـة أحرف، فقال: أمّتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعـة فقال: إنّ اللّه يأمرك أن تقرأ أمّتك على سـبعة أحرف، فأيّما حرف قرءوا عليه فقـد أصابوا». و روى أنس بن عاصم قال: أخبرنى أبو حازم عن أبى سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبى هريرة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، و المراء فى القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم فاعملوا به و ما جهلتم فردّوه إلى عالمه»، و روى أيضا أبو هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه: «أنزل القرآن على سبعـة أحرف عليمـا غفـورا رحيمـا». و روى عقيـل بـن خالـد «۲» عـن سـلمة بـن أبى سـلمة بـن عبـد الرحمـن «۳» عن

(۱) الأنصارى المدنى ثم الكوفى، ثقة من الثانية، اختلف فى سماعه من عمر، مات بوقعة الجماجم سنة ست و ثمانين. «التقريب» (۱: ۵۸۸). (۲) عقيل بن خالد الحافظ الحجّة الأموى الأيلى من موالى عثمان وثقه ابن معين مات بمصر سنة أربع و أربعين و مائة. «تذكرة الحفاظ» (۱: ۱۶۲). (۳) هو سلمة بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، و اسم أبيه عبد اللّه، و ليس هو سلمة بن أبى سلمة الصحابى. «الكنى و الأسماء» (۱: ۳۷۸). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۵۸ أبيه عن ابن مسعود عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه قـال: «كـان الكتاب الأول أنزل من باب واحـد، و كان على حرف واحـد، فنزل القرآن من سـبعة أبواب [۲۲۸] على سبعة أحرف: أمر و نهى و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال/ فـأحلّوا حلالـه و حرّموا حرامه، و افعلوا مـا أمرتم به و انتهوا عمـا نهيتم عنه، و اعتبروا بمحكمه و آمنوا بمتشـابهه، و قولوا آمنـا به كـلّ من عند ربّنا». و روى بشـر بن سـعيد بن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص قال: قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلّم: «أنزل القرآن على سـبعة أحرف، فـأىّ حرف قرأتم فقـد أصـبتم، فلاـ تمـاروا فيه، فـإنّ المراء فيه كفر»، و روى واصـل بن حيان «۱» عن أبى الهذيل «۲» عن أبى الأحوص عن عبد اللّه عن النبى صـلّى اللّه عليه قال: «إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف كلّ آية منها ظهر و بطن و لكلّ حـدّ مطلع». و روى عمرو بن أبى قيس «۳» عن عـاصم عن زر عن أبىّ بن كعب قـال: لقى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه جبريل عليه السـلام عنـد أحجـار المرىّ- أحجار بالمدينـة- فقال له: يا جبريل أرسـلت إلى أمـة أمّيين منهم الغلام و الجاريـة و الشـيخ و العجوز و الرجـل الفارسـى لـم يعلـم كتابـا قـطّ، فقـال: إنّ القرآن أنزل على سـبعة أحرف».

(۱) واصل بن حيان الأحـدث الأسدى الكوفى، ثقـة ثبت من السادسـة مات سـنة عشـرين و مائـة. «التقريب» (۲: ۳۵۰). (۲) غـالب بن الهـذيل الأودى الكوفى، صـدوق رمى بالرفض، من الخامسة. «التقريب» (۲: ۳). (۳) عمرو بن أبى قيس الرازى الأزرق عن المنهال و ابن المنكدر وثق و له أوهام. «الكاشف» (۲: ۲۹۳). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۵۹ و روى مالك عن ابن شـهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنّه سمع عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه أقرأنيها، فكدت أن أعجـل عليه ثم أمهلت حتى انصـرف، فلمّا انصـرف لببته بردائه ثم جئت به إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه فقلت: يا رسول اللّه، إنّى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال علىّ عليه السـلام: أرسـله، فأرسـلته، فقال: اقرأ، فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه: هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت»، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا مـا تيسّر منه». و روى عبـد اللّه بن وهب «۱» قـال أخبرنى عمرو بن الحـارث «۲» و ابن لهيعـة «۳» أن بكيرا «۴» حـدثهما: أنّ عمرو بن العاص قرأ آية من القرآن، فسمع رجلا يقرأها خلاف قراءته، فقال له: من أقرأك؟ فقال:/ رسول اللّه صلّى اللّه [۲۲۹] عليه، فذهب إليه فذكر له ذلك و قرأ عليه كلاهما فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه: «أصـبتما إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف»، قال بكير: فذكر لى أنّه

(۱) عبـد اللّه بـن وهـب أبـو محمد

الفهرى أحد الأعلام روى عن ابن جريج توفى سنة سبع و تسعين و مائة. «الكاشف» (٢: ١٢۶). (٢) عمرو بن الحارث بن يعقوب أبو أمية الأنصارى مولاهم المصرى أحد الأعلام روى عنه الليث و مالك و ابن وهب، حجّة له غرائب، مات سنة ثمان و أربعين و مائة. «الكاشف» (٢: ٢٨١). (٣) عبد اللّه بن لهيعة بن عقبة الحضرمى أبو عبد الرحمن المصرى، صدوق من السابعة مات سنة أربع و سبعين و مائة و قد ناف على الثمانين. «التقريب» (١: ۵٢۶). (۴) بكير بن عبد اللّه الأشج مولى بنى مخزوم المدنى، نزل مصر، ثقة من الخامسة، مات سنة عشرين و مائة. «التقريب» (١: ١٣٧). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٣۶٠ قيل لسعيد بن المسيب: ما سبعة أحرف؟ قال: كقولك هلمّ و تعالى، و أقبل و كلّ ذلك سواء. و روى عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيّ بن كعب قال: «كنت فى المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فقمنا جميعا فدخلنا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه فقلت له: يا رسول اللّه إنّ هذا دخل فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ غير قراءة صاحبه، فقال لهما النبيّ صلّى اللّه عليه: اقرأ، فقرأ، فقال: أحسنتما، فلمّا قال لهما النبى صلّى اللّه عليه الذى قال، كبر علىّ و لا إذ كنت فى الجاهلية، فلمّا رأى النبى (ما) قد غشينى ضرب على صدرى ففضت عرقا و كأنّى أنظر إلى اللّه فرقا، فقال: يا أبيّ إنّ ربّى أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمّتى، فأرسل إلىّ أن اقرأ على سبعة أحرف و لك بكلّ ردة مسألة تسألنيها، قال: قلت: اللهم اغفر لأمّى اللهم اغفر لأمّتى، و أخّرت الثالثة ليوم يحتاج إلىّ فيه الخلق حتى إبراهيم الخليل عليه السلام». و فى رواية أخرى عن سقير العبدى «١» عن سليمان بن صرد «٢» عن أبيّ بن كعب قال: «دخلت المسجد فإذا رجل يقرأ قلت له: من أقرأك هذه القراءة، قال: النبيّ صلّى اللّه عليه، قلت: انطلق إليه، قال: فانطلق، قال: قلت: استقرئ، قال: فاستقرأ، فقال: أحسنت، قال: قلت: أ لم تقرئنى

(١) هو سقير العبدى بالسين و يذكر أيضا بالصاد، روى عن سليمان بن صرد و عنه أبو إسحاق السّبيعى وثّقه ابن حجر و قال: و لم يذكر البخارى و لا ابن أبى حاتم فيه قدحا و ذكره ابن حبان فى «الثقات». «تعجيل المنفعة» (١: ١۵٧). (٢) سليمان بن صرد بن الجون الخزاعى أبو مطرف الكوفى، صحابى قتل سنة خمس و ستين. «الكاشف» (١: ٣١۶)، «التقريب» (٢: ٣٨٧). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٣۶١ كذا و كذا، قال: بلى، قال: و أنت فقد أحسنت، فنكّبت بيدى هكذا، و قد أحسنت، قال: فضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم فى صدرى و قال: اللّهم أذهب عن أبيّ الشك، قال: فارفضضت عرقا و امتلأ جوفى فرقا، ثم قال صلّى اللّه عليه: يا أبيّ أتانى ملكان اثنان فقال أحدهما: اقرأ على حرف، فقال الآخر: زده، قال: قلت: زدنى، قال: اقرأ على حرفين، فقال الآخر زده، قلت: زدنى/ قال: اقرأ على ثلاثة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدنى قال: [٢٣٠] اقرأ على أربعة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدنى، قال: اقرأ على خمسة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدنى، قال: اقرأ على ستة أحرف، قال الآخر: زده، قلت: زدنى، قال: اقرأ على سبعة أحرف». و روى قتادة عن يحيى بن يعمر «١» عن سليمان بن صرد الخزاعى عن أبيّ بن كعب، قال: «قرأت آية و قرأ ابن مسعود خلافها فأتينا النبيّ صلّى اللّه عليه فقلت: أ لم تقرئنى آية كذا و كذا؟ قال: بلى، قال ابن مسعود: أ لم تقرئنيها كذا و كذا؟ قال: بلى، كلاكما محسن مجمل، فقلت: كلانا ما أحسن و لا أجمل، فضرب فى صدرى و قال: يا أبيّ إنّى أقرئت القرآن، فقيل لى: على حرف أو حرفين، فقال الملك الذى معى: قل على حرفين، قلت: على حرفين، فقيل: على حرفين أو ثلاثة، فقال الملك الذى معى: على ثلاثة، قلت: على ثلاثة، هكذا حتى بلغ السبعة أحرف ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت غفور رحيم، سميع عليم، أو عليم حكيم، عزيز حليم هو كذلك، ما لم تختم عذابا برحمة أو رحمة بعذاب».

(١) يحيى بن يعمر البصرى، نزيل مرو و قاضيها، ثقة فصيح من أوائل من نقط المصحف الشريف مع نصر بن عاصم الليثى، من الثالثة مات قبل المائة و قيل بعدها. «التقريب» (٢: ٣١٩). الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٣۶٢ و قد روى فى ذلك أخبار كثيرة يطول تتبعها، و فى بعض ما ذكرناه منها ما يدلّ على ما نقصده من العرض و كشف الشبهة، و أدلّ ما نقول فى هذا: إنّ هذه الأخبار التى ذكرناها أخيرا من مشاجرة عمر لحكم بن هشام و أبيّ لعبد اللّه بن مسعود و رجل آخر، و عمرو بن العاص لآخر خالف ما لقنه عن النبى صلّى اللّه عليه و ترافعهم إليه و تخاصمهم

بحضرته و استعظامهم الأمر فى ذلك، من أدلّ الأمر على تشدّد القوم فى هذا الباب و تصعّبهم و تديّنهم بقراءة القرآن على ما أقرئوا عليه من اللّفظ دون المعنى و العمل و الاجتهاد فى القراءة على غلبة الظن فيها، و أنّهم كانوا لا يرون وضع الآية و الكلمة منه فى غير الموضع الذى وضعت فيه، و أنّهم كانوا يحرّمون ذلك و يأخذون أنفسهم بترتيبه على ما أنزل و قراءته على ما وقفوا عليه من غير تغيير و لا تبديل و لا تقديم و لا تأخير و لا تساهل فى القراءة بالمعنى، على كذب من ادّعى عليهم [٢٣١] شيئا من ذلك و استجازته/ و أنهم أجازوا تقديم المؤخّر و تأخير المقدّم و القراءة على المعنى و الاستحسان و غالب الظنّ و الرأى و الاجتهاد، لأنّ ما يجوز فيه ذلك عندهم لا يقع فيه هذا التخاصم و التشاجر و الإعظام له، فوجب بذلك نفى ما فرقوا به الصحابة من ذلك و أضافوه إليهم منهم. و كيف يستجيزون ذلك، و قد علموا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه كان يعرض عليه القرآن فى كلّ مرة و ظهرت الرواية بينهم بذلك، حتّى رووا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه كان يعرض عليه القرآن فى كلّ عام مرة، حتى كان العام الذى توفى فيه يعرض عليه مرّتين، قالوا: فكأنّهم يرون أنّ العرضة الأخيرة فى قراءة ابن عفّان، و كلّ هذا يدلّ على إحاطة القوم بعلم ترتيب القرآن على الوجه الذى رتّبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و أنّه لا يجوز أن يذهب عليهم ذلك مع تكرّر عرض الرسول له فى كلّ عام، و لا أن يتسمّحوا الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٣٦٣ و يتساهلوا فى نظمه و ترتيبه على خلاف ما رتّبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و عرضه، و لا أن تتوافى همم الجميع منهم على ترك ذلك و تسويغ خلاف ترتيب النبىّ صلّى اللّه عليه، أو ترك الإنكار و التغليظ على من فعل ذلك و أجازه، و لو كان هذا مما قد وقع و فصل و أنكره منكر، لوجب فى مستقرّ العادة ظهور هذا الإنكار و شهرته، و علمنا ضرورة لخلاف من خالف نظم الرسول و ترتيبه و إنكار المنكرين لذلك، و فى عدم العلم بذلك و حصول الإجماع بخلافه دليل على سقوط جميع هذه الدعاوى و تكذّبها و سلامة أبى بكر و عمر و عثمان و سائر الصحابة مما قذفوهم به و أضافوه إليهم من التبديل و التغيير و الزيادة و النقصان و التقديم و التأخير و غير ذلك مما رموهم به. ثم رجع بنا الكلام إلى معنى السبعة الأحرف المرويّة و تفسيرها و وجوب إطلاق القراءة بسائرها، فنقول أولا: إنّ جميع ما قدّمنا ذكره من الأخبار المتظاهرة عن الرسول/ نصّ منه على أنّ القرآن منزّل على سبعة أحرف [٢٣٢] و سبعة وجوه من القرآن كلّها صواب و حلال مطلق القراءة بها، فلذلك قال جبريل عن اللّه سبحانه: «بأيّها قرأتم فقد أصبتم و أحسنتم»، و قال الرسول صلّى اللّه عليه لعمر و هشام و أبىّ و عبد اللّه بن مسعود و عمرو بن العاص و الرجل الذى رافعه إليه: «قد أصبتم و أحسنتم»، ثم أخبرهم أنّ كلّ تلك القراءات منزلة من عند اللّه تعالى، و من جملة السبعة الأحرف التى راجع فيها و سأله التخفيف عن أمّته، و أنّه استزاد الملك فزاده حتى بلغ سبعة أحرف، فوجب بذلك القطع على تصويب كل قارئ ببعض هذه السبعة الأحرف، و أنّها بأسرها من عند اللّه تعالى، و أنّ عثمان و أبيّا و عبد اللّه بن مسعود لم يختلفوا قط فى شىء من هذه الأحرف السبعة، و لا أنكر أحد منهم على صاحبه القراءة ببعضها و الإخبار له و إطلاق الباقى لمن قرأ به، و أنّ عثمان لم الإنتصار للقرآن، ج١، ص: ٣٦٤ يحرق شيئا من المصاحف لتضمّنها شيئا من هذه القراءات، و أنّه إنّما حرّق منها و منع من التمسّك به لتضمّنها شيئا لم يثبت أنّه قرآن، و ما أثبت على خلاف ما أنزل اللّه، أو لتضمّنه الآية و تفسيرها التى يخاف على غير مثبتها توهّمه لكون التفسير قرآنا، أو لتضمّن تلك المصاحف لقرآن كان أنزل ثم نسخ و منع و حظر رسمه، فلم يعرف ذلك من سمعه أو أثبته بذكره لنفسه لا ليجعل مصحفه إماما. و قد روى رواية ظاهرة أنّ عمر رضى اللّه عنه قال للنبىّ صلّى اللّه عليه لما نزلت آية الرّجم: و الشيخ و الشيخة فارجموهما البتّة، أثبتها يا رسول اللّه، فقال له: لا أستطيع ذلك لقوله عليه السلام إنّه ممّا نهى عن رسمه، و لو كان مما أمرنا بإثباته لاستطاع أن يثبته و لم يكن لتركه و إجابة عمر بأنّه لا يستطيع ذلك وجه. فيجب إذا كان ذلك كلّه أخذ المصاحف المتضمّنة لمثل هذه الأمور [٢٣٣] و تصفية آثارها و المنع من التمسّك بها و الانتساخ منها إذا كان/ ذلك من أجلب الأمور لفساد نقل القرآن و إدخال السنة و التخاليط فيه، و خلطه بما ليس منه على ما رتّبناه و بيّنّاه من قبل. و وجب لذلك أن لا يكون بين عثمان و عبد اللّه و أبىّ خلاف فى هذه القراءات، و فى تسويغ جميعها و إطلاقه و القطع على أنّها من عند اللّه جلّ ذكره، و أنّه لا يجوز لعثمان و لا لغيره منع القراءة بشىء من هذه الأحرف و حظره و تخطئة القارئ به و تأثيمه بعد توقيف الرسول على صواب القارئ بكلّ شىء منها، لأنّه لا يسوغ لأحد أن يحرّم و

يحظر مـا أحلّه اللّه جـلّ و عزّ و يخطّئ من حكم اللّه بصوابه، و حكم الرسول بأنّه محسن مجمل فى قراءته، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۶۵ و أنّه لاـ يجوز أبـدا أن تتفق الأمّـۀ على حظر مـا أحلّه اللّه تعـالى و تخطئـۀ من أخبر اللّه بصوابه، لأنّ ذلک إجماع على خطأ و هو ممتنع على الأمّـۀ. و أنّه لا يسوغ أيضا لمـدّع أنّ يـدّعى أنّ ما أحلّه اللّه و أطلقه و حكم بصواب فاعله حلال بشـريطۀ أن لا يحرّمه إمام الأمّـۀ و يمنع منه أو بأن لا يجمع المسـلمون على خلاف ما حكم اللّه به، لأنّ الإجماع على ذلک خطأ و إجماع على مخالفۀ حكم اللّه سبحانه، و لن يجوز أن يتّفق منهم أبـدا، و لأنّ ذلک لو ساغ أن يقال فى بعض ما حكم اللّه به لساغ أن يقال مثله فى جميع أحكام اللّه تعـالى، و أنّ جميع مـا أحلّه و حرّمه و أوجبه و أبـاحه و أطلقه إنّما أوجبه و أباحه و حرّمه بشـريطۀ أن لا يحكم إمام الأمّـۀ فيه بخلاف حكم اللّه تعالى، و يرى أنّ مخالفـۀ حكم اللّه من مصالـح الأمّـۀ، و بأن لا يجمع الأمّۀ على مخالفۀ حكم اللّه بذلک الشـىء، و يرى أنّ منعه أصوب و أحوط للأمّـۀ من إطلاـق مقـال لا ينكر سـقوط قطع السارق و جلـد الزانى و القصاص إذا أدّى ذلک فى بعض الأوقات إلى تهارج الأمّۀ و سـفک الدّماء و تعطيل جميع الحدود و الأحكام، و أن يسـقط أيضا لمثل ذلک فى بعض الأحايين فرض الصـلاۀ و الحجّ و الصيام، إذا خيف فى تيقّنه فرضه على الناس تهارج و فتنـۀ و تعطيل الأحكام و الارتـداد و اللّحوق/ بدور الكفر، فإنّ من صار على ذلک أجمع خرق [۲۳۴] الإجماع و فارق الـدين، و إن أباه لم يجـد فصـلا. و إن قال: إنّه لا يجوز أن تفسد الأمّۀ أو بعضـها بنفيه بعض الأحكام على ما حكم به، و يكون ذلک لطفا فى فسادها، قيل له: و كـذلک لا يجوز أن يتّفق مثل هذا فى إطلاق القراءات التى أنزلها اللّه سبحانه و أحلّها و حكم بصواب القارئ بها. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۶۶ و إن قالوا: بالضرورۀ يعلم أنّ حكم اللّه تعالى بوجوب قطع السارق و جلـد الزانى و فرض الحج و الصـلاۀ دائم مؤبـد على الأمّۀ بغير شـرط، قيل لهم: و بمثل هذه الضـرورۀ يعلم أنّ إطلاق رسول اللّه صـلّى اللّه عليه لهذه القراءات و الحكم بصوابها مؤبّد، و لا جواب عن ذلک، و قد أشـبعنا هذا الكلام فيما سلف بما يغنى عن إعادته. و إذا كان ذلک كـذلک ثبت صواب جميع هـذه الأحرف و القراءات و إطلاقها على التأبيد، و أنّ الصـحابۀ لم يكن بينهم خلاف فى هـذا الباب، و أنّه يجب أن يحمل الأمر فى كلّ خلاف روى عنهم فى المصاحف و القراءات، خرجوا فيه إلى المنافرۀ و الإنكار و المنع من القراءۀ بما اختلفوا فيه، على أنّ ذلک الاختلاف ليس من هذه الأحرف السـبعۀ و القراءات التى أحلّ اللّه سـبحانه جميعها فى شـىء، و إنّما هو فى بعض ما تقدّم ذكره ممّا لم يصحّ و تقوم الحجّۀ بأنّه قرآن منزل، أو فيما كان نزل و نسخ أو فيما أثبت من تأويل مع تنزيل على وجه التذكرۀ، أو مما أسـقطت كتابته و حذف، و هو قرآن ثابت، قد أمر اللّه سـبحانه به و ألزم إثباته و قراءته، و نحو هـذا مما يجب إنكاره و منعه و المنافرۀ فيه، و هـذه جملـۀ كافيۀ فى هذا الباب، و باللّه التوفيق. *** الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۶۷

باب القول فى تفسير معنى القراءات السبع التى أنزل اللّه جل و عز القرآن بها

اشارۀ

بـاب القول فى تفسير معنى القراءات السـبع التى أنزل اللّه جل و عز القرآن بها فإن قال قائل: فما هـذه الأحرف السـبعۀ، و ما تأويلها و حسن الاختيار فيها؟ قيل له: هى فى الأصل على أربعـۀ أضـرب، فثلاثـۀ منها/ مروىّ تفسيرها [۲۳۵] عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلّم و بعض التـابعين، و الضـرب الرابع ثـابت عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلّم و إن لم يكن نصّ فى تفسيرها، و قـد اختلف الناس فى تأويله اختلافا سـنذكره فيما بعد إن شاء اللّه، و نصف ما نختاره و نقيم الدّليل على صـحته، و حرفان من الأحرف الثلاثۀ المروىّ تفسـيرها قد ورد تفسـيرها عن النبى صـلى اللّه عليه و سـلّم من ذلک فهو ما قدّمنا ذكره من قوله صـلى اللّه عليه و سلّم: «إنّ الكتاب الأوّل أنزل من باب واحد، و كان على حرف واحد، و أنزل القرآن من سبعۀ أبواب على سبعۀ أحرف: نهى و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثـال، فـأحلّوا حلالـه و حرّموا حرامه، و افعلوا مـا أمرتـم به و انتهوا عمّا نهيتم عنه، و اعتبروا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه، و قولوا آمنا به

كل من عند ربنا». فهذا نص منه على تفسير هذه السبعة الأحرف بما يمنع و يحظر من زيادة عليها و نقصان منها، أو تفسيرها بغير ما فسّره صلى اللّه عليه و سلّم و بيّنه، و ليست هذه السبعة الأحرف هى الأحرف التى أجاز لعمر و هشام و عبد اللّه و أبىّ و عمرو و من رافعه إليه القراءة بجميع ما اختلفوا فيه و صوّبهم عليه، و قال لهم فى سائره أصبتم و أحسنتم، و هكذا أقرأتكم، لأن القرآن على عصر الرسول و بعده لم الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۶۸ يختلف فى أنه لا يجوز التحريم موضع التحليل و المحكم موضع المتشابه و الأمر فى مكان النّهى، هذا مما لم يختلف قطّ فيه سلف الأمّة و لا خلفها، و لا يجوز أن يقع ذلك منها، و إنما اختلفت فى وجوه الإعراب و الإمالة و التقديم و التأخير و تغيير الاسم بما ينوب عنه إلى أمثال ذلك من وجوه الأحرف السبعة مما سنشرحه فيما بعد إن شاء اللّه و كذلك قال ابن شهاب عند ذكره السبعة الأحرف التى رواها: «بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنّما [۲۳۶] هى فى الأمر الذى يكون واحدا لا يختلف فى حلال/ و لا حرام». و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ هذه السبعة المفسّرة عن الرسول ليست هى السبعة الأحرف التى يسوغ الاختلاف فيها، و ليس يجب إذا أنزل اللّه القرآن على سبعة أحرف هى: أمر و نهى و تحليل و تحريم و غير ذلك أن لا ينزله على سبعة أحرف أخر و هى: أوجه و إعراب مختلف و إنّها مختلفة اللفظ متفقة المعنى، و غير ذلك، و أن تكون الأخبار عن أنّه أنزل على سبعة أحرف لا يسوغ بغيرها، و الاختلاف فيها منافيا للإخبار بأنّه منزّل على سبعة أحرف أخر ليست من هذه الضروب، يسوغ الاختلاف فيها. و إذا كان ذلك كذلك صح ما قلناه و ثبت أن هذه السبعة الأحرف المفسّرة ليست هى القراءات السبعة المختلف فى تأويلها. فإن قال قائل: الأمر و النهى و التحليل و التحريم لا يسمّى فى اللغة حرفا، و إنّما يسمّى كلّ ضرب منه وجها و ضربا من الكلام و كلمة، فكيف استجاز الرسول صلى اللّه عليه و سلّم أن يسمّى الأمر و النهى حرفين؟. يقال له: هذا اعتراض على الرسول و سؤال لازم له إن كان لازما دوننا، فإن كان السائل عن ذلك معترفا بالنبوة فلا سؤال له، و إن كان مبطلا لها لم الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۶۹ يجب أن يكلّم فى تفسير الأحرف و القراءات، ثم يقال له: قد صحّ بما سنبينه فيما بعد إن شاء اللّه أن الوجه الذى يقع عليه الفعل و الكلام يسمّى فى اللغة حرفا و لذلك قال اللّه سبحانه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ [الحج: ۱۱] الآية، و إنّما عنى بالحرف- و هو أعلم و أحكم- الوجه الذى تقع العبادة عليه، يقول إنّ منهم من يعبد على النعمة و الرخاء و الغنا و يطمئن إلى ذلك، فإن تغيّرت حاله إلى فقر و شدّة و غير ذلك؛ ترك عبادة ربّه و كفر به، و إذا كان ذلك كذلك، و كان الأمر/ وجها و النهى وجها آخر منه، و كذلك التحليل و التحريم، جاز أن [۲۳۷] يسمّى رسول اللّه كلّ ضرب من هذه الضروب حرفا، على تأويل أنّه وجه من وجوه الكلام، و إذا كان ذلك كذلك سقط السؤال و زالت الشبهة و الاعتراض. و أما الضرب الثانى من الثلاثة التى روى تفسيرها فهو ما قدّمنا ذكره فى رواية أبىّ عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «يا أبىّ إنى أقرئت القرآن، فقيل لى على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذى معى: على حرفين، فقلت: على حرفين، فقيل لى: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذى معى: على ثلاثة، قلت: على ثلاثة، هكذا حتى بلغت سبعة أحرف، ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: غفور رحيم سميع عليم، أو عليم حكيم عزيز حكيم هو كذلك ما لم تختم عذابا برحمة أو تختم رحمة بعذاب». هذا آخر الخبر. و فى هذا الخبر أيضا من نصّ الرسول صلى اللّه عليه و سلّم على تفسير هذه الأحرف ما يمنع من التأويل و الاختلاف فيه، و تكليف غير ما قاله الرسول أو تغييره، و هل السبعة الأحرف الأخر أيضا ليست السبعة الأوّلة التى فسّرها بالأمر و النهى على ما قدمناه، و لا السبعة التى هى وجه من القراءات، و اختلاف الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۰ اللفظ و الإعراب و التقديم و التأخير، و إنّما هى سبعة أوجه من أسماء اللّه تعالى لها سبعة معانى و سبع عبارات مختلفة، و ليس يجب إذا أنزل اللّه تعالى القرآن على هذه السبعة الأحرف و التى قبلها أن ينزله على سبعة أحرف على السبعتين الأولتين، لأنّ ذلك غير متناف و لا متضاد ممتنع. فإن قال قائل: فما تقولون فى بقاء حكم هذه السبعة الأحرف الثابتة، و ممّا روى من تفسيرها، و أنه يجوز أن يجعل مكان غفور رحيم و مكان حكيم عليم و مكان عزيز عليم ما لم يختم عذاب برحمة أو رحمة بعذاب، هل حكم ذلك باق، و هل يجوز أن يكون مكان كلّ اسم للّه تعالى من هذه الأسماء غيره مما هو بمعناه أو مخالف لمعناه أم لا؟ [۲۳۸] يقال له: نقول فى ذلك/ إن هذه الرواية إذا صحّت و ثبتت؛

وجب أن يحمل الأمر فيها على أنّ ذلك كان شائعا مطلقا ثم نسخ و منع و أخذ على الناس أن لا يبدّلوا أسماء اللّه تعالى فى آية و موضع من المواضع بغيره، مما هو بمعناه أو مخالف لمعناه، لأنّ ذلك مما قد اتفق المسلمون عليه، و لذلك لم يسغ أن يقال قل أعوذ برب البشر مكان الناس، و قل أعوذ بخالق الناس مكان ربّ الناس، و تبارك اللّه أحسن المقدرين أو المخترعين أو المنشئين مكان قوله الخالقين، فى أمثال ذلك مما قد اتفق على منعه و حظره، فثبت أنّ هذا ممّا كان مطلقا مباحا، و نسخ. و يجوز أن يكون قد شرّع فى صدر الإسلام أن يجعل مكان الحرف الواحد خلافه مثل مكان عليم قدير، و أن يجعل مكانه مثله مثل مكان غفور رحيم، ثم نسخ ذلك من بعد، فأما أن يجعل مكانه ضدّه مثل مكان غفور شديد العقاب، فلم يكن ذلك جائزا بالإجماع. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٧١ و قد يجوز أن يقول قائل: إنّ المباح كان من الأسماء المبدّلة التى يسوغ وضع كل شىء منها مكان غيره سبعة من أسماء اللّه فقط، حتى لا ـ يلزمه ذلك فى سائر أسمائه تعالى، و ذلك غير ممتنع، إلا أنّه لما اتّفق المسلمون على أنّه ليس فى شىء من أسمائه تعالى الثابت فى آية من الآى ما يجوّز أن يبدّل بغيره علم بذلك نسخ ما تضمّنه هذا الخبر من إطلاق هذا الباب و رفعه بعد تحليله، و ليس بمحال أن ينزل اللّه سبحانه القرآن على وجه ثم ينسخ ذلك الوجه من القراءة بغيره، كما أنّه ليس بمحال أن ينزله فى الأصل إلا على وجه واحد و ليس بمحال واحد، و ليس بمحال رفع التلاوة نفسها و نسخها بعد إنزالها و إيجاب القراءة لها، و إذا كان ذلك كذلك ثبت ما قدمناه. فأمّا الوجه الثالث المروىّ تفسيره عن بعض التابعين، فهو ما قدّمنا ذكره عن عمرو بن الحارث و ابن لهيعة روايتان رواهما بكير: إحداهما: أن عمرو بن العاص قرأ آية من القرآن فسمع رجلا ـ يقرؤها خلافا/ لقراءته، فقال من أقرأك هذا؟ فقال: رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم، فذهب به إليه، [٢٣٩] فذكر له و قرأ عليه كلاهما، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم: «أصبتما، إن القرآن نزل على سبعة أحرف»، فقال بكير: و ذكر لى أنه قيل لسعيد بن المسيّب: ما سبعة أحرف؟ فقال: كقولك هلمّ و تعال و أقبل، و كل ذلك سواء، و هذا التفسير و إن كان مما لا يلزمنا قوله و القطع على صحته لكونه مذهبا و قولا لسعيد بن المسيّب و لا ـ سأل بكير عن ذلك سعيدا «١»، و قوله: بلغنى أنّ سعيدا قيل له، و لم يذكر من بلّغه ذلك عن سعيد، فإنّه يمكن أن يكون صحيحا، و أن يكون اللّه سبحانه قد كان أباح للقارئ فى صدر الإسلام أن

(١) فى الأصل و لا ـ سأل بكير ذلك عن سعيد و الصواب ما أثبتناه. اه- الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٧٢ يجعل مكان اسم الشىء المذكور فى الآية غيره من أسمائه التى هى بمعنى ذلك الاسم، أو أباح ذلك فى سبعة أسماء فقط، إمّا من أسماء اللّه تعالى أو من أسماء غيره، أو أباح ذلك فى سبع كلمات ليست بأسماء له، معنى كلّ واحدة منها معنى الأخرى، و أطلق القراءة بأيها شاءوا و خيّرهم فى إبدال الاسم و الكلمة بما هو بمعناها فى تلك السبع الكلمات أو الأسماء المخصوصة، ثم إنه سبحانه حظر ذلك بعد إباحته و منع على ما بيّناه من قبل. و تحتمل هذه الرواية أيضا أن يكون من سعيد بن المسيب تفسير لبعض الحروف السبعة، الشافى حكم القراءة له، فكأنه قال: هذه سبيل السبعة الأحرف أو أكثرها فى أنّه اختلاف بالإعراب و التقديم و التأخير و الإمالة و تركها، و الجمع و التوحيد لا يفسد معنى و لا يغيره، مثل الصوف المنفوش مكان العهن، و قوله إن كانت إلا زقية واحدة مكان صيحة، و طعام الفاجر مكان الأثيم، مثل هلمّ و تعال و أقبل، و كأنّه فسّر السبعة بوجه منها، ليبيّنه بذكره على أنّها أو أكثرها جارية مجرى ذلك الوجه، فى أنّها لا تغير معنى و لا تفسده، و إن كان فيها ما يختلف معناه اختلافا لا يتضادّ و يتنافى على ما [٢٤٠] سنبينه فيما بعد/ إن شاء اللّه، فهذا وجه القول فى هذا التفسير المروىّ عن سعيد بن المسيب و ما جرى مجراه مما روى عن غيره. و أما الوجه الرابع من ضروب السبعة الأخر: فهو الضرب الذى صوّب فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم القراءة بجميعها، و أنّه وافاه عمر و هشام و أبيّ و عبد اللّه و عمرو و من خالفه على سائرها، و هى التى راجع اللّه تعالى فيها فزاده و سهّل على أمّته لعلمه بما هم عليه من اختلاف اللغات و استصعاب مفارقة الطبع و العادة فى الكلام إلى غيره، و تأويل هذا الضرب من السبعة الأحرف أنّه أنزل على سبع قراءات و سبعة أوجه، و قوله أحرف و قراءات و لغات و أوجه الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٧٣ بمعنى واحد، و الدليل على صحة هذا التأويل أنّ الحروف فى اللغة إنّما تستعمل فى الأصل فى أحد شيئين:

أحدهما: طرف الشيء و شفيره و حاشيته، و منه قولهم: حرف الطريق و حرف الوادى و حرف الإجانة و حرف الرغيف، و كذلك قولهم فى حرف الدرهم و الدينار و طرف كلّ جسم و شفيره و حاشيته و هذا مما لا خلاف فيه، و يستعمل أيضا فى المثال المقطوع من حروف المعجم التى فيها الألف و الباء و التاء و غير ذلك، و تستعمل أيضا فى الكلمة التامّة التى هى حروف كثيرة مجتمعة و ذلك ظاهر بينهم معروف فى الاستعمال، و ذلك أنّهم يقولون ما سمع عن زيد فى هذا الباب حرف و لا تكلم فيه بحرف و لا به فى هذا العلم من الكلام حرف واحد، و ما ذكر فلان من خبره، و ما سئل عنه حرفا البتة، و قد نغّم فلان فى هذه القصة بحرف سوء. و قد عرف أنّهم لا يعنون بذكر الحرف فى جميع هذا الكلام عنه حرف واحد مقطوع أنّه لم يسمع ممّن نقل الكلام عنه، حرف واحد مقطوع من ألف أو ياء أو واو، و لأنّ الحرف الواحد لا يصحّ التكلّم به فيسمع أو لا يسمع، و كذلك إذا قالوا ما نطق و لا تكلّم بحرف واحد، فإنّهم إنّما يعنون أنّه ما تكلّم بكلمة و لا أورد نقطة، لأن الحرف الواحد المنقطع/ لا يكون قولا و لا [۲۴۱] كلاما فلا يصحّ أن ينفى التكلّم به أو يثبت، و كذلك إذا قيل: ما صنّف فلان و لا تكلّم فى هذا العلم بحرف، فليس يعنى بذلك إلّا نفى كلامه فيه، و لا يعنى أنّه لم يورد فيه ألفا أو واوا. و كذلك إذا قالوا: ما تكلّم فلان من خبر فلان بحرف، إنّما يعنون أنّه لم يتكلّم بكلمة هى خبر عن بعض أموره، لأنّ الكلّ قد أطبقوا على أنّ الحرف الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۴ المقطوع من حروف المعجم ليس بخبر، و لا يصح أن يكون خبرا حتى يقال إنّه ما أخبر به الرجل أو أخبر به، و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّهم يسمّون الكلمة المجتمعة من حروف كثيرة حرفا. و يبيّن ذلك أيضا و يوضّحه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم لما أخبر على وجه الترغيب بأنّ للقارئ بكلّ حرف عشر حسنات بيّن ذلك و فسّره، فقال: «أما إنى لا أقول الم حرف و لكن ألف حرف و لام و ميم حرف» فتبيّن أنّه أراد بذلك الصّور المقطّعة من حروف المعجم التى هى ا ب ت ث، لئلا يظنّوا أنّه أراد بذكره الحروف الكلمة المنظومة التامّة من حروف كثيرة و لو [لم «۱» تسمّ الكلمة عندهم حرفا، لم يكن لهذا التفسير معنى، و كل هذا يوضح عن أن الكلمة تسمّى فى اللغة حرفا، و كذلك الكلمة قد استعملت عندهم فى أقل الكلام و أكثره و استعملت فى القصيدة بأسرها و الخطبة بطولها و الرسالة بتمامها. و قال الشاعر: إنّك لو شاهدتنا بالخندمة إذ فرّ صفوان و فرّ عكرمة لم تنطقى باللوم أدنى كلمة يريد أقلّ كلمة و أيسرها لشدة ذلك و صعوبته، و ما قالوا ما يسرّهم، قال الشاعر فى كلمة كذا و كذا يريدون بذلك فى قصيدته، لأنّهم ربما حكوا عنه كلاما كثيرا من كلمات فقالوا مع ذلك هذا، قالوا فى كلمته، و ليس يجوز أن يقول فى كلمة واحدة كلمات كثيرة، و ربّما حكوا أنّه قال فى كلمة وصف [۲۴۲] حرب طال، أو حال رجل شجاع أو جبان أو حكوا عنه شيئا/ طويلا

(____۱) ما بين القوسين ساقط من الأصل،

و لا تستقيم العبارة إلا به. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۵ يقولون: قاله فى كلمته، فعلم أنّهم يعنون بالكلمة القصيدة، و شهرة هذا عنهم يغنى عن الاحتجاج له، و إن كان ما ذكرناه يزيل ريب من علم له بجوامع كلام القوم، و كذلك إذا قالوا: قال المترسّل أو الخطيب فى كلمته كذا و كذا، إنّما يعنون به الخطبة و الرسالة. و إذا كان ذلك كذلك و ثبت أن النبيّ صلى اللّه عليه و سلّم لم يرد بقوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حروف المعجم المصوّرة على المثال الذى يكون منها ألف و باء و تاء، لأنّ ذلك لا معنى له، لأنّه منزل إذا على التسعة و العشرين، و لأنّ كلّ مثال منها حرف على الحقيقة إلّا لام الألف لأنّها مؤلّفة من حرفين و أدخلت الألف فى اللام، فصارت صورتها صورة لا. و إذا كان ذلك كذلك و كان القرآن منزلا بسائر حروف المعجم، فما معنى حمل الخبر على أنّه سبعة أحرف منها، هذا ليس من كلام أهل العلم و التحصيل بسبيل، و لا يجوز أن يكون المراد بذلك أنّه أنزل على سبع كلمات فقط، لأنّ الكلام المنزل أكثر من سبع كلمات و سبع و سبع بشيء كثير، فما معنى تأويل الخبر على أنّه منزّل على سبع كلمات، هذا أيضا مما لا محصول له و لا تعلّق لأحد فيه. فثبت بذلك أنّ الأحرف السبعة التى ذكرت إنّما هى سبع لغات و سبعة أوجه و سبع قراءات مختلفات، و الوجه و الطريقة التى يكون الكلام و غيره أيضا عليها يسمّى فى اللغة حرفا، قال اللّه تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ [الحج: ۱۱]، و لم يرد تعالى بذكره الحرف فى هذه العبارة الحرف

من حروف المعجم و لا ـ أراد الكلمـة، و إنّما أراد و هو سـبحانه أعلم الوجه و الطريقـة التى تقع عليها العبادة، و أنّ منهم من يعبـد اللّه على الخير يصـيبه و النمـاء فى مـاله، و إكمـال الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۶ صـحته و وفـور نعمه، و منهم من يعبـده على الشـدّة و البأساء و الرجاء، و كيف تصـرّفت به الأحوال، لأنّه عنـده أهل لأن يعبـده مع التفضل و الامتحان و على الخيرات و الإنعام. [۲۴۳] و قد قيل:/ إن معنى قوله تعالى: يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ أى على شكّ و غير اسـتبصار و طمأنينة، و جعل الحرف مثلا لقلة الطمأنينة، كما يقال فلاـن على شـفا جرف، إذا كان غير متمكن فى الأمر، قال أبو عبيـد: و كل شاكّ فى شـىء فهو على حرف. و قيل: إنّ الآيـة نزلت فى أعـاريب من بنى أسـد أسلموا على يـد النبى صـلى اللّه عليه و سلّم، فكـانوا إذا سـلمت مواشـيهم و أعطوا من الصدقـة اسـتقاموا على الإسـلام، و إذا لم يعطوا و هلكت مواشـيهم ارتدّوا عن الإسلام، و هو العبادة للّه سبحانه أيضا عبادة له على وجه و طريقة هى الشكّ و عـدم اليقين، و مخالفـة لعبـادته بـاليقين، و الصبر على البأساء و الضـراء، فلا معنى لقول من زعموا أنّ الوجه لا يسـمّى حرفا. و إذا كان ذلك كـذلك ثبت أن الوجه و الطريقة التى لا يقع الشـىء عليها تسمّى فى اللغة حرفا، فوجب لذلك أن يكون قوله سـبعة أحرف أنه أنزل على سـبعة أوجه و سبع لغات و سبع قراءات مختلفة، و الاختلاف فيها إما أن يكون فى تبيينها و صورتها، أو فى معناها بحركة أو إمالة أو وجه من وجوه الإعراب بغير معناها، و إن كانت الصورة فى الكتابة بعينها غير مختلفة على ما سـنبيّنه من بعد إن شاء اللّه. و ممّا يـدلّ على صـحة هـذا التأويل قول الناس إنّ هذه الكلمة مقروءة فى حرف أبى بكر أو فى حرف عبد اللّه بغير هذا، و فى حرف زيد و الجماعة الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۷ بخلاف حرف عبـد اللّه و أبىّ، و إنّما يعنون بـذكر حرف كلّ واحد منهم قراءته و اللغة التى يختارهـا، و القراءة التى اجتباهـا و آثرهـا على غيرهـا. و إنما سـمّيت القراءة حرفا، و إن كانت كلاما كثيرا، لأنّ منها حرفا غيّر نظمه أو كسـر و قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص أو قلب نحو قيّوم، إذا قلبت فقيل قيّام، و قد جعلت الواو من قيوم ألفا، فينسب القراء واو الكلمة الثابتة إلى الحرف المغيّر المختلف الحكم من القراءتين، و ممّا يدل أيضا على صـحة ما قلناه و يزيده وضوحا أنّ الناس اختلفوا فى تأويل ما روى فى ذلك على وجوه: فقال قوم/ السبعة الأحـرف: حلال و حرام و أمر و نهى و موعظة و قصص [۲۴۴] و أدب، و قال قوم: محكم و متشابه و قصـص، و قال آخرون: تأويل الأحـرف أنها سـبعة أنواع من الكلام، خبر و استخبار و أمر و نهى و تمن و تشبيه و جحـد. و قال قوم: معنى الأحرف أنّها سـبعة أسـماء تترادف على الشـىء الواحـد يكون معناها واحـدا، و اختلفت صورها مثل قولك أقبل و هلمّ و تعال و جىء و اقصد و تقدّم و ادن و اقرب، و ما جرى مجرى ذلك، و قال آخرون: معنى الأحـرف أنها أسـماء و صفات للّه تعالى، مثل عليم حكيم و سميع عليم و بصير و عزيز حكيم، و أمثال ذلك. و قال قوم: الأحـرف المذكورة فى الخبر: وعد و وعيد و حلال و حرام و مواعـظ و أمثال و احتجاج، و قال آخرون: معناها حلال و حرام و أمر و نهى و خبر ما كان قبل و خبر ما هو كائن بعد و أمثال، و قال آخرون: معناها سـبع قراءات بلغات سـبع فى حرف واحـد، إمّا بتغيير إعراب سـبع جهات أو فى حرف للسـبع لغات بغير تغيير إعراب بل بصور مختلفة أو زيادة أو نقصان. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۷۸ ثم اختلفوا فى تأويل الخبر من وجه آخر، فزعم قوم أنّ كلّ كلمة تختلف القراءة بها فإنّها مقروءة منزلة على سبعة أوجه و إلا بطل معنى الحديث. قالوا: و لكنّا نعرف بعض هذه الأوجه فى الكلمـة المختلفـة القراءة لظهور نقله و مجىء الخبر به، و لا يعرف بعضـها؛ لأنّ الخبر لم يأتنا بذلك، و قال منهم قائلون: ليس بموجب ظاهر الحـديث أكثر من أن يوجـد فى القرآن كلمـة أو كلمتان تقرءان على سـبعة أوجه، فإذا حصل ذلك تمّ معنى الحـديث، و أنّنا لا نعرف قدر ما فيه ممّا أنزل على سبعة أحرف على التحقيق، غير أنّنا نعرف أن ذلك شىء كثير لاختلاف القراءة فى مواضع كثيرة، و لو لم توجد فيه إلا كلمة تقرأ ليقرأ على سبعة أوجه فهى أوفت الحديث معناه. و الذى نختاره أنّ معنى ذلك: أنّه وجه و طريقة يقرأ عليها جميع القرآن [۲۴۵] أو معظمه أو قريبـا من/ معظمه، و هـذا التأويل هو المراد بقول الناس: حرف عثمان و الجماعـة يخالف حرف عبد اللّه بن مسـعود، و حرف أبىّ غير حرف زيد، و فلان يقرأ بحرف عاصم دون حمزة، يعنى بذلك وجها و طريقة من القراءة يقرأ معظم القرآن عليهـا. و من البعيـد أن يكون ذلـك منصوبـا إلى كلمـة منه أو اثنتين فقط تقرءان على سـبعة أوجه، لأنّ قوله: أنزل القرآن على سبعـة أحرف، عبارة لا تسـتعمل فى العادة إلا فى جميع القرآن أو معظمه، يدل على ذلك أنّ الناس إذا اختلفوا فى بيت من قصـيدة أو

كلمة أو رسالة أو مسألة أو كلمة من كتاب مصنّف، لم يجز فى العادة أن يقال: هذه القصيدة أو الخطبة أو الرسالة تنشد و تروى على وجهين أو وجوه، و إنّما يجب أن يقال: إنّ الكلمة الفلانية من الخطبة أو البيت الفلانىّ من القصيدة تنشد و تروى على وجوه، و كذلك الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۷۹ لا يقال: هذا الكتاب مروى على وجهين و نسختين لاختلاف وقع فى كلمة فيه، و إنّما يقال هذه المسألة فيه و الكلمة تروى على وجهين، فوجب بذلك أن تكون العادة فى هذا الاستعمال على ما وصفناه. و قد زعم قوم أنّ معنى قول النبى صلى اللّه عليه و سلّم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، أنّه منزل على سبع لغات مختلفات، و هذا أيضا باطل إن لم يرد باللغات الوجوه المختلفة التى يتكلّم بجميعها و تستعمل فى اللغة الواحدة، و الدليل على فساد ذلك علمنا بأنّ لغة عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم و أبىّ بن كعب و عبد اللّه بن مسعود و زيد بن ثابت كلّها لغة واحدة و إنّها ليست لغات متغايرة، و هم مع ذلك قد تنافروا و تناكروا القراءة و خرجوا إلى ما قدّمنا ذكره، و لو كانوا أيضا يتكلّمون بلغات مختلفة لم يكن ما بينهما من الاختلاف مع كونها لغة العرب و لسانها، يوجب خروجهم إلى ما خرجوا إليه، لأنّه لم يكن فى تلك اللغات مستشنع و لا مستضعف مرذول/ يجب [۲۴۶] إنكاره و ردّه. فوجب بذلك أن يكون ذلك الاختلاف فى حروف و وجوه من القراءات أنزل القرآن عليها، و إن كانت كلّها لغة قريش و من جاورهم و قارئهم، فوجب أن يكون التأويل ما نذهب إليه، و متى أقمنا الدليل على بطلان جميع هذه التأويلات صحّ ما قلناه من أنّ المعنىّ فى الأحرف أنّها أوجه و قراءات و لغات مختلفة بالذى نذكره فيما بعد إن شاء اللّه. و الذى يبيّن فساد جميع هذه التأويلات توقيف رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم على إباحة القراءة بجميع الأحرف السبعة و إطلاقه لذلك و إخباره بأنّه كذلك أنزل، و قوله فى غير خبر: «فاقرءوا كيف شئتم و اقرءوا منه ما تيسّر» و إذا كان ذلك كذلك بطل قول من زعم أنّ معنى الأحرف أنّه حلال و حرام و وعد و وعيد الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۸۰ و مواعظ و أمثال و جحود و تشبيه و خبر ما قبل و خبر ما بعد، و أنها أسماء اللّه تعالى و صفات أو أنّها أسماء سبعة تترادف على شىء واحد بمعنى واحد و غير ذلك مما حكيناه، لأنّه لو كان الأمر على ما ذكروه لكان القارئ لكتاب اللّه تعالى مخيرا فى أن يجعل مكان الأمر نهيا، و مكان الخبر استخبارا، و مكان الوعد وعيدا، و مكان التمنّى تشبيها، و موضع التشبيه جحودا، و موضع الجحود مثلا، و أن يجعل مكان عزيز حكيم سميع عليم، و أن يجعل موضع قدير جواد كريم، و أن يجعل مكان نزل به الروح الأمين هبط به، و مكان إنى ذاهب إلى ربى إنى منصرف إلى ربى، و موضع قوله تعالى: وَ جاءَ رَبُّكَ أقبل ربّك. و لما أجمع المسلمون على فساد ذلك أجمع، و حظره و تحريمه و أنّه لا يحلّ و لا يسوغ إبدال الوعيد بالوعد و الجحد بالمثل و الخبر بالاستخبار و الذهاب بالانصراف، و أنّ الواجب قراءة كلّ شىء من ذلك على ما هو مكتوب مرسوم بغير تغيير و لا تبديل، سقطت هذه التأويلات سقوطا ظاهرا. و ممّا يوضّح فساد ذلك أيضا ما روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلّم من أنّ جبريل أقرأه [۲۴۷] القرآن بحرف ثم استزاده فزاده فقال صلى اللّه عليه و سلّم: «ما/ زلت أستزيد جبريل و يزيدنى حتى أقرأنى بسبعة أحرف»، و قد علم أنّه لا يستزيد مكان الأمر نهيا و موضع الوعد وعيدا، و مكان الخبر استخبارا و أمثال ذلك مما قالوه، و لا خلاف بين الأمة فى إحالة هذه الاستزادة على الرسول، و إذا كان ذلك كذلك بطلت هذه التأويلات بطلانا بيّنا. و مما يدلّ على فساد تأويل قول من قال: معنى الأحرف، عليم حكيم و سميع بصير أنّ هذا فى القرآن أكثر من سبعين اسما و صفة و كلّ أسماء اللّه الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۸۱ سبحانه و صفاته الذاتية و الفعلية أسماء و صفات، و قد جاء الأثر: «إن للّه تعالى تسعة و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنة»، و ذلك لا يدلّ على أنّه ليس له أكثر من هذه الأسماء، و لكن يقتضى ظاهر الخبر أنّ من أحصى تلك التسعة و التسعين اسما على وجه التعظيم للّه تعالى دخل الجنة، و إن كان له أسماء أخر، فكيف يقال إنّ هذه الأسماء و الصفات سبعة فقط. و على أنّنا قد بيّنا أنّ القراءة بالأحرف كلّها مباحة مطلقة، فلو كان معناها أنّها أسماء اللّه و صفاته لحلّ و ساغ أن يقرأ القارئ مكان: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، الشكر للّه ربّ العالمين، و موضع: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، قل أعوذ بخالق الناس، و موضع: الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، هو الرزّاق العليم، و مكان: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قل هو الخالق الفرد، فلمّا أجمع المسلمون على تضليل من صنع ذلك فى قراءته و تأثيمه إذا كان قاصدا إلى ذلك غير غالط و لا ناس و لا ساه، فسد التأويل فسادا بيّنا لأنّ ذلك لو كان كما قالوه لم يجب حفظ

القرآن على وجه، و لم يكن على الناس كلفة في حفظه و درسه و ترتيبه، و إذا جاز أن يجعلوا موضع الربّ الإله، و مكان الخلّاق الرزّاق و موضع العزيز المنيع و مكان العليم الحكيم، هذا ممّا لا يصير إليه أحد من المسلمين فبان بذلك فساد ما ذهبوا إليه، و قد ثبت أنه لا- يجوز إن كان ذلك مباحا في سبعة أسماء فقط من أسماء اللّه تعالى ثم نسخ، فأمّا أن يكون تأويل السبعة الأحرف التي اختصمت الصحابة فيها فلا. و أما من قال إنّ/ معنى الأحرف السبعة أنّها: أمر و نهي و خبر و استخبار [۲۴۸] و تمن و أمثال، فقد بيّنا فساد ذلك حيث قلنا إن القارئ ليس بمخير في أن يجعل كلّ ضرب من هذه الضروب مكان غيره، و قد استدلّ على فساد ذلك بما ليس بالقوى، فقيل: و يدل على فساد ذلك أيضا أنّ أهل العربية قد الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۸۲ أدخلوا بعض هذه الأقسام في بعض، فقالوا الكلام خمسة أنواع، و قالوا أكثر من ذلك شيء كثير، ثم حصروا ذلك بأن قالوا: خبر و استخبار و أمر و نهي، و دعاء دخل في الأمر نحو قولك: اللّهم افعل بي كذا و كذا، و جحد دخل في الخبر نحو قولك: ما قام زيد، و كذلك القسم خبر، و الإعراب داخل في الأمر، و التمني داخل في الطّلب، فمنهم من يقول الذي يحيط بجميع ضروب الكلام خبر و استخبار و أمر و نهي، و إذا كان ذلك كذلك بطل قولهم إنّ السبعة الأحرف هي هذه الأقسام، لأنّها أربعة على التحقيق بدل السبعة، فبان فساد ما قالوه من أنّه لا معنى للسبعة الأحرف المذكورة إلا هذا. و لكن يمكن أن تكون هذه سبعة أحرف أنزلت على ما فسّره الرسول صلى اللّه عليه و سلّم، و هي غير السبعة التي صوّب المختلفين فيها من الأوجه و القراءات، فحصر أوجه السبعة بأربعة أوجه لا- يدلّ على فساد هذا التأويل. و أما ما يدل على فساد قول من زعم أنّ معنى الأحرف السبعة أنّها أسماء مترادفة على شيء واحد، إنّ ذلك لو كان كذلك لوجب أن يكون القرآن منزلا على أكثر من سبعة أحرف و على أقل منها أيضا، لأنّ من الأشياء التي ذكرها اللّه تعالى أكثر من سبعة أسماء في اللغة، و منه ما له أقلّ من سبعة أسماء، و منه ما لا اسم له إلا واحدا، فبطل ما قالوه. فإن قيل: أراد بذلك أنّ الأسماء التي ذكرها اللّه تعالى و أودع اسمها كتابه ما ذكره لسبعة أسماء من أسمائه فقط و إن كان له أكثر من تلك الأسماء، قيل لهم: هذا فاسد لأنّنا لا نعرف في شيء مما ذكره اللّه تعالى [۲۴۹] مما له سبعة أسماء ذكره اللّه تعالى بها في موضع واحد/ أو في مواضع متفرقة، و إن كان ذلك كذلك سقط ما قالوه. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۸۳ و يدلّ على فساد هذا التأويل أيضا أنّ قارئا لو قرأ مكان و جاء ربّك، و وافى ربّك، و قرأ: (إني ماض إلى ربي) مكان)، إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي [الصافات: ۹۹] و لو قرأ: (جيئوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم) أو: (وافوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم) مكان قول اللّه تعالى: تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ [آل عمران: ۶۴] لم يسغ ذلك و لم يحلّ بإجماع المسلمين، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه من كل وجه، و لسنا ننكر مع ما أفسدنا به قولهم أن يكون من الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن هذا الوجه بأن يكون اللّه تعالى ذكر شيئا أو أشياء من كتابه باسمين مختلفين و لفظين متغايرين أو أسماء متغايرة مختلفة الصور، و يكون هذا الباب حرفا ممّا أنزله و طريقة و قراءة معروفة، و لكنّها تكون مع ذلك بعض السبعة الأحرف، و لا يكون معنى جميع السبعة الأحرف هذا الوجه. و قد روى أن عبد اللّه قرأ كالصوف المنفوش مكان العهن المنفوش، و قرأ: (إن كانت إلا زعقة «۱» واحدة) مكان: صَيْحَةً واحِدَةً [يس: ۲۹]، و قرأ بعضهم: (إنّ شجرة الزقوم طعام الفاجر) مكان: طَعامُ الْأَثِيمِ [الدخان: ۴۴]، فيكون هذا الاختلاف في الأسماء التي معناها واحد وجها مما أنزله اللّه تعالى و سمّاه الرسول حرفا، و جعله بعض السبعة الأوجه التي أنزل الكتاب بها، و إنّما ننكر أن يكون هذا الضرب فقط هو معنى جميع الوجوه و الأحرف التي أنزلت على ما قاله أصحاب هذا التأويل، فهذا هو الفصل بيننا و بينهم في تنزيل هذا الوجه و مرتبته، فدلّ ما ذكرناه على أنّ المراد بذكر الأحرف السبعة المطلقة للاختلاف إنّما هو أوجه (____ . ***۱)

جاء في المخطوط فوق هذه الكلمة بخط الناسخ: زقية. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۸۴

فصل القول في تفسير اللغات و الأوجه و القراءات السبعة التي قلنا إنها المعنية بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

فصل القول في تفسير اللغات و الأوجه و القراءات السبعة التي قلنا إنها المعنية بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فإن قالوا: قد

أوضحتم أنّ معنى الأحرف أنّها أوجه و لغات و قراءات [۲۵۰] سبعة و أفسدتم ما عدا/ هذا التأويل، فخبّرونا ما تلك الأوجه و اللغات؟ قيل لهم: أوّل ما نقول في جواب ما سألتم عنه أنّه إذا صحّ ما قلناه أنّ معنى هذه الأحرف أنّها أوجه و لغات و قراءات متغايرة، و لم يدلّنا نصّ الرسول على أعيانها بأسرها و أجناس اختلافها و طرق اللغات فيها، و لم تتفق الأمّة على ذلك فيما علمنا في عصر من الأعصار اتفاقا بلغنا، و قامت الحجة به علينا، و لم ينتشر تفسير ذلك عن السلف و لا عن إمام في هذا الباب، ظهر قوله و علم تسليم الأمة له صحة ما قاله و فسّره، و ثبت أنّه ليس في كتاب اللّه سبحانه حرف أو كلمة أو آية قرئت على سبعة أوجه فينصرف الخبر إليها، وجب أن نقول في الجملة: إنّ القرآن منزل على سبعة أوجه من اللغات و الإعراب و تغيير الأسماء و الصور، و إنّ ذلك متفرق في كتاب اللّه تعالى، ليس بموجود في حرف واحد و كلمة واحدة أو سورة واحدة تقطع على إجماع ذلك فيها، و إن لم يعرف أعيان تلك القراءات و الأوجه و اللغات، و تحيط بحقيقة أجناس تلك الضروب من الاختلاف، غير أنّنا نعلم أنّها سبعة أوجه موجودة في كتاب اللّه تعالى كما أخبر الرسول، و لم يثبت لنا توقيف الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۸۵ عنه تقوم به الحجة علينا في تغيير تلك الضروب من اللغات و القراءات فيخبر بتعيينه و يقطع على ذلك من أمره. و إذا كان ذلك كذلك؛ وجب أن يكون اعتقاد هذه الجملة في معنى الأحرف السبعة من غير تفصيل و تعيين مقنعا كافيا، فسقط عنّا بذلك تكلّف تفسير هذه اللغات و الأوجه السبعة، و هذا أبين في صحة الاعتماد على هذا الجواب و مع هذا فإنّا لا ننكر أن يكون الرسول صلى اللّه عليه و سلّم قد بيّن للصحابة أو للعلماء منهم و حملة القرآن و العلم عنه عدد تلك اللغات و القراءات السبعة بأعيانها، و وقفهم على عددها و أجناسها، و على كل شيء منها أو الفرق بينه و بين غيره، و على موضعه الذى أنزل فيه دون غيره، و أوضح لهم ذلك إيضاحا قامت به الحجة على من ألقاه إليه، ثمّ لم ينقل ذلك إلينا نقلا تقوم به الحجة، إذ كان معرفة تلك اللغات و الأوجه و تفصيلها و تنزيلها ليس/ من [۲۵۱] فرائض ديننا، و كأنّ من قرأ بوجه منها أو بما تيسّر من ذلك أجزأه و كفاه عن غيره، فيكون العلم بعدد تلك الأجناس و تفصيل ذلك الاختلاف من فرائض من قامت الحجة به عليه، و إن لم يكن ذلك من فرائضنا، إذا لم يكن شاذا لها نادرا تقوم به الحجة علينا و ينقطع عند سماعه عذرنا. فبان أيضا أنّ عدم علمنا و قطعنا على أعيان تلك القراءات السبعة و تفصيل اختلافها و أجناسها، لا يدلّ على أنّه لا بد أن تكون هذه حال الصحابة، بل يمكن أن يكون حالهم في ذلك حالنا إذا لم يوقفوا على أجناس الاختلاف، و يمكن أن يكون قد بيّن ذلك لهم، فهذا ما يجب ضبطه في هذا الباب. و مع ذلك قد يمكن أن يقال إنّ السبعة الأحرف و اللغات التى نزل بها القرآن محصورة معروفة بما يقرب أن يكون هو المراد بالخبر و لا يبعد، و أنّ من هذه الأوجه الاختلاف في القراءة بالتقديم و التأخير نحو قوله: وَ جاءَتْ الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۸۶ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ [ق: ۱۹]، و قد قرئ: (و جاءت سكرة الحق بالموت) «۱»، و هذا اختلاف في التقديم و التأخير. و الوجه الثانى: أن يكون الاختلاف في القراءتين في الزيادة و النقصان مثل قوله تعالى: (و ما عملت أيديهم) وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ [يس: ۳۵] بزيادة هاء، و قوله تعالى في موضع: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [الحديد: ۲۴]، و قوله في موضع آخر: فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ [إبراهيم: ۸] بنقصان هو، و قرأ بعضهم: (يا مال) موضع: يا مالِكُ [الزخرف: ۷۷] بنقصان الكاف، و منه أيضا قوله تعالى: عِظاماً نَخِرَةً [النازعات: ۱۱] و (ناخرة) و سِراجاً و (سرجا) و نحو ذلك، و روى أنّ بعض المتقدمين قرأ مع قوله: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها [طه: ۱۵] قرأ: (أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها)، و قرأ بعضهم أيضا بعد قوله: إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً [ص: ۲۳]، و زاد فقرأ: (تسع و تسعون نعجة أنثى)، و هذا اختلاف لم يثبت و هو اختلاف القراءة بالزيادة و النقصان، و يقول إنّ الرسول أقرأ بالتقديم تارة [۲۵۲] و بالتأخير أخرى، و بالزيادة تارة و بالنقصان/ أخرى، و وقّف على ذلك إذا ثبت هذا الباب في الاختلاف و أنّه مرويّ عن الرسول عليه السلام. و الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في القراءة اختلافا يزيد صورة اللفظ و معناه، و ذلك مثل قوله تعالى: (و طلع منضود) مكان قوله: وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ [الواقعة: ۲۹]، و نقول أيضا: إنّ هذا إذا ثبت فقد أقرأ بهما الرسول عليه السلام، و أنزل عليه كذلك، و قد روى عن بعض السلف أنّه قال: معنى الطلع و الطلح واحد، و أنهما اسمان لشيء واحد، فإن كان ذلك كذلك فهما (______________________________ ۱) ليست هذه القراءات

مما تناقله العلماء بالتواتر و إنما هى نقل آحاد عن أصحابها. الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٨٧ بمنزلة العهن و الصوف و الأثيم و الفاجر، فيكون مما تختلف صورته فى النطق و لا يختلف معناه. و قال الجمهور من الناس غير هذا، فزعم بعض أهل التفسير أنّ الطلح هو زينة أهل الجنة، و أنّه ليس من الطلع فى شىء، و قال كثير منهم إنّ الطلح هو الموز، و قال آخرون إنّ الطلح هو الشجر العظام الذى يظل و يعرّش، و إنّ قريشا و أهل مكة كان يعجبهم طلحات وجّ- و هو واد بالطائف- لعظمها و حسنها، فأخبروا عن وجه الترغيب فى الجنة طلحا منضودا يراد به متراحم كثير، قالوا إنّ العرب تسمى الرجل طلحة، على وجه التشبيه له بالشجرة العظيمة المستحسنة، و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ الطلع و الطلح إذا قرئ به كان مما تختلف صوره و معناه. و الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف فى القراءتين اختلافا فى حروف الكلمة بما يغيّر من معناها و لفظها من السماع و لا- يغير صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها [البقرة: ٢٥٩] (ننشرها) بالإعجام، و الانتشار الإتيان و الزيادة، و الإنشار الإنشاء و الإحياء بعد الممات، و قد أنزل القرآن كذلك، لأنّها منشأة مبدعة و منشور و محياة بعد الممات فأريد إيداع المعنيين فى القراءتين. و الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف بين القراءتين اختلافا فى بناء الكلمة و صورتها بما لا- يزيلها فى الكتاب و لا يغير معناها، نحو قوله تعالى: وَ هَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ: ١٧]،/ و (هل يجازى إلا- الكفور)، و صورة ذلك [٢٥٣] فى الكتاب واحدة، و قوله تعالى: وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ [النساء: ٣٧] بالضمة، و (بالبخل) بالفتح، و (ميسرة) و مَيْسَرَةٍ بالنصب و الضم، و يَعْكُفُونَ [الأعراف: ١٣٨] و (يعكفون) بالرفع و الكسر، و الصورة واحدة الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٨٨ و أمثال ذلك، و منه أيضا قوله: وَ فُومِها [البقرة: ٦١] أو (ثومها)، و أمثال ذلك كثير. و الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بين القراءتين بما يغير صورتها و لا يغيّر معناها، نحو قوله: كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ [القارعة: ۵]، و (كالصّوف المنفوش)، و إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً [يس: ٢٩]، و (إن هى إلا زعقة واحدة)، و إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعامُ الْأَثِيمِ [الدخان: ٤٣- ٤٤] و (طعام الفاجر)، و منه قوله: وَ فُومِها و (ثومها)، و أمثال هذا مما لا- تختلف به صور الأسماء و حروفها، و إن لم يختلف معناها، و هذا مما أنزله اللّه تعالى، لأنّ فى العرب من يثقل عليه مفارقة طبعه و نمط كلامه، و أن يقول صوف مكان عهن و زعقة مكان صيحة، فأنزل القراءتين و أطلقهما رخصة و تخفيفا عن عباده مع حصول السلامة و الاستقامة و إرادة الرّخصة لهم و تخلّيهم و طباعهم و عادتهم و سجية أنفسهم فى الكلام. و الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بين القراءتين للاختلاف فى الإعراب للكلمة و حركات بنائها، بما يغيّر معناها و لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: رَبَّنا باعَدَ بَيْنَ أَسْفارِنا [سبأ: ١٩]، على طريق الخبر، و رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا، و (ربّنا بعّد بين أسفارنا)، و (ربّنا بعّد بين أسفارنا) بفتح العين و كسرها، و قوله: و وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [يوسف: ۴۵] و (بعد أمه)، و معنى أمّة حين، و أمه معناها النسيان، و ذلك صحيح لأنّه ادّكر بعد حين، و بعد أن نسى أيضا، فضم اللّه تعالى المعنيين فى القراءتين، و قوله تعالى: رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا بكسر العين، معناه: الطلب و المسألة من أهل سبأ أن يفرّقهم اللّه و يباعد بين أسفارهم، و قد كانوا سألوا ذلك، و منه أيضا: يَعْكُفُونَ [الأعراف: ١٣٨] و (يعكفون) بالضمّ و الكسر، و الصورة فى الإنتصار للقرآن، ج ١، ص: ٣٨٩ الكتاب واحدة، فحكى سبحانه السؤال و الطلب عنهم فى قوله: باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا للإخبار عنهم بأنّهم قد بوعد بين أسفارهم، و قد كان من أهل سبأ أمران/ لأنهم سألوا اللّه سبحانه أن يفرّقهم و يباعد بين أسفارهم فحكى ذلك [٢٥۴] عنهم، فلمّا فعل ذلك بهم و أجابهم إلى مسألتهم، أخبروا عن أنفسهم بأنّ اللّه أجابهم و باعد بين أسفارهم، فحكى اللّه تعالى ذلك عنهم. و كذلك قوله: لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ [الإسراء: ١٠٢]، لأنّ فرعون قال لموسى: إنّ ما أتيت به السحر و التخييل، فقال موسى مخبرا عن نفسه: إننى ما أتيت إلا- بآيات و بصائر، و قال أيضا لفرعون مرة أخرى: لقد علمت أنت أيضا أنّ ما جئت به بصائر و آيات ليست بسحر، فحكى اللّه تعالى الأمرين جميعا، و هما صحيحان يأتيان غير متضادين و لا متنافيين، و كذلك كلّ ما ورد من هذا الضرب. فهذا الذى ذكرناه و اللّه أعلم هو تفسير السبعة الأحرف دون جميع ما قدّمنا ذكره، و قد أخبرنا فيما سلف أنّه لا يجب علينا الإخبار عن عدد اللغات و الأوجه السبعة، و ذكر أجناس الاختلاف بينها و ضروبه إذا لم يكن عندنا توقيف فى ذلك، و هذه جملة كافية فى هذا الباب إن شاء اللّه. فإن قالوا: فإذا قلتم إنّ الحروف المنزلة إنّما هى قراءات و أوجه مختلفة بإعراب مختلف،

كالضمّ و الفتح و الكسر، أو إمالة و ترك إمالة، أو إدغام و ترك إدغام، أو قلب حرف إلى حرف، أو تقديم و تأخير و زيادة حرف فى الكلمة أو نقصان حرف منها، لا ـ غير ذلك، فكيف سمّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم هذه الأوجه و الحركات و الإعراب المختلف و قلب الحرف إلى غيره حرفا، و الإعراب الذى هو الضمّ و الفتح ليس بحرف، و إمالة الحرف ليس بحرف و قلب الحرف إلى غيره ليس بحرف، و إبدال الاسم بحرف و تقديم الكلمة الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۰ على كلمة أخرى، و جميع ما قلتموه فى هذه القراءات ليس بحرف لأنّ نقصان الحرف ليس بحرف، و «۱» زيادة الحرف فى الكلمة لا يصيّر الكلمة بأسرها حرفا، فما وجه تسمية هذه الوجوه فى القراءات حرفا؟ يقال لهم: قد نبّهنا على جواب هذا فيما سلف، و ذلك أنّه قد ثبت أنّ [۲۵۵] العرب تسمى الشىء باسم ما هو منه و ما قارنه و جاوره و كان/ بسبب منه و تعلّق به ضربا من التعلّق، و تسمّى الجملة باسم البعض منها، و تسمّى القصيدة و الخطبة و الرسالة كلمة، و تسمّى الكلمة التامة حرفا فنقول: الم حرف على ما قلناه من قبل، و إذا كان ذلك كذلك جاز أن يسمّى النبىّ صلى اللّه عليه و سلّم الكلمة التامة و القراءة الطويلة حرفا على تأويل أنّ منها و فيها حرفا يغيّر كلمة و حالة فى القراءة، فيقرأ مرة بالفتح و مرة بالضم، أو أنّ سبب هذه القراءة حرفا يثبت تارة فيها و تارة ينقص، أو أنّ منها حرفا مرة يقرأ على ما هو به و مرة يقلب إلى غيره و يبدل بسواه، أو أنّ منها حروفا تقدّم فى القراءة، و مرة تؤخّر، و تسمّى الحروف حروفا و تريد به جنس الحروف. و إذا كان هذا بيّنا جاريا فى استعمال العرب وجب صحة ما روى و اتفق عليه من قولهم: هذا يقرأ من حرف عبد اللّه بكذا، و من حرف أبىّ بكذا، و من حرف زيد بكذا، فتنسب الكلمة و القراءة إلى الحرف الذى فيها، فبطل تعجّب من ظنّ بعد هذا أو استهجانه فى اللغة. و يجوز أيضا أن يقال إنّه صلى اللّه عليه و سلّم سمّى الكلمة و القراءة حرفا مجازا و اتساعا و اختصارا، كما سمّيت القصيدة كلمة، كذلك الرسالة و الخطبة على ما بيّناه من قبل.

(______________________________ ۱) ورد فى الأصل فى هذا الموضع حرف (لا)، و لا وجه له هنا و لا معنى. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۱ و يجوز أيضا أن يكون إنّما سمّى جميع هذه الوجوه و اللّغات المختلفة و القراءات المتغايرة حرفا على تأويل أنّ كلّ شىء منها طريقة و سبيل على حدّتها غير الطريقة الأخرى، كما قال سبحانه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ [الحج: ۱۱] أى على سبيل و طريق، و إن تغيّرت عليه تغيّر عن عبادته و شكره على حسب ما شرحناه من قبل، و إذا كان ذلك كذلك سقط قوله إنّ الإعراب فى الإمالة لا يسمّى حرفا، لأنّ الحرف هاهنا على هذا التأويل، ليس المراد به الصور من الخطّ الممثّل، و إنّما هى الطريقة و الوجه و السبيل فقط. و ليس فى جميع القراءات المنزّلة التى يسوغ الاختلاف فيها و صوّب القارءون لسائرها ما يتضادّ معناه و ينفى بعضه بعضا و إنّما فيه مختلف/ اللفظ [۲۵۶] و الإعراب، و إن كان معناه واحدا و مختلف الصورة و اللفظ و الإعراب و البناء، لتضمّنه معانى مختلفة غير متضادة و لا متنافية مثل قولهم: باعِدْ [سبأ: ۱۹] بكسر العين و (باعد) بفتحها على الخبر، و أمثال ذلك مما يختلف و لا يتضاد، و إنّما المحال المنكر أن يكون فيه قراءات متناقضة متضادة المعانى، و اللّه تعالى عن إنزال ذلك و تصويب جميع القراءة به. و قال قوم من الناس: إنّ تأويل السبعة الأحرف هو أنّ الاختلاف الواقع فى القرآن بجميعه، و يحيط به سبعة أوجه منها وجه يكون بتغيير اللفظ نفسه، و الوجوه الستّة تكون بأن يثبت اللفظ فى جنسها و يتغيّر من قبل واحد منها، فإنّ الستة الباقية تكون فى الجمع و التوحيد و التذكير و التأنيث و التصريف و الإعراب، و اختلاف الأدوات، و اختلاف اللغات. قالوا: و الوجه الأول من السبعة الذى هو تغيّر اللفظ فى نفسه و إحالته إلى لفظ آخر: هو كقوله: وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها [البقرة: ۲۵۹]، قالوا: و ننشزها بالزاى المعجمة، و ما جرى مجرى ذلك. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۲ و الوجه الأول من الستة: الجمع و التوحيد كقوله: وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ (و كتابه) [التحريم: ۱۲]، و كقوله: كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (و للكتاب) [الأنبياء: ۱۰۴]. و الوجه الثانى: التذكير و التأنيث نحو قوله: صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ [الأنبياء: ۸۰]، بالنون و لتحصنكم بالتاء المعجمة من فوقها. و الوجه الثالث: هو التصريف كقوله: وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ [الحجر: ۵۶] بكسر النون و يقنط بنصبها. و الوجه الرابع: الإعراب كقوله: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ [البروج: ۱۵] بكسر الدال و المجيد برفعها، و أمثال ذلك. و الوجه الخامس: اختلاف

الأدوات كقوله تعالى: وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا [البقرة: ١٠٢] بتشديد لكنّ و بتخفيفها إذا قلت لكن مخففا، و قوله: لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ [الطارق: ۴] بالتخفيف و لمّا بالتشديد إلى أمثال ذلك. و الوجه السادس: اختلاف اللغات كقوله: وَ الصَّابِئُونَ [المائدة: ۶۹] و الصابون بالهمزة و إسقاطها، و قوله: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها [الشمس: ١] بالإمالة و التفخيم، فهذه سبعة أوجه كلّها منزلة و سائغة جائزة. و فى بعض ما ذكرناه من تأويل هذه الرواية ما يوضّح الحقّ و يمنع أهل [۲۵۷] التأمّل/ و الاستبصار من التورّط فى الشبهات و الأحوال بتعلل أهل الزيغ و الضلال، و باللّه التوفيق و التسديد و العصمة و التأييد. *** الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۳

باب ذكر ضروب أخر من اعتراضات الرافضة و شبههم و غيرهم من الملحدين و المنحرفين، و وصف حال الروايات التى يتعلقون بها فى هذا الباب ممّا ادّعوا فيه نقل المؤالف و المخالف، و مما انفردت الشيعة خاصة بنقله عن على بن أبى طالب عليه السلام و العترة من ولده، و الكشف عن ف

باب ذكر ضروب أخر من اعتراضات الرافضة و شبههم و غيرهم من الملحدين و المنحرفين، و وصف حال الروايات التى يتعلقون بها فى هذا الباب ممّا ادّعوا فيه نقل المؤالف و المخالف، و مما انفردت الشيعة خاصة بنقله عن على بن أبى طالب عليه السلام و العترة من ولده، و الكشف عن فسادها فأمّا ما يتعلّقون به و يكثرون ذكره عن عبد اللّه بن مسعود فى إسقاطه الحمد و المعوذتين من مصحفه، فقد ذكرنا ما يجب فيه و الوجه فى ذلك، و ضروبا من التأويلات و الوجوه فيه، [بما] «۱» يغنى عن إعادة القول فى ذلك. فأمّا ما يتعلّقون به من منافرته لعثمان و امتناعه من تسليم مصحفه و ما كان من كراهيته لعزله عن كتب المصحف و توليته زيد بن ثابت و ما قال فيه، فسنفرد له بابا عند ذكرنا جمع عثمان الناس على حرفه و كتب الإمام الذى أخذهم به، و نذكر فيه جميع ما روى عنه و عن عثمان و عن الجماعة، و نصف قدر ما نقمه و تبيّن أنّه لم يقرن عثمان و لا أحدا من الجماعة بتغيير القرآن و لا بالزيادة فيه و لا النقصان منه، و لا خطأهم فى اختيار حرفهم الذى صاروا إليه، و نصف رجوعه إلى قول عثمان و رأى الجماعة و حثّه و حضّه على ذلك و نأتى منه على جملة توضّح الحقّ إن شاء اللّه.

(____ ۱) ما بين القوسين ليس فى الأصل، و لا يستقيم الكلام إلا بإثباته. الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۴

باب ذكر ما روى عن أبيّ بن كعب فى هذا الباب

باب ذكر ما روى عن أبيّ بن كعب فى هذا الباب فأمّا تعلّقهم بالروايات عن أبى بن كعب فى هذا الباب و أنّه قال: «إنّا كنّا نقرأ سورة الأحزاب، فو اللّه الذى أنزل القرآن على محمد لقد كانت توازى سورة البقرة، و إنّ فيها آية الرجم»، فإنّه لا تعلق لهم فيه أيضا؛ لأجل أن هذه الرواية عن أبيّ لو كانت صحيحة ثابتة لوجب أن يشتهر عن أبيّ الشهرة التى تلزم القلوب ثبوتها، و لا يمكن جحدها و إنكارها، لأنّ هذه هى [۲۵۸] العادة فى مثل هذه الدعوى من مثل أبيّ فى نباهته و علو قدره/ فى حفّاظ القرآن، فإذا لم يظهر ذلك عنه الظهور الذى يلزم الحجّة بمثله علم بطلان الخبر، و أنّه لا أصل له. و مما يدلّ أيضا على بطلان هذه الرواية أنّه لا يجوز أن يضيع و يسقط من سورة الأحزاب أضعاف ما بقى منها فيذهب ذكر ذلك و حفظه عن سائر الأمّة سوى أبيّ بن كعب مع ما وصفناه من حالهم فى حفظ القرآن و التدين بضبطه و قراءته و إقرائه و القيام به و الرجوع إليه و العمل بموجبه و غير ذلك من أحكامه، و أنّ مثل هذا ممتنع فى سائر كلام البشر الذى له قوم يعنون به و يأخذون أنفسهم بحفظه و ضبطه و تبحّر معانيه و الاستمداد فيما يثورهم منه أو الاحتجاج به و التعظيم لقائله، فلأجل ذلك لم يجز أن يظنّ ظانّ أنّ (قفا نبك) كانت أضعاف مما هى كثيرا فسقط معظمها و لم يظهر ذلك و ينتشر عند رواة الدواوين و حفّاظ الشعر و أصحاب كتب الطبقات، و مصنفى غريب هذه الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۳۹۵ القصيدة و المتكلمين على معانيها و المعروفين بهذا الشأن، و لم يسغ لعاقل عرف عادات الناس فى امتناع ذهاب ذلك عليهم أن يقبل

روايـة راو يروى له من جهـة الآحاد عن لبيد أو حسّان أو كعب بن زهير أو غيرهم من أهل عصـرهم أو من بعدهم أنّهم كانوا ينشدون قصـيدة امرئ القيس أضـعاف ما هى و أنّها كانت خمس مائة بيت، و أطول من «ديوان ابن الرومى» أو أبى نواس، و أكثرها و معظمها ذهـب و سـقط و درس أثره و انطـوى علمه و انقطـع على النـاس خـبره، هـذا جهـل لاـ يبلـغ إلى اعتقـاده و تجـويزه من له أدنى معرفة بالعادات فى الأخبار و ما يعلم بالفطرة كونه كـذبا أو صدقا أو يمكن الشك و الوقف فيه. و كذلك لو ادّعى مدّع مثل هذا فيما يروى و يقرأ من «موطأ مالك» و «الأم للشافعى» و «مختصـر المزنى»، و «جامع محمـد بن الحسن»، و «الصـحيح للبخارى» و «المقتضب» و غير ذلك من الكتب المشهورة المحفوظة المتداولة، و قال: إنّ كل كتاب من هذه الكتب قد كان/ أضعاف ما هو، [۲۵۹] و أنه قد ذهب و سقـط أكثرهـا و معظمها، و بقى الأقلّ اليسير منها، و روى لنا فى ذلك الأخبار و الحكايات لوجب أن يقطع على جهله و نقصه و على أنّ كـلّ مـا يروونه فى هـذا الباب كـذب موضوع و مردود مـدفوع لا يسوغ لعاقل تصـديق شـىء منه و السـكون إليه. و إذا كان ذلك كـذلك، و علمنا أنّ هـذا القول المروىّ عن أبىّ لم يكن ظاهرا فى الصـحابة و لا متـداولا بينهم، و لم نعلم أيضا أن أحـدا قاله و روى عنه، و لم يعلم أيضا صحّة هذه الرواية نفسها فضلا عن شهرتها و وجوب ذكرها عنه و عن غيرها، علم بذلك و تيقّن تكذّبها على أبىّ و احتقـار واضـعها عليه لعظم الإثم و البهتان. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۹۶ و لو نشـطنا لقبول مثل هـذا عن أبىّ لوجب أن نقبل خبر الشـيعة عن النصّ على إمام بعينه و روايتهم لأعلام الأئمة من أهل البيت و ما يروونه من فقههم و أحكامهم، و من ذمّ علىّ عليه السلام و ولـده للسـلف و التبرّى منهم و وصف ظلمهم و غشـمهم، فإنّ هـذه الروايات عندى أظهر و أشـهر من هذه الرواية عن أبىّ، و قد بيّنا بغير حجّة الدلالة على تكذّب هذه الأخبار و ما جرى مجراها فسـقط ما قالوه. على أنّ هذه الرواية لو أمكن أن تكون صـحيحة ثابتة، و أمكن أن تكون كذبا لوجب اطراحها بما هو أشهر و أظهر منها، لأنّ الكافّة و الدّهماء رووا جميعا عن أبىّ أنّه كان يقرّ بأنّ هذا القرآن هو جميع ما أنزل اللّه تعالى على رسوله، و أمر بإثبات رسـمه، و أنّه كان على مـذهب الجماعـة و رأيهم فى هذا المصـحف و أنّه أحد من أملاه على زيد و النفر القرشـيين و نصـبه عثمان لذلك، و سـنذكر ما ورد فى هذا من الروايات فيما بعد إن شاء اللّه، و أنّ أبيا كان يقرأ و يقرأ بهـذا المصـحف كما يقرؤه غيره لا يدعى زيادة فيه و لا نقصانا منه، و هذه الرواية هى الظاهرة المعروفة، و أقل أحوالها أن تكون كرواية من روى عنه سقوط كثير من الأحزاب و أن تكون مكافئة لها، و إذا تكافئتا سقطتا جميعا، و وجب حمل أمر أبىّ على ما عليه الكافّة من تسـليم صـحة هذا [۲۶۰] المصـحف فكيف و قـد دلّنا بأدلـة/ قاطعـة على تكـذب هذه الرواية عن أبىّ. و ممّا يدلّ على بطلان هـذا الخبر عن أبىّ روايـة جماعة الناس عن أبىّ أنّه أدخل فى مصـحفه دعاء القنوت، و أثبته فى جملة القرآن، فإذا كان أبىّ قد حفـظ دعـاء القنوت و حرص عليه و أدخله فى مصـحفه لتوهمه أنّه ممـا أنزل اللّه من القرآن، فكيف يجوز أن يـذهب عليه أكثر سورة الأـحزاب، و أن تـذهب عليه و على أبى موسـى و غيرهما من الصـحابة سورة أنزلـت مثل البقرة ذهبت الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۹۷ بأسـرها حتى لم يذكروا منها إلا كلمة أو كلمتين، و هم قد حفظوا عن الرسول سـننه و آدابه و أخلاقه و طرائقه و مزاحه و كيف السـنة فى الأكـل و الشـرب، و فى التغوّط و البول إلى غير ذلك، حتى أحاطوا علما به و دوّنوه و شـهروه و تـداولوا به، ثم يـذهبون مع ذلك عن حفظ سورة بأسـرها إلا كلمة واحدة منها أو اثنتين، و عن حفظ الأحزاب إلا أقلّها، و هذا جهل و غباء ممن أجازه على من هو دون الصـحابة فى التـديّن بحفـظ القرآن و جودة القرائـح و الأفهـام و سـهولة الحفـظ و انطلاق الألسن و انشـراح الصـدور لحفظ ما يأمرهم الرسول بحفظه و يحثهم و يحضـهم على تعلمه و تعظيمه، و يعرفهم عظيم الأجر على تلاوته و يحذّرهم أليم العقاب فى نسيانه و ذهابه عن القلوب بعد حفظه. فإذا كان ذلك كذلك علم ببعض ما ذكرناه سـقوط هذه الروايات و تكذبها، و أنّه لا أصل لشـىء منها، و لما يجرى مجراها من الحروف الزائدة المرويّة عن جماعة من الصـحابة على ما سنذكره مفصّلا فيما بعد إن شاء اللّه. ثم يقال لهم: إنّ هذه الروايـة لو صـحّت عن أبىّ لم توجب نقصـان القرآن و لا سـقوط شـىء منه عليه و لا على سائر الصـحابة مما يلزمهم حفظه و تلاوته و يلحقهم التقصـير و التفريط بتضـييعه، و ذلك أنّه قول محتمل لأنّ يكون ما كانوا يقرءونه فى سورة الأحزاب قـد نسـخت تلاوته و زال عنهم فرض حفظه، فلـذلك لم يثبتـوه و لم يقرءوه/، و أبىّ لم يقـل مع قوله: «إنّـا كنّـا نقرأ سورة [۲۶۱] الأـحزاب، و أنّها كانت توازى

سورة البقرة»، أنّه ضـاع أكثرهـا و معظمهـا، و لا ـ أنّهم و أنّا جميعا ذهبنا عن حفظها و فرّطنا فيما وجب علينا من ذلك، و إنّما قال: «كنّا نقرؤها، و أنها كانت توازى سورة البقرة و أنه كان فيها آيـة الرّجم»، فما فى هذا ما يوجب أنّ فرض تلاوتها و حفظ جميعها باق، و أنّ القوم فرّطوا فى حفظها و ضيّعوا، مع كونه قولا محتملا للنسخ لتلاوة أكثرها، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۹۸ و هذا هو الأشبه الأليق به و بالصحابة، و ليس يستنكر أن يكون كان أكثرها قصصا و أمثالا و مواعظ فنسخت التلاوة و نسخ فيها التلاوة فى الرجم، و لهذا قال: «و إن كان فيها آيـة الرّجم»، و قـد بيّنا أنّ آيـة الرّجم منسوخة التلاوة، و إن كانت باقية الحكم فكأنّه قال لنا: نقرؤها قبل النسخ، و كان فيها آيـة الرّجم فنسخ منها أكثرها و كان مما نسخ آيـة الرّجم، و قال عمر بن الخطّاب: لو لا أن يقال: زاد عمر فى كتاب اللّه لأثبتّها و تلا: «و الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة»، و لم يقل ذلك إلا لعلمه و علم الأمّة بأنّ الآية منسوخة و أنّ إثباتها زيادة على ما ثبت فرض إثباته و حفظه على ما سنبيّنه فيما بعد إن شاء اللّه. و إذا كان ذلك كذلك لم ينكر أن تكون سورة بأسرها قصصا و أخبارا و أمثالا، أو عظمها كسورة يوسف و الكهف و أمثالهما، و أن لا يكون فيهما ما فيه حكم ثابت إلا اليسير الذى بقى فرضه، أو نسخ و بقى حكمه و حفظت تلاوته مع زوال فرضه لموضع تضمّنه للحكم اللازم لهم، لم يجب مع إمكان ذلك أن يجعل قول أبيّ هـذا دلالة على نقصان القرآن، أو أنّ أبيّا كـان يعتقـد ذلـك أو أنّه عرض به فى هـذا القول، و هـذا بيّن فى إبطال تعلّقهم بهـذه الروايـة من كلّ وجه. فأمّا ما يـذكرونه عنه فى الحروف و الكلمـات الزائـدة فى مصـحفه نحـو مـا ذكر أنّه كـان يقرأ و غيره من الصـحابة: حـافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [۲۶۲] (و هى صـلاة العصر) [البقرة: ۲۳۸]، و نحو ذلـك فـإنّه/ أيضـا ممّا لا أصل له، و لو ثبت لاحتمل من التأويل ما نـذكره فى هـذا الفصـل من الجواب عن القراءات الزائـدة على مـا فى مصـحف عثمان، و هـذه جملـة تكشف عن إبطال ضـجيجهم و تهويلهم بخلاف عبـد اللّه و أبيّ، و هـذان الرجلان هما العهدة فيما يدّعى من خلافهما للجماعة و كثرة مخالفة مصـحفيهما لمصـحف الجماعة، و قد ثبت أنّه لا حجّة لهم فى شيء مما يروونه عنهما بما فى بعضه إقناع و بلاغ. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۳۹۹

باب ذكر ما يتعلقون به من الروايات عن عمر بن الخطّاب رضوان اللّه عليه و الإبانة عن فساده

باب ذكر ما يتعلقون به من الروايات عن عمر بن الخطّاب رضوان اللّه عليه و الإبانـة عن فساده و أمّا ما يروونه عن عمر بن الخطاب من أنّه قال: «لقد قتل يوم القيامة (قوم) «۱» كانوا يقرءون قرآنا كثيرا لا يقرؤه غيرهم فـذهب من القرآن ما كان عندهم» «۲»، فإنّه أيضا من الأمانى الكاذبة و التّرهات الباطلة، و ممّا لا يذهب فساد التعلّق به على ذى تحصـيل، لأنّنا قد روينا فيما سلف من تظاهر أبى بكر و عمر و جماعة الصـحابة على جمع القرآن و عرضه و تدوين عمر له و عرضه عرضة ثانية و ضـبطه فى الصـحيفة التى خلّفها عند ابنته حفصة زوج النبيّ صلى اللّه عليه، و أخذه الناس بذلك و تعريفهم أنّه جميع الذى كان أنزله اللّه سبحانه ما هو أظهر و أشهر و أثبت من هذه الروايـة، بل هو الثابت المعلوم من حاله ضرورة فثبت بـذلك تكـذّب هذه الرواية على عمر، و أنّها لا أصل لها، و أقلّ ما فى ذلك أن تكون هـذه الروايـة معارضـة بالروايات التى ذكرناها، فلا متعلق لأحد فيها و لا سبيل له إلى تصـحيحها عن عمر. ثم يقال لهم: إنّ هذه الروايـة لـو صـحّت عن عمر لكـانت محتملـة لتأويـل صـحيح غير الـذى قـدّمتموه، و ذلـك أنّ قوله: «لقـد قتـل يوم اليمامـة قوم كـانوا

(______________________________ ۱) ورد فى الأصـل (قومـا) و الجـادة: قوم، نائب فاعل. (۲) رواه البخارى فى «الصحيح» (۶: ۴۱۵) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن برقم ۴۱۵). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۰ يقرءون قرآنا كثيرا لا يقرؤه غيرهم، فـذهب من القرآن ما كان عندهم»، [۲۶۳] يحتمل أن يكون أراد به أنّهم كانوا يكثرون دراسـة القرآن/ و تلاوته و التهجد به و الانتصـاب لقراءته فى المحـاريب و غيرها فى آناء الليل و أطراف النّهار و يقـدرون من ذلك على ما يثقل و يتعـذّر على كثير ممن بقى من الأمّـة، و إن كان منهم اليسـير ممّن يساوى من قتل باليمامة من هذا الباب، و يكون قوله: «فـذهب من القرآن ما كان عنـدهم» محمولا على أنّه ذهب أكثر درسة القرآن و تلاوته و ترك التهجّد و الابتهال به ما كان عندهم، و هذا هو الذى أراده و قصده إن صحّ هذا القول عنه دون ذهاب شيء من القرآن على سائر من بقى من الأمّة. و كيف يقول ذلك و هو

يعلم أنّ القوم الـذين قتلوا إنّما أخـذوا القرآن عن أبيّ و عبد اللّه و أمثالهما، و أئمتهم باقون، أو أخذوه عن الرسول و الرسول قد أقرأه و حفظه عن أبيّ و عبـد اللّه بن مسـعود و سـتة من أمّته حفّاظ، و أنّ العادة مسـتقرّة موضوعة على إحالة انكتام أمر قرآن كثير و ذهاب حفظه عن مثل من بقى من أمّة محمّد صلى اللّه عليه و فيهم أبو بكر و عمر و عثمان و علىّ و أبىّ و عبد اللّه بن مسعود و زيد بن ثابت لو لا غباوة من يظن أنّ فى التعلّق بمثل هذه الرواية شبهة؛ فوجب بما وصفناه بطلان هذه الرواية أو حملها على التأويل الذى وصفنا إن سلمنـا صـحّتها يومـا و نظرا. و أمـا مـا يتعلّقون به فى هـذا الباب من الرّوايـة عن عمر بن الخطاب من أنّه خطب و قال على المنبر: «أيّها النـاس إيّاكم أن تهلكوا عن آيـة الرّجم فلقـد رأيت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و قـد نزلت و قرأ بهـا، و لو لا ـ أن يقول النـاس زاد ابن الخطاب فى كتاب اللّه، لكتبت فيه أو لألحقت فى حاشيته: و الشيخ الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۰۱ و الشيخة فارجموهما البتّة» «۱»، و أنّه قـال فى موقف آخر: «إنّ اللّه تعالى بعث محمـدا صـلى اللّه عليه بالحقّ و أنزل عليه الكتاب، و كان مما أنزل إليه آيـة الرجم فرجم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و رجمنا بعده، ألا و إنّ آية الرّجم فى كتاب اللّه حقّ: «و الشيخ و الشيخة فارجموهما البتّة جزاء بما قضيا من الشهوة نكالا من اللّه، و اللّه/ عزيز حكيم». [۲۶۴] و قولهم إنّ هذا تصريح منه بنقصان القرآن و سقوط آية الرّجم، فإنّه أيضا جهل من المتعلّق به و ذهاب عن الواجب، لأنّ هـذه الروايـة بأن تكون عليهم و حجّة على فساد قولهم أولى من أن تكون دلالة لهم. و ذلك أنّه لمّا كانت هـذه الآيـة مما أنزله اللّه تعالى من القرآن لم يذهب حفظها عن عمر بن الخطاب و غيره، و إن كانت منسوخة التلاوة و باقية الحكم، و قـد زال فرض حفظ التلاوة مع النسـخ لها و لم تنصـرف همم الأمّة عن حفظ ما نزل ممّا تضـمّن حكما خيف تضـييعه، و أن يحتـجّ محتـجّ فى إسـقاطه بـأنّه ليس من كتـاب اللّه تعالى، فلو كان هناك قرآن كثير منزل غير الـذى فى أيـدينا ثابت غير منسوخ و لا مزال فرضه لم يجز أن يذهب حفظه على عمر و غيره من الصحابة، كما لم يجز أن يذهب عليهم حفظ هذه الآية الساقط فرض تلاوتها بالنسـخ لها، بل العادة موضوعـة جارية بأنّهم أحفظ لما ثبت حكمه و بقى فرض حفظه و تلاوته و إثباته، و أنّهم إذا لم يجز أن يذهب عليهم حفـظ القليـل الزائـل الفرض، لم يجز أن يـذهب عليهم حفـظ الكثير الباقى فرض حفظه و تلاوته و إجزاء الصـلاة به، و إذا كان ذلـك كـذلك كـانت (______ ۱) رواه

البخارى فى «الصـحيح» (۸: ۳۴۰) كتـاب المحـاربين من أهل الكفرة، برقم (۶۸۳۰)، و مسـلم فى «صحيحه» (۳: ۱۳۱۷) كتاب الحدود برقم (۶۹۱)، و الإمام أحمد فى «المسند» (۱: ۲۳) برقم (۱۵۶). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۰۲ هذه الرواية من أدلّ الأمور على إبطال قولهم بسـقوط شىء كثير من القرآن و ذهاب الأمّة عن حفظه. و الدليل على أنّ هذه الآية كانت محفوظة عند غير عمر من الأمّة قوله: «كنّا نقرؤها»، و تلاوته لها بمحضـر من الصـحابة و ترك النكير لقوله و الردّ له، و أن يقول قائل فى أيّام حياته أو بعده أو مواجها له أو بغير حضرته متى نزلت هذه الآية و متى قرأناها، و العادة جارية بمثل هذا فى قرآن يدّعى إنزاله لا أصل له و يدّعى فيه حضور قوم نبل أخيار أبرار، أهل دين و نسك و حفظ و لسن و براعـة، و قرائـح سـليمة و أذهان صافيـة، فإمساكهم عنه أوضـح دليل على أنّ ما قاله و ادّعاه كان معلوما محفوظا عنـدهم، و كـذلك سبيل غيرهم لو [۲۶۵] كان هناك/ قرآن أكثر من هـذا قـد نزل و قرئ على عهد رسول اللّه صـلى اللّه عليه، و لا سيّما مع بقاء رسـمه و لزوم حفظه و تلاوته، و هـذا واضح فى سـقوط قولهم. و أمّا ما يدلّ على أنّ هذه الآية منسوخـة بروايـة جميع من روى هذه القصّة، و أكثر من تكلّم فى الناسخ و المنسوخ: أنّ هذه الآية كانت ممّا أنزلت و نسـخت فهى فى ذلك جاريـة مجرى ما أنزل ثم نسـخ، و هـذه الروايـة حجّة قاطعة فى نسخ تلاوة الآية فى الجملة، فإنّها لمّا كانت قرآنا منزلا حفظت و اعترف الكـلّ بأنّها قرآن منزل، و إن خالف قوم لا يعتـدّ بهم فى نسـخها، فكـذلك يجب لو كان هناك قرآن منزل غير هـذا أن يكون محفوظا لا سيّما مع بقاء فرضه و تجب الإحاطة به، و إن اختلفت فى نسخ حكمه و تلاوته لو اتّفق على ذلك. و مما يدلّ أيضا على أنّ آيـة الرّجم منسوخـة الرسم قول عمر بن الخطاب فى الملأ من أصـحابه: «لو لا أن يقال زاد ابن الخطاب فى كتاب اللّه لأثبتها»، الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۰۳ و لو لا ـ علمه و علم الجماعـة بأنّهـا منسوخـة الرسم لم يكن إثباتها زيادة فى كتاب اللّه تعالى، و لم يحسن من عمر أن يقول ذلك، و من يقول هذا فى قرآن ثابت التلاوة غير منسوخ فإظهارا لهذا القول، و ترك أن يقول له القوم أو بعضهم كيف

زید فی كتاب اللّه إذا أثبت ما هو باق الرسم و الحكم، أوضح دليل على أنّه و إيّاهم كانوا عالمين بنزول هذه الآية و نسخ رسمها، و بقاء حكمها، و كلّ هذا ينبئ عن أنّ القوم يجب أن يكونوا أحفظ لسورة الأحزاب التى رووا أنّها كانت توازى سورة البقرة و لغير ذلك ممّا أسقط من كتاب اللّه تعالى لو كان هناك شيء منزل غير الذى فى أيدينا، فبان بهذه الجملة كون هذا القول من عمر حجّة عليهم و برهانا على بطلان دعواهم، و باللّه التوفيق. *** الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۴

باب الكلام فيما يتعلّقون به عن أبى موسى الأشعرىّ فى هذا الباب و الدّخل عليه

باب الكلام فيما يتعلّقون به عن أبى موسى الأشعرىّ فى هذا الباب و الدّخل عليه فأمّا احتجاجهم بما يروونه عن أبى موسى الأشعرى من أنّه قال: «و اللّه [۲۶۶] لقد كنّا نقرأ/ سورة على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه كنّا نشبّهها ببراءة تغليظا و تشديدا و نسيناها غير أنّى أحفظ منها حرفا أو حرفين: «لو كان لابن آدم و اديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، و يتوب اللّه على من تاب». و ما رووه من قوله- أعنى أبا موسى- «كانت الأحزاب مائتا آية و خمسا (و سبعين) «۱» آية، فذهب منها مائتا آية، فقيل يا أبا موسى، ذهبت من سورة واحدة مائتا آية؟ فقال: نعم، و قرآن كثير». و ذكر أنّ سورة «لم يكن» كانت مثل البقرة، فلم يبق منها إلا سبع آيات، فإنّها رواية باطلة و الدّليل على بطلانها كلّ شيء ذكرناه من إبطال مثل هذه الرواية عن عمرو و أبىّ بن كعب و هى مع ذلك معارضة برواية للكافّة و الدّهماء الثّبت الثّقات عن أبى موسى أنّ هذا الذى بين اللوحين هو جميع كتاب اللّه الذى أنزله، و أنّه مرسوم على ما أنزل و أنّه كان يقرأه و يقرئه و يلقّنه من غير قدح فيه و لا وصف له بزيادة و لا نقصان، و هذه الرواية أولى

(____ ۱) وردت فى الأصل سبعون، و الجادة و سبعين للعطف. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۵ بالثبوت و الصحّة من الرواية التى ذكروها، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما تعلّقوا به، لأنّ من شأن الخبرين المتعارضين أن يتساويا، فإمّا أن يكون أحدهما خبر واحد و الآخر تواتر، و نقل الكافّة بأنّ هذا هو القرآن كلّه تواتر، و جميع ما يروى من خبر أبى موسى و عائشة و غيرهما أخبار أدلّة ضعاف لا يرتفع بها، فسقط ما قالوه. و على أنّ هذه الروايات لو صحّت عن أبى موسى لاحتملت من التأويل الصحيح غير ما ذهبوا إليه، و ذلك أن قوله: «و اللّه لقد كنّا نقرأ سورة على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه كنّا نشبّهها ببراءة تغليظا و تشديدا فنسيناها غير أنّى أحفظ منها حرفا أو حرفين» إلى آخر الخبر ليس بتصريح منه و لا يقرّه فكأنّهم ذهبوا عن حفظ ما لزمهم حفظه و بقى رسمه، و لا بأنّ غيره كان لا يحفظ من هذه السورة المنسوخة ما يذهب عليه حفظه، و إنّما هو إخبار منه بأنّهم كانوا يقرءون سورة/ هذه صفتها، فيمكن أن يكون ذلك صحيحا عنه، [۲۶۷] و أن تكون تلك السورة نسخ رسمها فتشاغل أبو موسى بحفظ الواجب الباقى رسمه عن حفظها فلم يبق عليه منه إلا حرف أو حرفان، و أن يكون غيره قد كان يحفظها بأسرها أو كثيرا منها، و هو لم يصرّح بأنّهم أسقطوها و نقصوها و أنّها باقية غير منسوخة، و إنّما أخبر أنّهم كانوا يقرءونها فقط، و هذا لا يدلّ على بقاء رسمها و يدل على أنّ هذه الرواية إن صحّت فهذا قصده بذكر ما قاله فى قوله: «غير أنّى أحفظ منها لو كان لابن آدم». و هذا من جملة ما قد تظاهرت الأخبار بأنّه منسوخ، فيجب أن يكون حكم ما نسيه فى أنّه منسوخ حكم ما ذكره معه، فى ظاهر الحال و قد يجوز أن يذهب الناس عن حفظ ما يسقط فرض حقّه و نسخ رسمه، و لا يجوز فى مستقرّ العادة ذهابهم جميعا عن حفظ الباقى الرسم الثابت الفرض، و إذا الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۶ احتملت هذه الرواية ما ذكرناه بطل أن تكون دلالة على اعتراف أبى موسى بنقصان القرآن الباقى الرسم و ذهاب الأمّة عن حفظ كثير منه. و أمّا قوله: «إنّ الأحزاب كانت مائتى آية و خمسا (و سبعين) «۱» آية فذهب منها مائتا آية، و قولهم له: ذهب من سورة واحدة مائتا آية، و قوله: نعم و قرآن كثير، فإنّ معناه أيضا- إن صحّ- أنّه نسخ قرآن كثير من سورة الأحزاب و من غيرها فذهب حفظه لمّا سقط و زال فرض تلاوته، نسخ رسمه، و كذلك قوله: إنّ (لم يكن) كانت مثل البقرة فبقى منها سبع آيات معناه: أنّها نسخ أكثر رسمها و بقى منه سبع آيات، و إذا كان ذلك كذلك بطل توهّمهم، و ظن من ظنّ بأبى موسى أنّه اعتقد فى نفسه و باقى أمّة محمّد صلى اللّه عليه أنّهم قد ذهبوا عن

حفظ قرآن كثير ثابت باقى الرسم، و هـذا واضـح فى بطلان قولهم. و كذلك الجواب عمّا يروونه فى هذا الباب من نحو قول عبد اللّه «إنّه كان إذا سمع الإنسان يقول مع فلان القرآن كلّه يقول: ما يدريك لعلّه قد [۲۶۸] ذهب قرآن، فما وجد بعد» و نحو رواية عبد اللّه بن عبّاس عن أبىّ أنّه/ سمعه و قد قال له رجل: «يا أبا المنذر إنّى قد جمعت القرآن، فقال له: ما يدريك لعلّه قد سـقط قرآن كثير فما وجـد بعـد». و أنّ عائشـة رضوان اللّه عليها قالت «۲»: «و اللّه لقـد أنزلت رضاعـة الكبير عشـرا و رجم المحصن فكانت فى ورقـة تحت سريرى، فلمّـا قبض رسول اللّه (________________ ۱) فى الأصل و سبعون و الصواب و سبعين، كما سبق قبل صفحات. (۲) رواه مسـلم فى «الصحيح» (۲: ۱۰۷۵) كتـاب الرضاع باب التحريم بخمس رضـعات، برقم (۱۴۵۲)، و الترمـذى فى «السـنن» (۳: ۴۴۶) كتـاب الرضـاع، بـاب مـا جاء لا تحرم المصـة و لا المصـتان برقم (۱۱۵۰)، و النسائى فى «السـنن» (۳: ۲۹۸) كتاب النكاح القـدر الذى يحرم من الرضاع برقم (۵۴۴۸). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۷ صلى اللّه عليه تشاغلنا به فدخل داجن الحىّ فأكله»، و روى الناس عنها أنّها قالت: «كان فيما يقرأ من القرآن فسقط: يجزئ من الرضاع عشـر رضـعات، ثم نسـخت إلى خمس معلومات»، و فى بعض الروايات عنها أنّها قالت: «و كان ممّا يقرأ إلى أن مات رسول اللّه صلى اللّه عليه». و نحوهمـا روى عن أبى بكر و عمر من أنّه كان ممّا نزل: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم» «۱»، و من نحو مـا روى من قصّـهٔ أهل بئر معونـهٔ و أنّ اللّه تعالى أنزل فيهم قرآنا فروى أنس بن مالك عن النبى صـلى اللّه عليه «أنّه دعا على الذين قتلوا أهل بئر معونهٔ ثلاثين غداهٔ يدعو على رعل و ذكوان و عصيّهٔ، عصت اللّه و رسوله» «۲» قال أنس: «أنزل فى الذين قتلوا ببئر معونـهٔ قرآن كثير حتى نسـخ بعد؛ أن بلّغوا قومنا أنّا لقينا ربّنا فرضـى عنّا و أرضانا». فجوابنا عن كلّ ما يرد من هذا الجنس أنّه ممّا كان قرآنا رفع و نسخت تلاوته، و ذلك ما لا ينكره و لا يدفع فى الجملهٔ أن يكون اللّه سبحانه قد أنزل قرآنا كثيرا ثم نسخ تلاوته و إن كنّا لا نتيقّن صـحّهٔ كلّ خبر من هـذه الأخبار، و قرآن من هـذا الذى روى أنّه نزل ثم نسخ إذا لم يتّفق عليه المسـلمون و لم يتواتر الخبر به تواترا يلزم معه العلم بصـحّته، و لم يـدلّ على ثبوته دليل قاطع، و ليس يوقفنا فى غيره كلّ خبر من هـذه الأخبار يوجب عدم علمنا بأنّه (________________ ۱) رواه البخـــارى (۵ : ۵۱) كتـاب المغازى، باب غزوهٔ الرجيع، برقم (۴۰۹۰)، و مسلم (۱: ۴۶۸) كتاب المساجد و مواضع الصلاهٔ باب استحباب القنوت فى جميع الصلاهٔ إذا نزلت بالمسـلمين نازلهٔ برقم (۶۷۵). (۲) رواه البخارى (۸: ۳۴۱) كتـاب المحاربين من أهل الكفرهٔ و الردهٔ، برقم (۶۸۳۰)، و الإمام أحمد فى «المسند» (۱: ۴۷) برقم (۳۳۱) و (۱: ۵۵) برقم (۳۹۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۸ قـد أنزل فى الجملهٔ قرآن ثم نسخ و رفع بقول أبىّ و عبـد اللّه، و ما يدريك لعلّه سـقط أو ذهب قرآن كثير، فما وجد بعد إنّما هو أنّه لا ينبغى لأحد أن يدّعى أنّه قد جمع ما أنزل من ناسـخ القرآن و منسوخه، و قولهم: «فيما وجد بعد» [۲۶۹] فما نجد اليوم من يحفظ/ جميع ما نسخ و سـقطت تلاوته، و هذا ممـا لاـ بـدّ منه، و نحوه من التأويل لأجل ما ذكرناه من شـهرهٔ أمر القرآن و ظهور نقله. و قـد يمكن أيضا أن يكون أبىّ و عبـد اللّه بن عمر قد علما من حال من قال أو كان يقول: «إنّى جمعت القرآن» أى: قد جمعته على جميع وجوهه و حروفه التى أنزل عليها، فقالا له: و ما يدريك لعلّه قد ذهب أو سقط قرآن كثير لم يوجد بعد، أى: لم تجده أنت و لا وقع علمه إليك، أو لم تجد بعد من يحفظ جميع تلك الأحرف و القراءات التى أنزل القرآن عليها» و إن كانت ظاهرهٔ فى الناس و متفرّقهٔ منهم، على ما سنبيّنه فيما بعد، لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه كـان يقرئهم بمـا سـهل عليه و عليهم، و لاـ نعلمه أقرأ رجلا فيهم بجميع الأحرف السـبعهٔ و حفّظه إيّاها و أفرده بها، لأنّ ذلك مما لا يجب عليه و لم يره من مصالـح الأمّهٔ، أو لم يتّفق له أو لمن أخذ عنه نشاط لحفظ جميع تلك الأحرف، و إذا كان ذلك كـذلك صـحّ مـا قلنـاه من التأويل الـذى هو أليق و أشبه أن يكون الصـحابهٔ قصـدته و أرادته مع ما ظهر من إقرارها جميعا بأن ما بين اللوحتين هو جميع الثـابت الرسم الـذى أنزله تعـالى. و أمّا ما روى عن عائشـهٔ رضـى اللّه عنها فى الرّضاع فإنّه أيضا دليل على ما قلناه، لأنّهـا قالت: «كان مما أنزل ثم نسخ بخمس». و قولها: «نسخ» ليس فيه دلالـهٔ أنّه نسـخ بقرآن؛ لأنّه قـد ينسـخ بوحى ليس بقرآن لقيام الدلالـهٔ على جواز نسـخ نفس التلاوهٔ و نفس حكمها بالسّـنّهٔ، الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۰۹ و قـد بيّنّا ذلك و أوضـحناه فى كتاب

«أصول الفقه» بما یغنی الناظر فیه، و بیّنت ذلک أنّها قرنت نسخ العشر رضعات المحرّمات بنسخ آیة الرجم، و هی قوله: (و الشیخ و الشیخة)، و قد علم أنّها إنّما نسخت تلاوتها بسنّة، فبیّنت ذلک لا بقرآن. و قولها: «لقد کانت مکتوبة فی ورقة تحت سریری» یدلّ أیضا علی ذلک؛ لأنّه دلالة علی قلّة الحفظ له و الاحتراز و الاعتناء بحیاطته، لأنّ عادتهم فی الثابت الباقی الرسم صیانته و جمعه و حراسته دون طرحه فی الظهور تحت الأسرّة و الرّجل و بحیث لا/ یؤمن علیه، فأمّا إذا نسخ و سقط [۲۷۰] فرضه جاز ترک حفظه و الاعتناء به، و جعل ما یکتب فیه ظهورا ینتفع به و یثبتون فیها ما یریدون. و قولها: «فدخل داجن الحی فأکله» لا یدلّ علی أنه لم یکن عند أحد غیرها لم یأکله من عنده شیء. و قولها: «و لقد کان یقرأ إلی أن مات رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم، و کان ممّا یقرأ» تعنی به أنه کان ممّا یحفظه کثیر من الناس أقرب عهد بنسخه، و لم تقل بالخبر: «إنّه کان مما یقرأ» علی أنه ثابت باقی الرسم، و نحن الیوم نقرأ ذلک و نقرأ ما روی لنا من المنسوخ علی سبیل الحفظ و المذاکرة به، و کما یقرأ کثیر منّا التوراة و الإنجیل و الزّبور لا علی أنه واجب علینا حفظه و تلاوته، و إذا کان ذلک سقط أیضا التعلّق بهذه القصة. فأمّا ما ذکروه من القرآن المنزل فی بئر معونة فإننا لا ننکر أن یکون ذلک صحیحا قد کان، إلا أنه قد نسخ و زال لأنّ نسخه مرویّ، و لأنه لو کان ثابتا باقیا لوجب نقله و حفظ الأمّة له کأمثاله من القرآن الثابت، و قد قال أنس- الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۰ و هو راوی الخبر: إنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم لما بعث حراما «۱» زوج أمّ سلیم «۲» فی سبعین رجلا- و ذکر قصّتهم- و قال: فأنزل علینا و کان مما نقرأ فنسخ: (أن بلّغوا قومنا أنّا لقینا ربّنا فرضی عنّا و أرضانا)، و لیس یجب علی الأمّة حفظ ما نسخ من القرآن و ضبطه و إلحاقه بما ثبت منه و خلطه به، و لا سیّما إذا لم یکن مما ورد فی حکم ثابت أو زائل یهمّ الناس بمعرفة تاریخه و سببه، و إذا کان ذلک کذلک بطل أیضا التعلّق بهذه القصة، و قد قال اللّه سبحانه:* ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها [البقرة: ۱۰۶]، فنصّ علی أنه ینسخ الآیة و یزیلها، و قد ینسخ التلاوة و یبقی الحکم، و ینسخ الحکم و تبقی التلاوة، و ربما نسخا جمیعا. و قد ذکر قوم أنّ المراد بقوله:* ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أی: نرفعها أو ننسها، أی: نأمر بترک العمل بها إلا أتینا بمثلها أو خیر منها لکم أن نأتی [۲۷۱] بعبادة مثل التی ترکت، و یکون الثواب علی الآتی أکثر، أو بأن یکون/ عمل الناسخ أخفّ و الثواب متساوی، فیکون ذلک خیرا لکم. و قیل أیضا فی معنی: نُنْسِها أن اللّه جلّ ذکره کان إذا أراد نسخ الآیة أذهب بحفظها عن قلوب جمیع الحافظین للآیة، فإذا أصبحوا عرضوا ذلک علی الرسول و سألوا عنها فأخبرهم أنّ اللّه قد نسخها و رفع تلاوتها، و هذا

(۱) هو حرام بن ملحان، خال أنس بن مالک، أنصاری، و قصته مع أصحابه فی بئر معونة وردت فی «صحیح البخاری»، و هو أخو أم سلیم و لیس زوجها، و قول المصنف (زوج أم سلیم) و هم، و اللّه أعلم. «الإصابة» (۲: ۴۷). (۲) اسمها سهلة، و قیل: رمیلة، و ملیکة بنت ملحان الأنصاریة، روی عنها جماعة منهم ابنها أنس و أبو سلمة بن عبد الرحمن، و هی التی أحزمت أنسا للنبی صلی اللّه علیه و سلّم، و مناقبها کثیرة، «الکاشف» (۳: ۴۴۱). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۱ عندنا صحیح غیر مستحیل، و إن کان مثله الیوم متعذّرا علی وضع العادة مع کمال العقل، لأنّ اللّه جلّ و عزّ إنما خرق العادة بحفظ ذلک علی زمن الرسول، لکی یجعل ذلک آیة له و دلالة قاهرة علی صدقه فی الناسخ و المنسوخ، و لیردّ بذلک قول من حکی عنه أنّ ذلک افتراء من الرسول فی قوله: وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ [النحل: ۱۰۱]، فهذا عندنا أحد آیات الرسول صلی اللّه علیه و سلّم. و قال قوم: إنما کان یذهب بحفظها من قلوب جماعة منهم یجوز علی مثلهم النسیان، فأمّا علی سائرهم فلا، فإذا عرض ذلک البعض الآیة خبّروا بأنها قد نسخت عن الکلّ، فوقع عند ذلک الفتور من الجمیع و الإعراض عن التحفّظ، فعمّ النسیان جمیعهم. و قال آخرون: إنما کان نفر منهم ینسون منها مواضع قد جرت بنسیان مثلها فیضطرب علیهم ضربا من الاضطراب، فإذا عرضوا ذلک علی الرسول خبّروا بأنها قد نسخت عن الجمیع، فأمّا أن ینسی النفر منهم جمیع الآیة فإنه محال ممتنع فی مستقرّ العادة مع بقاء الفهم و کمال العقل. و قال آخرون: بل کان اللّه تعالی یذهب عن قلب کلّ واحد منهم حفظ موضع منها غیر الموضع الذی یذهب بحفظه عن قلب الآخر، فینسی کلّ واحد منهم غیر ما ینساه الآخر، و ذلک جائز فی العادة، فإذا عرضوا ذلک علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم لاضطراب جمیعهم فیها علی هذه

السبيل خبّروا بأنها قد نسخت عنهم، فأما أن يتفق لجماعتهم نسيان جميع الآية أو نسيان موضع واحد منها أو مواضع متساوية فذلك محال. و كل هذا ممكن عندنا و إن كان/ فى بعضه خرق العادة، لأنه آية للرسول، [۲۷۲] و ليس الكلام فى هذا الباب مما قصدنا له فكنّا نسهب فيه. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۲ و إذا كان الأمر على ما وصفناه ثبت بهذه الجملة حصول العلم لنا بأن اللّه تعالى قد كان نسخ أشياء كثيرة من كتابه بعد أن أنزلها على رسوله، فيجب حمل جميع ما روى عن الصحابة و التابعين من ذهاب قرآن كثير و سقوطه و قولهم لمن ادّعى جمع القرآن كلّه: «فما يدريك لعلّه قد ذهب قرآن كثير لم يوجد بعد» على التأويل الذى وصفناه، و هذا بيّن فى سقوط جميع ما يتعلّقون به من هذه الألفاظ. و ليس على جديد الأرض أجهل ممّن يظنّ أنّ الرسول و الصحابة كانوا جميعا يهملون أمر القرآن و يعدلون عن تحفّظه و إحرازه و يعوّلون على إثباته فى رقعة تجعل تحت سرير عائشة وحدها، و فى رقاع ملقاة ممتهنة حتى دخل داجن الحىّ فأكلها أو الشاة ضاع منهم و تفلّت و درس أثره و انقطع خبره! و ما الذى كان ترى يبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم على هذا التفريط و العجز و التوانى و هو صاحب الشريعة و المأمور بحفظه و صيانته و نصب الكتبة له، و يحضره خلق كثير متبتّلون لهذا الباب و منصوبون لكتب القرآن الذى ينزل و كتب العهود و الصّلح و الأمانات و غير ذلك مما نزل و يحدث بالرسول خاصة و به حاجة إلى إثباته. و كان صلى اللّه عليه و سلّم يعرض القرآن فى كل عام، و عرضه فى العام الذى مات فيه عرضتين، و يقول لهم: «إذا أنزلت الآية ضعوها فى السورة التى يذكر فيها كذا» و ينظم لهم الآيات فى السور، و يقول لعمر و قد قال له فى آية الرجم (الشيخ و الشيخة): أ لا نثبتها يا رسول اللّه؟ قال: «لا أستطيع ذلك»، يعنى: أنها قد نسخت و أزيل رسمها و بقى حكمها، و سنذكر فى باب جمع أبى بكر القرآن جملة من ألفاظ الرسول صلى اللّه عليه و سلّم فى إثبات ما نزل عليه من القرآن مما قاله لأبىّ و زيد بن ثابت و غيرهما. الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۳ و قد كان له عليه السلام جماعة أماثل/ عقلاء أفاضل، كلّهم كتبة له [۲۷۳] و معروفون بالانتصاب لذلك من المهاجرين و الأنصار، فمن كتب له من قريش من المهاجرين: أبو بكر الصديق، و عمر بن الخطاب، و عثمان، و على، و زيد بن أرقم «۱»، و خالد بن سعيد «۲»، و ذكر أهل السيرة أنه كان ائتمنه حتى كان يأمره بطىّ ما كتب و ختمه، و كان أيضا كاتبا لأبى بكر و عمر ليستعمله على بيت المال. و منهم أيضا: الزّبير بن العوّام «۳»، و حنظلة الأسدىّ «۴»، و خالد بن أسد «۵»، و جهيم بن الصّلت بن محرمة «۶»، و العلاء بن ....

(۱) زيد بن أرقم الخزرجى، غزا سبع عشرة مرة، روى عنه طاوس و أبو إسحاق، و كان من خواصّ على رضى اللّه عنه، توفى سنة ثمان و ستين، أحاديثه فى البخارى و مسلم. «الكاشف» (۱: ۲۶۳). (۲) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى، أبو سعيد، من السابقين الأولين، روى ابن أبى داود فى «المصاحف» عن ابنة خالد أن أباها أول من كتب بسم اللّه الرحمن الرحيم، قيل: كان إسلامه مع إسلام أبى بكر، و قيل: استشهد يوم أجنادين، و قيل غير ذلك، و اللّه أعلم. «الإصابة» (۲: ۲۳۸). (۳) هو الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد، حوارىّ رسول اللّه و ابن عمته صفية، صحابىّ مشهور، و أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم و له اثنتا عشرة سنة. «الإصابة» (۵: ۱۳۹). (۴) هو حنظلة بن جذيم بن حنيفة التميمى، و يقال الأسدى، أسد خزيمة المالكى، و له و لأبيه و لجده صحبة. «الإصابة» (۲: ۱۳۲). (۵) هو خالد بن أسد بن حبيب، روى عن سلمة بن نفيل، و روى عنه ضمرة بن حبيب، لم يذكر فى «الاستيعاب» أو «الإصابة». «الطبقات الكبرى» لابن سعد (۷: ۴۲۷). (۶) هو جهيم بن الصلت بن المطلب بن عبد المناف، أسلم بعد الفتح، قال ابن حجر: لا أعلم له رواية، و هو ممن كتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم. «الاستيعاب» (۸: ۲۶۱)، «الإصابة» (۱: ۵۲۴)، «الجرح و التعديل» لابن أبى حاتم (۲: ۵۴۰). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۴ الحضرمىّ «۱»، و شرحبيل بن حسنة «۲»، و حاطب بن عمرو بن عبد شمس «۳»، و أبو سلمة بن عبد الأسد «۴»، و مهاجر بن أبى أميّة «۵»، و حويطب بن عبد العزّى «۶»، و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة «۷»، و أبان بن سعيد بن

(۱) العلاء بن الحضرمى، و كان اسمه عبد اللّه بن عماد بن أكبر، استعمله النبى صلى اللّه عليه و سلّم على البحرين، و أقره أبو بكر ثم عمر، مات سنة أربع عشرة، و قيل سنة

إحدی و عشرین، و کان مجاب الدعوة، و خاض البحر بکلمات قالها، و ذلک مشهور فی کتب الفتوح. «الإصابة» (۴: ۵۴۱). (۲) شرحبیل بن حسنة و هی أمه علی ما جزم به غیر واحد، و قیل بل تبنّته، و أبوه عبد اللّه بن المطاع الکندی، و یقال التمیمی، من السابقین للإسلام، و ممن هاجر إلی الحبشة ثم المدینة، ولاه عمر علی ربع من أرباع الشام، و یقال: إنه طعن- أی أصیب بالطاعون- هو و أبو عبیدة فی یوم واحد، و مات فی طاعون عمواس و هو ابن سبع و ستین سنة. «الإصابة» (۳: ۳۲۸). (۳) حاطب بن عمرو بن عبد شمس، کان حاطب من السابقین، و یقال إنه أول مهاجر إلی الحبشة، و به جزم الزهری، و هو ممن شهد بدرا. «الإصابة» (۲: ۶). (۴) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم المخزومی، أحد السابقین إلی الإسلام، اسمه عبد اللّه، أسلم بعد عشرة أشخاص، و کان أخا النبی صلی اللّه علیه و سلّم من الرضاعة کما ثبت فی «الصحیحین»، تزوج أمّ سلمة ثم أصبحت بعد وفاته زوج النبی صلی اللّه علیه و سلّم، و هو ابن عمة النبی صلی اللّه علیه و سلّم، توفی سنة أربع للهجرة بعد غزوة أحد بسبب جرح أصابه. «الإصابة» (۴: ۱۵۴). (۵) المهاجر بن أبی أمیة هو أخو السیدة أمّ سلمة زوج النبی صلی اللّه علیه و سلّم شقیقها، وفاته بعد سنة ۱۲ ه-. مترجم فی «الإصابة» و غیرها، و کان أمیرا علی الیمامة أو نواحیها زمن أبی بکر رضی اللّه عنه. (۶) لم أجد من ترجم له. (۷) أبو حذیفة بن عتبة بن ربیعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشی العبشمی، قیل اسمه مهشم، و قیل: هشیم و قیل: هاشم، و قیل: قیس، من السابقین إلی الإسلام، هاجر الهجرتین و صلی إلی القبلتین، شهد بدرا، استشهد یوم الیمامة و هو ابن ستّ و خمسین سنة. «الإصابة» (۷: ۸۷). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۵ العاص «۱»، و عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح «۲»، و هو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، و عمرو بن العاص، و عبد اللّه ابنه، و أبو سفیان بن حرب، و معاویة بن أبی سفیان. و کتب له من ثقیف: المغیرة بن شعبة «۳»، و حنظلة بن الربیع «۴»، و مات (نفر فنسینا) «۵»، یذکر أن امرأته رثته فقالت: إنّ سواد الشّعر أودی به و جدی علی حنظلة الکاتب و کتب له صلی اللّه علیه و سلّم من الأنصار: زید بن ثابت، و أمره أن یتعلم کتاب الیهود فتعلّمه، فکان یکاتبهم عنه، و کتب له عبد اللّه بن مسلمة «۶»، و عبد اللّه بن رواحة «۷»، و أبو أمامة أسعد بن ....

(____ ۱) أبان بن سعید بن العاص بن أمیة بن عبد المناف القرشی الأموی، قال البخاری و غیره: له صحبة، شهد بدرا مشرکا، و نجا ثم أسلم أیام خیبر، و شهدها مع النبی صلی اللّه علیه و سلّم، قتل یوم أجنادین سنة ثلاث عشرة، و قیل غیر ذلک. «الإصابة» (۱: ۷). (۲) عبد اللّه بن سعید بن أبی سرح بن الحارث بن حبیب القرشی العامری، کان ممن کتب الوحی للنبی صلی اللّه علیه و سلّم، افتتح إفریقیة زمن عثمان و ولی مصر بعد ذلک، و کانت ولایته مصر سنة خمس و عشرین، أسلم ثم ارتد ثم أسلم یوم الفتح، و المحققون علی أنه ممن حسن إسلامه و جاهد فی سبیل اللّه حتی لقی اللّه علی الإسلام. «الإصابة» (۴: ۱۱۰). (۳) المغیرة بن شعبة بن مسعود الثقفی، صحابیّ مشهور، تقدمت ترجمته. «تقریب التهذیب» (۱: ۵۳۴). (۴) حنظلة بن الربیع بن صیفی، بفتح الصاد، التمیمی، یعرف بحنظلة الکاتب، صحابیّ نزل الکوفة، مات بعد علی رضی اللّه عنهما. «تقریب التهذیب» (۱: ۱۸۳). (۵) ما بین القوسین غیر مقروء. (۶) کذا فی الأصل، و لعله محمد بن مسلمة، أبو عبد الرحمن الأنصاری رضی اللّه عنه صاحب سریة اغتیال کعب بن الأشرف. (۷) عبد اللّه بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القیس الخزرجی الأنصاری الشاعر، أحد السابقین، شهد بدرا و استشهد بمؤتة فی سنة ثمان للهجرة. «تقریب التهذیب» (۱: ۳۰۳). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۶ زرارة «۱»، و المنذر بن عمرو «۲»، و أبیّ بن کعب، و کان- فیما ذکر- أول من کتب للنبی صلی اللّه علیه و سلّم حین قدم المدینة، و کان یکتب هو و أبو بکر و علیّ فی آخر کتب رسول صلی اللّه علیه و سلّم من العهود و النشر و کان: «کتب أبیّ»، و کان أول من کتب ذلک، و کانا یکتبان فی آخر کتب رسول صلی اللّه علیه و سلّم: «شهد عبد اللّه ابن أبی قحافة و علیّ بن أبی طالب». و کتب لرسول اللّه أیضا: مالک بن العجلان «۳»، و أسید بن حضیر، و معن بن عدی «۴»، و أبو عیسی بن جبیر «۵»، و سعد بن الربیع «۶» و أوس بن خولی «۷»، و بشیر بن ....

(____ ۱) أسعد بن زرارة بن عدس

الأنصاری الخزرجی، شهد العقبتین، و هو أحد النقباء، و أول من أتی بالإسلام إلی المدینة، مات فی شوال علی رأس تسعة أشهر من الهجرة قبل بدر. «الاستیعاب» (۸: ۱۶۰۰). (۲) المنذر بن عمرو بن خنیس بن حارثة الخزرجی الأنصاری، بدریّ استشهد یوم بئر معونة کما ثبت ذلک فی «صحیح البخاری» «الإصابة» (۶: ۲۱۷). (۳) فی الأصل: مالک بن العجلان، مختصرا، و هو مالک بن رافع بن مالک بن العجلان، شهد بدرا مع أخویه خلاد و رفاعة. «الاستیعاب» (۸: ۱۳۵۱). (۴) معن بن عدی بن الجد بن العجلان، حلیف الأنصار، شهد بدرا و السقیفة بعد موت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم، و استشهد یوم الیمامة. «الإصابة» (۶: ۱۹۱). (۵) هو عبد الرحمن بن جبیر بن عمرو الأوسی الحارثی، مشهور بکنیته أبی عیسی، له صحبة کما قال البخاری، شهد بدرا و مات فی خلافة عثمان. «الاستیعاب» (۸: ۱۷۲۴)، «الإصابة» (۴: ۲۹۵). (۶) هو سعد بن الربیع بن عمرو الأنصاری، أبو الحارث، استشهد بأحد، و قیل: شهد الخندق. «الإصابة» (۳: ۶۰). (۷) هو أوس بن خولی بن عبد اللّه بن الحارث الخزرجی الأنصاری، کان ممن غسّل النبی صلی اللّه علیه و سلّم، بعد وفاته، مات قبل عصر عثمان. «الإصابة» (۱: ۱۵۳). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۷ سعد «۱»، و أسد بن الصامت «۲»، و سعد بن عبادة «۳»، و عبد اللّه «۴» بن أبی سلول، و السّجل «۵»، و منه یقال: کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ [الأنبیاء: ۱۰۴]، روی ذلک عبد اللّه بن عباس، و کتب له عامر بن فهیرة «۶»، و غیر هؤلاء أیضا. و قد علم أنّ هؤلاء جمیعا و إن لم یکونوا کتبة ملازمین لحضرة الرسول فقد کتب الکلّ أو کان ممّن یحسن/ یکتب ما استکتبه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم، فکیف [۲۷۴] یمکن أن یکون الرسول ممن یستثقل إثبات ما نزل من القرآن حتی لا یحصل

(۱) هو بشیر بن سعد بن ثعلبة بن جلاس الخزرجی الأنصاری البدری، والد النعمان، استشهد مع خالد بن الولید فی خلافة أبی بکر سنة اثنتی عشرة «الإصابة» (۱: ۳۱۱). (۲) لم أجده. (۳) سعد بن عباده بن دلیم بن حارثة الخزرجی الأنصاری، یکنی أبا ثابت، خرج إلی الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة. «الإصابة» (۳: ۶۶). (۴) عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبی سلول الأنصاری، کان اسمه الحباب فسماه الرسول عبد اللّه، و کان أبوه عبد اللّه بن سلول رأس المنافقین فی المدینة، و عبد اللّه ابنه من فضلاء الصحابة، شهد بدرا و أحدا و المشاهد کلّها مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلّم. «الاستیعاب» (۸: ۹۴۰). (۵) السّجل کما جاء فی کتاب «الإصابة» هو کاتب النبی صلی اللّه علیه و سلّم، و قد أخرج ذلک أبو داود و النسائی و ابن مردویه من طریق أبی الجوزاء عن ابن عباس، زاد ابن مردویه: «السجل هو الرجل بالحبشة»، و روی ابن مردویه عن نافع عن ابن عمر قال: کان للنبی صلی اللّه علیه و سلّم کاتب یقال له السجل، فأنزل اللّه عز و جل: یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ، و هو حدیث صحّحه العلماء کما نقل ذلک ابن حجر رحمه اللّه. «الإصابة» (۳: ۳۴). (۶) عامر بن فهیرة التمیمی، مولی أبی بکر الصدیق، أحد السابقین، و کان ممن یعذّب فی اللّه، له ذکر فی «الصحیح»، و حدیثه فی الهجرة مشهور، توفی قبل غزوة تبوک بستّ سنوات. «الإصابة» (۳: ۵۹۴). الإنتصار للقرآن، ج۱، ص: ۴۱۸ إلا عند عائشة فی رقعة تحت سریرها، و عند آخر أکلته الشاة من عنده! لو لا الجهل و الغباوة! و الرسول علیه السلام منصوب للبیان و حیاطة القرآن و حفظ الشریعة فقط، لا حرفة له و لا شیء یقطعه من أمور الدنیا غیر ذلک إلا- بنصب یعود بنصرة الدین و توکیده، و یثبت أمر القرآن و یشیده، و کیف یجوز فی العادة أن یذهب علی هؤلاء و علی سائر الصحابة آیة الرّضاع و الرّجم فلا یحفظها و یذکرها إلا عائشة وحدها لو لا قلة التحصیل و الذهاب عن معرفة الضرورات و ما علیه ترکیب الفطر و العادات. فقد بان بجملة ما وصفناه من حال الرسول و الصحابة أنه لا یجوز أن یذهب علیهم شیء من کتاب اللّه تعالی قلّ أو کثر، و أنّ العادة توجب أن یکونوا أقرب الناس إلی حفظه و حراسته و ما نزل منه و ما وقع و تاریخه و أسبابه و ناسخه و منسوخه، و أنّ من حمل قول قائلهم: «و ما یدریک لعلّه قد سقط به أو ذهب قرآن کثیر» علی أنه دثر وضاع و نقلت عن سائر الصحابة و جمیع الأمة لإعراضها عن إعظامه و قلّة رغبتها فی حفظه و حراسته و اشتغالها عنه بغیره و ما هو عندهم أهمّ منه: فقد صار من الجهل بالعادات و ما علیه أحوال الناس إلی أمر عظیم. فوجب بذلک حمل جمیع ما روی عن آحاد الصحابة من هذه الأقاویل التی ذکرناها و ما لم نذکره منها أیضا علی التأویل و التفسیر الذی أوضحناه، دون ما یظنّه من لا علم له و لا

تحصيل عنده، و باللّه التوفيق. *** الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۱۹

باب تعلّقهم بما يروونه من مشاجرة الحسن بن على عليه السلام «۱» لسعيد بن العاص «۲» رحمة اللّه عليه

باب تعلّقهم بما يروونه من مشاجرة الحسن بن على عليه السلام «۱» لسعيد بن العاص «۲» رحمة اللّه عليه فأمّا تعلّقهم فى ذلك بما روى من مشاجرة سعيد بن العاص للحسن بن على، و إنّ سعيدا قال للحسن: «أما إنّى قد أدخلت فى كتابكم/ ألف [۲۷۵] حرف، و أسقطت منه ألف حرف، فقال له الحسن: فأنا مؤمن بما أسقطت كافر بما أدخلت، فقال له: ليس حيث يذهب إنّما أردت إصلاح اللّحن منه، فقال له الحسن: فأىّ الثلاثة لحن: اللّه تعالى الذى تكلّم به، أم جبريل الذى نزل به، أم رسول اللّه صلّى اللّه عليه الذى بلّغه؟» فإنّه أيضا مما لا تعلّق لهم فيه من وجوه. أحدها: إنّ هذه الرواية باطلة غير ثابتة و لا تعرف صحّتها باضطرار و لا بنظر و استدلال. و الثانى: أنّها معارضة بما نعرفه ضرورة من جمع عثمان لزيد بن ثابت و عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن عمر و عبد اللّه بن عمرو بن العاص و سعيد (______________________________ ۱) هو الحسن بن على بن أبى طالب، السيد أبو محمد الهاشمى، سبط رسول اللّه، و كان أشبه الناس وجها برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم، مات سنة خمسين للهجرة. «الكاشف» (۱: ۱۶۴). (۲) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى، قتل أبوه ببدر، و كان لسعيد عند موت النبى تسع سنين، و ذكر فى الصحابة، مات سنة ثمان و خمسين، و قيل غير ذلك. «التقريب» (۱: ۳۵۷). الإنتصار للقرآن، ج ۱، ص: ۴۲۰ ابن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و غيرهم على كتابة المصحف، و أمره لهم بإثبات ما اختلفوا فيه على ما يقوله النفر القرشيّون، و قوله إنّه بلسانهم نزل و إنهم لم يختلفوا إلّا فى التابوت فقال القريشيون: التابوت، و قال الباقون: التابوة، و أنّهم رفعوا ذلك إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوه بلغة قريش، و هذه رواية ظاهرة مستفيضة، و لو كانوا قد اختلفوا فى ألفى حرف ساقط و زائد من جهة اللّحن لوجب فى مستقر العادة ظهور ذلك و إشهاره و اللهج بذكره، لأنّ اللّحن فى هذا الباب أعظم و أفحش و أخطر من اختلاف لغتين سائغتين، فكيف ذهبوا عن حفظ ألفى حرف و حفظوا اختلافهم فى التابوت و التابوة حتى شهروه و أظهروه. فإذا لم يجز مثل ذلك علم تكذّب هذه الرواية على سعيد بن العاص، و إنّ الثابت عنه و عن العبادلة القرشيّين ما وصفناه، و سنزيد ذلك شرحا و بيانا فى الاحتجاج لصحّة صنع عثمان فى جمع القرآن. و الوجه الثالث: أنّ سعيدا إن صحّت عنه هذه الرواية قد اعترف أنّه إنّما أراد بالزائد و الناقص اللحن، فإمّا أن يكون قصد إزالة إثبات حروف يصير الكلام لحنا بإسقاطها، و نقصان حروف يصير لحنا بزيادتها، و أراد بذكر الحروف الحركات و الإعراب، و ليس هذا من نقصان القرآن و ذهاب كثير منه [۲۷۶] فى شىء، و إذا/ كان ذلك كذلك بأن أيضا أنّه لا شبهة لهم فى هذه الرواية و لا تعلّق من كلّ وجه. *** الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۲۱

[المجلد الثانى]

باب تعلّقهم بالشّواذّ و الزّوائد المرويّة عن السّلف رواية الآحاد، و بيان فساد تعلّقهم بذلك

باب تعلّقهم بالشّواذّ و الزّوائد المرويّة عن السّلف رواية الآحاد، و بيان فساد تعلّقهم بذلك فأمّا تعلّقهم بما رواه أبو عبيد و غيره من النقلة عن كثير من السّلف من قراءة كلمات و حروف زائدة على ما بين الدّفّتين، و نقصان حروف و تقديم كلمة على كلمة، و قولهم: إنّ هذه الروايات إذا كانت من روايتكم وجب أن تكون حجّة عليكم و لازمة لكم، فإنّه أيضا باطل من وجوه: أوّلها: أنّه لا يجوز لأحد من الشيعة التعلّق بشىء منها و لا بشىء ممّا قدّمناه أيضا من الروايات التى ذكروها عن أبىّ و عبد اللّه بن مسعود و عمر و أبى موسى و غيرهم، لأنّ هذه الأخبار إذا لم تبلغ فى الشهرة و الظهور مبلغا تقوم به الحجّة، و تلزم القلوب العلم بصحّتها ضرورة، و كانت من روايات الآحاد، و كان هؤلاء الآحاد الذين رووها عن هذه الطبقة ليس هم عليّا و الحسن و الحسين و فاطمة و لا عمّار و سلمان و أبا

الذّر و قنبرا و هذه الطبقة من الشيعة، و إنّما هم عبد اللّه بن عمر و عبد اللّه بن عباس و عائشة و أبو هريرة و عبد اللّه بن مسعود (و أبو) «۱» موسى الأشعرىّ. و هؤلاء إذا قالوا قولا و روى بعضهم عن بعض عن النبىّ صلّى اللّه عليه فهم فيه غير ثقات مأمونين، لأنّهم نواصب كفّار ضلّال غشمة يجب عندهم

(۱) فى الأصل: و أبى، و الصواب: (و أبو) للعطف. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۲ لعنتهم و البراءة منهم، فضلا عن العمل بأخبارهم و التوثيق لروايتهم، و لم يجز أن يعتقد الشيعة نقصان القرآن بقول هؤلاء الكفرة الضلّال، و إن كانوا عند غيرهم عدولا أبرارا. و كذلك حال من يروى عنهم من شيعتهم و أتباعهم فى أنّهم غير مأمونين و لا مبرّئين من الكذب و وضع الزور، فلا حجّة فى رواية أحد من هؤلاء و أتباعهم لنقصان القرآن و لا لغيره من الأمور فإنّما يجب أن يعلم الشيعة/ و يقطع على نقصان القرآن بخبر يعلم صدقه ضرورة، أو دليل قاطع إذا كان خبر بارّ عدل أو بخبر الإمام المعصوم من الكذب، فأمّا التعويل على خبر من ليس بمعصوم من الشيعة كان أو من الناصبة فإنّه لا حجّة فيه. فإنّ قالوا: فنحن لسنا نعمل فى ذلك على رواية هذه الطبقة، و إنّما نعلم نقصان القرآن بنقل الشيعة و تواتر خبرهم عن الأئمة الهادية من أهل البيت، أنّ القوم قد أسقطوا من القرآن شيئا كثيرا. قيل لهم: قد علمناكم على خبر الشيعة هذا الذى تدّعونه من قبل بما يغنى عن إعادته، و سنذكر فيما بعد ما يروونه عن أهل البيت من الترهات فى هذا الباب الذى لا أصل لها، و أمّا نحن فإننا و إن كنّا نوثّق جميع من ذكرناه من السلف و أتباعهم، فإنّا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم، بل نعتقد أنّ فيه كذبا كثيرا قد قامت الدلالة على أنّه موضوع عليهم، و أنّ فيه ما يمكن أن يكون حقّا عنهم، و يمكن أن يكون باطلا و لا يثبت عليهم من طريق العلم البتات بأخبار الآحاد، و إذا كان ذلك كذلك و كانت هذه القراءات و الكلمات المرويّة عن جماعة منهم المخالفة لما فى مصحفنا مما لا يعلم صحّتها و ثبوتها، و كنّا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان و قراءتهم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۳ و إقرائهم ما فيه و العمل به دون غيره، لم يجب أن نحفل بشىء من هذه الرّوايات عنهم لأجل ما ذكرناه. و قد روى من هذه القراءات شىء كثير رواه أبو عبيد القاسم بن سلّام فى كتابه المترجم ب «فضائل القرآن» عن رجاله و غيره رواية غير ثابتة عن أبى عبيد على ما ذكر و لا عند غيره، فمن ذلك ما روى أنّ عمر بن الخطّاب كان يقرأ: (غير المغضوب عليهم و غير الضالين)، و منه ما روى عن عبد اللّه بن الزبير أنّه كان يقرأ: (صراط من أنعمت عليهم). و روى أنّ ابن عبّاس «۱» كان يقرأ:* إنّ الصّفا و المروة من شعائر اللّه فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه (أن يطّوّف بهما) [البقرة: ۱۵۸]،/ و أنّه كان يقرأ: (و على الذين يطوّقونه فدية)، يعنى يكلفونه و لا يطيقونه، و أنّه كان يقرأ: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من رّبّكم (فى مواسم الحجّ) [البقرة: ۱۹۸]، و أنّه كان يقرأ: (للذين يقسمون من نسائهم تربّص أربعة أشهر). و أنّ أبىّ بن كعب كان يقرأ: فإن فاءوا (فيهنّ) فإنّ اللّه غفور رّحيم [البقرة: ۲۲۶]، و إنّ حفصة زوج النبىّ صلّى اللّه عليه كانت تقرأ و أثبتت فى مصحفها الذى أمرت بكتابته: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: ۲۳۸] أن تكتب بعد ذلك (صلاة العصر)، و أنّ أبىّ بن كعب كان يقرؤها: (و الصلاة الوسطى صلاة العصر).

(۱) هذه الروايات عن ابن عباس و من جاء بعده من الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين مروية فى «صحيح البخارى» (۵: ۱۸۵، ۱۸۹، كتاب التفسير فى أبواب متعددة) و يحمل جميعها على أنها قراءات تفسيرية ليس مرجعها إلى الوحى؛ و ذلك أنها لم تثبت فى قراءة صحيحة عن علماء القراءة و لا رويت برواية معتبرة عند العلماء، لا فى المتواتر و لا فى الشاذ من القراءات. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۴ و أنّ عبد اللّه بن عبّاس كان يقرؤها كذلك، و أنّ عبد اللّه بن مسعود كان يقرأ: الّذين يأكلون الرّبوا لا يقومون إلّا كما يقوم الّذى يتخبّطه الشيطان من المسّ (يوم القيامة) [البقرة: ۲۷۵]، و أنّ عمر كان يقرأ افتتاح آل عمران: الم اللّه لا إله إلّا هو الحىّ (القيام) [آل عمران: ۱- ۲] مكان القيّوم، و أنّ سعد بن أبى وقّاص قرأ: و إن كان رجل يورث كلالة أو امرأة و له أخ أو أخت (من أمّه) [النساء: ۱۲]. و إنّ ابن عبّاس كان يقرأ: فما استمتعتم به منهنّ (إلى أجل مسمى) فأتوهنّ أجورهنّ [النساء: ۲۴]، و أنّ أبىّ بن كعب و عبد اللّه بن مسعود كانا يقرءان: ما

أصابك من حسنة فمن اللّه و ما أصابك من سيّئة فمن نفسك (و أنا كتبتها عليك) [النساء: ۷۹]، و أنّ عبد اللّه بن مسعود كان يقرأ: (بل يداه بسلطان)، و أنّ سلمان كان يسأل عن هذه الآية: ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً [المائدة: ۸۲] فقال لسائله: دع القسّيس فى الصوامع و الحرب، أقرأنيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه ذلك بأنّ منهم صدّيقين رهبانا. و إنّ ابن مسعود كان يقرأ: (فصيام ثلاثة أيّام متتابعات)، و أنّ عثمان كتب فى مصحفه: وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صحيحة و صالحة) غَصْباً [الكهف: ۷۹]، و أنّ أنس بن مالك كان يقرأ: إنّى نذرت للرّحمن صوما (و صمتا) [مريم: ۲۶]، و أنّ عمر بن الخطّاب كان يقرأ: (و إن كان مكرهم لتزول منهم (الجياد))، و إنّ عليّا/ كان يقرأ: (و إذا أردنا أن نهلك قرية (بعثنا أكابر مجرميها) فمكروا فيها فحقّ عليهم القول). و أنّ ابن عباس كان يقرأ: (حتى تسلّموا على أهلها (و تستأذنوا))، و أنّ ابن مسعود كان يقرأ: (فعلتها إذا و أنا من الجاهلين)، و أنّه كان يقرأ: أنا (أنظر فى كتاب ربّى ثمّ آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك)، و أنّ ابن عباس الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۵ كان يقرأ: (بلى أدرك علمهم)، و أنّ أبيّ بن كعب قرأها: (أم أدرك علمهم فى الآخرة)، على الاستفهام، و أنّ ابن جبير كان يقرأ: (و الصوف المنفوش)، و أنّ عليّا كان يقرأ: (و العصر و نوائب الدهر لقد خلقنا الإنسان فى خسر و أنّ فيه إلى آخر الدّهر)، و إنّ أسماء بنت أبى بكر قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه يقول: (ويل أمكم قريش إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف)، و إنّ ابن عباس قرأ: (إذا فتح اللّه النصر)، إلى أمثال هذا مما يكثر و يطول تعداده. و قد قلنا من قبل إنّ هذه أخبار آحاد غير مقطوع عليها و لا موثوق بصحتها، و إننا لا نجوّز أن نثبت قرآنا بطريق لا يوجب العلم و لا يقطع العذر، و إنّ الشهادة على أدنى المؤمنين منزّلة بمثل ذلك، و أنّه قد زاد فى كتاب اللّه تعالى ما ليس منه أو نقص شيء منه غير مقبولة، فلا يجب الاعتداد بمثل هذه القراءات على وجه. و قلنا أيضا: إنّا نعلم إجماع الأمة و سائر من رويت عنهم هذه الروايات من طريق يوجب العلم تسليمهم بمصحف عثمان و الرضا به و الإقرار بصحة ما فيه، و أنه هو الذى أنزله اللّه على ما أنزله و رتّبه، فيجب إن صحت هذه القراءات عنهم أن يكونوا بأسرهم قد رجعوا عنها و أذعنوا بصحة مصحف عثمان، فلا أقلّ من أن تكون الرواية لرجوعهم إلى مصحف عثمان أشهر من جميع هذه الروايات عنهم، فلا يجب الإحفال بها مع معارضة ما هو أقوى و أثبت منها. و قلنا أيضا: إنّه لا يجوز للشيعة التعلق بالنقصان من كتاب اللّه تعالى أو الزيادة فيه بهذه الأخبار، لأنّها عندهم أخبار قوم كذبة ضلال كفّار، لا يؤمن عليهم وضع الكذب و الزيادة و النقصان فى كتاب اللّه، هذا لو تواتر الخبر/ عنهم بهذه القراءات، فكيف و هى فى أدون طبقات أخبار الآحاد الواهية الضعيفة، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۶ و ممّا يجب أن يعتمد أيضا عليه فى إبطال كون هذه القراءات كلّها من كتاب اللّه الواجب قراءته و رسمه بين الدفتين، إجماع المسلمين اليوم و قبل اليوم و بعد موت من رويت هذه القراءات عنه على أنّها ليست من كلام اللّه الذى يجب رسمه بين اللوحين، و الإجماع قاض على الخلاف المتقدّم و قاطع لحكمه، و محرّم للقول به لما قد بيّناه فى كتاب الإجماع من كتاب «أصول الفقه»، بما يغنى الناظر فيه، فوجب بذلك إبطال جميع هذه القراءات. و قد يحتمل أن يكون جميع هذه القراءات قد كانت منزّلة على ما رويت عن هذه الجماعة ثم نسخت الزيادة على ما فى مصحفنا و النقصان منه و إبدال الحرف بغيره، و الكلمة بغيرها، و نهى القوم عن إثباتها و تلاوتها، فظنّ كل من كان لقّن شيئا منها أنّه باقى الرسم غير منسوخ و علم ذلك عثمان و الجماعة و نهوهم عنه، ثم علم أصحاب هذه القراءات صحة ما دعاهم إليه عثمان من إزالة هذه القراءات و نسخها، و أنّ الحجة لم تقم بها، و لم يتيقن من وجه يوجب العلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قرأ بها فرجعوا عند التأمّل و التنبيه إلى قوله و أذعنوا بصحة مصحفه. و يحتمل أن يكون جميع ما سمع منهم أو أكثره أو وجد مثبتا فى مصحف لهم إنما قرءوه و أثبتوه على وجه التفسير و التذكير لهم أو الإخبار لمن يسمع القراءة بأن هذا هو المراد بها، نحو قوله: وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى (و هى صلاة العصر)، و قوله: فإن فاءو (فيهن) و أمثال ذلك فقدّر من سمعهم يقولون ذلك او رآه مثبتا فى مصحفهم، أنهم إنما قالوه و أثبتوه على أنه قرآن منزل، و لم يكن الأمر عندهم كذلك و لا قصدوا لكتبه بمصاحفهم و جعلها إماما و مدرسة للناس، و كانوا لا يثبتون فيها إلّا ما ثبت أنّه قرآن، دون/ غيره. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۷ و إذا احتمل أمر هذه القراءات جميع هذه الوجوه كان القطع على أنها من كلام اللّه تعالى الذى يجب إثباته و قراءته جهلا و تفريطا ممن صار إليه و لا سيّما مع العلم

بحصول إجماع الأمـة على مصـحف عثمان رضوان اللّه عليه، و إذا كان ذلك كـذلك بأن بهـذه الجملة سـقوط كل ما يتعلقون به من هذه الروايات و أنّ العمل فى هذا الباب على ما نقله المسلمون، خلف عن سلف على وجه تقوم به الحجة، و ينقطع العذر عن عثمان و الجماعـة و أنّ عليا و غيره من الصـحابة كانوا لا يقرءون إلا هـذه القراءة و لا يرجعون إلا إليها، و لا يحكّمون غير هذا المصـحف فيما نزل بهم، و باللّه التوفيق .. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۸

باب ما روى من الآى المنسوخة و وجه القول فيها

اشارة

بـاب مـا روى من الآـى المنسوخـة و وجه القول فيهـا و أمـا تعلّقهم بمـا ذكروا من الآى المنسوخـة من نحو قوله: «إنّا أنزلنا الماء لإقامة الصـلاة و إيتـاء الزكـاة، و لو أن لاـبن آدم واديـا لأحب أن يكون إليه الثاني، و لو كان الثاني لأحبّ أن يكون إليهما الثالث، و لا يملأ جـوف ابـن آدم إلا الـتراب، و يتـوب اللّـه على مـن تـاب» «۱»، و مـا قيل

(۱) جزء من حـديث رواه البخارى فى «صحيحه» (۵: ۲۳۶۴، برقم ۶۰۷۲)، و رواه مسلم فى «صحيحه» (۲: ۷۲۵، برقم ۱۰۴۸)، و عند أبى يعلى بسنده عن أنس بن مالك قال: «سـمعت رسول اللّه فلا أدرى أ شيء أنزل عليه أم كان يقوله لو كان لابن آدم واديان ... الحديث» و هو مروى باسناد صحيح، صححه حسـين أسد، انظر «مسـند أبى يعلى» (۶: ۲۸) برقم (۳۲۶۶) .. و روى الإمـام مسـلم بسـنده إلى الأسـود عن أبيه قال: «بعث أبو موسـى الأشـعرى إلى قراء أهل البصـرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصـرة و قراؤهم، فاتلوه و لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إنا كنا نقرأ سورة كنا نشـبهها فى الطول و الشدة ببراءة فأنسيتها غير أنى قـد حفظت منهـا: «لو كـان لاـبن آدم واديـان من مـال لاـبتغي واديا ثالثا و لا يملأ جوف بن آدم إلا التراب»، و كنا نقرأ سورة نشـبهها بإحدى المسـبحات فأنسيتها غير أنّى حفظت منها: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»». «صحيح مسلم» (۲: ۷۲۶، برقم ۱۰۵۰) و هو حديث صححه مسلم. و موضوع: كان فيما يقرأ ثم نسخ، ردّه الإمام الباقلانى رحمه اللّه كما نرى فى هـذه الرسالـة لأنها أحاديث آحاد لا تصل إلى درجـة ما يثبت به أنه قرآن، و قد نقل الأسـتاذ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۲۹ فى روايـة أخرى: «لو أن لاـبن آدم واديـان من ذهب و فضـة لاـبتغى إليهمـا ثالثا، و لا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، و يتوب اللّه على من تـاب»، و مـا روى فى روايـة أخرى: «لو أنّ لاـبن آدم واديا مالا لأحبّ أن يكون إليه مثله، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، و يتوب اللّه على من تاب». و ما روى أنه كان فى مصـحف عائشة رضوان اللّه عليها: «إن اللّه و ملائكته يصـلّون على النّبى، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلّموا تسليما، و على الذين يصلّون الصفوف الأولى». و ما روى عن عمر بن الخطاب و قوله: «كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانّه كفر»، ثم قال لزيد بن ثابت أ كذلك يا زيد؟ قال: نعم، و إنه قال- أعنى عمر- (لعبد الرحمن) «۱» بن عوف: أ لم تجـد فيما أنزل علينا أن جاهـدوا كما جاهدتم أول مرّة فانّا لا نجدها؟، فقال عبد الرحمن:/ أسـقطت فيما أسـقط من القرآن»، و ما روى من آية الرجم و الشـيخ و الشيخة فقد مضى عنه أجوبة. و جملة القول فى ذلك أنّ جميع هذه الروايات أخبار آحاد لا سبيل إلى صحتها و العلم بثبوتها، و لا يخيل لنا أن ننسب إلى أحـد من الصـحابة و من دونهم إثبات قرآن زائـد على ما فى أيـدينا، أو نقصانا منه بمثلهـا، و لاـ نضـيف ـــــــــــــــــــــــــــــ الـدكتور فضـل حسن عبـاس عن صاحب كتاب «التحرير و التنوير» (۱: ۴۰ و ما بعـدها)، أن حـديث أنس عند مسـلم غريب، ثم قال: و لا أدرى كيف يجمع المرء بين هـذه الروايات و بين ما جاء فى القرآن الكريم إنه أحكمت آياته، و من كونه قرآنا مجيـدا فى لوح محفوظ، و من أنه هـدى و رحمة و موعظة و شـفاء إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تبين حفظ القرآن و بقاءه و خلوده، ثم إنّ هذه النصوص التى

نسيها الناس كما يدّعى أ هى قرآن أم شيء آخر فإن لم تكن قرآنا فقد كفينا المئونة و إن كانت قرآنا فإن ذلك يتعارض بل يتناقض مع ما جاء فى القرآن الكريم. «اتقان البرهان» (۲: ۵۸). (۱) وقع فى الأصل: لعبد اللّه، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۰ إليهم من ذلك أمرا غير معلوم و لا متيقّن، مع أنّ نظم ما روى من قوله: لو أنّ لابن آدم، نظم خفيف يباين وزن القرآن و يفارقه، و إذا كان ذلك كذلك سقط التعلّق بهذه الأخبار و اقتضى ما فيها أنها لو صحت لوجب القطع على أنّه قرآن كان أنزل و نسخ رسمه و أسقط، و حظر علينا إثباته بين الدّفتين و تلاوته على أنّه قرآن ثابت. و كذلك سبيل ما روى عن عائشة من قولها: «كان مما أنزل اللّه تعالى عشر رضعات معلومات يحرمن ثمّ نسخن بخمس رضعات»، و لعلّ قولها ثم نسخن من كلامها، و الصحيح فى هذا أنّه ليس شيء من هذه الروايات مستقرا متيقّنا معلوما صحته، فلا يجب الإحفال بها. و كذلك ما روى عن ابن عمر فى قوله: «لا يقول أحدكم أخذت القرآن كلّه و ما يدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، و لكن ليقل أخذت ما ظهر منه»، و ما ذكر فى سورة الأحزاب و غيرها مما قدمنا ذكره، و قد كان القوم يعلمون و يعلم أكثرهم أنّ ما صحّ من هذه الكلمات و القراءات التى ليست فى مصحف عثمان مرفوعة منسوخة فربما عبّروا عنها بالنسخ، و ربما قالوا سقطت، و قد روى: «أن عثمان بن عفان رضوان اللّه عليه مرّ برجل يقرأ فى المصحف: النّبىّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمّهتهم (و هو أبوهم) [الأحزاب: ۶]، فقال عمر: لا تفارقنى حتى يأتى أبىّ بن كعب، فأتى أبىّ بن كعب فقال عمر: يا أبىّ، أ لا تسمع هذا كيف يقرأ هذه الآية، فقال أبىّ: كانت فيما أسقط. و قد علم أنّه لا يجوز أن يذكر عمر و أبىّ و عائشة، و هذه الجماعة و أمثالهم فى الفضل/ و السابقة قرآنا كانوا يعلمون أنه كان أنزل النبى صلّى اللّه عليه و أنه لم ينسخ و ترتفع تلاوته و لا- أزيل رسمه، فيتركوا قراءته و إثباته فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۱ المصحف، و أخذ الناس بحفظه، و يعتذرون فى ذلك بأنّه مما أسقط، و يعنون بذلك أنه أسقطه الناس من المصحف، و تركوا حفظه و إثباته، لأنّه لو كان مثل هذا عذرا فى ترك حفظه و إثباته لكان لو أسقط الناس جميع القرآن على هذا المعنى أو ثلثيه و نصفه على اعتماد إسقاطه و الذهاب عن حفظه و ضبطه، أن يجب على من كان لقّنه و عرفه و حفظه أن يترك قراءته و إثباته و رسمه لأجل أنّ غيره من الناس عصى اللّه و أسقطه، و هذا جهل لا يظنه بالصحابة إلا غبىّ مغرور، فإنّ حال أدون المؤمنين منزلة يرتفع عن هذه الرتبة، فكيف بالصحابة فى فضلهم و جلالة قدرهم و شدة تديّنهم، و ما وصفهم اللّه تعالى به من أنّهم خير أمة أخرجت للناس، و أنهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، إلى غير ذلك مما وصفهم به، فبان بما وصفناه أنه لا تعلق لهم فى شيء مما حكيناه من كلّ وجد و طريق. قال أبو عبيد «۱» عقيب القراءات الشاذة التى قدّمنا ذكرها، و هذه الآيات التى ذكر أنّها كانت مما أنزل ثم رفع و أسقط، و قد ذكر فى بابين شيئا كثيرا قد ذكرنا بعضه، فقال أبو عبيد: «هذه الحروف التى ذكرناها فى هذين البابين الزوائد لم يروها العلماء، و احتملوها على أنها مثل الذى بين اللوحين من القرآن، و لا أنهم كانوا يقرءون بها فى صلاة، و لم يجعلوا من جحدها كافرا بما يقرأ فى الصلاة، و يحكم بالكفر على الجاحد لهذا الذى بين اللوحين، و هو مما يثبت فى القرآن الذى نسخه عثمان بإجماع من المهاجرين و الأنصار و إسقاط ما سواه، ثمّ أطبقت عليه الأمة فلم يختلف فى شيء منه، يعرفه جاهلهم كما يعرفه عالمهم، و توارثه القرون بعضها عن بعض، و يتعلمه الولدان فى المكتب، و كانت هذه/ إحدى مناقب عثمان

(______________________________
۱) ورد قول أبى عبيد هذا فى كتابه «فضائل القرآن»، باب المنسوخ تلاوة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۲ العظام، ثم مرّ فى ذكر أخبار و روايات عن الأماثل فى تفضيل عثمان فى هذا الباب إلى أن قال: «فالذى ألّفه عثمان هو الذى بين ظهرانى المسلمين اليوم، و هو الذى يحكم على من أنكر منه شيئا بما يحكم على المرتدّ من الاستتابة فإن أبى فالقتل». فأمّا ما جاء من هذه الحروف التى لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد و الروايات التى يعرفها الخاصة من العلماء دون عوام النّاس، فإنّما أراد أهل العلم منها، أن يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين، و يكون دلائل على معرفة معانيه و علم وجوهه، قال: «و كذلك قراءة حفصة و عائشة: حفظوا على الصّلوات و الصلاة الوسطى (صلاة العصر) [البقرة: ۲۳۸]، و كقراءة ابن مسعود: (و السارقون و السارقات فاقطعوا أيدانهم)، و مثل قراءة أبىّ بن كعب: (فإن فاءوا فيهنّ)، و كقراءة سعد:

(فإن كان له أخ أو اخت من أمه)، و كما قرأ ابن عباس: (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج)، و كذلك قراءة جابر: (فإنّ اللّه من بعد إكراههنّ لهنّ لغفور رحيم)، فهذه الحروف و أشباه لها كثير قد صارت مفسّرة للقرآن، و قد كانوا يروون مثل هذا عن بعض التابعين يعنى بذلك استجازة كتابة التفسير مع الآية، ثم هل فى كلام هذا معناه من تضعيف هذه الروايات تارة، و أنّها ليست توجب علما، بأنّ ما روى قرآن منزّل يجب إكفار من جحدة و استتابته و إلا قتل كالمرتدّ، و يكون بمثابة ما يعلم أنّه قرآن، مما ثبت بين اللوحين، و من أنّ العلماء إنما احتملوه إن صح عندهم على وجه التفسير به لمعانى القرآن، و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ أبا عبيد يعتقد فى هذه الأخبار ما يعتقد من أنّ الحجّة لم تقم بها، و أنّ معناها إن صحّت بعض ما ذكرناه، و هذا رأى جميع أصحاب الحديث و فرق المسلمين الرواة لهذه الأخبار من مخالفى من يدّعى الزيادة فيه و النقصان منه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۳ و لو سئل كلّ واحد منهم عما يرويه من هذه الحروف، لقال فيها و فى معتقد إثباتها:/ و القطع على أنّها قرآن أكثر و أغلظ مما قال أبو عبيد، هذا [۲۸۵] معلوم من حال جميعهم، و إذا كان ذلك كذلك لم يكن فى قول المخالف لنا أنّنا إنما ندلّ بروايات هذه الآثار عن رواتكم لإقامة الحجة بها عليكم، لأنّ هؤلاء الأئمة عندهم فى هذه الروايات ما ذكرناه مما يبقى اعتقاد القطع على صحتها، و يوجب أنّ الصحيح غيرها، لأنّهم قد قالوا صريحا: إنّ الذى أجمع عليه المسلمون هو الذى بين اللوحين، و هو الذى يحكم على جاحد شىء بحكم المرتدين، و قالوا أيضا: إنّ ما أجمع عليه المسلمون هو الحقّ و الصواب، و أنّ ما عداه مطرح مرذول لأنّنا نعلم ضرورة من مذاهبهم اعتقاد صحة الإجماع، و اطراح ما عداه، فكيف تكون رواياتهم لأخبار يعتقدون هذا فيها حجة عليهم لو لا الغباوة و الجهل، و لو كانوا قاطعين على أنّ هذه الحروف و الكلمات قرآن لم يعبأ بهم عند المخالف، لأنّهم عند المخالف قوم حشو طغام، و على النّصب و مخالفة الرسول و الإمام المعصوم، و لا معتبر بقول من هذا دينه و مذهبه، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما يتعلقون به من الاحتجاج برواية مخالفيهم من أهل الحديث سقوطا بيّنا. ثم يقال لهم: إذا لم تكن هذه الأخبار مما قد بلغت حدّ التواتر، و لا مما يلزم قلوبنا العلم بصحتها، و كان راويها عندكم ممن يصح عليهم الغلط و الإغفال و وضع الكذب فما الذى يدل على صحة هذه الإخبار و صدق رواتها؟ فلا يجدون فى ذلك متعلّقا. فإن قالوا: لو جاز أن يكونوا قد غلطوا و تكذّبوا فى هذه الأخبار لجاز أن يكون جميع ما روى من الأخبار التى أجمع عليها المسلمون من إعلام الرسول و غيرها تكذّبا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۴ قيل لهم: و لم قلتم إنّه إن جاز عليهم الغلط، و الاعتماد فى هذه الأخبار جاز ذلك فيما أطبق عليه المسلمون من الإعلام و غيرها من الأخبار، فلا يجدون فى ذلك متعلقا. ثم يقال لهم: إذا كانت هذه الأخبار أخبار آحاد لم تبلغ حدّ/ التواتر، و لم يدلّ عقل و لا سمع و لا شهادة من سائر الأمة على صحتها، و لا ادّعى سماعها من الرسول صلّى اللّه عليه، و حضور إلقائها على جماعة يستحيل فى العادة عليهم الإمساك عن إنكار كذب من يدّعى عليهم، و يضاف إلى مشاهدتهم و سماعهم، و لا غير ذلك من وجوه الأدلة لم يجب القول بصحتها، و ليس هذه سبيل الإخبار التى يروونها الأمة قاطبة و يعرفها الخاصة و العامة، و سبيل ما دلّ على صحته بعض هذه الأدلة، فجمعهم بين الأمرين دعوى لا برهان عليها و لا معها. ثمّ يقال لهم: فقد روى هؤلاء القوم من أهل الأحاديث كأبى عبيد و غيره ممن ذكر هذه القراءات من طريق هى أسلم من الطرق التى ذكروها، و عن قوم هم أثبت ممن روى عنه هذه القراءات، و بإسناد هو أظهر و أشهر من أخبار الرؤية و الشفاعة، و وقوع الطلاق فى الحيض، و تحريم المتعة بعد إطلاقها، و المسح على الخفين و إيجاب غسل الرجلين، و أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه لا يورّث، و أن ما تركه صدقة، و أنّه شهد للعشرة بالجنّة، قال صلّى اللّه عليه: «اقتدوا بالذين من بعدى أى أبى بكر و عمر» «۱»، و أنهما من الدين (______________________________ ۱) رواه ابن ماجة (۱: ۳۷ برقم ۹۷)، و الترمذى (۵: ۶۰۹ برقم ۳۶۶۲)، (۵: ۶۷۲) برقم ۳۸۰۵)، و الإمام أحمد (۹: ۱۰۵ برقم ۲۳۴۴۶)، و الحميدى (۱: ۲۱۴ برقم ۴۴۹)، و الحاكم (۳: ۷۵) كتاب معرفة الصحابة، و الطبرانى فى «الكبير» (۹: ۶۷) برقم (۸۴۲۶)، و الطحاوى فى «شرح مشكل الآثار» (۳: ۲۵۶ برقم ۱۲۲۴)، و ابن أبى عاصم فى «كتاب السنة» (۲: ۵۴۵ برقم ۱۱۴۸). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۵ بمنزلة السمع و البصر من الرأس» «۱»، و «أنهّما سيدا كهول أهل الجنة» «۲»، و «أنهما وزيراه من أهل الأرض» «۳»، و أنّه «لا ينبغى لقوم فيهم

أبو بكر أن يتقدمهم غيره» «۴»، و أن «لو كان بعده نبى لكان عمر» «۵»، و لأنّ «أبا بكر خير الأولين و الآخرين إلا النبيين و المرسلين ممن مضى فى سالف الدهر و من فى غابره» «۶»، و رووا فى كل واحد ممن تكفّرون أنتم و تشهدون عليه بالضلال و الكفر من الفضائل و المناقب أمرا عظيما كثيرا، و قالوا كلّهم: هذه الفضائل أظهر و أشهر عندهم من نقل هذه الأحرف الشواذ، فيجب لذلك أن يوثّقهم و يصدّقوهم فيما رووه من هذا أجمع. و متى قلتم إنهم قد كذبوا أو غلطوا و وهموا فى جميع ما رووه من هذه الأخبار وجب على اعتلالكم أن لا تأمنوا أن تكون جميع الأخبار التى أطبق/ [۲۸۷] عليها المسلمون من إعلام الرسل و غيرها كذبا و زورا، و أن لا تثقوا بصحة خبر البتة، و هذا ما لا فصل لهم فيه، و قد بينا فيما سلف و سنبين فى باب الكلام فى جمع عثمان المصحف و أخذهم بالقراءات الثابتة أنه لا يسوغ إطلاق ما روى من روايات الآحاد، و من وجه لا يوجب العلم بما يقطع على (____۱) رواه الترمذى فى «السنن» (۵: ۶۱۳ برقم ۳۶۷۱). (۲) رواه الترمذى فى «السنن» (۵: ۶۱۰ برقم ۳۶۶۴، ۳۶۶۶). و ابن ماجة فى «السنن» (۱: ۳۶ برقم ۹۵). (۳) رواه الترمذى (۵: ۵۷۶ برقم ۳۶۸۰). (۴) رواه الترمذى (۵: ۶۱۴ برقم ۳۶۷۳)، كما ذكره ابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (۱: ۱۶۶). (۵) رواه أحمد فى «المسند» (۶: ۱۴۰ برقم ۱۷۴۱۰)، و الترمذى فى «السنة» (۵: ۶۱۹ برقم ۳۶۸۶). (۶) رواه الترمذى فى «السنة» (۵: ۶۱۰ برقم ۳۶۶۴، ۳۶۶۵). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۶ أنه قرآن، و خلط المعلوم المتيقّن من ذلك بالمجهول، و أنّه أجلب الأمور لإدخال اللّبس و الشكوك فى المصحف، و أن يثبت كلّ أحد فيه ما يريد و يوقن مما ورد هذا المورد من القرآن و القراءات، و أن يدّعى أنّه أثبت من الحمد و البقرة و آل عمران و ذلك من الفساد و التخليط ما لا خفاء به. و سنوضح أيضا فيما بعد أنّه لا يجوز إثبات شىء من هذه القراءات فى المصحف على حكم الظاهر، و العمل بخبر الواحد دون القطع على أنّه قرآن، و أن ذلك من أدعى الأمور إلى خلط الصحيح بالفاسد و السليم بالسقيم، و فتح دعاوى الملحدين بأنّ كل ما بين الدفّتين ثابت على طريقة واحدة، و أنّه معلوم، أو أن يدّعوا أنّه كلّه غير متيقّن و لا معلوم، أو أن يقولوا: ما نعرف ما قامت الحجة به مما لم يقم و لا المعلوم منه و لا المجهول، و أنّ ما أدى إلى ذلك و سهّل سبيله وجب منعه و الحظر له و نكشف ذلك بما يوضح الحقّ إن شاء اللّه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۷

فصل

فصل و مما يدل على أنه جميع هذه القراءات، و القرآن الذى يدّعى إنزاله و الكلمات الزائدة ليست بمثابة القرآن المتيقّن المعلوم، إجماع الأمة على أنّ من جحد الحمد و البقرة أو بعض القرآن، و قال: إنّها ليست بقرآن، أو قال: لست أدرى أنها قرآن أم لا، وجب إكفاره و الحكم بردّته و خروجه عن جملة المسلمين، و لا سيّما إذا كان ممن ينسب إلى العلم و حفظ القرآن و سماع النقل و الأخبار، و أنّ من جحد قوله: (و هى العصر)، (و السارق و السرقة فاقطعوا (أبدانهم))، (و يأخذ كلّ سفينة (صحيحة) غصبا)، (و أن تبتغوا فضلا من ربكم فى (مواسم الحجّ))، (و الشيخ و الشيخة، و لو أن لابن آدم واد من ذهب)، (و لا ترغبوا عن آبائكم/ فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)، و أنكر [۲۸۸] أن يكون ذلك قرآنا، و قال: إنى لست أدرى أ قرآن هو أم لا؟، و قال: أقرأه كما روى على الظاهر دون القطع عليه، لم يكفر بذلك و لم يكن خارجا عن جملة المسلمين باتفاق، فوجب لذلك جهل من اعتقد أنّ هذه الشواذّ جارية فى ظهورها و ثبوتها و حصول العلم بها، مجرى الحمد و النمل و الكهف، و بعض سور القرآن، و ثبت بذلك افتراق الأمر فيهما. فإن قالوا: و لو لم تكن هذه الكلمات و الأحرف الزائدة قرآنا، و لا من سبيل يوجب أن يكون من أدخلهما فى القرآن و اعتقد أنّها منه كافرا، و بمثابة من أدخل (قفا نبك)، (و ألا هبّى)، (و ودّع عميرة) فى القرآن و اعتقد أنّها منها، فلما لم يكن ذلك كذلك، وجب أن تكون هذه الكلمات من القرآن. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۸ يقال لهم: لا يجب بما قلتم، لأنّ هذه الأمور و إن لم نقطع و نعلم أنها قرآن من عند اللّه، و كان الدّليل قد قام على أنها ليست من القرآن، فإنه قد روى روايات الآحاد أنّها قرآن منزل، و قال بعضهم: قد نسخ ذلك، و قال آخرون: بل هو ثابت فصارت هذه الروايات شبهة لمن ظنّ أنّها قرآن إذا خفى عليه الدليل، على

أنه لا ـ يجوز إثباتها و إلحاقها بالثابت المعلوم، و صار ذلك على ضرب من التأويل الـذى قـد غلط فيه، و إن لم يقصـد الجهل و الغباء فلم يجب إكفـاره، و من قـال ذلـك فى شـعر امرئ القيس، و بعض كلام اللّه فلا تأويل و لا شـبهة، فوجب إكفاره و افترقت الحال فى ذلك. فإن قالوا: فكـذلك لا يجب إكفار من جحـد أن تكون الكلمات الزائدة من القرآن، و أنكر ذلك، و أن يكون بمثابة من جحد الحمـد و ثبت المتفق بغير خلاف على أنّها قرآن، لأنّ هـذه الكلمات الزائدة لم تتفق الأمة على أنّها قرآن منزّل و لا تواتر الخبر بكونها قرآنـا، و لا ـ قـامت بـذلك حجـة، و إن رويت الأخبـار الكثيرة فى أنها قرآن، و ليس كـذلك سبيل الحمـد و ثبت بحصول الإجماع و التواتر على أنهما قرآن، و زوال الريب و الشـكوك فى ذلك. [۲۸۹] يقال لهم: فقد صـرتم لنا إلى ما أردناكم/ عليه، و أخبرنا بصحته من أقرب الطرق، لأـنكم لمّـا طالبتمونـا بجعل هـذه الكلمات من القرآن لموضع هـذه الروايات، قلنا لكم: لا يجب ذلك لأنّه لها اتفاق من الأمـة حصـل على أنهـا من القرآن و لا ـ تواتر الخبر بـذلك و لا علم ضـرورة من دين الرسول، و ليس كـذلك سبيل الحمـد و آل عمران، و إنّمـا هى روايـات جاءت مجىء الآحاد التى لا توجب علما، و لا تقطع عـذرا فى إثباتها، و أنّه لا يجب إثبات ما هـذه سبيله، فقلتم فى جواب ذلك: إن ساغت لكم هذه الدّعوى فى هذا القرآن ساغ مثلها فى دعوى ظهور الرّسل و الإعلام من جميع ما روى من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۳۹ الأحكام، و أجبنا عن ذلك بما قطع شـغبكم، و أنتم الآن قد التجأتم عند حيّز النظر و تحقيق الأمر إلى الاعتراف و الإذعان بأنّ حال الروايات الواردة بهـذه الأحرف الشواذ و الكلمات الزائدة فى أنها غير مقطوع على صـحتها، و لا مما ظهر أمرها و اتفق عليها، فوجب الاعتراف بأنّها قرآن منزل حال الرواية بسورة ألهاكم، و العصر، و هكذا يفعل اللّه سبحانه بمن حاول الطعن فى الـدين و القـدح فى أئمـة المسـلمين و إيقاع الشـكوك و اللّبس فى التنزيل. دليل لهم آخر: و قد اسـتدلّ قوم منهم على تغيير الأمة للقرآن، و فساد نظمه و تحريفه و النقصان منه و الزيادة فيه بما روى عن النبىّ صـلّى اللّه عليه أنّه قال: «لتسـلكنّ سـنن الـذين من قبلكم حـذو النّعـل بالنّعـل، و القـذّة بالقـذّة حتى إنّ أحـدهم لو دخـل جحر ضب لـدخلتموه، قيل يا رسول اللّه: اليهود و النصارى؟ قال: فمن إذن؟ «۱»»، قـالوا: و قـد صـحّ أنّ اليهود غيّرت كتـاب اللّه و حرّفته و نقّصت منه أشـياء كـانت فيه، و زادت فيه أشـياء ليست منه، و أنّ النصارى أيضا حرّفت الإنجيل و غيّرته و أفسـدته، بخلط ما ليس منه و إسـقاط ما هو منه، و قد خبّره اللّه تعالى بذلك من أمرهم، فقال تعالى: وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴۶) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (۱۴۷) [البقرة: ۱۴۶- ۱۴۷]، و قال تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هـذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ/ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا [۲۹۰] يَكْسِبُونَ [البقرة: ۷۹]، و قـال تعـالى: وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ [آل عمران: ۷۸]، فنص هـذه

(۱) رواه البخـارى (۸ : ۵۰۲ برقم ۷۳۲۰)، و رواه مسلم (۴: ۲۰۵۴ برقم ۲۶۶۹)، و رواه الحاكم فى «المستدرك» (۱: ۱۲۹ كتاب العلم بلفظ لتسلكن سبيل بدلا من كلمة سنن). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۰ الآى على تغيير أهل الكتاب لكتابهم و زيادتهم فيه و نقصانهم منه، و إذا ثبت ذلك و صحّ أنّ الرسول قد خبّر عن سلوك هذه الأمة لسننهم فى جميع ما كانوا عليه، وجب القطع على أنّ فيهم من غيّر الكتاب، و أحال نظمه و قصد إيقـاع التخليط و الإلباس فيه، و ساوى فى ذلك من سـبقه من أهل الكتابين. يقال لهم: لا تعلّق لكم فيما ذكرتم من وجوه: أولها: أنكم قـد علمتم على القطع بأنّ الأمـة قـد غيّرت القرآن و بـدّلته و نقّصت منه من جهة هذا الخبر، و هذا عجز منكم و تقصير بيّن، لأجل أنّ هذا الخبر من أخبار الآحاد التى لم نعلم صـحّتها ضرورة و لا استدلالا، و لا هو ممّا تلقّته الأمة بالقبول، و لا دلّ عليه بعض الأدلة الدّالة على صـحة الأخبار، و إذا كان ذلك كذلك، لم يجز أن نتيقّن و نقطع على أن الأمة أو بعضها قد غيّرت القرآن و حرّفته من جهة خبر لا سبيل إلى العلم بصـحته، لأننا إذا لم نعلم صـحته كنّا عن العلم بتضـمّنه أبعد و هذا مما لا خلاف فيه، أعنى أنّه لا يجوز إثبات أصـل يقطع به على اللّه تعالى بخبر لا يعلم بثبوته، و لا نقطع بصـحته، و إذا كان ذلك كذلك سـقط تعلّقكم بهذه الرواية سـقوطا ظاهرا. فإن قـالوا: هـذا الخبر من أخبـار التواتر، بهتوا و كـابروا و سـقطت مئونـة كلامـهم، و ادّعى فى كل خبر ينكرونه و يجحـدونه أو يقفون فى

صحته أنّه خبر تواتر، و لا سبيل إلى دفع ذلک. و إن قالوا: قد قام الدليل على صحة هذا الخبر و إن قصر عن حدّ التواتر، قيل لهم: و ما ذلک الدليل؟ فلا يجدون إلى ذكر شىء سبيلا، ثم يقال لهم: أنتم تجحدون خبر الرؤية و الشفاعة، أو كثير منكم، و تجحدون فضائل أبى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۱ بكر و عمر و عثمان، و غيرهم ممن تتبرّءون منه من الصحابة،/ و تكذّبون ما [۲۹۱] روى من قول النبىّ صلّى اللّه عليه لمعاذ: «بم تحكم؟ إلى قوله أجتهد رأيى و أحكم «۱»»، و قوله صلّى اللّه عليه عقب ذلک: «الحمد للّه الذى وفّق رسول رسول اللّه»، و قوله: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إذا اجتهد فأخطأ فله أجر» «۲»، و قوله لعمرو بن العاص: «اجتهد، فقال: أجتهد و أنت حاضر؟ قال: نعم»، و ما روى من غسل الرجلين، و المسح على الخفّين و أمر الرسول بذلک، و أن يكون النبىّ صلّى اللّه عليه قد سها و قال لذى اليدين عند قوله: «يا رسول اللّه أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: كلّ ذلک لم يكن «۳»، و قوله: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى لأسنّ» «۴»، و غير هذا من الأخبار الظاهرة المشهورة عند الثّبت الثقات مع إطباق سلف الأمّة و جميع الفقهاء، و من خالفكم من المتكلمين فى سائر الأعصار عليها، و اعتقادهم لثبوتها، فكيف يسوغ لكم التعلق فى هذا الأصل العظيم بمثل هذا الخبر الذى لا يجرى مجرى ما أنكرتموه، و لا يقاربه و لا يدانيه فى الصحة و الثبوت، و لو لا القحة و قلة الدين لم تقولوها فى مثل هذه الأخبار الثابتة المعلومة هذه من أخبار المروانية و شيعة معاوية و وضع () «۵» و الحنابلة، و تدّعون فى مثل خبركم الذى تعلقتم به أنّه من الأخبار الثابتة التى يجب أن يقطع من جهته

(۱) رواه أحمد فى «المسند» (۸: ۲۳۳) برقم (۲۲۰۶۸)، و الترمذى فى «السنن» (۳: ۶۱۶) برقم (۱۳۲۷)، و الدارمى فى «السنن» (۱: ۴۴) برقم (۱۶۸)، و أبو داود فى «السنن» (۳: ۳۰۳) برقم (۳۵۹۲). (۲) رواه البخارى (۸: ۵۱۱) برقم (۷۴۵۲)، و رواه مسلم (۳: ۱۳۴۲) برقم (۱۷۱۶). (۳) رواه البخارى (۲: ۳۷۳) برقم (۱۲۲۷، ۱۲۲۸)، و رواه مسلم (۱: ۴۰۳) برقم (۵۷۳). (۴) رواه مسلم (۱: ۴۰۰) برقم (۵۷۲). (۵) ما بين القوسين غير مقروء فى الأصل و لعله البربرية. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۲ على تحريف كثير من الأمّة للقرآن و تغييره، نعوذ باللّه من الجهل و العناد و قصد التمويه و الإلباس. ثم يقال لهم: لو سلّمنا لكم صحة هذا الخبر و وجوب القطع على ثبوته لم يكن لكم فيه متعلّق من وجوه: أحدها: أنّه لو قال صلّى اللّه عليه: «لتسلكنّ سنن الذين من قبلكم حذو النّعل بالنّعل، و القذّة بالقذّة إلا فى تغيير القرآن، و إفساد الدين، و عبادة العجل و المسيح، و كذا و كذا» لصحّ ذلک و جاز، و وجب أن يعتقد عموم سلوكهم لسننهم إلا فيما استثناه، و إذا كان ذلک كذلک، و كان قد ورد عنه ما هو قائم مقام هذا الاستثناء و أبلغ منه وجب الحكم بما قاله من ذلک، و قد [۲۹۲] ورد عنه صلّى اللّه عليه من الجهات المختلفة و الطرق الواضحة/ المشهورة عن الثّبت ورودا متواترا على المعنى، و إن اختلف اللّفظ: «أنّ الأمة لا تجتمع على ضلال و لا خطأ»، فوجب أن تكون ما شهدت بأنّه حق أو باطل، فإنّه على ما شهدت به، فروى عنه صلّى اللّه عليه أنه قال: «سألت اللّه تعالى أن لا يجمع أمتى على ضلال فأعطانيها» «۱»، و أنه قال: «أمّتى لا تجمع على خطأ، و لا تزال طائفة من أمتى على الحق حتى يقاتلوا الدّجال»، و فى خبر آخر: «حتى يأتى أمر اللّه و هم على ذلک»، و فى خبر آخر: «على الحق لا يضرّهم خلاف من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء» «۲»، و أنّه قال: «فمن

(۱) رواه الطبرانى فى «الكبير» (۳: ۳۳۱) برقم (۳۴۴)، و أبو داود فى «السنن» (۴: ۹۸) برقم (۴۲۵۳)، و ابن أبى عاصم «كتاب السنة» (۱: ۴۰) برقم (۸۰، ۸۳، ۸۵، ۹۲)، و رواه الحاكم فى «المستدرک» (۱: ۱۱۵)، كتاب العلم. بألفاظ متقاربة. (۲) هذا الحديث ورد بألفاظ متعددة بينها تقارب و اشتراک، فاللفظ الأول الذى فيه مقاتلة الدجال رواه أحمد فى «المسند» (۷: ۲۱۵) برقم (۱۹۹۴۱)، و كذلک روى حديث الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۳ سرّه بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإنّ الشيطان مع الواحد، و هو من الاثنين أبعد» «۱»، و فى رواية أخرى: «فإن يد اللّه على الجماعة، لا يبالى اللّه شذوذ من شذّ»، إلى نظائر هذه الأخبار التى يطول تتبعها، و قد ذكرناها و بيّنا صحّتها و ثبوتها و تسليم الأمّة لها و تواترها على المعنى و إن اختلفت ألفاظها، و أوضحنا فساد جميع ما يعترضون به عليها فى كتاب الإجماع من كتاب «أصول الفقه

الصغير» «۲» بما يغنى متأمله و الناظر فيه، و إذا كان ذلك كـذلك و كنا قـد بيّنا فيما سلف، و سنبيّن أيضا فيما يأتى إجماع الأمـة فى عصـر أبى بكر عنـد جمعه للقرآن، و فى زمن عثمـان و جمعه النّاس على القراءات و الأحرف الثابتـة، أن مـا بين اللوحين من القرآن الحاصـل فى أيـدينا هـو جميع كتـاب اللّه الـذى أنزله على رسوله، و مرسوم تـأليفه الـذى ألّف عليه، و مقروء على وجه مـا أنزل عليه، وجب لـذلك أن تكون صادقة محقّة فيما شـهدت به من هذا الباب، لإخبار الرسول عنها بأنّها لا تخطئ و تضلّ و لا تصدّق كذبا، و لا تكـذّب حقا و صـدقا، فوجب لأجل ما وصـفناه حمل قوله: «لتسـلكنّ بكم سـنن الـذين من قبلكم على سـلوك سـننهم فيما عـدا تغيير المصـحف و تحريـف الكتـاب» لأجل هـذا الإجمـاع و شـهادة الرسـول و الأمـة على أنّه محفـوظ إلى يوم القيامـة، و أنّ قوله: وَ إِنَّا لَهُ لَحـافِظُونَ [الحجر: ۹ ______________________________]، على الحـق لا يضرهم من خالفهم فى «المسند» (۸: ۳۰۹) برقم (۲۲۳۸۳)، كما روى بألفاظ متعددة عنـد البخارى (۸: ۵۰۱) كتـاب الاعتصام برقم (۷۳۱۱)، و رواه مسلم (۳: ۱۵۲۳) كتاب الأمارة برقم (۱۹۲۰، ۱۹۲۱). (۱) رواه الحاكم فى «المستدرك» (۱: ۱۱۴، ۱۱۵)، كتاب العلم باب خطبة عمر بالجابية. (۲) من مؤلفات الشيخ أبى بكر بن الباقلانى، ذكره فى مؤلفاته القاضى عياض رحمه اللّه و نقلها عنه صاحب كتاب «الباقلانى و آراؤه الكلاميـة (ص ۲۰۲)، ورد الكلام عليه فى باب الدراسـة من هـذه الرسالة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۴ و إنّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامـة: ۱۷] دالاـ على ذلـک و مقتض له، فيجب [۲۹۳] الأمـان/ من تخوّف تغيير و تحريف للكتـاب، لا تقوم الحجّة بفساده و يوجب إحباط صـحيحه بفساده. فإن قالوا: ما حصل على هذا إجماع، لأنّ عليا و شـيعته و أبيّا و عبد اللّه ابن مسـعود () «۱» لم يتّفقوا على ذلک، فقـد أوضـحنا فساد هـذه الـدعاوى و بيّنا دخول علىّ عليه السـلام فى الجماعة، و تحكيمه مصـحف عثمان و قراءته له و إقرائه إيّاه، و تسليمهم كـذلک، و أنّه لا معنى لـدعواهم التقيـة فى ذلک، و لا صـحة عليه، و إذا كان ذلک كذلک وجب اسـتثناء هذا القدر من سنن أهل الكتاب و منع وقوعه من الأمة. فإن قالوا: الإجماع أصل يقطعون بصحته على اللّه تعالى، و هذه الأخبار التى رويتموهـا عن الرسول فى تصـحيح الإجمـاع، و نفى الخطأ عن أهله أخبار آحاد غير ثابتـة. قيل لهم: هـذه الأخبار متواترة ثابتـة، و متلقاة بالقبول و متواترة على المعنى، و من أكثر شـىء روى عن الرسول، فلا معنى لجحدها و لا أقلّ من أن تكون على كلّ حال أثبت و أظهر من خبركم الذى تعلقتم به، فلا معنى للغطرسة و المدافعة، ثم يقال لهم: إن صحّ ما قلتموه فصـنيعنا فى هذا الكتاب كصنيعكم، لأنكم أنتم استدللتم على أصـل تقطعون به على اللّه تعالى بخبر واحـد، فإن كنّا قـد أخطأنا فخطأنا فى ذلک مثل خطئكم، و إن كنتم على صـواب فيمـا تعلقتـم به فلاـ ينبغى أن ترفعـوا عنه النظر و تعيّروا به خصـومكم، و فى بعض مـا ذكرنـاه مـا يسـقط تعلقكم بـالخبر. (______________________________۱) مـا بيـن القوسـين زيـادة (و) و لا يستقيم معها النص. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۴۵ و مما يـدلّ على أنّ تأويل الخبر إن صح بما قلناه، و أنّه لم يقصد ذهاب القرآن و تغيير الأمـة له و تحريفه و تضـييع أحكامه و حـدوده، علمنا بأنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه قد كان يخبرهم بآيات الساعة و أشـراطها، و عن الحوادث التى تحـدث بينهم، و الحروب، و يحـذر من التسـرع فيهـا و يكرر عليهم أمثال هـذه الأقاويل، فلو علم صـلّى اللّه عليه أنّ الامّـة ستضيّع القرآن و تغيره و تبدله لوجب أن يخبرهم بذلک و يعرفهم أنه من إحداثهم، و مما يخافه عليهم، فلمّا عدل عن هذا إلى إخبـارهم بمـا يـدلّ على أن القرآن أبـدا هـاد، و أنّ التمسّک به و الرجوع إليه و حمل السّـنن و الآثار عليه لأنه/ باق فيهم، و إن خاف عليهم عدم [۲۹۴] الانتفـاع به كمـا عـدمت اليهود و النّصـارى الانتفاع بكتابهم؛ فما أغنى عنهم شـيئا، دلّ ذلک على ظهور أمر القرآن أبدا، و قيام الحجة به و انقطاع العذر فيه. و قد روى النّاس على طبقاتهم، أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه قال فى (خطبته) «۱» على الناس فى الحرم فى حجـة الوداع، و يوم الجمع الأـعظم بعـد أن عرفهم حرمـة الشـهر و البلـد، و تحريم دمـائهم و أموالهم، و أمرهم بـأمور و نهاهم عن أمور: «قـد خلّفت فيكم ما إن تمسـكتم به لن تضـلوا: كتاب اللّه و سـنّتى» «۲»، و لو علم أنّ كتاب اللّه سـيذهب و يصـير من التغيير و الفسـاد إلى حـال لاـ تقوم به الحجـة لم يكن للأمـر بـالرجوع إليه و التمسّـک به وجه، و لكـان يجب أن يخبرهم بـأنّ الكتاب سيــذهب، فلاـ يبقى معهـم مـا يرجعـون إليـه و يهتــدون بـه، و كيـف يكـون ذلـک كــذلک و هـو يحــذّرهم فى هــذه الخطبـة من

(____ ١) فی الأصل (صحبته) و الجادة فی (خطبته). (٢) رواه الحاكم فی «المستدرك» (١: ٩٣) كتاب العلم خطبته صلّی اللّه علیه و سلم فی حجة الوداع، و ابن أبی شیبة فی «المصنف» (٧: ١٧٥) كتاب فضائل القرآن، و مالك فی «الموطأ» (٢: ٨٩٩) كتاب القدر. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٤٤٦ الكذب علیه و یحثّهم علی الأداء عنه كما سمعوا، و یأمرهم بضبطه و أخذ العلم عنه قبل فوته، فیقول: «خذوا العلم قبل رفعه، و قبل ذهابه» فی نظائر هذه الألفاظ سنذكرها فیما بعد إن شاء اللّه، و لا یخبرهم فی شیء من هذه الأخبار بذهاب القرآن، و لا ضیاع شیء منه و لا بتحریف و تغییر یقع فیه، بل یأمرهم بالردّ إلیه و العمل علیه، و فی هذه الخطبة قال صلّی اللّه علیه «نضّر اللّه أمرا سمع مقالتی فحفظها و أدّاها فربّ حامل فقه غیر فقیه و ربّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه» «١»، و فی بعض الروایات: «فأداها كما سمعها فربّ حامل فقه لیس بفقیه، و ربّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه»، و یحذّرهم من الكذب علیه، و لو علم أن القرآن سیغیّر و یبدل لأخبرهم بذلك و حذّرهم أیضا منه، و قد روی أبو صالح عن أبی هریرة عن النبی صلّی اللّه علیه قال: «سیأتیكم عنّی أحادیث مختلفة لكتاب اللّه و لسنّتی، فلیس منی» «٢». و روی عن میمون الحضرمی أنّ أبا موسی الغافقیّ سمع عقبة بن عامر [٢٩٥] الجهنی یحدّث علی المنبر عن النّبی صلّی اللّه علیه/ أحادیث، فقال أبو موسی: إنّ صاحبكم لحافظ أو هالك، إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه كان آخر ما عهد إلینا أن قال: «علیكم بكتاب اللّه و سنّتی، و سترجعون إلی قوم یحدّثون الحدیث عنّی فمن قال علیّ ما لم أقل فلیتبوّأ مقعده من النّار، و من حفظ شیئا فلیحدّث به» «٣ (____». ١) رواه الترمذی (٥: ٣٣) كتاب العلم برقم (٢٦٥٦)، و أحمد (٥: ٦١٥) برقم (١٦٧٣٨)، و ابن ماجة (١: ٨٤) برقم (٢٣٠)، و أبو داود (٣: ٣٢٢) برقم (٣٦٦٠). (٢) رواه الدارقطنی فی «السنن» (٤: ٢٠٨) كتاب الأقضیة، كتاب عمر رضی اللّه عنه إلی أبی موسی الأشعری. (٣) رواه أحمد فی «المسند» (٧: ٦) برقم (١٨٩٦٨)، و الحاكم فی «المستدرك» (١: ١١٣ كتاب العلم). الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٤٤٧ و روی الأعرج عن عبد اللّه بن بحینه قال خطب رسول اللّه صلّی اللّه علیه فقال: «ما أتاكم عنی یوافق القرآن فهو عنّی، و ما خالف القرآن فلیس عنّی» فإذا كان صلّی اللّه علیه قد أمرهم بعرض حدیثه علی القرآن، فكیف یظنّ به أنه قد علم من حالهم تضییعه و تغییره و تحریفه و بلوغه إلی حدّ لا یجوز أن یدین به موافقة الحدیث له أو مخالفته إیاه، فكلّ هذا یدلّ علی أنّه لم یقصد بقوله: «لتسلكنّ سنن الذین من قبلكم» تغیر القرآن و تحریفه و تضییعه. و روی وكیع عن الأعمش عن سالم بن أبی الجعد عن زیاد بن لبید قال: ذكر رسول اللّه صلّی اللّه علیه شیئا فقال: «و ذلك عند أوان ذهاب العلم، قال: قلت یا رسول اللّه كیف یذهب العلم و نحن نقرأ القرآن؟ و فی روایة أخری: و فینا كتاب اللّه نقرئه أبنائنا و یقرئه أبناؤنا أبناءهم إلی یوم القیامة؟ قال: ثكلتك أمّك یا زیاد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدینة» «١»، و فی روایة أخری: «إن كنت لأعدّك من فقهاء المدینة، أو لیس هذه الیهود و النصاری یقرءون التوراة و الإنجیل لا یعملون بشیء مما فیهما؟» و لو علم ذهاب القرآن لردّ علیهم قوله: و یعلّمه أبناؤنا أبناءهم إلی یوم القیامة، و یقال: إنّكم ستضیّعون القرآن أیضا و تغیّرونه تغییرا لا یمكن معه معرفة العلم. و روی القاسم بن عبد الرحمن عن أبی أمامة الباهلیّ أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه قال: «خذوا العلم قبل أن ینفد ثلاثا، قالوا: یا رسول اللّه و كیف ینفد و فینا كتاب اللّه؟ قال: فغضب لا یغضبه (إلّا) «٢» اللّه، ثم قال: ثكلتكم (____ ١) رواه أحمد فی «المسند» (٦: ١٥٣) برقم (١٧٤٨٠). (٢) ما بین القوسین ساقط من الأصل و لا یستقیم المعنی إلا بها. اه. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٤٤٨ [٢٩٦] أمّهاتكم أو لم تكن التوراة و الإنجیل فی بنی إسرائیل ثم لم تغن/ عنهم شیئا، إنّ ذهاب العلم ذهاب حملته» «١»، و روی أیضا القاسم بن عبد الرحمن عن أبی أمامة أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه وقف فی حجّة الوداع و هو مردف الفضل بن عباس علی جمل آدم، فقال: «یا أیها النّاس خذوا العلم قبل رفعه و قبضه» «٢»، قال: «و كنّا نهاب مسألته بعد نزول الآیة: لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْیاءَ [المائدة: ١٠١]، فقدّمنا إلیه أعرابیا فرشوناه بردا علی مسألته، فاعتمّ به حتی رأیت حاشیة البرد علی حاجبه الأیمن، و قلنا له: سل رسول اللّه صلّی اللّه علیه كیف یرفع العلم و هذا القرآن بین أظهرنا، و قد تعلّمناه و علّمناه نساءنا و ذرارینا و خدمنا؟ قال: فرفع رسول اللّه

صلّى اللّه عليه رأسه و قد علا وجهه حمرة من الغضب فقال: ثكلتك أمّك، أو ليست هذه اليهود و النّصارى بين أظهرها المصاحف و قد أصبحوا ما يتعلقون منها بحرف مما جاءت به أنبياؤهم، إنّ ذهاب العلم أن يذهب حملته» «۳». و كلّ هذه الأخبار أيضا تنبئ عن بقاء الكتاب بين المسلمين و تعلّمهم له و محافظتهم عليه، و لو علم أنّ القرآن سيضيّع و يحرّف و يغيّر و تزول الحجة به لقال لهم: و أول ذهاب علمكم ضياع القرآن منكم و تغييره و تبديله، و هذا هو الذى أريده بذهاب العلم، و لم يحلّهم على أنّ ذهاب العلم و قبضه و رفعه هو ذهاب حملته، و لا ردّهم إلى قوم قد كان الكتاب بينهم، و أنّه لا

(______________________________ ۱) أخرجه من حديث أبى أمامة أحمد فى «مسند» (۵: ۲۶۶)، و فى إسناده على بن يزيد الألهانى و هو ضعيف- ذكر ذلك المحقق العلامة شعيب الأرناءوط-، و رواه الدارمى فى «سننه» برقم (۲۴۰)، و الطبرانى فى «الكبير» برقم (۷۹۰۶)، و أورده المتقى فى «كنز العمال» و زاد نسبته إلى أبى الشيخ فى «تفسيره» و ابن مردويه. (۲) رواه الطبرانى فى «الكبير» (۸: ۲۵۶) برقم (۷۸۶۷). (۳) رواه أحمد فى «المسند» (۵: ۲۶۶) و قد سبق قبل قليل طرف من هذا الحديث. الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۴۹ يغنى عنهم شيئا، و ليس يجوز أن يعنى بهذه الأخبار إلا كتابا صحيحا لا يعنيهم شيئا، لأنّ المسقط و المحرّف و المغيّر ليس بكتاب اللّه، و لو تأملوا أيضا ما أغنى عنهم شيئا، و هذا بيّن يوضح أنّ الكتاب باد ظاهر مستفيض عار من كلّ شبهة و تحريف، على هذا دلّ قوله صلّى اللّه عليه: «لا تزال طائفة من أمّتى على الحقّ» فى سائر الأخبار التى قدّمنا فى صحة الإجماع، و لو علم أنّ القرآن سيضيع عقيب موته و يحرّف و يغيّر و يبدّل حتّى لا تقوم به الحجة/ [۲۹۷] لكانت الأمة كلّها قد عرفت و عطّلت من قام للّه بحقه فى حفظ الكتاب و حراسته. و قد دلّ على هذا أيضا قوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹] و قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، و قد بيّنا ذلك فيما سلف بما يغنى عن ردّه، و أنّه لو ضيّع القرآن و حرّف و صار إلى حدّ لا يعرف صحيحه من سقيمه لم يكن تعالى حافظا له و لا جامعا له على خلقه، و كذلك قوله: لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ [فصلت: ۴۲]، يوجب ذلك و يقتضيه. فكذلك قوله تعالى: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة: ۳۳]، و قوله: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِی ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً [النور: ۵۵]، و هذان خبران من اللّه تعالى بأنه سيظهر دين الرسول صلّى اللّه عليه على الدين كلّه و أن يمكّنه، و لو علم تعالى أنّ أصله و أسه و معدنه سيذهب و يغيّر و يبدل و يحرف و تسقط الحجة به عقيب موته صلّى اللّه عليه لم يخبر بمثل هذا، و لكان إخباره عن وهايته و عدم تمكّنه و شدة ضعفه و دروس أثره الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۵۰ أولى بالإخبار عن ظهوره و تمكينه، و كلّ مسلم تدبّر هذه الآيات و الآثار التى ذكرناها عرف أنّه لم يقصد الرسول صلّى اللّه عليه بقوله «لتسلكنّ سنن الذين من قبلكم» تضييعكم القرآن و تحريفه و تبديله. فإن قالوا: أ فليس قد زعمتم أنّ النّبى صلّى اللّه عليه قد حذّرهم فى هذه الأخبار من تضييع العلم، و أمرهم بتعلّمه قبل ذهابه، فيزعمون أنّ العلم يذهب دون القرآن على ما أصّلتم. قيل له: لا، لأنّه أراد عندنا بذهاب العلم ذهاب كثير من أهله و قلّته فى الناس، كما يقول القائل: ذهب الإسلام، و ذهب الجود و ارتفع الخير، و نفد العلم و الأدب، أى: قد قلّ ذلك و قلّ أهله و طلابه، و لا يعنى به أنّه لم يبق قائم بذلك و لا معروف به، و يدلّ على أنّ هذا هو مراده بقوله: وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ، و لِيُظْهِرَهُ/ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، و لو ذهب بأسره و انقرض جميع أهله لم يكن مظهرا له على الدين كلّه، و لا ممكنا له، و يدلّ عليه قول الرسول صلّى اللّه عليه: «لا تزال طائفة من أمّتى على الحقّ حتى يأتى أمر اللّه و هم على ذلك»، و لو علم أنّه سيضيّع جميع العلم، أو باب من أبوابه حتى لا يوجد فى الأمّة قائم، لوجب أنها قد عطّلت، و خلت من قائم بالحق فى ذلك. فأما تحذيره و نهيه عن تضييع العلم، و حثه عليه و أمره به و نهيه عن تركه، فإنّه لا يدل شىء منه على أنّهم سيضيّعونه و يفعلون ما نهوا عنه، هذه حالة أمره بطلب العلم و نهيه عن تركه، أو تجرد أو كيف بهما إذا قارنهما ما يدلّ على أنّه لا يذهب من قول النبى صلّى اللّه عليه: «لا تزال طائفة من أمّتى على الحقّ»، و قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [الفتح: ۲۸]، و قد قال اللّه تعالى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: ۶۵]، و لم يجب ذلك علمه الإنتصار للقرآن، ج ۲،

ص: ۴۵۱ بمواقعته صلّى اللّه عليه للشرك، و قال تعالى: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [البقرة: ۱۲۰]، و لم يقتض ذلك علمه بأنّه يتّبع أهواءهم، و قال تعالى:* يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ [المائدة: ۶۷]، فحثّه و حضّه على أداء ما حمّل، و قال له: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ [الحجر: ۹۴]، و لم يوجب أن يكون تعالى قد علم من حاله صلّى اللّه عليه أنه سيترك البلاغ و الصّدع بما أنزل، بل المعلوم من حاله أنه سيفعل ذلك و يبالغ و يجتهد فى حسن القيام به و الحرص عليه، فهذا إذا تجرّد لم يدلّ على أنّه لا يبلغ ما أنزل إليه، فكيف به إذا انضمّ إليه قوله تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [التوبة: ۱۲۸]، فى أمثال هذه الآيات ممّا خبّر فيها عن مناصحته صلّى اللّه عليه و اجتهاده و إيذائه فى اللّه جلّ و عزّ، و كذلك تجرّد أمره للأمة بطلب العلم و نهيهم عن تضييعه لا يدلان على أنهم سيضيعونه، فكيف بهم إذا انضمّ إليهما ما وصفناه من إخبار اللّه تعالى/ و رسوله أنّهم لا [۲۹۹] يزالون على الحقّ ظاهرين، و أنّ دينهم ظاهر على الأديان و أنّه سيمكنه لهم، فى أمثال ذلك، فإذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموه فى هذا الفصل. ثم يقال لهم: أ ليس قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه ما وصفتم، و إنّ علمنا أنّ الأمة لم تعبد و لا أحد منهم عند غيبته عنهم فى غزواته عجلا و لا وثنا، و لم يقولوا و لا أحد منهم: يا محمد اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، و لا قالوا له: أرنا اللّه جهرة و لا أخذتهم الصاعقة. فإذا قالوا: أجل، قيل لهم: فما أنكرتم أيضا أن لا يكونوا حرّفوا القرآن و لا غيّروا نظمه، و إن كان قد فعل ذلك أهل الكنائس و أنّه يجب لأجل ما وصفناه أن نعلم أنّه أراد سلوك سننهم فى كثير من سيرتهم و أبواب دنياهم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۲ فإن قالوا: أراد بقوله لتسلكنّ فى المستقبل بعد وفاتى، (فإن) «۱» قوم موسى لم يعبدوا العجل، و لا سألوا من شىء أن يريهم اللّه جهرة، و أن يجعل لهم إلها يعبدونه بعد وفاته، و إنّما سألوا ذلك و فعلوه فى أيام حياته و حرّفوا الكتاب بعد وفاته، يقال له: و ما الدليل على أنّه أراد بعد وفاته، و قوله لتسلكنّ لا يقتضى ظاهره سوى وقوع ذلك فى المستقبل منهم و هو متناول لأيام حياته المستقبلية، و لما بعد وفاته من الأزمان فما الموجب لتخصيص هذا الكلام، و لا سبيل لهم إلى ذلك، بل الواجب بطلان قوله لتسلكنّ أن يكون خطاب مواجهة للصحابة دون المعدومين الذين يأتون بعده، و قد علم أنّ الصحابة لم تعبد العجل و لا تحدث إلها دون اللّه تعالى و لا عبدت وثنا فى أيام حياته و لا بعده صلّى اللّه عليه فزال بما قالوه. فإن قالوا: أراد إلّا عبادة العجل، و سؤال جعل إله مع اللّه، و أن يروه جهرة، قيل لهم: و أراد إلّا تحريف الكتاب و تغييره و لا فصل فى ذلك، فإن قالوا: قد علمنا أنّ ما ذكرتموه لم يقع من الأمّة، قيل لهم: فقد بطل التعلّق بعموم الخبر، و الاستدلال به على أنّه لا بد أن تفعل هذه الأمّة مثل جميع ما [۳۰۰] فعلته اليهود/ و النّصارى، و قيل لهم أيضا: و قد علمنا أنّهم لم يحرّفوا القرآن و لا غيّروه فأراد ما سوى ذلك. فإن قالوا: ظاهر الخبر يوجب وقوع تحريف الكتاب لأنّه من سنن الذين من قبلهم، قيل لهم: و ظاهره يقتضى وقوع عبادة تحصل منها للعجل و طلب إله مع اللّه، و أن يروه جهرة، لأنّ ذلك من سنن الذين من قبلهم، و لا جواب عن هذا و إنّما أراد النبىّ صلّى اللّه عليه إن صحّ هذا الخبر عنه حدوث خلاف كثير و تنازع بينكم و فتن غير هذا الباب، على ما بيناه من قبل.

(______________________________ ۱) فى الأصل من، و الصواب: فإنّ، حتى يستقيم المعنى.

الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۳ ثم يقال لهم: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه لم يقل ليلحقنّ كتابكم من الفساد و التغيير باختلاط حقّه بباطله و التباسه بالحقّ كدأب من قبلكم من اليهود و النّصارى، و إنّما يقتضى هذا الظاهر على ما قلتم أن يقع من الأمّة أو قوم منها تغيير الكتاب و تحريفه فقط، و لا يوجب ذلك أن يصير كتابنا بذلك التغيير مفسدا أو بالغا إلى حدّ فى الوهاء و ضعف النّقل و قلة الحفاظ و الضبط، لا نعرف صحيحه من فاسده و سقيمه من سليمه و لا تقوم الحجّة به، و إذا كان ذلك كذلك لم ينكر أن يكون قوم من المنافقين و المدغلين للدين فى صدر الإسلام قد قصدوا إلى تغيير القرآن و تقديم مؤخّره، و إدخال ما ليس منه فيه، و إخراج بعض ما هو منه عنه، و أن يكون عثمان و الجماعة قد ألغت ذلك و أبطلته، و أوضحت عن فساده، و قامت بالحقّ و الواجب فى حفظ القرآن و رسمه و نقله و ضبط قراءته الثابتة التى أنزل عليه بيانا قطع به العذر و أوجب الحجّة و نفى عنه تحريف الزائغين و كيد المبطلين، و أن يكون قد كان فى كثرة تلك المصاحف التى حرقها شىء كثير من هذا الباب، و إذا كان ذلك كذلك

سقط ما تعلقتم به، فكـذلك لا ننكر أن يحدث قوم فى بعض الأعصار يقصدون إفساد نظم القرآن و تغييره و تحريفه/ و إكثار دعاوى الأباطيل [۳۰۱] فيه، و إن لم يخلهم اللّه تعالى فمن يردّ قولهم و يكشف شبههم و يبيّن باطلهم لأجل ضمان اللّه سبحانه لحفظه و جمعه على ما بيّناه من قبل. فإن قالوا: ما أراد بهذا القول إلّا أنّ عثمان و شيعته يحرّفون القرآن و يغيرونه، قيل لهم: لا، بل أراد إلا من ردّ عليه عثمـان فى أمر القرآن و برئ منه، و مـا أراد بـذلك غيركم و غير أتبـاعكم فى بـاب القرآن، و مـا تـدّعونه فيه من التغيير و النقصـان و الحروف و الكلمات التى تروونها و تدّعون اعتماد السّـلف لإسقاطها، و أنتم أقرب إلى ذلك و أحقّ به، و أشبه أن يكون الذى عناكم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۴ الرسول صـلى اللّه عليه بـالوصف لتحريف القرآن، و لاـ جواب عن هـذا أيضا، و يقال لهم: هل عنى الرسول بقوله لتسـلكنّ سـنن الـذين من قبلكم، جميع الأمـة أو بعضـها. فإن قالوا: جميع الأمّـة، قيل لهم: فعلىّ و ولداه عليهم السـلام، و عمار و سـلمان، و جميع الشـيعة المعاصـرين كانوا للرسول و من حدث بعده داخلون فى هذا القول و هذا ما لا يصـير أحد منهم (إليه) «۱». و إن قالوا: أراد بعض الأمة دون بعض، قيل لهم: هذا مسلّم لكم، فما الدليل على أنّ ذلك البعض هو عثمان و المتفقون معه على مصـحفه دون أن يكون هو المختار، و ابن عبيد قتله مصـعب بن الزبير صبرا مع سـبعة من أصـحابه، و كان يدّعى النّبوة و يقول: جبريل عـن يمينى و ميكائيـل عـن شـمالى و أمثـاله من قـادتكم، و من قـال منكم: (إنّ من القرآن، و إنّ علينـا جمعه و قرآنه «۲»)، (و إنّ اللّه اصـطفى آدم و نوحا و آل إبراهيم (و آل محمد) على العالمين)، و من روى عن على عليه السّلام: (و العصر و نوائب الدهر إنّ الإنسان لفى خسـر و إنّ فيه إلى آخر الـدهر)، و من روى عن بعض أهل البيت أنّه قال: (أنزل ربع القرآن فينا و ربعه فى عـدوّنا)، و روى عنهم أنّهم قالوا: «لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا مسمّين فيه كما سمّى من كان قبلنا»، [۳۰۲] إلى أمثال هذه الخرافات و التّرهات، و رواة هـذا و القائلون به أقرب/ إلى التهمـة و الظّنّة بنقصان القرآن و تحريفه من عثمان و من سائر السـلف الصالح، بل هم عندنا مقطوع على موضـوعهم و تكـذّبهم و إكـادتهم الـدين، و نصبهم لـه الحبائـل و الغوائـل و طلبهـم أهلـه و الناصـرين لـه و القـائمين بحثه بـالطوائل (____ ۱) مـا بيـن القوسـين محـذوف من الأصـل، و لا تسـتقيم العبارة إلا به. (۲) يصـحّفون و يحرّفون قول اللّه تعـالى: إِنَّ عَلَيْنـا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ الآيـة من سورة القيامـة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۵ و تكسّـبهم بالمذهب معروف، و إحرافهم له معلوم، و ما هم عليه من مذموم الطرائق و شدّة الرغبة فى العاجل، و قلـة اكتراثهم بـأمر الآـخرة، و يقـال لمن اسـتدلّ بهـذا الخبر منهم- ممن يزعم أن قـد نقص منه و لم يزد فيه و لاـ يمكن أن يزاد فيه، لإعجاز نظمه تعـذّر الإتيان بمثله-: أنت فى غفلـة مما تخوض فيه لأنّك قـد اعترفت بأنّ أهل الكتابين زادوا فى القرآن و نقّصوا منه، و أنّ اللّه سـبحانه خبّر بـذلك حيث يقـول: وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [آل عمران: ۷۸]، و قوله: يَكْتُبُونَ الْكِتـابَ بِأَيْدِيهِمْ [البقرة: ۷۹]، فيجب إذا كان ذلك كلّه أن يـدلّ هـذا الخبر دلالـة قاطعة على أنّ القرآن مزيد فيه و مدخل فيه كثير ليس منه، كما دلّ على أنّه نقص منه حتى يكون من ضيّع ذلك من الأمّة سالكا لسنن من قبله حذو النّعل بالنّعل، فإن مرّ على ذلك ظهر عجزه و رغب عن مذهبه، و إن أبـاه أسـقط اسـتدلاله بالخبر سـقوطا ظاهرا. و إن قالوا: أراد أنّهم يسـلكون سـنن أهل الكتاب إلا فى الزيادة فى الكتاب، قيل له: و أراد سلوك سـننهم إلا فى النّقصان من الكتاب، و إلّا تحريفه و تغييره و قصد ما عدا ذلك، و هذا ما لا حيلة فيه و لا جواب عنه، و كذلك الكلام على من قال: إنّه مزيد فيه و ليس بمنقوص أو مغيّر النظم و التأليف فقط من غير زيادة و لا نقصان منه، و فى بعض ما أشرنا إليه أوضح دليل على سـقوط تعلّقهم بهذه الرويات. دليل لهم آخر على نقصان القرآن و تحريفه: بأنّ الشيعة تنقل خلفا عن سلف عن علىّ و الأئمـة من عترته، عن سـلف لهم تقوم بهم الحجـة و ينقطع العـذر: أنّ القرآن قـد نقّص منه و غيّر و بدّل و أحيل عن نظمه، قالوا:/ و الكذب [۳۰۳] ممتنع على من ذكرنا، و العذر ببعضـهم، فوجب لذلك صدقهم فيما نقلوه من هذا الباب، و القطع من جهة خبرهم على نقصان القرآن و تغييره. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۶ يقال لهم: ما الدليل على صـحة نقلكم هذا مع مخالفتنا لكم فيه، و ما أنكرتم من أنّه لو كان نقل الشـيعة لذلك صحيحا فيه شرط التواتر لوجب أن نعلم ضرورة أنّ فى صدر الأمة من قال إنّ القرآن قد نقّص منه و غيّر عما أنزل عليه على ما ذكرنا من قبل، فلمّا لم نعلم من ذلك شـيئا علم فساد إدخالهم، و لأن الإسـماعيلية و الغالية يزعمون أنّهم قد

نقلوا خلفا عن سلف لهم عن الأئمّة أنّ الأمر فی أصول الدین و فروعه علی ما یعتقدونه و ینزّلونه، و لأن الشیعة معترفة بحجج بعضها إذا نقل عن سماع و مشاهدة، و کل فریق منهم یذکر أنّه أخذ دینه فی الأصول و الفروع جمیعا عن سلف لهم، و السلف عن سلف إلی أن ینتهی ذلک إلی الأئمة و إلی قوم منهم فی الأصل تقوم بهم الحجة، فیجب لذلک العمل علی قول جمیع الشّیعة مع اختلافها، و إذا کانت هذه دعاوی متکافئة لا یعلم صحة شیء منها بطل جمیعها، و لأنّهم مثل هذا النقل یدّعون فی النّص علی علیّ علیه السّلام و روایة الأخبار الکثیرة فی وجوب شتم السّلف و لعنهم و البراءة منهم و من سائر أتباعهم، و نحن فلا شبهة علینا فی کذب هذا الخلف الذی یدین بذلک فی الأئمة و جلّة الصّحابة، فلا معتبر بهذه الدّعاوی التی قد أخلقت و عرف جوابها و أغراض مدّعیها، و قد بسطنا الأدلة علیهم فی هذه الفصول و ما جانسها و الدّعاوی و ما أشبهها فی کتاب «الإمامة» بما یغنی النّاظر فیه. فأمّا ادعاؤهم أنّ عبد اللّه بن مسعود کان یقرأ: و کفی اللّه المؤمنین القتال (بعلیّ) و کان اللّه قویّا عزیزا [الأحزاب: ۲۵]، و أنّه کان یقرأ فی آل عمران: * إنّ اللّه اصطفی آدم و نوحا و آل إبراهیم (و آل محمد) علی العالمین، فإنه بهت و زور و لیس هذا بمعروف،/ فی أصحاب الحدیث و لا مرویّ روایة ما قدمنا ذکره من السواد، و لو کان بمثابته السّداد لکانت الحال فیه لهی کما قدّمنا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۷ ذکرنا له من القراءة التی لم تقم الحجة بها، و قد علم أنّهم لیس یدافعون عن هذا لتضمّنه معنی فاسدا عند مخالفتهم، لأنّ اللّه قد کفی النبی و المؤمنین القتال بعلیّ فی مواطن کثیرة حسن فیها إبلاؤه و جهاده، و أنّ آل محمد مصطفون کآل نوح و آل إبراهیم، فمذهب الشیعة و السنة فی هذا سیّان فلا معنی لقولهم: النّصب حملهم علی جحد هذه القراءات و ما جری مجراها. کذلک سبیل ما یدّعونه من أمر روایات الذین لا- یعرفون بالرفض و الطعن علی الصحابة و أمّ المؤمنین عائشة رضوان اللّه علیها، أنّ ابن عباس قال: «إنّ للّه تعالی حرمات ثلاث لیس مثلهنّ، کتابه و هو حکمته نطق به و أنزله، بیته الذی جعله للنّاس مثابة و أمنا، و عترة نبیه فیکم صلّی اللّه علیه، فأما الکتاب فحرّفتم، و أما البیت فخرّبتم، و أما العترة فشرّدتم، و قتلتم» «۱»، أن حذیفة قال للصحابة: «أ رأیتم لو حدّثتکم أنّکم تأخذون مصاحفکم فتحرّفونها، و تلقونها فی الحشوش أ کنتم مصدّقیّ؟ قالوا: سبحان اللّه و لم نفعل ذلک؟ قال: أ رأیتم إن قلت لکم إن أمّکم تخرج من فئة فتقاتل أ کنتم مصدّقیّ؟ قالوا: سبحان اللّه و لم نفعل ذلک؟! قال: أ رأیتم إن قلت لکم إن یکون فیکم قردة و خنازیر، أ کنتم مصدّقیّ؟ فقال رجل: یکون فینا قردة و خنازیر؟! قال: و ما یؤمّنک من ذلک لا أمّ لک «۲»؟!». فإنّها أیضا کذب و زور و بهتان لأصحاب الحدیث، لأنّهم کلّهم یروون عن عبد اللّه بن عباس و حذیفة نقیض هذه الأخبار، و وصف الأمّة بالفضل

(۱) رواه الطبرانی فی «المعجم الکبیر» (۳: ۱۳۵) برقم (۲۸۸۱)، و فی «الأوسط» (برقم ۲۰۵)، من حدیث أبی سعید الخدری، بمعناه. (۲) أخرجه بهذا المعنی ابن أبی شیبة فی «مصنفه» (۸: ۶۳۵) کتاب الفتنة، باب من کره الخروج فی الفتنة و تعوذ منها، برقم (۲۷۳)، و لیس بتمامه و لفظه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۸ و الأمر بالمعروف و النّهی عن المنکر، و التفضیل لعائشة، و جمیع من یتبرّأ منه الشیعة من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه، و هذا أظهر عندهم و أکثر من أن تحتاج إلی تکلّف الرّوایات عنهما فی تفضیل الصحابة و وصف الأمة، و قد تواتر من الأخبار التی/ لا- یمکن دفعها أنّ أوّل من خاطب عثمان فی جمع القرآن و أشار به علیه و ناشده اللّه فی ذلک (حذیفة) «۱» بن الیمان، و أنّه لمّا قدم عثمان و کان یغازی أهل الشام فی فتح إرمینیة «۲» و أذربیجان «۳» مع أهل العراق، فأفزع حذیفة اختلافهم فی القرآن، فقال حذیفة: یا أمیر المؤمنین، أدرک هذه الأمّة قبل أن یختلفوا فی الکتاب اختلاف الیهود و النّصاری» «۴»، فشرع عثمان رضوان اللّه علیه عند ذلک فی جمع النّاس علی القرآن، و أرسل إلی حفصة زوج النّبی صلّی اللّه علیه فی شأن الصّحیفة التی کانت عندها، فکیف یأمر عثمان بذلک، و یقسم علیه فیه من بعده و یعیب فعله، هذا بهت ممن صار إلیه و أضافه إلی أحد من ثقات أصحاب الحدیث الذین لا مغمز علیهم فی قلة أمانة و ابتداع فی الدّین، فأمّا ما یروونه قوم منهم من أنّ

(۱) ما بین القوسین مطموس من الأصل. (۲) إرمینیة: بکسر أوله و بفتح أو سکون ثانیه، و کسر المیم و سکون الیاء و کسر النون و یاء خفیفة مفتوحة، اسم لصقع

عظمية واسع فى جهة الشمال. «معجم البلدان» (۱: ۱۶۰). أقول: و هى الآن واحدة من الجمهوريات السوفياتية التى استقلت بعد زوال الاتحاد السوفياتى و معظم أهلها من النصارى. (۳) أذربيجان: قال ياقوت: هى فى الإقليم الخامس طولها ثلاث و سبعون درجة و عرضها أربعون درجة وحدها: من برذعة مشرقا إلى أذربيجان مغربا و يتصل بها من الشمال بلاد الديلم و الجيل و الطرم و هو اقليم واسع اه. و هى أيضا من الأقاليم التى استقلت بعد تهتك الاتحاد السوفياتى و معظم أهلها من المسلمين. (۴) أخرجه البخارى (۶: ۴۱۶) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن برقم (۴۹۸۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۵۹ الأخبار قد وردت متواترة مستفيضة من جهة نقل هذه الفرقة من الشيعة بأنّ القرآن مغيّر و مبدّل و أنه قد نقّص منه و أسقط أسماء الأئمة الاثنى عشر المذكورين فيه، و أسماء سبعين رجلاـ من قريش ملعونين فيه بأسمائهم و أنسابهم، و أنّ ربع القرآن منزّل فى فضائل الأئمة الاـثنى عشر و أهل البيت، و أنّ عثمان و الجماعة وضعت مكان رجل مسمّى ملعون من قريش: يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا [الفرقان: ۲۸]، و محوا اسمه، إلى غير هذه الجهالات و الأمانى الكاذبة و التلاحد الذى يستهوون به العامّة الطّغام، و يقصدون به إبطال الإسلام فإنّه لا شبهة على من له أدنى مسكة فى فساده و تكذّب مفتريه و واضعه، و سنتكلم على تكذّب جميع هذه الرّوايات و عند مفتعلها عند فراغنا من حكاية عمل ما يروونه فى هذا الباب إن شاء اللّه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۰

فصل

فصل فيما ذكروه فى هذا الباب و ادّعوا انتشاره و ظهوره، و معتقدى نقصان القرآن من الشيعة أنّ عليا عليه السّلام جمع القرآن بعد النّبى صلّى اللّه عليه و جاء به يحمله قنبر لا يغلانه فوضع، ثم تلا عليهم/ آيات يكبتهم بها فى تقدّمهم بن يديه، و هى قوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ (۲۲) أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ (۲۳) [محمد: ۲۳- ۲۲]، فقال له عمر عند ذلك: ارفع ارفع مصحفك لا حاجة لنا إليه. و من ذلك- زعموا- ما تواترته نقل الشيعة خلفا عن سلف عن علماء أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه، منهم علىّ بن موسى بن جعفر «۱»، و موسى بن جعفر بن محمد «۲»، و جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين «۳»، و الحسن بن علىّ بن محمد، و علىّ بن محمد بن علىّ بن موسى، و أمثالهم من أهل البيت، أنهم جميعا قالوا: أنزل القرآن أربعة أرباع، ربعا فينا، و ربعا فى عدوّنا، و ربع سير و أمثال، و ربع فرائض و أحكام، و لنا أهل البيت

(______________________________ ۱) الهاشمى، يلقب بالرضى، صدوق، و الخلل ممن روى عنه، من كبار العاشرة مات سنة ثلاث و مائتين و لم يكمل الخمسين «التقريب» (۱: ۷۴). (۲) موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على أبو الحسن الهاشمى المعروف بالكاظم، صدوق عابد، من السابعة مات سنة ثلاث و ثمانين و مائة «التقريب» (۲: ۲۲۱). (۳) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى المعروف بالصادق. صدوق فقيه إمام من السادسة مات سنة ثمان و أربعين و مائة «التقريب» (۱: ۱۶۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۱ فضائل القرآن، و أنّهم قالوا: لو قرئ القرآن كما أنزل لوجد فيه أسماء سبعين رجلاـ من قريش ملعونين بأسمائهم و أسماء آبائهم و أمهاتهم. و أنّ رجلاـ قرأ على جعفر بن محمد الصادق من سورة آل عمران: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [آل عمران: ۱۱۰]، فقال له الصادق: يا ويحك كيف تكون أمة قتلت عترة نبيها، و حرّفت كتاب ربّها و هدمت بيته، خير الأمم كلّها؟ بل كيف تأمر بالمعروف و هى تخالفه، و كيف تنهى عن المنكر و هى تأتيه؟ فقال له الرجل: جعلت فداك، فكيف نزلت؟ فقال: كنتم خير أئمة أخرجت للنّاس، تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر». و أنّ رجلا آخر قرأ عليه- أعنى جعفر بن محمد- فى سورة هود: أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً [هود: ۱۷]، فقال الصادق: ما هكذا أنزل اللّه تعالى، إنما أنزل اللّه: «أ فمن كان على بيّنة من ربه و يتلوه شاهد منه إماما و رحمة و من قبله كتاب موسى». و أن رجلا قرأ عليه من سورة النّحل: أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبى مِنْ أُمَّةٍ [النحل: ۹۲]،/ فقال له: ويحك! ما أربى، إنّما هو: «أن تكون أمّة هو أزكى من أمة»، و أن آخر قرأ عليه: وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا

هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً [الفرقان: ۷۴]، فقال الصّادق: و لقد سأل هؤلاء القوم عظيما أن يجعلهم أئمّة للمتقين، فقال له الرجل: كيف أقرأها، فقال له: و اجعل لنا من المتقين إماما. و أنّ رجلا قرأ بحضرته: فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ [سبأ: ۱۴]، فقال له: إنّ الجنّ كانوا يعلمون أنّهم لا ـ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۲ يعلمون الغيب «۱». و أنّ رجلا قرأ على الصّادق: وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ [آل عمران: ۱۲۳]، فقال له: يا هذا كيف يذل قوم فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه، فقال له الرجل: كيف أقرأ؟ قال: (و لقد نصركم اللّه ببدر و أنتم ضعفاء). و أن الصادق كان يقرأ: و ما ارسلنا من قبلك من رّسول و لا نبىّ (و لا محدّث) إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان فى أمنيّته [الحج: ۵۲]، و أنّه كان يقرأ: و ما جعلنا الرّءيا الّتى أرينك إلّا فتنة للنّاس (لتعمهوا فيها) [الإسراء: ۶۰]، و أنه قرأ: «و العصر إنّ الإنسان لفى خسر و أنّه فيه إلى آخر الدهر إلّا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و ائتموا بالحق و ائتموا بالصبر». و أنّه كان يقرأ فى النّور: «ليس (عليهنّ) «۲» جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجات لزينة»، و أنّه كان يقرأ فى سورة النّساء: و لو أنّهم إذ ظّلموا أنفسهم جاءوك (يا على) فاستغفروا اللّه و استغفر لهم الرّسول لوجدوا اللّه توّابا رّحيما [النساء: ۶۴]. و أنّ الباقر كان يقرأ: «لقد تاب اللّه بالنبى على المهاجرين و الأنصار»، و يقرأ فى سورة التّوبة: «فأنزل اللّه سكينته على رسوله و أيّده بجنود لم تروها»، و أن الأئمة كانت تقرأ: «إنّ علينا جمعه و قراء به»، و إنّ من الشّيعة ينقل نقلا متواترا عن العترة أنّهم كانوا يقرءون فى: أ لم نشرح لك صدرك و رفعنا لك ذكرك (و أيّدناك بصهرك)، إلى أمثال هذا ممّا يروونه ممّا لا ـ أصل له (

____

۱) ورد فى الأصل فى هذا الموضوع عبارة: (ما لبثوا فى العذاب المهين)، و هى عبارة زائدة و لا معنى لها. اه. (۲) فى الأصل: (عليهم)، و الصواب: ليس عليهنّ. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۳

فصل

اشارة

فصل مما يدلّ على كذب الرافضة فى هذه الدعوى،/ صحة ما قلناه فى ثبوت القرآن و الإطباق عليه، و علمنا و علم الكافّة من الشيعة و غيرهم بدخول علىّ عليه السّلام فى الجماعة التى اتفقت على كتب المصحف و أخذ النّاس به، و إلغاء ما عداه، و التصويب لعثمان فيما صنعه من ذلك، حتى لم يحفظ عليه كلمة و لا حرف واحد فى الطعن على هذا المصحف و الحرف الذى اتفقوا عليه، بل روى النّاس عنه رواية ظاهرة أنّه كان يقرئ به و يعلّمه كما يقرئ به غيره، و روى ذلك عنه أبو عبد الرّحمن السّلمى و غيره: أنّه أقرأه فلم يختلف عنه فى ذلك، و لا روى عنه خلاف للجماعة فيما اتفقت عليه، لا من جهة الآحاد و لا من طريق التواتر. و لو كان من خلاف فى هذا الباب أو يسير قول لوجب فى مستقر العادة أن يظهر و يستفيض حتى لا ـ يمكنه جحده و إنكاره كما ظهر عن عبد اللّه بن مسعود اختيار القراءة بحرفه، و كراهية نصبه و بدل كتبة المصحف، و لو كان مثل هذا قد وقع من على و الأئمة العلماء من ولده لوجب أن يكون نقله أظهر و أشهر، و أن يكون العلم به أثبت فى النّفوس و ألزم للقلوب بجلالة قدر علىّ و عترته، و عظيم شأنهم فى النّفوس، و قد ثبت أنّ نقل كلام ممن ارتفع قدره و عظم شأنه و كثرت شيعته و الاقتداء به يجب أن يكون أظهر و أكثر من نقل كلام قصر عن محلّه، و فى رجوعنا إلى أنفسنا و علمنا بأنّه لم يرو عنه حرف واحد فى هذا الباب بل رويت موافقته و تصويبه و متابعته أوضح دليل على أنّه صلّى اللّه عليه كان أخذ القراءة بحرف عثمان و الدّاخلين فيها عليه، و دانوا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۴ بتصويبه، و لو كان الأمر عند علىّ عليه السّلام فى أمر القرآن كما يدّعيه الشّيعة من تغييره و تبديله و مخالفة نظمه الذى أنزل عليه، و إسقاط كثير منه أو الزّيادة، لم يسعه السّكوت عن إنكاره لذلك و توقيف النّاس على تغيير كتاب اللّه و تبديله و تحريفه/ و تصحيفه و دخوله الخلل فيه، و إشاعة ذلك فى شيعته و المنحرفين عنه، لأنه أحقّ من أمر بمعروف و نهى عن منكر، و لا شىء فى المنكر «۱»

أعظم و أفحش من تغيير الكتاب و تحريفه و إفساد نظمه و ترتيبه، لأن ذلك إفساد للدين و إبطال للشرع، و عليّ عليه السّلام أجلّ قدرا و أرفع موضعا و أشدّ احتياطا لدينه و للأمّة من أن يتساهل في إقرار مثل هذا و يسامح نفسه به، و لو كان منه قول في ذلك لوجب أن يعلّمه على حدّ ما وصفناه من قبل. فإن قالوا: قد نقلت الشّيعة، و ببعضهم تثبت الحجّة عن مثلهم عن عليّ عليه السّلام أنّه أنكر على القوم و خالفهم و عرّفهم أن القرآن ناقص مغيّر محرّف. قيل لهم: هذا بهت منكم و شيء وضعه قوم من غلاتكم، و القادحين في الشّريعة، و إلا فما نقل أحد من أسلاف الشّيعة في ذلك حرفا واحدا، بل نقل أنّه كان داخلا في الجماعة و مقرا بما اتفقوا عليه و مصوّبا له، و أنه كان يقرئ به و يعلّمه، و على ذلك الدّهماء من الشّيعة و السّواد الأعظم إلى اليوم، و بعد فما الذي قاله لهم لمّا وقّفهم على تبديل القوم و تغييرهم و ما الذي عرّفهم به ممّا غيّره؟ و ما الذي لقّنهم ممّا أسقطوه و كيف يمكنه أن يقول لهم: إنّ القوم حرّفوا كتاب اللّه و غيّروه، و لم يمكنه أن يوقّفهم على موضع التّغيير و يذكر لهم الذي ألغوه منه و كتموه، و هو لو قال لهم ذلك لكان أظهر لحجّته (۱) في

الأصل: في هذا الموضع (و) و لا معنى لها و يستقيم الكلام بدونها. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۵ و أشدّ تأييدا لقوله، و لتذكّر عند توقيفه على ما كتموه الساهي، و تبيّنه العاقل و لحفظ النّاسي، و لم يجز أن يذهب ذكر ذلك و معرفته على سائرهم و قد سمعوا ذلك، و كان يكون هذا من أفصح الأمور لهم، و أدلّ الأشياء على ضلالهم و سوء اختيارهم، و خبث اعتقادهم في الدّين و أهله، فإن كان قد ذكر من ذلك شيئا فاذكروا ما هو، و لن يجدوا إلى ذلك سبيلا، إلا زيادة أحرف و كلمة و كلمتين لم تقم الحجّة بشيء منه، و سنذكر فيما بعد ما يروونه من هذه الأحرف عن عليّ/ عليه السّلام، و عن الصّادق و غيره من أهل البيت، و نبيّن بطلان ما يروونه عن العترة، و أنّهم برآء ممّا يضيفونه إليهم، و لم يجدوا إلى ذكر شيء عن هذه الأحرف سبيلا، اللّهم إلّا أن يفتعلوا كلاما سخيفا متفاوتا غير ملتئم و لا متناسب، أو خارج عن أوزان كلام العرب المعروفة من الشّعراء أو الخطابة أو الرّسائل، و يضيفونه إلى عليّ عليه السّلام، فلا يبعد على كلّ أحد نظم ضدّه و خلافه و إضافته إلى عليّ عليه السّلام، و لا يشكل على أحد أنّه ليس من نظم القرآن في شيء و هم لعلّهم بهذا لا نراهم يتعاطون حكاية ما يدّعون نقصانه و روايته عن عليّ و لا عن غيره من ولده و لا اللفظة و الحرف و الحرفين، و يحيلون معرفة ما طال و كثر على القائم المنتظر، و كل هذا تخبط و تخليط و إدغال للدّين و أهله، و كلّ هذه الأقاويل و الدّعاوى باطلة مخالفة لظاهر ما عليه عليّ عليه السّلام فيجب تركها و إطراحها، لأنّه كان باتفاق جميعنا يحكّم مصحف عثمان، و يدعو النّاس في المحافل إلى العمل بما فيه دون قرآن يدّعيه و مصحف يظهره غيره و يجتبيه، و يحلف مع ذلك أنّه لا شيء عنده، و لا عهد من رسول اللّه صلّى اللّه عليه غير ما في صحيفة أخرجها و غيرها على قائم سيفه على ما ذكر. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۶ و روى عبد اللّه بن عباس قال: «لمّا تواقعنا يوم الجمل «۱» و عليّ عليه السّلام بين الصّفّين أعطاني مصحفا منشورا و قال: اذهب به و قل لطلحة و الزّبير و عائشة يدعوكم إلى ما فيه، قال ابن عباس: فخرجت و الناس على صفوفهم و عليّ عليه السّلام قائم ينتظرني، فجئت القوم فقلت: إنما يدعوكم إلى ما في هذا المصحف، فاتقوا اللّه و لا تقتلوا أنفسكم، فصاحوا صيحة واحدة: و اللّه لا يكون ما يريد صاحبك و يراد، لا نعطيه إلّا السّيف، فقلت: و اللّه أذن ننزّل بكم السيف حتى تخافوه، فرجعت إلى عليّ فقلت: لا يريد القوم إلّا السّيف». و في رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس قال: «أرسلني عليّ/ عليه السّلام إلى طلحة و الزّبير بمصحف فدعوتهما إلى ما فيه و جئتهما به منشورا تقلّبه الريح ورقة ورقة فعرضت عليهما ما قال، فقالا: يا

---

(۱) هي واقعة وقعت بين الصحابة رضوان اللّه عليهم طرفاهم: عائشة و طلحة و الزّبير، و الطرف الآخر عليّ بن أبي طالب و جماعة من الصحابة، و خلاصة ما وقع أن كلا من طلحة و الزبير و معهما ثلّة من الصحابة كان من رأيهم الإسراع في ملاحقة قتلة عثمان و الاقتصاص منهم، و لكن عليا استمهلهم ريثما يرتب خطته لتنفيذ الأمر فسلك كل من الطرفين اجتهاده في اتباع السبيل الأمثل إلى الأخذ بدم عثمان، و تلاقوا في البصرة، ثم توجه جيش من قبل عليّ لإصلاح الأمر و جمع الكلمة، فتواجه الكل على ذلك الصعيد و ليس في عزم أي منهم أن يبدأ قتالا، ثم ثم

تم الاتفاق على الصّلح، لكن رءوس الفتنة لم يرق لهم ذلک فأثاروا الحرب و أغاروا على النّاس فظنّ كل فريق بأنهم قد بغتوا، فتلاقوا بالسلاح، و لم يعلم أحد بحقيقة الأمر و اجتمع مع على عشرون ألفا و مع عائشة قرابة الثلاثين ألفا، و تراجع الطرفان و تحاجزوا و كف كل منهم عن الآخر مع شدة الهرج و القتل، لأن كلا الفريقين من الصحابة و ممن يجمعهم معا مظلة الإيمان الواحدة، و انحسرت الفتنة. و كان ذلک سنة ست و ثلاثين للهجرة. انظر «البداية و النهاية» (۷: ۲۲۰)، «فقه السيرة» ص ۳۷۳. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۷ ابن عباس، ارجع إلى صاحبک فإنّه يريد ما نريد، يعنيان الإمارة، فلمّا رجعت إليه و هو يرشق بالنّبل: فقال: جعلتنا عرضا للقوم، خلّ عنّا و عنهم، قال: لا و اللّه حتى تأتونى بقتيل فأتيناه بقتيل من أصحابه و هو يشحط دما فلمّا رآه كبّر و قال: احملوا فحملنا فلم يلبث القوم أن انهزموا». و روى مسلم الأعور «۱» عن حبة بن جوين «۲» العرنى قال: «قام علىّ عليه السّلام يوم الجمل و معه مصحف فقال: من يأخذ هذا فيأتى به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول، فلم يجبه أحد، فقام رجل يقال له مسلم، عليه قباء أبيض جديد، فقال: أنا، فنظر إليه ثمّ أعرض عنه ثم قال: من يأخذ المصحف فيدعوا القوم إلى ما فيه و هو مقتول، فلم يجبه أحد، و قام مسلم فقال: أنا، فأعطاه إيّاه ثمّ دعاهم فضربه رجل بالسيف فقطع يده و أخذه بيده الأخرى فقطعها، ثمّ احتضنه حتى قتل، و ذكر بعض الرواة لهذه القصّة أنّ شاعر أهل العراق قال فى ذلک: لا همّ إنّ مسلما أتاهم يتلو كتاب اللّه لا يخشاهم فزمّلوه من دم إذ جاهم و أمّهم قائمة تراهم يأتمرون الغىّ لا تنهاهم (______________________________ ... ۱)

هو مسلم بن كيسان الضبى الملائى البراد أو عبد اللّه الكوفى، ضعيف، متروک الحديث، «تهذيب» (۱۰: ۱۲۲). (۲) هو التابعى أبو مالک حبة بن جوين بن على بن فهم بن مالک الكوفى العرنى، حدّث عن على و عبد اللّه بن مسعود و حذيفة، و حدث عنه سلمة بن كهيل و أبو المقدام و مسلم الملائى و غيرهم، مات فى أول مقدم الحجاج و هو تابعى ثقة، مات سنة ست و سبعين «تاريخ بغداد» (۸: ۲۷۵). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۸ يعنى عائشة رضى اللّه عنها و أنّها أنكرت هذا الشّعر و عاتبت عليه، و لما دعاه معاوية و أهل الشّام إلى التحكيم أمر الحكمين بالرجوع إلى كتاب اللّه و تحكيمه من فاتحته إلى خاتمته، فكان يقول: و اللّه ما حكّمت مخلوقا و إنّما حكّمت القرآن. و لو كان عنده قرآن غير هذا و مصحف يجتبيه غير مصحف عثمان لكانت هذه المواطن وقت إظهاره و إعلانه و الاحتجاج له و إدخال النّاس بما فيه، و لكان ذلک من أكبر الحجج على القوم و أشدّها كشفا لباطلهم و تنفير/ النّاس عنهم، و كان ذلک لعلىّ من تحكيمه و إظهاره لصحابته و الرّضا بما فيه، و قد زالت التقية و شهّرت السّيوف و وقعت المكاشفة و المكاسرة. و أصل جميع ما كانوا فيه و أسّه قتل عثمان و ما خرج معه إليه، و لو قد كان مصحفه مغيّرا و مبدّلا و منقوصا منه و منظوما على القراءة بغير ما أنزل اللّه تعالى، و المنع من القراءة بصحيح ما أنزله علينا و تحريمه، للزم عليا فرض إظهار ذلک، و لكان التغافل عنه أضرّ بالأمّة و الدّين من تولية معاوية الشّام، و من ترک عائشة و طلحة و الزّبير بالعراق، و لا شىء إذ ذاک يمنعه من إظهار كلام اللّه تعالى و القدح فى المصحف له، و لم يكن حاله إذ ذاک دون حال عبد اللّه بن مسعود، لمّا نافر عثمان فى الامتناع من تسليم مصحفه و عزله عن كتبة المصحف بزيد بن ثابت، حتى قال ما قال إلى أن عرف الصواب و رجع، و كان لا أقلّ من أن نكذّب من ادّعى أنّ عنده قرآنا و أشياء أخذها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه ليس عند الأمّة و لا ممّا بيّنه للجماعة، فإنّ ذلک أيضا ممّا يزيد فى الشّبهة و يقوّى الباطل و يوهن الحقّ و أهله و يضعف شأنه، و قد روى عنه التكذيب لمن ادّعى له شيئا من ذلک و الحلف عليه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۶۹ و قد روى الأعمش «۱» عن إبراهيم التيمىّ «۲» عن أبيه «۳» قال: خطبنا علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقال: من زعم أنّ عندنا شيئا نقرأه إلّا كتاب اللّه تعالى و هذه الصحيفة، صحيفة قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا فعليه لعنة اللّه و الملائكة و النّاس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صرفا و لا عدلا» «۴». و فى رواية أخرى عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال: «خطبنا علىّ عليه السّلام و فى قائم سيفه صحيفة، فقال: إيه و اللّه ما عندنا كتاب نقرؤه ليس كتاب اللّه، و لا فى هذه الصحيفة، فأخذها فنشرها فإذا فيها: المدينة حرم فمن أحدث فيها ... نحو الخبر الأوّل إلى قوله صرفا و لا عدلا». و روى أيضا الأعمش عن إبراهيم التيمىّ/ عن أبيه قال: «ما عندنا شىء [۳۱۳] إلّا كتاب اللّه و هذه الصحفية عن النبى صلّى اللّه عليه قال: «من تولّى مولى قوم

بغير إذن فعليه لعنة اللّه و الملائكة و النّاس أجمعين، لا قبل اللّه منه صرفا و لا عدلا. فلو كان كتاب اللّه الذى عنده غير الذى جمعهم عثمان عليه لوجب أن يظهره، و كان ذلك أولى من إظهار الصحيفة، و قد اتّفق الكلّ على أنّه ما

(______________________________ ۱) سلمان بن مهران سبق الترجمة له.

(۲) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى الكوفى، ثقة يرسل و يدلس من الخامسة، مات سنة اثنتان و تسعين و له أربعون سنة «التقريب» (۱: ۶۹). (۳) هو يزيد بن شريك التيمى الكوفى، روى عن عمرو و أبى ذر و عنه ابنه إبراهيم و الحكم، ثقة «الكاشف» (۳: ۲۴۵). (۴) رواه مسلم فى «صحيحه» (۲: ۹۹۷) برقم (۱۳۷۰)، و اللفظ له، و رواه البخارى بشىء من الاختلاف عما فى «صحيح مسلم» (۶: ۲۴۸۲) برقم (۶۳۷۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۰ أظهر مصحفا غير مصحفهم، و لا ادّعى للّه كلاما غير الذى معهم، و ليس ما يدلّ فى بعض الرّوايات من أنّه كان له مصحف، أوّله اقرأ باسم ربّك، فخالفه عليهم، لأنّه ليس فى ترتيب السّور نصّ و لا توقيف على ما بيّناه من قبل «۱»، و ليس بين هاتين الرّوايتين أيضا تعارض «۲»- أعنى قوله: المدينة حرم إلى آخر ما ذكرها، و قوله: من تولّى مولى قوم بغير إذن مواليه- لأنّه يجوز أن يكونا جميعا كانا فى الصّحيفة، و أن يكون قرأ ذلك فى وقعتين، و حفظ عليه مرّتين لما رآه من المصلحة فى ذلك، لا تعارض بين هذه الرّوايات و بين ما روى فى بعض الآثار من أنه كان فى الصحيفة أسنان الإبل يعنى إبل الصّدقة، و أن المؤمنين تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمّتهم أدناهم، ألا لا يقتلنّ مؤمن بكافر و لا حرّ بعبد، لأنه قد يكون ذلك أجمع فيها و يقرأها فى مرات، و يذكره فى مواقف شتى. و قد كان عليه السّلام يلقّن أولاده و أصحابه القرآن، فما روى عنه أنّه أقرأ أحدا منهم شيئا يخالف مصحف الجماعة، و كان أبو عبد الرحمن يقرئ الناس فى مسجد الكوفة أربعين سنة بحرف الجماعة و يقول: أقرأنى بذلك علىّ و عثمان و زيد بن ثابت، فلم يعترض عليه أحد فى هذه الدّعوى و لا ردّها، كل هذا يدلّ على كذب من ادّعى على علىّ عليه السّلام مخالفة الجماعة على مصحفهم، و يقرأه بقرآن عنده.

(______________________________ ۱) سبق الإفاضة فى هذا البحث فى باب ترتيب السور، يرجع إليه. (۲) فى رواية البخارى رحمه اللّه جمع بين الروايتين و فيها: «فأخرجها- يعنى الصحيفة- فإذا فيها أشياء من الجراحات و أسنان الإبل قال و فيها: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف و لا عدل، و من تولى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين، و ذمة المسلمين واحدة ....»، البخارى (۶: ۲۴۸۲). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۱ ثم يقال لهم: لو كان نقل الشّيعة الذى ذكرتموه واردا على شرط ما وصفتم، كثرة عن كثرة حتى ينتهى فى الأصل إلى قوم بهم تقوم الحجّة، سمعوا إنكاره على علىّ و خلافه على القوم بما قلّ أو كثر، لوجب/ لنا علم الضرورة بصدقكم، و للزم قلوبنا العلم بصحة نقلكم و ثبوت روايتكم، لأنّ هذه سبيل العلم بكل خبر تواتر نقله و استوى طرفاه و وسط، و فى رجوعنا إلى أنفسنا مع سماعنا لقول مدعى ذلك منكم، و وجودنا أنفسنا مع سماعنا غير عالمة بصحّة دعواه و روايته أوضح دليل على كذبكم فى هذه الرواية، و بمثل هذه الطريقة بعينها يعلم بطلان نقلكم لنصّ النّبى صلّى اللّه عليه على علىّ عليه السّلام، و أمره للنّاس بالانقياد و الخنوع لطاعته، و قد أشبعنا القول فى ذلك فى كتابى «الإمامة» و غيرها بما يغنى متأمله. فإن قالوا: لم يبلغ نقلنا لذلك عن على عليه السّلام مبلغا يوجب علم الضرورة، و إنّما يعلم صحّة نقلنا بدليل، قيل لهم: فما ذلك الدليل، فإنّا غير عالمين بصحّة ما ذكرتم، و لا عارفى الدليل على ثبوته. فإن قالوا: الدليل عليه كثرة نقلة هذا الخبر من الشّيعة، و نعرف هممهم و دواعيهم و اعتراضهم و تباعد ديارهم و أوطانهم، و امتناع اتفاق الكذب من جميعهم فى الأمر الواحد لداع واحد و دواع متفرّقة، أو تراسلهم و تشاعرهم بذلك مع إكتامه عليهم و استمرار السّلامة بهم فيه، قيل لهم: فبدون العدد الذى وصفتم تقع الضّرورة إلى صدق النّقلة و يزول الشّكّ و الشّبهة، و بنقل مثل هذا العدد و دونه حصلت لنا الضّرورة إلى العلم بأنّ فى العالم صينا و خراسانا، و إذا كان ذلك كذلك بطل أن يكون نقل من ذكر حاله ممّا نحتاج فى العلم بصحته إلى نظر و تفكّر و إقامة برهان و دليل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۲ و إن هم قالوا: أنتم تعلمون ضرورة صحّة نقل من نقل هذا من الشّيعة عن علىّ، و لا تشكّون

عند سماع نقلهم أن عليّا قد خالف القوم و أنكر و رود ما صنعوه، قيل لهم: ما الحيلة عندنا فى أمركم إلا السكوت عنكم و تنبيه النّاس على بهتكم، و كثرة التعجّب ممّا أحوجكم فى نصرته إلى هذا البهت/ و العناد و المكابرة، فإنّكم تعلمون ضرورة أن قلوب جميع مخالفيكم خالية فارغة من العلم بما وصفتم، و أنّهم جميعا معتقدون لتكفير من دان بذلك و البراءة منه، و إن كنتم تقنعون منّا بالإيمان على وجودنا أنفسنا غير عالمة بما قلتم و ادّعيتم عليها؛ بذلنا لكم منها ما يقنعكم، و إن أبيتم إلا اللّحاح و المكابرة، فما الفرق بينكم و بين من قال: إنّكم تعلمون ضرورة أنّكم تكذبون فى دعواكم هذه على على، و تجدون أنفسكم عالمة بخلاف ذلك، و تعلمون ضرورة أننا نعلم أنّكم تكذبون، و لو لا أنّكم قد اضطررتم إلى العلم بأنكم تكذبون لم نجد أنفسنا مصرة إلى العلم بكذبكم، و هذا ممّا لا سبيل لهم إلى الخروج عنه أبدا. فإن قالوا عند تحصيل هذا الكلام: ما أنكرتم أن يكون ما نقلتموه من متابعة علىّ الجماعة و إظهاره، و الاقتداء بمصحف عثمان و العمل به، فيه تفضيل لأبى بكر و عمر و عثمان، و حسن الثناء عليهم و جميل القول فيهم، صحيحا على ما وصفتم، و أن يكون إنّما فعل ذلك على وجه التقية و الخوف من إظهار حقّه و إنكار باطله و كشف تحريفهم و تحيّرهم و قد كانت التقية دينه، قيل لهم: و ما الذى خافه فى ذلك، و أىّ شىء منعه منه، و من الذى قتل أو سجن أو عسّف فى أيام عثمان بحضور الجماعة على حق قاله و دعا إليه، و لو جرى ذلك على علىّ عليه السّلام لا من مثله عليه مع عظم قدره و شجاعته و عزّة نفسه و العلم بتقدّمه فى الإسلام و سابقته و قرابته و فضله و منع الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۳ بنى هاشم و شيعتهم منه و حمايتهم لجانبه، فقد كان يحبّ أن يظهر ما عنده فى ذلك و ينظر ما الذى يحدّث عنه، و إنّما كان يكون له عذر فى ذلك لو تكرر من أبى بكر و عمر و عثمان و شيعتهم إخافة قوم و قتلهم لدعائهم إلى حق و أمر بمعروف و نهى عن منكر، و ترادف ذلك منهم ترادفا يخاف معه القتل، فأمّا و جميع هذه الأسباب معدومة الغميزة على عثمان إذ ذاك واقعة، و على غيره نجد كثيرا من/ النّاس يثلبه و ينتقصه له كعمّار و ابن أبى بكر و ابن أبى حذيفة، و أهل مصر و الكوفة، و من سار من البصرة و الأشتر النّخعى، و حجر بن عدىّ و التجيبى و الغافقى و عمرو بن الحمق، و أبى بديل بن ورقاء، و الجمهور من الصحابة، فإنه قد كان يجب عليهم الإنكار على عثمان و من كان قبله، و كشف ما صنعوا من تغيّر القرآن و نقصانه و إفساد نظمه، و كان ذلك وقت التغيير و المقال، و قد كان النّاس عتبوا على عثمان و تعقّبوه و ثلبوه و نقّصوه بما لا تعلّق فيه من حميته الحمى و إتمام الصّلاة بمنى، و أنّه رجع يوم أحد و لم يحضر بدرا، و ولّى أقاربه، و أمثال ذلك مما لا عتب عليه فيه، و قد رويتم أنتم أن عليّا عليه السّلام أيّام أفضت الخلافة إليه، و طعن عليه و على الواليين قبله، و قال فى خطبه الشقشقية «۱» بعد ذمه لأبى بكر و قوله فى عمر: «و صاحبها كراكب الصّعبة إن أسلس لها عسفت، و إن غمزتها جريت، ثم قام ثالث القوم () «۲»، يخصمون مال اللّه تعالى خصم الإبل بيت الرّبيع حتى أموت به بطنته، و أهجم عليه عمله» و أنه خطب الناس أيّام (______________________________ ۱) هذه الخطبة ليس لها أصل

فى كتب الحديث صحيحها و لا ضعيفها و هى خطبة مكذوبة على لسان على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، و كل ما جاء فيها من ذم للصحابة على لسان على فهو مكذوب، و حال على رضى اللّه عنه و مقاله ينفيان ذلك نفيا قاطعا. (۲) ما بين القوسين غير مقروء. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۴ نظره خطبة قال فيها: «أما إنّى لو أشاء أن أقول لقلت عفا اللّه عمّا سلف، مضى الرجلان و قام الثالث كالغراب همّته بطنه يا ويحه لو قصّر جناحه، و قطّع ريشه كان خيرا له شغل من الجنة، و النار أمامه، ثم قال: ألا إنّ كلّ قطيعة اقتطعها عثمان بن عفان أو مال أعطاه من مال اللّه فهو مردود على المسلمين فى بيت مالهم»، و أنّه بعد ذلك قبض كلّ سلاح كان فى دار عثمان و مال به على الناس، و أنه قبض سيفه و درعه و كانت فى داره متّخذة له، و أنه قال فى أبى بكر و عمر: «ألا إنهما منعانى حقى و هما يعلمان أن محلّها منّى محلّ القطب من الرّحى، و قالا: ألا إنّ فى الحقّ إن نأخذه و فى الحق إن نمنعه، فأصرّا و جئت حبوا متأسّفا، فصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم و أمرّ للقلب من حزّ الشغار»، فى كلام له/ يروونه طويل، و أنه قال: «أما و اللّه لقد نقص بها أوجودهم و هو يعلم أنّ مكانها منى مكان القطب من الرحى يتحادر إلى السّيل و لا يرقى إلى الطّير، لكنّى سدلت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا»، فى أمثال لهذا كثيرة يروونها عنه، و قد نزّهه اللّه عنها و رفع قدره عن التلفظ بها، بل قد حفظ عليه الثبت الثّقات

ضـدّها و نقيضـها، غير أنّكم تعتقـدون صـحّة هـذه الرّوايات عنه و ثبوتها، و كلّ هذا نقض التّقية، و كلام من لا يخاف السّـطوة، و هو مبطل لقولكم عنـد ضـيق المطالبـة إنّه لم ينقض أحكام أبى بكر و عمر و عثمان و يردّ فـدك على مسـتحقّها، و أنفذ ما أمضاه القوم و أقرّه، لأنّ أنصاره كانوا شيعة أبى بكر و عمر و عثمان، فإذا لم يكن عليه إظهار ما رويتموه من ذمّه لهم و تبرّيه منهم و قبح الثناء عليهم و الوصف لظلمهم و تجبّرهم تقيّة، لم يكن عليه أيضا تقية فى إظهاره لتحريفهم القرآن و إلغاء كثير منه، و ذكر لما عنده من الصّـحيح و دعـائه إليه و إذكـارهم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۵ إيّـاه فكـان ذلك لو فعله من أوضـح حججه على ظلمهم و أقوى أسـبابه، و ذريعـة إلى ما يـدعون الناس إلى البراءة منهم و الكشف عمّا يـدّعونه من ضـلالهم. و بعد: فأىّ تقية عليه بعد حصول الأمر له و إشـهار سيفه و قتـل من قتـل بصـفّين و البصـرة، و نصب الحرب بينه و بين مخـالفيه فيمـا هو دون تغيير القرآن و امتناعه من إقرار معاويـة على الشام، و قوله: وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً [الكهف: ۵۱]، فقـد كان يجب أيضا أن يكشف الحال فى تغيير القوم للقرآن و ذكر ما فيه من نقصـان، و يكون جهـاده على ذلـك أعظم و تعلّقه به أشـد، و كـان لاـ أقـلّ من أن يترك إظهـار متابعـة القوم أن يقرأ و يقرئ بقراءتهم إذ لم ينفرد بقراءة حرف غير ما كانوا يقرءون كانفراد ابن مسـعود و ترك متابعته له، و كان ذلك كافيا فى تشـكك القوم و انقطاع التهمة و الريب و لكان أعذر له من اتباع القوم على ما كانوا عليه. و بعد: فكيف أمكن خلاف عبد اللّه/ بن مسـعود و زالت عنه التقية فى انفراده بحرفه و منافرته لهم فى تركه و إخراج مصحفه إليهم و ترك متابعته لهم على قراءة يعلم أنها منزلة له و مباحة مطلقة، و استبداده بحرفه إلى حين رجوعه إلى قولهم، و يتميز الحق له، و لم يمكّن علىّ أن ينفرد عنهم، و يظهر ما عنده و يصـنع كصنيع ابن مسـعود، و قد رآه فارق الجماعة فلم يقتل صبرا و لا خيّف و لا سـجن، و قد كان عليه السّـلام أقوى نفسا و أعزّ عشـيرة و أكثر شيعة و أنصارا من عبد اللّه بن مسعود، فقد كان يجب أن يفعل كفعله حتى يكون ذلك عذرا له و حجّة لشيعته و المتّبعين له، و لو كان ذلك قد وقع لوجب علمنا به على حدّ ما وصـفناه، و إذا كان ذلك كذلك بطل تعلّقهم بالتقية بطلانا ظاهرا، و صحّ تسـليم علىّ عليه السلام على إقراءه الجماعة و فرقهم و المتابعة لهم على ثبوت نقل القرآن و صحّته من حيث لا يمكن دفعه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۶ و الارتياب به، و جميع هـذا الـذى وصـفناه يـدلّ على كذبهم على الأئمة من ولده بنقصان القرآن. ثم يقال لهم: إنّ جميع أخباركم هذه التى تـدّعون تواتركم فيهـا إنّمـا هى مرويّـة عن نفر من أهـل البيت، و قـد روينـا عن سائرهم و من هو أكثر منهم عـددا من أهل البيت نقيض مـا رويتمـوه، و أنّهم جميعـا كـانوا يعظّمون عثمـان و الصـحابة، و يفضّـلون أبـا بكر و عمر و عثمـان، و يشـهدون لهم بالجنّة و يصونوهم عن جميع أفعالهم و سـيرتهم، و قدر ما رويتموه عن علىّ عليه السـلام من أنّه حمل المصحف هو قنبر لا يقيلانه لا يدلّ على أنّ القرآن الـذى حمله كان أكثر مما جمعوه، و على خلاف ترتيبه، و لعله كان فى جلود كثيفـة ثقيلـة المحمل، و قدر ما قرأه عليهم لا يدلّ على أنهم نقّصوا و ضيّعوا من القرآن، بل إنّما قرأ عليهم منه ما فى مصحفه، و الرّوايات عنهم متظاهرة متواترة على ما سنضيفه بعد ما وصـفتم، و تصويب أبى بكر و عمر و عثمان و الإخبار بأنّ ما فعلاه كان بملإ من الأمة، و أحوط الأمور لكتاب اللّه غير أنّنا نعدل فى هذا الموضوع عن ذلك أجمع و نذكره على التفصيل وقت الحاجة إليه. و نسلّم لكم نظرا صحّة جميع رواياتكم عن أهل البيت لتغييره و نقصانه و أنّها قد ثبتت و علم صـحتها، و نقطع على صدقكم فيها، فخبّرونا مع تسليم ذلك، ما الدليل على صحة قراءة هؤلاء النّفر من أهل البيت لما قرءوه و قولهم أن ربع القرآن كان منزلا فيهم فأسـقط، و أنّه قد خنس منه ما فيه لعن سبعين رجلا من قريش بأسمائهم و أسـماء آبائهم و أمّهاتهم، و أنتم جميعا تروون عنهم رواية لا تشـكّون فيها، أنهم كانوا يعتقدون أنّ أوّل هؤلاء السّـبعين أو من جملتهم أبو بكر و عمر و عثمان، و طلحة و الزّبير و عبد الرحمن ابن عوف، و سـعد بن مالك و سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، و أبو عبيدة بن الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۷۷ الجراح، و غير هؤلاء ممّن لا حاجة بنا إلى ذكره، و قـد عرفتم أنّ جميع من خالفكم يعتقـد أنّه ليس فيما أنزل اللّه سـبحانه لعن أحد من هؤلاء، بل فيه تقريظهم و تعظيمهم و حسن الثناء عليهم و الأمر بالاستغفار لهم و الاقتفاء لآثارهم، و أن جميع من اعتقد نقص هذه الطّبقة من سـلف الأمّة و خلفها و أنّ اللّه قد أنزل فى لعنها قرآنا فى نص كتابه و محكم تنزيله فقد ضـلّ و أخطأ، و أنّهم جميعـا- أعنى مخـالفيكم ينزهون (جميع) «۱» أهـل البيت الـذين رويتم عنهم هـذه الرّوايات، و غيرهم منهم عن هـذا

الذى أضفتموه إليهم و علّقتموه عليهم، و ينسبونكم إلى الكذب و الافتعال عليهم و وضع هذه التلفيقات عليهم للتأكّل و التكسّب، و تروون عن أهل البيت وصفكم بالكذب عليهم و التأكّل بهم و اللّعن لكم، و البراءة منكم، فإن أبيتم إلّا دفع الأخبار التى يروونها مخالفوكم عن أهل البيت و تصحيح رواياتكم هذه عنهم، فما الدليل على صحّة قولكم هذا، أو صحّة رواياتكم عنهم و على صدقكم عليهم، و ما البرهان على أنّهم لم يغلطوا عليهم السلام، و لم يتأوّلوا فى ذلك أقاويلا ليس/ على ما قدّروه، و لم يأخذوا كثيرا من هذه الأقوال و الرّوايات عن قوم وضعوها لهم و تخرّصوها و أسندوها إليهم إلى النبى صلى اللّه عليه، أو عن أبيهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام، و أنتم لم ترووا أنّ قراءة جعفر بن محمد، و ما رويتموه أيضا عن غيره من أهل البيت مرفوعة عندهم عن النّبى صلى اللّه عليه، و لا عن علىّ عليه السلام، و إنّما رويتم أنّهم قالوا: لو قرئ القرآن كما أنزل لوجدوا فيه كذا و كذا، و أنّ كلّ رجل منهم قرأ بكذا و كذا، و إذا لم يسندوا ذلك و لم يرفعوه إلى جدّهم و إلى أبيهم فما يدرينا لعلّهم

(____١) فى الأصل: جميل، و الجادّة «جميع» و هو قد وقع خطأ من الكاتب. اه. الإنتصار للقرآن، ج ٢، ص: ۴۷۸ قالوه برواية راو لهم لا تقوم الحجّة بمثله، و يمكن الكذب و الافتعال فى قوله و روايته، أو لعلّهم بضرب من الرّأى و التقدير، و لعلّهم استجازوا القراءة بالمعنى و قالوا فى ذلك ضربا من التأويل، فمن أين نعلم صواب هذه القراءات التى رويتموها عنهم مع تجويزها عنه مع تجويز ما وصفناه، و ليس هم أيضا أهل تواتر فيما يروونه، هذا مع أنّ قراءتهم هذه مخالفة لقراءة عثمان و علىّ و الجماعة، و قد اتّفق عليه عندنا سائر سلف الأمّة، الذين كلّ من حدّث بعدهم من أولاد نبيّهم و غيرهم محجوجين بقولهم و إجماعهم. فإن قالوا: الذى يدلّ على صحّة ما قرءوه أنّه هو كتاب اللّه المنزّل دون ما خالفه من قول من كان قبلكم و قد يحدث بعدهم، ما صحّ و ثبت من إمامتهم و نصّ الرّسول عليهم، و ما هم عليه من العصمة التّامة و الوقارة الكاملة، و امتناع الكذب و السّهو و الخطأ و الإغفال و التقصير عليهم، لما أفردهم اللّه تعالى من عصمتهم و ألزم العالم من فرض طاعتهم و الانقياد لهم، لأنّ اللّه تعالى لا ينصّ على إمامة قوم على لسان رسوله إلّا أن يكونوا أبرارا معصومين من كل زلّة و سهو و خطيئة، و يسير الذنوب و كثيرها. فيقال لهم: من سلّم لكم النصّ عليهم، و أنّهم أئمّة الأمّة، و أنّهم من الوقارة و العصمة/ بحيث وصفتم، و أنتم تعلمون أنّنا نمنع ذلك أجمع فى علىّ و أبى بكر و عمر و عثمان و نبطل هذه الجملة، فما الحجّة أيضا على صواب هذه الدّعوى، و أنّ الخلاف فيها كالخلاف فى أمر القرآن بل لعله أعظم و أخطر، فإن كان صحة هذه القراءات المرويّة عنهم منوطا معقودا بصحّة إمامتهم و ثبوت النصّ عليهم، فيجب أن تدعوا أولا عن ثبوت هذه الجملة، و أن فرض الإمامة واجب من جهة العقل و أنّها لا تثبت إلا بنصّ من الرّسول، و أن ذلك النصّ إذا وجب لا يجوز أن يقع إلّا على وافر معصوم فإنّنا الإنتصار للقرآن، ج ٢، ص: ۴۷۹ نخالفكم فى هذا أجمع، و نردّه أشدّ من ردّنا لصحّة هذه القراءات التى رويتموها عن هذا السّلف الصالح، و قد يجب أن يقولوا على هذا الباب دون ذكر التواتر و الاستفاضة و إيجاب خبر الشّيعة للعلم و قطعه للعذر، و هذا محيّر منهم، فإن عدلوا إلى تثبيت هذه الأصول و تصحيح النصّ كلّموا فى ذلك بما ذكرناه و شرحناه فى كتاب «الإمامة»، و فى «شرح اللمع» و غيره من الكتب، و لو لا كراهتنا التطويل و الإكثار لذكرنا منه طرفا. و إذا فسد بما ذكرنا هناك النّصّ و صحّ الاختيار، و لم يكن هذا العدد من أهل البيت الذين رووا هذه القراءات عنهم عددا بثبت بهم التواتر لو رفعوا أقاويلهم هذه التى رويتموها و قرآنهم إلى النّبىّ صلى اللّه عليه، و إلى أبيهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام، و كان الخطأ و السّهو و الإغفال و الغلط فى التأويل و قبول رواية من لم يقطع خبره العذر جائزا عليهم كما أنّه جائز عندنا على أبى بكر و عمر و عثمان، لم يكن معهم حجة على صواب قولهم و صحّة قراءاتهم، إذا كانت الحال على ما وصفناه و لا محيص لهم من ذلك إلّا تنقل الكلام إلى الإمامة و تصحيح النّصّ، و الأمر فى ذلك أسهل و أقرب فما نحن معهم فيه. و يقال لهم أيضا: اعلموا على أنّنا قد سلّمنا لكم عصمتهم و نصّ الرسول عليهم، فمن أين لنا أنّكم صادقون ممّا تروونه عنهم من هذه القراءات/، و لستم بمعصومين من السّهو و الإغفال و الكذب و الافتعال، بل ما نشكّ فى أنّكم تكذبون عليهم فى هذا و غيره من الضّلالات التى تضيفونها إليهم فبان أنّه لا تعلّق لكم أيضا فى عصمتهم و ثبوت النصّ عليهم. ثم يقال لهم: أ لستم جميعا تزعمون

أن عليّا عليه السلام و جماعة ولده و عترته قد أظهروا فى أوقات كثيرة متغايرة القول بصحّة مصحف عثمان؟! الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۸۰ و أنّه هو كتاب اللّه المنزّل على ما أنزل؟! و قرءوا به و أقرءوه على سبيل التقية و الخوف من قتل الظالمين و سيوفهم و سطوتهم؟! لأن القوم كانوا شيعة أبى بكر و عمر و عثمان. فإن قالوا: نعم، و لا- بدّ من ذلك لأنّه دين جميعهم، قيل لهم: فهل دلّ إظهارهم لذلك على أنّهم كانوا يعتقدون ما يظهرونه. فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فما أنكرتم إذا كان هذه جائزا على الأئمة من أن يكون جميع ما أظهره علىّ عليه السلام و ولده من بعده من هذه القراءات و الأقاويل فى القرآن إنما أبدوه و قالوا على سبيل التّقية من مالك الأشتر و عمرو بن الحمق، و بديل بن ورقاء الخزاعى و محمد بن أبى حذيفة، و التجيبى و الغافقى و حكيم بن جبلة العبسى، و سائر أهل الفتنة الذين كانوا يدعون إلى إمامته و يظهرون موالاته، و أنّهم كانوا مع ذلك لا يتعلّقون فى الدّين بشىء، و أنّهم تهدّدوه و توعّدوه بأنه لم يظهر مخالفة القوم فى المصحف، و الوصف لهم بالظلم اغتالوه و سفكوا دمه، فخاف عند ذلك سطوتهم و علم مخالفتهم و مفارقتهم للدّين، و أنّهم ليسوا بشيعة لأبى بكر و عمر و آله، فلمّا خافهم على نفسه أظهر ولده من ذلك ما رويتم، و لم يكن هؤلاء عترته على اعتقاد شىء من ذلك، و كذلك كانت حال محمد بن الحنفيّة، و الصّادق و الباقر فى أنهم جميعا كانوا يخافون سطوة من يتأكّل بهم و ينسب إليهم و إلى موالاتهم، و يرهبونهم و يخافونهم على أنفسهم، فأظهروا هذه/ القراءات و هذه الأقاويل فى القرآن على وجه التّقية و الخوف من المختار بن عبيد، و أمرائه من جنده من كان فى عصرهم ممّن ينسب إلى التشيّع، و تعلم هذه الفرقة من أهل البيت أنهم ليسوا من المسلمين فى شىء، و أن تكون بواطنهم منظومة على خلاف ما أبدوه و أظهروه، فإنّ ذلك ليس بأعظم من الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۸۱ إظهار علىّ و الحسن و الحسين بصحة مصحف عثمان و قراءته به و الإقراء به دهرا طويلا- على وجه التّقية مع علمهم عندكم بأنّه مغيّر و مبدل و مرتّب على التخليط و الفساد، و هذا ما لا جواب لهم عنه. و يقال لهم: فلعلّ القرآن المرتّب على حساب ما أنزل ليس هو عند على و الأئمّة من ولده مما فى مصحف عثمان، و لا هو هذه القراءة التى رويتموها عنه و عنهم، و أن يكون غير ذلك أجمع، إلا أن التّقية منعت من إظهاره فلا يجدون إلى دفع ذلك سبيلا. فإن قالوا: المتّقى الخائف لا بدّ له مع إظهار ما يظهره ممّا هو متق فيه عن أسباب و رموز و إشارات و أحوال لا يمكن نقلها و أسباب تظهر منه يعلم بها ما هو الحقّ عند شيعته و أتباعه و دعاته و إن خفى ذلك على عدوّه و من خافه على نفسه، و من لم يفعل ذلك كان غاشا ملبّسا، و قد كانت هذه الأسباب كلها موجودة فى علىّ و الأئمّة من ولده وقت إظهارهم القول بتسليم مصحفه- أعنى عثمان و صحبه- و علم من حالهم استبطانهم لخلاف ما أظهروه، و لم يكن منه و لا من ولده شىء من هذه الأمور عند إظهارهم للقراءة التى رويتموها عنهم و الأقوال التى قالوها فى القرآن، فوجب لذلك أن يكون دينهم فى القرآن ما رويناه عنهم دون ما رواه سائر فرق الأمة. و قيل لهم: ما الفصل بينكم و بين من قال لكم إنّ جميع هذه الأسباب كانت مفقودة من علىّ و ولده عند إظهارهم القول بصحّة مصحف عثمان و الاعتراف به، و أنها بأسرها قد وجدت من علىّ و ولده عند إظهارهم لهذه القراءات و الأقوال التى رويتموها عنهم فى القرآن، فعلم بذلك أنّ دينهم فى القرآن و أنه بأسره/ الذى بين اللوحين على ترتيب ما أنزل مذهب عثمان و الجماعة، فهل تجدون فى ذلك فصلا؟ الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۴۸۲ فإن قالوا: قد نقلت الشيعة خلفا عن سلف، و هم قوم أثبتت الحجّة أنّهم علموا ضرورة من دين علىّ و الأئمة من ولده أنّ دينهم فى القرآن ما رووه عنهم دون ما رواه أصحاب الحديث و سائر فرق الأمّة، فوجب أن يكون القول فى ذلك ما قالت الشيعة. قيل لهم: ما الفصل بينكم و بين من قال إنّ أصحاب الحديث و سائر فرق الأمّة قد رووا جميعا، و ببعضهم تثبت حجّة التواتر خلفا عن سلف أنّهم علموا ضرورة من دين علىّ و ولده أنّهم يعتقدون فى القرآن صحّة مذهب عثمان و الجماعة، فوجب أن يكون الحقّ ما قاله مخالفكم. فإن قالوا: لو علموا ذلك ضرورة لعلمناه كما علموه، و لاشتركنا فى ذلك و نحن نجد أنفسنا غير عالمة بصحّة دعواهم هذه. قيل لهم: لو علمتم أنتم ضرورة عند تلقيكم لهذه الأخبار عن رواتها أنّ مذهب علىّ و الجماعة من ولده ما وصفتم، لعلمنا نحن و سائر مخالفيكم ضرورة من ذلك ما علمتموه، فلمّا لم نجد أنفسنا عالمة بذلك بان كذبكم فى هذه الدعاوى. فإن قالوا: أنتم تعلمون صحّة قولنا ضرورة و لكنكم تجحدون و تعاندون. قيل لهم: و كذلك أنتم تعلمون صحة نقلنا عن علىّ و أهل

البيت و لكنّكم تجحدون و تعاندون. فإن قالوا: لو لم تضطرّونا إلى صحّة قولنا فيما ندّعيه على أهل البيت لم نضطرّ نحن إلى ذلك، فلمّا كنّا إليه مضطرين علمنا أنّ حالكم في ذلك حالنا، قيل لهم: و لو لم تضطروا إلى صدق ما ندّعيه على عليّ و ولده و أنّكم تكذّبون في ادعائكم عليهم خلاف ذلك لم نضطرّ نحن إلى أنكم تكذبون، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۳ و إلى أنّ دين عليّ و الجماعة ما وصفناه، فلمّا اضطررنا إلى ذلك علمنا أنّكم قد اضطررتم إلى ما نحن إلى العلم مضطرّون، و لا جواب لهم عن هذا أبدا. فإن قالوا: إنما يعلم دين أهل البيت من توالاهم و ثبّت النّصّ عليهم و تبرّأ من أعدائهم، و هذه هي صفة الشيعة. قيل لهم: نحن نتوالهم و نتبرّأ من أعدائهم و لا نثبت النّصّ عليهم/، و لو كنتم محقين في إثبات النّصّ عليهم و كنّا نحن في إنكاره مبطلون، لم يدلّ ذلك على أنكم لا بد أن تضطروا إلى العلم بدينهم في القرآن إذا جازت عليه التّقيّة مع ثبوت النّص، و قد يعرف دين الرجل و ما يقصد أن يضر به مخالفه و عدوّه كما يعرفه موافقه و مواليه، فلا متعلق و لا طائل فيما ذكرتم فبطل بذلك توهمكم بذكر الولاء و البراء و عودكم إلى النّصّ. ثمّ يقال لهم: إن وجب القطع على صدق هذه الطبقة من الشّيعة في روايتهم عن عليّ و السّلف الصالح من ولده في تغيير القرآن و نقصانه، فما أنكرتم من وجوب تصديق الفريق الآخر من الشيعة الذين يروون عن مثلهم مع كثرة عددهم و اختلاف هممهم و تفرّق ديارهم عن عليّ و الأئمّة من ولده أنّ هذا القرآن المرسوم بين اللّوحين هو جميع كتاب اللّه المنزّل على رسوله على ترتيبه و نظامه غير مغيّر و لا مبدّل و لا مزيد فيه، و أنّهم كانوا يقرءونه و يقرءونه و يوقفونهم على اعتقادهم لصحته و كماله و تمامه، و الكذب مستحيل على مثلهم، و خبرهم هذا معارض لخبركم في نقيض موجبه، و قد علمتم علما لا يتخالجكم فيه الشّكّ و الريب أنّ في الشيعة خلقا عظيما يعتقدون في صحّة القرآن و نظمه و ترتيبه اعتقاد أصحاب الحديث و سائر فرق الأمّة، و أنّهم يروون ذلك عن على عليه السلام و الأئمة من ولده، فما الذي جعل خبركم بالتوثيق و التصديق أولى من خبرهم و هم في الكثرة كأنتم بل الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۴ أكثر، لأنّ الدهماء من الشّيعة و السّواد الأعظم ينكر نقصان القرآن و تغييره و تبديله، و يعظم ذلك و يتبرأ من قائله و يكفّر الدائن به، و يفرق في ذم معتقده و النّاصر له أكثر من افتراق جميع فرق الأمّة، و القليل منهم القائل بقولكم و النّاصر له، و لا جواب لهم عن ذلك. فإن قالوا: القائل بهذا من الشّيعة يناقض بهذا القول مذهبه، و دافع بمقالته هذه للولاء، و متولّ بقوله الأعداء من ظالمي أهل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و مصوّر لهم على ما كانوا عليه، و هذا لا يشبه اعتقادهم/ فيهم و يبرئه منهم و نحن على سنن في فرق القوم بما قلناه و إضافة هذه الضّلالة إليهم. يقال لهم: ما قلتموه لا يخرج القوم عن أن يكونوا كثرة يخبرون أنّهم نقلوا عن كثرة إلى أن يتصل ذلك بعليّ و الأئمة من ولده أنّ القرآن بأسره هو الذي بين اللوحين غير مغيّر و لا مبدّل و لا منقوص منه، فنقلهم لهذا بمثابة نقلكم لضدّ روايتهم، فإن كانت هذه الرّواية توجب عليهم ترك الولاء و البراء فيجب أن يصيروا إلى ذلك، و يجب أن تصيروا أنتم أيضا إلى ذلك إذا كان هذا الخبر الذي رووه حجّة كاعتقادهم و آباءهم بشيء يوجب نقيض موجب الخبر، لا يخرج الخبر أن يكون صحيحا، فالتّعلل في هذا بما قلتم لا معنى له. ثم يقال لهم: إنّ الولاء و البراء غير مفتقر على أصولكم إلى اعتقاد تغيير أبي بكر و عمر و عثمان و سائر الأمّة للقرآن، و إنّما يجب تولي عليّ و الأئمّة، و اعتقاد كونهم أئمّة منصوصا عليهم، و التبرى ممّن ظلمهم و غصبهم و دفعهم عن حقوقهم و تآمر عليهم، و قد أمر بأن يكون رعيّة لهم و ما يتصل بهذه الجملة مما هو في معناها، و ليس يفتقر اعتقاد الولاء و البراء إلى الكذب على أبي بكر و عمر و عثمان بنقصان القرآن و تغييره، كما لا يوجب ذلك أن الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۵ يعتقد فيه الزندقة، و أنهم كانوا ثنويّة «۱» أو براهمة أو عبدة الدّيك «۲» و التدرج، و مظهرين لذلك و مناظرين عليه حتى يجب أن يكون من لم يعتقد أن هذه الأمور كانت دين أبي بكر و عمر و عثمان فقد نقض قوله بالولاء و البراء، و إذا كان ذلك كذلك بطل تعلّل النّفس بهذا الضّرب من الجهل، و وجب أن يكون نقل هذه الطّبقة من الشّيعة عن عليّ و الأئمّة من ولده تصحيح هذا القرآن و تسليمه، و أنّه على ما أنزل غير مغيّر و لا مبدّل مع كثرة عددهم و امتناع اتفاق الكذب منهم و وقوع تواطئ عليه، مع انكتامه عليهم يوجب توثيقه و القطع على صحّته، و لا حيلة لهم في دفع ذلك. فإن قالوا: قول هذا الفريق/ من الشّيعة و المفضلين لعليّ و عترته قول محدث، و إلا فقد صحّ أن يذهب عليّ و جميع السّلف و الأئمّة من ولده أن القرآن مغيّر مبدّل منقوص،

فلا معتبر بخلافهم. يقال لهم: افصلوا بينكم و بين من قال إنّ قولكم مذهب علىّ و ولده القول بنقصان هذا القرآن و تغييره، مذهب محدث قريب الحدوث، و أنّ شيوخ الشّيعة و غيرهم أكثر و أقدم منه، و أنّ القول بأنّ مذهب علىّ و الأئمّة من ولده أنّ جميع ما أنزل اللّه تعالى من القرآن على نبيه صلى اللّه عليه هو هذا المرسوم بين اللّوحين على وجهه و ترتيبه، هو المذهب القديم المعروف المروىّ عن الثّبت الثّقات و عن الكافة فلا معتبر بقولكم و خلافكم، فهل ترون لكم من هذا مخرجا؟! (__________ ۱) هى فرقة من القدرية المعتزلة، و هى التى قالت أن الخير من اللّه و الشر من إبليس. «معجم الفرق الإسلامية» ص ۷۵. (۲) و هى من طوائف الغلاة من المسلمين، غلوا فى حق الأئمة حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة و حكموا فيهم بأحكام إلهية و كانت له عقائد فاسدة. «معجم الفرق الإسلامية» ص ۱۸۰. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۶ و يقال لهم أيضا: إن وجب و لزم القول بصحة خبركم و القطع بصدقكم، و المصير إلى موجب روايتكم عن علىّ و ولده فى نقصان القرآن و تغييره و تبديله، و إفساد نظمه و إيقاع التخليط فيه لأجل ما أنتم عليه من كثرة العدد و اختلاف الهمم و تعذر اتفاق الكذب من مثلكم، و استحالة التواطؤ و التشاعر عليكم، فما أنكرتم من وجوب القطع على صحّة خبر سائر أصحاب الحديث، و جميع فرق الأمّة: من المعتزلة و المرجئة و النّجادية و المثبتة، فى روايتهم عن علىّ و ولده الاعتراف بصحّة هذا القرآن المرسوم بين اللّوحين و أنّه جميع كتاب اللّه تعالى، و مرتب منظوم على ما أمر القوم الرّسول بنظمه و ترتيبه، و إخبارهم عن علىّ و ولده بما هو معنى هذا القول بتفضيل أبى بكر و عمر و عثمان، و حسن الثّناء عليهم و المدح لهم و التّمنى المضىّ على سبيلهم، و اللّعن للطّاعن عليهم و التبرّى منهم، و ما يروونه عنهم من ذمّ الرّافضة و لعن الرّسول لهم و الإخبار عنهم بأنهم هم المعتقدون لدينكم و مذهبكم فى الصّحابة، لأجل أن رواة هذا أجمع عن علىّ و ولده من أصحاب الحديث و غيرهم من فرق الأمّة أكثر منكم و من سائر الشّيعة عددا و أشدّ تفرّقا فى/ البلاد و تباينا فى الأحوال و الأنساب، و حالهم أثبت و سندهم أظهر و أشهر عن قوم معروفين، و هم مع هذا أجمع غير متّهمين على علىّ و ولده، و لا طاعنين عليهم و لا متبرئين منهم، و أنتم متّهمون فى جميع ما تروونه من ذمّ أبى بكر و عمر و عثمان و شتمهم و التبرّى منه، فسوء اعتقادهم فيه و شدة طعنكم عليهم و اعتقادكم لبراءتهم من الإسلام جملة، و إخباركم بأنّ هذا دين علىّ و ولده فيهم، و الرواية للعن القوم و ذمّهم، إذا جاءت ممن هذا دينه فيهم كان من التّهمة و الظنّة ما تعرفون، و إذا كان ذلك كذلك و كانت أخبار جميع هذه الفرق المخالفة لكم متواترة على علىّ و ولده بما الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۷ وصفناه وجب تصديقهم و القطع على صحة رواياتهم دون رواياتكم، فإن لم تجب هذه الجملة فلا أقلّ من أن يكون خبركم معارضا لخبرهم و مقاوما له، و هيهات أن يكون ذلك كذلك، و أخباركم عند أهل النّقل و أصحاب الحديث التى تدّعونها على أهل البيت معروفة النّقل و الطّرق و الرّجال، و أخبار أصحاب الحديث المرويّة عن مثل: مالك و الثّورىّ و طبقتهما فى عصرهما، و عن معمر و الزّهرىّ و علقمة و إبراهيم و النّخعى و سعيد بن المسيب و أحزابهم من أهل عصرهم، إلى أن ينتهى ذلك إلى النبىّ صلّى اللّه عليه فشتان بين هذه الطبقة و بين غيرهم من جملة أخبارهم ممن لا حاجة بنا إلى ذكره، فوجب بهذه الجملة سقوط خبركم، و العمل على ما ترويه هذه الفرق و الطبقات المعروفة عن على و عترته فى أمر القرآن، و غيره من تفضيل الصحابة و تقريظهم، و البراءة ممن دان فيهم بدينكم، و قال عليهم قولكم. فإن قالوا: فما هذه الرّوايات التى ترويها هذه الفرق الموجبة لضدّ رواياتنا عن علىّ و أهل البيت. قيل لهم: هى أكثر من أن تحصى و يحاط بها، فمنها ما رواه النّاس عن سفيان عن السّدّى عن عبد خير «۱» عن علىّ عليه السّلام أنّه قال: «رحمة اللّه على أبى بكر هو أوّل من جمع القرآن بين اللوحين»/ و لو كان جمعه له بين اللّوحين ضلالة و بدعة على ما يصفون، أو كان جامعا له على خلاف ما أمر اللّه جلّ و عزّ فى نظمه و ترتيبه، لكان عليه السّلام خبّرنا بذمّه و إظهار ركوبه المحظور فى هذا الباب، و ذكر تأليفه له على غير وجهه، و نقصان ما نقّصه، (__________ ۱) هو أبو عمارة، عبد خير بن يزيد الهمدانى، الكوفى، مخضرم ثقة من الثانية لم يصح له صحبة. «التقريب» (۱: ۵۵۸). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۸ و كان ذلك أولى

به من الترحّم عليه، و جعل ذلك منقبة له، و التّوهّم لصواب فعله و صحة تأليفه. و روى أيضا عن عبد خير فى خبر آخر عن علىّ عليه السّلام أنّه قال: «أعظم النّاس أجرا فى المصاحف أبو بكر، رحمة اللّه على أبى بكر، هو أوّل من جمع القرآن بين اللّوحين» «۱»، و رووا جميعا عن شعبة بن علقمة بن مرثد «۲»، عن سويد بن غفلة «۳» عن علىّ عليه السّلام قال: «لو كنت ولّيت الذى ولى عثمان لفعلت الذى فعل»، يعنى فى المصاحف، قال جميع من روى ذلك: إنّهم علموا من قوله هذا أنّه قد قصد إلى أنّه كان يصنع كصنعته فى المصاحف. و روى بعضهم أيضا عن علقمة بن مرثد عن سويد بن غفلة قال: سمعت علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يقول: «أيها الناس اللّه اللّه و إيّاكم و الغلوّ فى عثمان و قولكم حرّاق المصاحف، فو اللّه ما حرّقها إلّا عن ملأ منّا أصحاب محمد» فى كلام له فى مدحه طويل سنذكره فيما بعد، إلى أن قال عليه السّلام: «لو ولّيت مثل الذى ولى لصنعت مثل الذى صنع» «۴».

(____۱) رواه الطبرى فى «الرياض النضرة» (۲: ۶۸)، و رواه خيثمة الأطرابلسى فى «كتاب حديث خيثمة» ص ۱۳۵. (۲) أبو الحارث، علقمة بن مرثد الحضرمى، الكوفى، ثقة من السادسة «التقريب» (۱: ۶۸۷). (۳) أبو أمية، سويد بن غفلة، الجعفى، مخضرم من كبار التابعين قدم المدينة يوم النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان مسلما فى حياته، ثمّ نزل الكوفة و مات سنة ثمانين و له مائة و ثلاثون سنة، و غفلة بفتح المعجمة و الفاء و اللام، «التقريب» (۱: ۴۰۴) و «التهذيب» (۴: ۲۴۲). (۴) رواه البيهقى فى «السنن الكبرى» (۲: ۴۲ برقم ۲۲۰۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۸۹ فهذه الرّوايات كلّها أظهر و أشهر من رواياتكم عنه بخلاف ذلك و أصحّ سندا و أثبت رجلا، و إنّما نعنى بصحّة السّند و ثبت الرّجال، الطريق فى غير خبر من هذه الأخبار إذا أفرد و خصّ، فأما أن نحتاج إلى ذلك فى علمنا فى الجملة بأن عليا عليه السّلام كان يقرأ هذا المصحف و يلقّنه و يحكمه و يعترف بصحته، و يقول بقول الجماعة فيه فإنّه باطل، و لا ما نعلم ضرورة إظهار على عليه السّلام القول بهذا، و أنه كان على هذه الطريقة، و لا نعلم ضرورة و لا باستدلال أن عليا أظهر فى وقت من الأوقات خلاف ذلك على ما يدّعيه قوم من الشيعة، و لا خلاف بيننا و بينهم/ و بين مخالفينا من الشّيعة فى هذا الباب بأنّ عليا عليه السّلام كان يظهر القول بهذه الجملة، و أنّ دينه فى المصحف لعثمان ما وصفناه و لا يمكن أحد منهم دفع هذا أو جحده، و قولهم بعد هذا: أنّه أظهر ذلك برهة من الزّمان ثمّ أظهر خلافه، و أنّه كان ابتدأ بإظهار خلافه باطل لا أصل له. و يقال لهم: إن كان ابتدأ بإظهار خلاف ثمّ أظهر بعد ذلك خلافه بما وصفناه فذلك رجوع منه عن قوله الأول، و يجب العمل فى مذهبه إلى ما صار إليه، و إن كان أظهر خلاف ما قلناه، و علمنا إظهاره له ضرورة، و كان إنما أظهر ما قلناه أوّلا على سبيل التّقية، و لم نأمن أن يكون أيضا إنّما أظهر الثّانى لأجل تقية أخرى من قوم آخرين هم أشرّ من القوم الذين خافهم على نفسه أولا أو مثلهم فى الشّر، بل لعلّ القول الصحيح عنده هو الذى وقف عليه و هو معتقد له القول الأول الذى هو دين عثمان و الجماعة، و أن يكون القول الثّانى إنّما ظهر منه على سبيل التّقية من أشرار قوم كانوا مختلطين بأصحابه، قليلى البصائر و الرغبة فى طاعة اللّه تعالى و كثيرى الخلاف عليه و الشّق لعصاه و التغلّب على أمره، و هم الذين حملوه على التحكيم و كفّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۰ الحرب، و هم الذين عناهم بقوله: «بدّل اللّه لى بكم أصحاب معاوية صرف الدرهم بالدينار» «۱»، و كثرة الذمّ لهم و الدّعاء عليهم، و تمنى الخلاص منهم، و ما حفظ عليه شىء من ذلك فى فريق من الأمّة قبل أيام نظره بأواخر أفعاله و أقواله الواقعة منه فى هذه الأيام أشبه بأن تكون واقعة على سبيل التّقية إذ كانت أسباب التّقية ظاهرة، و قد بيّنّا فى غير موضع بطلان هذه التّقية، و أنّه لا أصل لها و لا دليل لهم عليها بما يغنى عن رده. و كل هذه الروايات عن علىّ فى القرآن و فى القراءات المنسوبة إلى مصحف عثمان نقيض تواتركم عنه الذى تدّعونه، و مع ذلك فقد وافقتمونا على/ أنّه كان مظهرا للجملة التى ذكرناها عنه فى باب القرآن، و نحن غير موافقين لكم فى روايتكم عنه أنّه قال فى بعض الأوقات غير ذلك، و أنّه إنّما أظهره على سبيل التّقية، و إذا كان ذلك كذلك كانت أخبارنا أولى بالثّبوت و الصحّة من أخباركم من كل وجه و طريق. و كذلك أيضا فقد روى أصحاب الحديث كافّة عن كافّة خلفا عن سلف من تفضيل علىّ عليه السّلام لأبى بكر و عمر و عثمان، و تعظيم شأنهم و جميل الثناء عليهم ما فى بعضه دلالة على أنّهم لم يغيّروا القرآن و لا بدّلوه و لا شيئا من أحكام الدين، فمن هذه الأخبار ما روته الجماعة عن

أبی الأحوص عن أبی جحیفة «۲» قال: «سمعت علیّ بن أبی طالب علیه السّلام علی منبر الکوفة یقول: إنّ خیر هذه الأمّة بعد نبیّها أبو بکر، ثمّ خیرهم بعد أبی بکر (______________________ ۱) لم أجده. (۲) هو وهب بن عبد اللّه السّوائی مشهور بکنیته، و یقال له وهب الخیر صحابی معروف، صحب علیا و مات سنة أربع و سبعین، «التقریب» (۲: ۲۹۲). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۱ عمر، و الثالث لو شئت لسمیته» «۱»، و روی عن شریک «۲» عن الأسود بن قیس عن عمر عن سفیان قال: قال علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: «سبق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و ثنّی أبو بکر و ثلّث عمر» «۳». و روی عن علی بن هاشم «۴» عن أبیه «۵» عن أبی الجحاف «۶» قال: «قام أبو بکر بعد ما بویع له، و بایع علیّ و أصحابه، قام ثلاثا یقول: «أیّها النّاس قد أقلتکم بیعتکم هل من کاره؟ فیقوم علیّ علیه السّلام أوائل النّاس یقول: لا نقیلک و لا نستقیلک، قدّمک رسول اللّه فمن الذی یؤخّرک» «۷»، و رووا عنه علیه السّلام أنّه قال: «قدّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه أبا بکر یصلی بالنّاس، و قد رآنی و ما کنت غائبا و لا مریضا، و لو أراد أن یقدّمنی لقدّمنی، فرضینا (______________________ ۱) رواه ابن أبی عاصم فی کتاب «السنة» (۲: ۵۷۰)، و أحمد فی «المسند» (۱: ۱۲۸ برقم ۱۰۶۰)، و رواه عبد اللّه بن أحمد فی «فضائل الصحابة» (۱: ۳۰۴). (۲) شریک بن عبد اللّه النخعی القاضی، أحد الأعلام، و ثقة ابن معین توفی سنة سبع و سبعین و مائة، عن ثنتین و ثمانین سنة، «الکاشف» (۲: ۹). (۳) أخرجه الحاکم فی «المستدرک» بلفظه و قال: هذا حدیث صحیح الإسناد و لم یخرجاه (۳: ۷۱ برقم ۴۴۲۶)، و أخرجه القرطبی فی «تفسیره» (۱: ۱۶۹)، و رواه المحاملی فی «أمالیه» ص ۲۱۵، و کلا الروایتین فیها: و صلّی أبو بکر بدلا من و ثنّی أبو بکر. (۴) علی بن هاشم بن البرید الکوفی البزاز، شیعی، عالم، مات سنة ۱۸۱ ه «الکاشف» (۲: ۲۵۸). (۵) هو هاشم بن البرید روی عنه ابنه علی و وکیع، ثقة، روی عن أبی إسحاق، «الکاشف» (۳: ۱۹۱). (۶) أبو الجحّاف: التمیمی البرجمی اسمه داود بن أبی عوف، بفتح الجیم و تشدید الحاء مفتوحة، مشهور بکنیته، و هو صدوق شیعی من السادسة، «تهذیب» (۱۲: ۵۶)، «التقریب» (۱: ۱۸۱). (۷) رواه عبد اللّه بن أحمد فی «فضائل الصحابة» (۱: ۱۳۲)، و أخرج القرطبی فی تفسیره (۷: ۱۷۲)، و فیه: «رضیک رسول اللّه لدیننا أ فلا نرضاک لدنیانا». الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۲ لدنیانا من رضیه رسول اللّه لدیننا» «۱»، و روی عبد خیر قال: «سمعت علیا یقول: قبض اللّه تعالی نبیّه علی خیر ما قبض علیه نبیا من الأنبیاء، و أثنی علیه، ثمّ استخلف أبو بکر فعمل بعمل رسول اللّه و سنته، ثمّ قبض أبو بکر علی خیر ما قبض/ اللّه علیه أحدا و کان خیر هذه الأمّة بعد نبیّها، ثمّ استخلف عمر فعمل بعملها و سننهما، ثمّ قبض علی خیر ما قبض اللّه علیه أحدا، و کان خیر هذه الأمّة بعد نبیّها أبی بکر» «۲». و روی عن کثیر النّواء «۳» عن أبی سریحة «۴» قال: «سمعت علیا یقول علی المنبر: ألا إنّ أبا بکر کان أواها منیب القلب، و أن عمر ناصح اللّه فنصحه» «۵»، و روی عن سالم بن أبی حفصة «۶» عن عبد اللّه بن ملیل عن علیّ ابن أبی طالب أنّه قال: «لکلّ نبی سبعة نجباء من أمّته، و إنّ لنبیّنا أربعة عشر نجیبا منهم: أبو بکر و عمر» «۷»، و رووا من غیر طریق عن منذر الثوریّ «۸ (______________________» ۱) أخرجه الطبری فی «الریاض النضرة بنصّه» (۲: ۱۷۷ برقم ۳۹۱). (۲) أخرجه ابن أبی شیبة فی «مصنفة» (۸: ۷۵۳ کتاب المغازی باب استخلاف أبی بکر برقم ۱۲). (۳) أبو إسماعیل، کثیر بن إسماعیل النوّاء، التمیمی الکوفی ضعیف من السادسة، «التقریب» (۲: ۳۷). (۴) أبو سریحة الغفاری، اسمه حذیفة بن أسید بن خالد، کان ممن بایع تحت الشجرة، ذکره ابن حبان فی «الثقات» مات سنة اثنتین و أربعین، «الاستیعاب» (۸: ۱۶۶۸). (۵) رواه الدارقطنی فی «العلل الواردة فی الأحادیث النبویة» (۴: ۹۷). (۶) أبو یونس، هو سالم بن أبی حفصة العجلی، الکوفی، صدوق فی الحدیث، شیعی غال من الرابعة، مات فی حدود الأربعین و مائة، «التقریب» (۱: ۳۳۴). (۷) رواه الترمذی فی «السنن» (۵: ۶۶۲، کتاب المناقب، باب مناقب الحسن و الحسین برقم ۳۷۸۵). (۸) أبو یعلی، منذر الثوری بن یعلی، الکوفی ثقة من السادسة. «التقریب» (۱: ۲۱۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۳ و غیره عن محمد بن الحنفیّة قال: قلت لأبی علیّ بن طالب: من خیر النّاس بعد رسول اللّه؟ قال: أبو بکر، قلت: ثمّ من؟ قال: ثمّ عمر، ثمّ بادرت فخفت أن أسأله فقلت: ثم أنت؟ قال: أبوک رجل من

النّاس له حسنات و سيّئات يفعل اللّه ما يشاء» «۱». و رووا «أنّ عليّا عليه السّلام قيل له: استخلف علينا، قال: ما أستخلف، و لكن إن يرد اللّه بهذه الأمّة خيرا يجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم» «۲». و رووا عن عبيدة السلماني و غيره من الرواة عن عليّ بن أبى طالب أنّه أرسل إلى رجل بلغه أنّه عيب أبا بكر و عمر و يطعن عليهما، فجيء بالرجل فعرّض عليّ عليه السّلام بعيبهما عنده، ففطن الرجل فقال: أما و الذى بعث محمدا بالحق لو أنّى سمعت منك الذى بلغنى عنك أو يثبت به عليك بيّة لألقيت عنك أكثرك شعرا، يعنى رأسه» «۳»، و رووا عن جعفر بن محمد أنّه روى عن أبيه قال: قال رجل لعليّ: يا أمير المؤمنين، سمعتك تقول فى الخطبة أيضا: اللّهمّ أصلحنا كما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمن هم، فاغرورقت عيناه ثمّ أهملهما، و قال: هما حبيباى و عمّاك أبو بكر و عمر رضى اللّه عنهما، إماما الهدى و شيخا الإسلام و رجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول اللّه- صلّى اللّه عليه، من اقتدى بهما عصم، و من تبع (______________________________ ۱) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۶: ۳۵۰ برقم ۳۱۹۴۵)، و رواه عبد اللّه بن أحمد فى «فضائل الصحابة» (۱: ۱۵۳ برقم ۱۳۶). (۲) رواه الحاكم فى «المستدرك» (۳: ۸۴ برقم ۴۴۶۷)، و رواه عبد اللّه بن أحمد فى «فضائل الصحابة» (۱: ۴۰۴ برقم ۶۲۲). (۳) لم أجده. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۴ آثارهما هدى إلى صراط مستقيم، و من تمسك بهما فهو حزب اللّه و حزب اللّه هم المفلحون» «۱». و رووا عن عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و أبى أيوب الأنصاريّ «۲» أنّ النّبيّ/ صلّى اللّه عليه قال: «إنّ اللّه أمرنى أن أتّخذ أبا بكر والدا» «۳»، و رووا عن أبى رجاء العطارديّ «۴» قال: «سمعت عليا و الزبير بن العوّام يقولان: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: أفضل أمّتى أبو بكر» «۵». و رووا أيضا عن أبى رجاء العطارديّ عن عليّ بن أبى طالب و الزبير بن العوّام قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه يقول: «الخليفة بعدى أبو بكر ثمّ عمر» «۶»، قال أبو رجاء فدخلنا على عليّ فقلنا يا أمير المؤمنين، سمعنا الزبير يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه يقول: الخليفة بعدى أبو بكر ثم عمر، فقال: صدق، و سمعت ذلك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه، و رووا أيضا عن غير واحد من أصحاب عليّ عليه السّلام أنّه كان إذا ذكر عنده أبو (______________________________ ۱) روى هذا الأثر الإمام الطبرى فى «الرياض النضرة فى مناقب العشرة» بنصه الوارد عند المصنف رحمه اللّه، (۱: ۳۷۹ برقم ۲۷۶). (۲) و اسمه خالد بن زيد كليب بن ثعلبة الانصارى البدرى، من كبار الصحابة نزل عنده النبى حين قدم المدينة مات غازيا فى فتح القسطنطينية و دفن عند أسوارها سنة خمسين للهجرة، «الكنى و الأسماء» (۱: ۶۵). (۳) ذكر ابن الجوزى فى «الموضوعات» (۱: ۴۰۲ فى كتاب الفضائل باب فى فضائل الأربعة). (۴) اسمه عمران بن تيم البصرى، قرأ على ابن عباس و لقى أبا بكر توفى سنة خمس و مائة، عن مائة و سبع و عشرين سنة، «معرفة القراء الكبار» (۱: ۵۸). (۵) أخرجه ابن عساكر فى «تاريخ مدينة دمشق» (۳۰: ۲۰۷- ۲۰۸). (۶) أخرجه ابن عساكر فى «تاريخ مدينة دمشق» (۳۰: ۲۲۱). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۵ بكر قال: السّباق تذكرون يقولها ثلاثا: و الذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قطّ إلّا سبقنا إليه» «۱». و روى عن جابر بن عبد اللّه و أبى جحيفة و جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن عليّ عليه السّلام قال: «كنت جالسا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه فأقبل أبو بكر و عمر، فقال لى: يا عليّ هذان سيدا كهول الجنة من الأوّلين و الآخرين، ما خلا النبيّين و المرسلين، لا تخبرهما يا عليّ» «۲»، و رووا فى أكثر الرّوايات عنه: «ما خلا النبيّين و المرسلين ممّن مضى فى سالف الدهر، و من بقى فى غابرة، يا عليّ: لا تخبرهما بمقالتى هذه ما عاشا» «۳». و قد روى عن النّبيّ صلّى اللّه عليه هذا الخبر خلق من الناس غير عليّ، منهم أبو سعيد الخدرى، و عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن عباس، و أبو هريرة، و جابر بن عبد اللّه، و الحسن بن على، و أبو مريم السلولى «۴»، و أنس بن مالك، كلّ روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مثل رواية عليّ عليه السّلام يزيد لفظة، و اللفظتين أو ينقص، و روى هذا الخبر عن عليّ بن أبى طالب خلق من الرواة منهم: سويد بن غفلة، و زرّ بن حبيش، و عبد اللّه بن أبى ليلى «۵»، (______________________________ ۱) رواه الطبرانى فى «الأوسط» (۷: ۱۶۵ برقم ۷۳۱۷۸). (۲) رواه الترمذى (۵: ۶۱۰ كتاب المناقب، باب مناقب أبى بكر و عمر برقم ۳۶۶۴ و ۳۶۶۵). (۳) هذه الزيادة

رواها ابن ماجة فى «سننه» (۱: ۳۶) و رواه الترمذى و قال: حديث غريب و صححه الألبانى، «سنن الترمذى» (۵: ۶۱۱). (۴) اسمه مالك بن ربيعة، و يقال ابن خرشة، أبو مريم السلولى نزل الكوفة روى عنه ابنه يزيد، صحابى بدرى و هو آخر البدرين موتا توفى ۷۵ ه، «الكاشف» (۳: ۱۰۰)، «التهذيب» (۱۲: ۲۵۲). (۵) هو أخو عبد الرحمن بن أبى ليلى، و هو مجهول كما قال ابن عبد البر، «التمهيد» (۱۱: ۵۱). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۶ و عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة «۱»، و عاصم بن ضمرة «۲»، و الحارث الأعور، و عامر/ الشّعبى، و أبو البخترى الطائى «۳»، و أبو عبد الرحمن السلمى، و غيرهم أيضا، و بدون هؤلاء يثبت التواتر عنه، و ليس فى أخباركم خبر تروونه عنه فى نقصان القرآن و تغييره يجرى مجرى هذا الخبر و لا يقاربه، بل لا رواية تعلم عنه أصلا فى ذلك إلا ما تصنعونه و تلفقونه. و رووا أيضا عن مالك بن مغول «۴» عن السّدى عن عبد خير قال: «كنت عند علىّ بن أبى طالب عليه السّلام جالسا فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، من أول من يدخل الجنّة من هذه الأمة؟ فقال أبو بكر و عمر: فقال له رجل آخر: يا أمير المؤمنين، و يدخلانها قبلك؟ قال: أى و اللّه و يشبعان من ثمارها» «۵» و روى أيضا عبد خير عن علىّ عليه السّلام قال: سبق رسول اللّه و صلّى أبو بكر و ثلّث عمر ثم خبطتنا فتنة يعفو اللّه عمّا شاء» «۶»، و روى أبو الطّفيل عن علىّ قال: «سبق رسول اللّه و صلّى أبو بكر و ثلّث عمر، و خبطتنا فتنة، فهو ما شاء اللّه عز و جل»، و فى رواية أخرى عنه: «فما شاء اللّه»، و فى

(۱) أبو ميسرة الهمدانى الكوفى ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاثة و ستين، «التقريب» (۱: ۷۳۷). (۲) عاصم بن ضمرة السلولى، روى عن على وثقه ابن المدينى مات سنة أربع و سبعين. (۳) اسمه سعيد بن فيروز بن أبى عمران الطائى مولاهم الكوفى ثقة ثبت فيه تشيع من الثالثة مات سنة ثلاثة و ثمانين للهجرة، «التقريب» (۱: ۳۶۲). (۴) مالك بن مغول الكوفى أبو عبد اللّه ثقة ثبت من كبار السابعة مات سنة تسع و خمسين و مائة، «التقريب» (۲: ۱۵۵). (۵) لم أجده بهذا اللفظ فى كتب الآثار. (۶) رواه الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (۹: ۵۴)، و الإمام أحمد فى «مسنده» (۱: ۱۲۴، ۱۳۲، ۱۴۷ بألفاظ متقاربة). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۷ رواية أخرى: «يصنع اللّه فيها ما شاء» و فى رواية أخرى عن عبد خير قال: «سمعت عليا يقول: سبق رسول اللّه، و صلّى أبو بكر، و ثلّث عمر، ثمّ خبطتنا فتنة فهو ما شاء اللّه، فمن فضّلنى على أبى بكر و عمر فعليه حدّ المفترى من الضرب، و طرح الشهادة» «۱»، و لو لا خوف الإطالة و الإكثار لذكرنا من كلامه فى تفضيلهما فى خطبه على المنابر و مقاماته و مشاجراته أضعاف ما ذكرنا. فأمّا ما يرويه جماعة أصحاب الحديث رواية ظاهرة مستفيضة عن علىّ فى عمر من التفضيل و التقريظ فهو أيضا أكثر من أن يحاط به، فمنها ما ذكرناه من قوله: «إنّ أبا بكر كان أواها منيبا، و إنّ عمر ناصح اللّه فنصحه، و قد كنّا نرى شيطانه يهابه أن يأمره بمعصيته»، و هذا مروىّ من طريق الشعبى و من رواية الشّعبى أيضا عن علىّ أنّه قال: «كان عمر ليقول الحقّ فينزل القرآن بتصديقه» «۲». و روى مجالد «۳» عن عامر الشعبى عن علىّ كرّم اللّه وجهه، أنه قال: «إنّ فى القرآن من كلام عمر كلاما كثيرا»، يريد من الأوامر و الأحكام،

(۱) رواه الطبرانى فى «الرياض النضرة» (۱: ۳۷۸). (۲) روى ذلك ابن عبد البر فى «التمهيد» و قال: «و قد عرف المسلمون موضع فطنة عمر و فهمه و ذكائه حتى لقد كان يسبق التنزيل بفطنته، فينزل القرآن على ظنّه و مراده، و هذا محفوظ معلوم عنه فى غير ما قصه، منها: نزول آية الحجاب، و آية فداء الأسرى، و آية و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، و آية تحريم الخمر، و غير ذلك مما يطول ذكره، و لا يجهل فضائله و موضعه من العلم إلّا من سفه نفسه» ... إلى غير ذلك كثير يطول بنا شرحه فمن أحب الاستزادة فليرجع إليه. «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى و الأسانيد» لابن عبد البر (۵: ۱۹۲). (۳) هو أبو عمرو، مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى، الكوفى، ليس بالقوى من صغار السادسة مات سنة أربع و أربعين و مائة، «التقريب» (۲: ۱۵۹). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۸ و روى عن واحد عن علىّ عليه السّلام أنّهم سمعوه يقول: «دخلت على عمر حين وجأة أبو لؤلؤة و هو يبكى، فقلت: ما أبكاك يا أمير المؤمنين، فقال: أبكانى خبر السّماء، أ يذهب بى إلى الجنّة أو إلى النّار، فقلت: أبشر بالجنّة، فإنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه يقول ما لا أحصى: سيدا كهول أهل الجنّة أبو بكر و

عمر، و أنعما، فقال: أشاهد أنت يا عليّ بالجنّة، فقلت نعم، و أنت يا حسن فاشهد على أبيك رسول اللّه، أنّ عمر من أهل الجنة» «۱». و روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد اللّه قال: «لمّا طعن عمر عليه السّلام قال: أ عن ملإ منكم هذا، فقال عليّ: ما كان عن ملإ منا و لوددنا أنّه قد زيد فى عمرك من أعمارنا» «۲»، و رووا جميعا عن عقيل بن خالد «۳» عن محمد عن عليّ بن عبد اللّه بن عباس «۴» عن أبيه «۵» عن عبد اللّه ابن عباس قال: «قال لى عليّ بن أبى طالب: ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلّا متخفّيا إلا عمر بن الخطاب، فإنّه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه

(۱) قصة على مع عمر حالة النزع لم أجدها فى كتب الآثار، و إنما القصة المشهورة فى ذلك مع ابن عباس رضى اللّه عنهما، انظر «مسند أبى يعلى» (۵: ۱۱۶)، «صحيح ابن حبان» (۱۵: ۳۳۲). (۲) رواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (۷: ۴۴۰)، و عبد الرزاق فى «المصنف» (۶: ۵۱)، و أبو نعيم فى «الحلية» (۳: ۱۱۹). (۳) هو عقيل- بضم العين- ابن خالد الأيلى، روى عن عكرمة و القاسم و الزهرى، حافظ صاحب كتاب، مات سنة ۱۴۱ ه «الكاشف» (۲: ۲۴۰). (۴) الهاشميّ أبو الخلفاء، روى عن جده مرسلا و عن أبيه و عن سعيد بن جبير، مات فى حبس بنى أمية سنة ثمان و عشرين و مائة. «الكاشف» (۳: ۷۱). (۵) أبو محمد و أبو عبد اللّه سمع أباه و أبا هريرة، ولد ليلة قتل عليّ و كان أجمل قرشى فى الدنيا، مات سنة ثمان عشرة و مائة. «الكاشف» (۲: ۲۵۲). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۴۹۹ و تنكب قوسه و انتضى أسهما فى يده و أحضر عترته، و مضى قبل الكعبة، و الملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكّنا، ثمّ أتى المقام فصلى متمكّنا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه لا يرغم اللّه إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمّه أو يوتم ولده أو يرمّل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى، قال عليّ عليه السّلام: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين عليهم دار شرّهم و مضى لوجهه» «۱». و رووا جميعا عن عبد اللّه بن عباس و غيره من الصحابة أنّ عمر لما مات دخل عليه عليّ بن أبى طالب عليهما السّلام و هو مسجى بثوبه، فقال: ما أحد أحبّ إليّ أن ألقى اللّه بصحيفته من هذا المسجّى بينكم، ثم قال: رحمك اللّه يا ابن الخطاب أن كنت/ بذات اللّه لعليما، و أن كان اللّه فى صدرك لعظيما، و أن كنت لتخشى اللّه فى النّاس و لا تخشى الناس فى اللّه، كنت جوادا بالحقّ بخيلا بالباطل، خميصا من الدنيا بطينا من الآخرة، لم تكن عيّابا و لا مدّاحا» «۲»، فى أمثال لهذه الأقاويل كثير قالها و رواها فى عمر، فيها من تفضيله و تعظيم شأنه و ذكر قدره و محلّه عند اللّه و رسوله، و مكانه من الدّين، يؤذن بفضل عظيم و تقديم شديد، كرهنا الإطالة بها، كل هذه الأقاويل و الرّوايات لا تجوز عندنا و عندهم أن نقولها و نرويها فى قوم ابتدعوا فى الدين ما ليس منه بجمع كتاب اللّه بين لوحين، و غيّروا القرآن و بدّلوا كثيرا

(۱) قصة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فى الجهر بالهجرة رواها ابن عساكر رحمه اللّه فى «تاريخه»، و قد نقلها عنه الشيخ محمد أبو شهبة فى كتابه «السيرة النبوية» (۱: ۴۶۴)، و أوردها العلامة الصالحى فى كتاب «سبيل الهدى و الرشاد» عن ابن السمان فى «الموافقة»، انظر (۳: ۲۲۵)، و لم يذكرها ابن إسحاق فى «سيرته». (۲) رواه عبد اللّه بن أحمد فى كتاب «فضائل الصحابة» من حديث أبى جحفة يرون عنه ابنه عون، بشىء من الاقتضاب. «فضائل الصحابة» (۱: ۲۶۶). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۰ منه و نقّصوا منه أمرا عظيما، و أسقطوا أسماء رجال ملعونين فى نصّ تنزيله، و حذفوا أسماء آخرين ممدوحين مقرّظين مأمور باتّباعهم فى نصه، فإنّ فاعل هذا بالخروج عن الدّين و الإدغال له و الاستحقاق للّعن و الإهانة و قبيح الأسماء و عظيم الذّم أولى بما وصفه و رواه عليّ فيه، و كلّ هذه الروايات أشهر و أظهر و أعلى و أكثر رجالا و أوضح طرقا من رواياتكم، و نحن و إن لم نعلم عين كلّ خبر من هذه الأخبار ضرورة، فقد عرفنا فى الجملة ضرورة مدح عليّ لهما و حسن ثنائه عليهما، و قد قلتم معنا بذلك و ادّعيتم عليه التّقية، و أنّه قال فى مقامات أخر نقيض هذه الأقوال، و هذا منكم غير مسموع و لا مقبول و لا معلوم صحّته، فصحّ ما قلناه و بطل تسويفكم أنفسكم بالتعاليل و الأباطيل، و أما روايات أهل البيت عن عليّ و سائر أسلافهم بتفضيل الصّحابة و تقديمهم و حسن الثّناء عليهم و التّبرى من أعدائهم و القادح فى فضلهم، فأكثر من أن يحاط بها، فمن هذه الأخبار: ما رووه عن محمد بن فضيل «۱» عن سالم ابن أبى حفصة «۲» قال: «سألت أبا جعفر

محمـد بن علیّ و جعفر بن محمـد عن أبی بکر و عمر، فقالا: یا سالم تولّهما، و ابرأ من عدوّهما فإنهما کانا إمامی هدی»/ «۳»، و رووا أیضـا عـن بشـیر بـن میمـون أبی صـیفی «۴» عـن جعفر بـن محمـد عـن أبیـه، (______________________________)

۱) محمد بن فضیل بن غزوان الضّبی الحافظ أبو عبد الرحمن، ثقة شیعی مات سنهٔ أربع و تسعین و مائهٔ. «الکاشف» (۳: ۷۹). (۲) العجلی، الکوفی، أبو یونس، صدوق فی الحدیث إلا أنه شیعی غال من الرابعهٔ، مات فی حدود الأربعین و مائهٔ. «التقریب» (۱۰: ۳۳۴). (۳) رواه البیهقی فی «الاعتقاد و الهدایهٔ إلی سبیل الرشاد علی مذهب السلف» (۲: ۳۵۸). (۴) بشیر میمون الواسطی، روی عن مجاهد و جماعهٔ، متروک و قال البخاری متّهم بالوضع، توفی بضع و ثمانین و مائهٔ. «الکاشف» (۱: ۱۰۶). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۱ قال: «توالوا أبا بکر و عمر، فما أصابکم من ذلک فهو فی عنقی»، و رووا عن أبی عقیل عن کثیر النّواء قال: «قلت لأبی جعفر بن محمد بن علی: أخبرنی عن أبی بکر و عمر أظلما من حقکم شیئا أو ذهبا به فقال: لا و منزّل الفرقان علی عبده لیکون للعالمین نذیرا، ما ظلما من حقنا من یزن حبهٔ خردلهٔ، قال: قلت: أ تتوالّاهما جعلنی اللّه فداک قال: نعم یا کثیر أتولّاهما فی الدنیا و الآخرهٔ، قال: و جعل یصل عنق نفسه بعنقی، قال: ثم قال: برئ اللّه و رسوله من المغیرهٔ بن سعید «۱» و بیان «۲»، فإنهما کذبا علینا أهل البیت». و رووا أیضا عن خلف بن حوشب «۳» عن سالم بن أبی حفصهٔ «۴»، قال: دخلت علی جعفر بن محمد الصّادق و هو مریض، قال: فقال: اللهمّ إنّی أحبّ أبا بکر و عمر و أتولّاهما، اللهمّ إن کان فی نفسی غیر هذا فلا تنالنی شفاعهٔ محمد صلّی اللّه علیه». و رووا أیضا عن سالم بن أبی حفصهٔ قال «۵»: قال لی جعفر بن محمد یا سالم، أ یسبّ الرجل جدّه، أبو بکر جدّی، لا نالتنی شفاعهٔ محمد صلّی اللّه علیه یوم القیامهٔ إن لم أکن أتولّاهما و أبرأ من عدوّهما». (______________________________)

۱) المغیرهٔ بن سعید البجلی الکوفی دجّال مبتدع من أهل الکوفهٔ، و یقول بتألیه علی، و کان من المجسمهٔ یری اللّه علی صورهٔ رجل علی رأسه تاج. «الأعلام» (۷: ۲۷۶). (۲) هو بیان بن بشر الأحمسی البجلی أبو بشر الکوفی، ثقهٔ ثبت من الخامسهٔ. «التقریب» (۱: ۱۴۱). (۳) خلف بن حوشب الکوفی، ثقهٔ من السادسهٔ مات بعد الأربعین و مائهٔ. «التقریب» (۱: ۲۷۰). (۴) أبو یونس الکندی، روی عنه الشعبی و إبراهیم التیمی، و عنه السفیانان و محمد بن فضیل، شیعی لا یحتج بحدیثه. توفی سنهٔ أربعین و مائهٔ. «الکاشف» (۱: ۲۷۰). (۵) أخرجه الذّهبی فی «السیر» (۶: ۲۵۸)، و البیهقی فی «الاعتقاد» (۲: ۳۵۸). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۲ و رووا عن عبد العزیز بن محمد الأزدی «۱»، قال: حدّثنا حفص بن غیاث «۲» قال: سمعت جعفر بن محمد یقول: «ما أرجو من شفاعهٔ علیّ علیه السّلام شیئا إلا و أنا أرجو من شفاعهٔ أبی بکر مثله () «۳»». و رووا عن علیّ بن الجعد «۴» عن زهیر بن معاویهٔ «۵» عن أبیه «۶»، قال: «کان لی جار یزعم أن جعفر بن محمد بن علیّ بن الحسین یتبرأ من أبی بکر الصّدیق و عمر، قال: فغدوت علی جعفر فقلت له: إنّ لی جارا یزعم أنّک تتبرأ من أبی بکر الصّدیق و عمر، فما تقول له: قال برئ اللّه من جارک، إنی لأرجو أن ینفعنی اللّه بقرابتی من أبی بکر الصّدیق، و لقد اشتکیت شکاهٔ أوصیت فیها إلی خـالی عبـد الرحمـن بـن القـاسم بـن محمـد بـن أبی بکر» «۷». (______________________________)

۱) هو أبو محمد، عبد العزیز بن محمد الدراوردی، عدّه ابن حبان فی الثقات توفی سنهٔ سبع و ثمانین و مائهٔ. «الکاشف» (۲: ۱۷۸). (۲) هو أبو عمرو، حفص بن غیاث بن طلق بن معاویهٔ النخعی، الکوفی القاضی، ثقهٔ فقیه، من الثامنهٔ مات سنهٔ أربع و تسعین و مائهٔ و قد قارب الثمانین. «التقریب» (۱: ۲۲۹). (۳) ما بین القوسین غیر مقروء فی الأصل. (۴) علی بن الجعد بن عبید الجوهری البغدادی ثقهٔ ثبت رمی بالتشیع من صغار التاسعهٔ مات سنهٔ ثلاثین و مائتین. «التقریب» (۱: ۶۸۹). (۵) زهیر بن معاویهٔ بن حدیج بن الرحیل الحافظ الإمام المحور محدث الجزیرهٔ ولد سنهٔ خمس و تسعین و توفی سنهٔ ثلاثهٔ و سبعین و مائهٔ. «السیر» (۸: ۱۸۱). (۶) والده معاویهٔ بن حدیج بفتح الحاء المهملهٔ بن الرحیل ... (۷) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبی بکر التیمی أبو محمد المدنی ثقهٔ جلیل قال ابن عینهٔ: کان أفضل زمانه من السادسهٔ توفی سنهٔ ست و عشرین و مائهٔ. «التقریب» (۱: ۵۸۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۳ و رووا عن أبی حازم «۱» عن أبیه،

قال/: «سئل علیّ بن الحسین عن أبی بکر و عمر و منزلتهما عن النّبی صلّی اللّه علیه قال: لمنزلتهما الیوم منه هما ضجیعاه»، و روی عن إسحاق الأزرق «۲» عن بسام بن عبد اللّه الصیرفی «۳» قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علیّ قلت: ما تقول فی أبی بکر و عمر رضی اللّه عنهما، فقال: و اللّه إنّی لأتوالّاهما و أستغفر لهما، و ما أدرکت أحدا من أهل بیتی إلّا و هو یتولّاهما». و رووا عنه أیضا أنّه قال: «من جعل عمر بن الخطاب بینه و بین اللّه فقد استوثق». و رووا عن جعفر بن قیس قال: «سألت عبد اللّه بن حسن «۴» عن المسح علی الخفین فقال: امسح فقد مسح عمر بن الخطاب، قلت: إنّما أسألک، أنت، أمسح؟ قال: ذاک أعجز لک، أخبرک عن عمر و تسألنی عن رأیی؟! فعمر کان خیرا منّی و ملء الأرض مثلی ملزوما، یا محمد «۵» إنّ ناسا یقولون

(____ ۱) اسمه صخر بن العیلة، یقال أبو حازم بحاء مهملة، أو معجمة، روی عن أبیه، و روی عنه ابنه عثمان، و العیلة: بفتح أوله و سکون ثانیة. «الکاشف» (۳: ۲۸۵). (۲) إسحاق الأزرق بن یوسف بن مروان المخزومی الواسطی، ثقة من التاسعة مات سنة خمس و تسعین و مائة. «التقریب» (۷۱: ۷۸). (۳) بسام بن عبد اللّه الصیرفی الکوفی، أبو الحسن، صدوق من الخامسة. «التقریب» (۱: ۱۲۴). (۴) ابن الحسن بن علی بن أبی طالب الهاشمی المدنی أبو محمد ثقة جلیل القدر من الخامسة، و مات فی أوائل سنة خمس و أربعین و مائة و له خمس و سبعین سنة. «التقریب» (۱: ۴۸۶). (۵) ابن علی بن أبی طالب الهاشمی أبو الحسن المدنی ثقة من الرابعة، و هو الذی ینسب إلیه الزیدیة، قتل بالکوفة سنة اثنتین و عشرین و مائة و کان مولده سنة ثمانین. «التقریب» (۱: ۳۳۰). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۴ هذا منکم تقیة فقال لی، و نحن بین القبر و المنبر: اللّهمّ إنّ هذا قولی فی السّر و العلانیة، فلا تسمعن قول أحد بعدی، ثمّ قال: من هذا الذی یزعم أنّ علیّا کان مقهورا، و أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه أمره بأمر لم ینفّذه، و کفی بهذا أزرا علی علیّ و منقصة أن یزعم قوم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه أمره بأمر فلم ینفذه». و رووا أیضا عن محمد بن شعبة الباهلیّ عن علی بن هاشم عن أبیه قال: «سمعت زید بن علیّ بن الحسین «۱»، یقول: «البراءة من أبی بکر و عمر البراءة من علیّ علیهم السّلام»، و رووا عن ابن داود «۲» عن فضیل بن مرزوق «۳» قال: قال زید بن علی بن الحسین: «أمّا أنا فلو کنت مکان أبی بکر لحکمت بمثل ما حکم به أبو بکر فی فدک «۴»»، و روی عن عمرو بن سمرة عن عروة بن عبد اللّه الجعفی قال: «قلت لأبی جعفر أ نسمّی أبا بکر الصّدّیق قال: سمّاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الصّدّیق، فمن لم یسمّه الصّدّیق فلا صدّق اللّه لقوله فی الدّنیا و الآخرة».

(____ ۱) قوله یا محمد: فیها إشکال فإن الذی سأله عن المسح جعفر، فلعلّه وهم من الناسخ أو الراوی. (۲) اسمه عبد اللّه بن داود الواسطی، أبو محمد التمار، ضعیف من التاسعة. «التقریب» (۱: ۴۸۹). (۳) فضیل بن مرزوق الأغر الرقاشی الکوفی، أبو عبد الرحمن، صدوق یهم رمی بالتشیّع، من السابعة مات فی حدود سنة ستین و مائة. «التقریب» (۲: ۱۵). (۴) فدک: قریة بالحجاز بینها و بین المدینة یوما و قیل ثلاثة، أفاءها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی سنة سبع صلحا، و لما توفی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حکم أبو بکر أن ترد إلی بیت المال لأن الأنبیاء لا یورثون. «معجم البلدان» (۴: ۲۳۸). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۵ و رووا عن زید بن علیّ أنّه قال: «أبو بکر الصّدّیق إمام الشاکرین،/ و قرأ وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ [آل عمران: ۱۴۴]، و رووا عن السّری بن یحیی «۱» عن هلال بن حیان عن الحسن بن محمد بن الحنفیّة «۲» أنّه قال: «یا أهل الکوفة اتقوا اللّه و لا تقولوا لأبی بکر و عمر ما لیس له بأهل، إنّ أبا بکر الصّدیق کان مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه فی الغار، ثانی اثنین، و إن عمر عزّ اللّه به الدّین»، و روی عن أبی خالد الأحمر «۳» قال: «سألت عبد اللّه بن حسن بن حسن عن أبی بکر و عمر، فقال صلّی اللّه علیهما، و لا صلّی اللّه علی من لا یصلّی علیهما»، و روی عن نصاح بن حسان عن فضیل بن مرزوق قال سمعت عبد اللّه بن حسن بن حسن یقول لرجل من الرّافضة: «إنّ قتلک لقربة إلی اللّه تعالی». و رووا أیضا عن جعفر بن عون «۴» عن فضیل بن مرزوق قال: «سمعت الحسن بن الحسن و قال له رجل: أ لم یقل رسول اللّه صلّی اللّه علیه من کنت مولاه فعلیّ مولاه، قال: بلی، أما و اللّه لو یعنی بذلک الإمارة و السلطان لأفصح لهم بذلک، فإنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه کان انصح النّاس

للمسلمين لقال لهم: «أيّها النّاس هذا وليّ أمركم و القائم عليكم من بعدى، فاسمعوا (______________________________ ۱) سرى بن يحيى بن إياس بن حرملة الشيبانى البصرى، ثقة من السابعة مات سنة سبع و ستين و مائة. «التقريب» (۱: ۳۴۱). (۲) ابن على بن أبى طالب، و ابن الحنفية ثقة فقيه من الثالثة مات سنة مائة أو قبلها بسنة. «التقريب» (۱: ۲۱۰). (۳) سليمان بن حيان الأزدى، الكوفى صدوق يخطئ، من الثامنة مات سنة تسعين أو قبلها و له بضع و سبعون سنة. «التقريب» (۱: ۳۸۴). (۴) جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومى، صدوق من التاسعة مات سنة ست و مائتين. «التقريب» (۱: ۱۶۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۶ له و أطيعوا، ما كان هذا يشقّ فو اللّه لئن كان اللّه و رسوله اختار عليا لهذا الأمر، و القيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علىّ عليه السّلام أمر اللّه و رسوله أن يقوم به أو تعذّر منه إلى المسلمين إن كان أعظم النّاس فى ذلك خطيئة لعلىّ إذ ترك ما أمر اللّه و رسوله و اختاره اللّه و رسوله له و حاشاه من ذلك». و رووا أيضا عن مصعب بن سلّام «۱» عن جعفر بن محمد عن أبيه أنّ عبد اللّه بن جعفر قال: «رحم اللّه أبا بكر كان لنا واليا فنعم الوالى كان لنا، ما رأينا قاضيا قط كان خيرا منه»، و رووا عن محمد بن الصباح «۲» عن يحيى ابن سليمان قال: «سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أبى يقول: سمعت عبد اللّه بن جعفر يقول: ولينا أبو بكر رضوان اللّه عليه فخير خليفة، و أرحمه بنا، و أحناه علينا». و لو أردنا تتبع ما روى عن أهل البيت و ولد علىّ خاصة/ فى تفضيل أبى بكر و عمر، و نشر محاسنهما، و جميل الثّناء عليهما و القول فيهما لخرجنا بذلك عن غرض الكتاب، و قد أسهبنا فيما ذكرناه من هذه الأخبار صوبا من الإسهاب للحاجة إلى معارضة بنقيضها، و ليعلم قارئ ما ذكرناه أن الرّوايات عن أهل البيت ظاهرة منتشرة بضدّ ما يروونه عنهم، و أمّا ما روى عن علىّ عليه السّلام و ولده فى سبّ الرّافضة و لعنهم و البراءة منهم فكثير أيضا، و ظاهر مستفيض بين أهل النّقل، فمن هذه الأخبار ما رواه النّاس عن (______________________________ ۱) مصعب بن سلّام- بتشديد اللام- التميمى الكوفى نزيل بغداد صدوق له أوهام، من الثامنة. «التقريب» (۲: ۱۸۶). (۲) محمد بن الصباح أبو جعفر الدولابى البزاز مصنف السنن، ثقة حافظ توفى سنة ۲۲۷ ه. «الكاشف» (۳: ۴۸). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۷ حصين بن عبد الرحمن «۱» عن أبى عبد الرحمن السّلمى عن علىّ عليه السّلام قال: «قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه سيأتى من بعدى قوم لهم نبز يقال له الرّافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم فإنّهم مشركون، قال: قلت: يا رسول اللّه و العلامة فيهم، فقال: يقرّظونك فيما ليس فيك، و يطعنون على السّلف» «۲». و رووا أيضا عن علىّ عليه السّلام قال: قال لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه «أنت و شيعتك فى الجنّة، و إنّ قوما لهم نبز يقال لهم الرّافضة، فإن لقيتهم فاقتلهم فإنّهم مشركون»، و قال علىّ عليه السّلام: «ينتحلون حبّنا أهل البيت و ليسوا كذلك، و آية ذلك أنّهم يشتمون أبا بكر و عمر عليهما السّلام» و رووا عن كثير النّواء عن إبراهيم بن حسن بن حسن عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه قال: «يظهر فى أمّتى فى آخر الزمان قوم يسمّون الرّافضة، يرفضون الإسلام» «۳». و روى عن أبى الجحاف داود بن أبى عوف عن محمد بن عمر الهاشمىّ عن زينب بنت علىّ عن فاطمة بنت محمد قالت: «نظر النبىّ صلّى اللّه عليه إلى علىّ كرّم اللّه وجهه، فقال: هذا فى الجنّة، و إنّ من شيعته قوما يغطّون الإسلام ثمّ يلفظونه، لهم نبز يسمّون الرّافضة، من لقيهم فليقتلهم فإنّهم مشركون (______________________________». ۱) حصين بن عبد الرحمن السلمى، أبو الهذيل الكوفى، ثقة حجة مات سنة ست و ثلاثين و مائة. «التقريب» (۱: ۱۷۵). (۲) أخرجه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية». (۱: ۱۶۴ باب ذم الرافضة برقم ۲۵۴، ۲۵۵، ۲۵۶). و رواه أبو يعلى (۴: ۴۵۹، برقم ۲۵۸۶). (۳) رواه أحمد فى «المسند» (۱: ۱۰۳ برقم ۸۰۸)، و أخرجه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (۱: ۱۶۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۸ و رووا عن الفضل بن غانم عن سوار بن مصعب عن عطيّة العوفىّ عن أبى سعيد الخدرى عن أمّ سلمة قالت: «كانت ليلتى، و كان النّبىّ/ صلّى اللّه عليه عندى فأتته فاطمة و معها علىّ، فقال له النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: يا علىّ أنت و أصحابك فى الجنّة، أنت و شيعتك فى الجنّة، ألا ـ إنّ ممّن يزعم أنّه يحبك لأقوام يظهرون الإسلام، ثم يلفظونه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لهم نبز يقال

لهم الرّافضة فجاهدهم فإنّهم مشركون، قال: يا رسول اللّه ما العلامة فيهم، قال: لا يشهدون جمعة و لا جماعة و يطعنون على السّلف الأول». فإن قالوا: جميع هذه الأخبار و ما رويتموه من تفضيل عليّ و ولده لأبى بكر و عمر، و جميل القول فيهما، و ما رويتموه من قول عليّ فى أبى بكر: «رحمة اللّه على أبى بكر كان أوّل من جمع القرآن بين اللوحين»، و قوله فى جمع عثمان لمصحفه: «و لو ولّيت مثل الذى ولى، لصنعت مثل الذى صنع»، و قوله: «إياكم و الغلوّ فى عثمان و قولكم حرّاق المصاحف» إلى آخر الخبر، و جميع ما يروونه عن الرّسول عليه السّلام من فضائل أبى بكر و عمر و عثمان و غيرهما من أعداء أهل البيت، أخبار مفتعلة متكذّبة لا أصل لها، و إنّما هى من وضع أبى هريرة و شيعة معاويّة، و أكلة المضائر و أتباع المروانية، و تكذّب الحنابلة و البربهارية «۱»، و لا يجب القول بشىء منها و لا العمل به، و أخبارنا التى رويناها فى نقصان أئمّتكم من القرآن و غير ذلك من الأخبار عن ظلمهم و تجبّرهم و سوء الثّناء عليهم مروىّ عن العترة و الصّفوة و القدوة من أهل البيت، يوجب العمل على روايتنا دون روايتكم لأنّكم

(۱) أسماء فرق ضالة من الروافض

اندثرت و اندرست و ما عاد لها ذكر حتى فى تاريخ الأمم الدارسة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۰۹ تردّون أخبار أهل البيت، و تقبلون رواية معمر و الزهرىّ و ابن المسيّب و مالك و سفيان و أمثال من ذكرنا. قيل له: هذا الكلام قد ألّف منكم و عرف به قصدكم و الوقت الذى تحتاجون إليه، لأنّكم إنّما توردون ذلك عند ضيق الأمر بكم، و بلوغكم المساقط و حين تعلمون أنّه لا حيلة و لا مهرب إلّا إلى التشنيع و الشغب و الإلباس بهذا الكلام على من ليس من العلم و أهله بسبيل، فأوّل ما نقول لكم فيما تعاطيتم به إثبات أخباركم و دفع ما رويناه لكم: أنّ جميع ما رويناه فى هذه الفصول، و فى أقوال عليّ عليه السّلام، و جميع من ترون إمامته و عصمته من أهل البيت بصحّة القرآن و سلامة هذا المصحف من التحريف و الزّيادة و النّقصان ظاهر منتشر بين أصحاب الحديث و أهل الآثار لا يمكن أحد دفعه، و ظهوره بينهم و كثرة رواته، و صحّة سنده و ثبت رجاله، و أنّه من أكثر شىء تروونه، و أنّ علمهم بذلك و شهرته عن عليّ و عترته كشهرة جميع ما شهر من مذاهب عليّ و أقواله، فلا سبيل إلى جحد ذلك بالقدح فى مذاهب رواة هذه الأخبار، و الطعن على دينهم و أمانتهم فقط بغير حجّة. و أمّا قولكم إنّ هذه الأخبار من وضع أبى هريرة و شيعة معاوية و بنى مروان، فإنّها دعوى فارغة لا حجّة معها، و هى بمثابة قول من قال لكم: إنّ جميع أخباركم و الفضائل التى تروونها، و كلّما تذكرونه فى نقصان القرآن إنّما هو فى الأصل من وضع الأشتر النخعىّ، و حجر بن عدىّ، و عمرو بن الحمق، و كنانة بن بشر التجيبى، و الغافى، و حكم بن جبلة العبسىّ، و عبد اللّه بن سبأ، و سودان بن حمران المصرىّ، و المختار بن أبى عبيد، و شيعته، و ابن كيسان و طبقته، و منه ما وضعه هشام بن الحكم و عليّ بن متيم و أبو الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۰ جعفر الأحول، و أصحاب البراء، و القول بالرجعة و أهل الغلوّ، فلا يجب الإحفال بشىء منها، و لا العمل عليها. فإن قالوا: الأشتر و عمرو بن الحمق و الغافقىّ و جميع من ذكرتم من سلف الشّيعة، أجلّ قدرا من أن يحملوا أنفسهم على وضع الكذب. قيل لهم: و كذلك أبو هريرة و أنس بن مالك، و جرير بن عبد اللّه، و النّعمان بن بشير، إلى من هو فوق هؤلاء من عبد اللّه بن مسعود، و أبىّ، و معاذ بن جبل، و سعد و سعيد و أبو عبيدة، و أمثال هذه الطبقة مثل معاوية و عمرو بن العاص و من تبعهم، أجلّ قدرا من أن يحمل أدناهم منزلة نفسه على الكذب و الوضع على الرّسول، و جميع ما تروونه من الفضائل/ إنّما هو غير هذه الطّبقات، فإن لم تغيّروا عندكم من الوضع على الرّسول لم يغيّر من ذلك مالك الأشتر و عبد اللّه بن سبأ، و عمرو بن الحمق، و حكيم بن جبلة، و سائر هذه الطبقة، لأنّها بأسرها دون أبى هريرة، فضلا ممّن هو أفضل منه عمّن يروى أخبارنا عنه. فإن قالوا: فكلّ هؤلاء نواصب و أعداء لأمير المؤمنين، و الكذب غير بعيد منهم. قيل لهم: و جميع من ذكرناه لكم روافض و خصماء لأبى بكر و عمر و عثمان و غيرهم، و هم غير مرضيين و لا متبرئين من وضع الكذب على الرسول، ثمّ على عليّ فى ذمّ السّلف و الطّعن على مصحف عثمان و غير ذلك و لا فصل به. فإن قالوا: بينكم و بين السّلف من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه خلق من الحشود العامّة يمكن تكذّبهم و لا يمتنع الوضع عليهم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۱ قيل: و كذلك بينكم و بين أئمّتكم و العترة التى ذكرتم خلق من العامّة لا يبعد تكذّبهم و وضعهم، و لا يمتنع ذلك عليهم، و لا جواب عن هذا أبدا. ثم

يقال لهم: أنتم لم تلقوا عليّا و لا أحدا من العترة و الأئمّة من ولده، و إنّما تروون أخباركم هذه عمّن يرويها لكم عن الأئمّة، و الوسائط عندكم غير معصومين من الكذب و البهتان و الافتعال و الغلط و النّسيان، فما أنكرتم أن تكون أخباركم هذه كذبا على عليّ و الأئمّة من ولده، و أن يكون من وضع الدّعاة و الأبواب و الوسائط، فلا يجدون إلى دفع ذلك سبيلا. فأمّا قولكم: إنّا لا نقبل خبر الصّادق و الباقر و الرّضا و أمثالهم، و نقبل خبر الزّهريّ و سعيد بن المسيّب و مالک و سفيان و من جرى مجراهم، فإنّه بهت منكم و كذب على خصومكم بل من ديننا تصديق جميع ما ذكرتم من أهل البيت و من هو دونهم و العمل على خبره، إذا سمع منهم أو صحّ و ثبت عنهم، و إنّما نردّ أخباركم الباطلة عندنا عنهم لعلمنا بتكذيب الوسائط عنكم بينهم و وضعهم عليهم الكذب و البهتان، و إنّ طريقكم إليهم قبيح وعر مظلم، فنحن إنّما نكذبكم أنتم تارة و نكذّب أخرى القوم الذين بينكم و بين هؤلاء الأئمة،/ فأمّا هم عليهم السّلام فأئمّتنا و سادتنا، و من أخذ علينا حجّتهم و موالاتهم و التّقرّب إلى اللّه سبحانه فى إعظامهم و إجلالهم و حسن الثّناء عليهم، فكيف نكذّب قوما هذا قدرهم عندنا و فى أنفسنا. فأمّا تقريعكم لنا بقولنا الأخبار عن الزهريّ و معمر و سعيد بن المسيّب و مالک و سفيان و من جزى مجراهم، فإنّه أيضا جهل منكم، لأنّ هؤلاء أعلام و أئمّة فى حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و الحفظ له و الإحاطة به، و نفى الكذب عنه، و لكلّ رجل منهم من الفضائل و الأفعال و الأقوال الدالّة على توخّى الصّدق و شدّة التّحرّى فى الحديث و الامتناع من الأخذ عن الضّعفاء الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۲ و من ليس الحديث من شأنه ما يطول تتبعه، و أعجب من هذا كله دعيتكم عن روايات هذه الطّبقة و الرّجوع إلينا مع الظاهر من عدالتها و تشددها و المشهور من أمرها و تعويلكم فى أخذ أديانكم على هشام بن الحكم، و علىّ بن الميثم، و شيطان الطاق، و يونس بن عبد الرحمن القمّى، و السّيد الحميرى، و دعبل بن علىّ الخزاعى، و أبى عيسى الورّاق، و ابن الرّاوندى، و انحطاطكم إلى السوسى، و العونى، و الناشى، و أمثال هذه الطبقة، و أخذهم الحديث عن أبى مخنف، و أمثاله من شيوخ أهل الكوفة لا حاجة بنا إلى ذكرهم مع العلم بسوء مذاهبهم و قبح طرائقهم، و ما ظهر منهم مما لا حاجة بنا إلى ذكره، و لو لا أنكم فتحتم هذا الباب لم يكن لذكرنا له وجه، و لكنكم تتروحون إلى هذه التّرّهات عند ضيق العطن و صعوبة المخرج، و لا بدّ من جوابكم عنه و رفع إلباسكم، فلا معنى إذا كان الأمر على ما وصفناه لقولكم لنا فى جميع ما يروونه لكم أنه من وضع أبى هريرة و شيعة بنى مروان، و أنتم أعداء أهل البيت، فإن جوابه ما عرفتم، و أنفع من هذا السكوت عنكم عند لجائكم إلى مثل هذا و الإعراض عن كلامكم فى مجالس التحصيل، و حيث يؤمن اغترار العامة بهذه الشّنعة التى لا محصول لها و لا يحسن لمن له أدنى/ مسكة فى العلم الاعتصام بها و الاستناد إليها، نعوذ باللّه من التمادى فى الأباطيل و التعلّق بالأضاليل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۳

دليل لهم آخر فى تغيير المصحف و إفساد نظم القرآن و وقوع الغلط و التّحريف فيه

دليل لهم آخر فى تغيير المصحف و إفساد نظم القرآن و وقوع الغلط و التّحريف فيه قالوا: و ممّا يدلّ على تغيير القوم للقرآن و إفسادهم تأليفه و نظمه و جهلهم بترتيبه و تصدّى بعضهم إلى الإفساد و العناد فى ذلک، اتفاقنا جميعا على أنّ القرآن نزل مرتّبا و مكّيا أولا ثمّ مدنيّا، و إنّ النّاسخ منه نزل بعد المنسوخ، و المنسوخ فى الرّتبة و التنزيل قبله، و إنّ القرآن أولا نزل لم ينزل قبله شىء منه، و إذا ختم به لم ينزل بعده شىء منه، و إنّ أبا بكر و عمر و عثمان و من اتّفق معهم على تأليف القرآن خلطوا فى هذا الباب فقدّموا المدنىّ على المكىّ فى التأليف، و اللّه تعالى قد رتّبه بعده، و جعلوا النّاسخ باتفاق فى كثير من المواضع قبل المنسوخ به، و اللّه سبحانه قد أخبره عنه و أنزله بعده، و لم يبتدءوا فى المصحف بما ابتدأ اللّه سبحانه بإنزاله و لا جعلوا آخره ما ختمه به، و قد كان من حقّهم و الواجب عليهم أن يرتّبوه كما رتّبه تعالى فى التنزيل و التقديم و التأخير، و لمّا لم يفعلوا ذلک دلّ ما صنعوه على جهلهم بتأليفه أو قصدهم إلى التخليط و العناد بإفساده و تأخير ما قدّمه اللّه و تقديم ما أخّره. فيقال لهم: أمّا قولكم إنّ اللّه تعالى أنزل المكىّ قبل المدنىّ (و المنسوخ قبل الناسخ) «۱»، و أنزل من القرآن أولا لا شىء قبله و أخّر منه لا شىء بعده فصحيح لا خلاف فيه بيننا و بينكم، و أمّا قولكم إنّه سبحانه و رسوله صلّى اللّه عليه كذلک رتّباه فى النّظم و التأليف فدعوى مجردة تعلمون يقينا أنّنا و جميع

(____ ١) فى الأصـل: (و الناســخ قبل المنسوخ)، و الصواب ما أثبتناه. اه. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۵۱۴ فرق الأمّة و معظم الشّيعة المخالفين لكم فى هذا الباب و المقرّين معنا بسلامة هـذا المصـحف من التحريـف و التغيير و النّقصـان نخـالفكم فيهـا، و ننسبكم نحن و جميع من وافقكم إلى الكـذب فى ادّعائها، فما الدليل إذا كان ذلك كذلك على صحّة قولكم إنّ اللّه تعالى/ و رسوله رتّباه و ألّفاه على سبيل ما أنزل عليه فى التقديم و التأخير، و خبّرونا عنكم باضـطرار «١» تعلمون صـحّة هذه الدعوى أم بحجّة و دليل؟. فإن قالوا: باضـطرار، عرفنا ذلك، عارضناكم بأنّنا مضـطرون إلى العلم بأنّ الأمر على خلاف ما ادّعيتموه، و أنّهم يكذبون فى هذه الدعوى، و أنّ اللّه تعالى أمر بتأليف القرآن و نظمه إذ ذاك على ما جمعه أبو بكر و عثمان و جماعـة الأمّـة، و هذه الدعوى أحقّ و أولى لأنّ نقل الكافّة وارد بها و ناطق بصـحّتها و دعواهم فارغة لا حجّة معها و لا فصل فى ذلك. فإن قالوا: إنّما علمنا أنّ اللّه سبحانه ألّف القرآن على حسب ما نزّل و قدّمه فى التنزيل و أخّره بنقل من قال بهذا المذهب من الشّيعة عن الأئمّة عليهم السّلام. قيل لهم: قد مضى جواب هذا فيما سلف بما يغنى عن إعادته، و جملته أنّنا لا نعلم صـحّة هـذا النّقل بل نعتقد بطلانه و نعرف بحرص ناقله، فإن كنتم تعلمون صدق من نقل ذلكم إليكم من الشّـيعة ضـرورة، فلسـنا نضـطر إلى ذلك، و إن كنتم تعلمون صدقهم بدليل فما الدليل عليه. فإن قالوا: الدليل على ذلك كثرة نقلة هذا الخبر من الشّيعة و امتناع الكـذب عليهم (____. ١) ورد فى الأصل فى هـذا الموضع لفظـة (أن). الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۵۱۵ قيـل: لو كـان الأمر على ما ذكرتم، و كان أوّل خبرهم كآخره و وسـطه كطرفيه لوجبت الضـرورة إلى صـدقهم، و إذا لم يكن ذلك كـذلك بطلت أيضا هذه الدّعوى، ثمّ يقال لهم: فقد نقل سائر من خـالفكم من جميع فرق الأمّـة و الـدّهماء من الشّـيعة خاصـة، أنّ اللّه تعالى و رسوله ألقى القرآن على ما هو عليه فى مصـحفنا و رتّباه كذلك، و فرق منهم أكثر منكم عددا و أصحّ سـندا و أثبت رجالا و أوثق و أعدل من سائر من تروونه عنه، بل مخالفوكم الشّيعة فقط فى هـذا المـذهب أكثر عـددا منكم و أوثق و أقرب إلى الحقّ منكم و أشـدّ أنفة من احتمال عار الكذب و البهتان من سائركم، فيجب إذا كان ذلك كـذلك تصـديق جميع مخالفيكم فى نقلهم لتأليف القرآن و نظمه على ما هو به عن الرّسول، و لا جواب/ عن ذلك. و إن هم قالوا: لسـنا نستدل على أنّ اللّه جلّ و عزّ رتّب المكىّ قبل المدنىّ، و المنسوخ قبل الناسخ، و الأول منه قبل آخره بالرواية و نقل الشّـيعة أو غيرهم إذا تعلّقنـا بهـذه الطّريقـة، بـل إنّمـا نسـتدلّ على ذلك بأنّ اللّه سبحانه لمّا أنزل المكىّ قبل المـدنىّ، و المنسوخ قبل الناسـخ، و الأـول منه قبل آخرة، وجب أن يرتّبه اللّه تعالى فى التأليف و الجمع على ما أنزله عليه، و أن يأمرهم بتقـديم ما تقـدّم إنزاله فى الرّسم، و تأخير ما أخّر إنزاله عن المقـدّم. قيل لهم: هذا أيضا هو نفس دعواكم، فما الحجّة عليها و ما الدليل على صـحّتها، فإنّنا قد علمنا أنّ اللّه سبحانه أنزل المكىّ قبل المدنىّ (و الناسخ قبل المنسوخ) «١» و لسنا نعلم مع ذلك أنّه يجب أن يرتّبه فى الرّسم و التّلاوة على مـــا أنزلـــه، فمـــا وجـــه الـــدّليل بمـــا وصـــفتم، خبّرونـــا أ باضـــطرار تعلمـــون وجـــوب (____ ١) كـذا فى الأصـل، و الصـواب و المنسوخ قبل الناسـخ. اه. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۵۱۶ تـأليف اللّه سبحانه له و جمعه إيّاه فى الرّسم و التّلاوة على حسب ما أنزله عليه أم بـدليل. فإن قالوا: باضـطرار تعلم وجوب جمعه و تأليفه على وجه نزوله، بهتوا، و قيل لهم: نحن نعلم باضـطرار كذبكم فى هذه الدعوى و أنّه لا يجب ما وصـفتم. و إن قالوا: بدليل علمنا ذلك، قيل لهم: و ما هو، و قد كان يجب أن تذكروه مع ذكر تنزيله إذ كان مجرد التنزيل لا يـدلّ على وجوب الترتيب. فإن قالوا: الدليل على ذلك أنّ اللّه جلّ و عزّ لم يقدّم ذكر بعضه على بعض فى التنزيل إلّا لاستصـلاح عباده بذلك، و علمه بكونه لطفا لهم و أدعى الأمور إلى صـلاح دينهم و دنياهم، و إذا كان ذلك كذلك وجب أيضا أن يكون أصلح الأـمور لهم بتقـديم مـا أنزل أوّلا فى الرّسم و التّأليف و التّلاوة على ما أنزل أخيرا. يقال لهم: أنتم تعلمون أنّكم تخالفون فى وجوب فعل اللّطف و الأصلح على اللّه سبحانه، و أنّنا و سائر أهل الحقّ ننكر أن يكون اللّه سبحانه أنزل كتابه أو فعل شيئا أو يفعل شيئا فى المسـتقبل لعلّـة من العلل و سـبب من الأسـباب هو الاستصـلاح أو/ غيره، فلو ضايقناكم فى هذا الباب لاشـتدّ الأمر بكم و طال

تعبكم و احتجتم إلى الخروج عن الكلام فى نظم القرآن إلى الكلام فى الأصلح و التعديل و التجويز، غير أنّنا نسلّم ذلك لكم قودا و نظرا، و نبيّن لكم أنّه لا يجب مع ذلك ما ادّعيتم. و يقال لهم: قد سلّمنا لكم أنّ اللّه تعالى ما أنزله مقدّما و مؤخّرا إلّا لعلمه بتعلّق صلاح عباده بإنزاله كذلك، فلم زعمتم أيضا أنّه لا بدّ أن يعلم أنّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۷ مصلحة عباده متعلقة بتأليفه و نظمه فى الرّسم و التّلاوة على حسب ما أنزله، و ما الحجّة فى ذلك، و باضطرار تعلمون أنّ المصلحة إذا تعلّقت بإبراء له كذلك وجب أن يتعلّق بنظمه و تأليفه كذلك أم بدليل. فإن قالوا: باضطرار، ظهر أمرهم و بان بهتهم و عجزهم. و إن قالوا: بدليل، سألناهم عنه، و لن يجدوا إلى ذكر شىء سبيلا، لأنّ ذلك ليس من موجبات العقول، و إنّما هو بحسب ما نعلم من تعلّق مصالح المكلّفين. ثم يقال لهم: ما المانع من أن يكون اللّه سبحانه قد علم أنّ مصلحة عباده متعلقة بتقديم بعض المدنىّ على المكىّ أو جمعه فى الرّسم و التّأليف و التّلاوة، و تقديم التّأليف النّاسخ كلّه قبل المنسوخ أو بعضه، و أنّ نظمه و تأليفه على غير هذا الوجه، و أخذهم بتلاوته كذلك مفسدة لهم و لطف فى عصيانهم و خلافهم و عدولهم عن الحقّ و العمل به و التّصديق لمورده، فإن حاولوا ذكر حجّة فى هذا الباب، لم يجدوها، و إن مرّوا على إجازة ما سألناهم عنه أبطلوا دليلهم بطلانا ظاهرا. و إن قالوا: إذا علم أنّ تلاوتهم لما أنزله أوّلا حين أنزله كانت أصلح لهم فى الوقت من تلاوة ما أخّر إنزاله عنه، وجب أن يعلم أنّ هذا حالهم فى تلاوته فى سائر الأوقات. قيل لهم: هذه نفس دعواكم و فيها اختصمنا، فما الدليل على صحتها، و ما المانع من أن يعلم اللّه سبحانه أنّ تلاوتهم للنّاسخ و المنسوخ و المكىّ حين أنزله أصلح من تلاوتهم النّاسخ فى ذلك الوقت، و أن يعلم أنّ تلاوتهم فى غير ذلك الوقت، و فى جميع/ ما بعده من الأوقات للنّاسخ قبل المنسوخ و المدنىّ قبل المكىّ من أصلح الأمور لهم، فهل تجدون إلى دفع هذا سبيلا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۸ و إن هم قالوا: إنّما وجب أن يكون تأليف المنسوخ قبل النّاسخ، و المكىّ قبل المدنىّ، لأنّه لو لم يفعل ذلك لظنّ سامع المدنىّ قبل المكىّ، و سامع النّاسخ قبل المنسوخ و المشاهد لهما مكتوبين كذلك أنّهما كذلك رتّبا فى التنزيل، و أنّ اعتقاد هذا جهل، و اللّه تعالى لا يفعل ما يدعوا إلى فعل الجهل، و يكون شبهة فى جواز اعتقاده. يقال لهم: و لم قلتم إنّ سامعه مفردا كذلك ورائيه مكتوبا كذلك يجب أن يعتقد أنّه كذلك إنزاله قبل أن يسأل عن وقت التّنزيل، و يعرف التّاريخ، بل ما أنكرتم أن يكون الواجب عليه فى الجملة إذا عرف أنّ إحدى الآيتين منسوخة و الأخرى ناسخة أن يعلم أنّ النّاسخ نزل بعد المنسوخ و أن ترتيب تلاوته بعده، لأنّ ذلك مما لا شبهة فيه على عاقل، و لن يجوز فى المكىّ و المدنىّ إذا سمع المدنىّ قبل المكىّ و لم يعرف أيّهما المكىّ من المدنىّ أنّ هذا أنزل أوّلا بدل الآخر، و أن يكون الآخر قدّم عليه، لأنّ ذلك غير مستحيل فى العقل و إن رتّب فى التّلاوة على ما هو به، فلم قلتم إنّ الواجب التّسرّع إلى اعتقاد تنزيله على حسب تلاوته، و تأليفه. فإن قالوا: لسنا نقول إنّ ذلك واجب على العقلاء إذا سمعوه، و لكنه ممّا يجوز أن يظهر و يتوهّم فيجب نفى هذا الظنّ. يقال لهم: و لم إذا علم تعالى جواز توهّم هذا ممن قلّ ضبطه و تحصيله أن لا يؤلّفه و يجمعه كذلك إذا علم أنّ مصلحة عباده متعلقة بنظمه كذلك، و ما أنكرتم من أنّه لا يجوز ما وصفتم إنزال شىء من المحتمل المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلّا اللّه و الرّاسخون فى العلم، لأنّه قد يظنّ ظانّ أنّ المراد به غير ما قصده اللّه و أراده، فيجهل بذلك و يعتقد فيه غير معناه، و قد قال اللّه تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ [آل عمران: ۷]، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۱۹ فيجب على اعتلالكم أن لا ينزّل/ متشابها و مجملا و محتملا، و قوله: يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ [فاطر: ۸]، و قوله: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ [الأعراف: ۱۷۹]، و قوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (۲۲) إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ [القيامة: ۲۲- ۲۳]، و قوله: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ [الصافات: ۹۶]، و قوله: وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا [عبس: ۳۱]، و أمثال هذا قد تعلّق به عندكم المبطلون، و احتجّ بكثير منه الملحدون، فإن مرّوا على ذلك جحدوا التنزيل، و دفعوا قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ [آل عمران: ۷]، و كفينا بالتّسرع إلى ركوب هذا مئونة كلامهم، و إن أجازوه مع علم اللّه سبحانه بأنّه سيفسد و يضل عند ذلك الملحدين فى آياته تركوا اعتلالهم، فليس مع العلم بذلك بطريق لأهل الزّيغ و الجهل إلى التّعلّق بالمتشابه و اعتقاد غير مراده به، و إذا كان ذلك كذلك تركوا أيضا اعتلالهم تركا ظاهرا. و إن قالوا: قد نصّب اللّه و أوضح الأدلّة على مراده بالمجمل و المتشابه المحتمل، فلم يضر إنزاله كذلك. قيل لهم: و كذلك

قد نصّب اللّه و أوضح الأدلّة، و بيّن البراهين على تقديم ما قدّمه فى التنزيل، و تأخير ما أخّره، و حفظه على العباد ذلك بنقل من نقله، و حفظ من حفظه و ضبطه و عمل المكىّ و المدنىّ و النّاسخ و المنسوخ، و ذكر أوقاته و أسبابه و أيّامه و ساعاته و أجهد نفسه فى ذلك، و لم يخلّ بشىء منه، فلم يضرّ مع ذلك تقديم المدنىّ على المكىّ، و النّاسخ على المنسوخ فى الرسم و التّأليف و التّلاوة، و هذا ممّا لا جواب لهم عنه. و يقال لهم أيضا: و ما قدر المآثم و العصيان فى اعتقاد إنزال اللّه المدنىّ على المكىّ إذا صدّق المرء بجميعه و آمن به، حتى لا يجوز أن يفعل اللّه سبحانه ما يكون شبهة فى هذا الباب، و هو قد أنزل المتشابه الذى يعلم أنّه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۰ يضلّ عند إنزاله الزائغون، و يتعلق به الملحدون لو لا النّقص و إيثار العنت، و من احتجّ بهذا الاحتجاج من اليهود و النّصارى فى تخليط الرّسول فى كتابنا الذى ادّعى إنزاله عليه من قبل اللّه سبحانه، و أنّه لمّا لم يفتتح رسمه و تلاوته بأول ما ادّعى أنّ اللّه/ سبحانه أنزله، علم أنّه ليس من عند اللّه، كان الجواب له ما أجبنا الرّافضة به، فإنّه بأسره كأسره لتوهّمهم. ثم يقال لهم: لو كان ما قلتموه واجبا، لوجب الحكم بتخليط موسى و عيسى فى دعواهما نزول التّوراة و الإنجيل عليهما، و تخليط قومهما أيضا، لأنّ النّصارى متفقون على أنّه ليس أوّل المرسوم فى الإنجيل هو أوّل ما أنزله اللّه تعالى منه، و أكثر الأناجيل التى معهم أوّلها ليس من كلام اللّه جملة، و إنّما هى كلام عيسى، و وصف نفسه و سيرته، و ذكر تلامذته و دعوته، و أول التّوراة عند اليهود فى التّلاوة و الرّسم هو غير ما أنزل على موسى أولا و خوطب به، لأنّ أوّل ما أنزل عليه و هو عندهم فى التوراة: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً [طه: ۱۲]، و ليس هذا أوّل التوراة فوجب بذلك القدح فى كتابهم، و إن لم يجب هذا سقط ما تعلّقوا به، و هم أوّل من سبق إلى الاحتجاج فى الطّعن على القرآن بهذا الضّرب، فظنّ بعض الرّافضة أنّه حجّة فيما قال أو شبهة ينال بها باطلا و أنّى لهم بذلك. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۱

دليل لهم آخر على تغيير المصحف و نقصان القرآن، و تحريف السّلف له

دليل لهم آخر على تغيير المصحف و نقصان القرآن، و تحريف السّلف له و استدلّوا على ذلك بأن قالوا: وجدنا فيه كتابة لا معنى لها، و لا يجوز أن يستعملها إلّا من يخاف المداراة أو يحتاج إلى التّورية و المداجاة، و اللّه تعالى يجلّ عن ذلك، و قد وجدنا فى المصحف: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا [الفرقان: ۲۸]، قالوا: و هذا لا معنى له، و لا وجد من ربّ العالمين، و قد روّينا عن الأئمّة و السّلف من شيعة أمير المؤمنين عليه السّلام: أنّ فلانا هذا الذى كنّا القوم عن ذكره، كان رجلا معيّنا مسمّى فى نفس التنزيل باسمه المشهور، فحذف القوم ذكره، و اتّبعهم النّواصب على ذلك و جعلوا مكانه فلانا، قالوا: و كان هذا الرّجل عمر بن الخطاب، قالوا و قوله: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ [الفرقان: ۲۷]، قالوا: يعنى أبا بكر يقول: يا ليتنى لم أتّخذ فلانا خليلا، يعنى عمر، و إنّما قال: ليتنى لم أتخذ عمر خليلا/ لقد أضلّنى عن الذّكر بعد إذ جاءنى، يعنى أنّ عمر أضلّه عن اتّباع علىّ و تسليم الأمر إليه، و الانقياد له فندم،- زعموا- على أن لم يؤمن بالرّسول و لم يتّخذ معه سبيل هدى و حقّ، و تندّم على اتّخاذه عمر خليلا، و طاعته فى غصب علىّ الأمر، قالوا: و إلا فلا معنى للكتابة ممن لا يخاف الاستضرار و لا يتّقى شرّ العباد. فيقال لهم: ليس العجب ممّن يضع منكم هذه التّرهات و الخرافات إذا كان إنّما يضعها على علم منه بتكذيبه و تجاهله، إمّا لكونه ملحدا خليعا متلاعبا بالدّين و قاصدا بما يصنعه من ذلك الغضّ من سلف المسلمين، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۲ و القدح فى الدّين و فى رسول ربّ العالمين المختصّ بأبى بكر و عمر و المادح لهما و المحسن للثّناء عليهما، أو متكسّب متأكّل بما يظهره من ذلك مع خلوّ قلبه من اعتقاده و خوف سخط اللّه تعالى و تعجيل العقاب و النكال له بما يصنعه و يفتريه، و إنّما العجب من العامّة و الرّعاع منكم الّذين يتسرّعون إلى تصديق هذا التّأويل و يقدمون على البراءة من أبى بكر و عمر لأجله، و فيهم من يفسّر للعامّة كلّ آية نزلت فى الظالمين و المشركين و الفاسقين فى أبى بكر و عمر و جماعة الصّحابة سوى نفر (تستثنونهم) «۱» فيتسرّعون إلى قبول ذلك، و ينصتون إليه إنصات واثق به و ثلج الصّدور بما قيل فيه. و هذا من جنس تفسير من قال: إنّ الخمر و الميسر و الجبت و الطاغوت هما أبو بكر و عمر، و أنّ الصّلاة و الصّيام و الحجّ رجال،

و أنّ الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجال أمرنا بموالاة بعضهم و البراءة من بعضهم، أو أنّهما أسماء أفعال ممدوحة و مذمومة، و أنّ الطّلاق و النّكاح ليس هما الفرقة و العقد، و هل بين هذا التّفسير الذى ارتضوه لأنفسهم و بين تفسير الإسماعيليّة و الغلاة فرق، و هل هم فى ذلك إلّا بمثابة من قال: إنّ محمد بن إسماعيل القائم المنتظر العالم بما ظهر و بطن، قد فسّر الصّلاة المذكورة فى الكتاب بأنّها هى الإمام نفسه، و أنّ/ إقامتها هى لزوم طاعته و الانقياد له، و استدلّ على ذلك بقوله: إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ [العنكبوت: ۴۵]، و الصّلاة- زعموا- لا- تنهى عن الفحشاء، و إنّما الإمام هو الآمر بالمعروف و النّاهى عن المنكر، و أنّ الصّوم إنّما هو الإمساك عن ذكر علم الباطن و إظهاره فقط، فمن فعل ذلك فقد صام، و لا يجب عليه غير ذلك، و أنّ الفطر هو ما أطلع الأساس جميع الأئمّة السّتّة عليه من أولاده من علوم

(۱) فى الأصل: تستثنوهم، و الصواب:

سوى نفر تستثنونهم، كما أثبتناه. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۳ الباطن فقط، و أنّ الزّكاة إنّما هى كناية عن الإقرار بخمسة روحانية و هو: الأساس، و المقيم و هو التّالى، و اللّاحق و اليد و الجناح، الذين عنهم يؤخذ علوم الباطن، و منهم إله، و منهم نبىّ، و منهم إمام، و منهم جناح، و منهم ناطق داع مأذون فى الدّعوة. و أنّ الحجّ إنّما هو علامة على محمد صلّى اللّه عليه و بابه علىّ، و المنازل دليل الدّعاة حالا بعد حال إلى حين الرّجوع إلى العلم، و أنّ الإحرام إنّما هو تحريم النّطق بغير باطن الشّريعة فقط، و أنّ تحريم الطيب و النّساء إنّما هو تحريم النّطق بما عرفه المبيّن له الحق، و إن كان حقّا و طيّبا حتى يأذن له من فوقه فيصير عند ذلك مأذونا له، و أنّ معنى تحريم الصّيد، إنّما هو تحريم دعاء المخالف لحقّهم و قولهم إلا- بعد إذن من الإمام، و أنّ معنى الطواف سبعا، إنّما هو محمد و السّبعة أئمّة من ولده، و أنّ الميقات اسم أساس الدّعوة، و التّلبية إنّما هى اسم إجابة المدعوّ إلى الحقّ بالقبول، و نزع الثّياب خلع ما خالف دينهم، و رفضه فقط، و أنّ الاغتسال المراد به غسل القلب من الدّنس، و أنّ حلق الرأس اسم لرمى ما علن من النّاس، و ظهر من الشرائع و ترك العمل بها فقط، و معنى لبس الثّوبين الجديدين، إنّما هو الإقرار بمحمد و علىّ و النّاطقين و الأسّين. و أنّ الوضوء إنّما هو اسم أخذ العهد على الدّاخل فى دعوتهم فقط، و كلّ من لم يدخل فى العهد لم يكن فى الدّعوة، كما أنّ من لم يتوضأ لم يدخل فى الصّلاة، و أنّ معنى النّكاح المذكور فى كتاب اللّه إنّما هو العهد الذى يأخذه المأذون له فى/ الدّعوة، و أنّ معنى الجماع إنّما هو تعليم الدّاعى للمدعوّ علم الباطن، و أنّ معنى الحمل المذكور فى الكتاب أنّه حفظ علم الباطن و الفهم عن المأذون له، و معنى أنّه لا يحلّ للمرأة أكثر من زوج الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۴ واحد، أنّه لا يحلّ لأحد من المستجيبة أن يأخذ هذا العلم و يتلقّنه إلّا ممّن أخذ عليه العهد فقط، و أنّ معنى الطّلاق أنّه مفارقة من أخذ عليه العهد بما حلف عليه، و إفشاءه السرّ للنّاس و إظهاره، و معنى أنّه لا يحلّ نكاح المطلّقة ثلاثا إلّا بعد زوج ثانى، أنّ مظهر السرّ لا يعلّم، و يلقّن حتى يؤدى ما التمس منه الحجّة ثمّ يؤخذ عليه العهد ثانيا، و أنّ معنى تحريم الزّنا المحرّم فى التنزيل أنّه كلام مأذون له، أعنى لرجل أخذ عليه العهد، و كلّمه مأذون أخر، فالمأذون الثّانى الداخل على الأوّل هو الزانى لكلامه لزوجة المأذون الأوّل، و الزوجة اسم المتعلّم، و معنى الزوج أنّه المعلّم و أنّ علىّ بن أبى طالب كان عندهم زوجة للنبىّ، ثمّ صار لاحقا و إماما، و أنّ معنى اللّواط أنّه كلام المأذون له فى الدّعوة لمن لا يؤنس منه، و إذا فعل ذلك فقد لاط و بطلت نطفته، و أنّ معنى السرقة المحرّمة هو أن يتسمّع متسمّع كلامهم ثم يفشيه و يظهره، و أنّ هذه الشرائع و الأسماء إنّما جعلت دلائل على هذه الحقائق و وسيلة إليها، فإذا عرفها الإنسان سقطت عنه الفرائض و زال عنه التكليف، و صار روحانيا ربّانيا إذا ترقّى فى علم الباطن رتبة بعد رتبة حتى يصير لاحقا و جناحا و يدا بعد أن كان داعيا و مأذونا. و قالت الإسماعيليّة: إنّ الكناية فى قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، و قوله: ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ [الإسراء: ۱۱۰]، و ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً [الأعراف: ۵۵]، و قوله: فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [غافر: ۱۴]، كلّه يدلّ على أنّ اللّه سبحانه ليس هو منزّل القرآن، لأنّ الذى هو عندنا اللّه عزّ و جلّ الواحد القديم، لم ينزّل القرآن عندكم، و لا خلق العالم، و أنّه لم يخلق إلّا الأوّل فقط و هو العقل/ عندهم، و يولد من العقل الرّوحانىّ، و هو الثّانى عندهم و هو الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۵ الخالق للعالم، و منزّل

القرآن، و لو كان الواحد القديم هو منزّل لم يكن للكناية معنى، و لوجب أن يقول بسمى بدل بسم اللّه، و أن يقول ادعونى بدلا من قوله ادعوا اللّه، أو ادعوا الرحمن، و من قوله ادعوا ربّكم، و أن يقول ادعونى بدلا من قوله ادعوا اللّه مخلصين، لأنّه- زعموا- لا وجه و لا معنى للكناية عن نفسه فى هذه المواضع لو كان هو منزّل القرآن، و المتعبّد به إذ كان لا يخاف و لا يذهب و لا يبقى ضرر أحد، و هذا بعينه هو الذى قالته الرّافضة، و عملت عليه فى تأويل قوله: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا [الفرقان: ۲۸]، و أنّه لا معنى للكناية هاهنا بذكر فلان، و كذلك قالت الإسماعيليّة: إنّ جميع هذه الكنايات فى قوله: ادعوا اللّه، و ادعوا ربّكم، و ادعوا اللّه مخلصين، و الحمد للّه، و لم يقل لى و لا لنفسى، دليل على أنّ القرآن من عند الرّوحانىّ الذى أحدث العالم و خلقه، و أنّه ليس من عند البارى القديم، و أنّ هذا الروحانىّ المتولّد عن العقل هو الذى فهّم الرّسول هذا القرآن و صوّره فى قلبه، فاتّحد به، و هو معنى الوحى، و معنى جبريل و الروح الأمين أنّه يصوّر المعانى فى قلب الرّسول بتفهيم الرّوحانىّ له و تصويرها فى قلبه عبّر عنها الرّسول باللّفظ العربىّ و الكلام للرسول، و معانيه المتصوّرة فى قلبه للثانى الروحانىّ المتولّد عن العقل الأوّل الذى خلقه القديم الأزلىّ الذى هو عند المسلمين باعث الرّسل و منزّل الفرائض و الكتب و خالق السموات و الأرض. و لو لا خوف الإطالة و خروج الكلام عن غرض الكتاب، لذكرنا من جنس التفاسير عن الرّافضة و الإسماعيليّة و أشياعهم من الطاعنين على الشّريعة ما فيه أعجوبة للمتأمّلين و أوضح دلالة على تمام نعمة اللّه علينا و على المؤمنين بتوفيقه للتمسّك بالدّين، و لزوم سنن المؤمنين، و العدول/ عن التورّط فى الجهل و الأضاليل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۶ فيقال للرّافضة- لعنهم اللّه-: إن وجب علينا قبول تفسيركم هذه الكناية على ما ذهبتم إليه لاجتهاداتكم إلى ذلك، أو روايتكم له خلف عن سلف عن الأئمّة و العترة من أهل البيت، وجب لمثل ذلك قبول هذه التفاسير بأسرها فى الكناية عن أسماء اللّه، و فى جميع أسماء الشّرائع و العبادات، لأنّهم جميعا يروون ذلك خلف عن سلف عن علىّ عليه السّلام و الأئمّة من ولده، و عن محمد بن إسماعيل قيّم الزمان، و يبدّلون عليه العهود و الأيمان و يكذّبون كلّ من أنكر أن يكون ما قالوا مذهب علىّ عليه السّلام و الأئمّة من ولده، و هو عند كثير من النّاس أحسن و ألطف من تأويلات الإماميّة، فهل بينكم و بينهم فى ذلك من فضل و كلّكم تروون ذلك عن الأئمّة، و اللّه المستعان، و إليه سبحانه الرّغبة فى تعجيل النّكال و الانتقام ممّن حاول إبطال الدّين، و القدح فى التنزيل، و تحريف التأويل، إنّه سميع قريب مجيب. ثم يقال لهم: ليس الأمر على ما ادّعيتموه من أنّ اللّه سبحانه لا يجوز أن يكنّى عن اسم أحد و يعرّض بذكره من غير تصريح، و أنّ ذلك لا يفعله إلّا من يحتاج إلى المداراة و المداجاة، لأنّ استعمال الكناية و التعريض مذهب العرب فى كلامها معروف مشهور، و كذلك يقولون: ربّ إشارة هى أفصح من عبارة، و تعريض أبلغ من تصريح، و قد يقول الرّجل لمن يكذّبه و يخالفه و يباهله عند الردّ عليه، و التكذيب له: إنّ أحدنا لكاذب، و إنّ أحدنا لخائن و جبان، و إنّ أحدنا لجاهل غبىّ، و يقيم هذه الكناية مقام قوله لخصمه و مخالفه: أنت كاذب و جبان و جاهل، و ربّما كان هذا التّعريض أبلغ من التصريح و أبدع و أنكى للقلب و أبلغ فى الردّ، و هو مع ذلك أحسن فى اللّفظ، و أجدر أن ينسب صاحبه إلى الوقارة و العقل و التوصّل إلى غاية غرضه بغير المستهجن من اللّفظ، و قد أطلقه/ اللّه سبحانه و أجازه فى خطبة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۷ النّساء فى عدّتهنّ، فقال تعالى: وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ [البقرة: ۲۳۵]، و حظر سبحانه التّصريح بذلك، و قال أهل العلم: أنّ الكناية عن ذكر التزويج و الخطبة، أن يقول الرّجل للمرأة: إنّ النّساء لمن حاجتى و إنّى فيك لراغب و عليك لحريص، و لعلّ اللّه أن يرزقك بعلا صالحا، و اللّه إنّك لجميلة، و نحو هذا من الكلام. و قد ورد القرآن بالكناية و التعريض فى مواضع على وجوه مختلفة منها قوله: وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ [ص: ۲۱] إلى آخر القصّة، فكنّى عن ذكر الملكين المتسوّرين، و قد كان يجوز أن يذكرهما و يسميهما، و لم يعدل عن ذلك لحاجة إلى مداجاة و خوف من سطوة و مبادأة. و كذلك قوله تعالى: إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ [ص: ۲۳]، فكنّى عن ذكر النّساء بذكر النّعاج، و لم يأمر اللّه سبحانه الملكين بهذه الكناية لخوف سطوة و دفع بليّة، و لو تتبع هذا لكثر و طال. و إذا كان ذلك كذلك، و كان اللّه تعالى قد أراد بقوله: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا، الإخبار عن كلّ من أطمع فى معصيته اللّه، و أراد بذكر الظالم كلّ ظالم و عادل عمّا

وجب عليه، كنّى عنهم بذكر فلان، و لو جعل مكان هذه الكناية تفصيل أسمائهم لطال ذلك و كثر و استهجن و مجّته القلوب و الأسماع، و لخرج بذلك عن مذهب العرب، و طريقة سائر النّاس فى الكلام، لأنّه كان يجب أن يقول: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ فرعون و قارون و هامان، و أبو لهب و أبو جهل بن هشام، و عتبة و شيبة و الوليد، و هذا من الطول و الغثاثة من مستعمله بحيث لا خفاء على أحد به، و هو مع ذلك قاصر للكلام عن تناوله لكل من قصد به من الظالمين و المطاعن فى معصيته اللّه، لأنّه لو سمّى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۸ ألفا أو مائة ألف خرج الكلام بصريح التّشبيه لمن سمّاه عن تناول من تقدّم من الظالمين قبل نزول القرآن و من/ يتأخّر منهم عن وقت نزوله، و يوجد فى المستقبل، و اللّه سبحانه باتّفاق الأمّة إنّما قصد بهذا الكلام تحذير جميع المكلّفين من الظّلم، و من اتّخاذ خليل يطاع فى معصية اللّه جلّ و عزّ، فكانت الكناية عنهم بذكر الظالم الذى هو للجنس إذا لم يكن للعهد، و التعريف عند كثير من النّاس أولى و أجدر، و بذكر فلان عن كل من أطيع فى معصية اللّه أولى من تعديد قوم منهم بأسمائهم و التّصريح بذكرهم على وجه يوجب قصره عليهم فقط، فإذا كان ذلك كذلك بطل ما أصّلتموه. و يمكن أيضا أن يكون اللّه سبحانه إنّما قصر بذلك لفلان و بهذه الكناية قادة أهل الكفر و الشّرك، و أكابر الظّلمة و أئمّة أهل الضّلال و الظلم و العدوان، فكنّى عنهم بذكر فلان، لأنّ العرب تقول: ما جاءك اليوم إلّا فلان بن فلان، يعنون بذلك الأكابر و الأماثل المعروفين و المشهورين من النّاس، و الشاعر يقول: أمسك فلان عن قيل، يعنى عن فلان يريد فى عظم الأمر و تزايد الشّدة فى الحرب أو فى الخطابة و الكلام و المفاخرة، و ليس يريد بقوله أمسك فلان عن فلان برجلين قط بأعيانهما. و من هذا الباب أيضا قوله: وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً [النبأ: ۴۰]، و إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ۲]، و إنّما أراد به سائر الكفرة و النّاس إلّا من استثناه منهم بصفته، و فى بعض ما ذكرناه دليل على فساد ما ظنّوه فى هذا الباب، و ليس هذا القدح و الاحتجاج من استخراج من قال به الرّافضة، بل هو ما سبق إلى الطّعن و القدح فى القرآن به الملحدون، و قالوا: إنّ الكناية و التعريض إنّما يستعمله الخائف المداجى، و ليس هذه صفة منزلة للّه عند الموحّدين، فظنّت الرّافضة أنّ لهم فى هذا شبهة و متعلّقا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۲۹ ثم يقال لهم: لو سلّم لكم أنّ الكناية لا يستعملها إلّا من ذكرتم حاله من الخائفين، و أنّه يجب فى حكم اللّغة أن يكون فى موضع فلان هذا رجلا مذكورا باسمه و عينه، لم يدلّ ذلك على أنّه يجب أن يكون هو عمر بن الخطاب،/ و أن يكون الظالم هو أبو بكر، و الذّكر هو علىّ بن أبى طالب، و لم تكونوا بتأويلكم هذا أولى ممّن تأوّله من الخوارج فى ضدّ تأويلكم، و زعم أنّ فلانا هذا هو مالك الأشتر، و أن الذّكر الذى ضلّ عنه هو عبد اللّه ابن وهب الراسبى، أو يزيد بن حصين الفزارىّ، و أنّ الظالم هو محارب هؤلاء القوم، و عمل لذلك إسنادا و طرقا من الحديث عن عمران بن حطان و قطرىّ بن الفجاءة و أبى مالك الخارجىّ و غيرهم من أئمّة الضّلال، و ادّعى صحّة نقله لما نقله و حصول العلم به، و لو خفتم مجاهرة مناظركم على ما توردونه من هذه الجهالات بمثل هذه المقابلة لقلّة دعاويكم و قصرت ألسنتكم، و قلّ تبسّطكم فى شتم الصّحابة، و قذفهم بكلّ كفر و ضلال، و لكنكم لمّا عرفتم من حالنا إعظام أمير المؤمنين، و اعتقاد موالاته، و قولنا بفضله، و تبرينا من كل من نقصّه و غضّ باليسير من قدره و تضليلنا له، و أنّنا لا نستحلّ و نستجيز مقابلتكم بوصف أمير المؤمنين علىّ بغير صفته، و إضافة نقيصة أو تقصير أو تبسّطكم و عظم إقدامكم، و صرنا و إياكم كمسلم يناظر يهوديا أو نصرانيا يتناول محمدا صلّى اللّه عليه، و يغضّ من قدره و يقدح فى رسالته، و المسلم مبتلا به محوج إلى حلّ شبهته و تعظيم موسى و عيسى عليهما السّلام، و الإذعان له بفضلهما، و ليس ذلك بتقوية لحجّة اليهودىّ و النّصرانى، و لا بموهن لحجاج المسلم و دليله، و لكنّه من شبّه جهال اليهود و النّصارى و عامّتهم إذا سمعوا اليهودىّ يقول: للمسلم أنت قد أقررت بنبوّة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۰ موسى و عظم قدره و جلالة محلّه، و أنا منكر لنبوّة محمد صلّى اللّه عليه و ما تدّعيه من شرف موضعه، و كذلك سبيل عامّتكم فى الاغترار بكم إذا قلتم عند ضيق الخناق و خلق البطان: قد أقررتم لنا بفضل علىّ و إمامته، و أنكرنا نحن فضل أبى بكر و عمر و برئنا منهما و جحدنا إمامتهما و إسلامهما، و نحن نعوذ باللّه من التعلّق/ بمثل هذه الأباطيل و التعاليل. و اعلموا رحمكم اللّه أنّ أهل التّفسير قد فسّروا هذه الآية، و ذكروا فلانا هذا الذى جعلت الكناية عن ذكره عامّة متناولة لجميع من أطيع فى معصية اللّه بما يزيل الرّيب و الشّكّ، فقال عبد اللّه بن

العباس: إنّ سبب هذه الآیة أنّ عقبة بن أبی معیط صنع طعاما، و دعا إلیه أشراف أهل مکّة و کان النّبیّ صلّی اللّه علیه فیهم فامتنع من أن یطعم أو یشهد عقبة بشهادة الحقّ ففعل، فأتاه أبیّ بن خلف الجمحیّ، و کان خلیله و صفیّه فقال له: أصبأت، فقال: لا، و لکن دخل علیّ رجل من قریش فاستحییت أن یخرج من بیتی و لم یطعم، فقال: ما کنت لأرضی حتی تبصق فی وجهه و تفعل و تفعل، ففعل عقبة ذلک، فأنزل اللّه سبحانه هذه الآیة عامّة فی الظالمین بمثل ذلک الظلم، و فی جمیع من أطیع فی معصیة اللّه، و سبب نزولها هذان الرّجلان، هذا مما علیه جماعة أهل التّفسیر «۱»، و إن اختلفوا فی لفظ قصّتهما و سیاقهما، فالعدول بها إلی أبی بکر و عمر من القحة و الغثاثة، و ادّعاء إبطال الخطاب بالکنایة و نقصان اسم الرّجل من کتاب اللّه و تغییره جهل و فرط غباوة، و لو لا تعلّقهم بمثل هذا و خوف ظنّ الجهّال لصحّته و خشیة اغترارهم به لکان من الواجب ترکه و تنزیه الکتاب عن ذکره و الحشو به. اه. (______________________________ ۱) انظر «تفسیر ابن کثیر» (۳: ۳۱۸)، «تفسیر الطبری» (۱۹: ۷)، «تفسیر القرطبی» (۹: ۱۵۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۱

باب الکلام علیهم فیما طعنوا علی القرآن و نحلوه من اللّحن

اشارة

باب الکلام علیهم فیما طعنوا علی القرآن و نحلوه من اللّحن قالوا: و یدلّ أیضا علی تغییر أبی بکر و عمر و عثمان للمصحف و تحریفهم له، و غلطهم فیه و لحوق الخلل و الفساد به، ما نجده فیه من اللّحن الفاحش الذی لا یسوغ مثله، و لا یجوز علی اللّه سبحانه، و لا علی رسوله التکلّم به، و الأمر بحفظه و تبقیة رسمه و دعوی الإحکام و الإعجاز فیه، نحو قوله: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ [طه: ۶۳]، و هو موضع نصب، و قوله: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ [المائدة: ۶۹]، و هو موضع نصب لا إشکال/ فیه علی أحد، و قوله: لکِنِ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ یُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّکاةَ [النساء: ۱۶۲]، و موضع المقیمین رفع واجب فی هذا الموضع وجوبا ظاهرا بیّنا، و قوله: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ [البقرة: ۱۷۷]، و هو الصّابرون بغیر اختلاف بین أهل الأعراب، و قوله فی المنافقین: فَأَصَّدَّقَ وَ أَکُنْ مِنَ الصَّالِحِینَ [المنافقون: ۱۰]، و هو موضع نصب، و هو فی المصحف مجزوم. قالوا: و قد ثبت و علم أنّ اللّه سبحانه لا یجوز أن یتکلّم باللّحن و لا ینزّل القرآن ملحونا، و أنّ ذلک إنّما هو تخلیط ممّن جمع القرآن و کتب المصحف، و تحریفهم إمّا للجهل بذلک و ذهابهم عن معرفة الوجه الذی أنزل علیه، أو لقصد العناد و الإلباس و إفساد کتاب اللّه و إیقاع التّخلیط فیه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۲ قالوا: و هم إلی هذا الوجه أقرب و هو بفعلهم، و ما أخبروا به عن أنفسهم أشبه، لأنّه قد روی عنهم روایة ظاهرة أنّ فی القرآن لحنا، و أنّ العرب ستقیّمه بألسنتها، و أنّه من غلط الکاتب، و اشتهر ذلک عنهم فی باقی الصّحابة، ثمّ لم یغیّر قائل ذلک و لا سامعه هذا اللّحن و لا أسقطوه، مع القدرة علیه، و التّمکّن منه، فلا وجه لترکهم ذلک إلا قصد العناد و الإلباس و إیقاع التّخلیط و الفساد فی کتاب اللّه تعالی، و قد رویتم أنّ عثمان لمّا نسخ مصحفه و رفع إلیه نظر فیه و قال: «أری فیه لحنا و ستقیمه العرب بألسنتها» «۱»، و رویتم عن هشام بن عروة «۲»: «عن عائشة أنّها قالت: ثلاثة أحرف هی فی کتاب اللّه تعالی خطأ من الکاتب: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ، و: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ فی المائدة، و لکِنِ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ یُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّکاةَ» «۳»، فأیّ عذر للقوم فی إقرارهم هذا اللّحن و ترکه علی حاله، و أیّ مخرج لقائل هذا أو سامعیه إذا لم/ یتسرّعوا إلی تغییره و إنکاره، و أخذ النّاس برسمه علی وجه ما أنزل علیه، فلو لم یدلّ علی جهل القوم و تخلیطهم و إدغالهم للدّین و دخول الخلل و الفساد فی الکتاب، و ذهابهم عن ضبطه و قصد قوم منهم إلی تحریفه سوی ما وصفناه، لکان کافیا لمن تدبّره. (______________________________ ۱) هذا الأثر عن عثمان لم یثبت،

ذكره بصيغة التمريض القرطبى فى «تفسيره» و جعله من كلام المتعسفين المغالين. «تفسير القرطبى» (٢: ٢٤٠). (٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ثقة فقيه ربما دلّس من الخامسة، مات سنة خمس أو ست و أربعين و له سبع و ثمانون سنة. «التقريب» (٢: ٢٦٧). (٣) رواه أبو عبيد فى «فضائل القرآن»، ص ٢٨٧، و أبو داود فى «المصاحف»، ص ٣٤، و أبو عمرو فى «المقنع»، ص ١١٧-١١٩. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٣٣ فيقال لهم: قد جمعتم فى كلامكم هذا بين ضروب من التّخليط: أحدها: ظنّكم لصحّة هذه الرّواية عن عثمان و عائشة و قيام الحجّة بها و وجوب القطع على انّهما قد قالا ذلك، و وجوب طلب المخرج لهما منه، و ليست هذه صفة هذا الخبر عندنا. و الوجه الآخر: توهّمكم أنّ ذلك إن صح عنهما فإنّه لا عذر لهما و لا مخرج من إقرار الخطأ، و ليس الأمر فى ذلك على ما توهّمتم. و الوجه الثالث: قولكم: إنّ القوم جهلوا الصواب، و ذهبوا عنه مع اعترافكم بأنّهم قد عرفوا اللّحن و ذكروه، و هذا جهل منكم و تخليط. و الوجه الرابع: دعواكم أنّ القوم إنّما قصدوا بذلك إيقاع التّخليط و الإلباس فى كتاب اللّه، مع اعترافكم بأنّهم قد نبّهوا على اللّحن، و ذكروه و ذكروا مواضعه، و هذا أيضا تخليط ظاهر. و الوجه الخامس: توهّمكم أنّ هذه المواضع ملحونة لا محالة لا وجه لجوازها فى اللّغة، فليس الأمر فى ذلك على ما تقدّرون، و نحن نتكلّم على فصل فصل ممّا أوردتموه بما يوضّح الحقّ و يكشف تخليطكم و فساد تعلّقكم إن شاء اللّه تعالى. و أوّل ما نقول فى ذلك: أنّكم قد زعمتم أنّ عثمان و عائشة قد اعترفا بأنّ فى كتاب اللّه لحنا و خطأ، و أنّه من غلط الكاتب، و أنّهما أقرّا ذلك و عصيا اللّه بإقراره، و ترك تغييره، و إنكاره، و عصى اللّه أيضا جميع من سمع ذلك من الصّحابة و عرفه فلم ينكره مع ظهور هذا القول فيهم و انتشاره بينهم، و ليس يجوز أن يقطع على تخطئة الصّحابة و تفسيقهم و نسبتهم إلى العصيان بقول يحكى عن بعضهم و يدّعى انتشاره فى/ باقيهم، يوجب ذمّ قائله و سامعه الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٣٤ مع إقراره له بخبر و رواية لم تقم بها الحجّة و لا هى مما علم صحتها بضرورة أو دليل، بل يجب أن لا ينسب إلى أدنى المؤمنين منزلة شيء من ذلك، و لا يقطع به عليه، إلّا بخبر تقوم به الحجّة و يلزم القلوب العلم بثبوته، و بمثل هذا بعينه أبطلنا مطاعن الخوارج على علىّ بروايات تروونها لم تقم الحجّة بها، و لا علم بثبوتها لا حاجة بنا إلى ذكرها، و لو علمنا على إضافة مثل هذا إلى عثمان و عائشة و القطع عليهما به و ذمّهما لأجله بخبر الواحد و من جرى مجراه، لوجب ذمّ سائر الصّحابة و قذفهم بالخطإ و العصيان و التّفريط، لأنّه ليس فيهم إلّا من قد روى عنه أمر لم يثبت عليه، و لم تقم حجة به، و لمّا لم يجب ذلك سقط ما تعلقتم به، إذ كنّا لا نعلم بثبوت هذه الرّواية بضرورة و لا بدليل. فأمّا عدم علمنا بصحّتها ضرورة، فأمر لا شبهة علينا و لا عليهم فيه، لأنّ أحدا لا يسوغ له دعوى الضّرورة إلى العلم بصحّة هذه الرّواية، و كيف يسوغ ذلك و هو لو كان ممّا قد ظهر و انتشر و استفاض و بلغ حدّ التّواتر الموجب للعلم القاطع للعذر، لوجب أن نجد أنفسنا مضطرّة إلى العلم به، و غير واجدة للسبيل إلى دفعه، أو الشّكّ فيه، و باضطرار يعلم من أنفسنا أنّه لا علم فينا بصحّة هذه الرّواية، و أنّ لطوارق الرّيب و الشّكوك فيه تسلّطا و سبيلا على قلوبنا كتسلّطه على ذلك فى جميع ما يروى لنا ممّا لم تقم به الحجّة من أخبار الآحاد، و من دفعنا عن ذلك لم يكن عندنا فى حدّ من يجب كلامه و يحسن مناظرته و لا ـ ممن يرجى الانتفاع بمشاجرته، و لم تكن الحيلة فى أمره، إلّا أن يقال له: إنّك تعلم ضرورة أنّ هذا الخبر لا يوجب العلم و لا يقطع العذر، و يعلم ضرورة أنّه متكذّب باطل، و يضطر إلى أنّه لم الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٣٥ يثبت عن عثمان و عائشة، و لم ينتشر فى الصّحابة فإنّه لا فصل له فى شيء من ذلك، و إذا كان هذا هكذا بطلت دعوى الضّرورة إلى صحّة هذه الرّواية. و إن قالوا: بدليل نعلم صحّتها و حجّة دون الضّرورة. قيل لهم: و ما ذلك الدّليل و الحجّة؟ أ هو إجماع الأمّة على تصحيح هذه الرّواية عنهما، أو توقيف اللّه و رسوله على ذلك، أو إيجاب/ العقل لقولهما لذلك، أم أىّ شيء هو، فلا يجدون إلى ذكر شيء سبيلا. فلو كان هذا الخبر سليما ممّا يدلّ على اضطرابه و فساده، و يمكن أن يكون صحيحا عن عثمان و حاله ما وصفناه، لم يجب القطع به و العمل عليه، فكيف و فى نقله من الاضطراب ما يوجب ترك الإصغاء إليه و العمل عليه، و ذلك أنّ هذا الخبر إنّما مداره على قتادة و عنه يروى، و قتادة إنّما أرسله عن عثمان و تارة يرويه عن يحيى بن يعمر «١» و هو لم يسمعه من يحيى بن يعمر، و إنّما سمعه على ما ذكره من قوم من أهل العلم عن نصر بن عاصم الجحدرىّ «٢»، و يحيى بن يعمر يرويه عن رجل مجهول مشكوك فيه غير معروف و

هـو ابـن فطيمـة أو ابـن أبى فطيمـة «۳»، و لـو كـان هـذا الرّجـل مشـهورا معروفـا لمـا وقـع مثـل هـذا الشّـكّ فى أمره. (____ ۱) يحيى بـن يعمر، قاضـى مرو، عن

عائشة و ابن عباس، و عنه سليمان التيمى و إسحاق ابن سويد، ثقة مقرئ مفوّه، أخذ النحو على أبى الأسود و هو أوّل من نقط المصحف. «الكاشف» (۳: ۲۳۹). (۲) نصر بن عاصم الليثى البصرى، ثقة، رمى برأى الخوارج و صح رجوعه عنه، من الثالثة، شارك يحيى بن يعمر فى نقط المصاحف و كان مبرزا فى هذا الفن. «التقريب» (۲: ۳۴۳). (۳) لم أجده فى التّراجم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۶ فروى أبو بكر بن مجاهد «۱» عن أبى أحمد بن محمد بن موسى قال: حدّثنا ابن أبى سعيد قال: حدّثنا سليمان بن خلاد: قال حدثنا شبابة «۲» قال: حدّثنا أبو عمرو بن العلاء: قال حدّثنا قتادة قال: «لمّا كتب المصحف عرض على عثمان، فقال: إنّ فيه لحنا و لتقيمنّه العرب بالسنتها»، و روى ابن مجاهد عن محمد بن يحيى عن أبى جعفر المكفوف عن شبابة بن سوار عن أبى عمرو بن العلاء عن قتادة قال: «لما كتب المصحف رفع إلى عثمان فنظر فيه، فقال: إنّ فيه لحنا و لتقيمنّه العرب بألسنتها». فهذان الخبران إرسال قتادة عن عثمان بهذه الرّواية، و المرسل فى مثل هذا غير مقبول لأنّنا لا نعرف من بين قتادة و عثمان، و لعلّنا لو عرفنا لم يكن عندنا و عند الشّيعة ممّن يقبل خبره، و يسكن إلى قوله، بل لعلّه أن يكون من النّاصبة و شيعة الجمل و المنحرفين عن القول بالنّصّ على علىّ، و من هذه صفته فخبره عند الشّيعة مردود غير مقبول، و ليس لأحد أن يقول: إنّ قتادة لا يرسل إلّا عن ثقة عنده، لأنّه لا دليل على ذلك، و قد يرسل الثّقة فى حديثه عمّن إذا سئل عنه وثّقه و أحسن الثّناء عليه، و يرسل عمّن إذا سئل عنه وصف بالتّهمة له أو الكذب و التدليس و وضع الحديث و أشياء إلينا عليه، فلا/ حجة معنا فى أنّ قتادة لا يرسل إلّا عن ثقة، و ليس لأحد أن يقول إنّه إذا أرسل عن غير ثقة عنده فقد ألبس و دلّس و غشّ من روى له، لأنّه لاـ يعلم أنّ أهل العلم لا يقلّدون فى ذلك، و أنّهم يعلمون أنّهم مأمورون بالبحث (____ ۱) سليمان بن خلاد السامرّى

المشورد المقرئ المشهور من الطبقة السادسة توفى سنة احدى و ستين. «معرفة القراء الكبار» (۱: ۱۹۴). (۲) هو شبابة بن سوار المدائنى، ثقة حافظ، توفى سنة أربع و مائتين. «التقريب» (۱: ۲۶۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۷ و السؤال عمّن أرسل عنه و الاجتهاد فى الخبر المرسل، و أنه لا معتبر فى تعرّف حال الوسائط بالإرسال عنهم، و السّكت عن ذكرهم، على أنّ أيضا حال قتادة أنّه لا يرسل إلّا عن ثقة عنده، و قد يكون الثّقة عنده غير ثقة عندنا و لا عند الشّيعة، بل يكون معروفا عندنا جميعا بما يسقط عدالته و يبطل خبره و شهادته و يعرفه غير قتادة بما لا يعرفه به قتادة، و لم يوجب اللّه علينا تقليد قتادة فى تعديل من أرسل عنه، و من هو ثقة عنده، فإذا كان ذلك كذلك بان بهذه الجملة أنّه لا حجّة فى الأخبار التى أرسلها قتادة أو غيره عن عثمان فى هذا الباب، فهذا هذا. و أمّا الرّواية المسندة عن قتادة فى هذا فصفتها فى الاضطراب ما قدّمنا ذكره، فروى ابن مجاهد قال: حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن، قال: حدّثنا يزيد بن سنان، قال: حدّثنا أبو داود، قال: حدّثنا عمران القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم عن عبد اللّه بن فطيمة عن يحيى بن يعمر، قال: «قال لى عثمان: إنّ فى القرآن لحنا تقيمه العرب بألسنتها»، و روى ابن مجاهد قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا عمرو بن مرزوق «۱»، قال: أخبرنا عمران القطان «۲» عن قتادة عن نصر بن عاصم عن عبد اللّه بن أبى فطيمة عن يحيى ابن يعمر قال: «لما عرضت المصاحف على عثمان، قال: «إنّ فى مصحفنا لحنا تقيّمه العرب بألسنتها»، و روى ابن مجاهد، قال: حدّثنى أبو عبد اللّه (____ ۱) عمرو بن مرزوق أبو عثمان

الباهلى البصرى، ثقة فاضل له أوهام من صغار التاسعة مات سنة أربع و عشرين و مائتين. «التقريب» (۱: ۷۴۵). (۲) هو عمران بن داود أبو العوام القطان البصرى، صدوق يهم رمى برأى الخوارج من السابعة مات بين الستين و السبعين و مائة. «التقريب» (۱: ۷۵۱). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۸ أحمد بن عبدوس، قال: حدّثنا محمد بن عبد اللّه المخزومىّ «۱»، قال: حدّثنا أبو داود الطّيالسى «۲»، قال: حدّثنا عمران القطان عن قتادة عن يحيى ابن يعمر عن ابن فطيمة، قال: «قال عثمان: إنّ فى القرآن لحنا و إنّ العرب ستقيّمه بألسنتها». و فى هذه الروايات المسندة المرفوعة ضروب من التّخليط، فمنها أنّ قتادة مرة يروى الخبر عن يحيى بن يعمر و لا يذكر

نصرا،/ و مرة يروى عن نصر بن عاصم عن يحيى، و تارة ترد الرّواية عنه بأنّ يحيى بن يعمر هو الذى يروى عن ابن أبى فطيمة، و تارة يرد بأنّ ابن فطيمة هو الرّاوى عند يحيى بن يعمر، و هذا اختلاف و تخليط ظاهر، و تارة يقول الرّاوى ابن فطيمة و آخر يقول ابن أبى فطيمة، و هذا أوضح دليل على الجهالة بابن أبى فطيمة هذا و خفاء أمره و خمول ذكره و حصول الشّكوك فى أمره، و أنّه غير معروف عن أهل الضّبط و النّقل، و لو كان معروفا لزالت عنهم الشّكوك فى أمره، فمن ظنّ أنّنا نقطع على عثمان بصحّة هذه الرواية، و أنّه قال هذا القول و أذاعه بمثل هذا الخبر فقط، فقد ظنّ بعيدا، و قد بيّنا فيما سلف أنّه لو سلّم جميع ما ذكرناه لم يجب من ناحية القطع على عثمان بموجبه و تصحيحه عليه، و إذا كان ذلك بان أنّه لا تعلّق لأحد على عثمان بمثل هذا الخبر من كلّ وجه.

(____ ۱) هو محمد بن عبد اللّه بن السائب المخزومى، مجهول، من السادسة. «التقريب» (۲: ۹۶). (۲) اسمه سليمان بن داود بن الجارود الطيالسى البصرى ثقة حافظ غلط فى أحاديث، التاسعة مات سنة أربع و مائتين. «التقريب» (۱: ۳۸۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۳۹

فصل

فصل و أمّا روى عن عائشة من قولها فى أحرف فى المصحف إنّها لحن، و إنّها من غلط الكاتب، فإنّه أيضا جارى مجرى الخبر المروىّ عن عثمان فى هذا الباب، لأنّه من أخبار الآحاد التى لم تقم الحجّة بها «۱»، و لا سبيل إلى العلم بصحّتها لا من ناحية الضرورة، و لا من جهة الدليل، و كلّ شىء ثبت أنّه من الرّواية عن عثمان من أخبار الآحاد، فإنّه بتعيّنه دالّ على أنّ هذه الرّواية من أخبار الآحاد فلا حاجة بنا إلى إعادته، و لم يرو هذا الخبر عنها إلّا عروة بن الزّبير وحده، و عروة عندنا غير متّهم و لا ظنّين بل ثقة أمين و عدل صدوق، غير أنّنا لا نعلم ضرورة و لا استدلالا صحّة هذه الرّواية عن عروة، و لا يقطع على أنّه روى ذلك عن عائشة، و لا ندرى كيف حال الرّواية كذلك عند عبد اللّه. و متى كان ذلك كذلك لم نجز القطع على أنّ عائشة حكمت أنّ فى المصحف حروفا ملحونة أخطأ فيها الكاتب و المملى و المجتمعون على كتب المصحف و عرضه، و هم قوم من جلّة الصّحابة، و أهل ثقة و أمانة و براعة، و لسن و علم و فهم ثاقب بصحيح الكلام و السّائغ الجائز منه فى اللّغة و الملحون الفاسد الذى لا يحسن و لا يسوغ/ التكلّم به، لأنّ ذلك قذفا منها لهم بالتّجهيل و التّخطئة، و النّسبة إلى ما يبعدون عنه، أو بالتّهمة و قبح الظّنة و قصد التّمويه و الإلباس فى كتاب اللّه، و كلّ ذلك منفىّ عنهم، و يجب أن ينفى أيضا عن عائشة قذفهم بذلك، لأنّها أعلم بعدالتهم و أعرف بثاقب

(____ ۱) سبق الحكم على قول عثمان هذا و أنه لم يثبت عنه ذلك فى نقل صحيح. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۰ أفهامهم و صحّة نحائرهم و فصاحتهم و لسنهم، و أنّ اللّغة طباعهم، و الكلام بها شأنهم و نشوؤهم و ديدنهم، و أنّه لا يمكن أن يذهب عليهم معرفة اللّحن فى لغتهم و هم أفصح قومهم أو من أفصحهم و أعرفهم باللّسان و مواقع الخطاب و وجوه الإعراب، فمن توهّم أنّنا لا بد أن نلصق بعائشة هذه الرّواية و نقطع بها عليها و نحقّقها من قبلها بمثل هذا الخبر الذى اللّه سبحانه أعلم بحال طريقه إلى عروة بن الزبير، فقد توهّم علينا العجز و التّفريط، و إذا كان ذلك كذلك بطل أيضا التّعلّق بهذه الرّواية على أنّ الذى روى عنها فى ذلك هو ما رواه أبو بكر بن مجاهد و غيره من الرواة يرفعونه إلى عروة بن الزّبير. فروى ابن مجاهد عن يحيى بن زياد الفرّاء، قال: حدّثنى أبو معاوية الضّرير، و روى أيضا أنّه حدّثه فضل الورّاق عن خلّاد بن خالد عن أبى معاوية الضّرير، و روى أنّه حدّثه موسى بن إسحاق «۱» عن منجاب «۲» عن على بن مسهر «۳» عن هشام بن عروة عن أبيه: «أنّ عائشة قالت: فى (و المقيمين الصّلاة و المؤتون الزّكاة)، و (و أنّ الذين آمنوا و الّذين هادوا و الصّابئون)، (إنّ هذان لساحران)، أنّ ذلك خطأ من الكاتب». و قد بيّنا فيما سلف أنّنا لا نعرف كيف الحال فيمن دون هشام بن عروة من الرّواة عند اللّه، و أنّه لا حجّة فيما هذه سبيله من الإخبار فى الأمر الذى

(____ ۱) موسى بن إسحاق بن عبد اللّه بن

موسى بن الصحابى عبد اللّه بن يزيد الأنصارى المقرئ توفى سنة سبع و مائتين بالأهواز. «السير» (۱۳: ۵۷۹). (۲) هو منجاب بن الحارث أبو محمد الكوفى، عن القاسم و شريك و ابن مبارك، ثقة توفى سنة إحدى و ثلاثين و مائتين. «الكاشف» (۳: ۱۵۳). (۳) على بن مسهر القرشى الكوفى، قاضى الموصل ثقة له غرائب من الثامنة، مات سنة تسع و ثمانين و مائة. «التقريب» (۱: ۷۰۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۱ يجب القطع به على اللّه، و على المروىّ عنه و ما يقتضيه من ذمّة و البراءة منه أو تعظيمه و وجوب موالاته، فوجب بذلك أنّه لا حجّة فى هذه الرّواية، على أنّ فى الرّواية ما يدلّ على ضعف الخبر عنها و بعدها عن أن تكون قالته، و ذهب عليها وجه الخطأ عنه و ذلك أنّها ذكرت/ ثلاثة أحرف: منها حرفان صحيحان جائزان عند سائر أهل العربيّة، فيها الرفع و النّصب جميعا فى لغة قريش و غيرها و هما: قوله: (و الصّابئون)، و قوله: (و المقيمين الصّلاة)، و سنذكر وجه جواز ذلك و حجّته إن شاء اللّه، فهذه جملة تسقط تعلّقهم بهذه الرّواية عن عثمان و عائشة. ثم إنّا نقول بعد ذلك: فإن صحّت هذه الرّواية و كانت على ما يدّعون ظاهرة معلومة فى الصّحابة مشتهرة فيهم، فقد بطل بذلك قولهم إنّ الصّحابة جهلت و حذفت و أثبتت فى المصحف ما لا علم لها بصوابه من خطئه، لأجل أنّ عثمان و عائشة قد عرفا اللّحن و الخطأ و ذكرا ذلك عن أنفسهما، و لو لم يعرفاه لما ذكراه و نبّها عليه، و كذلك سائر الصّحابة يجب أن تكون قد عرفت هذا اللّحن و الخطأ، إن كانت هذه الرّواية عن عثمان و عائشة مشهورة فيهم عنهما، لأجل أنّهم أهل الفصاحة و اللّسن و المعرفة بوجوه العربية و ضروب الخطاب و التّصويب فى الكلام، و اللّغة لغتهم، و إنما أنزل القرآن بلسانهم و فيهم، و ليس يقصر الخلق الكثير و الدّهماء منهم فى الفصاحة و المعرفة بلسان العرب و الجائز فيه و غير الجائز، عن منزلة عثمان و عائشة، بل فيهم من قد قيل إنّه أفصح منهما و أكثر انبساطا و تصرّفا فى معرفة اللّسان و القدرة على التكلّم به، فإذا شهر فيهم قول عثمان و عائشة إنّ فى القرآن لحنا و إنّه من خطأ الكاتب فلم نحفظ أحدا أنكر ذلك على عثمان و عائشة أو عارض فيه أو احتجّ فيه أو ردّه أو قدح فيه بوجه من وجوه الطّعن، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۲ علم بذلك أنّهم لم يمسكوا عن المعارضة فى هذا الأمر العظيم إلّا لعلمهم بصواب ما قاله عثمان و عائشة و معرفتهم بذلك، و لو لا هذا لأنكروا هذا القول و ردّوه، و لم يكن فى موضع العادة أن لا يقدح قادح منهم فى هذا القول، مع اعتقادهم خطأ قائله و صحّة ما نسبه إلى الخطأ و اللّحن، و لو ردّ هذا منهم رادّ و قدح فيه قادح لوجب فى مستقرّ العادة ظهور ردّه و قدحه/، و أن يعلم فى الجملة أنّ ذلك أمر قد روى كما روى ما هو قدح فيه من قبل عثمان و عائشة، و إذا لم يكن ذلك كذلك ثبت أنّ هذا القول كان مسلّما فى الصّحابة، و غير مردود إن كان قد ثبت صحّة هذه الرّواية و ظهورها فى الصّحابة على ما يدّعون، و إذا كان ذلك كذلك وجب علم سائر الصّحابة و الدّهماء منهم بوقوع هذا اللّحن و الخطأ فى المصحف و بان بذلك جهل من نسبهم إلى الجهل به و الذّهاب عن الصّواب. و كذلك هذه الرّواية إن كانت صحيحة على ما يدّعون، فقد ناقضوا فى قولهم إنّ عثمان و عائشة و كثيرا من الصّحابة قصدوا إلى تحريف بالمصحف و تبديله و الإلباس على الأمّة فيه و الغشّ لها و الإدغال فى دينها بإثبات اللّحن و الخطأ فيه، لأنّهما لو قصدا ذلك لكتما ذكر اللّحن و أعرضا عنه و تغافلا «۱» عنه و لم ينادیا به و ینبّها، و کذلك الباقون منهم لو قصدوا أو بعضهم غشّ من بعدهم و الإلباس فى كتاب اللّه لناقضوا عائشة و عثمان و ردّوا عليهما و احتجّوا للّحن و الخطأ و ألبسوا ترتيبه و ردّ قول من نبّه عليه، حتى يصوّروا الباطل بصورة الحق، هذه سبيل من قصد الإلباس و التّمويه و كتمان الصّواب و طيّه و نشر الباطل و إذاعته، و الدّعاء إليه، فلمّا أظهرت عائشة و عثمان هذا القول و رضى به الباقون و أقرّوه و صوّبوه و عدلوا عن القدح فيه و الاعتراض عليه،

(۱) فى الأصل و تغافلوا و الجادة و تغافلا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۳ ثبت أنّهم جميعا أنصار الحقّ، و أهل الحياطة و الحراسة لكتاب اللّه و التنبيه على الواجب له و فيه، و ما يجب أن نعتقد فى صحيح ما ثبت فيه، و غلط من أدخل فيه ما ليس منه، و كيف ينسب قوم هذه سبيلهم إلى التّمويه و قصد الإلباس و الإدغال للدّين و أهله، لو لا الغباوة و جهل من يعتقد ذلك فيهم، و يروى مثل هذه الرّواية عنهم، و بمواضع التخليط و المناقضة فى كلامه و احتجاجه، و نحن الآن نبيّن وجه التّأويل فى هاتين الرّوايتين لو صحّتا عن عثمان و عائشة و ما/ الذى قصداه

بذلك، و أنّهما لم يعتقدا أنّ فى القرآن لحنا لا ـ يجوز فى لغة منه و على كلّ وجه. فنقول و باللّه التوفيق: إنّه يمكن إن كانت هذه الرّواية صحيحة أن يكون عثمان لما أراد بقوله: «أرى فيه لحنا و ستقيّمه العرب بألسنتها»، إنّ فيه لحنا فى لغة بعض العرب و على مذهب قبيلة منهم لا يتكلمون بتلك الكلمات على الوجه الذى أثبت فى المصحف، و أنّ من لم يؤلّف الكلام بتلك الحروف على ذلك الوجه اعتقد أنّه لحن و أنّه لا يقرأ به، و أنّ لسانه لا ينطلق به، و لا يمكنه مفارقة نشوءه و طبعه و عادته فى الكلام، فأراد بقوله إنّه لحن عند من اعتقد ذلك و صعب عليه التكلّم به، و استكبره و خفى عليه و ظنّ لأجل ذلك أنّ اللّه لم ينزّله و لم يقل ذلك على سبيل القطع بأنّه لحن و أنّه غير جائز، و أراد بقوله: لتقيمنّه العرب بألسنتها أنّه ستقرأ تلك الكلمات و ينطق بها كلّ ناطق منهم على الجائز فى لغته و المألوف فى طبعه و عادته، فيتكلم به قوم على وجه ما ثبت فى المصحف إذا كان التكلّم به على ذلك الوجه لسانهم، و يتكلم به آخرون على الوجه الشائع الجائز المألوف فى لغته، لأنّ اللّه سبحانه أطلق القراءة بتلك الأحرف على هذه الوجوه المختلفة نظرا لعباده و تسهيلا عليهم و تخفيفا لمحنتهم فى التكليف، و لم يرد بقوله: و لتقيّمنّه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۴ العرب بألسنتها، أنّه ليس فيها متكلّم به على وجه ما ثبت فى المصحف، و أن ذلك خطأ غير جائز. و يمكن أيضا أن يكون إنّما قصد بقوله: إنّ فيه لحنا عند من توهّم ذلك و خفى عليه وجه الصّواب فى إعرابه على ما ثبت رسمه، و لم يعرف الوجه فى جوازه، و أن يكون أراد بقوله: و لتقيّمنّه العرب بألسنتها، أى لتحتجنّ العرب و ليتيحنّ الوجه فى صحة ذلك، و صواب ما ثبت فى المصحف، و ليبيحنّ اللّه تعالى منهم فى كل عصر و أوان يظهر فيه دعوى وقوع اللّحن فيما يتوهم و يظنّ أنّه لحن من/ يعرب عن صوابه، و يحتجّ بجوازه، و يكشف عن وجه صحّته، و تخطئة دعوى الخطأ فيه، و ذلك إقامة له ممّن صنعه من العرب و إفصاح عن معناه و صوابه بلسانه. فأمّا أن يكون أراد القطع على أنّ فيه لحنا، لا ـ يسوغ بوجه، و هو مع ذلك مقرّ له و غير مغيّره، فذلك غير جائز و لا بدّ من حمل كلامه على مثل هذا التّأويل و نحوه، لأجل قيام الدّليل القاطع على أنّه لا لحن و لا خطأ فى المصحف، و أنّ هذه الأحرف جائزة حسنة و صواب على ما ثبت رسمها فى المصحف بما سنوضّحه و نكشفه فيما بعد، و أنّه لا بدّ أن تكون عائشة و عثمان من أعرف النّاس بجواز ذلك و صحّته، و أنّهما أفصح و أعرف بهذا الباب من سائر من بعدهما من أهل الأعصار و جميع من يظنّ أنّه يستدرك عليهما. و مما يعتمد عليه فى تأويل قول عثمان: أرى فيه لحنا، هو أنّ المقصد به ما وجد فيه من حذف الكاتب و اختصاره فى مواضع و زيادة أحرف فى مواضع أخر، و أنّ الكاتب لو كان كتبه على مخرج اللفظ و صورته لكان أحقّ و أولى و أقطع للقالة و انقى للشّبهة عمّن ليس الكلام باللّسان طبعا له، و قوله: «لتقيمنّه العرب بألسنتها»، معناه أنّها لا تلتفت إلى المرسوم المكتوب الذى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۵ وضع للدّلالة فقط، و أنّها تتكلّم به على مقتضى اللّغة و الوجه الذى أنزل عليه من مخرج اللّفظ و صورته. فمن هذه الحروف و الكلمات ما كتب فى المصحف من الصّلاة و الزكاة و الحياة بالواو دون الألف، و كان الأولى أن تكتب الصّلاة و الزّكاة و الحياة على مخرج اللّفظ و مطابقته، و كذلك إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و صالح و الرحمن و أمثال هذه الأسماء التى تسقط الألف منها و هى ثابتة فى اللّفظ و المخرج، و نحو إلحاقهم فى آخر الكلمة من قالوا و قاموا و كانوا و أمثال ذلك ألفا، و الألف غير ثابتة و لا بيّنة فى اللّفظ، فرأى عثمان كتابة هذه بالكلمات أو الأسماء و رسمها على مطابقة اللّفظ و مخرجه أولى و أحقّ، و أن المتكلّم إن تكلّم بها و تلاها/ على حدّ ما رسمت فى المصحف كان مخطئا لاحنا خارجا عن لغة العرب و عادتها، و متكلّما بغير لسانها، غير أنّه عرف هو و كلّ أحد من كتب المصحف و غيرهم من أهل العلم باللّغة أنّ العرب لا تلفظ بالصّلاة و الزّكاة و الحياة بالواو و تسقط الألف، و لا تحذف الألف فى لفظها بالرحمن و سلمان و إسماعيل و إسحاق و صالح و نحو ذلك، و لا تأتى بألف فى قاموا و قالوا و كانوا و أمثال ذلك، و أنّها لا تتكلم بذلك، إلّا على مقتضى اللّفظ و وضع اللّغة لشهرة ذلك و حصول العلم به، و تعذّر النّطق به على ما رسم فى المصحف، فلذلك قال: «و لتقيّمنّه العرب بألسنتها»، أى أنّها تنطق به على واجبه و لا تشكّ فى ذلك، لأجل أنّ الرّسم فى الخطّ بخلافه. و ممّا يدلّ على صحّة هذا التّأويل، و أنّه المقصود بما صدر عن عثمان، ما رواه أبو عبيد عن حجّاج بن هارون بن موسى عن الزّبير بن حريث عن عكرمة قال: «لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فوجد حروفا من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۶ اللّحن،

فقال: لا تغيّروها فإنّ العرب ستغيّرها، أو قال: ستغيّر بها بألسنتها»، أو كان الكاتب من ثقيف و المملى من هذيل لم تؤخذ فيه هذه الحروف. و إنّما قصد بذلك و اللّه أعلم، أنّ ثقيفا كانت أبصر بالهجاء و أشدّ تمسّكا فى الكتابة بمخارج الألفاظ و أعلم بذلك، و أنّ هذيلا تظهر الهمز فى ألفاظها و تكثر استعمالها فى مواضع لا- تستعمله قريش، و الهمزة إذا بانت و ظهرت فى لفظ المملى سمعها الكاتب و صوّرها على مخرج اللّفظ، و كان القارئ لذلك الرّسم مخيّرا بين أن يسلك طريقة قريش فيليّن و يسقط الهمز، و بين أن يهمز على لغة هذيل، و متى لم يحمل قوله هذا على ما ذكرناه لم يكن لذكر ثقيف و هذيل معنى يعرف و تقف عليه، و لذلك قال عثمان: «لا يملينّ مصاحفنا و لا يكتبها إلّا غلمان قريش و ثقيف، و لم يذكر هذيلا، لأنّه لم يكن يرى الهمزة فى جميع المواضع التى تستعمل هذيل فيها الهمزة. و إذا كان ذلك كذلك ثبت أنّ اللّحن الذى/ أراده عثمان هو غلط الكاتب و تركه مراعاة مخرج اللّفظ و حذفه فى موضع ما هو ثابت فى اللّفظ، و زيادته فى موضع ما ليس فيه، و لم يقصد بذلك أنّ فيه لحنا لا يجوز التكلّم به، لأنّه كان و الصّحابة و الكتبة للمصحف و زيد بن ثابت أجلّ قدرا و أفصح لسانا و أثبت معرفة و فهما باللّغة من أن يكتبوا فيه لحنا، و يذهب ذلك على الجماعة سوى عثمان و عائشة، و لو قصد عثمان بذكر اللّحن هذه الحروف الأربعة التى يدّعى أنّها لحن، لم يجز أن يعدل عن تغييرها و محوها و إثباتها على الواجب الصّحيح مع قلّتها و نزارتها، و أنّه لا كلفة عليه و لا على الكتبة و كل من عنده نسخة فى تغييرها و رسمها على الصّواب، فلا عذر لهم فى ذلك. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۷ فوجب أنّه إنّما أراد بذكر اللّحن الهجاء الذى رسم على غير مطابقة اللّفظ و منهاجه، و أنّه لمّا رأى ذلك قد اتّسع و كثر فى المصحف كثرة يطول تتبعها، و يحتاج معها إلى إبطال النّسخة التى رفعت إليه، و استئناف غيرها، إلزام الكتبة فى ذلك و سائر من عنده نسخة منه كلفة و مشقّة شديدة، و علم أنّ ذلك يصعب على أهل الذّكاء و الفطنة الذين نصبهم لكتبة المصحف و عرضه، لأنّهم لم يعتادوا الكتابة إلّا على ذلك الوجه، و أنّ أيديهم لا تجرى إلّا به، أو خاف نفورهم من ذلك، و تنكّرهم له و نسبتهم إلى ميل عليهم و قدح فيهم، و خشى حصول قالة و تفرّق الكلمة فأبقاه على ما رفع إليه من لحن الهجاء، و قال: إنّ العرب ستقيّمه بألسنتها، لموضع شهرة تلك الألفاظ، و علمه و علم النّاس بأنّ العرب لا تتكلّم بها أبدا على ما قيلت و رسمت فى الخطّ، و إذا كان ذلك بان صحة ما قلناه و بطلان ما قدّروه. فإن قالوا: على هذا الجواب فقد صرتم إلى أنّه قد وقع فى خطّ المصحف و رسمه خطأ، و ما ليس بصواب، و ما كان غيره أولى منه، و أنّ القوم أجازوا ذلك و أمضوه و سوّغوه، و ذلك إجماع منهم على خطأ، و إقرار بما ليس بصواب. يقال لهم: لا يجب ما قلتم، لأجل أنّ اللّه إنّما أوجب على القرّاء و الحفظة/ أن يقرءوا القرآن و يؤدوه على منهاج محدود، و سبيل ما أنزل عليه، و أن لا يجاوزوا ذلك و لا يؤخّروا منه مقدّما و لا- يقدّموا مؤخّرا، و لا- يزيدوا فيه حرفا و لا ينقصوا منه شيئا، و لا يأتون به على المعنى و التّعريب دون لفظ التنزيل على ما بيّناه فيما سلف، و لم يأخذ على كتبة القرآن و حفّاظ المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم و حظر ما عداه، لأنّ ذلك لا يجب لو كان واجبا إلّا بالسّمع و التّوقيف، و ليس فى نصّ الكتاب و لا فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۸ مضمونه و لحنه أنّ رسم القرآن و خطّه لا يجوز إلّا على وجه مخصوص و حدّ محدود، و لا يجوز تجاوزه إلى غيره، و لا فى نصّ السّنّة أيضا ما يوجب ذلك و يدلّ عليه، و لا هو ممّا أجمعت عليه الأمة، و لا دلّت عليه المقاييس الشّرعية، بل السّنة قد دلّت على جواز كتبه بأىّ رسم سهل و سنح للكاتب، لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه كان يأمر برسمه و إثباته على ما بيناه سالفا، و لا يأخذ أحدا بخط محدود و رسم محصور و لا يسألهم عن ذلك، و لا يحفظ عنه فيه حرف واحد، و لأجل ذلك اختلفت خطوط المصاحف، و كان منهم من يكتب الكلمة على مطابقة مخرج اللّفظ، و منهم من يحذف أو يزيد ممّا يعلم أنّه أولى فى القياس بمطابقته و سياقه و مخرجه، غير أنّه يستجيز ذلك لعلمه بأنّه اصطلاح و أنّ النّاس لا يخفى عليهم، و لأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفيّة و الخطّ الأوّل، و أن يجعل اللام على صورة الكاف و أن يعوّج الألفات، و أن يكتب أيضا على غير هذه الوجوه، و ساغ أن يكتب الكاتب المصحف على الخطّ و الهجاء القديمين، و جاز أن يكتب بالهجاء و الخطوط المحدثة، و جاز أن يكتب بين ذلك. و إذا علم و ثبت أنّ خطوط المصاحف و كثيرا من حروفها مختلفة متغايرة الصّورة، و أنّ النّاس قد أجازوا ذلك أجمع و لم ينكر أحد منهم على غيره مخالفة لرسمه و صورة خطّه، بل أجازوا أن يكتب

كلّ واحد بما هو عادته و اشتهر عنده،/ و ما هو أسهل و أولى من غير تأثيم و لا تناكر لذلك، علم أنّه لم يوجد على النّاس فى ذلك حدّ محدود محصور، كما أخذ عليهم فى القراءة و الأداء، و السّبب فى ذلك أنّ الخطوط إنّما هى علامات و رسوم تجرى مجرى الإشارات و العقود و الرّموز و كلّ شىء يدلّ على اللّفظ و ينبى عنه، و إذا دلّ الرّسم على الكلمة و طريقها و الوجه الذى يجب التكلّم عليه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۴۹ بها، وجب صحّته و صواب الكاتب له على أىّ صورة كان و أىّ سبيل كتب، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه. و فى الجملة فإنّ كلّ من ادّعى أنّه قد ألزم النّاس و أخذ عليهم فى كتب المصحف رسما محصورا و صورة محدودة لا يجوز العدول عنها إلى غيرها، لزمه إقامة الحجّة و إيراد السّمع الدّال على ذلك و أنّى له به، و إن عارضوا بمثل هذا فى قراءة القرآن على إيراد معناه أىّ لفظ كان و على أىّ سبيل تسنح و بوجه، و قد بينا من قبل الحجّة على فساد ذلك بغير طريق فأغنى عن إعادته «۱». فأما قول عائشة فى تلك الحروف إنّها من غلط الكاتب، فقد قلنا فيه أنّه أيضا من أخبار الآحاد التى لا حجّة فيها، و أنّه لا يسوغ لذى دين أن يقطع على أنّ عائشة لحّنت الصّحابة و خطّأت الكتبة، و محلّهم من الفصاحة و العلم بالعربية محلّهم بمثل هذه الرّواية، على أنّ فيها ما يدلّ على بطلان الخبر عنها، لأنّها خطّأت الكاتب فى جميع هذه الحروف و منها ثلاثة جائزة سائغة عند سائر أهل العربية و واحد ليس هو من لغة قريش، و هو قوله: «إنّ هذان لساحران»، يذكر أنّه لغة بالحارث بن كعب، فلو كانت خطأت الكاتب فى هذا الحرف فقط لخروجه عن لغة قريش، لكان الأمر أقرب، فأمّا أن تخطّئه فيما لا خلاف فى جوازه فى كلّ لغة، و إن كان غير ذلك الوجه أشهر و أظهر فإنّها بعيدة فيه لبراعتها و فصاحتها و كونها من العلماء باللّسان و وجوه الخطاب و الإعراب.

(۱) ورد فى الأصل فى هذا الموضع كلمة (ورده) و لعلها زيادة و المعنى يكتمل بدونها عند كلمة إعادته اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۰ و الأشبه فيما يروى عنها و عن غيرها من الصّحابة فى هذا الباب إن صحّ و سلم/ مسنده و طريقه، أن يكونوا قالوا: إنّ الوجه الأشهر الظاهر المعروف المألوف فى هذه الحروف غير ما جاء به المصحف و ورد به التنزيل، و إنّ استعماله على ذلك الوجه غامض قليل، أو غلط عند كثير من النّاس، و لحن عند من لا يعرف الوجه فيه و نحو هذا الكلام فلم بضبط ذلك الرّواة عنهم، و لم يسمعوا علّته و لم يوردوه على وجهه، إمّا لسهو لحقهم أو لذهابهم عن سماع تمام الكلام، أو لاقتصارهم على شاهد الحال و إذكارهم بذلك من كان سمع هذا الكلام من عائشة و عثمان، فأمّا أن يقطع عثمان و عائشة على أنّ فى القرآن لحنا و غلطا وقع من الكتبة فذلك باطل لما بيّناه سالفا. فأمّا قوله تعالى: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ، فإنّه يجوز قراءته على موافقة خطّ المصحف الذى نقلته الجماعة و قامت به الحجّة، و يجوز أيضا قراءته بمخالفة خطّ المصحف و أن يتلى: «إنّ هذين لساحران». فأمّا ما يدلّ على صحة قراءته على موافقة خطّ المصحف فنقل جماعة الأمّة الّذين ببعضهم تقوم الحجّة على أنّ القرآن منزّل على وجه موافقة المصحف، و أنّه يجوز أن يقرأ: «إنّ هذان لساحران»، و أنّ ما تضمّنه المصحف من هذا الحرف و غيره صحيح سليم من الخطأ، فلا وجه لإنكار ذلك و تخطئة القارئ به مع النّقل و الإجماع الذى وصفناه، و قد قال قائلون من جلّة أهل النّحو: إنّ إثبات الألف فى الرّفع و النّصب و الخفض فى هذان هو الأصحّ و هو القياس، قالوا: لأنّ الألف فى ذلك تتبع فتحة ما قبلها كما أنّ الواو فى مسلمون تابعة لضمة ما قبلها، و الياء فى مسلمين تابعة للكسرة ما قبلها، قالوا و غيرهم من سائر النّاس و الرّواة: و هذه اللّغة هى لغة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۱ بالحارث بن كعب، و أنّهم يقولون: مررت برجلان، و قبضت منه درهمان، و جلست بين يداه، و ركبت بغلاه، و أنشدوا فى ذلك:/ تزوّد منّا بين أذناه ضربة دعته إلى هابى التّراب عقيم يعنى موضعا كثير التراب. و أنشدوا فيه: فأطرق إطراق الشّجاع و لو يرى مساغا لناباه الشّجاع لصمما و أنشدوا أيضا قول الآخر: شالوا علاهنّ فشلّ علاها و أشد مستاحقت حقواها و قال الآخر: أىّ قلوص راكب تراها طارقا علاهنّ قطر علاها «۱» و إذا كان الأمر فى جواز هذا الحرف، و تكلّم أهل اللّغة من فصحاء العرب و احتجاج قوم له و قولهم إنّه الأصل، و إنّه أقيس على ما وصفناه، و وجدناه مكتوبا فى المصحف على ذلك، وجدنا نقله متواترا قد قامت به الحجّة، و علمنا أنّ الصّحابة و الفصحاء الذين كتبوا المصحف مع أمانتهم و فضل علمهم و شدة احتياطهم و صحة قرائحهم و أذهانهم، و قرب عهدهم بالوحى، و كون القرآن منزّلا عليهم، و ثاقب معرفتهم

بتصرّف الكلام و وجوه الإعراب، لم يكتبوا ذلك فى المصحف إلّا عن علم و إتباع سنّة و موافقة لتوقيف على جواز ذلك و صحته، وجب القطع على صحّة قراءة هذه الحروف على موافقة خطّ المصحف و توثيقه، لأنّ نقل خطّ المصحف و شهادة الجماعة

(____١) هذه الأبيات من الشعر غير واضحة

فى الأصل، و كما اجتهدت فى قراءتها أرى أنّها غير مستقيمة على بحر من بحور الشعر و لم يدر من قائلها. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٥٢ بصحته و سلامته، و أنّه لا خطأ فيه، أحد الأدلّة على صحّة الخطّ و التّلاوة، و على موافقته، فوجب بذلك جواز هذا الحرف و صحّته، و تجهيل من أنكره و استبعده و استوحش من قراءته على هذا الوجه. فإن كان مخالفا للغة قريش، و كانت قريش لا تكاد تتكلّم به على هذا الوجه، فأمّا وجه جواز قراءته بخلاف خطّ المصحف، و أن يقرأ: «إنّ هذين لساحران»، فهو: إنّ الأمّة قد اتفقت على جواز ذلك و ترك تخطئة من قرأه بخلاف خطّ المصحف، و العدول عن تضليله و تأثيمه، و أنّ ذلك هو لغة/ قريش مع اتفاقها على أنّ القرآن منزّل بلغة قريش. و إذا كان ذلك كذلك، و كان هذا الحرف فى لغة قريش فيتكلّم به على خطّ المصحف، وجب أن يكون منزّلا أيضا على مخالفة خطّ المصحف، و أن يكون القارئ به على مخالفة خطّ المصحف مصحّحا مصيبا إذا كان ذلك هو لغة قريش، كما أنّ القارئ له بخلاف لغتهم مصحّح لنقل الجماعة لذلك و شهادتهم بصحّة خطّ المصحف، و أنّه منزّل على ما ثبت فيه، و أنّ الأشهر الواضح هو المعروف فى لغة قريش و أكثر العرب، و هو المعروف الذى لا يشكّ فيه، يوجب جواز القراءتين و تصحيحهما استدلالا بما ثبت من خطّ المصحف، و ترك التّأثيم و التّضليل فى ذلك، و لذلك استجاز كثير من السّلف أن يقرءوا: «إنّ هذين لساحران»، و روى ذلك عن عائشة و عن عبد اللّه ابن الزّبير، و الحسن البصرى و سعيد بن جبير و إبراهيم النّخعىّ، و قرأ به جماعة من قرّاء الأمصار، منهم: أبو عمرو بن العلاء، و عاصم الجحدرى، و عيسى بن عمران، و أبان بن تغلب، و مسلمة بن محارب، و هذا أشهر و أظهر عند أهل النّقل من أن يحتاج فيه إلى إطالة و إكثار، حتى إنّ فى النّاس من يقول: لا يجوز قراءته، إلّا على مخالفة خطّ المصحف، و قد علم أنّ الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٥٣ هذه الطّبقة لا تقرأ بما تعلم أنّه مخالف للتّنزيل، و أنّ الأمّة لا تترك تأثيمهم و تضليلهم مع علمهم بأنّهم قد قرءوا و أقرءوا النّاس بخلاف المنزّل، و بما لا يجوز و يسوغ، و إذا كان ذلك كذلك ثبت بهذه الجملة جواز قراءة هذا الحرف على الوجهين و اللّحنين جميعا. و قد كان عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يختار أن لا يقرأ النّاس إلّا بلغة قريش، و روى النّاس عنه أيضا: أنّه سمع رجلا يقرأ هذا الحرف من يوسف: ليسجننّه (عتّى) «١» حين [يوسف: ٣٥]، فقال له عمر: من أقرأك هذا، قال: ابن مسعود، قال عمر: (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)، ثمّ كتب إلى ابن مسعود: سلام عليك، أمّا بعد فإنّ اللّه أنزل هذا القرآن فجعله قرآنا عربيا مبينا، و أنزله بلغة هذا الحىّ من قريش، فإذا/ أتاك كتابى هذا فأقرئ النّاس بلغة هذا الحىّ من قريش، و لا تقرئهم بلغة هذيل» «٢». فهذا عمر يختار أن لا يقرأ النّاس إلّا بموافقة لغة قريش، و ليس هذا القول من عمر، و من كلّ من روى عنه إنكارا لأن يقرأ الناس بغير لغة قريش إذا كان منزّلا بلغة قريش، و بوجه يخالف لغتهم، و كانت الحجّة قد قامت بذلك، و لكنّه اختيار منهم لملازمة لغة قريش، لأنّها هى الأظهر المعروفة، و النّاس لها آلف، و الألسن بها أجرى، و القلوب لها أوعى، و ليس يمنع ذلك من أن ينزّله اللّه سبحانه بخلاف الوجه الأظهر، كما أنزله على الوجه الأظهر المعروف، و قد ينظم الشاعر قصيدة و ينشئ الخطيب خطبة، و يعمل المترسّل رسالة، فيعرب كلّ واحد منهم بكلمة فى قصيدته و خطبته فيكون ذلك سائغا

(____١) عتّى: بدلا من كلمة حتى على لغة

هذيل، و هى قراءة غير متواترة و لم ترد عند القراء العشرة و لا عند رواتهم. (٢) رواه ابن عبد البر فى «التمهيد» (٨: ٢٧٨)، و ذكره ابن حجر فى «الفتح» (٩: ٢٧). الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٥٤ جائزا، غير أنّه ممّا يقل استعماله و معرفة النّاس بجوازه، و يكون الأظهر الأشهر غيره، و كذلك يسوغ أن ينزّل اللّه الكلمة بقراءتين إحداهما أظهر و أشهر، و لا ننكر مع ذلك أن يكون الرّسول قد أقرأ فى أكثر أيّامه فى آخر عمره، و آخر عرضه عرض القرآن فيها بالوجه الّذى يخالف خطّ المصحف، ليبيّن لهم أنّه منزّل على ذلك الوجه، و ليستفيض و يظهر عنه، و أن يكون أكثر النّاس قد قرءوا على عصره و بعده بموافقة خطّ المصحف للّذى هو الأقلّ فى الاستعمال، و

لم يلتفتوا إلى أنّ ذلك ليس بمعروف فى لغة قريش، لأنّ الغرض فى ذلك القراءة بالجائز، و ما كثر استعماله و أن يؤثروا القراءة على آخر ما وقع عليه العرض، و إن كان غيره شائعا جائزا، و إذا كان ذلك كذلك ثبت بما وصفناه جواز القراءتين جميعا و أنّ الكلمة منزّلة على الوجهين جميعا. و أمّا قوله تعالى: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ [البقرة: ۱۷۷]، فقد اختلفت فى وجه القراءة بالصابرين، فقال بعضهم: هو نصب على المدح، و العرب تنصب على الذّمّ و المدح، كأنّهم/- زعموا- قرنوا قراءة المدح بمدح مجدّد غير متّبع لأوّل الكلام، و قال بعضهم: إنّما نصب الصّابرين لأنّه أراد: وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ [البقرة: ۱۷۷]، لأنّ البأساء الفقر، و كأنّه قال: و آتى الفقراء، و الضّراء: البلاء فى البدن من المرض و الزمانة، و كأنّه قال: و آتى المال الصّابرين من الفقراء و أصحاب البلاء الصّابرين على فقرهم و بلائهم الذين لا يسألون و لا يلحّون، و جعل الموفين وسطاء بين المعطين و الصّابرين نسقا على من آمن باللّه و هذا بيّن غير متعسّف و لا مستبعد، و القرّاء جميعا على نصب الصّابرين إلّا عاصم الجحدرى، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۵ فإنّه كان يرفع الحرف الذى قرأ به، و ينصبه إذا كتبه كراهية مخالفة خطّ المصحف الذى هو الإمام. فأما قوله تعالى: وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ [النساء: ۱۶۲]، فقد ذكر فيه وجوه، فقال قوم: أراد به يؤمنون بما أنزل إليك و إلى المقيمين الصّلاة، و قال آخرون: أراد يؤمنون بما أنزل إليك و يؤمنون بالمقيمين الصّلاة، و اعتبروه بقوله فى موضع آخر: وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ۶۱]. و قال خلق من أهل العربية هو نصب على المدح، لأنّ العرب تنصب على المدح، و تفرد الممدوح و تعطف عن ردّه إلى ما قبله، و قال أبو عبيدة و جلّة من أهل العلم بالعربية: هو نصب على تطاول الكلام بالسّبق و هم يستعملون ذلك فى الكلام إذا طال أو تكرّر الوصف الذى يمدحون به أو يذمون، يتحرّجون من الرّفع إلى النّصب، و من النّصب إلى الرّفع، و ربّما فعلوا ذلك و إن لم يتطاول الكلام أيضا و لم ينكروا الوصف و الذّم و المدح، و يعملون فى ذلك على القصد و النيّة فى اتباع الكلام بعضه بعضا،/ و ربّما أضمروا شيئا ينصبون به أو يرفعون، نحو ما قدّمنا عنهم من أنّه أراد يؤمنون بما أنزل إليك، و إلى المقيمين الصّلاة، أو أنّه أراد يؤمنون بما أنزل من قبلك و من قبل المقيمين الصّلاة و نحو ذلك، و أنشدوا فى جواز رفع ذلك و نصبه على تطاول الكلام و تكرر الوصف و المدح قول الشّاعر «۱»: لا يبعدنّ قومى الذين هم سمّ العداة و آفة الجزر النّازلين بكل معترك و الطيّبون معاقد الأزر (____ ۱) هذه الأبيات للشاعر العربى أبى عبيدة، ذكر ذلك القرطبى فى «تفسيره» (۲: ۲۳۹). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۶ و أنشد فى ذلك أيضا: و كلّ قوم أطاعوا أمر سيّدهم إلّا نميرا أطاعت أمر غاويها الطاعنين و لمّا يطعنوا أحدا و القائلون لمن دار تخيلها «۱» و قد اتفقوا على جواز إسناد ذلك على الوجهين جميعا: أحدها: أن يقولوا النّازلين و الطّاعنين منصوب، ثمّ يقولوا و الطيّبون و القائلون فيرفعون، أو أن يقولوا النّازلون و الطاعنون فيرفعون، ثمّ يقولوا و الطّيبين أو القائلين فينصبون، و يعملون الكلام فى الإعراب على النيّة و إتباع الكلام بعضه بعضا، و قد قالوا: إنّ رفع مثل هذا و نصبه عند تطاول الكلام شائع جائز، و إذا كان ذلك كذلك وجب القول بصحّة هذه القراءة و صوابها و لط من زعم أنّها ملحونة. فأمّا قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ [المائدة: ۶۹]، فقد قيل فيه أيضا: إنّه ردّ على موضع إنّ الّذين آمنوا، قالوا: و موضعه رفع، لأنّ إنّ هاهنا مبتدأ لا تحذف فى الكلام معنى أخواتها، لأنّك تقول: زيد قائم، ثمّ تقول: إنّ زيدا قائم فلا يكون بين إدخال إنّ و اطّراحها فرق فى المعنى، و كذلك نقول زيد قائم، ثمّ نقول: لعلّ زيدا قائم، فيحدث فى الكلام معنى الشّك، و نقول:/ زيد قائم، ثمّ نقول: ليت زيدا قائم، فتحدث ليت معنى التّمنى، و يدلّ على هذا أنّهم يقولون: إنّ عبد اللّه قائم و زيد، فيرفع زيدا، لأنّك قلت: عبد اللّه قائم و زيد، و تقول: لعلّ عبد اللّه قائم و زيدا، فتنصب مع لعلّ و ترفع من أنّ لما أحدثته لعلّ من معنى الشّك، و لأنّ (____ ۱) هذه الأبيات أنشدها سيبويه، استدلالا على القراءة المذكورة، أورد ذلك القرطبى فى «تفسيره» (۶: ۱۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۷ إنّ لم تحدث فيه شيئا، و كان الكسائىّ يجيز: إنّ عبد اللّه و زيد قائمان، و إنّ عبد اللّه و زيدا قائم، و إنّ عبد اللّه و زيد قائم، و البصريون

يجيزون ذلك و يحتجّون بقوله: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ «۱» [الأحزاب: ۵۶]، و ينشدون فی ذلك: فمن يك أمسی بالمدينة داره فإنّی و قيّار بها لغريب و هذه جمل تنبئ عن صحّة هذا الحرف، و بطلان دعوی كونه ملحونا. قالوا: و ممّا ورد أيضا ملحونا خطأ لا يجوز ما أثبتوه فی مصحفهم من قوله فی المنافقين: فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ [المنافقون: ۱۰]، و موضعه نصب و إنّما هو فأكون بإثبات الواو لا غير ذلك. فإنّه يقال لهم: ليس الأمر علی ما قدّرتم، بل الوجهان جميعا جائزان سائغان، و قد قرأ السّلف الآية علی الوجهين، فقرأ بعضهم: «و أكن» مجزوما، و قرأ منهم: «فأكون» منصوبا بإثبات الواو، و لكلّ من ذلك وجه، و قد اشتهر عنهم قراءة الوجهين جميعا، فقرأ أبيّ و عبد اللّه بن مسعود و سالم مولی أبی حذيفة: «و أكون» بإثبات الواو، و روی ابن مجاهد عن أحمد بن الحسن قال: حدّثنا الحسن بن عرفة قال: حدّثنا شجاع بن أبی نصر عن عيسی بن عمر الثقفیّ: «أنّ أبيّ بن كعب و عبد اللّه بن مسعود و سالما مولی أبی حذيفة كانوا يقرءون. «فأصّدّق و أكون»، و روی أيضا ابن مجاهد عن شجاع بن أبی نصر عن حمزة الزّيات عن الأعمش عن أصحاب عبد اللّه بن مسعود الذی

(۱) برفع (ملائكته) قراءة عبد الوارث عن أبی عمرو، و هی من القراءات الشاذة، مختصر فی شواذ القرآن- من «كتاب البديع» لابن خالويه ص ۱۲۰، طبعة دار الهجرة، بناية برجستراسر. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۸ قرأ عليهم الأعمش عن عبد اللّه بن مسعود أنّه كان يقرأ: «فأصّدّق و أكون»، و هذه القراءة هی قراءة ابن محيص و أبی عمرو بن العلاء و عيسی بن عمر الثّقفیّ، و كلّ/ هذه الأخبار و الرّوايات، و عمل القرّاء بذلك و تجويزهم له، أوضح دليل علی جواز القراءة بهذا الوجه، أعنی النّصب لجوازها بالجزم، لأنّ مثل هذا الحذف المثبت فی المصحف علی خلاف الوجه الأشهر الظاهر يحرك دواعی القوم و هممهم عن البحث عنه، و السؤال عمّا لأجله ثبت فی الإمام بخلاف الوجه الأظهر، و كيف سبيله و المخرج عنه، و كيف هو فی قراءة عبد اللّه و أبيّ و غيرهما من القرّاء المشهورين المنتصبين لإقراء القرآن، و لا يجوز فی مستقرّ العادة و ما ركّبت عليه الطباع إهمال الأمّة لذلك، و ذهاب أهل القرآن عن البحث عن ذلك، و السؤال عن قراءة فی حرف كلّ مشهور بالقراءة، و معروف بالأخذ عنه، و لو كشف لهم البحث و السّؤال عن أنّه مقروءا فی كلّ حرف و عند كلّ قارئ علی وجه واحد لا يسوغ غيره، لتوفّرت هممهم و دواعيهم علی نقل ذلك عن كافتهم، و اشتهاره و لارتفع الخلاف فيه، و لم يخف عليهم إجماع القرّاء عليه و المضیّ علی ذلك الخلف بعدهم و المتبعون لهم. و لمّا لم يكن ذلك كذلك و كانت القراءة بالنّصب، و إثبات القرّاء ظاهر منهم و مشهور عنهم، و كانت مقروءة و مأخوذا بها عند جماعة من الأئمّة و الخلف الصّالح، ثبت بذلك إشهار القراءتين جميعا، و أنّ الحرف مقروء علی الوجهين، و أن القوم قد وقفوا علی أنّ الحرف منزّل علی الوجهين جميعا، فإنّ السنّة قاضية بذلك فهذه جملة تكشف عن جواز القراءتين علی الوجهين جميعا، و أنّ القوم قد وقفوا علی أنّ الحرف منزّل علی الوجهين جميعا و صحّتها، و غلط من زعم أنّه لا يجوز قراءة الحرف بالنّصب، و إثبات الواو. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۵۹ فأمّا وجه جواز القراءة بالجزم و حذف الواو و هی الأكثر و الموافقة لخطّ المصحف، فهو أنّه عطف بأكن علی موضع الفاء من فأصّدق، فيجعل حكمهما مردودا إلی ما يجب لأصّدّق من الإعراب لو لم تدخل الفاء فی الكلام، فلمّا دخلت الفاء عملت فی نصب أصّدق، و بقيت و أكن علی حكمها قبل دخول/ الفاء، لأنّها عطف علی الفعل المجزوم. و أمّا جواز القراءة بالنّصب، و إثبات الواو فهو بيّن ظاهر، لأنّه عطف علی الفعل المنصوب الذی هو التّصدّق، و موضعه نصب، و قد قال أهل العلم بالعربية: إنّ القراءة بإثبات الواو لا تخالف خطّ المصحف، قالوا: لأنّ الواو إنّما حذفت من الكتاب اختصارا، و حكوا: أنّ فی بعض المصاحف: (فقلا) له قولا لّينا [طه: ۴۴]، قاف، لام، ألف، بغير واو، و قالوا: و هذا لا يكون و إن أثبت كذلك و حذفت الواو من فقولا إلّا علی أن ينطق بالواو، و إن كانت محذوفة، و إن حذفت من الكتاب علی وجه الاختصار، و هذا أيضا ليس ببعيد، و يجب أن يكونوا إنّما أثبتوا الواو فی كلّ موضع ذكر فيه أكون، لأنّه لا يجوز أن يقرأ إلّا بالنّصب و إثبات الواو، و أثبت فی هذا الموضع أكن بحذف الواو، و خصّ بذلك لأجل جواز قراءته مجزوما و منصوبا، فأثبت علی أحد الوجهين الجائزين و هو الأخصر لحذف الواو، و إن كانت الحجّة قائمة لجواز قراءته بالنّصب و إثبات الواو لا

يخالف خطّ المصحف الـذى حـذف منه الواو، و على سبيل الاختصار، و إن لم تكن القصّة كذلك، و قد ذكرنا وجه جواز النّصب و قيام الحجّة به و شـهرته و ثبوته عن السّلف، و أخذهم و كثير من الخلف به. و إذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلناه، و بطل قول من منع جواز قراءة هـذا الحرف بغير الجزم، و بطلان قول من ادّعى كون الجزم فى القراءة ملحونا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۰ فإن قالوا: إذا أجزتـم قراءة هـذا الحرف بـالجزم و النّصـب، و أجزتم أيضـا قراءة قـوله: «إنّ هـاذان لسـاحران»، تـارة كـذلك و تـارة: «إنّ هـذين لسـاحران»، فألا أجزتم أيضـا قراءة قوله: «و المقيمين الصّلاة»، بالرّفع، و أن يقرءوا: «و المقيمون الصّلاة»، و كـذلك فألا أجزتم قراءة قوله: «و الصّابئون» بالنّصب، و أن يقرءوا: «و الصابئين» منصوبا، و إن كان ذلك مخالفا لخطّ المصحف كما صنعتم ذلك فى «أصّدّق و أكن»، و «إنّ هـذين لساحران»، و إن خالفت القراءة خطّ المصحف حيث تكونوا قد أعطيتم القياس/ حقّه و مضيتم مع موجبه. يقال لهم: لا يجب ما قلتم لأجل أنّنا قـد بيّنّا جواز قراءة الحرفين الأولين على الوجهين جميعا، و بيّنا أنّ قوما من السّلف، و خلقا من الخلف قرءوا بـذلك، فاشـتهر عنهم و قـامت الحجّـة به من غير تنـاكر و لا ترافع، و أوضـحنا ذلـك بما يغنى عن ردّه، فوجب تجويز الوجهين جميعـا فى «أصّدق و اكن»، و فى «إنّ هـذين لسـاحران»، و لم ينقـل عن أحـد من السّلف، و لا قامت الحجّة بأنّ أحـدا منهم قرأ: «و المقيمين الصـلاة» بالرفع، «و الصّابئين بالنّصب»، و هو إذا قرئ كذلك مخالف لخطّ المصـحف، و إذ قرئ على موافقة خطّ المصحف فقد قرئ بوجه صـحيح جائز، و قد بيّنا صـحّته و سـلامته لغير وجه، فلا يسوّغ لأحد ترك قراءتهما على موافقة خطّ المصحف الذى قد نتّفق أنّه قـد أنزل كـذلك، و قرئ به إلى مخالفـة الخطّ فى المصـحف الـذى لا يؤمن معه أن يكون اللّه سـبحانه مـا أنزله على ذلك الوجه، و إن كان جائزا سائغا، و قد أوضـحنا فيما سلف أنّ القراءة تثبت تارة جواز ما بخطّ المصحف و نقله و الشّهادة بصحّته، و تثبت تارة بالنّقل عن السّلف و ظهور القراءة للحرف بينهم، و إن خالف خطّ المصـحف، فوجب لأجل هـذه الجملة جواز قراءة ما قلناه على الوجهين جميعا، و لم يجز قراءة: «و المقيمين الصّلاة»: «الصّابئون» الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۱ بخلاف خطّ المصحف، و على ما لا نعلم أنّ اللّه سـبحانه أنزله عليه، و إن كان سائغا ظاهرا و كان هو الأشـهر فى اللّغة العربية، لأنّه قد يجوز أن يترك الحرف و الحرفان على خلاف الوجه الأظهر الأشـهر على مـا بيّنـاه من قبل إذا كان لإنزاله على خلاف ذلك فى اللّغـة توجّها صـحيحا، و إذا كان ذلك كـذلك بطـل مـا سألوا عنه و طـالبوا به. فأمّا مـا يروى عن عاصم الجحـدرىّ من أنّه كان إذا قرأ: «و الصّابئون» قرأه بالرفع، و إذا كتبه منصوبا كراهيـة مخالفـة خطّ المصـحف، فإنّه إن ثبت عنه روايـة لـذلك عن السّلف وجب إجازة قراءته على الوجهين، و إن لم يكن عنـده/ فى ذلـك روايـة و كـان من رأيه و اجتهـاده و ظنّه أنّ ذلك من اللّحن، فإنّه خطأ منه مردود، لأنّنا قـد بيّنا جواز ذلك و وجه ما يجوز أن يضـمر فيه فلا وجه لمخالفته إن لم تكن هناك رواية مشهورة عن الصّحابة الذين هم السّلف فى جواز قراءة هذا على خلاف خطّ المصـحف و هـذه جملـة تكشف عن بطلان جميع ما يتوهّمونه فى هذا الباب من دخول الخلل و الغلط فى نقل القرآن و جمعه و إثباته. و اعلموا رحمكم اللّه: أنّ ضبط السّلف و الخلف لهذه الأحرف اليسيرة المعدودة و خوضهم فيها، و اختلافهم فى وجوه قراءتها، و مـا ذكر عن بعضـهم: أنّهـا ملحونـة على تأويـل مـا قلناه، أو: أنّها من غلط الكاتب، و قول بعضـهم: إنّه لا يجوز قراءة شـىء منها على مخالفة خطّ المصـحف، و قول آخرين: يجوز ذلك، و قول بعضـهم: يجوز قراءة بعضـها على مخالفة خطّ المصحف و على موافقته، و لا يجوز قراءة بعضـها على مخالفـة خطّ المصـحف، و حمل بعضـهم نفسه على أن يقرأ بعضـها على مخالفة خطّ المصـحف، فإذا كتبه كتبه على موافقة خطّ المصـحف كراهية مخالفة الإمام و كلام الناس فى هذا الباب. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۲ و تخريج الوجوه و تقدير الحرف و إظهار الأسباب الذى يخرج بها الكلام عن أن يكون لحنا إلى غير ذلك ممّا ذكر فى هذا الباب من أدلّ الأمور على صحّـة نقـل القرآن و ضـبطه، و شـهرة أمره فيهم و ظهور نقله بينهم و إحـاطتهم بعلمه و معرفتهم بما ثبت منه و إدراكهم بعلم جميعه و بمعرفة نظمه و ترتيبه، و كماله و سلامته، لأنّ العادة موضوعة على أنّ القوم الذين لم يهملوا الكلام فى هذه الأحرف اليسيرة، و البحث عنها و تطلّب الوجوه لها، و الكشف عن معانيها و الكلام فى قراءتها و إثباتها، لا يجوز أن يـذهبوا عن معرفـة قرآن قد حذف و نقص، و عن علم قرآن زيـد و بـدّل و غيّر و اختـلّ عن نظمه و سـننه، و أزيـل عن نظـامه و ترتيبه، بل موجب العادة فيهم أنّهم لو لحق كتابهم

اليسير من ذلک، لعظم/ خوضهم و استدراكهم له و تماديهم و تجادلهم فيه، و إذكار بعضهم لبعض موضع الغلط و الإهمال، و لتفاقم الأمر فی ذلک و ظهر و انتشر و كثر الحديث به و القول فيه، و ظهر ظهورا تعلمه العذراء فی خدرها فضلا عن قرّاء القرآن، و أصحاب السنن و الآثار، و نقلهٔ الحديث و الأخبار، و لكانت عنايتهم بذلک و اشتغالهم بالخوض فيه من أكثر شأنهم و أفشى شیء فيهم، و لما لم يكن الأمر فيما يدعونه من تغيير القرآن و نقصانه و زيادته و مخالفهٔ ترتيبه، و تقديم مؤخره و تأخير مقدمه، على ما ذكرنا وجب بهذه الجملهٔ بطلان جميع ما يدّعون من هذا الباب، و ثبت بما وصفناه أن اللّه سبحانه قد عصم الأمهٔ من ذهابها عن حفظ كتاب ربها، و نفى ذلک عنها، و حفظ عليها و لها ما استحفظها من كلامه، ورعا لها ما استرعاها من القيام بحفظ كتابه، و جمع لها ما ضمن جمعه، و حرسه من أن يأتيه الباطل من بين يديه، أو من خلفه على ما أخبر سبحانه بذلک فی نصّ كتابه، و على لسان نبيه و رسوله. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۳ فهذا من الحجج القاهرهٔ و الأدلهٔ الباهرهٔ على بطلان قول من ادّعى دخول الخلل و الفساد على القرآن، و كيف يجوز فی وضع العادهٔ أن يذهب من القرآن مثل سورهٔ البقرهٔ فی المقدار و لا يبقى منها إلا آيات، و أضعاف ما فی أيدينا من سورهٔ الأحزاب، على قوم ضبطوا هذه الأحرف و تكلّموا فيها بما وصفناه و خاضوا فيها الخوض الذی قدمناه، و أن توهم ذلک عليهم من التفريط الشديد و الجهل العظيم و العناد الدال على إلحاد صاحبه و تلاعبه، نعوذ باللّه من الحيرهٔ و الضلال و نرغب إليه فی التوفيق و السداد. فإن قال قائل: قد زعمتم أن هذه الأحرف مثبتهٔ فی المصحف و مقروءهٔ على خلاف الوجه الأظهر فی اللغهٔ، و على ما يظنه من قصر علمه أنها ملحونهٔ فاسدهٔ، و أن الأشهر فی اللغهٔ غير ما أثبت عليه، فخبرونا لم أثبتها القوم كذلک، فإن كانوا إنما أثبتوها على خلاف الوجه المألوف الأشهر لأنهم بذلک أمروا و عليه وقفوا/ فلم أمرهم اللّه بذلک و أنزله على خلاف الوجه الأظهر و عدل سبحانه إلى الأمر فكتبه على الوجه الموهم للخطأ و ما يدعو إلى الالتباس و الشبههٔ؟ و ما وجه الحكمهٔ و الصواب فی ذلک؟ يقال له: أما إطباق الجماعهٔ على كتابهٔ هذه الحروف على خلاف الوجه الأظهر الأشهر فهو أصح دليل على أنهم مأمورون بذلک و موقفون عليه و مؤخذون به، و أنه لو لا- إلزامهم ذلک و جواز القراءهٔ ببعضها مع إطلاق القراءهٔ بغيره رحمهٔ، و تضييقه القراءهٔ ببعضها على وجه ما ثبت، و موافقهٔ خط المصحف، لكتبوه على الوجه الأظهر الأشهر لا سيّما و ليس فی ذلک ما يتعلق باختلاف منفعهٔ أو دفع مضرهٔ، أو يعود بإثبات إمامهٔ و تأثيل محل و رئاسهٔ و تفضيل قوم، و بنقص آخرين و لا يضر بهم إثباته على الوجه الأشهر الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۴ فی باب دنيا و لا دين، و إثباته له على ما أثبتوه، إذا كانت الحال على ما وصفناه من أدل الأمور على أنهم مأمورون بذلک و مخبّرون بصحّته و جوازه. فأمّا وجه الحكمهٔ من أمرهم بذلک و توقيفهم عليه، فإننا قد بيّنا فی غير موضع من الكلام فی الأصول أن حكمهٔ البارى سبحانه لا تثبت له إلا من جههٔ فعله و تعبده، و أنه لا يشرع و يأمر و ينهى و يخفف المحنهٔ تارهٔ، و يغلظها أخرى لعلهٔ و باعث و خاطر و محرّک، و أسباب تدعوه إلى ما شرع و يبعثه على ما تعبد، و كشفنا ذلک بغير وجه، و أقرب ما يقال فی هذا أنّه إنما أنزله سبحانه كذلک و أمرهم بإثباته على هذا الوجه، و إن كان السلف يعرفون وجه الصواب فيه، و المخرج تغليظا لمحنهٔ الخلف و تشديدا لها و لتعمل آراءها و أفكارها، و تكثر نظرها و استخراجها فيما بيّن صواب هذه الأحرف و تخرجها عن اللحن و الخطأ، و ينقصون تصحيح ما يؤديهم النظر و الاستخراج و معرفهٔ لطيف ما يحتج به لصحهٔ هذه الأحرف على من خالفهم من الملحدين، و قدح فی كتابهم و على سلف من الزائغين و المنحرفين، فيكون ذلک ذريعهٔ إلى إجزال ثوابهم و سبيلا- و وصله/ تفضلهم و إعظامهم و الاحتجاج على أهل الجهل و الإهمال و التقصير بهم، و الأمر بالرجوع إلى بيانهم و المصير إلى برهانهم، و لو أنزل تعالى جميع كتابه بالأحرف الظاهرهٔ و بما يستوى فی معرفته الخاصهٔ و العامهٔ لبطلت هذه الفضليهٔ و زالت المئونهٔ، كما أنه لو أنزل جميع كتابه محكما بينا غير مشكل و لا مجمل و لا محتمل للتأويل و لا مما يحتاج فی معرفهٔ معناه إلى برهان و دليل لخفت المحنهٔ و زالت المئونهٔ و بطلت فضيلهٔ العالم على الجاهل، و المجتهد الناظر على المهمل المقصر، و بطل معنى ما قصده تعالى بقوله: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ [آل عمران: ۷]، و لم يكن هذا التعظيم لشأن أهل العلم، و التفخيم و الإشادهٔ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۵ بذكرهم، و النص على تفضيلهم معنى، فهذا وجه من الصواب و الحكمهٔ بين مع تسليم القول بالأصلح، و أن اللّه سبحانه لم يأمر

بـذلک و یشـرعه إلا لعلة و وجه من وجوه المصالح و الحکمة. و قد یمکن أیضا أن یکون تعالی إنما أنزل هذه علی هذا الوجه، و أمر بإثباتهـا کـذلک لیبعث سـلف الأمـة و خلفهـا علی حفـظ کتـابه و تأمل ألفاظه و تبحر معانیه، و إنعام النظر فی وجوهه و مبانیه و طرق إعرابه، و الفحص عن بـاقی ألفـاظه، و هـل فی الکتـاب ما یجری مجری هـذه الحروف و یشاکلها أم لا؟ فیصـیروا بـذلک إلی ملازمة دراسـته و کثرة تصـفحه، و تعرف حـال ألفـاظه و حروفه و شـدة ضـبطه و تکرار الفکر فیه، و الاعتبار لألفاظه و معانیه و الاحتجاج لما طعن فیه و التنبیه علی وجه المخرج منه، و یکون هذا أدعی الأمور لهم إلی حفظه و حراسـته و الإحاطة به، و إطالة الفکرة فیه، و التتبع له، و التوقیف عند کل شـیء منه، ورد بعضه إلی بعض، و اعتبار اللفظ بمثله، و قیاسه علی نظیره، و معرفة السـبب الذی خولف ببعضـه حکم مثله، و جعل مباینا لما من سبیله أن یکون کهو و جاری مجراه، حتی یکونون فی کل عصـر و زمان و حین من الأحیان علی مثل هـذه الحـال من دراسـته و تحفظه و تأمل جمیعه و تتبعه/ و الاحتجاج له، و الاجتهاد فی الـدفاع عنه، و دفع کیـد القادحین فی تنزیله و الملحدین فی تأویله، و لو أخلاهم سبحانه من أحرف منه غریبة و ألفاظ شاذة و وجوه غیر مألوفة عند کثیر منهم، یحتاج منهم فیها إلی طلب الـوجه و المخرج، لعـدل القـوم عـن الـدرس و التحفـظ و البحـث و التأمـل، و ثقلـت علیهم مئونـة الاحتجـاج، و تکلـف النظر و الاسـتدلال، و لعوّلـوا علی أنه کله ظاهر جلیّ و مـألوف معروف، و أن الحلیم العلیم سـبحانه منزله، و محمـدا صـلی اللّه علیه مؤدیه و متحمله، و الأمة المتلقیة حفّاظه و کتبته، و أن ذلک أجمع یغنی الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۶ عن الفکرة و الحفظ و کثرة الدرس و التأمل، فیصـیر بهم الحال إلی قلـة الـدرس له، و القیام به، و الإنکار علی من قبلهم، و العمل علی حکم منزله و صدق رسوله و فصاحة أمته، و کل ذلک أسباب تدعو إلی التقصیر و الإهمال، و ترک حیاطة القرآن و دراسته و وجود الطاعن و الملحد سبیلا إلی القدح فی القرآن، و التوهین لأـمره و التمکین من الزیادة فیه، و النقصان منه. فلما أراد اللّه تعالی حیاطته و حراسـته و تحصـینه و جمعه، و الحفظ له علی أمـة نبیه، حرک خواطرهم، و جمع هممهم و دواعیهم علی حفظه و تـأمله من ملازمـة دراسـته و التفکر و التأمل لوجوه إعرابه، بما أنزل فیه من هـذه الوجوه العربیـة و الأحـرف الشاذة القلیلـة فی الاسـتعمال، و هـذا أیضا وجه من وجوه الحکمة و الصواب ینبی عن صحة ما قلناه، و فساد ما دانوا به و توهموه و باللّه التأیید. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۷

باب ذکر مطاعنهم فی صحة القرآن و نظمه من جهة اللغة و وصف شبه لهم تجمع ضروبا من مطاعنهم علی التنزیل و الکشف عن إبطالها

اشارة

بـاب ذکر مطاعنهم فی صـحة القرآن و نظمه من جهـة اللغـة و وصف شـبه لهـم تجمع ضـروبا من مطاعنهم علی التنزیل و الکشف عن إبطالها قالوا: و مما یدل علی نقصان القرآن، و تغییر نظمه و زیادة الکلمة منه فی غیر موضعها، و العدول بها عن مکانها الذی هو أولی بهـا، و دخول الخلـل و الغلـط علی جـامعیه- فإن الصـحیح المرسوم علی ما أنزل و رتّب عنـد الإمام و شـیعته القائمین للّه بالحق فیه/ و الـذابین عنه- وجودنـا فیه الکلاـم الـذی لیس له تمـام و لاـ متناسب فی اللفظ، و لا فی المعنی، و وجودنا فیه کثیرا من الکلام المنقطع المنبتر الـذی لاـ یقتضـی صـلته بتمامه، و إیراد جواب له حتی یکون تاما مفیـدا، و وجودنا الاسـتثناءات منه واردة فی غیر مواضـعها، و مبطلـة مناقضـة لما قبلها، و ما هی استثناء منه. و علمنا بأنه قد أحیل القول فی کثیر منه، و وصف الشـیء فیه بغیر صـفته و نسب إلی ما لیس منه فی شـیء، نحو قوله تعالی: قَوارِیرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِیراً [الإنسان: ۱۶]، و القواریر لا تکون من فضـة أبدا، و قوله: لِنُرْسِـلَ عَلَیْهِــمْ حِجــارَةً مِــنْ طِیــنٍ «۱» [الــذاریات: ۳۳]، و الحجــارة لاــ تکــون مــن طیــن، و وجــدنا أیضــا

(______________________________ ۱) هکـذا الآیـة، و قـد وردت فی الأصـل: «و أمطرنـا علیهم حجارة من طین»، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۸ المصـحف الذی فی أیدیکم منطویا علی وصف الهادی الباری تعالی بغیر صفته نحو قوله: وَ أَرْسَلْناهُ إِلی مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ یَزِیدُونَ [الصافات: ۱۴۷] و أو موضوعة للشک و هو

مستحيل فى صفته، و قوله: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى [طه: ۱۷] و هذا لفظ استخبار و استفهام، و هو ممتنع على علّام الغيوب، و قوله: وَ هُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷] و ذلك يقتضى أن خلق بعض الأشياء أصعب و أشق عليه من غيره الأهون منه، و هو موجب لأن يكون ممن يناله الوصب و التعب، يتعالى عن ذلك. و وجدنا فيه أخبارا متنافية متناقضة نحو قوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصلت: ۱۱] بعد إخباره فى أول القصة بأنه خلق الأرض قبل السماء، و قوله فى آية أخرى: أَمِ السَّماءُ بَناها (۲۷) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (۲۹) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها [النازعات: ۲۷- ۳۰] يريد بعد خلق السماء و بنائها، و ذلك خلف و تناقض من القول. و وجدناه أيضا منطويا على ما لا معنى له، و على كنايات عن قوم لا وجه لترك ذكرهم و إظهار أسمائهم، نحو قوله: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا [الفرقان: ۲۸] و أمثال هذا مما سنذكر فى كل فصل منه جملة مقنعة إن شاء اللّه. قالوا: و قد علم أن هذا الاختلاف و التخليط و اللّحن و التناقض و التكرار للقصة بعينها/ على وجه يقتضى العى و اللكنة و الإطالة بما لا معنى له، لا يجوز أن يكون واردا من عند العليم الحكيم، فوجب أنّه من تحريف جامعى المصحف و غلطهم، أو إلباسهم و عنادهم، و إدغالهم «۱» للدين و أهله و إدخالهم فيه ما ليس منه.

(۱) أى: إفسادهم، انظر «مختار الصحاح» مادة (د غ ل). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۶۹ و اعلموا- رحمكم اللّه- قبل الكلام عليهم أنّ هذه المطاعن بأسرها مطاعن الملحدين فى كتاب اللّه تعالى، و قد سبقوا إلى ذكرها و الاحتجاج بها و زادوا على قدر ما تذكره الرافضة من هذه الأبواب، لأنها إنّما تذكر قليلا من كثير من كلام الملحدين فى هذا الباب، و من هذه الفصول التى احتجّ بها الملحدون ما تودعه الرافضة كتبها، و تحتج به على تخليط السلف فى كتاب اللّه، و تغييرهم له، و فيما توره فى نفس المناظرة و الدعوة إلى ضلالتهم على وجه التمويه على المستضعفين ممن يدّعونه أو يناظرونه، و ربّما أجهدوا أنفسهم عند قوله للعامّة الغوغاء من أتباعهم: إنّ هذا المصحف مصحف عثمان، و أنّه مغيّر مبدّل و مزيد فيه و منقوص منه و متواضع على تحريفه، و قصد التخليط فيه فى إيراد جميع شبه الملحدين و مطاعنهم على كتاب اللّه، و إن كانوا عالمين بفساده و وجه المخرج منه، و جواز استعماله فى اللغة قصدا منهم إلى الإلباس و تشكيك من اشتركوه «۱» فى صحة كتاب اللّه، و الاستعانة بما يوردونه عليه، ضمن شبه الملحدين على ما يحاولونه من استجابة الناس إلى ذم السلف، ترك العمل على مصحف عثمان، و تعلق قلوب سامع شبههم بالقرآن الصحيح الذى عند الإمام علمه، و ليس على أحد له أدنى فضل و مسكة و مطالبة شبهة فيما يتعلّقون به. و نحن نذكر من كل ما تعلّقوا به جملة بينة على ما وراءها، و نفتح طريق العلم بصحّة ما طعنوا فيه و توهمهم و عنادهم فيما صاروا إليه على سبيل الإشارة به و التلويح، و إنّنا إن قصدنا لاستيفاء الكلام فى جميع هذه الفصول و الأبواب، احتجنا أن نبسطه و نتقصّاه فى دسوس أوراق/ و خرجنا بذلك

(۱) كذا فى الأصل، و لعل الصواب: «من أشركوه». اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۰ عن غرض الكتاب، و نحن نرجو إغناء من نصح نفسه و هدى لرشده بقدر ما نذكره و استقلاله به عن أمثاله، و ما هو بمعناه و ما توفيقنا إلا باللّه و هو المستعان. قالوا: و ممّا يدلّ على تغيير القوم لكتاب اللّه تعالى و نقصانهم منه ما فى مصحف عثمان من قوله عز و جل:* لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ [آل عمران: ۱۱۳] فذكر أمة واحدة و لم يذكر أخرى، و سواء تأتى للمعادلة بين شيئين، يستويان و يتفاضلان، و متى ذكر أحدهما و لم يذكر الأخرى كان الكلام ناقصا، مبترا غير مفيد، قالوا: و من هذه أيضا قوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ [النور: ۱۰] و ينبغى أن يقال: و لو لا فضل اللّه عليكم و رحمته لنالكم كذى و كذى أو لأصابكم بكذى و نحوه، و إلا لم يكن الكلام تاما. قالوا: و فيه أيضا قوله: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى [الرعد: ۳۱] و لم يقل لكان هذا القرآن أو مثل هذا القرآن و نحو ذلك مما تتم به الفائدة، و من هذا أيضا قوله: أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً [الزمر: ۹] و لم يذكر ضدّ هذا، و لا بدّ من ذكره ضدّه و خلافه، لأنك تقول أم من هو مصدق لك و منقاد لأمرك كمن هو مخالف

عليك و مكذب لك، و متى لم يذكر نقيض الموصوف الأول أخلت، و تبتّر الكلام. قالوا: فوجب أن يكون هذا أجمع و أمثاله يقتضى من ناحية وضع اللغة، و مقتضى الخطاب أن يكون القرآن المرسوم فى مصحف عثمان مغيرا ناقصا، يقال لهم: لا يجب شىء مما ظننتم، لأن سائر ما تعلّقتم به و ادّعيتم الإحالة فيه معروف مستعمل فى اللغة، و قد تكلّم فيه أربابها. و قالوا: إنّه باب حذف الجواب المقدر فى الكلام على وجه الاختصار و الاقتصار على شاهد الحال، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۱ و مفهوم الخطاب، فأما قوله: لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ إلى آخر/ الآية، و المراد و أمة أخرى ليست كذلك فحذف الجواب على وجه الاختصار. و أمّا قوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ فإنّما المراد و اللّه أعلم لعذّبكم بذنوبكم أو أخذكم بها، و نحو ذلك الحذف أيضا على الاختصار، و كذلك المقصد بقوله: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى لكان هذا القرآن أو مثل هذا القرآن و نحوه، فحذف اقتصارا على العلم بالمراد به. فأما قوله تعالى: أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً، فالمراد به و اللّه أعلم كمن هو بضد هذه الصفة و تارك لهذه القربة و هذا الاجتهاد، فحذف اقتصارا على ما ذكره بعد ذلك من قوله: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [الزمر: ۹]، و قد ورد مثل هذا فى اللغة و الشعر كثير من ذلك. قال الشاعر: عصيت إليها القلب إنى لأمرها سميع فما أدرى أرشد طلابها أراد: فما أدرى أرشد طلابها، أم غىّ، فحذف ذكر الغىّ. و قال آخر: فأقسم لو أنّا يا رسول سواك و لكن لم نجد لك مدفعا أراد به: رددناه أو حجبناه، فحذف ذكر الرد و الحجاب. و قال آخر: أراك فلا أدرى أهمّ هممته و ذو الهمّ يوما خاشع متضائل الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۲ أراد أهمّ هممته أو شىء غيره فحذف ذكر غير الهم، و هذا كثير من أن يتبع. و مثل هذا ما يتعلّقون به قوله عز و جل: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [الأنفال: ۱] ثم وصف المؤمنين ثم قال: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ [الانفال: ۵] و لم يذكر الشىء الذى شبّهه بإخراج اللّه له من بيته بالحق، و كما أنّه يدخل فى الكلام لتشبيه الشىء بغيره، و ذلك أن اللّه تعالى/ شبّه إخراجه من بيته مع كراهة قوم من المؤمنين لذلك بتنفيله عليه السلام يوم بدر لسلب القاتل، و جعله لمن أتى بأسير كذى و كذى، و إنّما فعل ذلك لقلّة المسلمين يومئذ و كراهة كثير منهم القتال، و كره قوم منهم أن يكون لكل من قتل قتيلا سلبه، فقال اللّه لهم: قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ، أى يضعها حيث شاء، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ، أى فرّقوها بينكم على ما أمر اللّه ثم قال: كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، أى أنّهم كرهوا ذلك كما كرهوا إخراجك يوم أخرجت من بيتك، فحذف و جعل ما تقدّم فى أوّل السورة جوابا لهذا الكلام، و اقتصر على دلالة الكلام عليه، و مثل هذا قول الشاعر: فلا تدفنونى إنّ دفنى محرّم عليكم و لكن خامرى أمّ عامر «۱» يقول: لا تدفنونى، و لكن دعونى للتى يقال لها إذا صيدت: خامرى أم عامر يقصد الضّبع لتأكلنى، فحذف و لكن دعونى، للعلم باقتضاء الخطاب له.

(۱) قال الطبرى: يقال للضبع خامرى أمّ عامر: أى استترى. «تفسير الطبرى» (۲: ۳۵۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۳ قالوا: و من هذا الباب أيضا قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ [محمد: ۱۵] و لم يأت بالشىء الذى جعل الجنّة مثلا له، و هذا يقتضى فساد الكلام و خلوّه من فائدة، و استعماله على غير ما يجب و ذلك ينفى أن يكون من عند الحليم العليم. يقال لهم: ليس الأمر فى ذلك على ما قدمتم لأن المثل قد يكون معناه النسبة الذى هو مماثلة الشىء لغيره، لأنك تقول: هذا الشىء مثل هذا و أمثاله، كما تقول هذا شبه الشىء، و شبيهه و شبهه، و قد يكون بمعنى صفة الشىء و صورته، و كذلك المثل و المثال يكون بمعنى الصفة و الصورة و الخلقة، يدلّ على ذلك قولهم للمرأة الجميلة الرقيقة الرائعة كأنّها تمثال و مثال أى كأنّها صورة، و كما يقال كأنّها دمية، يعنى الصورة، و هذه المرأة مثل أى صورة، و منه قولهم مثلت له كذى أى صوّرته، و أرنى مثال الدار و مثال زيد أى: صورة ذلك، و قولهم: مثّل له الحظّ أى صوّره له ما يقتفى فيه أثر الممثل، و هذا أظهر و أشهر من أن يحتاج إلى إكثار و إذا/ كان ذلك كذلك حمل قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ إلى آخر ما نعتها به على أنّه أراد أنّ صورتها و صفتها أنّ فيها كذى و كذى. و من هذا أيضا قوله: مُحَمَّدٌ

رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: ٢٩] إلى آخر ما وصفهم و صوّرهم، لأنّه لم يضرب لهم مثلا فى أول الكلام، فيردّ بمثلهم عليهم، و روى أنّ عليا عليه السلام كان يقرأ: «مثال الجنّة التى وعد المتّقون»، و «أمثال الجنّة»، و هذا بمثابة مثل الجنّة. فأمّا قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ [الحج: ٧٣] فإنه إنّما لم يأت بالمثل، لأنّ فى الكلام معناه، و ما يدلّ عليه و هو قوله: إِنَّ الَّذِينَ الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٥٧۴ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فكأنه قال إنّما مثلكم أيها الناس فى عبادة الأصنام و غيرها مثل من عبد إلها لا يقدر على خلق ذبابة و لا يقدر على الاعتصام من سلب ما يسلبهم الذباب فى أنّ عابد من هذه صفته جاهل مقصّر و قاصد بالعبادة و التعظيم من لا يجوز له فحذف على وجه الاختصار و الاحتذاء بما يدلّ على ما فى سياق الكلام، و من الحذف و الاختصار أيضا حذف جواب القسم، و منه قوله: وَ النَّازِعاتِ غَرْقاً (إلى قوله) فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً (۵) (ثم قال) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ [النازعات: ١- ۶] و لم يذكر ما أقسم لأجله و إنّما معناه و النازعات و كذى و كذى لتبعثنّ، و كذلك قوله: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) (ثم قال) بَلْ عَجِبُوا [ق: ١- ٣] و لم يأت بذكر ما أوقع القسم له، و التقدير و القرآن لتبعثنّ، فقال الكافرون هذا شيء عجيب، فحذف ذكر البعث لما فى الكلام من الدلالة عليه من جحد الكفّار للبعث و النشور، و من هذا أيضا قوله: إِلَّا كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ [الرعد: ١۴] فأراد إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليفيض عليه ليبلغ فاه، فاستطال و حذف لدلالة الكلام/ عليه. قال الشاعر «١»: فإنّى و إيّاكم و شوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله أراد كقابض ماء ليرفعه لم تسقه أنامله، فحذف و اقتصر، و قد يقع الحذف و الاقتصار بالكناية عن غير مذكور تقدّم، كما نكنّى عما تقدّم له ذكر الاقتصار على دلالة الحال و الخطاب، و ما خرج الكلام عليه، و منه قوله تعالى: فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً [العاديات: ۴] يعنى الوادى، و قوله: إِذا جَلَّاها [الشمس: ٣] يعنى الدنيا، و لم يتقدم لها ذكر و قوله: حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ [ص: ٣٢] يعنى

(١) هذا البيت للشاعر العربى ضابئ بن الحارث البرجمى، أورد ذلك القرطبى فى «تفسيره» (١٩: ٢٧۶). الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۵٧۵ الشمس، و لم يجز ذكرها و قوله: إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ [القصص: ١٠]؛ أى: بموسى، و إن لم يذكره و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر: ١] يعنى القرآن، و لم يتقدم ذكره و قال: وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ [النحل: ۶١] يعنى الأرض، و إن لم يتقدّم لها ذكر، و هذا أجمع سائغ مستحسن فى اللغة، و معروف عند أهلها، و ليس لأحد أن يقول: إنّ هذا كلام ناقص مبتّر غير مفيد، إذا كانت المقاصد به معروفة و العادة باستعمال أمثاله جارية مألوفة. قال المثقّب العبدى «١»: فما أدرى إذا يممت أرضا أريد الخير أيّهما يلينى أالخير الذى أنا أبتغيه أم الشرّ الذى هو يبتغينى فكنّا بقوله أيّهما عن الخير و الشر لما ذكرهما بعد الكناية. و قال آخر: إذا نهى السفيه جرى إليه و خالف و السفيه إلى خلاف يعنى تاليه إلى السّفه. و منه قول حاتم: أما وىّ ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر «٢»

(١) و هو عئذ بن محصن بن ثعلبة، و هذا البيتان من قصيدة له أولها: أ فاطم قبل بينك متّعينى. انظر ج: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلّام الجمحى (١: ٢٧١). (٢) يروى هذا البيت بلفظ: لعمرك ما يغنى الثراء .. و حاتم هو الطائى، و هو بيت تمثلته السيدة عائشة رضى اللّه عنها لما حضرت الوفاة أبا بكر رضى اللّه عنه. «الطبقات الكبرى» (٣: ١٩۶). الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۵٧۶ يعنى النفس، و لم يتقدم لها ذكر. و قال لبيد: حتى إذا ألقت يدا فى كافر و أجن عورات الثّغور ظلامها «١» يعنى الشمس إذا ابتدأت فى المغيب، و الكافر المعط، و الثغور الأودية و الشعاب/ من كل موضع يخافه يسمى ثغرا. و قد يحذف و يختصر بأن يوقع على شيئين و هو لأحدهما و لا يذكر فعل الآخر، و يقام فعل أحدهما مقام ما ذكر معه على وجه الإيجاز و الاختصار و يضمر فى الكلام ما كان يجب أن يذكر و يظهر، و من هذا قوله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوابٍ وَ أَبارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْها وَ لا يُنْزِفُونَ (١٩) وَ فاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَ حُورٌ عِينٌ (٢٢) [الواقعة: ١٧- ٢٢] و الفاكهة و اللحم و الحور لا يطاف بها، و إنّما معنى ذلك أنهم يؤتون مع ما يطاف به عليهم بلحم طير و فاكهة و حور عين، و منه أيضا قوله تعالى: فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكاءَكُمْ [يونس: ٧١] أى فادعوا

شركاكم. قال الشاعر: تراه كأن اللّه يجدع أنفه و عينيه إن مولاه بان له وفر و إنّما عنى تراه كأن اللّه يجدع أنفه و يفقأ عينيه، فأجرى على العين فعل الأنف على سبيل الحذف و الاختصار.

(۱) أورده القرطبى شاهدا على ما لم يرد ذكره قريبا و إنّما هو معهود فى الذهن. و لبيد هو ابن ربيعة من بنى عامر أدرك الإسلام لطول عمره و أسلم و حسن إسلامه. «تفسير القرطبى» (۱۵: ۱۹۶)، «أبجد العلوم» لصديق بن حسن القنوجى (۳: ۸۹). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۷ و قال الشاعر: و رأيت زوجك فى الوغى متقلّدا سيفا و رمحا و الرمح لا يتقلد به، و أجرى عليه فعل السيف. و قال آخر «۱»: إذا ما الغانيات برزن يوما و زجّجن الحواجب و العيونا و العيون لا تزجج و إنّما أراد زجّجن الحواجب و كحّلن العيونا. و قد يحذف أيضا المضاف و يقام المضاف إليه مقامه، و يجعل الفعل له، و منه قوله: وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ [البقرة: ۹۳] أى حبّ العجل و: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ [البقرة: ۱۹۷] أى: وقت الحج، و قوله: لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ [الحج: ۴۰] الصلوات و بيوت الصلوات، و قوله: لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ [الإسراء: ۷۵] يريد ضعف عذاب الحياة و ضعف عذاب الممات، فى أمثال لهذا يطول ذكر جميعها، و ليس لأحد أن يدّعى الفساد و الإحالة و النقصان فى شىء من هذا/، و إن ظنّ ذلك الجاهل الذى لا علم له بعادة الاستعمال، و طريقة أهل اللسان، و من الحذف و الاختصار المعروف فى كلامهم حذف لا فى القسم، و منه قوله: يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا [النساء: ۱۷۶] أى: ألّا تضلوا فحذف لا، و قوله: كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ [الحجرات: ۲] أى لا تحبط. قال الشاعر: فقلت يمين اللّه أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى (۱) هو الشاعر جميل بن معمر كما أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (۸: ۲۷۶) و كذلك الطبرانى فى «الكبير» (۲۲: ۱۶۰). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۸ يريد: يمين اللّه لازمة لى لا أبرح قاعدا، فحذف على وجه الاختصار، و هذا أكثر من أن يتتبع فمن ادّعى الفساد و التخليط بمثل هذا فقد جهل و أبعد. قالوا: و مما يدلّ أيضا على نقصان القرآن و تغيير نظمه أنّا وجدنا فى مصحف عثمان ما ليس بملائم و لا متناسب من الكلام، و اللّه يجلّ عن إنزال كلامه على هذا الوجه من الفساد و النقصان. قالوا فمن هذا قوله تعالى:* جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلائِدَ (إلى قوله) ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة: ۹۷]. قالوا: فأىّ مناسبة بين جعله البيت الحرام قياما للناس و بين قوله: «ليعلموا أنّ اللّه يعلم ما فى السموات و ما فى الأرض و أنّ اللّه بكلّ شىء عليم؟» و هل كان أن لو لم يجعل البيت قياما للناس أن لا يعلموا أنّ اللّه بكل شىء عليم، و إذا كان بكلّ شىء عليم جعل ذلك أو لم يجعله، فما معنى هذا الكلام، و ما معنى جعله البيت الحرام و الشهر الحرام قياما للناس. فيقال لهم: ليس الأمر فى هذا على ما ظننتم، و ذلك أنّ العرب كانت فى جاهليتها تشنّ الغارات، و تسفك الدماء الحرام، و تأخذ الاموال بغير الحق و تخفيف السبيل و تطلب الثأر فيقتل بالمقتول قاتله و غير قاتله، و بالواحد الجماعة و يقتل القاتل و جاره و من فى ذمامه فجعل اللّه الكعبة البيت الحرام و ما حوله و الشهر الحرام قوما/ للناس أى أمنا لهم، لأنّ الخائف منهم كان إذا لجأ إلى البيت حقن دمه، و سلمت نفسه و زال خوفه، قال اللّه تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ [العنكبوت: ۶۷] الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۷۹ يعنى بالقتل و الإخافة و الغارات و كانوا إذا دخل الشهر الحرام يكفّون عن الحرب و القتل و شنّ الغارات و يتبسّطون فى الأرض آمنين على أموالهم و أنفسهم، فجعل اللّه البيت الحرام و ما حوله و الهدى و التقليد إليه من مصالح خلقه، و عائدا بحفظ نفوسهم و أموالهم و حقن دمائهم، و لو تركهم على ما كانوا عليه لتفانوا و لذهبت أموالهم و أنفسهم و لم يستقرّ بهم دار و لا قرار، و عرّفهم تعالى أنّه جعل ذلك من مصالحهم، فقال تعالى: ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة: ۹۷] يقول كما أنّنى علمت أنّ جعل الكعبة الحرام و الحرم قياما للناس و أمنا لهم، فإنّ ذلك من مصالحهم، و اعلموا أيضا أنّنى أعلم ما فى السموات و ما فى الأرض من مصالح أهلها و مرافقهم و وجوه دفع المضار عنهم، و أنّنى مع ذلك بكل شىء عليم، فأىّ كلام أليق بكلام، و أشبه به من هذا لو لا الجهل و التخليط. قالوا: و من هذا الباب أيضا قوله: وَ إِنْ

خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِی الْیَتامی فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ [النساء: ٣] و هل یصیرون مقسطین فی الیتامی بنکاحهم النساء، و کیف یکون ذلک و هم عند نکاح النساء أعجز عن القسط و العدل فی الیتامی، و أیّ تناسب بین هذا الکلام؟ فیقال لهم: لیس الأمر فی هذا أیضا علی ما قدّرتم، و ذلک أنّ اللّه شبّه خوفنا بالعجز عن العدل و القسط فی الیتامی، بعجزنا عن العدل بین أکثر من أربع نسوة، لو أطلق لنا نکاح أکثر من أربعة، فقال کما تخافون أن لا- تعدلوا بین الیتامی إذا کفلتموهم، فخافوا أیضا أن لا تعدلوا بین النساء إذا نکحتموهنّ و أکثرتم منهن، فانکحوا إذا کنتم تخافون/ ذلک اثنتین و ثلاثا و أربعا، و لا- تتجاوزوا ذلک، لا تقصّروا و تعجزوا عن العدل بینهن، ثم قال الإنتصار للقرآن، ج ٢، ص: ٥٨٠ و إن خفتم أیضا أن لا تعدلوا بن الاثنتین و الثلاث و الأربع فانکحوا واحدة، و اقتصروا معها علی ما ملکت أیمانکم من الإماء، ذلک أدنی أن لا تعولوا، أی لا تمیلوا و تجاوزوا. و قد روی هذا الذی قلناه بعینه عن ابن عباس؛ فإنّه قال: «قصر الرجال علی أربع من أجل الیتامی فیقول لما کان النساء مکفولات بمنزلة الیتامی، و کان العدل علی الیتامی صعب شدید علی کافلهم قصر الرجال علی ما بین الواحدة إلی الأربع من النساء، و لم یطلق لهم ما فوق ذلک لأن لا یمیلوا»، و إذا کان ذلک کذلک بطل توهّمهم و زال تعجّبهم. و قد قیل: إنّ تأویل هذه الآیة أنّه قد کان مباحا لهم فی صدر الإسلام أن ینکحوا ربائبهم اللاتی فی حجورهم من نسائهم اللاتی دخلوا بهنّ، و أن منهم من کان یخاف أن لا یعدل بین الربیبة و بین غیرها ممن لیست بربیبته، لکونه والیا علی الربیبة و مربیا لها و مستولیا علی أمرها فقال لمّا علم ذلک من حالهم: و إن خفتم أن لا تقسطوا فی الیتامی إذا أنتم نکحتموهنّ و تزوجتم بهنّ فیما یتعلق بحقوق الزوجیة و العدل بینهنّ و بین غیرهن، فانکحوا غیرهنّ من النساء اللاتی لیس فی حجورکم و لا لکم علیهنّ ولایة لتحسم أطماعکم فی تحیّفهن، و هذا تأویل صحیح. و قیل أیضا: إنّ تأویل الآیة أنّکم إن خفتم أن لا تعدلوا فی الیتامی الأطفال إذا تزوجتم بهنّ و کنّ ذوات أموال تخافون أخذها و أکلها بالباطل و عجز الأطفال عن منعکم منها و صدّکم عنها، و استیفاء ما تتلونه منها، فانکحوا ما طاب لکم النساء البذّل القادرات علی تدبیر أموالهنّ، و منعکم من تخطّفها؛ لأنّکم تکونون عند ذلک أبعد فی أکل أموالهنّ بالباطل، و الاعتداء علیهن، و هذا أیضا قریب/ لیس ببعید. الإنتصار للقرآن، ج ٢، ص: ٥٨١ و یمکن أیضا أن یکون التأویل فی ذلک أنّکم إذا خفتم الإثم و النار بأن لا تعدلوا بین الیتامی فخافوا مثل ذلک فی ترک العدل بین النساء، و انکحوا ما طاب لکم من النساء، یعنی به من أحلّ لکم منهنّ و هم اثنتین أو ثلاث أو رباع، و لا- تنکحوا أکثر من ذلک فتترکوا العدل بینهنّ إذا کثروا فتتورّطوا لذلک فی الإثم و النار، فکأنّه قال: إن خفتم النار بترک العدل بین الیتامی فخافوا ذلک فی ترک العدل بین النساء و انکحوا قدر ما أحللته لکم ممّا أعلم أنّکم تستطیعون العدل بینهن، و لا تتجاوزوا ذلک، و لو قال مکان هذا فإن خفتم أن لا- تعدلوا بین الیتامی فاعدلوا فی الحکم و أوفوا الکیل و قوموا بالفرائض لتتبرءوا من الإثم، لکان ذلک صحیحا جائزا کما یقول القائل: إن خفت السلطان فی منع الحرام فلا تقذف المحصنات، و لا تشتم الناس، یرید بذلک فإنّ الضّرر علیک فی مثل هذا، ما خفت منه أو أکثر، و قد یمکن أیضا أن یکون أراد بالآیة أنّکم إن خفتم إذا تزوجتم بالأیتام أو الأطفال اللاتی لا ولیّ لهنّ و طالبنکم بحقوق الزوجیة و إقامة العدل بینهنّ، فانکحوا البالغات البذّل اللاتی یقدرن علی أخذکم بالعدل بینهن، و تکونون عند نکاحهن أبعد من الظلم لهنّ. قالوا: و من ذلک أیضا قوله: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِیُرِیَکُمْ مِنْ آیاتِهِ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ [لقمان: ٣١]، قالوا: فما معنی تخصیصه للصبّار الشّکور دون غیره، و فیما ذکره آیات لکل مکلّف ممن صبر و شکر و ممّن لیست هذه صفته. فیقال لهم: لیس فیما ذکرتموه من هذا متعلّق و ذلک أن اللّه کنّی و هو أعلم بذکر الصبّار الشکور عن المؤمن لأجل أنّ أفضل صفات المؤمن الصبر المقترن بالشکر، فکأنّه قال: إنّ فی ذلک لآیات لکل مؤمن، و قد قال فی الإنتصار للقرآن، ج ٢، ص: ٥٨٢ موضع آخر: إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِلْمُؤْمِنِینَ «١» [الحجر: ٧٧] فلا- تعلّق فیما وصفتم، و إنّما یخصّ المؤمنین المتفکرین و المعتبرین بالذکر فی ذلک، و تضاف الآیات إلیهم دون الکافرین، و من أهمل نفسه و صدّق و عاند و تنکّر الحقّ لأجل أنّهم هم المنتفعون بالنّظر فی هذه الآیات، و المستدلون بها و المتبرون بعجیب صنعها و لطیف ما فیها، و کذلک قوله: إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ [ق: ٣٧]، یعنی من کان له علم، و إن کان لو نظر فی ذلک من لا علم

له لعلم بصحيح النظر ما علمه المؤمنون، و اتّعظ و انزجر بذلك، فذلك ما ظنوه. قالوا: و من هذا الباب أيضا قوله تعالى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ [الحديد: ۲۰]، و كيف يعجب النبات الكفار دون المؤمنين الأبرار، و هذا إذا طلع و اخضرّ و أينع، أعجب المؤمنين و الكافرين. فيقال لهم: لم يرد اللّه تعالى بذكر الكفّار هاهنا الكفّار باللّه تعالى و بالأديان، و إنّما عنى و هو أعلم بالزرّاع الكفار، لأنّ مغطّى الزرع إذا بذره فى الأرض و ستره كافر، و منه قيل للمتسلّح المعتد: متكفّر بسلاحه؛ أى: متغط به، من قول الشاعر: فى ليلة كفر النجوم غمامها. يريد غطّى الغمام النجوم و سترها و إنّما قال يعجب الزّراع نباته، و خصّهم بذلك لأنّهم هم المبلون به و المترقبون لما تخرجه الأرض و المنتفعون به قبل غيرهم، فأضاف ذلك إليهم. قالوا: و من ذلك أيضا قوله تعالى: قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً [الإنسان: ۱۶]، و قد علم أنّ القوارير لا تكون من فضة، و فى هذا الكلام إحالة و فساد

(____ ۱) فى الأصل «لآيات»، و الصواب (لآية) على الإفراد. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۳ و نقصان ما لا يتمّ الفائدة، و ينتظم الكلام و معناه الآية، فوجب أن يكون ما هذه صفته فليس من عند اللّه. يقال لهم: ليس الأمر فى هذا على ما قدّرتم، لأنّ اللّه تعالى أراد أنّ تلك الأكواب التى هى كيزان لا عرى لها فى بياض الفضة و صفاء القوارير على مذهب النسبة، فكأنّه قال: هى أكواب قوارير كأنّها الفضة من بياضها/ فحذف كأنّها أو مثل الفضة، أو تشبه الفضة لحصول العلم بذلك و علم أهل اللسان به، و هذا شبيه بقوله: كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ [الصافات: ۴۹]، و كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ وَ الْمَرْجانُ [الرحمن: ۵۸]، و لو قال: إنهن ياقوت و مرجان و بيض مكنون و حذفت كأنّهنّ، و هو يعنى بذلك لكان صحيحا سائغا على طريقة أهل اللسان، و لهذا استجازوا أن يقولوا: فلان درة لا قيمة لها و جوهرة نفيسة، و هذه الجارية لؤلؤة و ياقوتة، و هذا شراب من نار و من نور، يريدون بذلك أنه يشبه الجوهرة و الياقوتة، و أنّ الشراب يشبه النور و النار، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما تعلقوا به هم و إخوانهم من الملحدين. قالوا و من هذا أيضا قوله: لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ «۱» [الذاريات: ۳۳]، و قد علم أنّ الحجارة خلاف الطين، فعلم بذلك فساد هذا الكلام، و أن اللّه لم ينزّله كذلك. يقال لهم: هذا غلط لأنّ عبد اللّه بن عباس ذكر الذى أرسل عليهم آجر، و الآجر حجارة من طين لأنّ أصله الطين، و سمّاه حجارة لأنّه كان فى صلابة الحجارة و شدّتها، و ذلك صحيح غير بعيد، بأن يكون اللّه تعالى أمر الملائكة أن ترميهم بالآجر، و أن يكون هو تعالى رماهم بها، فخلق حركات الآجر

(____ ۱) وردت فى الأصل: «و أمطرنا»، و الصواب ما أثبته فى الأصل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۴ و اعتماداته على رءوسهم، و قد ذكر فى السيرة أنّ ولد نوح عليه السلام تفرّقوا فى الأرض، و كانت الأرض لسانا واحدا، فلمّا ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى الأرض سبعة سبخة فنزلوا ثم جعل الرجل يقول للرجل: هلمّ فلنلبّن لبنا فنحرقه فيكون اللّبن حجارة و نبنى مجدلا رأسه فى السماء، و ذكر بعض من رأى هذه الحجارة أنّها حمن مختّمة، و قال آخرون: بل هى مخطّطة و ذلك تسويمها، و هذا يزيل توهّمهم و يبطل شبههم. قالوا: و ممّا يدلّ على تغيير القوم لنظم القرآن و ترتيبه على غير ما أنزل و وضعهم لأشياء منه فى غير حقّها و مواضعها وجود الاستثناءات «۱» منه واردة فى غير مواضعها/ و موجبة للنقص و فساد المعنى و المقصود قالوا: فمن ذلك قوله: لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى [الدخان: ۵۶]. قالوا: و قد ثبت أنّ أهل الجنة و غيرهم أيضا من الأحياء لا يصحّ أن يذوق الموتة الأولى التى ماتوا بها فى الدنيا؛ لأنّ الموت الذى كان فى الدنيا مضى و انقضى، و لا يجوز أن يعلا و يخلق مرة أخرى، فيذوقه أهل الجنة و لا غيرهم. قالوا: على أنّه قد أخبر فى غير موضع، أنّ أهل الجنة لا يموتون أبدا، و لا يألمون و لا ينقطع و يزول ما هم فيه من العيش السليم و النعيم المقيم، و من هذه حاله لا يذوق الموت جملة، لا الموتة الأولى التى كانت فى الدنيا و لا فى غيرها، و وجب أن يكون قوله إلا الموتة الأولى استثناء يفسد من وجهين:

(____ ۱) فى الأصل بالاستثناءات، و الجادة بدون باء، أو لعلها «وجودنا الاستثناءات». الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۵ أحدهما: أن الموتة الأولى لا تصحّ أن تعاد فيذوقها أحد، و الآخر: أنّ أهل الجنة لا يذوقون الموت أبدا، لا الموتة الأولى و لا غيرها. قالوا فهذا يدلّ على أنّ هذا الاستثناء ليس من كلام اللّه، أو

هو من كلامه غير أنّه وارد فى غير هذا الموضع، أو على غير هذا الوجه، أو كان معه كلام من حكاية عن مبطل، أو قول لقائل، أو مقدم أو مؤخر يخرجه عن الفساد و الاستحالة. فيقال لهم: لا يجب شيء ممّا قلتم، لأجل أنّ إلّا هاهنا بمعنى سوى، و سوى هو بمعنى غير، فكأنّه قال تعالى «لا يذوقون الموت غير الموت الذى كانوا ذاقوه فى الدنيا، و قوله فيها ليس معناه أنّهم يذوقون فى غيرها الموت، و لكن لما ذكر الجنة و وصفها، بأنّها دار مقامهم و قرارهم و أنّه لا دار لهم سواها، قال: لا يذوقون فيها الموت، و مثل هذا قوله: وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ [النساء: ۲۲]، يعنى سوى ما قد سلف فى الجاهلية، و قد يقول القائل: ما ينالك فى هذا الأمر ضرر و لا حزن إلا ما نالك و سوى ما نالك، لا يريد بذلك أنّك ينالك ما قد نالك و انقضى و مضى، و إنّما يعنى بذلك أنّه لا ينالك شيء غير الذى قد نالك من قبل و هذا أبين من أن يحتاج/ إلى إكثار. و أمّا قولهم: إنّ أهل الجنة لو جاز أن يموتوا لم يصحّ أن يذوقوا الموتة الأولى التى كانت فى الدنيا، لأنّها لا تصحّ أن تخلق و تعاد مرة أخرى، فإنّه باطل؛ لأنّ الموت المنقضى و جميع الأعراض الفانية يصحّ أن تخلق و تعاد بعد فنائها، و أن يقدّم خلقها و يؤخر أيضا، و إن استحال بقاؤها و استمرار الوجود بها وقتين فصاعدا، و قد بيّنا ذلك و دللنا على صحته فى كتاب «شرح الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۶ اللّمع لأبى الحسن الأشعرىّ» «۱» بما تغنى الناظر فيه، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما قالوه. قالوا: و من هذه أيضا قوله تعالى: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود: ۱۰۸]، قالوا: و قد علم أنّ قوله غير مجذوذ يقتضى أن يكون دائما غير مقطوع، و قوله: «إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ» يقتضى أنّهم يمكثون فى الجنة دهرا ثم لا يكونون فيها لقوله: «إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ»، لأنّه يقتضى إلا ما شاء اللّه من إخراجهم، و هذا تناقض و استثناء فى غير موضعه. يقال لهم: لا يجب ما قلتم لأنّ العرب تعبّر عن معنى الأبد و التأبيد بألفاظ كثيرة، يقصدون بها الإخبار عن دوام الشيء و تأبيده، فمن ذلك قولهم: لا أفعل ذلك ما تكرر العصران و ما اختلف الجديدان، و ما اختلف الليل و النهار، و ما طلعت الشمس، و ما غربت، و ما ظمأ البحر، و ما أقام أحد، و ما در للّه شارق، و أمثال هذه الألفاظ قال امرؤ القيس: و إنّى مقيم ما أقام عسيب «۲» يعنى جبلا قائما، استجازوا جعل هذه الألفاظ مكان ذكر الأبد لاعتقادهم أن العصرين يتكرران أبدا سرمدا، و أنّ الليل و النهار يختلفان و يتجددان أبدا

(۱) هذا الكتاب ورد ذكره فى كتب العلامة الباقلانى فى قسم الدراسة و هو مما ثبت نسبته إليه، كما نصّ على ذلك القاضى عياض .. رحمه اللّه. (۲) هذا شطر بيت لامرئ القيس و البيت بتمامه هو: أ جارتنا إن الخطوب تنوب و إنى مقيم ما أقام عسيب أ جارتنا إنا غريبان هاهنا و كلّ غريب للغريب نسيب و عسيب: بفتح أوله و كسر ثانيه، العسيب هو جريد النخل إذا نحى عنه خوصه، و عسيب: جبل بعالية نجد معروف كما قال ياقوت. «معجم البلدان» (۴: ۱۲۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۷ دائما، و أن البحر لا يزال ظاميا مرتفعا، و أن الجبل و السموات و الأرض لا تزولان و لا يتغيران أبدا، فقالوا كذلك: لا أكلمك ما اختلف الجديدان و ما ظمأ البحر، و هم لا يعنون بذلك مدة من الزمان/ منقطعة متناهية، و إنّما يعنون الأبد الذى لا انقطاع له و لا تأخير، فخاطب اللّه العرب بما تعهده فى كلامها و تعرفه فى عرفها فقال تعالى: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ، يعنى أنّهم خالدون فيها أبدا سرمدا فعبّر عن هذا بدوام السموات و الأرض لاعتقادهم فى أصل اللغة أنّهما غير منقطعين و لا مبتعدين. فهذا الكلام جواب من قال: كيف قال خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض، و قدر دوام السموات و الأرض منقطع متناهى، و هو قد أخبر أنّ خلودهم و دوامهم غير مجذوذ و لا مقطوع، و إن وجب اعتقاد انقطاع دوام السموات و الأرض من جهة السمع، قال اللّه تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ [إبراهيم: ۴۸]، و قال: يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ «۱» [الأنبياء: ۱۰۴]، فأخبر عن تغييرها و تبديلها. و أمّا قوله تعالى: إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ، فإنّ معناه سوى ما شاء ربك، و معنى ذلك أن اللّه تعالى لما علم أن مكث السموات و الأرض منقطع متناهى «۲»، قال: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ، أى سوى ما شاء

(۱) كتبت هذه الكلمة على رواية من

يقرأ بالإفراد، و للعلماء فيها مذاهب فى قراءتها، فقد قرأ حفص و حمزة و الكسائى «للكتب» على الجمع، و قرأ الباقون بالتوحيد «للكتاب»، و حجّة من وحّد أن السجلّ الرجل كما قال ابن عباس، و التقدير: كطى الرجل الصحيفة، و حجّة من جمع، أن السماء موحد يراد به الجمع لأن السموات كلها تطوى. «الكشف عن وجوه القراءات السبع» (۲: ۱۱۴). (۲) فى الأصل بالياء و هى لغة، و الأقوى بدون ياء: متناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۸ ربك من إدامة خلودهم بعد فناء السموات و الأرض و تبديلهما الذى علمه، و إن كنتم أنتم لا تعرفون ذلك فى وضع لغتكم و تعارفكم، لأنّه لو لم يقل: إلا ما شاء اللّه أن تكون مدة مقامهم فى الجنة مدة مقام السموات و الأرض إلى حين فنائها و تبديلها، هذا وجه صحيح، و قد يقول القائل: لأسكنن فى هذه الدار حولا أو شهرا إلا ما شئت، و قد يصح أن يريد بقوله: إلا ما شئت أن أزيد على ذلك، و قد يصحّ أن يعنى إلا ما شئت أن أنقص منه فإذا علمنا بوجه قاطع أنّه لا ينقص من سكنى سنة حمل قوله: إلا ما شئت على الزيادة على ذلك دون النقصان، و كذلك إذا قال بعد قوله: إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ، يعنى غير مقطوع حمل على أنّه أراد سوى ما شاء من/ الزيادة على قدر دوام السموات و الأرض، إذ كان قدر دوامها منقطعا متناهيا «۱». و يحتمل أيضا أن يكون تعالى أراد بقوله: «إلا ما شاء ربك»، مع دوام السموات و الأرض من كونهم فى الدنيا و من كونهم بأرض المحشر، لأنّهم فى الدنيا و فى الموقف للحساب لا فى الجنة و لا فى النار، فكأنّه قال: و هم أبدا فى الجنة و عبّر عن ذلك بدوام السموات و الأرض إلا قدر ما نقص من ذلك من مدة مقامهم فى الدنيا، و فى المحشر و هذا أيضا وجه صحيح. و يحتمل أيضا أن يكون تأويل قوله: «إلا ما شاء ربك» من كون المؤمنين من أهل الإجرام فى النار، فقال خالدين فيها يعنى المؤمنين إلا ما شاء ربك من مدة كونهم معاتبين فى النار على إجرامهم إلى حين تدركهم رحمة اللّه لهم و شفاعة نبيه فيهم، و إذا كان ذلك كذلك زال توهمهم للمحال بهذا الاستثناء و سقط تعجّبهم.

(______________________________ ۱) فى الأصل: منقطع متناهى، و الجادة: منقطعا متناهيا على أنه خبر كان منصوب. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۸۹ قالوا: و مما يدلّ أيضا على تغيير القرآن و تلاوة القوم له و رسمه على خلاف ما أنزل اللّه تعالى، وجودنا فيه خطابا للحاضر بما هو مبين للغائب، و ليس يحسن أن يقول القائل اختبرتك فوجدته ثقة مناصحا، و رأيتك أمس صحيحا مناظرا فاستعقلته و استرجحته، لأنّ ذلك أجمع خطاب للحاضر بما هو موضوع للغائب، و قد وجدنا مثل هذا فى مصحف عثمان فمن ذلك قوله: حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ [يونس: ۲۲]، فبدأ بخطاب الحاضر فيه بقوله: «كنتم» ثم جاء بخطاب الغائب بقوله: «و جرين بهم»، و منه أيضا قوله: وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ [الحجرات: ۷] و ذلك خطاب الحاضر، ثم قال: أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، و هو خطاب للغائب، و منه أيضا قوله تعالى: وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ [الروم: ۳۹]، و هم للغائب و قوله: آتيتم و تريدون للحاضر، و هذا تخليط لا يجوز وروده من عند الحكيم العليم. فيقال/ لهم: هذا توهم منكم، لأنّ أهل اللغة قد أطبقوا على أنّه قد يحسن أن يصل الخطاب الحاضر ما يصلح للغائب فى مواضع قد عرفت و جرت بها عادتهم، و لذلك قد يرد خطاب الغائب أيضا على وجه ما يستعمل خطاب الحاضر، و يجب أن يسوغ ذلك و يستحسنه حيث استحسنوه. قال الشاعر «۱»: يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت و مرّ عليها سالف الأبد يريد: قويت يا دار، و مرّ عليك سالف الأبد.

(______________________________ ۱) هذا البيت للنابغة الذبيانى رحمه اللّه، و السند بفتحتين ماء معروف لبنى سعد، «معجم البلدان» (۳: ۲۶۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۰ و قال آخر: يا ويح نفسى كان جلدة خلة و بياض وجهك للتراب الأعفر «۱» فبدأ بخطاب الغائب ثم وصله بما يصلح للحاضر، و إن لم يجب أن يقاس على ذلك سائر ما ذكروه، و كذلك يحسن من اللّه تعالى استعمال مثل هذا، و إن لم يستحسن ذلك فى كل موضع، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما تعلقوا به. فأما قوله تعالى: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى [طه: ۱۷]، و قوله: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: ۱۱۶]، و قوله: ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ [القصص: ۶۵]، مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ [الأنبياء: ۴۲]، فإنه وارد على طريق التقرير و

التقريع للقوم، و الاحتجاج على من ادّعى على عيسى و أمه ما ادّعت النصارى، و ربّما ورد من هذا الباب لفظ الاستفهام و المراد به التعجب نحو قوله: عَمَّ يَتَساءَلُونَ (۱) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، كأنه قال: عمّ يتساءلون يا محمد؟! قال: عن النبأ العظيم يتساءلون؟! و كذلك قوله: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ [المرسلات: ۱۲] جاء على وجه التعجب، ثم قال: لِيَوْمِ الْفَصْلِ (۱۳) (أجلت)، و ما ورد منه على وجه التوبيخ نحو قوله تعالى: أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ [الشعراء: ۱۶۵]، و مذهب العرب فى هذا معروف إذا قال قائلهم: تعرفنى؟ أ تدرى من أنا؟ على مذهب التهديد، فلا تعلق لأحد منهم فى هذا الباب.

(____ ۱) هذا البيت للشاعر أبى كبير الهذلى، و قد حكاه الطبرى كما يلى: يا لهف نفسى كان جلدة خالد .. و بياض وجهك للتراب الأعفر. «تفسير القرطبى» (۱: ۶۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۱ و مما خلطوا به ما ليس منه قوله تعالى: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: ۱۴۷]، و أو موضوع للشك و هو مستحيل على اللّه، و هذا باطل و قد قيل فيه ثلاثة أشياء، فقيل إنّ أو هاهنا بمعنى الواو فكأنه قال: إلى مائة ألف و يزيدون، و أنشدوا فى ذلك قول الشاعر «۱»: بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى بزينتها أو أنت فى العين أملح يريد: و أنت فى العين أملح. و قول الآخر «۲»: نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربّه موسى على قدر يريد و كانت له قدرا. و قال قائلون: إنّ أو هاهنا بمعنى بل يزيدون، و قالوا: أراد الشاعر بأو: بل كانت له قدرا، و بل أنت فى العين أملح، قالوا: و قد تجىء الواو بمعنى أو، قال اللّه تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ [النساء: ۳]، يريد مثنى أو ثلاث أو رباع، و قال قائلون: أراد بقوله: أو يزيدون عندكم و فى تقديركم، فكأنّه قال: أرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فى حزركم و حدسكم، و هذا أيضا وجه حسن، فبطل ما توهموه (____. ۱) هذا البيت أنشده الفراء باختلاف يسير فى الشطر الثانى فقال: ... و صورتها أم أنت فى العين أملح. و أم هنا بمعنى بل. «تفسير القرطبى» (۱۶: ۱۰۰). (۲) هو جرير بن عطية، شاعر زمانه أبو حزرة، التميمى البصرى، مدح يزيد بن معاوية و خلفاء بنى أمية، كان عفيفا منيبا، توفى سنة عشر و مائة بعد الفرزدق بشهر، و هو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم. «أبجد العلوم» (۱: ۲۹۰)، «سير أعلام النبلاء» (۴: ۵۹۱). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۲ و من تخاليطهم فى المصحف الذى لا يليق باللّه سبحانه قوله: وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷]، قالوا: و ذلك يؤذن بأنّ فعل بعض الأمور أشقّ عليه من بعض. قال الملحدون: و هذا ما يأباه القوم فى صفة صانعهم، قالوا و من هذا قوله تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: ۱۵]، و قوله: وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ [الأنفال: ۳۰]، و اللعب و الاحتيال ممتنع عليه، و هذا باطل، و قد قال الناس فى هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد و هو أهون عليه عندكم و فى تقديركم إذا كان ابتداء الشىء لا على مثال و نظير تقدّم أصعب عندكم من إعادته على مثال سلف، فضرب لهم المثل بما عندهم، ثم قال عقيب ذلك: وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى [الروم: ۲۷]، أى أنّنى أجلّ عن أن تكون هذه صفتى، و هذا ضد قوله: أو [۴۰۹] يزيدون/ يزيد عندكم و فى تقديركم. و قال آخرون: أراد بقوله: «و هو أهون عليه» على الخلق، و الهاء فى عليه مردودة عليهم، و إنّما صار ذلك كذلك لأنّه يقول لهم سبحانه: كونوا أحياء ناطقين مميّزين و إذا هم بشر منتشرون، و ذلك أسهل عليهم من كونهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم طفلا، و من التنقّل من أصلاب الرجال إلى أرحام النساء و من الطفولية إلى الكبر و الهرم حالا بعد حال فكذلك صارت الإعادة أهون عليهم من الابتداء، فيمكن أن يكون أراد بقوله: «و هو أهون عليه» فى أنه هيّن عليه، فيكون أهون بمعنى هيّن، لأن ذلك مستعمل فى اللغة و هو المراد بقولهم اللّه أكبر إنّما معناه الكبير و لم يرد إضافته إلى شىء هو أكبر منه و المبالغة فى تعظيمه عليه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۳ قال الفرزدق يهجو جريرا: إنّ الذى رفع السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزّ و أطول يريد أنّه عزيز طويل و لم يرد وصف بيت جرير بأنّه عزيز، و أنّ بيته أعزّ و أطول منه. و قال آخر: لعمرك ما أدرى و إنى لأوجل على أننا نغدوا المنيّة أول يريد أنى و جل فجعل أوجل بمعنى و جل، لأنّ أفعل تستعمل بمعنى فعل، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما تعلقوا به بطلانا بينا. و أما قوله تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ [الرحمن: ۳۱]، فلم يرد الفراغ من الشغل، يتعالى عن ذلك، و إنّما أراد أنّنا نقصد لحسابكم و جزائكم، و

العرب تقول: سأفرغ لكلامك و سأفرغ لمسائلتك و مواقفتك يعنى بذلك القصد إلى هذا دون الفراغ من شغل قاطع، فلا تعلّق لهم فى هذا الباب. و أما قوله تعالى: وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ، و قوله: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، و أنّ المراد به و اللّه أعلم يجازيهم على مكرهم و استهزائهم، و قد نسمى الجزاء على/ الشىء باسمه لما بينهما من التعلق، و قد ذكر هذا فى إثبات المجاز، و ذكروا منه قوله: فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ [البقرة: ۱۷۵]، و قوله: فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ [البقرة: ۱۹۴]، و قوله: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها [الشورى: ۴۰]. و قال الشاعر «۱»: ألا لا يجهلنّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(____) هو عمرو بن كلثوم، واحد من أصحاب المعلقات السبعة، شاعر جاهلى لم يدرك الإسلام. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۴ يريد فنكافئه على جهله، و قد قيل الجزاء على الشىء إنّما يسمّى باسمه لمقاربته له و تعلقه به و طول الاصطحاب، كما قالوا: القمران و العمران و الأسودان، و هلاك أمتى فى الأحمرين و أمثال ذلك. قال الشاعر «۱»: أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها و النجوم الطوالع يعنى الشمس و القمر. و قال آخر: فقولوا لأهل المكّتين تحاشدوا و سيروا إلى آطام يثرب و النخل «۲» يعنى مكة و المدينة، و كذلك لمّا كان الجزاء مقرونا بالعمل، و كان على كل جرم عقوبة سموا الجزاء على الفعل باسمه للاصطحاب، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه من أنّ اللّه تعالى وصف نفسه باللعب، و الهزل و المكر الذى هو تطلب المكائد و الحيل. فأما تعلقهم بأنّ اللّه لا يصف رسله بما لا يجوز عليهم، و قد وجدنا فى المصحف أن إبراهيم قال لمّا جنّ عليه الليل و رأى كوكبا قال: هذا رَبِّي إلى آخر القصة، فقد قيل فى هذا إنه كان أول حال بلوغه و طلب ما كلفه صلّى اللّه عليه و سلّم من معرفته ربّه تعالى، و لم يعرف كفرا و لا شركا قبل ذلك، و لا فى حال نظره. و قيل أيضا: إنّه خرج على مذهب العلم لقومه و البيّنة لهم على وجه الاستدلال على حدث هذه الأفلاك. (____) هو الفرزدق، كما ذكر ذلك الطبرى رحمه اللّه. «تاريخ الطبرى» (۵: ۲۴). (۲) هذا البيت من جملة أبيات قيلت بعد غزوة بدر، أوردها ابن هشام فى سيرته. «سيرة ابن هشام» (۳: ۲۸۱). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۵ و قيل أيضا: إنّه خرج على مذهب التقرير و الاستفهام و أنّ ألف الاستفهام أسقط على مذهب الإيجاز/ و الاختصار، فكأنّه قال على طريق التعجّب و التوبيخ لقومه أ هذا ربى فحذف ألف الاستفهام و أنشدوا فى ذلك قول الشاعر «۱»: كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا؟ يريد أ كذبتك عينك؟ فحذف الألف اقتصارا على ما فى الكلام من دلالة استفهام، و هو قوله أم رأيت بواسط لأن أم من حروف الاستفهام. و يقول الآخر «۲»: ثم قالوا تحبّها قلت بهرا عدد القطر و الحصى و التراب يريد قالوا أ تحبّها. و أنشدوا أيضا قول امرئ القيس: أ صاح ترى و مضا أريك وميضه «۳» أراد صاح أ ترى، فحذف الألف على وجه الاختصار، و إذا كان ذلك كذلك، سقط ما ظنوه. (____) هذا البيت للأخطل، و واسط المذكورة فى هذا البيت هو واسط الجزيرة و هناك كما قال أبو الندى: إن للعرب سبعة أواسط، واسط نجد، و واسط الحجاز، و واسط الجزيرة، و واسط اليمامة، و واسط العراق، و هناك واسطان آخران. «معجم البلدان» (۵: ۳۴۸). (۲) هو عمر بن أبى ربيعة، و بهرا يقال: ابتهر فلان بفلانة أى: اشتهر. «معجم البلدان» (۱: ۸۲). (۳) هذا صدر بيت لامرئ القيس و عجزه: ... كلمع اليدين فى حبى مكلل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۶ قالوا: و ممّا يدل أيضا على وقوع التخليط و التناقض و التناقض الذى لا يجوز على اللّه سبحانه فى القرآن، ما نجده فيه من الكلام المتناقض، نحو قوله تعالى: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [المرسلات: ۳۵- ۳۶]، و قوله: فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ [الرحمن: ۳۹]، مع قوله: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ [الصافات: ۵۰]، و* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها [النحل: ۱۱۱]، و قوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ [الزمر: ۳۱]، و قال: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ [ق: ۲۸]، و قوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ [البقرة: ۲۸۵]، و قوله: وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ [الدخان: ۳۲]، و قوله بعد ذلك: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ [يونس: ۹۴]، و كيف يكون فى

شك وصفته ما قدّم، و منه أيضا قوله: لَيسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ [الغاشية: ۶]، و قوله فى موضع آخر: فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ (۳۵) وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ [الحاقة: ۳۵- ۳۶] و الغسلين غير الضريع، و هذا- زعموا- تناقض على أنّ الضريع نبت و النار لا نبات فيها، و كذلك قوله: إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (۶۴) طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ [الصافات: ۶۴]/، قالوا و لا معنى لهذا التشبيه الذى لا- يعرفونه، و لأنّه لا يجوز أن يكون فى النار شجرا و نبتا، لأنّ النار تحرق الشجر و النبات. قالوا: و منه أيضا قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: ۳۳]، و قوله على إثر ذلك: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ [الأنفال: ۳۴]، و هذا تناقض بيّن. قالوا: و منه قوله: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [النساء: ۸۲] على وجه نفى الاختلاف عنه و فيه، و قد وجد من الاختلاف فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۷ القرآن المكى و المدنى و الناسخ و المنسوخ، و الاختلاف فى أحكامه التى ضمّته العقلية و السمعية شيء كثير لا خفاء به، و ذلك تناقض بين و خلل فى القول. و منه أيضا أنّه أخبر أنّه خلق الأرض قبل السماء، ثم أخبر أنّه خلق الأرض بعد السماء، حيث قال:* قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (إلى قوله) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [فصلت: ۹- ۱۱]، ثم قال فى موضع آخر: أَمِ السَّماءُ بَناها (۲۷) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَيْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (۲۹) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها [النازعات: ۲۷- ۳۰]، و هذا أيضا- زعموا- تناقض ظاهر، و منه أنّه أخبر فى غير موضع أنّه خلق السموات و الأرض فى ستة أيام ثم فصّلها لهم فى ثمانية فقال: أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (۹) وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (۱۰) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (۱۱) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [فصلت: ۹- ۱۲]، و اليومين مع الستة التى خلقت الأرض و أقواتها فيها ثمانية، فأجمل ذلك فى ستة و فصّلها فى ثمانية، و هذا- زعموا- تناقض بيّن. قالوا: و من ذلك أيضا قوله: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام: ۳۸]، مع قوله: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ (إلى قوله) وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ [آل عمران: ۷]/، و الواو هاهنا واو استئناف لا- واو عطف، و قوله: كهيعص، و حم، عسق، و الم و غير ذلك من الحروف المذكورة فى أوائل السور التى لا يعرف معناها، و قوله: وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا [عبس: ۳۱] ما يعرف معناه و غير ذلك ممّا لا يعرف الخلق له معنى، و هذا- زعموا- نقض قوله: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹]. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۸ فيقال لهم: ليس فيما أوردتموه شبهة يسوغ التعلق بها. فأمّا قوله: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ [المرسلات: ۳۵]، فإنّ ذلك اليوم أوقات و تارات و هو فى طوله بجنب ما وصف اللّه سبحانه فى قوله: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج: ۴]، و أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [السجدة: ۵]، هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [المرسلات: ۳۵- ۳۶]، وَ لا- يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ [القصص: ۷۸]، عند قيامهم من قبورهم و حشرهم و تبديل الأرض غير الأرض و السماوات و برزوا للّه الواحد القهّار فلا يزالون كذلك إلى حين العرض و المسائلة، ثمّ يؤذن لهم فى النطق، فإذا استقر أهل الجنّة فى الجنّة، و أهل النار فى النّار لم يؤذن لهم فى الاعتذار و لا فى الخصام، و قيل لهم: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ [ق: ۲۸]، و ذلك لا ينفى تخاصمهم فى النّار و تلاومهم و ما ذكره اللّه من ندمهم فى قوله: نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ [الأعراف: ۵۳]، إلى أمثال ذلك، و هذا ينفى التناقض الذى ظنوه. فأما قوله تعالى: لَيسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، مع قوله: فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ (۳۵) وَ لا- طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، فإنّه غير متنافى و لا- متناقض، و ذلك أنّ عذاب أهل النّار دركات و طبقات و أهلها فيها على قدر ذنوبهم فى الكثرة و القلة، و كذلك قصة أهل البوار، و فريق منهم طعامه الضريع، و فريق منهم طعامه الغسلين، و فريق آخر طعامه الزقّوم، كما أخبر اللّه فى موضع آخر، و قوم منهم شرابهم الحميم، و قوم منهم شرابهم الصديد، فالذى ليس له طعام إلا من غسلين غير الذى لا يطعم إلّا الضريع/، و شارب الصديد فيها غير شارب الحميم، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه، و الضريع نبت يكون الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۵۹۹ بالحجاز يقال لرطبه الشبرق و هو ممّا لا يشبع و لا يسمن و لا يغنى شيئا، و العرب تعرفه و تصفه بذلك. قال الهذلى يصف سوء رعى الإبل: و حبسن فى هزم الضريع «۱» فكلها حدباء دامية اليدين حرود و الحرود التى لا تلد،

فضرب اللّه لهم بذكر الضريع مثلا، فكأنّه قال: إنّ أهل النّار يقتاتون ما لا يغنيهم و لا يشبعهم، فهم فى ذلك كآكل الضريع الذى لا يسمن و لا يغنى من جوع، و الغسلين هو من فعلين، من غسلت فهو غسالة أهل النّار، و قال قوم هو ما يسيل من أجسام المعذبين. فأما قوله: إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ [الصافات: ۶۴]، لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، و قولهم: كيف يكون فى النار نبت و شجر؟ فإنّه لا تعلق لهم فيه، إن كان كنّى بذلك الضريع و شجرة الزقوم عن جوعهم، و أنّهم لا يشبعون و عن شيء مشبه لشجرة تشبه رءوس الشياطين فى قبح منظرها، فليس هناك نبت و لا شجر، و إنّما ذلك أمثال و تشبيه، و إذا كان أراد تعالى تحقيق نبت و شجر يخرج من النّار، فإنّ ذلك غير مستحيل. و أمّا قولهم أنّه لا معنى لتمثيل طلع الشجرة برءوس الشياطين من وجهين: أحدهما: أن الشجرة لا طلع لها و إنّما يكون الطلع دون الشجر. و الوجه الآخر: أننا لا نعرف رءوس الشياطين، و ليس هو ما تعرفه العرب، فيمثل لها به بعض الأشياء، فإنّه باطل لأنّه إنّما أراد بقوله تعالى______________________________________:

(۱) الضريع: نبات أخضر منتن الريح يرمى به البحر، و قال الوالبى عن ابن عباس: هو شجر من نار و لو كانت فى الدنيا لأحرقت الأرض و ما عليها و قال عكرمة: و الأظهر أنه شجر ذو شوك. «تفسير القرطبى» (۲۰: ۳۰). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۰ طلعها ثمرها لطلوعه كل سنة و منه سمى طلع النخل طلعا «۱» عند أول خروجه، مأخوذ ذلك من طلوعه، فإذا تغيّرت حاله و انتقل إلى حكم آخر سمى باسم آخر من بلح و بسر و رطب، فطلعها المراد به ثمرها الطالع، و أما الشياطين التى مثلها برءوسها فإنّها حيات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر و الرءوس. قال الشاعر:/ عجين تحلف حين أخلف كمثل شيطان الحماط أعرف يريد كأنه حية تأوى الحماط، و الحماط شجر، و الأعرف الحية من هذا الذى له عرف، و العرب تقول إذا رأت منظرا قبيحا كأنه شيطان الحماط، و قال يشبّه التواء زمام ناقته بتلوّى الحية: تقلب منى حضرميّ كأنه تعمج شياطين بذى خروع قفر يزيد تشبيه تلوّى زمامها بتلوّى هذه الحية التى تسمى شيطان، و لم يرد الشياطين الذين هم الجن، و إذا كان ذلك كذلك بطل تعجّبهم و زال تمويههم. فأمّا قوله تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: ۳۳]، مع قوله: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ [الأنفال: ۳۴] فلا تناقض فيه، و ذلك أنّ النّضر بن الحارث قال: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: ۳۲]، يعنى بذلك أهلكنا جميعا و محمدا و من اتّبعه عاما، فأنزل اللّه تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أى: و فيهم قوم يستغفرون و هم (________________________________ ۱) فى الأصل: طلع، و الجادة: طلعا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۱ المسلمون، ثم بيّن ذلك قوله تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ، ثم قال تعالى: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ يعنى: النّضر و من كان بمثابته وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ [الأنفال: ۳۴] يعنى المسلمون، فلا تناقض فى ذلك. و أمّا قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها مع قوله: ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فلا تنافى فيه لأن قوله: دَحاها معناه بسطها و ليس معناه أنّه خلقها و أنشأنها، و قد جاء فى الحديث «أن الأرض خلقت ربوة غير مبسوطة ثم بسطت»، فقوله: دحاها يريد بسطها، و قد يخلقها ربوة و يخلق السماء بعدها ثم يبسطها بعد خلق السماء فلا تنافى فى ذلك. فأمّا قولهم إنه أجمل خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام ثم فصّلها لهم فى ثمانية، فإنه أيضا لا تعلّق فيه من وجهين: أحدهما: أنه إذا أدخل القليل فى الكثير المشتمل عليه كان ذلك صحيحا، لأنه إذا خلقها فى ثمانية/ أيام فقد خلقها فى ستة لا محالة، لأن الستة داخلة فى الثمانية، و لذلك لم يكن من أقرّ و أخبر بأن لزيد عليه ستة دراهم ثم أقرّ له بعد ذلك بثمانية فاعترف أن له ثمانية كاذبا فى إقراره و خبره، لأن أحد إقراريه و خبريه داخل فى الآخر، فهذا جواب. و جواب آخر: و هو أنّ اللّه سبحانه لم يخبر أنه خلق الأرض فى يومين هما غير الأربعة أيام التى قدّر فيها أقوات الأرض، لأنّه يمكن أن يكون خلق الأرض فى يومين، و خلق أقواتها فى يومين آخرين، ثم قال: خلق الأرض فى يومين و بارك فيها و قدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام، أى أنّ خلقها و خلق أقواتها كان فى أربعة أيام، و هذا كما يقول القائل حوطت دارى و بنيت الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۲ سورها فى يومين و فرغت منها و من بيوتها و مرافقها فى عشرة أيام، لا يعنى بذلك عشرة ليس فيها اليومين اللذين فرغ فيهما من تسويرها، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموه

و زال ما نحلوه كتاب اللّه من التناقض و الاختلاف. فأما قوله تعالى: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ [البقرة: ۲۵۶] مع قوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [التوبة: ۵]، و قوله: فَضَرْبَ الرِّقابِ [محمد: ۴۷] و أخذه للعباد بالدخول فى الدين ففيه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنّه لا إكراه فى الدّين و لا قتل و لا حرب لمن له عهد و ذمة بقى عليها، و يمكن أن يكون التأويل فى ذلك أنه لا إجبار و لا حمل و لا اضطهاد فى الدين، أى ليس يفعله فاعل إلا على سبيل الطوع و الاختيار، و على وجه يقتضى الثواب، و لا بدّ أن يكون من كلّفه إما قادرا عليه أو على تركه و الانصراف عنه و الإيثار لضدّه عليه. و يمكن أيضا أن يكون المعنى فى ذلك أنّ ما وقع منهم من التصديق على سبيل الإلجاء و الجهل و الفزع من السيف و من ظاهر القول و الإقرار، فليس بدين يعتدّ به و يثاب صاحبه و إنّما الدين منه ما وقع طوعا مع قصد دينه، و لذلك قال تعالى:* قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا [الحجرات: ۱۴] أى:/ استسلمنا خنوعا و رهبة من السيف و ما وقع كذلك فليس بدين و لا إسلام. و يمكن أيضا أن يكون أراد بقوله: «لا إكراه فى الدين» أى: لا إكراه يقع و يصحّ فى نفس التصديق و الإقرار الذى يكون بالقلب، لأنّ الإكراه على تصديق القلب و المعرفة لا يصحّ، لأنّه يقع مكتسبا مستدلا عليه بما يختار عند إيقاعه، و لا يصحّ الإكراه عليه كما يتأتى ذلك فى الأفعال الظاهرة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۳ الواقعة بالجوارح، و قد قال خلق من الناس إن الإكراه على العلوم و أفعال القلوب لا يصحّ، و إنّما يتأتّى ذلك فى أفعال الجوارح، و الدين من أفعال القلوب، و إذا كان ذلك كذلك بطل ظنّهم أنّ نفى الإكراه عن الدين ينصرف إلى نقض أمره بالقتال عليه و الدخول فيه. و أمّا قوله تعالى: وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها [آل عمران: ۱۴۵] «۱»، و قد نرى من يريدها فلا يصل إليها ليس ينقض لأنّ من هاهنا ليست للعموم و الاستغراق، بل يراد بها تارة الكلّ و تارة البعض فكأنّه أراد أن من أراد ثواب الدنيا آتاه منها إذا كان فى المعلوم أنه يؤتاه منها و لم يرد بذلك الكل، و قد أوضحنا ذلك فى كتابى «أصول الفقه» و غيرهما أنّه لا صيغة للعموم بهذا اللفظ و لا بغيره بما يغنى الناظر فيه، فبطل تعلّقهم به، و يحتمل أن يكون أراد بقوله نؤته منها إمّا قليلا أو كثيرا، أو لم يرد أننا نأتيه الكثير و كلّما يريده، و ليس أحد أراد ثوابها إلا و قد أتى منها إما قليل أو كثير فبطل ما ظنّوه. فأمّا قوله فى قصة إبراهيم: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى (إلى قوله) وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [البقرة: ۲۶۰]، فليس بنقض لقوله: إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ [هود: ۷۵]، و قوله: وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ [الدخان: ۳۲]، فيحتمل أن يكون أراد بقوله: لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي بإجابتك لى إلى ما سألته و إلى مشاهدة نمرود و من أنكر نبوءتى إجابتك لى، و لم يرد ليطمئنّ قلبى بإزالة شكّ فى كونك قادرا على ذلك.

(____ ۱) جاء نص الآية فى الأصل: «من كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها»، و هو خلط من الناسخ بين آيتين (آل عمران: ۱۴۵، النساء: ۱۳۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۴ و يمكن أن يكون أراد بقوله ليطمئن قلبى مشاهدتى ميتا «۱» أحييته، لأنّنى و إن/ كنت عالما معترفا بكونك قادرا على ذلك فإنّنى غير راء له و لم أره قط، فقال أرنى لأخبر به إذا أخبرت عن مشاهدة، فيطمئنّ قلبى إلى مشاهدة ذلك لا إلى العلم بأنّه من مقدوراتك. و يمكن أن يكون تأويل قوله: «ليطمئنّ قلبى» أى: ليطمئن قلوب هؤلاء الشاكين فى ذلك فذكر نفسه و أراد غيره، و مثل هذا قد يقوله و يستعمله المحتجّ على غيره يقول القائل أنا أريد أن أفعل كذا ليراه و يطمئنّ قلبى برؤيتك له، أى ليزول شكّك فيطمئنّ قلبى بسكون قلبك و زوال شكّك، و إذا كان هذا هكذا بطل التناقض الذى توهّموه. فأمّا قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ [آل عمران: ۹۰]، فلا منافاة أيضا بينه و بين قوله: يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ [الشورى: ۲۵]، و قوله: تَوَّابٌ حَكِيمٌ [النور: ۱۰]، و قوله: فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ [التوبة: ۱۱]، و نحو ذلك، لأنّه يحتمل أن يكون أراد بقوله: لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ أى: التوبة الأولة من الكفر الأوّل، أى لا تنفعهم توبتهم من الكفر مع عودتهم إليه و مفارقتهم الإيمان، و ذلك صحيح، لأنّ التوبة الأولة غير نافعة مع العود، فإمّا أن تكون غير عاصمة من العقاب على الكفر الثانى، أو يكون العود إلى الكفر و الذنب ناقصا «۲» للتوبة الأولة، حتى يرجع عقاب الأول و الثانى على قول كثير من الناس، و لم يرد بقوله لن تقبل توبتهم إن تابوا من ارتدادهم، و وافق اللّه بالتوبة و الإقلاع عن الكفر، فبطل ما ظنّوه (____ ۱) فى الأصل: ميت، و

الجادة: ميتا. (۲) وردت فی الأصل: ناقص، و الجادة: ناقصا، كما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۵ و يمكن أيضا أن يكون التأويل فی ذلک أنه لن يقبل توبتهم الظاهرة، و إذا وقعت على وجه النفاق، فيحتمل أن يكونوا قوما آمنوا نفاقا ثم عادوا إلى إظهار الكفر، فقال تعالى: إن تابوا منه نفاقا مثل توبتهم الأولى فلن يقبل منهم هذا الجنس من الإقلاع، لأنّه ليس بتوبة فی الباطن، و إن كان توبة فی الظاهر عند من لا يعرف المواطن و الأسرار، فلم تكن هذه توبة ندم على الكفر و عدم مواقعة مثله، و هذا أيضا يبطل ما قدّروه من التناقض. و قد قيل إنّ/ الآية نزلت فی المتربصين من أهل مكة حين تربّصوا بالنبی صلّى اللّه عليه ريب المنون، و قالوا له: فإن ذهبت الحرف ذهبنا إليه و تبنا فقبل توبتنا فقال اللّه تعالى قل لهم لن تقبل توبتهم هذه لأنّها على الحقيقة ليست مخلصة للّه، و إنما هی للتربّص و المدافعة. فأمّا قوله تعالى: وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً [الكهف: ۱۰۱]، ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ [هود: ۲۰]، و قوله: انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا [الفرقان: ۹]؛ فلا منافاة أيضا بينه و بين قوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها [البقرة: ۲۸۶]، و لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها [الطلاق: ۷]؛ لأن قوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها» أراد به بعض الأنفس دون بعض، و كذلک قوله: إِلَّا ما آتاها، و قوله: لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، خبّر عن بعض المكلفين دون بعض فزال ما توهموه. و يحتمل أن يكون أراد بالوسع و ما آتاها أنّه لا يكلف الإنفاق و لا الزكاة مع عدم المال، و ما كلّف ذلک تعالى، لأنّه مما لا يستطاع فعله، و لا تركه و ليس كذلک حال عدم الاستطاعة على الإيمان و القبول، لأنّه قد يستطاع تركه و الدخول فی ضدّه، فليس كتكليف الزكاة و النفقة مع عدم الطول و المال. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۶ و يحتمل أيضا أن يكون أراد بقوله: وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، أنّهم كانوا لا يستطيعون ذلک لتركه و إيثار ضدّه لا للعجز عنه، و أن يكون أراد بقوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها، أی ما لا تعجز عنه من تكليف الطيران و تنقيط المصاحف مع العمى، و الإخبار عن الغيوب، و نحو ذلک و هذا ما لا تنافی فيه و لا تناقض، فبطل ما توهموه. و قد قال كثير من الناس إنّ معنى قوله: لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً، أی أنّ ذلک يثقل عليهم و يأبونه، و يكرهونه كما يقول القائل: أنا أكلّم زيدا و ما أستطيع كلامه و النظر إليه، أی: إنّ ذلک يثقل علی، لا يعنی به نفی قدرته على خطابه، و كيف ينفيها و هو قد خاطبه، و يحتمل أيضا أنهم كانوا يمنعون من سماع بعض ما يضرّون به النبی صلّى اللّه عليه و سلّم/ من أخباره و أحواله و عن أمته، و يمنعون من ذلک و يحال بينهم و بينه مع حرصهم عليه و طلبهم له، و ليس ذلک من باب تكاليفهم فی شیء. و أما قولهم: انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا [الإسراء: ۴۸]، أی: لا يستطيعون معارضة القرآن و الطعن عليه بوجه يوجب فساده و تناقضه، و كونه شعرا و من أساطير الأولين، كما زعموا ذلک و ادّعوه. و يحتمل أن يكون أراد أنهم لا يستطيعون جعلک مجنونا كما ادّعوا ذلک عليک أو الكشف عن أنک ساحر على ما ادّعوه و راقبوه، و ليس هذه السبيل التی أمروا بها فيكون ذلک تناقضا على ما قدّروه. فأمّا قوله تعالى: لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ [البقرة: ۲۵۴]، فلا تناقض بينه و بين قوله: الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف: ۶۷]، لأنه عنى تعالى- و هو أعلم- لا خلة فيه تنفع و إن كانت هناک خلة لا تنفع، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۰۷ فيمكن أن يكون أراد لا بيع فيه و لا خلة أی لا خلة مبتدأة، مستأنفة لما الناس عليه من شغل العرض و الحساب و الجزاء و الثواب و العقاب. و يحتمل أن يكون أراد به لا خلة فی الآخرة بين أهل النار، فكأنه قال الأخلاء فی الدنيا يومئذ أعداء لا تنفعهم خلّتهم التی كانوا فی الدنيا عليها، و لم يرد إثبات الخلة فی الآخرة من حيث نفاها فتعالى عن ذلک، فبطل ما قالوه. و أمّا قوله: إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ [البقرة: ۱۴۳] و قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ [محمد: ۳۱] فلا تناقض بينه و بين قوله: عَلَّامُ الْغُيُوبِ [التوبة: ۷۸]، و بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [النساء: ۱۷۶] و نحوه، لأنّه عنى و هو أعلم إلا لتعلم أنت يا محمد و يعلم الذين معک فذكر نفسه و أراد غيره، و ذلک شائع فی اللغة، و القائل بقول يريد أن يفعل كذى ليعلم و يحتجّ لكذا، ليعلم من المحقّ من المبطل، و القویّ من الضعيف، أی: ليعلم ذلک من شکّ فيه دون المحتجّ المتقدم العلم بصحة ما يحتجّ/ له. و يحتمل أن يكون أراد بقوله إلّا ليعلم أتباع الرسول ممن يتبعه ممّن هو كائن موجود، فإنّه قد علمه قبل كونه متيقنا معروفا و هو يعلمه إذا كان، و وجد ثابتا موجودا، و كذلک قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ، أی حتى تعلم أنت و هم أو حتى نعلم المجاهدين مجاهدين، و نعلم جهادهم كائنا موجودا، لأنّه يعلمه قبل وجوده معدوما و يعلمه إذا

وجـد كائنـا موجودا، و التغيير و الوقت جـارى على معلومه لا ـ على نفسه تعـالى و علمه، لأنّه لم يزل بصـفات ذاته غير متغيّر و لا حائل على صفته، و العلم من صفات نفسه. و قيل إنّ اللّه تعالى لما أمرهم باتّباع الرسول و نهاهم عن المفارقة و الانقلاب على الأعقاب، قال: لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ، الإنتصـار للقرآن، ج٢، ص: ٦٠٨ أى: فليتّبعوا الرسول و لا ينقلبوا على أعقابهم، فنعلمهم عند ذلك منقلبين، و مثله قول الشاعر «١»: لا أعرفنّك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زوّدتنى زادى أى لا تكن كذلك، و لا تفعل هـذا فأعرفـك به و فاعلا ـ له على مـذهب النهى و التحـذير له من ذلك، و من أن يعرف بهـذه الصـفة، و النهى على الحقيقـة نهى عن المعروف الـذى هو الفعـل لا ـ عن المعرفـة التى هى فعل المعلوم أو صـفته، و كـذلك إذا قال القائل: لا أرينّك هاهنا و لا أسـمع لك كلمة، فإنّما هى نهى عن الكون المرئى و الكلام المسـموع المتعلقين بقدرة المكلّف الموجود، و ليسا بنهى عن رؤية الزاجر المتلوّى و سمعه، لأنّ ذلـك ليس من مقـدورات المخاطب الموجود، فعلى هـذه التأول يسوغ حمل الآيـة و فى إبطال ذلك إبطال ما قـدّره. فأمّا قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [البقرة: ٢٥٥]، و قولهم يجب أن يكون كذبا لأنّنا نرى السموات و الأرض فى غير كرسىّ و لا شـىء يحيط بهما، فإنّه لا تعلّق لهم فيه، و ذلك أنّه أراد بهـذا و هو أعلم أنّ له كرسيا قـدر عظمه و سعته، قدر عظم السـموات و الأرضـين و سـعتهما، و لم يرد أنّهما فى الكرسىّ، كما/ يقول القائل قـد وسع حلم زيـد الإغضاء عن كلّ أحـد و إن لم يوجد من كلّ أحد مكروه عليه حلم عنه. و قد يمكن أن يكون أراد بالكرسىّ القدرة و السلطان، و الكرسى عند العرب الأصل، فلمّا كانت الأشياء كلّها داخلة ثمّ قدرته تعالى و سلطانه____،

(١) هو طليحـة بن عبـد اللّه، و يقال له طلحـة، قال هـذا البيت حين سـمع راجزا يذكر خالدا، فقال: رحم اللّه خالدا، فقال له طليحة هذا البيت. الإنتصـار للقرآن، ج٢، ص: ٦٠٩ صار سـلطانه أصـلا لكل قدرة و سـلطان لأحد، و لكل مقدور مخترع، فقال لأجل ذلك وسع كرسيّه السـموات و الأرض. و قد يمكن أن يكون أراد بقوله: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ علمه المحيط بجميع الأشـياء و بجميع السـموات و الأـرض و مـا فيهمـا و بينهما، و العرب تسـمّى العلم كرسيّا قال الشاعر: ما لى بعلمك كرسىّ أكاتمه و هل بكرسىّ علم الغيب مخلوق و قال آخر: يحف بها بيض الوجوه و عصـبه كراسىّ و بالأحداث حين تنوب يعنى بكراسى: علماء بما كان و ما يحدث و ينوب من الخطوب. فأمّا قوله: وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ [آل عمران: ١٤٣]، و طعنكم عليه بأنّه كـذب و أنّ أحدا من أولئـك و من غيرهم لا ـ يتمنّى الموت بل يأباه و يكرهه، فلا تعلّق لهم فيه من وجهين: أحـدهما: أنّه لا يمتنع أن يكون فيهم من قد تمنّى الشـهادة و أحبّ لقـاء اللّه تعـالى بمـا يعلمه و يرجوه من تحصـيل ثوابه. و الوجه الآخر: أنّه أراد بـذكر الموت أنّهم كانوا يتمنّون اللقاء و الحرب، ثم قال: فقد رأيتموه أى فاصبروا على ما كنتم تمنّونه و لم يرد تمنّى مفارقة الحياة، فبطل ما قالوه، و قد يسـمّى اللقاء و الحرب موت على معنى أنّه من أسـباب الموت، و كـذلك يقـال لمن هو فى الصف و الشـدة إنه فى الموت؛ أى: فى الشـدة. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٦١٠ قال الشاعر: يأيّها الراكب المرخى مطيّته سائل بنى أسـد ما هـذه الصوت و قل لهم بادروا بالعذر و التمسوا قولا يبرئكم إنّى أنـا الموت/ و لم يرد أنه ضـدّ الحياة، و لكنّه عنى أنّه يكون فيه ما هو من أسـباب الموت فبطل ما توهّموه. فأمّا قوله تعالى: لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا ـ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً [النساء: ٤٢]، فـإنّه لا ـ تنـافى أيضا بينه و بين قوله: عَلَّامُ الْغُيُوبِ، و يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ [البقرة: ٢٣٥]، و ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ [المجادلة: ٧]، و ما جرى مجرى ذلك، لأنّ اللّه تعالى لا يجوز أن يكتم شـيئا، لكونه عالما بالغيوب، و ما أضـمرته القلوب، و انطوت عليه النفوس، و إنّما أراد تعالى لو تسوّى بهم الأرض، أى: تمنّوا أن تسوّى بهم الأرض و تمنّوا أن لا يكتموا اللّه حديثا، فحذف واو العطف اقتصارا على مفهوم الخطاب، و أراد بقوله: وَ لا ـ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً، أى: لا ـ يتهيّأ لهم كتمـان شـىء من أعمالهم و اعتقاداتهم و إخلاصـهم و نفاقهم عنه، و لا يسـتطيعون ذلك لكونه عالما بما ينطوى عليه، فكأنّه قال لست ممّن أكتم شـيئا أو ينكتم عنى شـىء. و يمكن أيضا أن يكون فى جهّال الناس من ظنّ أنّه إذا استسرّ بشـىء فى نفسه انكتم يوم القيامـة عن ربّه، و كان اعتقاده هـذا كفر و ضـلال فإذا ورد أرض القيامـة و حاسبه على اعتقاده و سـرائره و ذاته، لم يكن اعتقد فى الدنيا كتمان شـىء عنه تعالى لما انكشف و علم ضرورة أنّ الأسرار غير خافية و لا منكتمة

عنه، فندم عند ذلك على جهله و اعتقاده فيه سبحانه ما يستحيل و يمتنع فى صفته، و إذا كان ذلك كذلك زال ما قدّروه و بطل ما توهّموه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۱ و أما تعلّقهم بقوله: قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳]، و قولهم كيف يخبر عنهم بذلك و هم مشركون، فإنّه لا تعلّق لهم أيضا فيه من وجوه: أحدها: أنّ هذا القول حكاية عنهم و خبر عن قولهم و لم يقل اللّه إنّه هو يقول يوم القيامة إنهم غير مشركين فيكون ذلك نقضا لإخباره/ عنهم أنّهم مشركون و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قدّروه. و قد يحتمل أيضا أن يكونوا يخبرون بذلك عند أنفسهم عن ظنّهم و توهمهم أنّهم كانوا غير مشركين باللّه، فيحلفون يوم القيامة أنّهم ما كانوا عن أنفسهم فى الدنيا مشركين و إن تبيّن لهم يوم القيامة أنّهم كانوا مشركين. و يحتمل أيضا أن يكونوا يحلفون «۱» يوم القيامة أنّهم ما عبدوا الأصنام فى الدنيا على وجه الإشراك باللّه و اعتقاد استحقاقها للعبادة على وجه ما يستحقّه اللّه، و إنّما عبّدناها على وجه التقرب إلى اللّه، و إن كان نفس عبادتها على هذا الوجه شرك باللّه. و يمكن أيضا أن يكونوا إنّما يقولون هذا القول و يحلفون بهذه الأيمان يوم القيامة إذا استديم العذاب و زفرت بهم جهنم، و أمّلوا بهذا القول و الحلف و الاستغاثة و الضجيج أن يخفف عنهم من عذابهم، فيقولون عند تأميل ذلك بالصياح: و اللّه ربّنا ما كنّا مشركين وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ [فصلت: ۲۹]، و يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا [الأنعام: ۳۱]، و يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ [الزمر: ۵۶]، و نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ [فاطر: ۳۷]، و نحو هذا من القول رجاء التخفيف، قال اللّه تعالى: انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ [الأنعام: ۲۴ (________________________________] ۱) فى الأصل: يحلفوا، و الجادة: يحلفون. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۲ أى: كيف أخلفت آمالهم و ظنونهم بهذا القول، و كيف يكذبون فى قولهم: ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳] رجاء التخفيف، و هو لا ينفعهم. قال الشاعر: كذبتم و بيت اللّه لا تأخذونها مراغمة ما دام للسّيف قائم يعنى كذبت آمالكم، و أخلف ظنكم و قد قيل: إنّ معنى كذبوا على أنفسهم، أنّهم أوجبوا بقولهم هذا و بكفرهم أيضا فى الدنيا على العذاب، كما يقال كتب عليهم الحج أى: وجب. فأمّا قوله تعالى: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ۱۰۶] فإنّه لا اختلاف و لا تناقض فيه، لأنّه عنى سبحانه و هو أعلم ما يؤمن/ أكثرهم بلسانه إلا نفاقا و هو مشرك بقلبه، و لذلك قال: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا «۱» [الحجرات: ۱۴]، و يمكن أن يكون أراد و ما يؤمن أكثرهم باللّه أى ما يصدّق أكثرهم باستحقاق اللّه للعبادة إلا و هم مشركون مع ذلك، بتصديقهم لاستحقاق الأصنام و الملائكة، و كلّما عبدوه العبادة، كما يستحقّها البارى تعالى، و ذلك شرك باللّه، فلا تناقض فى هذا. و يحتمل أيضا أن يكون أراد بقوله: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ، بعد إيمانهم فيكون معنى مشركون إلّا و هم يشركون فى الثانى، و يكون الخبر خاصا فيمن علم ارتداده بعد إسلامه، و هذا أيضا ينفى التناقض الذى توهموه إبطالا ظاهرا. فأمّا قوله تعالى: فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ [الأنعام: ۳۳] فإنه لا تناقض بينه و بين إخباره بأنهم يكذّبونه، و قد كذّبوه فى كثير من المواضع كقولهم: ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً [القصص: ۳۶]، إِفْكٌ (________________________________۱) أورد فى الأصل «قل لن تؤمنوا» و ليس ثمّة آية بهذا اللفظ و الجادة ما أثبتناه فى التحقيق. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۳ افْتَراهُ [الفرقان: ۴]، و: إِفْكٌ قَدِيمٌ [الأحقاف: ۱۱]، و: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ [السجدة: ۳]، و: ما هذا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً [القصص: ۳۶]، و: أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها [الفرقان: ۵]، و أمثال ذلك ممّا يطول تتبعه، لأنّه تعالى إنما عنى بقوله: فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ، إنهم لا يستطيعون جحد حجّتك و معارضة آياتك، و إقامة برهان على تكذيبك و كذبك، فلمّا عجزوا عن ذلك قال فإنّهم لا يكذّبونك عند الناس بحجة تكشف عن تكذّبك، و لا يكذّبونك أيضا بمعناه، و لم يرد بذلك أنهم لا يكذّبونه فى شىء يخبرهم به، و لا أنّهم لا يقولون إنّه كاذب و لكنه عليه السلام لا يصير بذلك كاذبا، و إنما يكون مكذّبا، و مكذبا إذا أقاموا على كذبه حجّة و برهانا. فأمّا قوله تعالى فى قصة الملائكة و الرسل: قالُوا لا عِلْمَ لَنا [المائدة: ۱۰۹]، فإنّه لا تناقض بينه و بين إخباره عن كونهم كراما كاتبين و عن قوله: فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ [النساء: ۴۱]، و كيف يجىء بأنبياء و ملائكة للشهادة على الأمم، و هم يقولون إنّنا لا علم لنا بما هم عليه، أو بما كانوا عليه، و ذلك أنّه إنّما يقول الملائكة

و الرسل/: إنّه لا علم لنا بسرائرهم و ما فی ضمائرهم من إخلاص لک و نفاق، أو لا علم لنا بما استسرّوا به من الأعمال دون أنبیائهم، و لا علم لنا بما حدث منهم بعدنا و بعد مفارقتنا لهم، فأمّا أن یقولوا لا علم لنا فیما قد علموه و رأوه و شاهدوه من أفعال الأمم الظاهرة، فذلک محال فی صفتهم فبطل بهذا ما قالوه. و أمّا قوله: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: ۱۱۶]، فإنّه لیس بمخبر عن إثبات قولهم لذلک حتی یکون نقیضا لإخباره عنهما بأنّهما مؤمنان، و إنّما هو قول صورته الاستفهام، و إنّما یقال لهما ذلک فی القیامة علی مذهب التقریر لهما، لیسمع مدّعی ذلک علیهما و أنهما الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۴ قالاه إنکارا لقوله و تکذیبهما له، و لیس ذلک علی وجه الاستفهام لهما و لا علی تحقیق الإخبار عنهما بقول ذلک و لا علی التقریع لهما به، و إنّما هو علی وجه ما قلناه. و أمّا قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْناکُمْ ثُمَّ صَوَّرْناکُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ [الأعراف: ۱۱]، فإنّه لا تناقض بینه و بین إخباره بأنّه خلق آدم و أسجد له ملائکته قبل خلق ولده و تصویرهم، لأنّه تعالی لم یرد بقوله ثم صورناکم ثم قلنا للملائکة قبل خلق ولده و تصویرهم، لأنّه تعالی لم یرد به الترتیب و التراخی، و إنّما جعل ثم هاهنا بمعنی واو الجمع، فکأنّه قال: خلقناکم و صوّرناکم و قلنا للملائکة اسجدوا لآدم، و واو الجمع لا توجب الترتیب و لا تراخی و لا تعقیب، و مثل هذا شائع فی اللغة، قال الشاعر: سألت ربیعة من خیرها أبا ثمّ أمّا فقالت یزیدا یرید أن یزید خیرهم أبا و أمّا و لم یرد بثم هاهنا التراخی و الترتیب، و إنّما أراد سألت ربیعة من خیرها أبا و أمّا، و هذا یبطل ما قدّروه. و یمکن أیضا أن تکون ثمّ إنما جاءت لنسق خبر علی خبر کأنّه هو الذی أخبرک أنّه خلقکم و أخبرکم أنّه صوّرکم، و أخبرکم أنّه أسجد الملائکة لآدم و أمرها بذلک، و هذا الأمر بالإسجاد هو المتقدّم/، و قد وقع فی الخبر متأخرا، و ذلک شائع فی اللغة و العرب تقول: فلان جواد کریم طریف ثمّ شریف الوالدین، و لا یعنی بذلک أنّ شرف والدیه یکون بعد هذه الصفات، بل هو متقدم، و إن تأخّر فی الذکر و الخبر. و کذلک الجواب عن قوله تعالی: وَ إِمَّا نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِلَیْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِیدٌ عَلی ما یَفْعَلُونَ [یونس: ۴۶] و هو شهید علی ما یفعلون الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۵ قبل أن یرجعوا إلیه، و إن تأخّر فی الذکر، و ثمّ هاهنا بعنی الواو علی ما ذکرناه أو بمعنی مع، کأنّه قال و هو مع ذلک شهید علی ما یفعلون ثمّ صوّرناکم، و قلنا مع ذلک للملائکة اسجدوا لآدم، و إذا جعلت ثمّ بمعنی مع أو بمعنی الواو بطل توهمهم و ما حاولوا به الطعن فی القرآن. فأمّا قوله فی إخباره عن صالح: فَما تَزِیدُونَنِی غَیْرَ تَخْسِیرٍ [هود: ۶۳]، و لیس ینقض لإخباره عن ثواب الرسل و رفع درجتهم و منازلهم بغیرهم علی رداءتهم و تکذیبهم، لأنّه لم یرد بقوله: فما تزیدوننی غیر تخسیر لکم، و ضلال و شرّ لا حقّ بکم دونی، و کذلک قوله: یا حَسْرَةً عَلَی الْعِبادِ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ [یس: ۳۰]، لیس بتحسر من اللّه، لأنّ التحسیر لا یجوز علیه، و لکن یا حسرة لهم فی تخلفهم عن إجابة الرسل، و کذلک یقول القائل منّا لمن یعظه و یرشده إذا طغی و لم یقبل: ما ترید بی إلا شرّا و وبالا، یعنی بذلک شرّا و وبالا علیک دونی فکذلک تأویل الآیة و هذا یبطل کیدهم و إلباسهم إبطالا ظاهرا بیّنا. و أمّا قوله تعالی: وَ نَضَعُ الْمَوازِینَ الْقِسْطَ لِیَوْمِ الْقِیامَةِ فَلا تُظْلَمُ [الأنبیاء: ۴۷]، فإنّه لا منافاة أیضا بینه و بین قوله: فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَزْناً [الکهف: ۱۰۵]، لأنّه تعالی لم یرد بالآیة الثانیة نفی الموازنة و نفی الموازین، و إنّما أراد أحد أمرین: إمّا أن یکون أراد أنّنا لا نقیم لهم مع أمرهم قدرا و لا جاها و لا نخلطهم بأهل الجاه و الأقدار عندنا کما یقال: فلان لا وزن له عند فلان یعنی بذلک أنّه لا قدر له، و لیس یعنی/ أنّه لا یزن شیئا و أنّه لا ثقل له، و لا یمکن وزنه، أو أن یکون أراد أننا لا نقیم لهم یوم القیامة وزنا مستقیما ینفعهم، إذا کانت الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۶ أعمالهم باطلة و طاعاتهم معدومة، محبطة فموازینهم یومئذ خفیفة شائلة لا حسنة و لا طاعة تردّها و تقوّمها، فلا نقیم وزنا إلا ناقصا متفاوتا. فأما تعلّقهم بقوله تعالی: وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً [آل عمران: ۹۷]، و قولهم مثل الخلق بالحرم و الثبت من الأماثل و الأفاضل کعبد اللّه بن الزبیر، و من جری مجراه، و هذا تکذیب للخبر، فإنه لا تعلّق لهم فیه، لأنّ هذا القول خرج مخرج الخبر و المراد به الأمر بأمان من دخل البیت، و أن لا یقتل و لم یرد الإخبار عن أنّ کلّ داخل إلیه آمن، و علی مثل هذا خرج قول الرسول: «من ألقی سلاحه فهو آمن، و من دخل دار أبی سفیان فهو آمن، و من دخل الکعبة فهو آمن»، إنّما قصد به الأمر بأمان من ألقی سلاحه، و دخل هذه المواضع، و لم یرد بذلک الخبر، و مثل هذا قوله تعالی: وَ الْمُطَلَّقاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ [البقرة: ۲۲۸]، و

هو يعنى بـذلك الأمر لهم بالتربّص دون الخبر عن تربّص كلّ مطلقة لأنّها قد تعصـى اللّه و لا تتربص، و كذلك قال: و من دخله كان آمنـا أى: أمّنوا من دخله و هو على صـفة من يحبّ أن يؤمّن، فمن لم يفعـل ذلـك عصـى و خـالف، و متى جعل هـذا القول أمرا بطل تمويههم. و قـد يمكن أيضا أن يكون أراد بقوله: و من دخله كان آمنا عام الفتح، و قد قال الرسول صـلّى اللّه عليه: «من ألقى سـلاحه كان آمنا و من دخل دار أبى سـفيان كان آمنا و من اعتصم بالكعبة كان آمنا و من أغلق بابه كان آمنا»، فلا يناقض عدم الأمن فى غير ذلك الوقت و جوده فيه. و يحتمل أن يكون أراد أنّ كلّ من دخل البلـد الحرام الـذى هو مكـة كلّها كان آمنا فى بعض الأوقات دون بعض جميعهـا، و إذا كـان ذلـك كـذلك بطل ما توهّموا به. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۷ فأمّا قوله: فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ [فصلت: ۲۴]، فإنّه لا تناقض/ بينه و بين إخباره عنهم بالضـجيج، و الاسـتغاثة و عض الأنامل و التأسف، و الحسـرة و شـكوى العذاب و الآلام، لأنّه لم يقـل إنّهم يصبرون على نـار جهنّم، فيكون ذلـك نقيضا لإخباره عنهم بالضـجيج و الاستغاثة، و إنّما قال: «فان يصبروا فالنـار مثوى لهم»، يقول: فـإن يصبروا أو يجزعوا لاـ ينفعهم ذلـك فـإن النار مثوى لهم. و يمكن أن يكون إنما أراد بقوله: فإن يصبروا على آلهتهم و العبادة لها و مداومـة تعظيمها، فالنار مثوى لهم، و إن ينتقلوا عن ذلك و يرجعوا عنها يسلموا، لأنّ اللّه سبحانه قد أخبر عنهم أنّهم قالوا: إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْ لا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها [الفرقان: ۴۲] فقال فى جواب ذلك: فإن يصبروا فالنار مثوى بهم يعنى مـا قـالوا إنهم صبروا عليه. فأمّا قوله تعـالى: وَ مـا مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [الإسـراء: ۵۹]، فـإنّه أيضا غير مناف لإخباره عن إرساله بالآيات و قوله: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ [فصلت: ۵۳]، و إخباره عن انفراق البحر و قلب العصا حيّة، و إبراء الأـكمه و الأبرص، و إحياء الموتى، و غير ذلك، من ناقـة صالـح و طوفان نوح، لأنّه يحتمل أن يكون عنى تعالى و ما منعنا أن نرسـل بالآيـات المهلكـة المصـطلمة إلاـ أن كـذّب بها الأولون، فكأنّه قال حكمنا بإرسالها على من كـذّب بها من الأولين، و ليس من حكمنـا أن نرسـل بها على من كـذّب بها من أمـة محمـد صـلّى اللّه عليه. و يمكن أن يكون إنّما أراد و ما منعنا أن نرسل بالآيات التى طلبها اليهود و قوم محمـد عليه السـلام إلا أنّنا قـد حكمنا أنّنا إذا أرسـلنا بها و كذّبت عجّلنا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۸ العقاب و اصـطلمنا، فقال حكمنا بـذلك منعنا من أن نرسل بها فى هذه الأمّة و هذه الآيات نحو قوله: يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ [النساء: ۱۵۳]، و قوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ... أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ [الإسـراء: ۹۰- ۹۳] و نحو/ ذلـك. و يمكن أيضـا أن يكون تأويـل قوله و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كـذّب بها الأولون، و تكون إلا ساقطـة و على وجه الزيادة فى الكلام، فكأنّه قال: ما منعنا أن نرسل بالآيات تكذيب من كذّب بها من الأولين، بل نرسـل بهـا و إن كـذّبت فيما سـلف، و مثله قول الشاعر: و كلّ أخ مفارقه أخوه لعمرو أبيك إلا الفرقـدان أى: و الفرقـدان، فـدخل إلا زيادة فى الكلام، و هـذا يبطل أيضا ما ظنوا الانتفاع به. و أمّا قوله تعالى: وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ [البقرة: ۵۳]، فإنّه لا منافاة بينه و بين إخباره بأنّه آتى محمـدا «۱» الفرقـان و أنزله عليه، ليكون للعالمين نـذيرا، لأنّ أكثر ما فيه أن يكون آتاهما جميعا الفرقان، و أنزل عليهمـا، و هـذا غير متنـاقض و لاـ متضـاد لو كـان المراد بالفرقان كتاب محمـد صـلّى اللّه عليه، و كيف و ليس ذلك هو المراد، فيحتمـل أن يكون أراد بفرقـان موسـى آيـاته التى فرق بها البحر و فرّق بها بينه و بين فرعون و السـحرة، فتكون تلك الآيات فرقانا بين الحـق و الباطـل، و النـبى و المتنـبى. و يحتمـل أيضـا أن

(۱) فى الأصـل: محمـد، و الصـواب: محمدا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۱۹ يكون أراد بـذكر الفرقان انفراق البحر دون كتاب أنزله سـماه فرقانا، لأنّه قال: وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ [البقرة: ۵۰]. و يحتمل أيضا أن يكون آتى موسـى كتابه و كتابا كان قبله اسمه فرقان كاسم كتابنا، و يحتمل أيضا أن يكون أراد بالآيـة أنّنا آتينا موسى ذكر القرآن الـذى أنزلناه عليك و أوحينا بذكره إليه ليصدّق و يوصـى بتصديق من ينزل عليه و يثبتونه، ليكون ذلك حجة على قومه، و على وجه الحجة للنبى صـلّى اللّه عليه فى دفع ذلك عن موسى. و يمكن أيضا أن يكون عنى بالآية و إذ آتينا موسـى الكتاب و آتيناكم الفرقان فحذف و آتيناكم على مذهب الاختصار و الاكتفاء بشاهد الكلام، و إخراج القول على المعنى، كما

قال الشاعر:/ تراه كأنّ اللّه يجدع أنفه و عينيه إنّ مولاه بان له وفر أى و يعمى عينيه، فحذف و اختصر، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما تعلقوا به من التأويل. فأمّا قوله: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ [غافر: ۴۶]، فإنّه لا منافاة بينه و بين إخباره عن قولهم فى الدنيا، لأنّه يمكن أن يكونوا يحيون فى قبورهم و يعذّبون بعذاب دون عذاب الآخرة، ثم يقال لهم فى الآخرة أدخلوا أشدّ العذاب، و وقت عذابهم فى القبر غير وقت موتهم فى الدنيا. و يمكن أن يكون أراد نقلهم فى جهنّم من طبقة إلى طبقة أسفل منها إلى ما هو أشدّ منه، فقال لهم: أدخلوا آل فرعون عذابا أشدّ مما كنتم فيه، و يجوز أن يكون أشدّ العذاب هو نفس العذاب بجهنّم الذى و عدوا به، فقيل لهم أدخلوا أشدّ العذاب، و هو الذى كنتم توعدون به، كما يقال القائل: الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۰ أدخلوا فلانا المسجى و المطبق ثم يقال أدخلوه إلى أضيق محبس، و يكون الأضيق هو السجن، و المطبق الذى ذكره من قبل فلا تنافى بين هذا الكلام و بين شىء من كلام اللّه سبحانه، و قيل معناه أنّهم بعرضها أى: قاربوا دخولها كما يقال فلان بعرض هلكة أى: قد قاربها و قيل أعمالهم أعمال من يستحق أبدا المقام على الذّل و نحو ذلك، فكأنّهم يغدون و يرجعون إليها بأعمالهم كما يقول القائل: غدو فلان يغدوا و يروح إلى النار أى من غدو و رواح على أعمال أهل النار. فأمّا قوله تعالى: فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ [الأعراف: ۶]، فإنّه لا منافاة بينه و بين قوله: وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ [القصص: ۷۸]، و قوله فى المرسلين: وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ [النور: ۵۴]، و نحوه من إعذار الرسل، لأنه أراد بقوله: وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ، سؤال استخبار و استفهام لإحصائها و تقدّم العلم بها و الكتابة لها، و أراد بقوله: وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ، مسألة تقرير للحجة على الكافر ليستمعوا/ قول الرسل و شهادتهم عليهم بالأداء إليهم. و يمكن أن يكون سؤال الرسل سؤال تخصيص لهم و أمر بإقامة الشهادة على الأمم، كقول القائل: هذا يقوم، و هذا يضرب زيدا أى افعل ذلك كما أمرت، و قد يكون السؤال سؤال تقريع بالعجز كقولك: هل تعلم من الغيب شيئا، و هل يستطيع أن يتكلّم، و قد يكون السؤال سؤال توبيخ و تفنيد مواقفة على ترك الواجب، كقول الشاعر: أ لم أك جاركم فتركتمونى لكلبى فى دياركم عواء يريد التوبيخ لهم بتضييع جارهم و قلة حفاظهم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۱ فأمّا قوله تعالى فى قصة النبيّ صلّى اللّه عليه و أمره له بأن يقول: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ «۱» [الأعراف: ۱۸۸] فإنّه غير مناقض لإخباره عنه بأنّه يتلقى و خبّر عمّا كان و يكون و عن أمور السموات، لأن ذلك إنّما يعلمه و يدركه بتوقيف جبريل له، و ليس ذلك من الغيب فى شىء، و إنّما العالم بالغيب من علمه بغير خبر و توقيف، و حجة و دليل و ضرورة و طباع، و هو اللّه تعالى. و يحتمل أيضا أن يكون تاويل ذلك أنّنى لا أعلم وقت موتى فأستكثر من فعل الطاعات و البر، و هو و إن علم بعض الغيوب بالوحى إليه فغير عالم بجميعها، و يجوز أيضا أن يكون معنى الآية إنّ أهل مكة لما قالوا للرسول أ لا يخبرك ربّك بالبيع الرخيص فتشتريه فتربح فيه، و يخبرك بالأرض التى تريد أن تجدب فترحل عنها إلى الخصبة، فأنزل اللّه قل: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ [الأعراف: ۱۸۸] أى: لا أعلم هذا و لا يجب أن أعلمه، و لا يجب على اللّه إعلامى إياه، لأنّ له امتحان قلبى و نفسى بما شاء. فأمّا قوله فى قصة إبراهيم: يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ [هود: ۷۴] فإنّه ليس بنقيض لإخباره بأنّه لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ [هود: ۷۵] منقاد، لأنّه أراد و هو أعلم بقوله أى تكلّمنا و تسألنا فى قوم لوط، و لم يرد أنّه يناظرنا و يخاصمنا، و يروم إبطال قولنا و إخبارنا و أمرنا/ و هذا كما يقوله السيّد منّا لعبده، و من يجب عليه طاعته إذا سأله فى الأمر: أنت تجادلنى فى هذا و تحاجّنى، أى: تلحّ

(۱) فى الأصل: «قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير»، و الصواب أن الآية: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ بدون لفظة قل. [الأعراف: ۱۸۸]. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۲ فى المسألة و الطلب، و يحتمل أن يكون أراد بقوله تجادلنا فى قوم لوط، أى: يجادل رسلنا من الملائكة الذين أخبروه بأنهم جاءوا بعذابهم و اصطلامهم، و يحتمل أن يكون ذلك الجدال ليس بمنازعة و مناظرة إنّما هو سؤال لهم و بحث عن قصّتهم كقوله: فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ [الذاريات: ۳۱] و نحو ذلك ممّا باحثهم عنه و فيه. فأمّا قوله تعالى: كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً [الإسراء: ۹۷]، فإنّه ليس بنقض لقوله: فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ [البقرة: ۸۶]، و: لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ «۱» [الزخرف: ۷۵]، لأنّه لم يرد

بالخبو السكون و الهدوء، و إنّما أراد كلّما أرادت و قاربت أن تخبوا زدناها سعيرا، و يحتمل أن يكون أراد كلّما قدّروا أنها تخبوا و تهدأ زدناهم سعيرا، بخلاف ظنّهم. و يمكن أن يكون أراد أنّ الخبو هو نفس الزيادة فى السعير، فكأنه قال خبت ازداد حرّها و تضرّمها و تلظّيها، و ازداد كذلك عذابهم و ألمهم، فيكون ذلك خبرا عن نفس خبوها هو نفس الزيادة فى سعيرها الذى به يزيد ألمهم و نحو هذا قول الشاعر: فقلت أطعمنى عمير تمرا و كان تمرا كمّثرة و زندا فجعل نفس الكمّثرة و الزند تمرا. فأمّا قوله تعالى: فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ [الشعراء: ۳۲] و هو أكبر الحيات، فلا منافاة بينه و بين قوله: تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ [القصص: ۳۱]، لأنّ الجانّ هو الصغير من الحيّات،– زعموا– لأنّ التأويل أنّه رآها فى خفّة حركتها و سرعتها و تلوّيها، و تلقّفها كأنّها الجانّ الصغير فى خفّته و سرعته، و هذا من

(______________________________________ ۱) وردت كلمة (من عذابها) فى الأصل و هى ليست من جملة الآية. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۳ أحسن التشبيه، و يمكن أن يكون أراد بقوله كأنّها جان، كأنّها من الجنّ فى هول منظرها، و قبحها و بشاعتها و الهلع و الترويع برؤيتها. فأمّا قوله: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى [طه: ۶۷]، فإنّه أيضا غير مناف لإخبار اللّه عنه بتصديقه و سكون قلبه، لأنّ تلك الخيفة طباعيّة بشريّة غير كسبية اختياريّة، و ليست من الشكّ فى قوله: خُذْها وَ لا تَخَفْ [طه: ۲۱] فى/ شىء و لا من جنسه و لكنّها خيفة بشرية، و يمكن أن يكون أوجس خيفة فى غير الوقت الذى قال له فيها لا تخف، إمّا قبل أن يقول له ذلك إلى أن قال خذها و لا تخف، أو بعد ذلك الوقت، لأنّه لم يقل لا تخاف أبدا فلا تعلّق لهم فى ذلك، و يمكن أن يكون تأويل الآية أنّه خاف أن يفتتن قومه و يظنّون أنّ ما أتى به سحر كقول السحرة فقال له: لا تخف إنّك أنت الأعلى، أى إنّ آيتك تنكشف عن صدقك و تزيل كلّ ريب من قلوب أتباعك المؤمنين فيكون كذلك أعلى بالحجة و البراهين. فأمّا قوله تعالى: ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى [الأعلى: ۱۳]، فإنّه غير متناقض، لأنّه لم يرد أنّه يكون غير ميت و لا حيّ و إنّما عنى و هو أعلم أنّ حياته لا تنعدم فيستريح من العذاب و إدراك الآلام، و لا يحيى حياة طيبة يسلم فيها من العذاب و إدراك الآلام. قال الشاعر: ألا من لنفس لا تموت فينقضى قضاها و لا تحيا حياة لها طعم و لم يرد أنّها غير حية و لا ميتة، و إنّما أراد المعنى الذى وصفناه. و أما قوله تعالى: سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً [الفرقان: ۱۲]، فإنّه ليس بخبر باطل على ما توهّموه، لأنّ الغيظ لا يسمع، لأنّه قد يمكن أن يخلق لهم فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۴ الآخرة إدراك النفس للغيظ و وجوده فى أسماعهم، و يسمّى سماعا للغيظ، و كذلك القول عندنا فى جواز سماع كلّ موجود و رؤيته من أفعال الجوارح، و أفعال القلوب، و أمّا تعلّقهم بأنّها جماد لا تغتاظ فيسمع غيظها أو لا يسمع فباطل، لأنّه إنّما كنّى بذكر الغيظ عن تسعّرها و شدة لهيبها. و قد يمكن أن يحييها اللّه عز و جل على يبسها، و يخلق فيها غيظا على أهلها، لأنّ الحياة لا تحتاج إلى بيّنة و لا بلّة، و لا يضادّها اليبوسة و الحرارة، بل لا تحتاج إلا إلى محلها فقط، و قد بيّنّا ذلك فى الكلام فى الأصول بما يغنى عن تأمّله، و يحتمل أن يكون أراد سمعوا لها زفيرا و تلهّبا، و علموا عند ذلك تغيظها، و استدلّوا/ على العلم بالتغيّظ و الزفير و اللهيب المسموع، و سمى العلم بالتّغيظ سماعا له. فأمّا قوله تعالى: فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ [الفرقان: ۷۰] فإنّه غير متناقض من حيث كان السيئات لا تبدّل حسنات أبدا، لأنّه تعالى لم يعن هذا، و إنّما أراد و هو أعلم أننى أبدّل عذابهم و جزاء سيئاتهم حسنات فى نعيم و رحمة بما أحدثوه و جدّدوه من الإنابة و التوبة، فلا تعلّق لهم فى الآية. فأمّا قوله تعالى: إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها [النور: ۴۰]، فإنّه لا اختلاف فيه و لا تناقض لأنّه لم يكن يعن بذلك أنّها بحيث يجوز أن يراها، و يمكن ذلك فيها مع قوله: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ [النور: ۴۰] و العادة على ما هى عليه فى رؤية اللّه و امتناع روية الكائن فيما هذه سبيله، و إنّما أراد بقوله لم يكد يراها، لم يرد أن يراها أى: لأنّه لا يطمع فى ذلك و لا يرجوه، فكان معنى يريد. قال الأفوه الأودى: فإن تجمّع أوتاد و أعمدة و ساكن بلغوا الأمر الذى كادوا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۵ أى: الأمر الذى أرادوا، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما ظنّوه. فأمّا قوله تعالى: أَكادُ أُخْفِيها [طه: ۱۵] فتأويله أكاد أدنيها آتى بها على وجه التقريب كذلك، و التهديد، ثم قال: أخفيها ليجزى كلّ نفس بما تسعى، قال الشاعر: هممت و لم أفعل و كدت و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله فأمّا قوله تعالى: نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ [النمل: ۸] فليس فيه نقض لذمّ من فى النار و لعنهم، و إنّما أراد بورك موسى المقارب للنار التى رآها، كما يقال: فلان فى

النـار و فى الماء إذا قارب ذلك، و إن لم يكن فيه، و كما يقول القائل: إذا بلغت المحول و قطربّل فأنت فى بغـداد، على وجه التقريب لذلك، فيقال إن اللّه سبحانه بارك بهذه الآية على من فى النار. فأمّا قوله تعالى: وَ هَلْ نُجازِى إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ: ١٧]، فإنّه ليس بنقيض لقوله: لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى [طه: ١۵]: و قوله فى المؤمنين: جَزاءً بِمـا كانُوا يَعْمَلُونَ [السـجدة: ١٧] و نحو ذلـك، لأنّه إنّما/ عنى بقوله: و هـل نجازى إلا الكفور، مثل ما يجازى به الكفور، أى لا يعاقب فى النار بعقاب الكفر إلا كافر، و يحتمل أن يكون عنى و هل نجـازى بمـا جوزوا به من تغيير النّعم أو إنزال الخسف و النّقم إلاـ الكفور. فأمّـا قوله تعالى: بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْـخَرُونَ [الصافات: ١٢] فإنّه غير منـاف لإخباره عن عصـمة اللّه و وقاء ربّه و تصـديقه، و إنّما أراد بل جازيتهم على تعجّبهم منك و ممّا جئت به و يسـخرون أى و هم فى تماديهم، و يمكن أن يكون ذلك على معنى الأمر كأنّه قال: قل يا محمد بل عجبت و يسخرون على وجهه، على جهة الخطاب لمن تعجب مما ينزل بهم. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۶٢۶ فأمّا قوله: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ [السجدة: ۵]، فإنّه غير مناف لقوله: مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج: ۴]، لأنّه أحوال و تارات، فتارة منه تقدّر بألف سـنة، و تارة بخمسين ألف سنة، و يمكن أن يكون أراد أن الملك يعرج من الأرض إلى حيث يخرج من السـموات ما مقـداره من سنّى غيره ألف سـنة من أيام الدنيا، فلا تناقض إذا فى هـذا. و أمّـا قوله: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً [نوح: ١۶] لم يرد أنّه جعلهـا فى الكواكب، و إنّمـا عنى و هو أعلم، و جعـل القمر معهنّ نورا فجعـل فيهنّ مكانـا معهن. فأمّـا قوله: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها [الأحزاب: ٧٢] فليس بخبر على أنها أحياء مكلفـة، و إنّما قصده تعالى تعظيم شأن حمل الأمانة، و أنّ كلّ أحد يضـعف عنها، و إن عظم خلقه، و يضـعف عن أن يطيقها، قالوا: و ذلك نحو قول العرب عرضت الحمل على البعير فأبى أن يحمله، أى أنّه صـغير لا يقوى على الحمولة لصـغره و ضعفه. و قيـل إنّه أراد بـذلك أنّه تعـالى عرضـها على أهل السـموات و الأرض و الجبال فأبوا أن يحملوها لثقلها، و القصور عن القيام بحقّها، كما قال وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ [يوسف: ٨٢] يريـد: أهل القرية، و أصـحاب العير، و قوله: وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ [الأحزاب: ٧٢] يعنى: الكفور بجهله بحق اللّه فيهـا، و اسـتحقاره لهـا فبطـل ما قالوه أن تجىء السـموات و الأرض و يعرض عليهنّ القيام بحق اللّه فيما فرضه، و الخروج من جميعه فأبين ذلك و اعترفن بالعجز/ عنه فلا إحالـة فى هـذا و لا تناقض من كلّ وجه. فأمّا قوله: وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ [الفرقان: ٣٧] و أنّه ليس بنقيض لإخبـاره أنّه هو وحـده كان الرسول، لأنّه يمكن أن يكـذّبوا لمّا كـذبّوه صاروا الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۶٢٧ بـذلك إلى تكـذيب من كـان قبـل نوح لمـا بشّروا بنوح و وصّوا بتصـديقه و قبول قوله، فيصـير المكـذّب له مكـذبا لمن كان قبله، و كـذلك هم مكـذّبون لمن بعـد نوح من الرسـل، الـذين يخبرون بنبوّته و مكـذّبون لمن كـان قبله منهم ممن خبّر بـذلك، و يمكن أن يكون منهم من قد أدرك أنبياء قبل نوح، فكذّبهم، أو من اتصلت بهم دعوة الرسل و حججهم فكذّبهم، و أرسل نوحا فكذّبه أيضا، و يمكن أن يكون معنى قوله: لمـا كـذّبوا الرّسل أى كـذّبوه، فكـذبوا الملائكـة التى كانت تنزل بالوحى عليه، و إذا كان ذلك كـذلك اضـمحلّ إلباسـهم. فأمّا قوله: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى [النجم: ١] فليس بخبر عن باطـل لرؤيتنـا النّجم غير هاو و رؤيـة ذلك وقت مبعث النبى صلّى اللّه عليه، لأنّه قـد قيـل إنّ النجوم قرب مبعث النبى صـلّى اللّه عليه كثر انقضاضـها و راع ذلـك قريشـا و العرب، و سـألوا بعض الكهّان عن ذلـك فقـال: إن كـانت النجوم العوامـل تنقض فهى القيامـة، يعنى البروج الاثنا عشـر و الطوالع السـبعة، و إن لم تكن هى فيسـظهر أمر عظيم، فظهر بعث النبى صلّى اللّه عليه و آياته، فلمّا كذّبت قريش قال اللّه سبحانه: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى (١) ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى أى: هو الذى دلّ انقضاض النجوم على أمره، فلا إحالة فى هذا و لا اختلاف. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۶٢٨

فصل من هذا الباب

فصل من هذا الباب فأمّا دعوى الملحدة تناقض ما ورد من آى القرآن فى الهدى و الضـلال و خلق الأفعال و القضاء، و تقدير الأعمال و تكليف ما لا يطاق و ما يكثر ابن الراوندىّ و أضـرابه من هذا الباب و تضلّ به القدريّة و المعتزلة و من تابعهم من التعلّق بهذه الآيات فى حملهم لها على غير تأويله و ما قصده اللّه بها، إمّا للجهل بذلك أو لقصد العناد و إيثار التمويه و الإلباس، فإنّه لا تعلّق للفريقين فى

شيء منه، و نحن نبيّن/ ذلك بيانا يوقف على الواضحة إن شاء اللّه. قال الملحدون: و ممّا ورد متنافيا متناقضا من آى القرآن تناقضا لا خفاء به على أحد قوله: وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ [إبراهيم: ۲۷] و قوله: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً [الجاثية: ۲۳]، و قال: وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ [الرعد: ۳۳]، فى أمثال هذه الآيات ممّا فيها ذكر إضلال اللّه لمن أضلّه و نحو قوله: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ [الأنفال: ۲۴]، و قوله: إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً [الكهف: ۵۷]، و قوله: وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [الأنعام: ۱۲۵]، بعد قوله: وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ [المائدة: ۴۱]، و قوله: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [التوبة: ۱۲۷]، و قال: وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام: ۱۱۰]، و قال: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ [البقرة: ۷]، و قوله: فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ [التوبة: ۷۷]، و قال: وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۲۹ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام: ۱۱۰]، و قال: أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ [محمد: ۲۳]، و قوله: وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء: ۸۸]، و قوله: مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ [الأنعام: ۳۹]، و قوله: وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ [المائدة: ۶۴]، و قال فى هزيمة المؤمنين يوم أحد: وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ [آل عمران: ۱۵۲]، فى نظائر هذه الآيات ممّا أخبر فيها أنّه تعالى تولّى إضلالهم و الختم على قلوبهم، و تغشية أبصارهم و جعل الأكنّة على قلوبهم. قالوا: ثم نقض ذلك أجمع بأن خبّر فى آيات كثيرة أنّهم هم المضلّون لأنفسهم و الخاتمون عليها و تبرّيه من معاصيهم و إضلالهم، و نقض ذلك أيضا بأن أضاف إضلالهم مرة إلى آلهتهم و مرة إلى/ الشيطان، و مرة إلى فرعون و السامرىّ و مرة إلى الشياطين، و كلّ هذا متهافت متناقض لا شبهة فى تناقضه بزعمهم. فأمّا نقضه لذلك بإضافته إليهم فكثير، منه قوله سبحانه: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [البقرة: ۱۰۹]، و قوله: قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران: ۱۶۵]، و قوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها [الإسراء: ۷]، و قوله: وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ [الحديد: ۱۴] فأضاف ذلك إليهم دونه، و قوله: كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين: ۱۴]، و قوله: يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ [يس: ۳۰] فأضاف ذلك إليهم و قال: جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف: ۱۴]، ذلِكَ بِما الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۰ قَدَّمَتْ يَداكَ «۱»، و: لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳] يعنى عما يفعلون، فأضاف أفعالهم إليهم، كما أضاف فعل نفسه إليه تعالى، و قوله: فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ [القصص: ۵۰] فأضاف الاتباع إليهم، و قوله: ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ [الروم: ۴۱] فأضاف ما عوقبوا عليه إليهم دونه، و قوله: فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [الصف: ۵] فأضاف الزيغ الأول إليهم، و جعل الثانى عقوبة، و قوله: وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [آل عمران: ۷۸]، و قوله: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى [فصلت: ۱۷]، و قال: فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ [الانشقاق: ۲۰- ۲۱]، فاستبطأهم استبطاء من يعلم أنّ الفعل لهم و منهم و بأيديهم. و كذلك قوله: وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء: ۳۹]، و قوله: وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى [الكهف: ۵۵ (______________________________]. ۱) فى الأصل: «ذلك بما كسبت يداك»، و ليس كذلك نص الآية الكريمة و إنّما الآية هى: ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [الحج: ۱۰]. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۱

فصل

فصل و أمّا نقضه ما قدّمناه- زعموا- بنفيه ذلك عن نفسه و بيّن كثيرا منه قوله: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۹]، و قوله: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶]، و قوله فى ذمّه الكفّار بقولهم: لَوْ شاءَ

الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ، و قوله: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ، فذمّهم بهذا القول الذى أخبر به عن نفسه/ فى قوله: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ [الأنعام: ۱۳۷]، و قوله: وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها [السجدة: ۱۳]، فى أمثال هذا ما خبّر فيه بمثل قول المشركين الذى ذمّهم و عيّرهم به، و قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ [التوبة: ۱۱۵] و قوله: وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ [إبراهيم: ۲۷]، و قوله: وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ [البقرة: ۲۶]، و قوله: وَ ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت: ۴۶]، و هو قد أخبر فيما سلف أنّه يسألهم عن فعله و يعذبهم على قضائه و قدره، و ذلك هو الظلم بعينه. فأمّا نقض ما أخبر به من تولّيه لإضلالهم بإضافته ذلك إلى غيره من المجرمين و الشياطين و غيرهم فظاهر كثير، منه قوله: وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى [طه: ۷۹]، و قوله: وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ [الشعراء: ۹۹]، و قوله: رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ [فصلت: ۲۹]، و قوله: وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ [طه: ۸۵]، و قوله: رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ [الأعراف: ۳۸]، و قوله: الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۲ وَ أَمْلى لَهُمْ (۲۵) [محمد: ۲۵]، و قوله: فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ [القصص: ۱۵] فأضاف ذلك إلى الشيطان، و قوله: وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ [النمل: ۲۴] ثمّ نقض قوله: وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً [المائدة: ۴۱] بقوله: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ [البقرة: ۲۰۵]، و قوله: وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ [الزمر: ۷]، و قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا [النور: ۱۹] فذمّ من أحبّ ذلك بما خبّرنا به يريد ذلك أجمع، و هذا زعموا تناقض ظاهر لا يأتى من قبل حكيم عليم سميع بصير. قالوا ثمّ أخرج نفسه و الشياطين عن أن يكون لهم فى الإضلال صنع و سلطان بقوله: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا [المزمل: ۱۹، الإنسان: ۲۹]، و فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً [النبأ: ۳۹]، و قوله: وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء: ۳۹]، و قوله: فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [الانشقاق: ۲۰] و بذمّه لهم على هذه الأفعال، و لو كانت من عنده أو من عند قادتهم أو من/ عند الشياطين لما ذمّهم على ذلك، و لكان ذمّ من بقى من قبله أولى. و كيف يقول: وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا [الكهف: ۵۵]، وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا [النساء: ۳۹]، و هو يقول: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ [البقرة: ۷]، وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ [يس: ۹]، و يقول: جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً [الكهف: ۵۷]، و كيف يسمع أو يخنع و يستجيب من ختم على قلبه و بصره و سمعه، و حيل بينه و بين قلبه و رشده. و اعلموا رحمكم اللّه أنّه لا تنافى و لا تناقض فى شىء مما تلاه الملحدون و تعلّقوا به، و لا حجّة فيه و لا شبهة لقدرىّ يحاول بما يتلوه من ذلك إبطال الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۳ إضلال اللّه الضالين بالختم و الطبع و التغشية، و تقليب القلوب و الأبصار و التفرقة بين المرء و قلبه. و نحن نكشف ذلك كشفا يزيل ما حاولوه من الإلباس و التمويه و يجلّى غماء الشبهة بإذن اللّه عن ذى الجهل و النقص منهم. فأوّل ما يجب أن نثبته فى هذا الفصل الفرق بين الإضلال و الضلال. فنقول: إنّ الضلال هو الذهاب عن الحقّ، و ضدّه الهدى و تصور الأمر على غير ما هى به، و هو من فعل النفس، و الخبر عن ذلك باللسان عبارة عن الضلال الذى فى القلب، و من فعل النفس و هو أيضا فى نفسه ضلال، لأنّه خبر باطل و قول كذب و ضدّ الحقّ و الصدق، و الذى هو الخبر عن الشىء على ما هو به، و هو محرّم على المخبر به إذا شرح بالكفر صدرا و لم يكن معتقدا به، كما أنّ اعتقاد الباطل معصية محرّمة على معتقدها، فقد استوى العقد و القول الذين ليسا بحقّ و هما ضدّ الهدى، و الصواب فى أنّهما ضلالات و ذهابات عن الحقّ أحدهما عقد و الآخر قول و خبر، و الضلال الذى هذه صفته لا يكون إلا لضالّ به، و من ضالّ يوصف به، و يتعلّق بقدرته إذا كان منتهيا عنه و مأمورا بتركه، هذا/ أصل الضلال، و منه سمّى الضلال عن الطريق المحجّة إذا عدل عنها للجهل بها ضالّا عن الطريق، و منه الضلال عن الرأى الذى هو الذهاب عن صوابه، و منه الضلال عن الحقّ الذى هو العدول، و منه سمّيت الضالّة ضالّة. و قد قيل: إن الضلال عن الحقّ الذى هو بمعنى العذاب، و استشهد قائل ذلك بقوله: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ [القمر: ۴۷]، يعنى: فى عذاب و سعر و ليس هذا باستشهاد صحيح، لأنّه يحتمل أن يكون عن أنّ المجرمين فى الدنيا فى ضلال عن الحقّ و فى سعر فى الآخرة، أو فى ضلال فى الدنيا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۴ عن الحق، و سعر هو نفس ضلالهم عن الحق، و إنّما سمّى

أعمالهم سعرا على معنى أنّه يستحق بها الكون فى السعير، كما قال: فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ [البقرة: ۱۷۵]، يعنى على عمل أهل النّار فلا حجّة فى الآية، و على أنّه لو كان الأمر على ما ذكروه لصار تقدير الكلام إنّ المجرمين فى عذاب لأنّ السعير نفسه عذاب، و هو يغنى عن ذكر العذاب، و هذا مستثقل مستغث من الكلام، فوجب أن يكون قوله: فى ضلال يعنى ذهاب عن الحقّ، و فى سعر من أعمالهم هذه، أو سيكون فى سعر يوم القيامة، و على أنّه سمّى العذاب ضلالا فعلى معنى أنّه ذاهب بصاحبه عن الثواب و اللذّات، فهو راجع إلى الذهاب عن الجنّة على وجه الشبه بالذهاب عن الحقّ، و الأمر المقصود الذى فيه السلامة و النجاة. و قيل إنّ الضلال يكون بمعنى الهلاك بدلالة قوله: أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ [السجدة: ۱۰] أى: هلكنا، و قد يمكن أيضا أن يكون ضلالهم فى الأرض ذهاب عن مواضع مقصودة فيها المصالح و الرشاد و إن سلّم أنّ الضلال بمعنى الهلاك و البلى فى القبور، فذلك غير ضار و لا نافع للملحد و لا لقدرىّ على ما سنبينه إن شاء اللّه، و قيل إنّ الضلال يكون بمعنى الغفلة، و منه قوله: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما [البقرة: ۲۸۲]،/ و قوله: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى [الضحى: ۷] أى: تغفل إحداهما، و وجدك غافلا على النبوّة، فهداك إليها و شرّف قدرك بها، و هذا أيضا عائد إلى معنى الذهاب عن الشيء و ذلك أن غفلة إحداهما التى خيفت إنّما هو ذهابها عن ذكر الحقّ و إقامة الشهادة عليه بحسب الصواب، و ما يجب فى التحمّل و الأداء، و الذهاب عن ذلك بالغفلة ذهاب عن الحق، كما أنّ الذهاب عنه بالقصد و الاعتماد ذهاب عن الحق، غير أن إحداهما معتمد، و الآخر غير معتمد. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۵ و قوله: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى أى غير عارف بشريعة بعينها قامت بها الحجّة لحصول الفترة و الذهاب عن العلم، فذلك ذهاب عن أمر من الصواب؛ الواجب على من علمه و قامت الحجّة عليه به و إن لم يكلّفه عليه السلام مع الفترة، و ليس كل ضلال مذموما بنفس الاسم و بكونه ضلالا، و إنّما المذموم من ذلك ما حظره اللّه و نهى عنه؛ و لذلك نقول قد ضلّ زيد عن الرأى، و ذهب عليه رشده و إن لم يقصد بذلك ذمه، بل الإخبار عن ذهابه عمّا قصده فقط، و ربّما كان قصده التذكير على المؤمنين. فأمّا قوله: فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ [الشعراء: ۲۰]، فليس فيه دلالة على أنّه كان من الغافلين عمّا فعله، بل لا ينكر عندنا أن يقع منه الذنب على وجه العمد و إن كان مغفورا، و يمكن أن يكون وقع عن غفلة و سهو، أعنى القتل و لكن ليس حجّة ذلك قوله: و أنا من الضالين بل شيء آخر إن دلّ على ذلك، و كل شيء يسمّى ضلالا فإنّ هذا أصله و هو مأخوذ منه و مشبّه به. فأمّا الإضلال فإنّه غير الضلال و هو متعلق بالمضلّ للضالّ دون الضال بقدرته، و إن قيل أحيانا زيد قد أضلّ نفسه بكفره و خلافه عن الحقّ، فعلى وجه التشبيه بإضلال غيره له، و الإضلال الحقيقى الذى هذه الأسماء اسم له قولنا إغواء و تزيين للباطل و تقبيح الحق، إنّما هو الحيلولة بين المرء و قلبه و إزاغة القلوب عن الحق، و خلق الباطل فيها الذى/ هو اعتقاد غير الحق. و قولنا ختم و طبع و غشاوة و صمّ و عمى و سدّا إنّما هو عبارة عن هذا الاسم من المفعول فى القلوب و المضاد لاعتقاد الحقّ و الصواب، و اللّه هو المنفرد بخلق ذلك فى قسمه لنا به، و عدل عليه فى حكمه و قضائه، و المتفرد بالقدرة على تقليب القلوب و الحيلولة بين أصحابها و بينها، و القدرة على خلق ضدّ الحقّ فيها لا يشركه فى القدرة على إغواء القلوب الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۶ و تصوير الأمور بغير ما هى به، و الخلوص إلى الطبع و الختم، ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل، و لا شيطان متقول، و لا أحد من خلق اللّه، هذا هو حقيقة الإضلال. و قد يسمّى الدعاء إلى الباطل و التزيين له، و التحمّل فى اعتقاده و الوسوسة المخيلة لكونه حقا إضلالا لمن قبل ذلك، و أجاب إليه، و استصير به و إغواء الشيطان و وسوسته إضلالا لمن قبل دون من لم يقبله، و كذلك دعاؤه إلى الضلال و دعاء سائر أئمة الكفر إليه إضلالا لمن قبل ذلك، و استصير به، و كذلك سحر السّحرة و فعل السامرىّ الذى هو صياغة العجل إضلالا و إغواء لمن قبل ذلك و استصير به دون من خالفه، و بعد عنه، و قد يسمّى تسميته الضال و من ليس بضالّ و الحكم عليه باسم الضلال إضلالا، و إن لم يكن إضلالا على الحقيقة؛ و لكن على وجه التشبيه له بفعل الضلال فى الغير و بما يستصير به المفعول فيه، قال النجاشىّ: ما زال يهدى قومه و يضلّنا حقّا و ينسبنا إلى الكفار و لسوف يعلم حين يلقى ربّه من شرّنا و أحقّنا بالنّار يعنى ما زال يسمّينا ضالين و يحكم لنا بذلك و يسمّى قومه مهتدين، و قال آخر: و ما زال شرف الراح حتى أشرّنى صديقى و حتى ساءنى بعض ذلك يعنى: تسمية صديقه و جليسه له شريرا دون خلق الشرّ فيه، و هذا إن جاز/ استعماله فمجاز و على وجه الاستعارة و

التشبيه بالإضلال الذى هو نفس الذهاب عن الحق، و كأنّ الخبر بذلك قد صار بمثابة من فعل ذلك فيه إذا كان عند المسمّى قضيّة ما سمّاه به، كما إنّ من خلق به الضلال ضالّ عند الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۷ من خلق الضلال فى قلبه، و تسمية المسمّى المخبر بذلك على وجه التشبيه بفاعل الضلال فى القلوب. و يمكن أن يكون لما كان الحكم و التسمية للغير بالضلال يضرّ بالمسمّى و يغمّه و يصوّره عند الناس قبح حاله، كما أنّ وجود الضلال فى قلبه يغمّه و يضرّه و يهلكه أجرى على التسمية لهذه الوصمة و المضرّة اسم ضلال للقلب الذى هو الذهاب عن الحق. و الضلال فى الحقيقة، هو ضد الهدى الذى يوجد فى محلّه و يعاقبه، قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ [الرعد: ۳۳]، و قال: فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ [النحل: ۳۶] و أمثال لهذه الآيات فيها تحقيق الضلالة التى هى ضد الهدى «۱» و الذهاب عن الحقّ و الصواب. قال لبيد بن الربيعة: من هداه سبل الخير اهتدى نعم البال و من شاء أضلّ و لم يرد بالهدى الذى به ينعم بال المهتدى، الحكم و التسمية و لا بالضلال، التسمية به، بل أراد شرح الصدور و تضييق القلوب. فأمّا الهدى فهو ضدّ الضلال و هو معرفة القلب بوجوب كلّ واجب و تصديقه بذلك، و اعتقاد الأمور على ما هى به، و الإخبار عن ذلك باللسان هدى أيضا، لأنّه خبر حقّ و صدق، و نقيض ما صوّر به، و الهداية التى هى الإرشاد من اللّه خلق الهدى فى القلوب و شرح الصدور و توسعتها و إقرارها بالحقّ و تسهيله و تيسيره عليها و فعل الألطاف الجامعة لهم على فعل الطاعات، (______________________________ ۱) كلمة (ضد) فى الأصل ساقطة، و

لا تستقيم العبارة إلا بإثباتها. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۸ و قد تكون الهداية بمعنى الدعاء إلى الشىء، و لا تسمّى/ الدعوة إلى الحق هداية إليه إلا لمن قبلها و انتفع بها. قال القطامى: ما ذا هداك لتسليم على دمن بالغمر غيّرهنّ الأعصر الأوّل يريد بقوله (ما ذا هداك): ما ذا دعاك إلى الهدى إذ اهتديت لتسليم على دمن بالغمر غيّرهن الأعصر الأول و بعثك على ذلك. و قد تكون الهداية بمعنى التوفيق و شرح الصدر و تسهيل القول الحقّ على ما بيّناه من قبل، و هى الهداية الحقيقية المقصودة بقوله: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [القصص: ۵۶]، أى: إنّك لا توفق من أحببت، و لم يرد أنّك لا تأمره بالهدى و تدعوه إليه، و هى المراد بقوله: وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ [الزمر: ۳۷] و المعتمد فى الرغبة إلى اللّه فى الهداية فى الرغبة، لأنّ الدعوة قد حصلت لكل، و لأنّه قد ضلّ كثير ممّن دعى إلى الحق، فدلّ ذلك على أن الهدى المرغوب فيه و الذى لا يضلّ صاحبه، و لا يهدى به النبى عليه السلام من أحبّ هدايته هو التوفيق و شرح الصدور الذى قدمناه. قال الحطيئة: تحنّن علىّ هداك المليك فإنّ لكل مقام مقالا ... يريد: وفّقك المليك للحق، و شرح صدرك به و لم يرد دعوته إلى ذلك، لأنّها قد سلفت و وجدت. و قد تكون الهداية إلى الشىء بمعنى التقديم إليه، و منه قولهم: قد أقبلت هوادى الخيل أى: مقدّماتها، و يقال هوادى الخيل أعناقها لأنّها تتقدمها. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۳۹ قال الشاعر «۱»: إذا لم يختزن للبيت لحما غريضا من هوادى الوحش جاعوا يعنى: تدخر لهم من أوائل ما يتقدّم إلى الوحش. و قال الأعشى: إذا كان هادى الفتى فى البلاد صدر القناة أطاع الأميرا يعنى أوائل القناة و مواضع الأسنّة منها، و العصا تسمّى الهادية إما لأنّها تتقدّم/ المتوكئ عليها، أو لأنها من شدّة تهديه بحسّه بها و توقيه الوهاد و التلاع، و ما فى سبله من الأذى، و ما يريد معرفته. و أمّا قول من زعم أنّ الهداية تكون بمعنى الزيادة، و اعتلّ لذلك بقوله تعالى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ [محمد: ۱۷]، فإنّه تعلق باطل، لأنّ قوله زادهم هدى، إنّما يريد بزيادتهم رشادا و تبصرا، و اتخاذا للهداية فى قلوبهم فى مستقبل أزمانهم و أعمارهم، و ليس يبيّن معنى الهداية بجعله زيادة على هدى كان قبله، و كما أنّه قال قائل لمّا علموا زدناهم علما إلى علمهم، و لم يكن فى ذلك إخبار عن خاصية العلم وحده، و حقيقته المحيطة به، فكذلك ذكر الهداية و الزيادة فيهما لا ينبئ عن معناها. و قد قيل إنّ الهدى ثواب الجنّة، و احتجّ لذلك بقوله: وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ (۴) سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ [محمد: ۴- ۵]، يعنى: أنه يهديهم إلى طريق الجنة، و هذا أيضا إن صحّ فعلى وجه تشبيه الثواب فى نفعه بهدى القلب و استبصاره فى الانتفاع به، و استدفاع الضرر، هذه جملة فى معنى (______________________________ ۱) هو

ربيعة بن مقروم، ذكره بقصيدته هذه ياقوت الحموى فى «معجم البلدان» (۵: ۲۱۹). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۰ الهداية و الهدى و

الإضلال و الضلال كافية، و إذا كانت هذه الجملة ثابتة وجب أن يكشف بعد ذلك بأنّه لا تناقض فى إضافة إضلال كل ضالّ من العصاة بالكفر و غيره إلى نفسه، و بين إضافته إلى الفراعنة و المردة مرّة و إلى الشياطين و إلى فرعون و السامرىّ و كلّ داع إلى ضلالة و إنّ القرآن يشهد بعضه لبعض، و يصدّق بعضه بعضا. فنقول: إنّ الهداية التى أضافها اللّه تعالى إلى نفسه و أخبر بها لا يشركه فيها ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا أحد من خلقه، و هى شرح الصدور و تطهير القلوب، و خلق الإيمان و التصديق فيها و تسهيله عليها، و خلق الألطاف الجامعة الدواعى و الهمم على فعله من القدرة على فعله، و الأسباب المسهّلة له، و غير ذلك ممّا لا يقدر عليه أحد من/ خلقه، فهذا الضرب من الهداية لم يضفه اللّه تعالى إلى الملائكة و لا إلى أنبيائه و لا إلى أحد من خلقه، إذ لم يكن ذلك من أفعالهم و لا- ممّا يدخل تحت قدرهم، و إنّما معنى الهداية التى يضيفها اللّه تعالى و رسوله و المسلمون مرة إلى الأنبياء و مرّة إلى الأئمة و العلماء، إنّما هى الدعوة إلى الإيمان و شهادة الحقّ و الإرشاد إليها، بذكره الأدلّة و التنبيه على موضع الحجّة و التزيين لذلك و التقبيح لتركه، و التحذير و الوعيد عن التخلف عنه و تجنبه، و كثرة الحثّ و الحضّ على فعله، و الإخبار بما عليه من جزيل الثواب و بما فى تركه من أليم العقاب، إلى غير ذلك. و جملة هذه الهداية المضافة إلى غير اللّه من سائر أوليائه، إنّما هى معنى الدعوة إلى الإيمان و التزيين له و الإرشاد إليه و التنبيه على مواضع الهداية عليه، و الترغيب فى فعله و التحذير من تركه، فأمّا أن يكون لأحد منهم سلطان على فعل فى القلوب و شرح الصدور و خلق القدر و الألطاف و تقليب القلوب و الأبصار و صرفها و الحيلولة بين المرء و قلبه، فإنّ ذلك غير الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۱ جائز على قول أحد من الأمّة، و ممّا قد قامت الأدلّة على بطلانه و كذب كلّ من ادّعى ذلك لنفسه من الخلق أو لغيره من الخلق، و لو كان إلى الأنبياء و المؤمنين هداية الخلق بما يهديهم إليه سبحانه به ليهدوا الناس أجمعين و من آثروا إيمانه و كرهوا إضلاله. و كيف يكون ذلك كذلك و اللّه تعالى يقول لرسوله: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [القصص: ۵۶]، و قال له: أ فتراه إنّك لا تأمر من أحببت و لا تدعوه إلى كلمة الحقّ و لا تزين له الصواب، و لا ترغب و ترهّب مع إخباره عنه بأنّه موضع لرسالته، و الأداء عنه؟ هذا ممّا لا يقوله مسلم و لا ملحد لأنّ الكلّ قد اتّفقوا على أنّه عليه السلام بيّن و أنذر و حذّر، و إنّما قال له: «إنّك لا تهدى من أحببت»، أى ليس إليك هدايته بشرح الصدور و توسعته و تطهير/ القلب، و خلق الإيمان فيه و تسهيله عليه و لذلك روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «بعثت داعيا و مبلغا، و ليس إلىّ من الهدى شىء، و خلق إبليس مزينا و ليس له من الإضلال شىء» «۱»، و قد ورد القرآن بتصديق هذا فى قوله: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، و قوله: وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ [النور: ۵۴]، و قوله:* لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [البقرة: ۲۷۲]، و قوله: وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ [الكهف: ۵۶]، و قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۴۵) وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (۴۶) [الأحزاب: ۴۵- ۴۶]، فى أمثال هذا ممّا خبّر فيه أنّ الهداية إليه وحده و ليس يجوز أن يكون إليه وحده ما هو مشترك بينه و بين خلقه (____ ۱) رواه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (۱: ۲۷۲) كتاب السنة و ذم البدعة، باب فى ذكر القدر، و أخرجه ابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (۹: ۳۹). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۲ و اعلموا- رحمكم اللّه- أن دعوة الرسول لا تكون هداية لأحد و لا توصف بذلك حتى يقارنها قبول المدعو و انتفاعه بها، و متى عريت من ذلك لم تكن هداية له، فلذلك لا يجوز أن يقال إنّ الرسول قد هدى أبا جهل و أبا لهب و سائر من كفر به من قريش، و لم ينتفع بدعوته لأنّه إذا لم ينتفع المكلّف بالدعوة لم تكن من أسباب هدايته، و صارت ضررا عليه و وبالا و طريقا إلى عقابه، لأنّه لو لم تكن الدعوة لم يستوجب العقاب، فهى إذن ضرر مع عدم القبول و الانتفاع، قال سبحانه و تعالى: الم (۱) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (۲) [البقرة: ۱- ۲]، و قال: وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ [البقرة: ۲۶]، و قال: وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى [فصلت: ۴۴]، فبيّن بذلك أجمع و أمثاله من الأخبار أنّ الدعوة هداية لمن قبلها و انتفع بها دون من ردّها و استضرّ بورودها، فبان بهذه الجملة أنّه لا منافاة بين إضافة اللّه سبحانه الهداية إليه، و بين إضافة الهداية إلى رسله و ملائكته و المؤمنين إذا كان من أضافه إلى نفسه من ذلك غير ما أضافه إلى خلقه. على أن الهداية التى أضافها إليهم إنّما هى الدعوة و التزيين و الإرشاد و التنبيه و

الترغيب و التحذير، و على ذلك يدلّ قوله: وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ [الكهف: ۵۶]،/ و قوله: وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ [النور: ۵۴]، و كلّ هذا ممّا قد هدى اللّه سبحانه المؤمنين به على وجهين: أحدهما: أنّ نفس دعوة الرسل و ترغيبهم و ترهيبهم و إرشادهم من فعل اللّه تعالى و خلقه و ترتيبه و تدبيره، فهو أيضا هاد بذلك للمنتفع بالدعوة حسب هداية المكتسب له من الرّسل، و لا يجوز أن يكون البارى الهادى بهذه الهداية المكتسب لها دون خالقها الذى صارت نفسا حادثة موجودة به دون المكتسب لها، فوجب لذلك أن يكون لا تناقض بين إضافة الهداية الواحدة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۳ إليهم تارة و إليه أخرى، لأنّها مضافة إليه تعالى من جهة الخلق و الاختراع، و مضافة إليهم من جهة التصرّف و الاكتساب، و قد شرحنا هذه الفصول، و كيف يكون عدلا واحدا لعدلين و هداية لمهديين، و وجه الاشتقاق من خلق الهداية و العدل و اكتسابها و طريق تعلّقهما و إضافتهما فى «شرح اللمع» و غيره مما يغنى الناظر فيه إن شاء اللّه. و الوجه الآخر: أن اللّه تعالى قد هدى كل قابل للإيمان بمثل هداية الرسل فى الدعوة و الإرشاد و التزين و الترغيب و الترهيب، فصارت هذه الهداية مشتركة و مضافة إلى اللّه تعالى و إلى أوليائه، و معنى الاشتراك فيها أن المضاف إلى اللّه سبحانه منها كالمضاف إلى رسوله و أوليائه، و الضرب الأوّل هو الذى انفرد اللّه تعالى به، و لم يضفه إلى أحد من خلقه، و هو الذى عناه بقوله: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ [الأنعام: ۱۲۵]، و قوله: أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ [المجادلة: ۲۲]، و قوله: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات: ۷]، فلم يضف من ذلك شيئا إلى رسله و لا إلى أحد من خلقه، فبان بهذا أنّه لا تناقض فى إضافات الهداية مرة إلى اللّه سبحانه، و مرة إلى رسوله، و مرة إلى المؤمنين و الملائكة إذا نزّلت/ بحسب ما بيّناه و رتّبناه. فأمّا إضافته الإضلال مرّة أخرى إلى نفسه تعالى و مرّة إلى الشياطين و مرّة إلى المجرمين و مرّة إلى السامرىّ و إلى فرعون و غيره من الكفّار، فإنّه لا تناقض أيضا فى ذلك و لا تنافى، و ذلك أن الإضلال الذى أضافه اللّه إلى نفسه هو الذى لا يدخل تحت قدرة أحد من خلقه من جميع الفراعنة و الشياطين و المجرمين، و هو الطبع على القلوب، و جعل الأكنّة عليها و الختم و الإعماء، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۴ و ما ذكره من المد فى الطغيان و الوقر فى الآذان، و تقليب الأفئدة و الأبصار، و الحول بين المرء و قلبه و تضييق صدره و ما يعقبه من النّفاق فى قلوب أعدائه الأشرار، و كلّ هذا ممّا ينفرد اللّه بالقدرة عليه، و كذلك خلق نفس الكفر و الإضلال و الإقدار عليه و التمكين منه، مما ليس لكافر و لا لشيطان مارد سلطان و لا قدرة على خلقه فى القلوب فما أضاف اللّه تعالى شيئا من ذلك إلى أحد من خلقه بل قال: «ختمنا» و «طبعنا» و «جعلنا على أبصارهم غشاوة»، «نقلب أفئدتهم و أبصارهم»، و «أعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه»، و «جعلنا من بين أيديهم سدّا و من خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون»، فلم يضف تعالى شيئا من ذلك إلى أحد من الشياطين أو المجرمين أو فرعون أو السامرى، إذ ما كان ذلك من صفاتهم و لا مما يدخل تحت قدرهم. و أما الإضلال الذى أضافه اللّه تعالى إلى الكفّار و المجرمين فهو الدعوة إلى الضلال، و تزيينه و إيراد الشبهة فيه، و ليس ذلك من خلق شىء فى القلوب بسبيل، و أما الإضلال المضاف إلى فرعون و السامرىّ خاصة و من جرى مجراهم فهو إلباسهم فى الدين و مكرهم بأهله، و حيلهم التى نصبوها لإيقاع الشبه فى الحق، و ليس ذلك من خلق الضلال فى القلوب فى شىء. و أمّا الإضلال المضاف إلى إبليس و الشياطين فقد يكون أيضا بمعنى الدعوة إلى الضلال، و يكون الوسوسة فى الصدور، و حديث النفس بما جعل لهم من السلطان على هذه الوسوسة/ و على سلوك بنى آدم و ختومه على قلوبهم، فهذا ممّا يختصّ به الشياطين دون سائر الخلق، و كلّ هذه التفاسير فى الإضلال التى نزّلناها قد ورد به الأخبار و القرآن على ما سنذكر جملة منه، و إذا كان ذلك كذلك، لم يكن من إضافة الإضلال إلى نفسه تعالى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۵ و إلى جميع من ذكر من خلقه منافاة و لا مناقضة على ما يظنّه الملحدون و من تابعهم من القدريّة و المتحيّرين فى مذاهبهم من أهل الملّة، فبان بهذه الجملة أن اللّه تعالى لم يجعل إلى أحد من خلقه إضلال أحد، و إن جعل له القدرة على هذه الأسباب التى ذكرناها، و لو قدر إبليس و الشياطين و المجرمون على إضلال أحد من الناس، و كان ذلك إليهم و فى أيديهم لأضلّوا الأنبياء و سائر المؤمنين، و كل من آثروا إضلاله و حاولوا

الإلباس عليه فى دينه، و لمّا لم يكن ذلك كذلك؛ ثبت أنّ الإضلال الذى أضافه تعالى إلى نفسه لم يجعل لأحد من خلقه إليه سبيلا، و لا ـ عليه سلطانا. و كذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «و خلق إبليس مزينا و ليس له من الضلالة شيء»، و قد قال اللّه تصديقا لهذه الرواية و لما قلناه: إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ [الإسراء: ۶۵، الحجر: ۴۲]، و قال:* وَ قَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ [فصلت: ۲۵]، و قال: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً [النساء: ۷۶] فأخبر أنّ القرناء إنّما إليهم التزيين فقط، و أنّهم إنّما ضلوا بما حقّ عليهم من القول و القسمة لجهنم. قال اللّه تعالى: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (۲۹) فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ [الأعراف: ۲۹- ۳۰]، ثم قال: مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ [الأعراف: ۱۷۸]، و قال: وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً [الكهف: ۱۷]، و قال: أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَکَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (۳۶) وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ [الزمر: ۳۶- ۳۷] فبيّن بذلك و أمثاله أنّ الضّالّ من أضلّه اللّه، و أنّه لا هادى له و أنّ/ المهتدى من هداه و أنّه لا مضلّ له فهذا تنزيل يزيل الريب و الشبهة و يبطل ما يلبّس به القدرية و الملحدة، و قد أخبر سبحانه أنّ الإضلال منه ما وصفناه من الطبع الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۶ الختم على القلوب و تغشية الأبصار و تقليب القلوب و الحول بين المرء و قلبه، و غير ذلك ممّا عددناه، و خبّر تعالى أنّ إضلال الشياطين إنّما هى الوسوسة و التزيين و التسويل للنّفس، و وعد الشرّ، و أمثال ذلك. قال اللّه تعالى: إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف: ۲۷]، و قال: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فأخبر أنه يوسوس فى صدور الناس، و قال: يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً [النساء: ۱۲۰]، و قال: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ [البقرة: ۲۶۸]، و قال: الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ [محمد: ۲۵]، و الشيطان يضلّ على وجهين: أحدهما: الدعوة إلى الضلال و الوعد و التزيين للباطل. و الآخر: الوسوسة، و قد ورد عن الرسول تصديق ذلك و الإقرار به، فروى عبد اللّه بن مسعود عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «إن للشيطان لمة بابن آدم، و للملك لمة، فأمّا لمّة الشيطان إيعاد بالشرّ و تكذيب بالحق، و أما لمّة الملك فإيعاد بالخير و تصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنّه من اللّه و ليحمد اللّه، و من وجد الأخرى فليتعوّذ باللّه من الشيطان الرجيم، ثمّ قرأ عليه السلام: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا [البقرة: ۲۶۸]» «۱». و روى أنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة و السلام أنه قال: «إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر اللّه خنس، و إن نسى اللّه التقم قلبه»، و روى عن عبد اللّه بن عباس أنّه قال: «إنّما سمى الشيطان

(۱) رواه الترمذى (۵: ۲۱۹) كتاب تفسير القرآن برقم ۲۹۸۸، و رواه ابن حبان فى «صحيحه» انظر «الإحسان» (۳: ۲۷۸) كتاب الرقاق برقم ۹۹۷. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۷ الوسواس الخناس لأنّه خاتم على القلب، فإذا ذكر اللّه خنس، و إذا لم يذكر وسوس» «۱»، فى روايات كثيرة فى هذا المعنى، من نحو قوله: «إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم» «۲»، و قوله: «ما منكم من أحد إلا و له شيطان، قالوا و لا أنت يا رسول اللّه، قال و لا ـ أنا، و لكن اللّه يعيننى/ عليه»، و فى رواية أخرى: «و لكن أعان اللّه عليه» «۳» و أمثال هذا، فهذا القدر من الإضلال هو الذى إلى الشيطان، و هذه الوسوسة هى تزيين و حديث و كلام خفى لا يسمعه الموسوس له، ثم يعتقده إن لم يعصم و يوفق و يعان، و ليست شيئا يفعلها الشيطان فى قلب ابن آدم لأنّه لا قدرة له، و لا لأحد من الخلق على أن يفعل شيئا فى غير محل قدرته من قلب آدمى و غيره من الأماكن و المحال. و أمّا إضلال المجرمين، فقد أخبر اللّه تعالى، أنه هو دعاؤهم إلى الضلال و إلباسهم فى الدين فى غير موضع من كتابه، قال تعالى: وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ [الشعراء: ۹۹] يعنى: الذين نصبوا الأصنام و عبدوها و سنّوا ذلك و دعوا إليه، و قال تعالى: قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ [ص: ۶۱]، يريدون من قدّم لنا الدعوة إلى ذلك و أمر به، و قالوا: رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ

(۱) رواه أبو يعلى من حديث أنس بن مالك (۷: ۲۷۸). (۲) رواه الإمام مسلم (۴: ۲۱۶۷)، كتاب صفات المنافقين و أحكامهم، باب تحريش الشيطان (برقم ۲۸۱۴، ۲۸۱۵)،

بألفاظ متقاربـة، و الإمام أحمد (۲: ۲۸) برقم ۳۶۴۸، (۲: ۵۴) برقم ۳۷۷۹، و (۲: ۶۱) برقم ۳۸۰۲، بألفاظ متقاربة مع ما أورده المصنف رحمه اللّه. (۳) رواه البخاری (۲: ۶۲۸) کتـاب الاعتکـاف باب زیارة المرأة زوجها فی اعتکافه برقم ۲۰۳۸، و مسلم (۴: ۱۷۱۲) کتاب السلام، برقم ۲۱۷۵. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۸ [فصلت: ۲۹]، و قد تظاهرت الروایات بأنّ المضلّ من الجن إبلیس، و المضلّ من الإنس ابن آدم الذی قتل أخاه. و أما إضلال فرعون لقومه، فإنّما هو الدعوة إلی الضلال و إلباسه علیهم بالشبهات و إشغالهم عن تأمل آیات موسی بقوله: یا هامانُ ابْنِ لِی صَرْحاً [غافر: ۳۶]، و منه قوله: إنْ هذانِ لَساحِرانِ یُرِیدانِ أنْ یُخْرِجاکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ بِسِحْرِهِما [طه: ۶۳]، و بقوله: ذَرُونِی أَقْتُلْ مُوسی وَ لْیَدْعُ رَبَّهُ [غافر: ۲۶]، یوهم بذلک أنّه قادر علی قتله و أن ربّ موسی لا ینفعه، و منه قوله: یا قَوْمِ أَ لَیْسَ لِی مُلْکُ مِصْرَ وَ هـذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِی مِنْ تَحْتِی أَ فَلا تُبْصِرُونَ [الزخرف: ۵۱]، یوهم بـذلک أنّ هذه صـفة من ینبغی أن یعبد، و قوله: أَنَا رَبُّکُمُ الْأَعْلی [طه: ۲۴]، و قوله: فَأَوْقِدْ لِی یـا هامـانُ عَلَی الطِّینِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْکاذِبِینَ [القصص: ۳۸]، یوهم قومه أنّه ینادی صاحب الخضـر أو یشغلهم ببناء الصرح عن النظر فی آیات موسی و تصدیقه، و یتحمل فی المدافعة بالأوقات،/ و منه قوله: أَمْ أَنَا خَیْرٌ مِنْ هذَا الَّذِی هُوَ مَهِینٌ وَ لا یَکادُ یُبِینُ [الزخرف: ۵۲]، یعنی: موسی لأجل لثغة کانت فی لسـانه، و عقـدة، فعـابه لأجلها بأنّه لا یبین عن نفسه، ثم قال: فَلَوْ لا أُلْقِیَ عَلَیْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِکَةُ مُقْتَرِنِینَ [الزخرف: ۵۳]، یـوهم أنّه لـو کـان عظیم الشـأن لکـان مسوّرا بسوار من ذهب، لأنّه کـذی کـان شـأن العظیم إذا ارتفع منهم، أن یسوّر سوارا من ذهب، فهذا قدر طاقة فرعون و مبلغ ما عنده فی إضـلاله قومه، فأمّا أن یکون له سلطان علی القلوب و النفوس و الإضلال بما ینفرد اللّه سبحانه بالقدرة علیه من ذلک فمعاذ اللّه، و قد قال اللّه تعالی: وَ ما کَیْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِی تَبابٍ [غافر: ۳۷]، و لو أمکنه إضلال أحد لأضلّ موسـی و قومه، مع إیثـاره لـذلک و حرصه علیه، و لکن ذلک لیس إلیه و لا داخل تحت قـدرته. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۴۹ فأمّا إضـلال السامریّ لعبدة العجل، فهذا أیضا بالدعاء لهم إلی ذلک و تزیینه، و قوله هذا إلهکم و إله موسی، و بما صنعه من قبضة قبضها من أثر الرسول و ما سوّلت له نفسه، و قـد قال اللّه تعالی فی قصّـة موسـی: فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ [طه: ۸۵]، فبدأ بذکر الفتنة التی بها بدأ، و ذلک أنّ اللّه بصّره أثر الرسول فقبض منه القبضة و جعل للعجل بعد أن صنع خوارا یخور به و یمشی، و لیس ذلک تحت قدرة أحد من الخلق و لو لا الخوار و مشیه لما عبده القوم، و لا کان علیهم فیه شبهة، و روی من غیر طریق عن ابن عباس: «إن العجل کان یخور و یمشـی و إن موسـی قال: یا ربّ هـذا السامریّ أمرهم أن یتّخذوا العجل، أ رأیت الروح من نفخها فیه؟ قـال الربّ: أنـا، قـال: فـأنت إذا أضـللتهم و فی روایـة أخری «یـا ربّ علمت أنّ الحلیّ حلیّ آل فرعون، و أنّ السـامریّ صاغ العجل، و الخوار ممن؟ فقال منی یا موسی، فقال: إنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِی مَنْ تَشاءُ [الأعراف: ۱۵۵]» فأخبر موسی أنّ الفتنة من عنـد اللّه، و أنّ اللّه یهـدی من یشـاء، و یضـلّ بها من یشاء/ و لم یضف إلی السامریّ ذلک و لا جعله إلیه، و موسـی عنـد القـدریة مجبر مذموم بهذا القول، و إن کانوا یخافون فی إظهار ذلک من خوف السیف، فبان بهذه الجملة کیفیة إضافة اللّه تعالی الإضلال تارة إلی نفسه و تـارة إلی فرعون و السـامریّ و تـارة إلی المجرمین، و تارة إلی إبلیس و الشـیاطین، و أنّه لا تناقض فی ذلک و لا تنافی إذا کان منزّلا مرتّبا علی ما بیّناه، و بطل بذلک ما قاله الملحدون و توهّموه. و اعلموا- رحمکم اللّه- أنّ خلق اللّه الروح و الخوار و المشی فی العجل، و دعوة السامریّ و إلباس فرعون و المجرمین لا یکون ضـلالا إلا لمن استضرّ به و أجاب إلیه، و ضلّ عند مشاهدته، و کان ممّن قسـمه اللّه لناره، و لا یجوز الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۰ أن یکون شـیء من ذلک إضـلالا لمن خالفه و اعتقد بطلانه، و دعا إلی خلافه و تمسّک بالحقّ الـذی أمر به، و لـذلک لم یکن مضـلا بما خلقه من حیاة العجل و خواره أحـدا ممّن لم یعبـده، و لا کان فرعون و السامری و المجرمون و الشـیاطین مضـلّین لأحـد من الأنبیاء و المؤمنین و المتمسـکین بإیمانهم، لما لم یستضـروا بذلک و لا أجـابوا إلیه، فوجب بـذلک أن تکون الـدعوة إلی الضـلال إضـلالا لمن أجـاب إلیهـا، دون من خالفها و ردّها، و لو لم یکن الأمر فی ذلک علی ما قلناه، و کان علی ما قاله الملحدون فی آیات اللّه و توهّمته القدریة لما أخبر اللّه بعض قولنا هذا، و تأویلنا عن أصـفیائه و أنبیائه و المتحملین لرسالته و من جعلهم واسطة بینه و بین خلقه. قال اللّه تعالی فی قصّة شـعیب بعد وصف سیرته مع قومه:* قالَ الْمَلَأُ

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ (۸۸) قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ/ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ [الأعراف: ۸۸- ۸۹] فأخبر عنه عليه السلام باعترافه بأنّ اللّه قد نجّاه من ملتهم التى هى الكفر، و قد علم أنّ هذه النجاة ليست هى الدعوة و البيان، لأنّه لو كان ذلك كذلك لكان نجا بدعوته جميع قوم شعيب و سائر الكافرين، ثم قال: و ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللّه ربنا، فأخبر أن عوده و عود كلّ أحد إلى ملّة الكفر و دخوله فيها لا يكون إلا بمشيئة اللّه، و هذا نفس ما قلناه و أخبرنا به. فأخبر تعالى عن موسى بمثل ذلك فقال: وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۱ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا [الأعراف: ۱۵۵]، فأخبر عنه أنّه أضاف فتنتهم و ضلالهم إليه، و أنّه يضلّ بها من يشاء و يهدى بهداه من يشاء، هذا مع المروىّ عنه فى التفاسير ممّا قد بيّنّاه، و من قوله: «فممن الخوار، قال: منى يا موسى، قال: إن هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء»، و هذا تصريح منه بمذاهب أهل الحقّ التى أخبرنا عنها، و مثل هذا أيضا قول موسى: رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ [يونس: ۸۸]. و أخبر تعالى بمثل هذا بعينه عن نوح عند ذكر قصته مع قومه و كثرة دعائه لهم فقال تعالى: قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲) قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳) وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [هود: ۳۲- ۳۴]، فأخبر عنه أنّه اعتقد و قال إنّ نصحه غير نافع لهم، إن كان اللّه يريد أن يغويهم، و لو لم يجز أن يعذّبهم اللّه، و أن يزيد غيّهم و ضلالهم/ يضف إرادة ذلك إليه سبحانه، و يحيل عليه ضيق المقاليد بالأمر عليه، و لو تتبعت قصص الرسل و أقاويلهم لوجدت جميعها شاهدة بما قلناه، و ليس يجوز أن يكون لرسول من الرسل قول و مذهب فى القدر و خلق الأفعال و الهدى و الضلال يخالف مذهب نوح و شعيب و موسى عليهم السلام، لأنّ ذلك يوجب تكذيب بعض أنبياء اللّه لبعض، و اعتقاد بعضهم فيه تعالى ما لا يليق به، و لا يجوز فى صفته و قد نزههم اللّه عن ذلك، و رفع أقدارهم و عظم بالإيمان و التقدّم فى العلم به على سائر الخلق شأنهم و مكانهم. و كيف لا يكون هذا قول الرسل و دينهم فى اللّه تعالى، و هم يسمعونه يقول فى كتبهم مثل الذى قاله لرسولنا فى كتابه، و ما هو بمعناه ممّا حكاه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۲ عنهم و ما لم يحكه، و اللّه يقول فى كتابنا المنزّل على رسوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ [النساء: ۸۳]، و قد علم كلّ ذى تحصيل أنّه لا يجوز أن يكون أراد بهذا الفضل الذى لولاه لاتّبعوا الشيطان، و ما زكى منهم من أحد، و كانوا من الخاسرين، هو نفس البيان و الأمر الذى هو على من ضلّ و خسر و اتّبع الشيطان، فدلّ بذلك على أنّ هذا الفضل هو الهداية لخلق الإيمان و توسعة الصدور و التوفيق، و جمع الهمم و الدواعى على إيثاره و فعله و أنّه ليس له مثل هذا الفضل على من كفر و ضلّ، و على هذا دلّ قوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ [الحجرات: ۱۷]، و لو كانت الهداية هى الدعوة و البيان فقط، لكانت هذه المنّة بعينها له على أبى جهل و أبى لهب و سائر الكافرين، و لو كانت الكتمان و التصديق و الطاعة و الانقياد من اختراع المؤمنين و خلقهم و تقديرهم دون ربّ العالمين و دون رسوله لم يكن للّه عليهم/ منة بالإيمان و التصديق و لا لرسوله، إذ كان الإيمان فعلهم و من تقديرهم و واقع باختيارهم، و كان من المحال أن يمنّ اللّه عليهم بفعلهم و خلقهم، و لا قدرة له عليه عندهم و لا ملك له يتعلّق عليه، و لا هو ربّ له و لا إله له. و كذلك قوله سبحانه: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (۷) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً [الحجرات: ۷- ۸] و قوله: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ۱۰۱]، و قد علم اللّه أنّه لا يمكن أن يكون هذا التحبيب للإيمان و التزيين له و التكريه للكفر، هو نفس الأمر و النهى، و الوعد و الوعيد، و الترغيب و الترهيب، إذ قد وجد ذلك لمن ليس بمحبّ الإيمان و لا كاره للكفر، و كذلك فلا يجوز أن تكون الحسنى السابقة للمؤمنين هو سبق بيانه إليهم و ترغيبه إيّاهم، لأنّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۳ ذلك

أجمع ممّا قد سبق للكافرين، و هم غير مبعدين من النار، و لا يجوز أيضا أن يكون سبق الحسنى لهم بمعنى أنّها الجنّة بما كان لأمره و نهيه إياهم، و إنّما سبقت الجنّة إن كانت هى الحسنى بما سبق لهم من الهداية و قسمهم لها دون البيان و الأمر و النهى. و على هذا دلّ قوله: وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۶۲) وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال: ۶۲- ۶۳]، و قوله فى مثل هذا: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ۱۰۳]، فأخبر سبحانه أن لو أنفق جميع ما فى الأرض ما ألّف بين قلوبهم و أنّهم أصبحوا بنعمته إخوانا/ و أنقذهم من النّار، و امتنّ بهذا أجمع عليهم، و قد علم أنّه لا يجوز أن يكون هذا التأليف بين قلوبهم و الاستنقاذ لهم هو نفس الدعوة و البيان، لأنّ ذلك أجمع موجود فى الكافرين لا يوجب أن لا يكون اللّه سبحانه فى هذا التأليف و الاستنفاذ من النعمة إلا ما للرسول، و ما لبعضهم على بعض، لأنّ الدعوة و الإقدار قد وجد من الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و من بعضهم لبعض، فدلّ ذلك على أنّه إنّما امتنّ عليهم بما هو وحده القادر عليه، و المختصّ بالتفضّل به. و كيف يكون التأليف بين قلوبهم هو نفس الدعوة و الإنذار و هو يقول للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم: لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ [الأنفال: ۶۳]، و هو عليه السلام على قولهم قد ألّف بين قلوبهم، إن لم يكن التأليف بين قلوبهم شيئا سوى الدعوة و الإنذار، هذا خلف من القول و بما يتعالى اللّه عنه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۴ ثم أخبر تعالى فيما قدّمنا ذكره من الآى و غيرها أنّه فعل بالضالّين و الكافرين من ضيق الصدور و الطبع على القلوب و الختم، و جعل الأكنّة عليها، و التغشية على الأبصار نقيض ما فعله بالمؤمنين و أخبر عن أوليائه و أصفيائه، و من هو أعلم باللّه من جميع الملحدة و القدريّة أنّهم رغبوا فى أن يفعل بهم ما فعله بالمؤمنين و أن يجمعهم عليه و يجنّبهم ما فعله بالكافرين، فقال تعالى فيمن أحسن الثناء عليه و أقرّ بالاقتداء به: وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا [الحشر: ۱۰]، و هذا قول من قد علم أنّ جعل الغلّ فى قلوبهم من فعل اللّه ربّ العالمين، و لو لم يجز ذلك عليه، و كان فعله ظلما و سفها على ما يقوله المبطلون، لكان ذلك رغبة إلى اللّه فى أن لا يفعل ما يستحيل فى صفته و ما إذا فعله كان بفعله ظالما جائرا سفيها، و كلّ سائل و راغب إلى/ اللّه فيه جاهل به و مستخفّ مفتر عليه، و اللّه تعالى يجلّ عن أن يثنى على قوم هذه سبيلهم و صفتهم. و ليس يجوز أن يكون مرادهم بقولهم و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا أى لا تسمينا غالّين و مدغلين و منافقين و نحو ذلك، لأنّهم لا بدّ أن يكونوا إنّما رغبوا إليه فى أن لا يسمّيهم بذلك، إذا فعلوا الغلّ و النفاق و الإدغال و إذا لم يفعلوه، فإن كانوا رغبوا إليه فى أن لا يسمّيهم بقبح أفعالهم و موجب صفاتهم، و إن فعلوا ذلك و وقع منهم بذلك رغبة إليه فى السّفه و الإغراء بمعاصيه و قلب اللغة، و إبطال الترغيب و الترهيب و الكذب فى خبره، و التسوية بين أعدائه و أوليائه، و الظلم بأهل طاعته إذا لم يفرّق فى الأسماء القبيحة بينهم و بين حالى الإجرام و الذنوب، و اللّه سبحانه لا يثنى على قوم هذه صفتهم، و إن كانوا رغبوا إليه فى أن لا يسمّيهم بذلك إذا لم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۵ يفعل الغلّ و النفاق فكأنّهم إنّما رغبوا إليه فى أن لا يكون عليهم و لا يضيف إليهم ما لم يكن منهم، و يصفهم بما ليس فى صفتهم، و فى أن لا يظلمهم و لا يجوز عليهم فى ذمّهم بما لم يكن منهم، و اللّه يجلّ عن هذه الصفة و عن مدح قوم رغبوا إليه فى أن لا يكون على هذه الأوصاف. و كلّ هذا يدلّ على ما قلناه، و على إبطال ما قاله القدريّة و الملحدون فى آيات اللّه، و كذلك القول فى كلّ رغبة وقعت من مؤمن فى أن يجعله مؤمنا مصدّقا و أن لا يجعله كافرا و لا ضالا نحو قول إبراهيم: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ [البقرة: ۱۲۸]، و لا يجوز أن يكون معنى هذه الدعيّة أن سمّينا مسلمين إذا أسلمنا أو سمّينا بذلك، و إن لم نسلم و لا أن تبيّن لنا و أمرنا لأحد سبق منه هذا الأمر و تقدّم إليه و إلى غيره من الكافرين، فالتعلّق بكلّ هذا تعليل و تمريض. و قولهم بعد ذلك: إنّ هذه الدعوات من الرّسل و المؤمنين إنّما وقعت/ على وجه الرغبة فقط، لا معنى لها و لا يجوز على غير ما رغبوا إليه فيه، و أنّها بمثابة قوله لنبيّه: قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ «۱»، و قد علم أنّه لا يجوز عليه الحكم بغير الحقّ و إنّما ذلك أمر بالرغبة فقط، إنّما هو لبس و قصد للتمويه لأنّ التأويل

فی قوله: قالَ رَبِّ احْکَمْ بِالْحَقِّ: أی عجّل الحکم به کلّه أو بعضه، لأنّه تعالی له تعجیل الحکم بالحقّ و له تأخیره، و لیس له عند المعتزلة تقدیم جعل الغلّ للمؤمنین فی القلوب و لا تأخیر ذلک و لا یصحّ أن یقع منه بحال، و هذا یبطل تمویهاتهم بهذه الأباطیل.

(____ ۱) ورد فی الأصل: «و قل رب احکم بالحق»، و الحقّ أنّ الآیة بدون واو، و روایة حفص فیها: «قال رب احکم بالحق» بالفعل الماضی (قال)، و قرأ الباقون بضمّ القاف و إسکان اللام من غیر ألف علی أنّه فعل أمر «قل». «غیث النفع فی القراءات السبع» (ص ۲۹۵). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۶ و کیف لا یجوز علی اللّه ما قلناه و هو تعالی یقول: وَ ما أَصابَکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِیَعْلَمَ الْمُؤْمِنِینَ [آل عمران: ۱۶۶] و لیس یجوز أن تکون هزیمة من انهزم و انحرافه بأمر اللّه و إیجابه، و إنّما أراد بذکر إذنه قضاءه و قدره و ما قذفه فی قلوبهم، و قد قال تعالی: فَبِما نَقْضِهِمْ مِیثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِیَةً یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُکِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلی خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ (إلی قوله) فَأَغْرَیْنا بَیْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ [المائدة: ۱۳- ۱۴]، فأخبر أنّه جعل قلوبهم قاسیة و أنّه أغری بینهم العداوة و البغضاء إلی یوم القیامة، و لیس هذا من الحکم و التسمیة بسبیل، و لأنّ ذلک لو کان کذلک لکان النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و المؤمنین و کل منتم لهم، و حاکم علیهم یجعله إیمانهم قد أغری العداوة بینهم و جعل قلوبهم قاسیة، و هو ما لا یقوله أحد. و قال سبحانه: وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَةٍ لا یُؤْمِنُوا بِها [الأنعام: ۲۵]، فأخبر بتغطیة قلوبهم و لیس ذلک من التسمیة بسبیل، و قال: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۸۴) وَ زَکَرِیَّا وَ یَحْیی وَ عِیسی وَ إِلْیاسَ کُلٌّ مِنَ الصَّالِحِینَ (۸۵) وَ إِسْماعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ یُونُسَ وَ لُوطاً وَ کلًّا فَضَّلْنا عَلَی الْعالَمِینَ (۸۶) وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیَّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ/ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۸۷) ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ [الأنعام: ۸۴- ۸۸]، و لو کان الهدی منه لا یکون إلا بمعنی الدعوة و البیان لم یکن لهذا الامتنان علیهم معنی، و لکان قد هدی بهذا الهدی جمیع المکلّفین، و لم یکن لقوله: یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ معنی، و کلّ هذا یبطل ما قالوه. و قال تعالی فی نقیض صفة هؤلاء الأنبیاء: قُلْ إِنَّمَا الْآیاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ ما یُشْعِرُکُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا یُؤْمِنُونَ (۱۰۹) وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ کَما لَمْ یُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۷ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ [الأنعام: ۱۰۹- ۱۱۰]، افتری أنّه فعل بهؤلاء ما فعله بمن قال و ألّف بین قلوبهم، و بمن قال و کنتم علی شفا حفرة من النّار فأنقذکم منها، لو لا الجهل و العناد و قصد التمویه و الإلباس؟ و کیف یکون ذلک کذلک و اللّه تعالی یقول: وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ (۱۱۸) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِینَ [هود: ۱۱۸- ۱۱۹]، فأخبر أنّه للخلاف الذی لا یزالون علیه خلقهم، و أنّه قد حقّت کلمته بأن یملأ جهنّم من الجنّة و النّاس أجمعین، و لا یجوز أن یکون قوله و لذلک خلقهم منصرفا إلی الرّحمة و هو یقول: وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ [الأنعام: ۱۲۵]، و یقول: وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۱۲]، وَ لَوْ شِئْنا لَآتَیْنا کُلَّ نَفْسٍ هُداها [السجدة: ۱۳]، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۳۷]، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَکُوا [الأنعام: ۱۰۷]، فکلّ هذا یدلّ علی بطلان تأویلهم. و أمّا تعلّق القدریّة فی کثیر من إخباره تعالی بإنعامه علی المؤمنین و تألیفه بین قلوبهم و استنقاذهم من جهنّم و حرمان الکفّار ذلک أجمع، بأنّه إنّما أرید بذلک إعطاؤه تعالی للمؤمنین الألطاف الداعیة لهم إلی فعل الطاعة، و الجامعة لهممهم علیها، و أنّه لیس له مثل هذه النّعمة و الهدایة علی الکافرین، فإنّه أیضا باطل من قولهم، لأنّ اللّطف عندهم واجب علی اللّه سبحانه/ فعله بعد تکلیفهم و قبح منه ترکه، کما أنّه یجب علیه فعل الإقدار و التمکین و فعل الثواب و الجزاء بعد الطاعة، فمحال منه إذا أن یمتنّ علی المؤمنین بما هو واجب علیه و لازم له، و لأنّه تعالی أیضا عندهم غیر قادر علی إعطاء مثل ذلک اللطف للکافرین، و لا هو عنده و فی خزائنه و سلطانه، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۸ لأنّه لو کان ملم بفعله بهم لوجب بخله علیهم و استفساده لهم، و ذلک إخراج له عن الحکمة، فإذا لم یکن عندهم قادرا علی التسویة بین الکافرین و المؤمنین فما معنی امتنانه علی المؤمنین، و إخباره بتخصیصه لهم بأجر لو حاول فعله بالکافرین لم یکن عنده و لا تحت قدرته، علی أنّ القول بأنّ الهدایة لطف من فعل اللّه فیهم نقض

لقول من قال منهم إنّها لا تكون بمعنى الحكم و التسمية، و جميع ما قدّمناه و نزّلناه يدلّ على إبطال ما ألبس به الملحدون، و تعلّقت به القدريّة، و تكشف عن ترتيب الإضلال من اللّه و من غيره، و ترتيب الهداية منه و تفضيلها، و يوجب تنزيل الظواهر التى يوردونها، و حملها على ما رتّبناه دون ما قالوه. فأمّا إضافة المعاصى و ضروب الكفر و الضلال فى آيات كثيرة من كتابه إلى أنفس العصاة و الكفّار، فإنّه أيضا غير مناف لإضافة إضلالهم تعالى إلى نفسه، لأنّه سبحانه إنّما أضاف ذلك إليهم من حيث كانوا مكتسبين له و قادرين عليه، و على تركه، و من حيث كانت هذه المعاصى صفات لهم و حالّة فيهم و متعلّقة بهم ضربا من التعلّق، و أضاف إضلالهم إلى نفسه تعالى من حيث هو الخالق لها و القادر على اختراعها دون جميع الخلق، و من حيث كان سبب اكتسابهم لها و ما ورّطهم فيها من قوله تعالى و إن كان عادلا- حكيما بذلك أجمع، لأنّ الخلق خلقه و هم تحت قبضته لا اعتراض لمخلوق فى حكمه و قضائه و قدره، فهذا التنزيل أيضا لا ينافى إضافة/ المعاصى تارة إليهم و تارة إليه، من جهة الخلق قال اللّه سبحانه: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ [الصافات: ۹۶]، و قال: وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ [سبأ: ۱۸]، و قال: كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ [القمر: ۴۹]، و قال: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ [الروم: ۲۲]، و قال: وَ أَسِرُّوا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۵۹ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۱۳) أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الملك: ۱۳- ۱۴]، يقول: كيف لا أعلم القول و إن أخفيتموه، و أنا الخالق له، فى نظائر لهذه الآيات خبّر فيها عن خلق أفعال العباد. ثمّ قال فى إضافة الأفعال إليهم: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [البقرة: ۱۰۹]، و قال: ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ [الحج: ۱۰]، و قال: جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ [الواقعة: ۲۴]، و قال: إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [المجادلة: ۱۵]، و قال: فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ [هود: ۱۴]، فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ [القصص: ۵۰]، فأضاف اتّباع الهوى إليهم، و قال: وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتَّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [الحديد: ۱۴]، و قال: فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ [النساء: ۶۲]، و قال: إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ [الفتح: ۲۶] فأضاف جعل ذلك إليهم فى نظائر هذه الآيات يكثر تتبعها، أضاف فى جميعها الاكتساب إليهم، و ذلك لا- ينافى ما أخبر به من خلقه لأفعالهم على ما بيّناه و رتّبناه. ثم بيّن تعالى أن سبب ضلالهم بما اكتسبوا ممّا نهوا عنه، كان من عنده و من قبله فى آيات كثيرة، كما بيّن أنّه خالق لأفعالهم فى آيات كثيرة فقال تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [التوبة: ۱۲۷]، فأضاف صرف قلوبهم إلى نفسه، و هو سبب انصرافهم عن الحقّ، و قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها [الأعراف: ۱۴۶]، و قال: وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً [الكهف: ۲۸]، و قال: إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً [آل عمران: ۱۷۸]، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۰ فأضاف الإملاء و الصّرف عن آياته إلى نفسه و جعله من أسباب ضلالهم، و قال تعالى: وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ [الزخرف: ۳۶]، فأضاف تقييض الشيطان إلى نفسه، و جعل ذلك من أسباب ضلال المتّبع لغيره، و قال: وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً [الإسراء: ۱۶]، فأخبر أنّ سبب هلاكهم، هو إرادته لذلك و تأميره لمن فى أهل القرية. فبيّن تعالى بجميع هذه الآيات وجه إضافة الضّلال و الإضلال إليهم، و وجه إضافة ذلك إليه و أكذب من افترى عليه، و قال إنّه غير خالق لأفعال عباده و لا قادر عليها و لا مالك لها، و من قال من العباد لا يكتسبون شيئا و لا يقدرون عليه و لا يتعلّق بهم أمر من الأمور و أنّهم كالباب و الحجر و الجماد، و متى تدبّرت هذه الآيات و نزّلت التنزيل الذى وصفناه و رتّبت الترتيب الذى رتّبه اللّه تعالى و أراده انتفى عنها التناقض و الاختلاف، و صار بعضها حجّة لبعض و شاهدا بصدقه، و متى جهل ذلك التبس عليه الأمر و ضرب بعض القرآن ببعض، و اعتقد تنافيه و تناقضه، و صار ذلك ذريعة إلى تعطيله و تلاحده نعوذ باللّه من الحيرة و الضلال. فأمّا تعلّق الملحدة و القدرية فى معارضة ما تلوناه من الآى فى أنّ البارى مضلّ لمن شاء من العباد بضروب الضلال الذى ذكرناه بقوله تعالى: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۹]، فإنّه من عناد الزنادقة و جهل القدرية و غفلتها، و ذلك أنّ اللّه سبحانه عاب هذا القول من قائله و ذمّه و فنّده عليه، فقال فى أول القصة: وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ

إنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ [النساء: ۷۸] فعيّرهم بهـذا القول و أخرجه مخرج الـذمّ لهم عليه، ثم قال: كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فردّ هذا القول/ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۱ و أخرجه مخرج الذمّ الذى عيّرهم عليه و أكذبهم فيه، بقوله لنبيه عليه السلام: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (ثم قال) فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً (۷۸) ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۸- ۷۹]، على وجه التعيير لهم بهـذا القول اقتصـارا على شاهـد الحال و مفهوم ذمّهم و تعييرهم بهـذا القول فى أوّل الخطاب، فكأنّه قال كلّ من عنـد اللّه فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حـديثا، يقولون ما أصابك من حسـنة فمن اللّه و ما أصابك من سـيئة فمن نفسك، فحـذف يقولون لأجل دلالـة الخطاب و مخرج القصـد و البينـة و الكلام، و يدلّ على أنّ هذا هو التأويل أمران: أحدهما: إجماع الأمة على أنّ اللّه ذمّ قائل هذا فى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلا يجوز أن يذمّهم بقوله و يصدّقهم فيه و يقول مثل قولهم و لا جواب عن هذا. و الوجه الآخر: أنّ اللّه تعالى قال: وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ فهذا يدلّ على أنّ الذى يصـيبهم من قبل غيرهم، و أنّه ليس من اكتسابهم، لأنّ أهل اللغة لا يسـتجيرون أن يقول القائل منهم: أصابتنى سيئة إذا اكتسبت معصية، و إنّما يقولون أصبت سيئة أى فعلتها، و كذلك إذا فعل الحسنة لا يقول: أصابتنى حسنة، و إنما يقول أصبت حسـنة، و المصاب عندهم بالحسنة و السيئة هو الموجود ذلك به، من فعل غيره من نعمة هى حسنة أو بلية و أذيّة و نقمة، هى من فعل غيره، فأمّا استعمال أصـابنى ذلـك فى فعـل الإنسـان نفسه، فـذلك محال ممتنع، فبطل بـذلك ما قالوه. فأمّا القـدرى فإنّه لا يقول إنّ الحسنة التى هى الطاعة و ضدّ السيئة من اللّه، لأنه لا يقول أنّ اللّه خلق الحسنة كما لا يقول أنه خلق السيئة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۲ فـإن قـالوا: أراد بقوله: مـا أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، أى: فاللّه أمر بها و دعا إليها و لم يرد أنّه خلقها. قيل لهم: فكـذلك/ أراد بقوله: وَ مـا أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، أى: من نفسـك الأـمر بها و دعاؤها إلى فعلها، و لم يرد أنك تخلقها كما لم يرد بإضافة الحسـنة إلى نفسه تعـالى بـأنّه خـالق لها فإنّما أضاف السـيئة إلى رسوله على وجه ما أضاف الحسـنة إلى نفسه، فإن لم يكن أراد بأحد الإضافتين الخلق منه، و لم يرده أيضا بالأخرى، و لا جواب لهم عن هـذا. و قد أجمع أهل التأويل و العلم بالقرآن على أنّ المراد بذكر الحسـنة و السـيئة فى هذه الآية النّصر و الغنيمة و الانصراف و الهزيمة و ذهاب المال و الكراع و غير ذلك من الأموال، و أنها منزّلة فى شـأن الحرب. قـال اللّه سـبحانه: يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً (۷۱) وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ (أى هزيمة) قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً (۷۲) وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ (أى نصر من اللّه) لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يـا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً (۷۳) (إلى قوله) أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ (النصر) يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ (قال اللّه تعالى) قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً [النساء: ۷۱- ۷۸]، يقولون ما أصابك من حسـنة فمن اللّه على وجه الـذمّ و التعيير لهم بهـذا القول، فأمّا أن يكون عرض بـذكر هـذه الآيـة لأفعال العباد فليس بقول لأحد من أهل التأويل. و قد قيل فى تأويل قوله: وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ أى: ما أصابكم من مصيبة فمن أنفسكم أى: ممّا اكتسبتم من الخلاف على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۳ لزوم أماكنكم و انصراف الرّماة منكم يوم أحد لطلب الغنيمة، و تركهم الصفّ حتى أعقبكم ذلك السـيئة التى هى الهزيمـة. قال اللّه تعالى فى قصـة أحـد: أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ (يعنى ما أصابكم يوم أحـد) قَدْ أَصَبْتُمْ/ مِثْلَيْها (يعنى يوم بدر) قُلْتُمْ أَنَّى هذا (يعنى ما أصابكم يوم أحد) قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران: ۱۶۵] أى: عقوبة بما كان من عصيانكم لأـمر الرسول صـلّى اللّه عليه و سـلّم للرّماة منكم بلزوم مركزهم فلمّا انكشف العـدوّ قال الرماة أو بعضـهم: نخاف أن يجعل رسول اللّه لكـل قاتـل و كـلّ إنسـان مـا يصـيبه من الغنيمـة و سـلب من قتله ففـارقوا مكانهم و اختلطوا بالمشـركين، و دخلوا رجالاتهم، و أصاب المشـركون فرصـة و خللا فى الصف، فانثنوا عليهم و كان ما كان من هزيمتهم، فالملحـد يقدّر أن هذه الآية نقض لإخبار اللّه سـبحانه عن نفسه بـأنه يضـلّ و يختم على القلـوب، و القـدريّ يتوهم أنّهـا معارضـة لمـا يحتـجّ به أهـل الحق و نافيـة لكون السـيئات الـتى هى المعاصـى من عنـد اللّه، فـإنّ اللّه سـبحانه مـا عرض لشـيء من ذلـك، و إنّما تأويل السـيئة الشـدة و المصـيبة. قال اللّه سـبحانه: أَ وَ لَمَّا

أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها و لم يرد أصابتكم ذنوب أصبتم مثليها، و قال: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ يريد من شدّة و نقمة و لم يرد ما أصابكم من مصيبة فبما كسبتم من معصية، فوجب أن يكون التأويل فى ذلك على ما وصفناه و أن لا يكون للملحد و القدرى فى الآية تعلّق. و قد قيل إنّ تأويل الآية أنّ القوم كانوا إذا أصابهم الجدب و الشدّة قالوا هذا من عند محمد و بشؤم طائره، و إذا أصابهم الخصب و الرخاء قالوا هذا من عند اللّه و برّءوا الرسول منه غضّا من قدره و تطيّرا به، فأنكر اللّه تعالى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۴ ذلك من قولهم، و قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فالحسنة و السيئة هاهنا إنّما هما الشّدة و الرّخاء، قال اللّه تعالى: إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ [التوبة: ۵۰]، و قال: وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها يعنى الشدّة و الرخاء و النصر و الهزيمة و لم/ يرد الطاعة و المعصية. و ممّا يدلّ على ذلك و يشهد له إخبار اللّه تعالى عمّن سلف من منافقى الأمم بمثل هذا القول الذى أخبر به عن منافقى أمّة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم قال تعالى: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۳۰) فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ (يعنى الخصب) وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ (يعنى السنين نقص الثمرات) يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ [الأعراف: ۱۳۰- ۱۳۱]، يقولون هذا بشؤم موسى و من تبعه. و كذلك كانت قصة المنافقين مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أصابهم نصر و رخاء و إنعام أو هزيمة و شدة و جدب، فعابهم اللّه على ذلك، كما عاب قوم فرعون، و قال لصالح: يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ (يعنى بالعذاب و النقم قبل العافية) لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [النمل: ۴۶] فكلّ هذه الآيات و الأخبار تدلّ على أنّ السيئة و الحسنة ليستا مقصورتين على الطاعة و المعصية و تدل على غباوة الملحدة و القدريّة فى تأويل هذه الآية. و أمّا تعلق الملحد و القدريّ بقوله تعالى: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [الأنعام: ۱۴۸]، و قوله: وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ [الزخرف: ۲۰]، و قوله: وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لا آباؤُنا [النحل: ۳۵]، فالجواب عنه أنّ القوم إنّما الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۵ قالوا ذلك على وجه النفاق و اعتقاد خلاف ما يظهرون من هذا القول، و على وجه الهزل بالرسول و الإنكار لقوله: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۳۷]، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا [الأنعام: ۱۰۷]، وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها [السجدة: ۱۳]، و نحو هذا القول، فقالوا هذا القول على وجه الردّ و الإنكار، كما قال سبحانه فى ذمّهم بقولهم: أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ [يس: ۴۷]، و هذا القول حق لمن قالوه معتقدين لصحّته و لكنّهم/ قالوا ذلك على سبيل التكذيب للرسول، و كما ذمّ المنافقين بقوله تعالى: إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ [المنافقون: ۱]، فأكذبهم فى قولهم، لأنّهم قالوه نفاقا على غير وجه الاعتقاد لصحّته، و يدلّ على ذلك أنّ القوم كانوا يجحدون الرحمن و ينكرونه و لا يعرفون اللّه سبحانه فيكف يصدّقون بأنّه لو شاء الرحمن ما عبدوهم. قال اللّه تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً [الفرقان: ۶۰]، و قال تعالى: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [الأنعام: ۱۰۷]، فقالوا هم لما سمعوا ذلك لو شاء اللّه ما أشركنا و لا آباؤنا و لا حرّمنا من شيء قال اللّه سبحانه: كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا [الأنعام: ۱۴۸]، فأخبر أنّهم قالوا هذا القول على وجه التكذيب، و كل هذا ردّ على الملحدة و القدرية، و كيف يجوز أن يعرف اللّه سبحانه و يعرف أنّه لو يشاء أن يؤمن لآمن من هو كافر و من هو غير عارف به، هذا جهل ممّن ظنّه و توهّمه لأنّهم لو عرفوا اللّه و عرفوا أنّه قادر على أن يلطف بهم و يجعلهم مؤمنين لكانوا مصدقين أبرارا، و لم يكونوا كافرين مكذبين و لم يقل اللّه: كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [يونس: ۳۹]، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۶ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ أى: تكذّبون فكيف يردّ هذا القول على المشركين لو قالوه على وجه الإقرار و التصديق و هو سبحانه يخبر بصحّة ذلك و يدعوا إليه، و يقول: وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۱۲]، و يقول: اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (۱۰۶) وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ [الأنعام: ۱۰۶- ۱۰۷]، و يقول: وَ كَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۳۷]، فی أمثال/ لهـذه الآيات يخبر فيها أنّه لم يكن ما كان من الكفّار إلا بمشيئته، و أنّه لو شاء أن لا يكون لما كان، فكيف يكـذّب قوما قالوا هذا القول و اعتقدوا صحّته، لو لا جهل من يتعلّق بهـذا و وغادته من القدريّة و الملحـدة. و ممّا يدلّ أيضا على أنّ التأويل فی ذلك على ما قلناه و إن كان ظاهرا لا يحتاج إلى تأويل عنـد من تأمّل صدور الكلام و القصـص، و إعجازها، و مخارج الكلام و أسـبابه، أنّ اللّه تعالى قال: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [الأنعام: ۱۴۸]، بالتشديد كما كـذّب قومك يا محمـد و لو أراد الإخبار عن أنّ هـذا القول كـذب منهم لقال كذلك كذّب الذين من قبلهم مخففا من الكذب و لم يقل كـذّب مشـدّد من التكـذيب، فهـذا أيضا دليل واضـح من نفس التلاوة على أنّ القوم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسل، و لمّا ورد من إخبار اللّه تعالى بما قـدّمنا ذكره و لم يقولوه على وجه الاعتقاد و التصـديق. فإن قالوا: قـد قال اللّه تعالى عقيب قوله: كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۷ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ [الأنعام: ۱۴۸] أی: تكذّبون فی قولكم لو شاء اللّه ما أشركنا فقد أكذبهم فی هذا القول. قيل لهم: معاذ اللّه أن يكون أكـذبهم فی هذا القول مع اعتقاد صـحّته و الإيمان به، و كيف يكذّبهم فيه و هو قد أخبر به على ما قد بيّناه من قبل، و إنّما عنى تعالى بقـوله: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ أی: تكـذّبون بقولكم إنّ اللّه حرّم هـذا و حرّم السائبـة علينـا و الوصـيلة و الحـام، و البحيرة و أنّه شرع ذلك لهم، قال اللّه تعالى: ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ [المائدة: ۱۰۳] أی: لم يفعل ذلك، و قـال تعالى: وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها [الأعراف: ۲۸]، قـال اللّه تعـالى: قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ [الأعراف: ۲۸]، فعلى مثل هـذا قال: إن أنتم إلا تخرصون فی ادّعائكم تحريم اللّه سبحانه ما لم/ يحرّمه فبطل بذلك ما تعلّقوا به. فأمّا ما تعلّقوا به من قوله: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [البقرة: ۱۰۹] فإنّه لا تعلّق فيه، لأنّ اللّه تعالى قال: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً موضع الوقف و انقطاع الكلام، ثم تبدأ بقوله: حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [البقرة: ۱۰۹] «۱»، و ذلـك أنّ اليهود قـالوا: كـلّ الأنبياء من ولـد إسـحاق، فما بال هـذا من ولـد إسـماعيل؟ فحسـدوه إذ لم يكن من أنفسهم من بين إسرائيل و عاندوه و أصحابه، و حتى بعث

(______________________________ ۱) هكـذا جـاءت فی الأصل، و هـذا يفيـد بظـاهره أنّ تمام الكلام عنـد كلمـة حسـدا، و أظنّ هـذا سـهوا من الكاتب، و الصواب أن يكون انتهاء الكلام و تمامه عنـد كلمة كفّارا. ليكون البـدء بكلمة: «حسدا من عند أنفسهم». و هذا ما أشار إليه الباقلانی فی تعليقه على الآية الكريمة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۸ رؤساؤهم طائفة منهم يؤمنون بالنبیّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم و قالوا لهم آمنوا أوّل النهار و اكفروا آخره فإن سـئلتم عن ذلك فقولوا قد كنّا نظنّ أنّه النبیّ (الذی) «۱» بشّرنا به فآمنا، فلمّا رجعنا إلى أحبارنا و علمائنا أخبرونا بأنّه ليس هو الذی بشّرنا به، فلعلّهم إذا فعلتم ذلك أن ينفضّ جمعه و يكفر به أصحابه، و متى كان آمن به فأخبر تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و سلّم بذلك و المؤمنين فقال: وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [آل عمران: ۷۲]، يعنی عن الإيمان بما آمنوا به من تصديق محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم ثم قال: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ [البقرة: ۱۰۹]، أی لأنّ النبی صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن من بنی أمّتهم و أعمامهم قال اللّه تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸] أی من بنی أمّتكم و من بنی عمّكم، و قال: لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ [البقرة: ۸۴] أی: لا يخرج بعضكم بعضا، و قوله: وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً [النساء: ۲۹] أی لا يقتل بعضـكم بعضا، و لم يذكر النفس فی هذه المواضع الروح و الحياة، و النفس التی فی الجسـد، و إنّما أراد بالنّفس البعض. و يمكن أن يكون أراد بقوله: كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، أی: أنّ قولهم أنّ اللّه أمرنا بتكـذيبك و ردّك إلى دين موسـى كذب يفترونه من عند أنفسـهم ما أنزله اللّه و لا وقف عليه و لا أمرهم به و لم يرد إنّنی ما خلقت تكذيبهم و لا قدّرته و لا قضـيته و إذا كان/ ذلك كذلك سقط ما ظنّه القدريّة و الملحدون. و أمّا قوله تعالى: يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [آل عمران: ۷۸] فإنّه (____١) ما بين القوسين ساقط من الأصل، و لا يستقيم النص إلا به. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۶۹ ليس بنقض لإخباره عن إضلالهم و الطبع على قلوبهم و الخلق و التقدير لأعمالهم، لأنّ القوم لم يدّعوا أنّ اللّه خلق أفعالهم و قضى و قدّر أعمالهم، فينفى اللّه سبحانه ذلك عن نفسه بقوله: وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، و إنّما ادّعوا أن التوراة أنزلها اللّه محرّفة و مبدّلة على ما أوهموا سفلتهم و عامّتهم و أوغاد النّاس، و إنّما ادّعوا ذلك بعد أن حرّفوا التوراة و غيّروها، و غيّروا وصف الرسول و ذكر البشارة به فى التوراة فقال اللّه تعالى: يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ يعنى: التوراة و اللّيّ الكذب، و منه قوله تعالى: لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ [النساء: ۴۶]، ثم قال: لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ (كما يدّعون) وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [آل عمران: ۷۸] أى: لم ينزّل اللّه عليهم الكتاب بذلك، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما ظنّه الملحدة و القدريّة من التعلّق بهذه الآية. فأمّا قوله تعالى: أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ [التوبة: ۳] و أنّه أيضا لا معارضة بينه و بين إخباره عن إضلالهم، و توليه لخلق أعمالهم، لأنه تعالى إنّما قصد بذلك البراءة من العهود التى كانت بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بين المشركين، و لم يعرّض لذكر شركهم و معاصيهم، فقال اللّه تعالى: بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ (٢) (إلى قوله) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [التوبة: ١- ۵]، فكلّ هذا يدلّ على أنّ البراءة من اللّه و رسوله إنّما هى براءة من العهود و إنفاذ الرسول لسورة براءة، و القصّة فى ذلك مشهورة، و أنّه قال: «لا يؤدّى عنى إلا رجل منّى» يعنى عليّا عليه السلام، فحمل الآية على التبرّى/ من شركهم و معاصيهم جهل و غباوة أو عناد و إلباس على الضعفاء، و لو كانت براءة اللّه فيهم براءة من خلق أفعالهم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۰ لكانت براءة الرسول منهم براءة من خلق أعمالهم، و ذلك جهل ممّن صار إليه، و لو كانت براءة اللّه من المشركين براءة من خلق أعمالهم لكانت أيضا براءة من خلق ذواتهم، لأنّ البراءة براءة منهم دون شركهم، لأنّ اللّه سبحانه لم يعرض لذكره، و إنّما ذكرهم بأعيانهم، و لو كانت براءته من المشركين براءة من خلق أعمالهم لكانت ولايته للمؤمنين و قوله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا [البقرة: ۲۵۷] توليا لخلق أعمالهم و إيجاد طاعاتهم، و لمّا لم يجب ذلك بطل ما قالوه. فأمّا قوله تعالى: ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ [الملك: ۳]، فإنّه أيضا لا معارضة بينه و بين إخباره عن خلق كثير منهم و معاصيهم المتفاوتة القبيحة، و تولّيه لإضلالهم و الختم و الطبع على قلوبهم، لأنّه إنّما عنى بخلق الرحمن فى هذه الآية السماء، يدلّ على ذلك أنّه ابتدأ و قال: خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ [الملك: ۳] يعنى فى السماء، ثم قال: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ [الملك: ۳] يعنى هل ترى فى السماوات من صدوع و شوق و خلل و قد علم أنّ الكفر لا يرجع البصر فيه و إليه، و لا يجوز أن يكون فيه فطور و شقوق، فثبت أنّه إنّما نفى التفاوت عن السماوات من المخلوقات، و لم يعرض فى هذه الآية لذكر المعاصى و غيرها من أفعال العباد فبان بذلك سقوط ما ظنّه الملحدة و القدرية. و يمكن أيضا أن يكون إنّما نفى التفاوت عن جميع ما خلق من حيث لم يقع شىء منه و غيره متفاوتا على إرادته، و بخلاف ما قصده، و لا قصد أن يكون شيئا منه قبيحا فوقع حسنا، و حسنا فوقع قبيحا بخلاف القصد بالكفر، و إن كان متفاوتا على مكتسبه من حيث قصد كونه حسنا دينا فوقع قبيحا فاسدا، فإنّه غير متفاوت على اللّه لأنّه/ منافى خلقه على ما قصده و أراده الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۱ من القبيح و خلاف للحسن، فوجب بذلك بطلان ما قالوه، و هذا كما يقول: إنّ رمى الكافر للمؤمن و إصابته له غير متفاوت عليه، من حيث كان إصابة لما قصده و لتأتيه على ما أراده و إن كان متفاوتا عليه من حيث قصده حسنا دينا فكان قبيحا فاسدا، فإذا ليس فى جميع خلق اللّه ما هو متفاوت على اللّه تعالى، و إن كان منه المتفاوت على غيره لتأتيه بخلاف قصده و إرادته. و أما قوله تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ [السجدة: ۷]، فإنّه لا معارضة بينه و بين إخباره عن إضلال الكفّار و خلق أعمالهم و الختم على قلوبهم، لأنّه لم يقل الذى حسّن فيكون معناه جعل الشىء حسنا، و إنّما قال الذى أحسن يعنى يحسن كيف يخلق و يعلم ذلك، و هذا كما يقول: إنّ الكافر قد أحسن الرمى إذا أصاب نبيا و مؤمنا فقتلهما، و لا نقول إن رميه

حسن، و لا ـ أنّه محسن فى فعله، و إنّما نعنى بقولنا أحسن الرمى أى علم ذلك و أحسنه، على أنّه يمكن أن يكون أراد بقوله: أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ من خلال المعاصى التى نهى عنها، و العموم عندنا لا صيغة له، و هذا كقوله: اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ [الزمر: ۶۲]، وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ۲۳]، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ [الأحقاف: ۲۵]، يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ [القصص: ۵۷] أى: بعض الأشياء فكذلك قوله: أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ [السجدة: ۷]، معناه بعض الأشياء إن كان من حسن يحسن، و إن كان من أحسن يحسن فهو على العموم فى جميع ما خلقه، لأنّه عالم بجميع خلقه. و أما قوله تعالى: وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا [ص: ۲۷]، وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ [الحجر: ۸۵]، و إنّما المعنى فى ذلك أنّه خلقهما بقوله كونا، و قوله الحق، و قوله: وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا، أى ما الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۲ خلقناهما و نحن لا نريد إثابة المنيبين الطائعين و عقوبة المجرمين العاصين قال/ اللّه تعالى: ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (۲۷) [ص: ۲۷]. و يحتمل أيضا أن يكون أراد أنّنى ما خلقت ذلك و ليس لى خلقه و إحداثه و ما خلقته إلا ولى ذلك و أنا مالك لذلك و فاعل لما لى فعله و عادل به، و هو سبحانه على ما أخبر به من صفة ملكه و قدرته و تصرّفه من حيث له ذلك، لا معقّب لحكمه و لا اعتراض لمخلوق عليه، و لذلك قال: لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [الأنبياء: ۲۳]. فأما تعلّق الملحدة و القدريّة بقوله تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶] فإنّه لا تعارض بينه و بين قوله: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (۲۹) فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ [الأعراف: ۲۹- ۳۰]، و قوله: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ [الأعراف: ۱۷۹]، و ذلك أنّه أراد تعالى بعض الإنس و بعض الجنّ، و هم الذى قسمهم للجنّة، و علم وقوع العبادة منهم دون الكفّار الذين قسمهم للنّار، و قد أجمع المسلمون على خصوص الآية، لأنّه لم يرد بها الأطفال من الجنّ و الإنس و لا المجانين المستنقصين و لعلهم مثل عدد العقلاء البالغين، فكذلك لم يرد الكفّار الذين أخبر أنّ الضلالة حقّت عليهم و أنه خلقهم لناره. فإن قالوا: ما أنكرتم أن يكون إنّما أراد بقوله: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أى: سيذرأ لها فى الميعاد خلقا من الجنّ و الإنس. قيل لهم: هذا صرف الكلام عن ظاهره بغير حجّة، فإن ساغ لكم هذه الدعوى ساغ لنا أن نقول إنّما أراد بقوله: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶] أى: ما أخلقهم فى الآخرة إلا ليعبدون، و ذلك يقع الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۳ منهم أجمعين فى الآخرة اضطرارا فيكون و ما خلقنا بمعنى و ما يخلق فى المستقبل كما قال: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً [القصص: ۸] يعنى عاقبة أمره و هم إنّما التقطوه ليكون لهم حبيبا، و كذلك قول الشاعر: أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدّهر نبنيها/ يريد أنّ ذلك عاقبة أمرها، و لم يرد أنّ المال يجمع للوارث، و أنّ الدور تبنى لخرابها و كذلك قوله: إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً [يوسف: ۳۶]، أى ما يكون خمرا و يؤول حاله إلى ذلك، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما ظنّه الملحدون من تعارض، و ما ظنّه القدريّة من التأويل. و ممّا يدلّ على ذلك أيضا أنّ أهل التأويل قالوا: إنّ قوله إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أى لكى يعبدون، و كلّ كى من اللّه تعالى فهى نافذة واجبة، و إن كانت غير نافذة و لا واجبة من المخلوقين فى جميع الأحوال قال تعالى: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا [مريم: ۹۷]. و قد يسّر به و أنذر و نفذ الأمر فيها كما أخبر، و قال تعالى: فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۵۲) لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ [الحج: ۵۲- ۵۳] و قد قدّر ذلك، و كذلك قوله: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان: ۱] و قد كان و تمّ و قامت حجة النذارة به، فى أمثال لهذه الآيات كثيرة قد تم و انبرم فيها خبر كى، لأنّها من اللّه تعالى واجبة نافذة، فلو كان اللّه أراد أنّه خلق جميع الإنس و الجن لعبادتهم له، و لم يمتنع أحد منهم من عبادته، و لكنّه تعالى أراد البعض منهم دون الكلّ. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۴ و يمكن أيضا أن يكون أراد بقوله: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أى إلا للأمر بعبادتى و التكليف لذلك، و قد كانوا مأمورين و على صفة ما أراد منهم من كونهم مكلفين مأمورين بالطاعة و الإيمان، و لم يرد أنه خلقهم لكى تقع العبادة منهم أبدا، و فى كل وقت، و إنّما أراد أنّهم يكونون مأمورين بذلك فى سائر الأوقات، أعنى أوقات السلامة من الجنون و الآفات، و الأحوال المانعة الصادة عن التكليف، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قاله الملحدة و القدرية. فأما تعلّقهم/ بقوله تعالى: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى

عَلَى الْهُدى [فصلت: ١٧]، فلا- معارضة بينه و بين إخباره بأنّه أضلّ الكافرين من ثمود و غيرهم، لأنّه يمكن أن يكون أراد بقوله: هديناهم أرشدناهم و بيّنّا لهم، فاستحبّوا العمى على الهدى، أى فلم ينقادوا لما بيّن لهم، و ذلك لا ينفى أن يكون قد خلق استحبابهم العمى على الهدى و ضلالهم عن الحق، لأنّ خلقه لضلالهم لا ينافى بيانه للحق لهم من طريق القول و الخبر، و ذكر الأدلة و مراقيها فكأنّه إنّما أراد بالهداية هاهنا الإرشاد بالقول و الدلالة، و يكون إنّما سمّى البيان و الإرشاد بالقول هداية على معنى أنّنا بيّنا لهم بالقول بيانا لو قبلوه و انتفعوا به، لكان هداية لهم، و لم يرد بذلك أنّ القول هداية لهم، و إن لم يقبلوه و ينتفعوا به، و تقدير الكلام: و أمّا ثمود فهديناهم و آتيناهم من القول و البيّنات ما لو قبلوه و صاروا إليه لكان هداية لهم، فلا منافاة إذا بين هذه الهداية و بين إضلاله لهم بخلق الضلال و تضييق الصدور. و يحتمل أن يكون أراد بقوله: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى الإخبار عن قوم خلق هدايتهم، و إيمانهم ثم استحبّوا العمى بعد ذلك على الهدى، بالرّدة عن الإيمان، و ذلك لا ينقض بعضه بعضا، لأنّنا الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٦٧٥ نقول: إنّ اللّه خلق هداية كل مهتدى فى المعلوم أنّه يرتد و يرجع بعد هدايته و خلق رجوعه عن ذلك، و ليس فى قوله فاستحبّوا ما يدلّ على أنه غير خالق لاستحبابهم و ضلالهم. و يحتمل أيضا أن يكون إنّما أراد بقوله: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ، فهدينا فريقا منهم و هم المؤمنون و يكون قوله: فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى مقصودا به الكافرين منهم دون الذين لم يستحبوا لأنّهم كانوا فريقين مؤمنون و كافرون، قال اللّه تعالى: إِلى «١» ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ [النمل: ٤٥]، فيمكن أن يكون الذين/ هداهم المؤمنون، و الذين استحبّوا العمى على الهدى هم الكافرون، فيكون قوله: هديناهم على الخصوص، و كذلك قوله: فاستحبوا، فبان بهذا أنّه لا اعتراض لملحد و لا لقدرىّ بهذه الآية علينا و لا تعلق. و أمّا تعلّقهم بقوله: وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ [البقرة: ٢٦]، و قوله: فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [الصف: ٥]، و قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ [التوبة: ١١٥]، و أنه أيضا لا تعلق لملحد فيه و لا لقدرى، بل هذه الآيات كلّها شاهدة على فساد قول القدريّة، و ذلك أنّه لا تعارض بين قوله: فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ و بين إخباره عن إضلاله لكلّ ضالّ على سبيل الابتداء و الجزاء، لأنّه يحتمل أن يكون أراد أنّهم لما زاغوا زيغا أولا- أزاغ اللّه قلوبهم زيغا ثانيا هو أشدّ من الأول، و إعماء لهم أكثر من الأول لأنه تعالى حكم أنّه لا يزيغها ذلك الزيغ الشديد إلا بعد زيغ أول هو دونه، و أن يجعل ذلك جزاء لهم و عقوبة على الزيغ

(١) فى الأصل: (و إلى)، و الآية الكريمة بدون واو فى هذا الموضع. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٦٧٦ الأول، و إن كان هو الخالق، لأنّ الجزاء عليه لم يقع من حيث الخلق، و لكن من حيث اكتسبوه على ما بيّناه فى كتاب «خلق الأفعال»، و كذلك قوله: وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ، كأنّه ضلال عظيم مخصوص حكم تعالى بأنّه لا يضلّ به إلا بعد خلقه بضرب من الضلال دونه فى الفاسقين، فإذا فسقوا بالضلالة الأولة، أضلّهم بالضلال الثانى الذى هو أعظم و أضرّ من الأوّل، و كذلك قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ [التوبة: ١١٥] إنّما هو متوجه إلى ضلال مخصوص، فكأنّه قال: و ما كان اللّه ليضلّ قوما بذلك الضرب من الضلال حتى يبيّن لهم ما يتّقون ثم يعصون فى البيان الأوّل، يضلّهم بالإضلال العظيم الثانى على سبيل العقوبة و الانتقام، و إن كان/ قد قيل فى تأويل الآية وجه آخر، و ليس بين إخباره بأنّه لا يضلّ بضرب من الضّلال إلا قوما فسقوا و ضلّوا و زاغوا عن الحق، و بين إخباره بأنّ كلّ ضلال ابتداء فهو المضلّ به تناقض و لا منافاة و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه. فأمّا القدريّة فإنّ جميع هذه الآيات عليهم لأنّهم فريقان، فريق زعم أن اللّه لا يضلّ أحدا بفعل شىء فيه، و إنّما يضلّ بمعنى الحكم و التسمية بالضلال، و هو عندهم يضلّ بالحكم و التسمية على طريق الابتداء، و على غير وجه الابتداء، لأنّه لا يجوز عندهم أن لا يسمى أحدا بضلالة ضالا إلا حتى يكون منه ضلالا قبل ذلك و زيغ قلب، لأنه يسمّى بالضلال و الزيغ الأول، و إن لم يكن قبل ضلاله ضلال و لا زيغ، فلا حجّة لهم فى هذه الآيات. و لو جاز أن لا يسمّى اللّه بالضلال إلا من كان فيه فسق و ضلال تقدم لجاز أيضا أن لا يسمّى الفسق و الضلال الثانى إلا من كان منه ضلال أول، الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٦٧٧ و ما الفرق بين أن لا يسمّى بضرب من الضلال و بين أن لا يسمّى بشىء منه، و لجاز أيضا أن لا

يسمّى بالهدى و الطاعة من ابتدأ بالهدى و الطاعة، و أن لا يسمّى بذلك إلا من كان منه هدى و طاعات قبل ذلك، و هذا عندهم ظلم و تخليط و خروج عن مقتضى اللغة و الاشتقاق، و إيجاب الأحكام فبان أنّه لا تعلّق لهذا الفريق بهذا الباب. و الفريق الثانى: منهم من خلّط على أصله و لم يحقق، يتسرع إلى القول بأنّ اللّه يضل على وجه الجزاء على إضلال سلف و زيغ مقدر، و لذلك قال: فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ. فيقال لهم: قد قدرتم بأنّ اللّه يضلّ و يخلق الضّلال فى الضّالين على وجه الجزاء فكأنّه عندكم يفعل القبيح و الجهل و الذهاب عن الحق على وجه الجزاء و الانتقام، و هذا ترك لقولكم إنّه لا يفعل الكفر إلا كافر، و لا يفعل القبيح إلا سفيه و لا يفعل العصيان و الشّر إلا عاص شرير، فإذا جاز/ أن يفعل اللّه ذلك أجمع على وجه الجزاء، و إن لم يكن سفيها و لا عابثا و لا موصوفا بهذه الأفعال الواقعة منه فما أنكرتم أن يفعل ذلك ابتداء و إن لم يكن سفيها شريرا، و لم يوصف بشىء من أسماء هذه الأفعال؟ و هذا ترك قولهم. و يقال لهم: و كيف جاز عندكم أن يضلّ من كان منه ضلال متقدم، و لم يجب عليه نقله عن ذلك الضلال و رده عنه و إرشاده إلى الحق، و هذا بدأه بالضلال كابتدائه و فعل ما هو عندهم مذموم فاعله فى الشاهد، و ممّن وقع منه. فإن قالوا: إنّما أراد بالضلال الواقع منه على سبيل الجزاء الحكم و التسمية بالضلال، تركوا قولهم و لحقوا بالفريق الأوّل و كلّموا بما كلّموا به الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۸ من قبل. قيل لهم: فكان اللّه عندكم لا يسمّى الفاسق العاصى بمعصيته و فسقه حتى يتقدم منه فسق و عصيان قبل ذلك، فإن كان قالوا: أجل. قيل لهم: فإذا جاز أن لا يسمّيهم بالفسق و العصيان الأول و إن كان كالثانى و من جنسه و يكون ذلك عدلا و صوابا منه، فلم لا يجوز أن لا يسميهم أيضا بالفسق و العصيان الثانى؟! و يكون ذلك عدلا و صوابا منه؟! و لم لا يجوز أن لا يسمّى العبد بطاعته و إيمانه الأول المبتدأ و يسميه بمثل ذلك إذا وقع منه ثانيا، و هذا جهل منهم و تخليط، فبان بذلك أنّ هذه الآيات بأن تكون على القدريّة أولى، و أنّه لا مغمز و لا مطعن لملحد فيها. و قد فسّر الناس قوله تعالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ على أنّه لم يكن اللّه ليضلّ المؤمنين بعد أن آمنوا و اهتدوا، و يترك أن يبين لهم ما يجب أن يتّقونه و يحذرونه من استغفارهم للمشركين، و ذلك أنّ المؤمنين كانوا يستغفرون للمشركين، و أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أراد أن يستغفر للمشركين، لأبيه أو لبعض عمومته؛ فأنزل اللّه تعالى: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا/ لِلْمُشْرِكِينَ [التوبة: ۱۱۳]، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ إبراهيم استغفر لأبيه»، و قال المسلمون: «إن استغفر النبىّ لأمّه أو لعمه استغفرنا لآبائنا و أمّهاتنا»؛ فنهاهم اللّه عزّ و جلّ عن ذلك، و لو تركهم و ذلك مع حكمه بأنّه لا يغفر و لا يحلّ الاستغفار لهم لكان ذلك ضلالا منهم و ذهابا عن الحق الذى هو حكم اللّه و دينه، فلم يدعهم اللّه و ذلك و أن يضلوا بفعل ما يظنونه جائزا سائغا فأنزل جل ذكره: وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ [التوبة: ۱۱۴]، إلى قوله: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ، فإنّما أراد بهذا الإضلال ترك البيان للمؤمنين ما يجب أن يبن الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۷۹ لهم، و لم يرد خلق الضلال فيهم على وجه الابتداء و الجزاء، فبان أنّه لا تعلّق لملحد و لا لقدرى فى ذلك. و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى:* وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء: ۲۳]، و إنّ هذا نقض لإخباره أنّه خلق المعاصى و قدّرها، و أضلّ أهل الضلال، و ختم على قلوبهم، فإنّه ليس الأمر فيه على ما توهّمه الملحدون و القدريّة فى هذا الباب، و ذلك أنّه إنّما أراد بهذا القضاء الأمر بعبادته و الوصية بذلك، و ذكر أنّ عبد اللّه بن مسعود كان يقرأ «و وصى ربّك ألا تعبدوا إلا إياه»، و أنّه كذلك مثبت فى مصحفه، و هذه الوصيّة عامة للكافرين و المؤمنين، و ذلك لا ينقض أن يكون قد قضى معاصيه و الكفر به على معنى الخلق لذلك، و الإعلام لكونه، و الكتابة له، و القضاء يكون بمعنى الأمر و هو قوله* وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، أى: أمر ربّك، و يكون بمعنى الخلق و الإيجاد، نحو قوله: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ [فصلت: ۱۲] أى: خلقهنّ، و نحو قوله: فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ [سبأ: ۱۴] يريد خلقنا موته، و قد قيل القضاء نفسه بمعنى الموت و منه/ قولهم: نزل به قضاء اللّه، و قضى فلان نحبه إذا مات، و يكون القضاء بمعنى الإعلام و الإخبار قال اللّه تعالى: وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً [الإسراء: ۴]، أى: أعلمناهم و أخبرناهم فى الكتاب كقوله:* وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ إنّما يعنى به أنّه أمر بذلك، و هذا لا ينفى قضاءه

للكفر، و الخلاف على معنى التقدير و الخلق و الإيجاد فبطل توهّمهم و توهّم القدريّ لانتفاعه بهذه الآية. و أما تعلّقهم بقوله: فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ [القصص: ١٥] فإنّه أيضا لا معارضة بينه و بين إضافة ذلك إلى اللّه تعالى و بين الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۰ إخباره بأنّه خلق الوكزة و ما كان عندها، و ذلك أنّه إنّما أراد بقوله: هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ أنّه يأمر به الشيطان و يزيّنه و يدعو إليه و لم يرد أنّ الوكزة من خلق الشيطان و فعله و تقديره، و كيف يقول ذلك و هذا جهل ممن صار إليه و قاله، و ليس مذهب لأحد، و ليس يجب إذا نسبة ذلك إلى الشيطان، على أنّه من دينه و ما يدعو إليه، أن يكون ذلك منافيا لإضافة خلقه و تقديره إلى اللّه، فثبت أنّه لا حجّة لملحد و لا لقدريّ فى التعلّق بهذه الآية. فأمّا تعلّق الملحدة و القدريّة بقوله تعالى: وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ [الزمر: ۷]، و قوله: وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ [البقرة: ۲۰۵]، و قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا [النور: ۱۹] الآية، فإنّه لا تعلّق لهم أيضا فيه، لأنّه أراد بالآيتين المتقدمتين أنّه لا يحبّ الفساد لأهل الصلاح و لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، و لم يرد أنّه لا يرضاه لأحد من خلقه و لا يحبّه من أحد منهم، و كيف يكون ذلك كذلك و هو يقول: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۱۲]، و يقول: وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً [الأنعام: ۱۲۵]، و يقول: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا [الأنعام: ۱۰۷]، فدلت هذه الأخبار على أنّه لم يرض/ لعباده المؤمنين الكفر، و لا يحبّ منهم الفساد، و إن كان قد أحبّ ذلك و رضيه لأهل الكفر و الفساد، و من نحو هذا قوله: عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ [الإنسان: ۶]، و قوله: يا عِبادِ فَاتَّقُونِ [الزمر: ۱۶]، و قوله: الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ [آل عمران: ۱۷۳]، و كل هذا على الخصوص دون العموم، و كذلك حكم الآيتين. و يمكن أيضا أن يكون إنّما أراد و اللّه لا يحب الفساد أن يكون صلاحا و دينا مشروعا، و لا يرضى لعباده الكفر أن يكون دينا لهم و شرعا مأذونا فيه، و أنّه رضى أن يكون قبيحا مذموما فسقط بذلك ما قالوه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۱ و يحتمل أيضا أن يكون أراد بالرضا و المحبّة الاجتباء و التفضيل و الاصطفاء، فقال: لا يحبّ الفساد، و لا يرضى لعباده الكفر أى لا يصطفيهما و يفضلهما، لأنّ المحبّة و الرضى عند كثير من الناس اصطفاء و تفضيل، و ذلك منفى عن الكفر و الفساد و لأنّ اللّه سبحانه قد حقّرهما و ذمّهما، و قال أصحاب هذا الجواب: و إطلاق المحبّة و الرضى يوهم الأمر بهما و يدين العباد بفعلهما، و ذلك باطل. فأمّا قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا فإنّما ذمّهم بمحبّتهم أن يكون ما قيل فى أمّ المؤمنين حقّا و صدقا، فاللّه سبحانه لم يحبّ أن يكون ما أشيع من الفاحشة حقّا و صدقا على ما أشيع، و أن يكون إنّما ذمّهم على هذه الإرادة لكونها قبيحة منهيا عنها، لأنّهم قد نهوا عن إشاعة الفاحشة فى المؤمنين و التخرّص عليهم و الأراجيف بهم، و نهوا عن محبّة إشاعة الفاحشة فى المؤمنين، فنفس الإشاعة و نفس الإرادة لذلك معصيتان قبيحتان، و إرادة اللّه لذلك ليست بقبيحة و لا معصية، فلم يجب أن يكون مذموما بإرادته المعصية أن تكون قبيحة فاسدة ممن علم وقوعها منه، إذا لم يكن منهيا عن إرادته لذلك/ كما يجب أن يكون مطيعا لإرادته للطاعة من العباد إذا لم يكن مأمورا بإرادته للطاعة، و إن كانت إرادتنا نحن للطاعة طاعة من حيث أمرنا بها، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّمه القدرية و الملحدة من حصول طائل و نفع لهم فى التعلّق بهذه الآيات. فأما تعلّق الفريقين بقوله تعالى: وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: ۲۹]، و قوله: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً [النبأ: ۳۹]، و فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا [المزمل: ۱۹] فإنّه لا تعلّق لهم فى ذلك، لأجل أنّ الأمّة متفقة و جميع أهل اللغة و التفسير على أنّ المراد بقوله: فَمَنْ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۲ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إنّما أخرج على وجه الزجر و التهديد، و على نحو قوله: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ [فصلت: ۴۰] و لم يرد به التخيير لهم بين الكفر و الإيمان، و لا الإخبار عن كونهم مخيرين فى ذلك، ورد المشيئة إليهم، و قد روى عن ابن عباس أنّه قال: «فمن شاء اللّه له الإيمان فليؤمن بمشيئته، و من شاء اللّه له الكفر فليكفر بمشيئته». فأمّا قوله: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا، فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً، فإنّه غير معارض لإخباره بأنّ الأشياء كلّها كائنة بإرادته، و مشيئته، لأنّه قد خبّر فى آيات أخر أنّ هذه المشيئة التى ذكرها و أثبتها لهم لا تكون و توجد أو يشاء لهم كون ما أرادوه، و لا أن يشاء لهم أن يسوء ذلك الشىء فقال سبحانه: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ [الإنسان: ۳۰] فأخبر أنّهم لا يشاءون شيئا إلا أن يشاء لهم أن يشاءوه، و قد يشاء مشيئتهم للشىء و إن لم يشاءوا ما شاءوه بأن يكون

شائیا لتمنّیهم لذلک الشیء، و إن لم یکن متمنیا لهم، و قال سبحانه: لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ (۲۸) وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ [التکویر: ۲۸- ۲۹]، فنصّ لهم علی أنّهم لا یشاءون الاستقامة حتی یشاء لهم، و فی ضمن/ هاتین الآیتین أنّنی إذا شئت لکم أن تشاءوا الإیمان شئتموه لا محالة، و إلا فلا وجه لتمدحه بقوله: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ، و قوله: لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ، وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ، و لأنّهم إذا شاءوا الاستقامة علی ما یقول المعتزلة فلم یشاءوا ما شاء لهم أن یشاءوا لم یکن لقوله: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ معنی، لأنّه قد شاء اللّه عندهم أن یشاءوا ذلک، فلا یشأه، و المعقول من قول القائل: ما یطلق فلان من محبسه إلا أن أشاء، أی: إذا شئت أن یطلق أطلق لا محالة، و أنّ کونه فی الحبس لا یکون إلا بمشیئته، و إلا فإذا شاء أن الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۳ یخرج فلم یخرج و حبس بغیر مشیئته کان کاذبا فی تمدحه بقوله: ما یخرج فلان إلا أن أشاء و إذا شئت إطلاقه أطلق، فهذه الآیات دالة علی صحة ما نقوله و نذهب إلیه، و علی إبطال ظن الملحدة و القدریّة. و أما تعلّقهم بقوله: وَ ما ذا عَلَیْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ [النساء: ۳۹]، و قوله: فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ [الانشقاق: ۲۰] و نحو ذلک، فإنّه غیر معارض لإخباره بإضلالهم و الطبع علی قلوبهم، لأنّه إنّما ورد ذلک علی مذهب الترغیب و الحثّ لهم علی اکتساب الإیمان، و لیس بین ترغیبهم و حثّهم علی اکتساب الإیمان بالقول و بین إضلاله لهم بالفعل تنافی و لا تضاد. و یمکن أیضا أن یکون إنّما قال ذلک علی وجه الردّ لقول من یقول إنّهم ممنوعون من فعل الإیمان لعجز و آفة، و غیر قادرین علیه، و لا علی ترکه، و أنّهم مجبرون علی الکفر الذی وقع منهم، فأخبر أنّهم غیر ممنوعین و لا مجبرین، و أنّهم مختارون لترک/ الإیمان و مؤثرون للکفر علیه، و أنّ ما کان منهم لم یکن علی وجه الجبر و الاضطهاد، و ذلک غیر مناف لإخباره بإضلالهم، و إن کانوا مختارین و مؤثرین له، فبطل ما توهّموه. فأمّا تعلّقهم فی ذلک بذمّ العصاة و نهیهم عن المعاصی، و أنّه لا ینهی عمّا قضی و قدّر و خلق و ینهی عنه، فإنّه باطل لأنّه لم ینه العصاة عن خلق معاصیهم و إیجادها و تقدیرها، لأنّ ذلک ممّا لا یصحّ منهم فعله و لا ترکه و لا یدخل تحت قدرهم، و إنّما ینهاهم عن اکتساب ما خلقه و هم علی ذلک قادرون و لما خلقه فیهم مکتسبون، و أثابهم و عاقبهم علی اکتسابهم للأفعال التی هی متعلقة بهم، فالثواب علی الخلق، و العقاب و الذمّ علیه لیس یتوجه من حیث کان خلقا غیر متعلّق بالمکلف، و لکن من حیث کان کسبا مقدورا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۴ له و متعلّقا به علی ما قد بیّناه و شرحناه فی الکلام فی المخلوقین، و إذا کان ذلک کذلک بطل ما تعلقوا به. فأما تعلّق الملحدة و القدریّة بقوله: وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْکِتابِ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ [آل عمران: ۱۱۰]، و قوله: فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ [الانشقاق: ۲۰]، و قوله: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ [محمد: ۲۴]، وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ یُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدی وَ یَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ [الکهف: ۵۵]، فی أمثال هذه الآیات مما فیه توبیخ لهم علی ترک الإیمان و استبطاءه، و قول الفریقین فما معنی توبیخه إیّاهم و استبطائه لهم مع قوله: وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا [یس: ۹]، و قوله: جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ [الکهف: ۵۷]، و قوله: وَ طُبِعَ عَلی قُلُوبِهِمْ [التوبة: ۸۷] و ختم علیها بنفس الکفر المضاد للإیمان الذی یطالبون به، و قوله: وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ [غافر: ۳۳]، و نحو ذلک. فالجواب عن سائره أنّه أراد تعالی أن یبیّن لهم بذلک أنّ جمیع ما ذکروه من الختم و الطبع و تغشیة القلوب و الأبصار و التفرقة بین المرء و قلبه، و غیر ذلک ممّا ذکره لیس بمنع لهم عن فعل الطاعة و القبول و لا عجز/ عن ذلک، و لا جهل بما بیّنه لهم من الحقّ و دلّهم علیه من الهدی و الرشد، و لا مخرج لأدلّة التوحید عن کونه أدلّة و لا مضادة لکمال عقل الکافر و الضالّ و مخرجة صفة له عن صفة من لو استدلّ علی الحقّ لعرفه، و لو قصده و آثره لقدر علیه و تأتی منه، و لو حاوله لم یعوزه و یتعذّر علیه فعله، فکأنّه أراد تعالی الإخبار عن أنّ جمیع ما فعلته بالکافرین و خبّرت به من الطبع علی قلوبهم غیر مخرج عن اختیار الکفر و إیثاره و کراهیة الإیمان و استثقاله، و أنّهم مختارون للکفر علی الإیمان، و مؤثرون لترکه علیه، و ربّما تجاوزوا إیثار ذلک إلی حدّ من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۵ التمسّک به، یؤدون علیه الحریّة و یقیمون علی الذلّ و لا ینزلون عن اعتقاد ما هم علیه و إظهاره برغبة أو برهبة، فلمّا کانوا مع الختم و الطبع و تغشیة القلوب و الأبصار قادرین علی الکفر الذی دخلوا فیه و مختارین لترک الإیمان و کارهین لفعله و علی صفة من لو أراد الإیمان لوقع منه و لو کره الکفر لتأتّی له ترکه و الخروج عنه، و لم یکن مع فعل الطبع و الختم عاجزا عن فعل ما أمر به و

لا ـ ممنوع منه و لا ـ محال بينه و بينه و لا مخبول منتقص، و لا ممّن يتعذّر عليه الاستدلال على الصواب الذى رغّب فيه و فساد الباطل الذى اختار الدخول فيه، بل آلته تامة و معارفه كاملة، و الأدلة المنصوبة له واضحة، صحّ لأجل ذلك أجمع أن يقال لهم فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا و نحو هذا، لأنّ لا يظنّ ظانّ و يتوهّم متوهّم أنّهم مجبرون على الكفر و غير قادرين عليه، و لا ـ مختارين لترك ما أمروا به و لا ـ راغبين عنه، و أنّهم ممّن لو حاول الإيمان و النظر فى الاستدلال لتعذّر منه و امتنع عليه، و معاذ اللّه أن يكون ذلك كذلك و أن يكونوا عجزة أو مجبرين على ما ظنّه الملحدة و القدريّة، أو أن/ يكون تكليفهم لفعل الإيمان و صحيح النّظر و الاستدلال، بمثابة تكليف المقعد القيام و الأخرس الكلام و الضرير تنقيط المصاحف و إدراك المرئيات، و تكليف النّاس علم الغيوب و معرفة ما كان و يكون مع قصد السّبيل و عدم الدليل، و كيف يكون ذلك و الأدلّة على التوحيد لائحة باهرة موجودة ثابتة، و كمال عقل الكافر موجود كائن، و معه من كمال العقل و الآلة ما يصل به إلى معرفة الغوامض و استخراج اللطيف و الدقائق، و حجاج المحتجين و مغالطة كثير من المؤمنين، و الحذق فى الجدال و البيان يوم الخصام، و الإعراب عما فى النفس و الغلبة و الإلباس فى الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۶۸۶ الانتصار لباطله و بمجيئه حقّ خصمه، و كيف يكون من هذه حاله ممنوعا من النّظر و محالا بينه و بين صحيح الفكر و الرؤية. و إذا كان ذلك كذلك كان جميع ما أخبر اللّه أنه فعله بالكافرين من الختم و الطبع و الإضلال لم يصرفهم إلى حال العجزة الممنوعين و الأطفال المنتقصين، و لا إلى صفة المكرهين المجبرين على فعل ما نهوا عنه، و كونهم غير قادرين عليه، و مؤثرين له على ضده حسن، لأجل ذلك أن يقول لهم: فَما لَهُمْ لا ـ يُؤْمِنُونَ، وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ، وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا، أى أنّ ما فعلته من ذلك ليس بعجز عمّا كلّفوه و لا منع لهم و لا مبطل لكمال عقولهم و آلتهم و لا رافع لقدرهم على فعل ما دخلوا فيه، و ترك ما أمروا به، و هذا بيّن فى إبطال ما توهّمه الفريقان، فإن قالت الملحدة و القدرية: فالإنسان المختوم على قلبه الذى خلق فى قلبه الكفر و ضدّ الحق قادر عندكم على الحقّ و على فعل الإيمان حتى يصح أن يوبّخ على تركه و يستبطىء فى تأخره عنه. قيل لهم: إنّ نفس قدرتهم على الكفر هى قدرة على الإيمان و إنّها تصلح للضدين و تكون قدرة/ على الفعلين الخلافين، و إنّما يكتسب بها ما تؤثر القادر على الفعل دون الذى يأباه و يكرهه. فإن قالوا: فكان يمكنه أن يفعل بقدرة الكفر الإيمان، قيل لهم: أجل على هذا الجواب، غير أنّه اختار الكفر على الإيمان، فتصرّف بقدرته فى فعل أحد مقدوريه، و إذا كان ذلك كذلك زال جميع ما تشبعون به و تشنعون. فإن قالوا: أ فيمكنه أن يجمع بقدرته بين الإيمان و الكفر الذى اكتسبه و خلق فيه، قيل لهم: لا، كما لا يمكنه عندكم أن يجمع بين الإيمان و الكفر الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۶۸۷ فى حال ما وجد بقدرته أحدهما، و إنّما يمكنه أن يفعل بالقدرة على الضدين، و كلّ واحد منهما بدلا من صاحبه، فأمّا الجمع بينهما، فإنّه باطل و محال ممتنع فى قدرة كل قادر، و إن كانت قدرة على الضدين، و الجواب الآخر يقول: إنّ القدرة على الكفر غير القدرة على الإيمان، و نقول مع ذلك إنّ الكافر فى حال كفره قد كان يصحّ وقوع الإيمان منه، و يتوهم بأن لا يكون كان الكفر منه، بل كان الإيمان بدلا منه. فإن قالوا: أ فيصح من الكافر ترك الكفر الذى خلق فيه؟ قيل لهم: أجل، بأن لا يكون كان خلق فيه فهو عندنا على هذا الجواب، قادر على الإيمان لو آثره و اختاره، و كره الكفر و أباه. فإن قالوا فهو عندكم قادر على كره الكفر، قيل لهم: بأن يختار الإيمان، فإن قيل: أ فيقدر على اختيار الإيمان و فعله؟ قيل لهم: أجل، إن كره الكفر و آثر الخروج عنه، فليس هو عندنا بمثابة الزمن و المقعد و العاجز، و من لو حاول القيام بعمل لامتنع عليه، و تعذّر لعجزه و منع الآفات له من إيثاره بل الكافر مخلّا عندنا بينه و بين إيثاره و اختياره، و ممكّن من الإيمان إن شاء و أحبّ و كره الكفر و تجنّبه، و هذا الجواب أيضا يبطل ما توهّموه إبطالا بيّنا و ينبغى فى الجملة أن تكون المحاورة و المشاجرة فى الاستطاعة و البدل و العجز و المنع و الفعل و الترك و تشبيه عدم القدرة على الفعل بفقد كمال العقل و عدم الدليل، و بطلان الجوارح/ و الآلات بيننا و بين القدرية المعتزلة. و الكلام فى هذه الأبواب مذكور معروف، و استظهار أهل الإثبات عليهم فى هذه المذاهب التى يعتقدون بطلانها على وجه قد صار معهم فيه الجلّة و الأئمّة، و حذّاق أهل النّظر و سائر البخاريّة و القدريّة، و أنّهم قد بلغوا بالحذق و التمويه فى باطلهم إلى حدّ ما صاروا به فى استهواء

النـاس أكثر من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۸ أهل الحق، و صار الحقّ أكثر شـبهة المثبتـة و البخاريّـة مهجورا، و صار صاحبه خائفا حـذرا، و صار حقّه مغمورا لا يقدر عليه أن يظهره بين العامة، و عند كثير من الخاصّة، و لا فى الجوامع و المساجد و الثغور و المواسـم أمر بيّن لا خفاء به، و هو من أدلّ الـدليل على كذب القدرية و المعتزلة فى تسـميتهم خصومهم فى هذه المذاهب حشو و عامّة و نائبه. و على أتباعهم عند تضايق الأمر بهم سبيل إخوانهم الملحدة فى تسـمية كافّة المسـلمين و الملتين طغام و حشو و عامّة، غير موهن لحقّ المثبتـة و لا حاطّ عنـد ذى تيقّظ و تحصـيل عن رتبـة التـدقيق و الحـذق، و إيراد ما يـذهل القدرية و يخرس المعتزلة، و يملأ قلوبهم و صدورهم غيظا و خنقا، و يحذرون معه على نفوسهم و مهجتهم من تخطّف العامّة و الدّهماء لهم فى قولهم: إنّهم يخلقون كخلق اللّه و يصـنعون كصـنعه و ينفردون بتقدير أعمالهم و إنشائها دون ربّهم و يكون ما يؤثرون و يشاءون، و لا يكون ما شاء اللّه مع قول الأمة ما شـاء اللّه كـان و مـا لم يشأ لم يكن. فأمّـا الملحـدون فلاـ ينبغى أن يقبـل من مطـاعنهم و اعتراضـاتهم مـا يصـيرون به إلى قـول بعض المتكلمين من المسـلمين، لأـنّه إذا صـاروا إلى ذلـك تركـوا الإلحـاد و الطعن على النبوة و القرآن، و إنّمـا يجب أن تكون مسـائلهم و اعتراضاتهم أمورا تبطل دين المسلمين جملة، و يقدح فى سائر مذاهبهم، لأنّهم لا يقصدوا ذكر هذا التناقض و الاختلاف الذى يظنّونه/ فى القرآن لإبطال مذهب المثبتة دون مذهب القدريّة، و إنّما قصدوا الإدخال على الجملة و ضمنوا بما أوردوه إبطال القرآن و التوحيد و النبوءة، فإذا صاروا إلى نصـرة بعض مـذاهب المصـلين إلى القبلـة فقـد عجزوا عمّا ضـمنوه و ظهر بغضـهم تخلفهم، و كذلك فمتى سألوا عن آية و شـىء من القرآن متوهمين فساده الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۸۹ و تناقضه فيخرج، و يصحّ جوابه على مذاهب بعض الأمـة، فقد زالت العهدة و وضح الحق، و بطلت الشـبهة، و هكذا يفعل اللّه سـبحانه بمن ضلّ و عند عن الحق. و قد علموا أنّ من الأمّة من يقـول إنّ قوله: وَ لَقَـدْ ذَرَأْنـا لِجَهَنَّمَ [الأـعراف: ۱۷۹]، مراد به أنّنـا سـنذرأ يـوم القيامـة، و أن قـوله: وَ مـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶]، على عمومه، و كذلك قوله: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى [فصلت: ۱۷]، و أن قوله: وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (۱۱۸) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ [هود: ۱۱۸- ۱۱۹] أى: أنّه للرحمـة خلقهم، و أن قـوله: وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً [المائدة: ۴۱] أى: من أراد عقـابه بمـا كان من كفره، و أنّ الفتنـة تكون بمعنى العـذاب، قال اللّه تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا [البروج: ۱۰] يقـول عـذّبوا المؤمنين و المؤمنـات، و أنّ جميع مـا ذكره اللّه من الختم و الطبع و التغشـية و الإضـلال إنما المقصد به الحكم و التسمية دون فعل شىء فى القلوب، و أن قوله: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى [الأنعام: ۳۵]، وَ لَوْ شـاءَ اللَّهُ مـا فَعَلُوهُ [الأنعام: ۱۳۷]، وَ لَوْ شـاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا [البقرة: ۲۵۳]، وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها [السـجدة: ۱۳]، إننـا لو شـئنا أن نجبرهم و نلجئهم إلى ذلك، لفعلناه دون مشـيئة ذلك على وجه الطوع و الاختيار، و أنّه ليس من شـىء يتعلّق به المثبتـة إلا و قـد أعدّوا له عند أنفسـهم جوابا، و إذا كان ذلك كذلك، فجميع ما يتوهّمونه متناقضا من هذا الباب، فإنّه على خلاف ما توهّموه من قولنـا و قول المخـالفين من أهـل القبلـة، و ليس يجب على المسـلم فى جواب ما يتعلّقون به أكثر من تخريجه و تصـحيحه على بعض المـذاهب و الوجوه، و إذا كـان ذلـك بطـل مـا قـالوه و كان/ الكلام معهم إذا صاروا إلى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۰ اعتقاد ذلك المـذهب كلاما فى القـدر، و زال الطعن على القرآن و الإسـلام، و هـذا بيّن فى إبطال جميع ما يحاولونه. فتأملوا رحمكم اللّه فصول الأجوبـة لهم على مـا نزّلنـاه و بيّنـاه يتضـح لكم جهلهم و تعرفون حيرتهم و تخليطهم و تعلّقهم بالأباطيـل و التعاليل، و أنّهم كحـاطب ليـل و كالغريق بما يجـد يتعلق و على ما وصـفهم اللّه تعالى به من قوله: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان: ۴۴]، لأنّ الأنعام ممنوعة من النّظر و الاسـتدلال و الخلوّ من تصحيح النظر و لطيف الفكر إلى كشف الغامض و حلّ الملتبس. و الملحدة فى تركها النظر و معرفـة وجوه الخطاب و تصاريف الكلام، و معرفة ما يراد به و عليه من مجمل و مفسّـر، و خاص و عام، و مطلق و مقيد، و ناسـخ و منسوخ، و محكم و متشابه، و مسـتثنى فى تصاريف الكلام، و منقطع و محـذوف و مختصـر، و كنايـة و تصـريح و تأكيد و تنبيه، و حقيقة و مجاز، و اسـتعارة و تشبيه، و قصد إلى ضرب مثل و تشبيه، و مستعمل على سبب حادث و أمر حاصل و جواب شامل، و شخص مخصوص و أمر محصور و عهد متقدّم، و عرف مستقرّ و عادة فى الخطاب، و تعويل على متقدّم أو مؤخّر من البيان، أو على

العرف و شاهد الحال، أو على إناطته و ربطه بدلائل العقول و قضاياها و الردّ إلى المستقر فيها، و بما جاء في الخطاب بلفظ المواجه الحاضر، و المراد به الغائب و بما جاء باللفظ الموضوع للغائب، و المراد به الحاضر، على ما بيّناه من قبل، و ربّما ذكر من له الاسم فيه و أريد غيره و ربّما ذكر الغير و أريد هو، و ربّما ورد اللفظ المشترك بين أمور مختلفة و المراد أحدها، و إن كان الظاهر لا ينبئ عنه فلذلك أمر اللّه سبحانه بالتدبر و الاعتبار و الاستبصار و جعل أهل العلم درجات، و فضّلهم على ذوى الجهل و النقص. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۱ و ليس فى شىء ممّا حكيناه/ عنهم و نحكيه مستأنفا إلا و معناه ثابت صحيح إذا حمل على بعض هذه الوجوه، و القرآن لا يبطل و لا تستحيل معانيه، و يناقض لظنّ الملحد لذلك و حمله على ما يصنعه لنفسه و يقدّره بجهله، أو تجاهله و إلباسه، و إنّما يصير وضعه و توهّمه فاسدا متناقضا دون التنزيل و كلام ربّ العالمين.فكيف يكون ذلك كذلك و اللّه يقول: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الحجر: ۹]، و يقول: لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ [فصلت: ۴۲]، و يقول: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، و يقول: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹]، و هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ [آل عمران: ۱۳۸]، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام: ۳۸]، فى نظائر هذه الأخبار الواردة فى حفظ القرآن و حياطته و صونه عن مطاعن الملحدين و الزائغين و حراسته، و قد بان بما قدّمنا و ما سنذكره من أجوبتهم صدق ما خبّر اللّه به من حفظ كتابه و حصول الاهتداء و البيان به. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ [الأنعام: ۱۰۸]، و قوله: زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ [النمل: ۴]، و قوله: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ [آل عمران: ۱۴]، إلى نظائر هذه الآيات، فقد قلنا من قبل فى تأويل هذا التزيين، و أنّه ليس من تزيين الكافرين و الشياطين بسبيل، و أنّه ليس هو الدعوة إلى ذلك و الترغيب فيه، و فى النّاس من يحمل ذلك على أنّه إنّما أراد بالتزيين خلق الشهوة و ما جعل فى الطباع من الميل و التوق إلى ذلك، و ليس معناه الترغيب فيه و الدّعاء إليه، فبطل توهّم من ظنّ أن معنى زيّنا أنّنا أمرنا بذلك و دعونا إليه و رغّبنا فيه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۲ فأما قوله: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً [المائدة: ۴۸]، فلو حمل على أنّه خلق لكلّ أهل دين دينهم و ما هم عليه و طريقتهم، لما أخلّ ذلك بصحّة القرآن و لزوم التكليف، و حصول البيان على ما قد بيّناه من قبل، و لكن ليس هذا هو القصد، و إنّما أراد بالشرعة ما شرعه لهم و تعبّدهم به، و هذا الجعل بمعنى التعبّد، و تقدير الأديان و توظيف الفرائض و العبادات، و ليس من خلق الفعل/ فى شىء فبطل ما قدّروه. و أما تعلّقهم بقوله: وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ [المائدة: ۶۴]، فإن حمل ذلك على أنّه خلق عداوة بعضهم لم يخرجهم ذلك عن التكليف إلى يوم القيامة، و إمكان النظر و الاستدلال و تأتيه و قيام الحجّة عليهم، و لزومها لهم على ما بيّناه من قبل، و إن حمل على أنّ معنى ذلك أنّنا ألقينا بين ضروب أهل الكفر التعادى على كفرهم، و تبرى بعضهم من بعض، لم يكن ذلك عند أحد قبيحا و لا ظلما، فكأنّه ألقى فى قلوب اليهود عداوة النصارى على القول بالتثليث، و ذلك عداوة لباطل، و ألقى فى قلوب النصارى عداوة اليهود و المجوس على شتم المسيح و تكذيبه و القول بالنّور و الظلمة و ذلك عداوة لباطل، فكأنّه على هذا الفرق ألقى بين أهل الباطل الذين ذمّهم على التعادى على باطلهم و لم يلق فى قلوب المبطلين عداوة للحقّ و أهله، و إذا كان الكلام محتملا لذلك بطل ما توهّموه و زال التناقض الذى قدّروه. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً [آل عمران: ۱۷۸]، فإن حملناه على أنّه خلقهم للنّار و الضلال فذلك صحيح على ما قلناه. و يمكن أيضا أن تجاب الملحدة أن يقال: إنّما عنى بقوله: لِيَزْدادُوا إِثْماً على عاقبة الفعل و أنّهم سيزدادون فى الآخرة، و كذلك قوله: فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ [التوبة: ۱۲۵] أى: سيزيدهم عذابا بما كان من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۳ رجسهم و أمرهم بذلك، كما قال: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً [القصص: ۸] على عاقبة أمره، و ما يؤول به الحال إليه، و لم يلتقطوه وقت أخذه إلا ليكون لهم حبيبا و أنيسا. و أمّا تعلّق الملحدين بقوله تعالى: وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [البقرة: ۱۰۲]، و قولهم فما ذنب الساحر إن كان بإذن اللّه فعل، ما أبيح له و أمر به، فإنّه ليس على/ ما قدّره، و لم يرد بقوله: بإذن اللّه، بأمر اللّه و إطلاقه و إباحته له فعل السحر الذى قد اتفق على أنّه قد نهاه عنه، و إنّما أراد بإذن اللّه أى أنّ اللّه خلق ذلك السحر و قدّره قبيحا باطلا كما يقال جاء المطر بإذن اللّه، و مات زيد و مرض و صحّ بإذن اللّه أى: بخلق اللّه ذلك و تقديره و إيجاده، و ليس ذلك بمعنى قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ

تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ [النور: ۳۶] و ما جرى مجراه، و يمكن أيضا أن يكون أراد بالإذن هاهنا أنّ الضرر الذى يكون عند فعل الساحر، و الألم ليس من كسبه و فعله، و لكنّ اللّه هو الذى يخلقه، و يضر المسحور به بجرى العادة، و يمكن أيضا أن يكون بإذن اللّه أى بعلم اللّه و سابق ما كتبه عليه فى اللوح المحفوظ فيعبّر عن ذلك بالإذن. و يمكن أن يكون أراد بالإذن أنّ ترك الساحر و سحره، و ترك إماتته و إعدامه و إبطال لسانه و جوارحه، و غير ذلك ممّا يمنعه من السحر لم يكن إلا بإذن اللّه، فكأنه قال: لو شئت أن أمنعهم بهذه الأمور من السحر لمنعتهم و لكن تركتهم، و ذلك بإذنى، و يمكن أن يكون أراد بالإذن خلق الشخص المسحور ممن يقبل الألم و يستضر به كلّ بإذن اللّه و إيجاده له كذلك، و يحتمل أيضا غير هذا من الوجوه، فبطل قولهم أنّ الإذن لا يكون إلا بمعنى الإباحة و الإطلاق. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۴ و أما تعلقهم بقوله تعالى: وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [سبأ: ۲۴] فإنّه لم يخرج على الشك و الارتياب بما جاءهم به، و كيف يكون ذلك كذلك و هو يخبرهم بأنّه الحق، و يحذرهم بالنّار من مخالفته، و إنّما عنى و هو أعلم و لكنّه على مذهب التوبيخ و التنبيه لهم و التعريض بأنّهم هم المبطلون كما يقول القائل لمن يلاحّه و يشاجره: إمّا أن نكون جميعا مبطلين أو محقّين، و إنّى و إياك لعلى حقّ أو فى ضلال، يعنى بذلك أنّ أحدنا محقّ أو أنّنا على أحد الأمرين إذا قال الرجل/ لمن يشير عليه بترك ما هما جميعا فيه إلى غيره إنّى و إيّاك لعلى هدى أو ضلال، يريد أنّنا على هذا فلا يفارقه فى خطأ و مهلكة، فلا يخالف فى الخلاص من ذلك، و قد قيل إنّ معنى الآية الكريمة أنّنا لعلى هدى و إنّكم لعلى ضلال فحذف تكرار ذكرهم، و أو هاهنا بمعنى الواو كما قيل: قال الخلاقة أو كانت له قدرا أى: و كانت له قدرا. فأما تعلّقهم بقوله تعالى: قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ [سبأ: ۲۶]، و أنّ ذلك شكّ و إحالة على ما هو و هم فيه إلى اللّه، فإنه باطل، لأنّه إنّما ورد ذلك على وجه المتاركة و الزجر لهم عما هم عليه، كما يقول الرجل للرجل: مجلس الحكم بيننا ثم يحكم بيننا بالحق، ليس على وجه الشكّ فى حقّه و لكن على وجه المتاركة و قطع المزايدة و التحذير من الحكم عليه بباطله. فأمّا تعلّقهم بقوله: وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ [الأحقاف: ۹] و أنّ ذلك شكّ منه و نقض لما وعد و توعّد به، فإنّه بعد و تخليط منهم، لأنه لم يعن ذلك، و إنّما أراد ما أدرى ما أتعبّد به و يفرض علىّ و عليكم من الوظائف و العبادات و اتّباع شريعة من سلف أو استئناف سواه و تبعية ما قد شرع لى أو نسخه و تغيره، و لم يرد أنّنى لا أدرى هل يثاب المؤمنون و يجازى الكافرون أم لا؟ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۵ و قد قيل: إنّه كانت له عليه السلام ذنوب خاف منها قبل أن يقال له و ينزّل عليه: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ [الفتح: ۲]، فقال لما خاف من ذلك: و ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم معاشر المذنبين من غفران لى و لكم أو عقاب أو مجازاة، و ليس هذا من الشكّ فى دينه و نبوته بسبيل. و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ [لقمان: ۲۷] و نحو ذلك و أنّه نقيض لقوله: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ/ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: ۸۵]، و ذلك أنّه لا جواب لما سألوا عنه من ماهية الروح و صفتها إلا ما قال لهم، فكأنّهم ظنّوا أن الروح جسم محسوس، و شخص مدرك و شيء متمثل متجسد، ذو طعم و هيئة و محسة و رطوبة و يبوسة فقال «و يسألونك عن الروح يعنى أ هى صورة أم صغيرة أم كبيرة أم حلوة أم حامضة، أم رطبة أو يابسة أو بيضاء أو سوداء، فقال: قل الروح من أمر ربى، أنّها جنس يخالف جميع هذه الأجناس المدركات و ذوات الصور و الهيئات و الصفات التى سألتم عنها»، و كذلك سبيل الجواب عن نعت كلّ شيء لا يدرك بالحواس، و عن ماهيته فى أنّ هذا جوابه. و لو قال قائل: خبّرونا عن الحياة ما هى و ما صفة الغمّ و الشرور و اللذة و الألم، أ متحرك هو أم ساكن، أم أسود أم أبيض، أم صغير أم كبير، مربع أو مسدس، لوجب أن يكون هذا هو جوابه، فيقول: هذه الأجناس التى سألت عنها من الحياة و الحزن و السرور شيء من خلق اللّه، و أمور من فعله لا يعلمها إلا هو، أى لا يتأتّى فعلها و جعلها على صفاتها إلا له، و ليس فيها ذو هيئة و شكل و طعم و رائحة يخبرك عنه، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه من قصور القرآن و الرسول عن الجواب عن الروح، و هم يعنون الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۶ بالسؤال هل الروح حىّ أم لا؟ و هل تبقى أم لا؟ و هل الروحانى، روحانىّ بمعنى أو بنفسه؟ و إنّما سألوا عن ماهية الروح و نعته كأنّهم يعنون صورتها و هيئتها، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قدّروه.

و أما تعلّقهم بقوله:* يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ [البقرة: ۱۸۹]، فإنّه تعلّق باطل، لأنّهم لم يسألوه ما جنس الأهلة، و لم تطلع و تغرب؟ و كيف سيرها؟ و ما جنس الزمان و معناه؟ و إنّما أرادوا لم وضعت/ الأهلّة؟ و لما ذا خلقت؟ فقال: قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ أى: لهذا خلقت و وضعت، لأجل ديونهم و مدد أعمالهم و أجورهم، و معرفة أوقات حجّهم و صيامهم و وظائف دينهم، و قول من زعم أنّهم سألوا عن كيفية الأهلّة الغامضة جهل منه، و لو سألوا عن ذلك و هم يعنون بالكيفية جنس الهلال و طبيعته أو تقلّبه و حركته، و عن جنس الوقت نفسه و جنس التقدير، لأخبرهم بجميع ذلك. فأما تعلّقهم بقوله: أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً [مريم: ۶۷]، وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً [مريم: ۹]، و أنه نقيض لقوله: سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ [يس: ۳۶]، و أنّ ذلك إخبار بأنه قد خلق الأزواج كلّها من أنفسهم و من أشياء أخر لا يعلمون، فإنّه أيضا مما لا تعلّق لهم فيه، لأنّه لا يمكن أن يكون إنّما أراد بقوله: وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً أى: أنّه لم يكن شيئا مذكورا و مدركا و شيئا عاملا مكلفا و شيئا فطنا حاسا بل كان طينا جمادا إن كان عنى آدم عليه السلام، أو نطفة و ماء مهينا إن كان أراد المخلوق من ولده، و قول المسلمين إنّه خلق الإنسان لا من شىء صحيح، و ليس بنقيض لهذا الكلام، لأنّه أراد أصول الأزواج و أوّل الحيوانات و عناصر الأشياء و ليس الماء الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۷ و الهواء و التراب و النار التى هى عند الفلاسفة أصول الأشياء التى هى قديمة لم تزل، و منها تنمو الأشياء و تزيد، و إليها تنحلّ و تفسد، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه، و قد يقول القائل لمن يسمع كلامه و يدركه و يشاهد فعله و يحسه: ما قلت شيئا و ما صنعت شيئا، أي: ما صنعت شيئا نافعا، و ما قلت شيئا مفيدا محصّلا، و ليس يعنى بذلك كونه و وجوده، و هذا يزيل توهّمهم و يقطع مادة أشغالهم. فأما تعلّقهم بقوله تعالى:/ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۱۹) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (۲۰) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (۲۱) [التكوير: ۱۹- ۲۱]، و أنّه نقيض لقوله: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [التوبة: ۸۰]، و أنّ هذه صفة معصى غير مطاع، فإنّه جهل منهم لأنّ الرسول المطاع هو جبريل فى قول كثير من المسلمين، هو مطاع فى السماء و عند الملائكة و لم يرد به إجابة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم إلى جميع ما يلتمسه. و يحتمل أن يكون الرسول هو محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و يكون معنى قوله: مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ عند المؤمنين به و عند خزنة الجنّة، و ليس يعقل من قول مطاع أن اللّه هو الذى يطيعه، و إنّما يعقل من ذلك أنه إنّما يطيعه من يأمره و ينهاه ممّن أجابه و عرف حقّه و نبوته، فبطل ما قالوه. فأما تعلّلهم بقوله فى قصة نوح و محمد عليهما السلام و قوله: وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ [هود: ۳۱]، و قوله فى قصة محمد مثل ذلك، و أنّه نقيض قوله تعالى: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (۲۶) إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً [الجن: ۲۶- ۲۷]، فإنّه ليس على ما ظنّوه، لأنّ نوحا و محمدا إنّما نفيا عن أنفسهما إدراك الغيوب من غير توقيف و إخبار على وجه ما يدركه اللّه سبحانه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۶۹۸ (من) «۱» العلم بمعلوماته الغائبة من غير اضطرار و لا استدلال و لا خبر، فإذا اطّلعا على ذلك صارا يعلمانه من جهة الوحى و التوقيف، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه. و يحتمل أن يكون قوله: إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قطع الكلام و استئنافا لذكر الرسول و قصته و تأييده و حفظه و غير ذلك، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه. فأما تعلّق الملحدة بقوله: وَ فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ [الزخرف: ۷۱]، و ذكر فيها من صحاف الذهب و الفضة و الولدان و غير ذلك من تعظيم شأن نعيمها و إيصال لذّاتها و شرورها/ و أنّه منقوص بوصفه لها بأنّ فيها أنهارا من ماء غير آسن، و أنهارا من لبن لم يتغيّر طعمه، و أنهارا من خمر لذّة للشاربين، و قولهم أن اللبن و الخمر ليس ممّا يستلذ، و اللبن خاصة لا يطلبه و يشتهيه إلا جائع مضرور، و أن الموضع الموصوف بأنّ فيه ماء غير آسن لا يكون إلا جدبا قحطا غير مخصب فإنّه باطل، لأنّ الخمر عند كل أحد مستلذ مشتهى، و لذلك حرّمت و منعت كسائر اللذات، و ما تدعوه إليه النفوس و الطباع، و ذكره الأنهار إنّما هو إخبار عن كثرته، و أنّه غير محصور و لا مغيّر مقتّر محدود. فأمّا ذكره اللبن فإنّه صحيح، لأن العرب تلذّ اللبن و تشتهيه و تؤثره على الماء و تختاره عليه، و تجعله بمثابة الطعام و الشراب، و ليس بعد الماء شراب مفطور مخلوق من غير صنعة و لا مزاج، و شرب غيره من كلّ مائع سواه، فإنّه لا يلذّ بشربه إلا بصنعة و مزاج و تعديل،

و كـــــــــذلك ذكره العســــــــــــل، لأ ـــــــــــنه ممــــــــــا يلـــــــــــذ و يحــــــــــب.

(ـــ١) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۶۹۹ فأمّا قولهم: إنه قلّ ما يؤكل و يشرب عسلا صرفا حتى يمزج و يعالج، فإنّه كذب، لأنّ كثيرا من الناس يشتهيه صرفا، و لعله يمزج لمزاجته ممزوجا، و اللّه سبحانه إنّما ذكر لهم الأشربة فى الجنّة من هذه الأجناس، ليدلهم على أنّ هناك لبن و عسل و خمر و ماء و أنواع ما تدعو إليه الأنفس، لا لكى يدلّ بذلك على أنّه مثل طعم الذى فى الدنيا و صفته لا يفوقه و يزيد عليه، و كذلك إنّما وصف الماء بأنّه فى أنهار و أنّه غير آسن و لا متغير، لأنّ القوم الذين خوطبوا بذلك إنّما كانوا يشربون من العيون الضيقة و الآبار النزة و ربّما كان الماء لقلته آسنا متغيرا، فعرّفهم أنه هناك غير قليل و لا محصور مغير مقتّر محدود، فبان بذلك بطلان ما قالوه، و كذلك قوله: فاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ [الرحمن: ۶۸]، وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ [الواقعة: ۲۱]، و غير/ ذلك إنّما أورده لكى يعرّفهم أنواع ما فى جنانه، و لم يذكره لكى يعرّفهم أنّه على صفات ما فى الجنّة من الثمار و اللحوم، على صفات ما تقع عليه هذه الأسماء و النعوت فى الدنيا من غير تحصيل مزية و لا زيادة حسن و طيب و لذة، و ما لا يقدر جميع من على وجه الأرض على تركيب طعام و شراب يبلغ لذته، و إن صنعوه و عالجوه بكلّ مزاج و تركيب، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه. فأما تعلّقهم بقوله: رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (۲۵) خِتامُهُ مِسْكٌ [المطففين: ۲۵- ۲۶]، و إنّ ذلك نقيض لوصفه أنهار الخمر، لأنّ الختم يقتضى العزّة و القلة، و قولهم: و لم ختمه الخشية الغارة و اللصوص؟ و نحو ذلك من الجهالات، فإنّه حمق و بله و تلاعب من الملحدة، لأنّ معنى (ختامه مسك) أى منقطعه يوجد عنده طعم المسك من رائحته و هو من أجمل الشراب، و لو كان الختام هو الختم و الطابع لم يدل ذلك على القلة و لكان على التشريف لأولياء اللّه الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ۷۰۰ و الكرامة، و لذلك يتخذ الملوك خزائن الشراب و يضعون عليها الخواتيم و الأقفال و يغطون الآنية بفاخر الثياب، و يتهادون الأشربة مختومة مضمونة، و إن أرسلوها مع أمنائهم و أولادهم إلى أخصّ الناس بهم مع أمان السمّ و الإدغال و مزاج الشراب ما يؤذى شاربه، و كلّ هذا على وجه التكرمة و الإعظام فبطل بذلك ما قالوه. يتلوه إن شاء اللّه فى الورقة التى تليها بعد البياض الذى يلى هذه الصفحة فإن قالوا: مزاجها كافورا و زنجبيلا فإنه غير مفسد لطعم الشراب، و الحمد للّه ربّ العالمين. فرغ منه كاتبه حامدا اللّه تعالى و مصليا على رسوله سيدنا محمد النبى و آله الطاهرين و ســــــــــلامه و حســــــــــبنا اللّـــــــــه و نعــــــــــم الوكيــــــــــل./ فصــــــــــل/: «١»

(ـــ١) جاءت هذه الصفحة بياضا كلها.

فصل

ربّ أنعمت فزد

ربّ أنعمت فزد فإن قالوا: مزاجها كافورا و زنجبيلا، فإنّه غير مفسد لطعم الشراب لأنّ من الناس من يعجبه الشراب عند مقطعه شىء من لذع الزنجبيل و الكافور و طعمهما و ريحهما، و يميل إلى شدّة برد الشراب، و لعلّه تعالى أراد طعم الكافور و ريحه و برده، أو برده خاصة و كلّ ذلك محبوب مشتهى عند أكثر الناس. و يمكن أيضا أن يكون عنى تعالى أنّ برد ذلك الشراب و نفاذ عمله فى اللذّة و طعمه و ريحه اللذين هما له، كنفاذ برد الكافور و الزنجبيل و طعمه و ريحه، من غير أن يكون معنى ذلك الشراب فى الطعم و الريح معناهما، و قد يقول القائل: إنّ له لسانا أحدّ من السيف، و شرابا مثل شعل النيران، و أنّ ريح هذا تيم كريح المسك و الكافور و لا يعنى بذلك تساوى معنى ما ذكره و ما شبّهه، و إنما يعنى نفاذ عمله و رائحته، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه. فأمّا قوله: يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ [الكهف: ۳۱] و أن ذلك ليس تعظيما فى الزينة، و لا من زينة الرجال، فإنه كذب لأن العسجد من أفضل الزينة، و إنما كره للرجال لموضع التشبيه بالنساء، و لعلّه أن يكون لأجل ما يلحق البلواء و الخيلاء، و صار ذلك مستهجنا فى الدنيا

لموضع التعبّد و العادة، و فى عامّة النّاس و أوساطهم، فأمّا ملوك العرب و العجم و الرّوم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۲ فهم إلى اليوم يتسوّرون و يلبسون الأطواق و الأسورة و التيجان، و يبالغ فى ذلك و يتنوّق فيه و يرصّعه، و لكن ذلك لعظمائها دون صغارها و سفاسفها، و أهل الجنّة فى أجلّ رتبة و أرفع منزلة و أيسرهم نعيما فى الجنّة، و إن لم يكن فى نعيمها يسيرا أعظم من سائر نعيم ملوك الدنيا، فزال ما قالوه. فأمّا تعلّقهم بقوله: عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ [الإنسان: ۲۱] «۱» و إن ذلك نقص منه، لتعظيم شأن ما فيها لأجل أن السّندس هو البزيون- زعموا، و الاستبراق غليظ الدّيباج/، فإنّه لا تعلّق فيه؛ لأنه إن كان السّندس هو البزيون، فإن لهم من الفرش ما هو على نمط البزيون و صفته، و مخالف لجنسه فى كونه و هيئته و لينه، و لعلمه أن يكون ألين من كلّ سندس من مرعزّى الأوبار و ألين الأصواف، و ما لا يقدر البشر أبدا على إيجاد مثله و لا ينتهون إليه، فأمّا الإستبرق فإنّه إن كان غليظ الديباج فإنّه من الحسن و الهيئة، و جميل المنظر و ليّن الملمس، بحيث يقصر عنه وصف الواصفين، و ليس كلّ الناس ترغب فى ضعيف الديباج و رقيقه، بل الدّهماء منهم ترغب فى متينه و غليظه، لأنّه أجلّ و لذلك عظم الرومىّ و الملكىّ على التسترىّ و ما جرى مجراه، فكيف بغليظه إذا كان بصفة ما قلناه؟! و كلّ هذا تلاعب منهم و تخالع و استهواء للعامّة من أتباعهم، و الأوغاد من معظّميهم و شيعتهم، و من أدلّ الأمور على ضيق الأمر بهم، و عدم المطاعن على شيء من كتاب اللّه. فأمّا تعلّقهم بقوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً [يونس: ۴۴]، وَ ما رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت: ۴۶]، وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [فاطر: ۱۸]، و نحو

(۱) هكذا الآية، و قد وردت بقلم الناسخ فى الأصل: «و يلبسون ثيابا سندس خضر و إستبرق».

الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۳ هذا، و أنّ ذلك منقوض بقوله تعالى: كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ [النساء: ۵۶]، و لا جرم- زعموا- للجلود التى لم تكن عليهم فى الدنيا، و لم تصحبهم، و تكون من جملتهم وقت المعصية، فعقاب جلودهم و إيلامها على ذنب «۱» لم يكن منها و لا «۱» هى من جملته وقت اقترافهما: ظلم و عدوان، فإنّه باطل لا تعلق فيه من وجوه: أحدها: أنّ الأمر فى هذا ليس على ما يدّعونه عند أهل الحق من أنّ إيلام الحى على غير جرم و لا لعرض ظلم، و إنّما يكون ذلك ظلما ممن ليس له فعله، و من نهى عنه و تجاوز ما حدّ له و تصرّف فى ملك غيره، و الذى هو أملك بالمخلوقات منه، و اللّه تعالى ليس هذه سبيل إيلامه لما آلمه من خلقه، و قد أتلف الأطفال فى الدنيا و أباح إيلام الحيوان و ذبحه و سلخه و أكله، و كدّه و حمل الأثقال/ عليه لغير ذنب و لا لغرض، كان مصير البهائم إليه بجزاء و ثواب و عذاب، و ذلك حسن و عدل منه. و الجواب الآخر: إنّما أراد بقوله: (غيرها) أنّها كلّما نضجت و احترقت فصارت حمما أعيدت حينئذ رطبة مؤتلفة محتملة للألم و العقوبة، فقيل غيرها أى أعيدت كالذى كانت، و على صفتها التى صارت بالاحتراق إليها، كما يقول جاءنى زيد اليوم بغير الوجه الذى فارقنى به بالأمس، أى: بغير صفة الوجه التى كان عليها، و كذلك قولهم: زيد هذا الذى عرفناه و أنت غير الذى كنّا نعرفك، يعنون تغاير صفاته دون ذاته. و يمكن أيضا أن يقال: إنّ العذاب إنمّا هو على الأرواح دون الخلق، فإذا عظمت جلودهم و أنضجت آلمت أرواحهم، و هى المعاقبة دون الجلود،

(۱) أضيفت: «من» فى الموضعين، و تبدو مقحمة.

الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۴ فإذا أمكن تخريج هذا على بعض مذاهب المسلمين، فقد خابت آمالهم و انقطع رجاؤهم و زال إشغابهم، و صحّ أنّ القرآن هدى و نور منزل من عند حكيم عليم. و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى: الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ [الأحزاب: ۳۹]، و أنّه نقض ذلك قوله: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِکْ عَلَيْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِکَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ [الأحزاب: ۳۷]، لأنّ هذا تصريح بأنّه خشى النّاس و لم يخش اللّه أو كاد أن لا يخشاه، و هو نقيض الخبر الأوّل، فإنّه ممّا لا تعلّق لهم فيه من وجوه: أحدها: أنّ فى النّاس من يحمل هذا على أنّ اللّه سبحانه حكى قول رسوله لزيد بن حارثة، و أنّه كان يعظه بمثل هذا الكلام، و بقوله: وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِکَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ، كأنّ الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قال لزيد: و تخفى فى نفسك ما اللّه مبديه، و قال له: وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ

أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ، و ليس هذا بعتاب للنبى صلّى اللّه عليه و مثل هذا التأويل سائغ غير بعيد. و الوجه الآخر/: أنّه قد كان أوحى إلى النبى صلّى اللّه عليه أنّ امرأة زيد تكون زوجة لك فكتم هذا و لم يخبر به زيدا و لا غيره؛ مخافة أن يتسرع زيد إلى طلاقها إذا علم رغبة الرسول فيها، و أن يقول عند ذلك المنافقون أمره بطلاقها، و فرّق بينه و بينها، ثم تزوّجها، و يجعلون ذلك و صمة و مطعنا و ذريعة إلى الغميزة عليه و القدح فى فضله، فيجب لذلك الإخبار بما أنزل اللّه عليه فأخبر به خشية ما ذكرناه فقال: وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ أى: لا- تخف فى إظهار ذلك، فإنّهم لن يضروك بشىء خفته. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۵ و قوله: وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ أمر له بأن يخشى اللّه و بيّنه على أنّه أحقّ و أولى أن يخشى، و ذلك لا يدل على مخالفة المأمور إلى ضدّه و ارتكابه لتركه أو العزم على ذلك، فبطل التعلّق بهذا الموضع. و يحتمل أيضا: أن يكون كره إظهار ذلك لئلا يقول المنافقون: قد حرّم اللّه على أمّته حلائل أبنائهم، و زيد ابنه، و قد تبنّاه، ثم تزوّج بحليلته، فقال: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ [الأحزاب: ۴۰] أى ليس زيد ابنه بنوة تمنع من تزويج امرأته، فقال: قل لهم هذا و لا تخشاهم، فإنّ اللّه أحق أن تخشاه، و ليس ذلك بركوب لمأثم. ثم إنه لو سلّم أن الرسول صلّى اللّه عليه كان راغبا فيها و مؤثرا لطلاقها لكى يتزوّجها إذا فورقت و اعتدّت و حلّت للأزواج، و أنّه خاف أن يظهر ذلك الموضع للقالة التى قدمناها و القذف له، لم يكن ذلك ذنبا من ذنوبه، و خشية النّاس و تركه لخشية اللّه، لأنّ ميل الطباع و شهوات النفوس و الرغبة فى النّساء و الوقوع فى حبائلهن، و تعلّق القلوب بهنّ إذا خرج عن التكليف و الاكتساب لم يكن صاحبه ملوما مذموما إذا عزم العازم على التزويج بمن يؤثره إذا حلّت/ للأزواج، لتسكين طبعه و إحمام نفسه و دفع الوسوسة، و الحوم حول الحمى و مكابدة الألم و مدافعة النّفس و طلب الاشتغال عن ذلك بطاعة اللّه، فإنّه بهذا العزم و القصد مطيع للّه، فكأنّه قال له عليه السّلام لا- تخف الناس فى كشف هذه الحال لهم بأنّها مطلقة مباحه، و اعلم أن اللّه أحقّ أن تخشاه، و يخبر بالمباح المطلق لك من دينه و فى شريعته، و إذا كان ذلك كذلك؛ بان أنّه لا عيب على الرسول و لا عار، و أنّه غير مواقع بذلك ذنبا و لا عصيانا و لا تارك لخشية اللّه تعالى، و بطل ما قدّروه و زال ما توهّموه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۶ فأمّا قولهم: إنّه لا- معنى لقوله فى أمّ الكتاب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لأنّه قد أفاد بالرّحمن ما أفاده بالرّحيم، و لا لقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ لأنّه إن كان حمد نفسه فأىّ فائدة فى حمده لنفسه، و إن كان أراد الأمر بحمده فألا قال: قولوا الحمد للّه ربّ العالمين، فإنّه تعلّق باطل و ليس الأمر فيه على ما توهّموه، لأنّ فى قوله: بِسْمِ اللَّهِ إضمار كلام مقدّر قد حذف لأنّه قد عرف أنّ القصد به بسم اللّه أفتتح أو أبتدئ أو أستعيذ أو أستنصر و نحو ذلك، و لكن لما كثر استعمال ذلك و ما يقوم مقامه فى فواتح الكتب و الخطب و الرسائل و عرف الغرض فيه و مقصد العرب بقولهم فى مبادئ كتبهم: «باسمك اللهم» حذف ذكر الابتداء أو الافتتاح أو الاستعاذة و ما يقدّر فى هذا الكلام ممّا تتمّ به فائدة، لأنّه إن لم يقدّر ذلك لم يكن للقول: «بِسْمِ اللَّهِ» معنى و لا خبر فتنعقد به الفائدة، و هذا يسقط ما توهّموه. فأمّا قوله: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فإنّ ابن عباس قال فى تأويله: «إنّهما اسمان دقيقان أحدهما أدقّ من الآخر صاحبه، فالرّحمن الدّقيق و الرّحيم العاطف على خلقه بالرزق و الإنعام، و هما اسمان مشتقان من الرّحمة»/. و قد يجوز أن يكون إنّما كرّر الاسم باللفظين؛ لأنّ فى أحدهما من المبالغة ما ليس فى الآخر، لأنّ رحمان من أبنية المبالغة على وزن قولك شبعان و غضبان و ملآن إذا امتلأ غضبا و شبعا، فقال: «الرحيم» و هو اسم مشترك بينه و بين غيره لأنّك تقول: اللّه رحيم، و زيد رحيم، و مولى رحيم، ثم قال: «الرحمن» على وجه المبالغة، لأنّ رحمته وسعت كلّ شىء و لأنّ عنده من الرّحمة ما ليس عند خلقه ثم قال: «الرحيم» على وجه المبالغة أيضا، فإنّه بمعنى العاطف الرقيق على خلقه بالرزق و الانعام، و إن كانت الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۷ الرّقة منتفية عنه تعالى فوجب أن يكون إنّما كرّر الاسم المشتق من الصفة الواحدة بلفظين لمعنيين متزايدين مختلفين على ما بيّنّاه من قبل. و قد قيل إنّه إنّما كرّر قوله: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ على وجه التوكيد و تمكين المعنى المقصود و أنّه بمنزلة قوله تعالى: فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى [النجم: ۱۰]، و قوله: فَغَشَّاها ما غَشَّى [النجم: ۵۴]، و فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ [طه: ۷۸] و كلّ هذا على وجه التوكيد، على أنّه قد قيل إنّ قوله: فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ أى: غشى قوم موسى منه مثل ما غشى قوم فرعون فسلم قوم موسى من مثل ما هلك به قوم فرعون، و قيل: فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ أى: غشيهم

قدر منه دون جميعه، و قيل إنّه أراد أنّه أظلم منه قدر ما جعل ما تحته يبسا فمشوا فيه. و أمّا قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فإنّ فيه فائدة، و هو قول يحتمل أن يراد به الخبر بأنّ الحمد للّه، و إذا أريد به ذلك فمعناه أنّ المستحقّ للحمد و الشكر هو اللّه المنعم على جميع الخلق، و لكلّ نعمة أنعم بها أحد على أحد فأخبرهم بذلك أنّه هو تعالى مستوجب الحمد، و يحتمل أن يكون أمرا، و معناه إذا كان أمرا مضمرا و إن كان محذوفا، أي: قولوا الحمد للّه، و مثل ذلك قول الشاعر: وقفت يوما به أسائله و الدمع منى الحثيث يستبق/ يا ربع أنّى بقولهم سلكوا بأيّ وجه تراهم افترقوا يريد: أقول يا ربع، فحذف، و مثل هذا كثير فبطل ما توهّموه. فأمّا تعلّقهم بقوله: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ [الحشر: ۲۲- ۲۳]، و بقوله: الْحَيُّ الْقَيُّومُ [البقرة: ۲۵۵]، و هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ [الحشر: ۲۴]، و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص: ۱]، و قولهم: ما فائدة القول، إن كان الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۸ مدحا فهو قبيح، و إن لم يكن مدحا فما فائدته؟ فإنّه لا تعلّق فيه، لأنّنا نقول: هو مدح و إن لم يكن قبيحا لثلاث أوجه: أحدها: أنّه امتدح لغير اجتلاب منفعة و لا دفع مضرة، و ليس كذلك سبيل مادح نفسه منّا، و لذلك قبح أن يمدح نفسه. و الوجه الآخر: أنّه إنما يقبح المدح منّا بكل صفة لأنه لا بدّ أن يلحقنا نقص فيها، و البارى على غاية الكمال و التناهى فى أوصافه. و الثالثة: أنّه إنّما قبح أن نمدح أنفسنا؛ لأنّ غيرنا هو الجاعل لنا، و اللّه سبحانه لم يجعله جاعل على ما هو به من الصفات، فحسن منه لذلك مدح نفسه. و قد يجوز أن يكون قال ذلك ليعلّمنا كيف نمدحه و نثنى عليه لا ليمدح هو نفسه، و يجوز أيضا أن يكون قال ذلك الكلام فى معنى التكرار و فوائده. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ۴۴]، و قولهم: إن الموات و الجماد و الأعراض لا يجوز أن تسبّح، فإنّه لا تعلّق فيه لأنّه إنّما أراد بذلك و إن من شىء ناطق حىّ إلّا يسبّح بحمده، و لم يرد كلّ ما يقع عليه اسم شىء، و قد يجوز أن يكون أراد و إن من شىء ناطق مؤمن مصدّق إلّا يسبح بحمده، لأنّ الكافر و المجنون و الطفل أحياء ناطقون «۱» غير مسبحين له، و قد قيل إنّه أراد بالتسبيح فى هذه الآية الإخبار عن فاقته و حاجته إلى مدبّر يدبّره و مقيم يقيمه، فكأنّه قال: لو كان كلّ مخلوق يعرف نفسه و خالقه لسبّح بحمد خالقه، و اعترف بربوبيّته لموضع حاجته و افتقاره إليه.

(۱) ورد فى الأصل بقلم الناسخ: ناطقين، و الجادة: ناطقون، على أنها صفة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۰۹ و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة: ۷۴]، و قوله: وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ/ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ [النور: ۴۱]، و قوله: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ [الحج: ۱۸]، و قوله: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ [الرحمن: ۶]، و قوله: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [الحشر: ۲۱]، فإنّه لا تعلّق لهم فى شىء منه، و لا إحالة فيه بوجه. و ذلك أنّ قوله: لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً أى: لو أنزلناه على جبل يعقله و يسمعه لا نقضّ و تصدّع على ما هو عليه من عظمة و صلابة، و لو كان ممّن يعقل على وجه التقدير، و يمكن أن يكون أراد أنّنا لو عقّلنا الجبل و أسمعناه القرآن لا نقضّ و تصدّع من خشية اللّه. فأمّا ما أخبر به من سجود الشمس و القمر و الجبال و الشجر و غير ذلك، و تسبيح هذه الأشياء فإنّما أراد به- و هو أعلم- الإخبار عن ذلّها و تواضعها، و الذلّ و التواضع الحاصل فيها إنّما هو فقرها و حاجتها إلى صانع يصنعها، و مدبّر يدبّرها و يقيم ذواتها، و لولاه لم تكن، و كذلك قوله: يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أى: أنّ فيه آثار الصنعة و دلائل الفاقة و الحاجة، فسمى بذلك هبوطا و خضوعا و سجودا و تسبيحا على هذا التأويل، و لم يرد السجود بالجبهة و التسبيح الذى هو النطق، قال جرير: لمّا أتى خبر الزّبير تضعضعت سور المدينة و الجبال الخشّع و قال ابن أحمر الشاعر: و عرفت من شرفات مسجدها حجرين طال عليهما العصر بكيا الخلاء فقلت إذ بكيا ما بعد مثل بكاكما صبر الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۰ و الحجارة لا- تبكى و لا تخشع إلا على التمثيل و التقدير و الإخبار عن عظم الأمر و أنّه ممّا تهدّ الجبال و تبكى له على وجه التعظيم للشأن. و قال آخر «۱»:/ ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف أصمّ المستمع و لم يرد سجود الجبهة. و قال أمية: سبحان من سبّحت طير الفلاة له و الرّيح و الرّعد و الأنعام و الكفر يعنى بالكفر مواضع الرهبان، و هى الصوامع، و قال أيضا: هو الذى سخّر الأرواح ينشرها و يسجد النجم للرحمن و القمر و إنّما أراد بذلك ما

قدّمناه من الفاقة و الحاجة إلى الصانع الحكيم. و يمكن أيضا أن يكون إنّما أراد بقوله: يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، و قوله: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ، أى: لو رأى ذلك المسخّر المتدبّر بحاله و حاجته إلى صانع يقيمه لسجد للّه و لسبّحه و لهبط عند التأمل و الفكر من خشية اللّه الخالق، كذلك لما فى ذلك من أوضح الأدلّة و البراهين، قال الشاعر: أمّا النّهار ففى قيد و سلسلة و الليل فى جوف منحوت من الساج يعنى بذلك أنّ من فى النّهار و فى الليل على هذه الصفة و اللفظ للّيل و النهار و المراد به غيرهما.

(1) هذا الشاعر هو سويد بن أبى كاهل، يصف عدوا له بأنّه ذليل. «تفسير الطبرى» (1: 365). الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: 711 قال الطرماح «1»: و أخو الهموم إذا الهموم تحضّرت جنح الظلام و ساده لا ترقد فجعل الوسادة لا ترقد، يريد أنّ من عليها لا يرقد لطرق الهموم قلبه و فكره، فكذلك إنّما ذكر اللّه تعالى هذه الأشياء، و وصفها بهذه الصفة، و هو يريد بذلك الوصف لغيرها الذى يشاهدها و يعتبر بها، و يفكّر فى خلقها، و هذا أيضا ليس ببعيد، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموه من سقوط معنى هذا الكلام و حصول الإحالة فيه. و قد ذكروا أنّ ممّا لا معنى له فى القرآن قوله تعالى:* يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة: 67]، قالوا/: و قد علم كلّ سامع لهذا الكلام أنّه لا معنى لقوله: «بلّغ و إن لم تبلّغ فما بلغت»، و أى فائدة فى أن يقال لمن لم يبلّغ الرسالة: أعلم أنّك إن لم تبلغ فما بلغت. يقال لهم: فى هذا أجوبة: أحدها: أنّه إنّما أراد بقوله تعالى- و هو أعلم- «فإن لم تفعل ما بلغت رسالته» أى لم تبلغ كلّ ما أرسلت به على كماله و تمامه و ترك الكتمان و الطىّ لشىء منه، و لم يرد بقوله: فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ فى الشىء الذى لم يبلّغه بعينه، فإنّ ذلك أمر معلوم على ما وصفتم، و إذا كان ذكر الرسالة مجملا معرّضا لأن يراد به كلّ الرسالة على الاستيفاء لها و الاستيعاب، و أنّه يعنى به البعض منها دون جميعها كان حمل الآية على هذا التأويل صحيحا ممكنا، و أن يكون إنّما حثّ على تبليغ الرسالة فى شىء بعينه أوحى إليه، قيل له فيه

(1) هو الطّرماح بن حكيم. الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: 712 إن لم تفعل ذلك فما تحمّلت عن اللّه سبحانه كلّ ما أمرك به و لا أدّيت جميع رسالاته، و هذا واضح من التأويل و باللّه التأييد. و جواب آخر و هو: أنّه يمكن أن يكون المراد بقوله تعالى: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ أى: فما تستحقّ ثوابا و لا جزءا على أداء ما أدّيته منها إذا أخللت بأداء شىء من جميعها، كما يقول السيد لعبده و المستأجر لأجيره: ابن دارى هذه و على شرفها و إن لم تعلّ الشّرف منها فما عملت شيئا و لا ثواب لك على عملك، و هو ليس يعنى بقوله: فما عملت إلا إسقاط الاعتقاد بما عمله، و هذا أيضا بيّن فى جواب ما تعلّقوا به. و جواب آخر هو: أنّه يحتمل أن يكون المراد بقوله: بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هو المراد بقوله: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ أى: تبلّغه تبليغا شائعا ذائعا مكشوفا تقوم به الحجّة، و ينقطع به العذر، و يؤثّر فى النفس التأثير الذى يقع معه العلم بصحته و لذلك قال: «اصدع» لأنّه عنى به شدّة البلاغ و كشفه على وجه يؤثّر تأثير الصّدع فى الزجاج و غيره ممّا يتصدّع/ و ينكسر، فكأنّه سبحانه قال له: بلّغ ما أنزل إليك من ربّك بلاغا ظاهرا، و أراد بقوله: وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ، أى: إن لم تظهر، و أدّيته خفيّا مكتوما فما بلّغت البلاغ الذى قيل لك بلّغه «1» و هذا أيضا واضح فى إسقاط ما تعلّقوا به. و قد طعنوا أيضا فى القرآن و فى تصديق الرسول صلّى اللّه عليه بقوله: وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً [آل عمران: 97]، قالوا: و قد قتل فيه الخلق من عبد اللّه ابن الزبير و غيره، و لعلّ الخوف و القتل فيه و فى المسجد فى كثير من الأوقات كان أكثر و أظهر منه فى غيره، فهذا كذب لا محاله- زعموا- و هذا

(1) فى الأصل فى هذا الموضع ورد لفظ عليه، و يبدو أنّه لا داعى له .. الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: 713 باطل لا تعلّق لهم فيه، لأنّه لم يرد بذلك الإخبار عن حصول الأمر، و إنّما هو كلام صورته الخبر، و المراد به الأمر كأنّه قال تعالى: ليكن من دخله آمنا غير مخوف، و هو جارى مجرى قوله: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ [البقرة: 228] و صيغته الخبر، و المراد به ليتربصن المطلقات بأنفسهن ثلاثة قروء، و قد لا يفعلن

ذلك و يعصين بترك التربّص، لأنّ هـذا القول ليس بخبر عن حصول ذلك منهن، و إنّما هو أمر ورد بصيغة الخبر فزال ما توهّموه. و قد يمكن أن يكون خبرا عن الأمان من عذاب الآخرة و سوء النكال إذا دخله خائفا للّه و خاشعا له و نادما على تفريطه و متقرّبا بذلك إلى وجهه تعالى بعد المهاجرة من داره و بلده، و لم يرد أنّه آمن من ظلم الخلق، أو من إقامة ما يجب عليه من قصاص و قود و حدّ، و قد يمكن إن كان خبرا عن حصول الأمر أن يكون أراد به وقتا مخصوصا و عاما مخصوصا و ناسا مخصوصين، فيكون صيغته العموم و المراد به الخصوص إن ثبت للعموم صيغة. فأمّا طعنهم فى القرآن بقوله: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ [البقرة: ۴۶] و إنّ فى هذا مدحا لهم على الظنّ للقاء ربّهم، و الظنّ- زعموا- شكّ و ضدّ اليقين، و هم بذمّهم لأجل ظنّهم لذلك/ و شكّهم فيه و ترك العلم به أولى بالمدح. و الجواب عنه: أنّه أراد تعالى بذكر الظنّ هاهنا اليقين؛ لأنّ الظنّ يكون بمعنى اليقين، و منه قوله تعالى: وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها [الكهف: ۵۳] يريد تيقّنوا ذلك و تحقّقوه، و منه أيضا قوله: وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (۲۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ [القيامة: ۲۴- ۲۵]، يريد تتيقّن المفاقرة، و ترى و تشاهد العذاب غير أنّه لما ذكر رؤية المؤمنين لربّهم باسم النظر ثم ذكر الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۴ رؤية الكافرين للعذاب و ما يقع به النّكال عبّر عن رؤيتهم بذلك بغير اسم النظر فقال: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ [القيامة: ۲۵]، أى: ترى العذاب و ما يقع به و تتيقنه، و قول من قال: إنّ الظنّ لا يكون بالوجه باطل، لأنّه إذا كان بمعنى اليقين و رؤية البصر كان واقعا بالعين التى فى الوجه. قال الشاعر «۱»: فقلت لهم ظنّوا بألفى مدجّج سراتهم فى الفارسىّ المسرّد أراد أن أيقنوا بذلك و اعلموه. و قد طعنوا أيضا فى القرآن بقوله سبحانه: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: ۸۳]، قالوا: و هذا نقض ظاهر و إبطال للمعنى المقصود بالكلام، لأنّه استثنى بقوله: إِلَّا قَلِيلًا بعض من أخبر بفضله عليه و عصمته له التى لأجلها نجى من سلم من اتباع الشيطان، و إذا جعل فضله عليهم هو المانع لهم من اتباع الشيطان، فكيف يتّبعه قليل ممن تفضّل عليه و رحمه، و إن جاز أن يتّبع بعض من عليه فضله و رحمته للشيطان، فلم لا يجوز اتباع جميع من تفضّل عليه و رحمه الشيطان؟ و هذا هو الإحالة و الإفساد لمعنى الكلام، و الإفساد لمعنى الكلام، و إثبات التفضّل و الامتنان. فيقال: الاستثناء فى هذا الموضع بقوله: إِلَّا قَلِيلًا لم يرجع إلى أقرب المذكور إليه فى الآية، إنّما رجع إلى المذكور المتقدّم قبل الذى يليه، لأنّ اللّه سبحانه قال: وَ إِذا جاءَهُمْ/ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء: ۸۳]، ثمّ عقّبه بقوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا

(۱) هو دريد بن الصمة، الشاعر المعروف. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۵ [النساء: ۸۳]، فقوله إِلَّا قَلِيلًا إما أن يكون استثنى من قوله لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إلا قليلا لا يستنبطون و لا يعلمون لتركهم الاستنباط، أو لمقاربة معنى استنباطهم من إفساد له باستثقال الحقّ، أو تخليط فيه بتقديم أو تأخير و طلب الغلبة، و ما جرى مجرى ذلك، فكأنّه قال: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليل لا يستنبطون فلا يعلمون، أو إلا قليلا يستنبطون استنباطا فاسدا فلا يعلمون. أو أن يكون استثنى من قوله: وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ إلا قليلا منهم إذا جاءهم ذلك لا يدفعونه، فيردّ الاستثناء فيه إلى المذكور المتقدّم، و الاستثناء فى الكلام ربّما رجع إلى أقرب المذكور و هو الذى يليه، و ربّما رجع إلى جميع الجملة المقدّم ذكرها، و ربّما رجع إلى أبعد المذكور منها إذا وسعه، و إنّما يجب إيقافه على حكم الدليل لموضع الاحتمال لردّه إلى كلّ شىء من ذلك، و قد بيّنا ذلك و أوضحناه فى كتاب «جامع الأبواب و الأدلة»، و استقصينا القول فى الأصول الشرعية و فى غيره من أصول الفقه بما يغنى الناظر فيه إن شاء اللّه. فأمّا تعلّقهم بقوله: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ [يونس: ۹۴]، و أنّ هذا نقيض ما وصف به سائر رسله من أنّهم أعلم الخلق به، و أعرفهم بصدقه و صفاته، و أنّهم مختارون و مصطفون على علم على العالمين، فإنّه لا تعلق لهم فيه من وجوه. أولها: أنّ هذا القول ليس بخبر عن حصول شكّه عليه السلام فيما أنزل عليه و إنّما هو تقرير له و تنبيه أنّه منزل على غيره أيضا، و قد يقول القائل لمن يعلم أنّه لا شكّ عنده فى الأمر، و لا/ ريب: فإن كنت فى شكّ ممّا أنزله و أخبر به فسل غيرى و سل الناس عنه، و سيما إذا كان يريد بذلك

إظهـار الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۶ صـدقه بحضـرة من ينكر ذلك و يـدفعه، و ربّما قال له ذلك فى الأمر الشائع الـذائع ليجعل له طريقا إلى سؤال الناس و إخبارهم بما عنـدهم من العلم فى ذلك الأمر ليزول ذلك الشكّ و يقوى سـلطان الحجّـة، و تبطل الشـبهة. و القوم أعنى قريشا، و من خالف الرسول كانوا يقولون له فيما نقلوه إفك افتراه، و إفك مفترى و محـدّث و مجنون، و إن هـذا إلا خلق الأوّلين، و شـاعر مجنون، فقـال له: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَـكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْـئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ، ليجعل له ذريعـة إلى ذلك، و مطالبـة علمائهم مثل عبد اللّه بن سـلام و غيره بما فى كتابهم من ذلك تصديقا لقوله أنّنا قد أبنّا بذلك من كان قبلك، و لم يقل إنّك شاك فيما أنزل عليك. و يوضّـح هذا أيضا أنّ القائل قد يقول لمن يعلم بتيقّنه ظلم زيد و جهله و تخليطه و أنّه لا شكّ فى ذلك: إن كنت فى شكّ من ظلم زيد فعامله لتنظر، و إن كنت فى شك من تخليط فلان و خبطه فقاوله و ناظره، و إن كنت فى شـكّ من هول البخر فـاركبه، و إن كنت فى شـكّ من جود فلان أو بخله فمن يعرف حاله فسـله و التمس منه لتعلم ردّه أو إجابته، فى أمثال هذا ممّا قد ظهر اسـتعماله بينهم، فعلى هذا الوجه ورد قوله: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ. و قد يمكن أن يكون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ظنّ أنّ بعض ما أنزل إليه من العبادات أو بعض ما قصّ عليه قد أنزل على موسـى، و أحبّ اللّه أن يقطع شكّه فى ذلك فقال: فإن كنت فى شـكّ ممـا أنزل إليـك فى أنّه منزل على موسـى و من كـان قبلـك فسـلهم عن ذلك ليخبروك عنه، فيزول شـكّك، و قـد يكون من مصالحه و مصالح أمّته أو بعضـها الأمر بسؤال/ أهل الكتاب عمّا يشكّ عليه السـلام فى أنّه منزل عليهم، و ربّما كان ذلك تقوية ليقين غيره إذا عرفه، فلم يرد بـذلك الشكّ فى أنّه من عنـد اللّه، و إنّما أراد الشكّ فى أنّه منزل على غيره أم لا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۷ و قد يجوز أيضا أن يكون أنزل عليه جملة قصة و عبادة مجملة أخّر عنه بيانها إلى وقت الحاجة، و قد بيّن تفصـيلها و شـرح تلك القصـة فى كتـاب موسـى، فقال له: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ يعنى فى شكّ من تفصـيله، فارجع فى ذلك إلى أهل الكتاب فإنّنى قـد أنزلت تفصـيل ذلك عليهم، و ليس هـذا من الشكّ فى أنّ ما أنزل عليه منزل من عنـد اللّه بسبيل. و قد يجوز أن يكون أراد بقوله: فَـإِنْ كُنْتَ فِي شَـكٍّ أى إن كان قومك أو بعضـهم فى شكّ فسل أهل الكتاب ليخبروهم بمثل ما تخبرهم به فيؤمن عنـد ذلك من كان إخبارهم إياه به لطفا له، فيكون ذاكرا للنبى صـلّى اللّه عليه و المراد به غيره، و على نحو هـذا ورد قوله: لَئِنْ أَشْـرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [الزمر: ۶۵]، الخطاب له فى الظاهر و المراد به غيره الشاكّ فزال بذلك ما قدحوا به. فأمّا تعلّقهم بقوله عز و جل: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَـنَةٍ [السجدة: ۵]، و أنّه مناقض لقوله: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِـينَ أَلْفَ سَـنَةٍ [المعارج: ۴]، فإنّه باطل لأنّه أراد بقوله ألف سـنة، أنّ جبريل ينزل من السـماء و يصـعد إليها فى يوم، و مقدار سيره مسيرة ألف سـنة من سنى خمسمائة البشـر فى الدنيا، لأنّ ما بيننا و بينها مسيرة خمسمائة عام، فلذلک قال تعالى و هو أعلم: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَـنَةٍ [السجدة: ۵]، يعنى مقدار سيركم له لو سـرتموه ألف سنة، و قوله: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ فإنّما أراد به- و هو أعلم- يوم القيامـة، و أنّ اللّه سـبحانه يحـاسب جميع الخلق فيه، و مقـدار حسـاب جميع الخلق لو تولّاه غير اللّه خمسـين ألف سـنة من/ أيـام الـدنيا، و لـذلك قال عز و جل فى آخر الكلام: وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ [الأنعام: ۶۲]؛ لأنّـه يحاسب فى ذلك اليوم وحـده قدر زمن تحاسب الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۸ الخلق فى مدة خمسـين ألف سـنة، فصار لذلك أسرع الحاسبين، و قد روى عن عبد اللّه بن عباس أنّه قال: قوله: أَلْفَ سَنَةٍ يعنى به نزول جبريل من السماء إلى الأرض، و قوله: مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يريد قدر نزوله من العرش إلى الأرض و صـعوده إليه، لأنّ ما بين العرش إلى الأرض أضـعاف ما بين السـماء إلى الأرض». و قد يجوز أن يكون عنى بقوله- و هو أعلم- خمسـين ألف سـنة، أنّ النـاس يلحقهم من الشـدّة و الهول أمر عظيم كما يقول القائل كأنّ يومنا هـذا سـنة، و كـانت ليلتى شـهرا يعنى بـذلك مـا نـاله فيها من الشـدة، فيعبّر عن ذلك بالطول. فأمّا ادّعاؤهم التناقض فى قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ [الشعراء: ۲۸]، و رَبُّ الْمَشْـرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [الرحمـن: ۱۷]، و بِرَبِّ الْمَشـارِقِ وَ الْمَغـارِبِ [المعارج: ۴۰]، فـإنّه باطل من وجوه: أحـدها: أنّه يمكن أن يكون أراد بالمشـرق و المغرب اسم الجنس العـامّ لكلّ مشـرق و مغرب، فيكون المشـرق و المغرب على هذا التأويل هما المشارق و المغارب و هذا نحو قوله: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ [العصر: ۲]، و قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ [عبس: ۱۷]، و الإنسان

و نحو ذلك مما يراد به الجنس دون الواحد. و قد يتأوّل الناس ذلك على تأويل صحيح لا ـ تناقض فيه، و هو أنّه إنّما أراد بربّ المشرق و المغرب اليوم الذى يستوى فيه الليل و النهار، فتشرق الشمس فيه فى مشرق واحد فى ذلك اليوم، و تغرب فى مغرب واحد أبدا فى ذلك اليوم إلى أن تعود إلى الشروق و الغروب فيهما لا يعود إلى مثلهما إلا بعد حول فى ذلك اليوم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۱۹ فأما قوله: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [الرحمن: ۱۷] و أنه عنى أطول يوم فى السنة يشرق فيه/ فى مشرق و تغرب فى مغرب و لا تعود إلى مثلها إلا بعد سنة، و الآخر أقصر يوم فى السنة تشرق فيه فى مشرق و تغرب فى مغرب لا تعود إلى مثلها إلا بعد سنة، و أما قوله: بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [المعارج: ۴۰]، فإنّما أراد به مشارق أيام السنة كلّها و مغاربها، لأنّها تطلع كلّ يوم فى مشرق غير المشرق الذى تطلع فيه فى اليوم الثانى و كذلك غروبها تغرب كلّ يوم فى مغرب غير المغرب الذى غربت فيه قبله، و علوّ الشمس و دنوّها من العالم، و قربها و بعدها و حرّ الزمان و برده و اعتداله أحد الأدلّة على اختلاف مغاربها و مشارقها، و هذا واضح فى إبطال ما ظنّوه من التناقض و الاختلاف. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً [طه: ۱۰۳]، و إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً [طه: ۱۰۴]، و إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا [المؤمنون: ۱۱۴]، و ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ [الروم: ۵۵]، و ادّعاؤهم الاختلاف و التناقض فيه، فإنّه باطل لأنّهم لما خرجوا من قبورهم و رأوا ما (كانوا) «۱» يكذّبون من النشور قال بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عشرا، ثم استكثر بعضهم العشر فقال: إن لبثتم إلا يوما، و قد دلّ على ذلك قوله: يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً [طه: ۱۰۳]، ثم قال: نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً [طه: ۱۰۴] ثم شكّوا فى اليوم، فقيل لهم: كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (۱۱۲) قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ [المؤمنون: ۱۱۲- ۱۱۳] ثم استكثروا ذلك فقالوا: إن لبثتم إلا قليلا، ثم استكثروا ذلك فحلفوا ما لبثوا غير ساعة، و الاختلاف فى القول و التلوّن إنّما يكون من الكفّار و مكذّبى البعث يوم الحساب، لاختلاف ظنونهم و شدّة

(۱) فى الأصل: ما كان، و الصواب: ما كانوا. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۰ ما يمرّ بهم، و هذا يلحق الناس مع الأمن و السكون، أعنى السكون و اختلاف الظنون، فكيف به مع الحيرة و الهول. فأما تعلّقهم بالتناقض عندهم فى قوله: ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا ـ عِلْمَ لَنا [المائدة: ۱۰۹]، و أنّه نقيض قوله: فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً [النساء: ۴۱]، و قوله: لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ/ شَهِيداً [البقرة: ۱۴۳]، و نحوه فإنّه باطل، لأنّه روى أنّ اللّه عز و جل يسأل الرسل عند زفرة جهنم الرابعة و غلبة الجزع و الفزع على قلوبهم و زوال الذّكر عنهم و شغلهم بأنفسهم، فيقولون عند ذلك: لا علم لنا، ثم تسكن جهنم و يزول عنهم الرّوع و الفزع، و يعود الذّكر و العلم فيشهدون عند السكون و زوال الرّوع على أممهم، و قد يلحق الناس ذلك عند شدّة الموج و عصوف الرياح و ظهور الزلازل، و السواد و الصواعق و الآيات و الأمور المخوّفة، فينقطعون بذلك عن التميز فكيف بهم عند هول يوم القيامة و زفير جهنم و رؤيتها؟ و أمّا تعلّقهم بتناقض قوله: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [المرسلات: ۳۵- ۳۶]، و قوله: يَتَساءَلُونَ [الصافات: ۲۷]، و يَتَلاوَمُونَ [القلم: ۳۰] و نحوه، فقد أجبنا عنه بأنّه تارات ينطقون فى بعضها و لا ينطقون فى البعض، و يمكن أيضا أن يكون عنى بذلك أنّهم لا ينطقون فيه بعذر و لا حجّة، و العرب تقول واقفت فلانا على جرمه، و ما صنع، فما تكلّم و لا تنفّس و لا اعتذر، يعنون بأنّه ما تعلّق بحجّة و عذر، و كذلك يقولون: نوظر فلان فيما يقوله و يدين به فما أتى منه بكلمة و لا حرف، يراد بذلك كلمة احتجّ بها و حرف دلّ به على مذهبه، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما ظنوه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۱ و كذلك الجواب عن قوله: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ [المؤمنون: ۱۰۱]، يعنى عند القيام من القبور لشدة الرّوع، فإذا اختلطوا و امتزجوا و طال الوقوف تكلّموا و تساءلوا و تلاوموا، و إذا دخلوا أيضا جهنّم تلاعنوا كما أخبر فقال: كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها [الأعراف: ۳۸]. و كذلك الجواب عن قوله: اخْسَؤُا فِيها [المؤمنون: ۱۰۸] يعنى فى وقت منها ثم ينطقون بعد ذلك من شدّة العذاب فيقولون ربّنا أخرجنا منها، و ارجعنا نعمل صالحا/، و غير ذلك مما حكاه عنهم تعالى، و قد يمكن أن يكون أراد لا يتكلّمون بعذر و لا يحتجون بحجّة، و كذلك لا ـ يتساءلون و لا ـ ينطقون بحجّة، و لكن بالتلاوم و التوبيخ و النّدم و التأسّف على ما كان منهم. فأمّا تعلّقهم بما ادّعوه من

التناقض فی خلق آدم من قوله: خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ [آل عمران: ۵۹]، و قوله فی موضع آخر: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ [المؤمنون: ۱۲]، و قوله فی موضع آخر: مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ [الرحمن: ۱۴]، و قوله فی موضع آخر: مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: ۲۶]، و فی موضع آخر: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ [السجدة: ۶]. و قولهم إنّ هذا غاية التناقض و التضادّ، فليس الأمر على ما ادّعوه، و ذلك أنّ اللّه سبحانه خلق آدم من تراب أحمر و أبيض و أسود و غير ذلك على ما وردت به التفاسير، فلذلك اختلفت ألوان ذريته، ثمّ بلّ ذلك التراب بماء فصار طينا ثم صار سلالة يعنى لازقا إذا عصر ينسلّ من بين الأصابع، ثم خمّره فأنتن فصار حمأ مسنونا فخلق من الحمأة بعد تنقّل أحوال الطين، فلما صوّر جسمه قبل أن ينفخ فيه الروح جفّ و يبس فصار صلصالا كالفخار يابسا إذا ضرب سمع له صلصلة، ثم نفخ فيه الروح فصار إنسانا. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۲ فأمّا قوله: مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ [السجدة: ۸] فلم يعن به آدم، و إنّما أراد به ذريته أوّل إنسان خلق منهم، خلق من نطفة آدم و حواء ثم كلّ أولادهم من نطفة إلا عيسى بن مريم. فأمّا تعلّقهم بقوله: وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳]، و أنّه نقيض قوله: وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً [النساء: ۴۲]، لأنّهم إذا حلفوا له أنّهم غير مشركين فقد كتموه حديثا، و أىّ حديث، فإنّه لا تعلّق لهم فيه، لأجل أنّ اللّه ضمن للموحّدين غفران ما دون الشرك إن شاء، و التجاوز عنهم، و الجزاء على إيمانهم، فلمّا رأى المشركون الصفح عنهم، و ذكروا ضمان اللّه الغفران لهم قال بعضهم لبعض إذا سألنا حلفنا أنّا لم نكن مشركين حتى يتجاوز عنّا و ذلك قوله: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ/ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ [المجادلة: ۱۸]، فلمّا اجتمعوا قال لهم تعالى: أين شركائى قالوا عند ذلك: وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳]، فلمّا كتموا الشرك الذى كانوا عليه فى الدنيا ختم اللّه عند ذلك على أفواههم و أنطق جوارحهم فتشهد بالشرك عليهم فيودّون أن الأرض انشقت بهم، و لم يكتموا اللّه ما دانوا به من الشرك. و يمكن أيضا أن يعنى بقوله: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ [النساء: ۴۲] «۱» من شدة الهول و الجزع، ثم ابتدأ فقال: وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً [النساء: ۴۲]، لأنّه عالم به و لا يقدرون على كتمان ما هو أعلم به منهم، و يمكن أن يكون أراد أنّهم يحلفون أنّهم ما كانوا عند أنفسهم مشركين باللّه أى أننا كنا نظنّ أنّنا على الحقّ، و كنّا غير متعمّدين للشرك، و ذلك أنّ ما حلفوا عليه غير نافع لهم و لا مقبول منهم، لأنّهم كانوا بصفة من يصحّ علمهم بباطلهم و يتأتى لهم متى أرادوه و قصدوه. (____ ۱) هكذا الآية، و قد وردت فى الأصل: «يودون لو تسوّى بهم الأرض»، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۳ فأمّا تعلّقهم فى قوله تعالى فى قصة موسى: وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف: ۱۴۳]، فإنّه أراد المصدّقين بأنّ أحدا لا يراك فى الدنيا، لأنّه قال: تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ يعنى من سؤاله الرؤية، و القصة تشهد بذلك، و التوبة هاهنا الرجوع عن المسألة فقط، لا على أنّ ذلك ذنب قبيح تجب التوبة منه، و النّدم عليه الذى هو الإقلاع عن الذنب، و قوله فى قصة السّحرة: أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ [الشعراء: ۵۱] يعنى المصدّقين بموسى و نبوته، و ما جاء به، و قوله فى قصة محمد صلّى اللّه عليه: وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: ۱۶۳] يعنى أنه أوّل المسلمين من أهل مكة، فلا تناقض فى ذلك و لا تضادّ. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ [غافر: ۴۶]، و أنّه نقيض قوله: فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ [المائدة: ۱۱۵]، فإنّه غير متناقض لأنّه عنى- و هو أعلم- أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب الذى هو عذاب الدخول من الباب الذى يدخلون منه/ إلى جهنم، و قوله: فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ يعنى بالمسخ لهم خنازير و لم يعذّب بذلك فى الدنيا أحدا غيرهم، و قوله فى المنافقين: إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: ۱۴۵] فيمكن أن يكون آل فرعون و المنافقين جميعا فى أشدّ العذاب بأن يدخلوا جميعا من باب واحد و يحصلوا فى درك جهنم، فما الذى يمنع من ذلك؟ و قد يمكن أن يكون الدرك الأسفل فيه مراتب و طبقات من العذاب آل فرعون فى أشده، و المنافقون فى قريب منه، و قوله: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ [الغاشية: ۶]، و غِسْلِينٍ [الحاقة: ۳۶]، و شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ [الأنعام: ۷۰]، و إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (۴۳) طَعامُ الْأَثِيمِ [الدخان: ۴۳- ۴۴]، فإنّه غير الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۴ متضاد لأنّه طعام أهل طبقات جهنم و أحوالهم مختلفة و كذلك الحميم و الغسلين لأهل طبقتين، و قد يجوز أن يكون الغسلين من الحميم و الضريع من شجرة الزّقوم فلا يكون فى ذلك تناقضا و لا تنافيا. فأمّا تعلّقهم

بقوله: وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ [محمد: ١١]، و أنّه نقيض قوله: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ «١» [الأنعام: ٦٢]، فإنّه غير متناقض لأنه أراد لا ناصر لهم من دون اللّه، و منه قوله: فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ [التحريم: ۴]، و قوله: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ [الأنعام: ٦٢]، فلأنّهم اتّخذوا مواليا عبدوهم و عنوهم و قلّدوهم، فلمّا حشروا وراءهم خذلوهم و تبرّءوا منهم، و لم ينفعوهم، فقال اللّه: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ فلا تناقض فى ذلك. فأمّا تعلّقهم بقوله: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ [التوبة: ٧١]، و أنّه مخالف لقوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا [الأنفال: ٧٢]، فإنّه ليس على ما ظنّوه لأنّ الولاية الأولة ولاية الدين و النّصرة و المحبّة فى اللّه، و الولاية الثانية ولاية المواريث، لأنّ اللّه كان حكم فى بدء الإسلام بقطع المواريث بين من لم يهاجروا جميعا، فإن مات مسلم غير مهاجر ردّ ماله على من هاجر من المسلمين دون أهله/ و أقاربه حثا و حضّا على الهجرة، فلمّا كثر الإسلام و استقلّ الناس و استغنى المهاجرون و أثروا ردّ اللّه المواريث بين الأهل هاجروا أو لم يهاجروا، فسقط بذلك ما قدّروه من التناقض. فأمّا تعلّقهم بقوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ [الأنعام: ١٠٣]، و أنّه نقيض قوله: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ [القيامة: ٢٣]، فإنّه باطل لأنّه أراد أنّها لا تدركه فى الدنيا، و قوله إلى ربها ناظرة يومئذ و هو يوم القيامة، فلا تناقض فى ذلك و لا

(١) فى الأصل: وردوا، و الصواب: «ثم ردوا إلى اللّه». اه. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٧٢٥ اختلاف، و قد بيّنا الكلام فى الآيتين و جميع ما يمكن أن يقال فيهما فى الكلام فى الأصول بما يغنى الناظر فيه إن شاء اللّه. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً [النساء: ١٧]، وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً [الأحزاب: ٢٥]، و سَمِيعاً بَصِيراً [النساء: ٥٨]، و أنه نقيض قوله: وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام: ١٠١]، و عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ١٠٦]، لأنّ قوله «كان» موضوع لما مضى و باد و انقضى، و قوله وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و نحوه يقتضى وجوده فى هذا الوقت، و كونه عالما و على هذه الأوصاف، و ذلك مختلف متضاد، فإنّه لا تعلّق لهم فيه، لأنّ لفظة كان موضوعة لما مضى و سبق و تقدّم، و قد يكون ما هذه سبيله باقيا و قد يكون معدوما منقضيا، لأنّ الجالس فى مكانه قد يقول: كنت جالسا من أول النهار، و كنت ذاكرا لما تجاريناه عند لقاء زيد، و هو لا يعنى بذلك أنّه كان جالسا و قام ذاكرا ثم نسى و ذهب ذكره، و إنّما يعنى تقدّم جلوسه و ذكره، و كذلك لو قال كانت الشمس منذ أوّل الدهر، و كانت السماء يوم ابتدئ العالم، و نحو هذا لم يوجب بذلك اللفظ تقضّيهما، و عدمهما بعد الكون السابق، و إنّما يوجب بذلك سبقهما و تقادم وجودهما و نفى حدوثهما فى هذا الوقت، و كذلك قوله: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً، و قَوِيًّا عَزِيزاً، و سَمِيعاً بَصِيراً، أنّه لم يزل على هذه الأوصاف و أنه لم يستحدثها و لم يتجدد له و ليس/ يوجب ذلك عدمه بعد تقدّمه و خروجه عن هذه الصفات بعد ثبوتها، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهموه. و قد يقال كان زيد موجودا، و كان مرضه شديدا، و كان ماله كثيرا و يعنى بذلك أنّه كان و عدم و تقضى بلفظة «كان» التى تفيد التقدّم و سبق ما جرى فى وصفه، ثم قد تقدّم الدليل على عدمه، و قد لا يكون معدوما. الإنتصار للقرآن، ج٢، ص: ٧٢٦ فأما تعلّقهم بقوله: نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ [الزخرف: ٨٠]، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ [آل عمران: ٥] و نحوه، و أنّه نقيض قوله: وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ [آل عمران: ٧٧] فإنّه باطل لأنه عنى بالأول أنّه عالم و أنّه سميع بصير لا تخفى عليه الأوصاف و المرئيات و لا تستر عنه بعض المعلومات، و أراد بالثانى نظر التعطّف و الرحمة، من قولهم فلان لا ينظر لنفسه و عيلته، يراد أنّه لا يتعطف عليهم و لا يرحمهم، و ليس هو من نظر الرؤية فى شىء. و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً [الإنسان: ٢۴]، و أنّه نقيض قوله: وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا [الكهف: ٢٨]، لأنّ الآثم و الكفور ممن أغفل قلبهما عن ذكره و فى الآية الأولى تخيير له فى أن لا يطيع الآثم إن شاء أو الكفور فإنّه باطل، لأنّ أو فى هذا الموضع بمعنى الواو، لا بمعنى التخيير، و هو مثل قوله: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: ١۴٧] يعنى و يزيدون، و منه قولهم: ما أكره أن يأكل طعامى أو يلبس ثيابى أو يتبسّط فى ملكى، و يركب مركوبى و ليس هو هاهنا واو تخيير و إنّما يريد أنّه لا يكره أن يأكل أو يلبس و يركب و قد مضى فى هذا من قبل و نحوه ما فيه مقنع. و أمّا قوله: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: ١١٦]، فإنّما يريد التقرير على ذلك ليكذبهم و تقوى الحجّة عليهم، و ليس يعنى به السؤال و الاستخبار، و كذلك قوله: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى

[طه: ۱۷]، إنّما هو تقوية لإظهار ما يريد فيها من الأعجوبة، و قد قيل إنّ عيسى عليه السلام/ لم يعلم ما أحدثوا بعده من الكفر بعبادته، فقال له ذلك ليقول لا، فيعلمه أنّهم قد عبدوه بعده. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۷ فأما تعلّقهم بقوله تعالى: ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ [الأعراف: ۱۲]، و أنّه نقيض قوله و أمره بالسجود لأنّه تفنيد له على أن لم يسجد، و هو قد أخبر فى هذه الآية أنّه قد أمره أن لا يسجد فكيف يلومه على أن لا يسجد، فإنّه باطل لأنّه إنّما عنى أن لا يسجد أن يسجد، لأنّهم يقولون ما منعك ألا تجيبنى و تتبعنى إذا خفت، يريدون ما منعك أن تجيبنى و تتبعنى فيدخلون لا و إلا زائدا فى الكلام، قال الشاعر: و ما ألوم البيض ألّا تسخرا إذا رأين الشّمط القفندرا يعنى: لا ألومهنّ إن يسخرن إذا رأين الشّيب. و أمّا تعلّق الملحدة و القدرية بقوله تعالى: وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً [العنكبوت: ۱۷]، وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ [المائدة: ۱۱۰]، و إِنْ هذا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ [الشعراء: ۱۳۷]، و فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [المؤمنون: ۱۴]، و أنّ ذلك أجمع على زعم الملحدة خاصة نقيض قوله: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ [فاطر: ۳]، وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ [النحل: ۲۰]، و قوله: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ [الرعد: ۱۶]، فإنّه باطل لا تعلّق فيه لأنّ الآيات الأولة كلها وردت لنفى الخلق و الإبداع و إكذاب من قال إنّه أو بعض من يعبده يخلق و يبتدع و يخترع و هو بمثابة قوله: مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ [القصص: ۷۲]، و أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ و نحوهما مما نفى به إله غير اللّه، و ليس يجب إذا وصل قوله: هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ [النمل: ۶۱]، بقوله: يَرْزُقُكُمْ [فاطر: ۳]، أن يكون إنّما نفى بذلك خالقا غير اللّه يرزق على ما تزعم القدريّة كما لا يجب إذا وصل قوله: مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ بقوله: يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ، أن يكون إنّما نفى إلها غير اللّه يأتى بليل، و لم ينف إلها لا يأتى بليل، لأنّ هذا ليس بقول لمسلم أنّه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۸ امتدح بنفى إله معه كما امتدح بنفى خالق و غيره معه على كل وجه، فلذلك قال: هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ [لقمان: ۱۱]، و لو كانوا/ يخلقون أجناسا و أعيانا من الأعراض لقالوا هذه الأشياء كلّها من خلق اللّه و هذه كلّها كخلق اللّه و مثله، فوجب أن يكون كلّ ما قدّموه من نفى خالق غير اللّه على النفى و المدح على الحقيقة. فأمّا قوله: وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً [العنكبوت: ۱۷]، فإنّما يعنى به أنّكم تختلقون كذبا، لأنّ الخلق يكون بمعنى الاختلاق الذى هو الكذب، و منه قولهم: حديث مخلوق يعنون مختلق متكذب و قوله: إِنْ هذا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ [الشعراء: ۱۳۷] إنّما هو حكاية عن قول الكفار فى القرآن، و إنّما عنوا به أنّه من كذب الأولين، و قوله: فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [المؤمنون: ۱۴]، إنّما يعنى به- و هو أعلم- أحسن المصورين تصويرا و أحسن المقدّرين تقديرا، لأنّ الخلق يكون بمعنى التصوير و التقدير، و كذلك التأويل فى قوله: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ [المائدة: ۱۱۰] يعنى تصوّر و تقدّر، و التصوير و التقدير قد يوصف به الخلق كما يوصف به الخالق، و ليس التقدير و التصوير من الإبداع و الإنشاء فى شيء، فإنّما نفى خالقا غيره مبدعا منشئا، و لم ينف مصوّرا و مقدّرا غيره، و ليس معنى المصوّر أنّه خلق الصورة و التصوير، و لا معنى المقدّر أنّه خلق الفكر و التقدير، و إنّما معناه أنّ له تقديرا و تصويرا، و هل هو خالق لما هو له من ذلك أو غير خالق له؟ معتبر بالدليل. قال الحجاج: أنى لا أهمّ إلّا أمضيت و لا أخلق إلا فريت يعنى: أقدر إلا أمضيت، و هذا التقدير فكر و روية و طلب للعلم بصواب العاقبة، و هذا غير جائز على اللّه سبحانه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۲۹ و قال الشاعر «۱»: و لأنت تفرى ما خلقت و بعض ال قوم يخلق ثم لا يفرى يعنى بذلك تقدّر ما تمضيه و تنفذه، و منهم من يقدّر و يفكّر و لا يمضى لتردّده و تشكّكه أو تهيّبه و رهبته، و ذلك أيضا غير جائز على اللّه سبحانه، و قال آخر: و لا نيط بأيدى الخالقين و لا أيدى الخوالق إلا جيّد الأدم/ يريد بأيدى المقرّبين و المصوّرين، و هذا التقدير الذى معناه التصوير للشيء يجوز على الخلق و على الخالق سبحانه، فقوله: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ يعنى تصوّر، و قوله: أَحْسَنُ الْخالِقِينَ، يريد أحسن المصوّرين تصويرا، فصار التقدير ضربين: أحدهما فكر و روية و استخراج صواب العاقبة و ذلك ممتنع على اللّه سبحانه. و الآخر التصوير، و ذلك جائز على اللّه سبحانه، و تصوير اللّه تعالى لما يصوّره خلق له سبحانه، و موجود بالأجسام المصوّرة و هو تأليفها و جعلها على مقدار ما، و صورة مخصوصة، و تصوير العباد إنّما هى حركات أيديهم و آلتهم و قبضها و بسطها فى الجهات و فعل الاعتمادات التى يفعل اللّه عندها تقطيع الأجسام و توصيلها و تألفها على وجوه مخصوصة بجرى العادة و تلك الحركات و الاعتمادات موجودة بأنفسهم، و فى مجال قدرهم و ليس هى

من تقطيع الأجسام و توصيلها و اختراع تأليفها فى شىء، و العباد مكتسبون لما يوجد بهم من هذه الحركات و الاعتمادات التى توصف و تسمّى تقديرا (______________________________ ۱) هو زهير بن أبى سلمى، الشاعر المعروف. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۰ و تصويرا و غير خالقين لها و لا مبدعين لأعيانها، و قد بيّنا هذا و فصّلناه فى الكلام فى المخلوق بما يغنى الناظر فيه إن شاء اللّه. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ [الزخرف: ۸۱]، و أنّه نقيض قوله: وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: ۹۹]، و قوله: * وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً [النساء: ۳۶]، و نحو ذلك فإنّه باطل، لأنّه لم يرد بقوله: فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ المقرّين بالولد، و لا أراد بقوله: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ، الشكّ فى ذلك و الارتياب به و إنّما هو على معنى قول العرب إن أنكرها يقول فإنى أنكر ما يقول و تقولون، و اللّه إن كان لفلان عندى حقا، و اللّه إن كان لفلان ولد أى: و اللّه ما له عندى حقا و ما له ولدا، فإن هاهنا ليس للشكّ و لا للشرط على الحقيقة، و قوله تعالى: فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ فإنّما يعنى به الآنفين الغضاب له من ذلك. قال الشاعر/: متى يشادوا الوصل تصرم حبله و يعبد عليه لا محالة ظالم يعنى بذلك أنّه يأنف و يتكذّب عليه. و قد قيل إنّ العابد يكون بمعنى الجاحد، تقول العرب: عبدنى حقّى أى جحدنى، و الأوّل أولى. فأمّا تعلّق الملحدة بقوله: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ [الإسراء: ۷۸]، و قوله: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها [طه: ۱۳۲]، و قوله عن أهل النار: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ [المدثر: ۴۳]، فإنّ ذلك أجمع نقيض قوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ [الماعون: ۴]، لأنّه أوجب بذلك الويل للمصلين و هو قد أمرهم بها و دعاهم إليها، و مدحهم عليها، فإنّه من الباطل الضعيف، لأنّه قد وصل الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۱ قوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ بما يدل على أنّهم مذمومون بصلاة فعلوها على غير وجه ما أمروا بها، لأنّه قال بعد ذلك: الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (۵) الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ (۶) وَ يَمْنَعُونَ الْماعُونَ [الماعون: ۵- ۷]، فكأنّه ذمّهم على الصلاة المفعولة فى غير وقتها، و ذمّهم بالسهو عن أدائها فى وقتها، إمّا بالتغافل عن ذلك أو بالاشتغال عنها بالتجارة و اللهو و غير ذلك، و مؤخّر الصّلاة عن أوقاتها عاص مذموم. و قوله: الَّذِينَ هُمْ يُراؤُنَ يمكن أيضا أن يكون ذما للمصلين للرّياء و النفاق لا للّه تعالى، و المصلى على هذا الوجه منافق مذموم، و يمكن أن يكون أراد بقوله: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ لغير اللّه تعالى من الجن و النيران أو الشمس أو الملائكة أو الكواكب الذين هم عن الصلاة للّه سبحانه ساهون تاركون لها، و قوله: وَ يَمْنَعُونَ الْماعُونَ أى: يمنعون أداء الزكوات و حقوق الأموال، فأىّ تناقض فى ذلك، لو لا الجهل و العناد؟ و قوله: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ إنّما هو إخبار من الكفار عند سؤال الخزنة لهم: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ [المدثر: ۴۲]، فقالوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (۴۳) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (۴۴) وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (۴۵) وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ [المدثر: ۴۳- ۴۶]، فقالوا: إنّما عوقبنا على هذا أجمع، و ذلك أحد الأدلة على أنّ الكفار مخاطبون بالشرائع و الأحكام بشريطة تقديم فعل التوحيد و الإيمان باللّه ثم تعقيبه بالصلاة/ و ما يترتب بعدها من العبادات، و لو لم يكونوا بالصلاة مأمورين لم يكونوا على تركها معاقبين، و قد تكلمنا على ذلك و على ما يمكن أن يتعلق به فى هذا التأويل فى أصول الفقه بما يقنع من تأمله إن شاء اللّه، فمن ظنّ أن ذلك نقيض قوله: أَقِمِ الصَّلاةَ، و كان يأمر أهله بالصلاة، و أمر أهلك بالصلاة، فقد أبعد و ضلّ ضلالا بعيدا، و الناس أبدا يقولون ويل للمصلين لغير وجه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۲ اللّه تعالى، و للمصلى رياء و نفاقا، و لقبول الوصايا و أخذ الودائع و الحيل على أموال الناس و لذلك تمثلوا: ذيبا تراه مصلّيا فإذا بصرت به ركع يدعو و جلّ دعائه ما للفريسة لا تقع و كذلك قال: وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ [التوبة: ۵۴]، فترى أنّه ذمّهم على الصلاة أم على فعلها بالكسل و غير نيّة و لا على وجه العبادة و القربة؟! و أمّا تعلّقهم بقول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [المائدة: ۴۲]، و أنّه نقيض قوله: وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً [الجن: ۱۵]، فإنّه باطل لا تعلّق به لأنّ القاسط غير المقسط، لأنّه بالميم العادل المنصف، فإذا قلنا فلان مقسط أردنا به أنّه عادل منصف، و القاسط بلا ميم فى الاسم إنّما هو اسم الجائر الظالم و هو حطب جهنم، فهذا مما يشتبه لفظه و يتقارب و معناه مختلف، و إنّما هو كقولهم هجد و تهجّد، فهجد بلا تاء معناه نام و رقد، و تهجّد بالتاء بمعنى قام للّه و سهر. فأمّا قوله تعالى: وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً [النحل: ۵۲]، و قوله: وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ [الصافات: ۹]، فمعناه متفق لأنّ الواصب هو الدائم الثابت الباقى، فقوله: وَ لَهُ

الـدِّينُ واصِـباً يعنى باقيـا دائما، و الـدين خير محمود و قوله: وَ لَهُمْ عَـذابٌ واصِبٌ يعنى مقيم دائم غير أنّه لا خير لهم فيه و لا فرج. أما تعلّقهم بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً [الزمر: ۵۳]، و أنّه نقيض قوله: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْـرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء: ۴۸]، فإنّه لا تناقض/ فيه من وجوه: أولها: أنّ العموم لا صيغة له بمقولة الذنوب جميعا و لو وصـله بقوله كلّها و سائرها و قليلها و كثيرها و صغيرها و كبيرها، لم يكن ذلك أجمع مفيدا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۳ للعموم الذى هو استغراق جنس ما وقع عليه الاسم، لما قـد بيّناه فى الفقه و غيره من الكلام فى الوعيـد. و الوجه الآخر: أنه أراد بقوله: يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ جَمِيعاً أنه يغفرها بالتوبة منها و النّدم عليها و العزم على ترك معاودة أمثالها، و قد دخل فى ذلك الكفر و الشرك و ما دونهما و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ، يعنى أنّه يغفر ما دون الشرك بغير توبة تفضلا منه، و لا يغفر الشرك بغير توبة، و لا يتفضل على المشرك بـذلك فخالف بين المشـرك و الموحّـِد فى هـذا الباب، و هـذا أيضا ينفى ما ظنوه من التناقض و الاختلاف. و الوجه الآخر: أنّه أراد على قول قوم أنّه يغفر الذنوب جميعا التى هى صغائر إذا وقعت مجانبة للكبائر، فلذلك قال: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ [النساء: ۳۱]، فهـذه الآية عندهم مفسـرة لذلك و مثبتة لمعناها، و إذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموه. و أمّا قوله تعالى: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً [الإنسان: ۱]، و قولهم إنّ هذا تناقض، لأنّه لا يجوز أن يأتى على ما هو إنسان حين لا يكون فيه شيئا و هو مع ذلك إنسان، فإنّه باطل لأنّه أراد- و هو أعلم- أحـد معنيين: أحدهما: أنّه أتى عليه و هو معـدوم حين لم يكن فيه إنسانا و لا شيئا بل كان عـدما متلاشيا، و قوله: عَلَى الْإِنْسانِ إنما يعنى: هل أتى على الإنسان أى على من صار إنسانا بعد أن لم يكن شيئا و لا إنسانا. و الوجه الآخر: أنّه أراد بذلك أنّه قد أتى على آدم عليه السلام حين و هو مصوّر من طين، لم يكن شيئا حيّا عاقلا مـذكورا بالحياة و التمييز و التحصيل الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۴ ثم نفخت فيه الروح/، فصار حيا عالما مـذكورا بالخيرة مخاطبا، و العرب تقول: كم أتى عليك من دهر و زمان لم تكن فيه شيئا تعنى بذلك أنّك لم تكن مقدّرا فيها إنسانا يذكر، و ممن يفكر فيك و تخطر على بال، و إن كان قد كان شخصا ماثلا و شيئا ثابتا. فأمّا تعلقهم بقوله: وَ تَرَى النَّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى [الحج: ۲]، و وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ [الأعراف: ۱۹۸] و أمثاله، فإنّما عنى به سبحانه أنّهم من شدة الخوف و الفزع بمثابة السكران و الثمل و ما هم مع ذلك بسكارى، أى هم عقلاء عالمون بما ينالهم، و العرب تقول: فلان قد أسكره الجوع و العطش، و أسكره المال و الغمر، أى: جعله بمثابة السكران و إن كان عاقلا مميزا، و قوله: وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، أى: كأنّهم ينظرون إليك، و هم لا ينظرون، يعنى به أمثلة العيون من الأصنام و ضربه مثلا لمن يسمع و لا يعقل و لا ينتفع و يبصر و لا يستدلّ، و لا يعتبر على ما قلناه من قبل. و أمّا تعلّقهم بقوله تعالى: فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ [الأعراف: ۱۰۷]، و قوله: تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ [النمل: ۱۰]، و أنّ ذلك متناقض لأنّ الجانّ صغير الحيات و الثعبان كبيرها، فإنّه باطل لأنّه قال: فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ ثم قال: تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ، فقال: كانت مع كبرها و عظمها تهتز و تسرع فى المشى و التلوى و التثنى اهتزاز الجانّ الصغير، و هذا غاية الهول من منظرها و إظهار الآية و الأعجوبة فيها، و لم يقل فإذا هى جانّ فيكون ذلك نقيض قوله، فإذا هى ثعبان مبين، و إنّما قال تهتز كأنّها جانّ فبطل ما ظنّوه. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ [الروم: ۴۹]، و قولهم: كيف أدخل «قبل» مرتين و ما معنى هذا الكلام؟ فإنّه أيضا لا تعلّق فيه، لأنّه يجوز أن تكون «قبل» الثانى لغير ما ورد الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۵ له «قبل» الأول، لأنه قال: وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ، يعنى قبل/ إنزال العذاب عليهم، و ما أنزله فيكون «قبل» هاهنا قبل إنزال العذاب عليهم و ما أنزله، فتكون قبل هاهنا قبل إنزال، ثم قال: من قبله، أى من قبل رؤيته، و النّظر إليه، فيكون «قبل» الثانى وارد بغير ما ورد له الأول، فالأول قبل إنزال ما أنزل و «قبل» الثانى قبل النّظر، و قد يجوز أيضا أن يكون ذكر قبل مرتين على وجه التأكيد و على مثال قولهم: عجّل عجّل، و اضرب اضرب، و الأسد الأسد، و نحوه قال الشاعر: يرمى بها من فوق فوق و ماؤه من تحت تحت شربه يتغلغل فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ [الجاثية: ۲۴]، و قولهم: هذا قول دهرية جحدة، فكيف يقرّون بالحياة بعد الموت، و هم يستجهلون معتقد ذلك فإنّه لا تعلّق أيضا فيه من وجهين: أحدهما: أنّهم قالوا ذلك على وجه التقديم بما هو

مؤخر عندهم فكأنّهم قالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا نحيا و نموت، فقالوا مكان ذلك نموت و نحيا، كما تقول العرب شربت و أكلت، و الأكل قبل الشرب، يعنون أكلت و شربت، و كذلك قولهم: نروح و نغدوا، و الغدوّ قبل الرواح. و الوجه الآخر: أنّهم لم يريدوا بذلك أنفسهم فقط، بل عنوا به جنس الناس، فقالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت، و يحيا قوم بعدنا من نسلنا، و يموت أولئك و يجىء بعدهم آخرون، و أن أهل الدنيا لا ينفكّون من موت و حياة، و لا حياة و لا موت فى دار غيرها فأكذبهم اللّه تعالى فى ذلك، و قال: إنّ ذلك ظنّ منهم و توهّم و أخبر به فى غير موضع فبطل ما قدّروه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۶ فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ [الإسراء: ۸۲]، و قالوا: و أنتم تقولون إنه كله مبارک و شفاء، و الجواب أنّ من هاهنا صله، فكأنّه قال و ينزل القرآن شفاء، فأدخل من زائدة و هو كقوله: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ/ [نوح: ۴]، و قولهم: فلان فى صحّة من عقله، يعنون فى صحّة عقله، و قولهم: عيّن من هذا الثوب قميصا، و من الفضّة خاتما، يعنون جميعا دون البعض و كقولهم: خاتم من حديد، و ثوب من خز، و أدخلوا من زائدة فى الكلام. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ [هود: ۴۳] و قولهم: كيف يكون من رحمه عاصما من أمر اللّه، فالجواب عنه: لا معصوم من أمر اللّه إلّا من رحم فأقام عاصم مقام معصوم، و قد يمكن أيضا أن يكون أراد لا عاصم اليوم من أمر اللّه إلا من رحم بأن جعل له شفاعة و دعاء مقبولا فى دفع العذاب فيكون بدعائه و رغبته عاصما من أمر اللّه و عذابه. فأمّا تعلّقهم بقوله تعالى: فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [ق: ۲۲]، فإنّه نقيض قوله: خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ [الشورى: ۴۵]، فكيف ينظر من طرف خفىّ من يكون بصره حديدا؟ فالجواب عنه: أنّه أراد- و هو أعلم- فبصرک اليوم حديد علمک بعلمک و تيقّنک و ذكرک له بعد أن كنت فيه شاكا أو جاحدا، و قوله: خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ يعنى به الذّلة و الخوف و الاستكانة و الاستسلام لعذاب اللّه، و لا تناقض فى ذلک بحمد اللّه و منّه. و اعترضوا أيضا قوله تعالى: وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر: ۲۲]، و قوله: يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ [البقرة: ۲۱۰]، قالوا و المجىء و الإتيان حركة و زوال و ذلك عندهم محال فى صفته، فالجواب عن هذا عند بعض الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۷ الأمّة أنّه يجىء و يأتى بغير زوال و لا انتقال و لا تكييف بل يجب تسليم ذلک على ما روى و جاء به القرآن، و الجواب الآخر: أنّه يفعل معنى يسمّيه مجيئا و إتيانا، فيقال: جاء اللّه بمعنى أنّه فعل فعلا كأنّه جائيا، كما يقال أحسن اللّه، و أنعم و تفضّل على معنى أنّه فعل فعلا استوجب به هذه الأشياء. و يمكن أن يكون أراد بذلک/ إتيان أمره و حكمه و الأهوال الشديدة التى توعدهم بها و حذّرهم من نزولها و يكون ذلک نظيرا لقوله عز و جل: وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا [الحشر: ۲]، و لا خلاف فى أنّ معنى هذه الآية أنّ أمره و حكمه إياهم و عقوبته و نكاله، و كذلک قوله: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ [النحل: ۲۶]. فأمّا قولهم: و ما معنى ظلل الغمام، و أىّ مدخل للغمام فى هذا الوعيد و التحذير، و أىّ ضرر عليهم بكونه آتيا فى غمام، فإنّه باطل لأنّ الظلل هاهنا الأهوال و شدة الحساب، و هو على نحو قوله عز و جل: وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ [لقمان: ۳۲] أى: فى عظم السحائب و بما خلق من غمّها و كربها، و يجوز أن يكون الظّلل هو الغمام بعينه و يجعل اللّه عز و جل ما ينالهم من كونه إذا أظلّهم و غمّهم به دليلا على حضور وقت المحاسبة و المسائلة و هول يقاسونه و يخافونه من ذلک. و اعترضوا أيضا فى القدح فى الرسل و أخبار القرآن بقوله عز و جل عن إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [البقرة: ۲۶۰]، قالوا و هذا يوجب شكّه و اضطراب قلبه و معرفته، و ذلک نقيض قوله و وصفه لهم بأنّهم مصطفون و مهتدون و خلاف أمره بالاقتداء بهم فى قوله: فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام: ۹۰]. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۸ و الجواب عن ذلک أمور منها: أنّه قال ليطمئنّ قلبى على معنى أننى أزداد إيمانا بک، و يمكن أن يكون أراد ليطمئنّ قلبى بإجابتک لى إلى ذلک، و لتكون آية لى و حجة على قومى، لأنّ فى ترک الإجابة توهّم لانحطاط قدره، و يمكن أن يكون أراد بقوله: ليطمئن قلبى أى لأعلم ذلک ضرورة و مشاهدة، و إن كنت عالما به من جهة النظر و الاستدلال فإنّ الخواطر تزول مع المشاهدة و هى قائمة طارقة مع عدم الضرورة و إن كان إبراهيم و غيره من النبيين/ و الصدّيقين يدفع العارض منها بحجج اللّه القاهرة و أدلته الباهرة. فإن قالوا: فقد سأل موسى عليه السلام مثل ذلک فى قوله: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ [الأعراف: ۱۴۳] فلم يجبه و قال: لن ترانى،

يقال لهم: قد يجوز أن تكون إجابة إبراهيم إلى ما سأل من مصالحه أو مصالح بعض أمته، و أن تكون إجابة موسى إلى ما سأل عنه ليس من مصالحه و مصالح أحد من قومه، و يجوز أن يمنع موسى لأنّه أراد منعه، و أجاب إبراهيم لأنّه أراد إجابته، و لو منعهما جميعا أو أجابهما لكان ذلك جائزا، على أن إبراهيم لم يسل إزالة المحنة جملة، و إنّما سأل إزالة المحنة بالنظر فى إثبات القدرة على إحياء الموتى فقط، و موسى سأل رؤية اللّه ببصره، و فى ذلك زوال المحنة و التكليف جملة، فبطل ما اعترضوا به. قالوا: و من الإحالة فى القرآن قوله: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (۱۶۹) فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ۱۶۹- ۱۷۰]، قالوا: فكيف يكون المقتول حيا، فرحا مع موته و نقض بنيته و تقطّع أوصاله و مشاهدته على حاله؟ و ما ظنّوه من الإحالة فى هذا باطل لأنّ أكثر الأمّة تقول: إنّ اللّه يحييهم فى قبورهم و ينعّم أرواحهم فى أجسامهم أو بعضهم، فمنهم من يقول: إنّ ذلك حالهم دائما و منهم من يقول: يكون الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۳۹ ذلك عند المسائلة فى القبر، و بعد فراق منكر و نكير له، و كذلك قولهم عذاب الكافرين، و قد بيّن هذا الكلام ما ورد فيه من الأخبار فى باب عذاب القبر و نعيمه، و هذا ليس بمستحيل من جهة العقل و الحياة، و عند أهل الحقّ لا يحتاج إلى بنية و بلّة و رطوبة، فبطل ما توهّموه، و من الناس من يقول: أراد بقوله: أحياء، الإخبار عن عاقبة أمرهم و ما يؤول إليه حالهم من النعيم بثواب الآخرة و فرحهم/ بذلك، كما يقال: ما مات من ذكره باقى، و ما مات من خلّف مثل فلان من الولد بل هو حيّ، و كما يقال للمظلوم المقهور: أنت الغالب الرابح و ظالمك هو الخاسر، يراد بذلك أنّ عاقبتك الربح و النصر و عاقبته الخسران و النقص، و كما يقال: ما مات فلان ما بقى ذكره و أثر إحسانه و كتب ذكره و بيانه. قال الشاعر: فقلت و الدمع من حزن و من فرح فى اليوم قد أخذ الخدين منسجمه أ لم تمت يا شقيق الجود من زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه قال و على هذا قال رجل للنعمان بن مقرّن و قد كتب إلى عمر بن الخطاب كتابا يقول له فيه: «و قد يرى الشاهد ما لا يرى الغائب»، فقال له الرجل العمر تقول هذا؟ بل هو و اللّه الشاهد، و أنت الغائب، يريد بذلك أن فهمه أحضره، و معرفته أكبر فهو أمثل لذلك من حالك، و إن كنت حاضرا، فأمّا القطع على أنّه لا بد من بلاء الشهداء و تقطّع أوصالهم، فإنّه لا طريق إليه، بل الروايات بخلاف ذلك على ما يرويه أهل البصرة فى طلحة بن عبيد اللّه، و أنّ عائشة بنته لما أخرجته من موضع النز و قد رأته فى اليوم يشتكى ذلك و يخبر بتأذّيه فوقعت المسحاة على إصبع له فدمت. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۰ و روى جابر بن عبد اللّه قال: «لما أراد معاوية أن يجرى العين التى عند قبور الشهداء أمر مناديا فنادى فى المدينة من كان له قتيل فيخرج إليه، قال جابر: فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطابا ينثنون و أصابت المسحاة إصبع رجل منهم فانقطرت دما» فقال الحسن البصريّ و قد سمع ذلك: أ لا ينكر بعد هذا منكر؟ قالوا: و من الإحالة أيضا قوله: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۱۸۵] و فى الناس خلق يقتلون، و فى الأنفس بهائم تذبح و المقتول ليس بميت و لا ذائق للموت، فيقال لهم: إن كان الأمر على ما ذكرتم/ من أنّ المقتول لا موت فيه، فإنّما أراد بذلك كلّ نفس ماتت حتف أنفها و لم تقتل فيكون قولا مخصوصا و بمثابة قوله: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ، و كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر: ۳۸]، و لم يرد أنفس الأطفال و البهائم و المتنقصين فزال ما ظننتم. و الصحيح أن المقتول ميت و أنّ اللّه يميته، و يرفع بالموت ما فيه من الحياة، لأنّه مع نقض البنية محتمل الحياة و الموت و لا يجوز ارتفاع الموت إلا بضدّه من الحياة و إلّا آل ذلك إلى جواز تعرّى الجواهر من جميع المتضادات من الأكوان و غيرها من الأعراض، و ذلك باطل محال لما قدمناه فى غير هذا الكتاب، و قد يجوز أن يقول قائل أراد بذكر ذوق الموت مفارقة الحياة، فعبّر عن ذلك بذكر الموت كما يجوز بقوله ذائقة الموت، و الموت لا يذاق و لا يجوز ذلك عليه، و لكنه هو من مجاز الكلام فسقط ما قالوه. قالوا: و مما ورد و لا معنى له قوله عز و جل: وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا [النساء: ۵۷]، و الظل لا يكون إلا ظليلا، و هذا باطل لأنّ من الظلّ ما هو ظلّ، تتخرّقه السماء ثم الرياح، و السّافى المؤذى فيكون ظلّا و ليس بظليل، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۱ و أراد و هو أعلم بقوله ظليلا أنّه ظلّ لا يتخرّقه شىء من ذلك و أنّ أهله على سلامة من جميعه. و قالوا: و من الإحالة فى الكلام قوله:* لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ [النساء: ۱۴۸] فكأنّه يحبّ من المظلوم أن يجهر بالسوء، و هذا متناقض جدا- زعموا- فيقال لهم: ليس ذلك على ما توهّمتم، و معنى هذه اللفظة الذى هو لفظ الاستثناء لكن

لاـ يحبّ اللّه الجهر بـالسوء من القول و لكن من ظلم فله أن يخبر بظلم من ظلمه و دخول الضـرر عليه، و لا يجب الكشف عن عورات الناس و زلاتهم و كثرة التتبع لهم و التحسّـس عليهم. و قال بعضـهم: قوله إلا من ظلم فإنّه/ يحلّ له أن يدعو اللّه على ظالمه و يسـتكفّه شرّه، و يرغب إليه فى منعه من ظلمه، و قـد قال قوم قوله: لا يحبّ اللّه الجهر بالسوء من القول كلام تام، ثم ابتدأ فقال: إلا من ظلم فإنّ له أن ينتصر و يمنع الظلم و يدفعه فبطل بذلك ما قالوه. قالوا: و من هذا قوله تعالى أيضا: وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ [النساء: ۱۵۹]، قالوا: و نحن نجد خلقا يموتون و لا يؤمنون به، فيقال لهم: إنّما عنى بقوله: قبل موته، قبل موت المسيح عليه السـلام، و لم يرد أنّ كـلّ من هو من أهـل الكتـاب يؤمن بالمسيح قبل موته أن يموت و تضـرب عنقه، فإنّ من قتل و لم يؤمن به فقـد مات و لم يؤمن، فليست الهاء راجعة على المكلّف من أهل الكتاب، و إنّما أراد أنّ أهل العصر الذى ينزل فيه عيسى من السماء من أهل الكتاب، يؤمنون به عند نزوله و يعرفون صدقه. قالوا: و من هذا حكايته عن اليهود لعنهم اللّه أنّهم قالوا: نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ [المائدة: ۱۸]، و اليهود لم تقل ذلك، و لا ذهب إليه أحد من أسـلافهم و لا أخلافهم. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۲ و الجواب عن هذا أنّ المذكور فى تأويل هـذه الآيـة أنّ أسـلافهم قالوا لنا قربـة و محبة منه كقرب الولد من والده و محبّة الوالد لولده، و لم يقولوا إنّهم أبناء اللّه على مثل قول النصارى لعنهم اللّه فى المسـيح إنّه ابن اللّه و قنوم من أقانيمه، و قـد يقول القائل: أنا ابنك و أخوك، أى: خبر لك و مكانى منك مكان أخيك و أبيك، و تقول: أنت ابنى و ولدى أى: مكانك منى و لطيف منزلتك عندى و منّى كمنزلة ولدى و أقرب الناس إلىّ، و مثـل هـذا غير منكر فى مجاز الكلام، و إذا كان ذلك كـذلك سـقط ما تعلّقوا به. قالوا: و من الإحالـة الواردة فى القرآن قوله: فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ [المائدة: ۲۶]، قالوا و قد روى/ أنّهم كانوا عسكرا كثيرا و محال فى مستقرّ العادات و الضـرورات أن يتيه العالم الكثير فى قطعة من الأرض اتسـعت أو ضاقت أربعين سنة لا يهتدون إلى الخروج منها. فيقال لهـم: خرق هذه العادة من آيات موسى عليه السلام و كان زمن خرق العادات، فإذا أراد اللّه تيههم و الانتقام منهم بذلك محى الآثار و أبطل العلامات و خـالف بين الآـراء و طمس على القلوب و ألقى فى القلوب الشـكوك فى غير المحجّـة، فتـاه الخلق عنـد ذلك، و انخرقت بما يفعله العادة، و كان ذلك من حجج النّبوة فزال ما قلتم. و قد تأول قوم الآية على أنّه لم يرد بالتيه أربعين سـنة ضـلالهم و ذهابهم عن الطرق، إنّما عنى بـذلك، أنّه فرض عليهم الجولان فى تلك الأرض أربعين سـنة و حبسـهم فيها و حرّم عليهم الخروج عنها عقوبة لهم على ما سلف من خلافهم و إجرامهم، فشـبّه مقامهم و دورانهم فى تلك الأرض أربعين سنة بحال الـذين يتيهون فى الأرض، و هـذا إن صـحّ الخبر عنه فليس ببعيد فى التأويل، فبطل ما توهموه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۳ فأمّا قوله تعالى: لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى [طه: ۴۴]، و أمثـال ذلـك فليس بوارد على الإيجاب، و هو نظير قول الرجل لمن يخاطبه: كل من هـذا الطعام لعلك تشبع، نحو قول السيّد لعبـده: أطعنى لعلـك تسـلم من ذمّى، و تنال ما تحبّ من جهتى، و هـذا ترغيب منه، لو أراد الشكّ لم يكن من عنى فى طاعته و لكنّ إدخال لعـلّ فى الكلام أرقّ و ألطف و أدعى إلى المراد و أجمع للهمّـة على الطاعـة. و أمّا اعتراضـهم على قوله: أُجِيبُ دَعْوَةَ الـدَّاعِ إِذا دَعانِ [البقرة: ۱۸۶]، و قد يدعى فلان يجيب فإنّه باطل من وجوه أقربها: أنّه أراد بقوله: أجيب إن شـئت أن أجيب، ففيه إضمار، و يمكن أن يكون/ أراد أجيب إن كان فى معلومى أنّى أجيب، و يحتمل أن يكون أراد بقوله: أجيب إن كانت إجابة المسألة مصـلحة للسائل، فإذا لم يجبه علم أنّه لم تكن مصلحة له، و يكـون قـد شـرط فى إجابـة الـدّعاء أن تكـون مصـلحة للمكلف، فمن أجيب بـذلك كـان من مصـالحه، و من لم يجب فليس ذلـك بصـلاح فى دين و لاـ دنيـا، و ليس يعترض هـذا الجواب سؤال من قـال لنـا فهو لا بـدّ أن يفعل الأصـلح، سـأل ذلك أم لم يسأله، لأنّ هـذا قول القدريـة، و يجوز عنـدنا أن لا يفعل بالعبـد ما هو الأصـلح له و يكون قـد حكم أنّه لا يجيب دعوة داع إلا بأن تكون إجابته من مصالحه. و يمكن أن يكون أراد: أجيب دعوة الـداعى من قبيل دون قبيل و فريق دون فريق، و لم يرد جميع من يسـمّى داعيا، و من يكون منه دعاء و إن اعترض فى ذلك فلا نقض عليه بالعلم، لأنّ اللّه عز و جل لا بـد أن يكون عالما بما يفعله، و لا بـد أن يفعله، و ما لا يفعله و لا بدّ أن لا يفعله. و يقال لهم: فما معنى الدعاء إذا كان لا يفعل مع سـبق العلم بأنّه لا يفعـل و لا بـد أن يفعل مع الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۴ سـبقه بـأن يفعـل، سأل السائل أم لم يسأل، و لا جواب لهم عن ذلك، إلا

نحو ما قلناه، و إذا كان الطاعن بذلك منجّما مثبتا لأحكام النجوم، قيل له، فما معنى السعى و الكدح من المنجّم، و الاضطراب فى طلب الكسب و المعاش، و إذا كانت النجوم و الطوالع توجب حصول المطلوب، فلا بدّ من حصوله، و إن كانت لا توجبه فلا بدّ من عدمه، و عدم الانتفاع بتمنّيه و السعى له، و لا جواب عن ذلك. و اعترضوا أيضا على قوله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ [آل عمران: ۱۸]، و قالوا: و ما معنى هذه الشهادة من اللّه عز و جل، و أى فائدة و حجّة فيها على التوحيد و هى شهادة منه لنفسه، و الجواب عن ذلك أنّ هذه الشهادة تنزيه منه لنفسه و تعظيم له سبحانه و تعالى عمّا يقول المشركون المتخذون معه إلها غيره. و شىء/ آخر و هو أنّه يجوز أن يكون معنى شهادته لنفسه بذلك هو ما أظهره من إتقان صنعه و عجيب تدبيره فى كلّ حادث و إلزامه إمارة الصّنع و الالتجاء إلى صانع صنعه و مدبّر دبّره لتقوم دلالة أفعاله على وحدانيته مقام الشهادة بذلك، كما يقال: أفعال زيد تشهد بعدالته و تقاه، و أفعال فلان تشهد بفجوره و فسوقه، يعنى بذلك أنّها تدلّ دلالة الشهادة عليه و له بذلك. و معنى شهادة الملائكة و أولى العلم له بذلك، هو إيضاحهم لهذه الأدلّة و التنبيه عليها و الدعاء إلى النظر فيها، فيكون تنبيههم قائما مقام الشهادة به، فبطل ما ظنّوه. قالوا: و مما لا معنى له، و من الإحالة فى القول قوله تعالى فى قصّة عيسى: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ [آل عمران: ۵۵]، قالوا: و ما الفائدة فى أن يرفع إليه أو إلى ملائكته ميتا، و كيف يرفعه إليه حيا أو ميتا و ليس هو فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۵ مكان و لا تحويه الأقطار، فيقال لهم: هذا من المقدّم المؤخر فكأنّه قال: إنّى رافعك إلىّ و متوفّيك، و الواو لا توجب الترتيب، و إنّما توجب الجمع بين المذكورين، و قد قال قوم إنّه أراد برفعه رفع درجته و تعظيم شأنه و تبليغه المنزلة التى من بلغها عظمت منزلته. قالوا: و قوله إلىّ، أى: إلى موضع كرامتى و مواضع أوليائى و هو بمثابة قول إبراهيم: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي [الصافات: ۹۹] أى: إلى حيث أولياؤه و حيث يعبد و يذكر. و قال أكثر الأمة: أراد بقوله: وَ رافِعُكَ إِلَيَّ أنّه رفعه إلى السماء حيا، و أنّه لا يموت حتى ينزل فيصلّى خلف المهدى، و يكون داعيا إلى شريعة نبيّنا عليه السلام و مؤكّدا لها غير داع إلى شريعته، فأمّا قوله: متوفّيك فقال أكثرهم: مميتك بعد رفعك و إنزالك من السماء، و قال قوم: متوفّيك بمعنى/ قبضتك إلىّ لا- بمعنى الموت، قالوا: و التوفّى القبض و لذلك قبل توفّى زيد إذا قبض، فبطل طعنهم بما ذكروه. و قالوا: و من الإحالة فى الكلام قوله عزّ و جلّ: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ (۱۷۲) أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [الأعراف: ۱۷۲- ۱۷۳]، قالوا: و ليس فى العالم مكلّف و لا- غير مكلّف يذكر أخذ مثل هذا الإقرار عليه، و إشهاد اللّه نفسه على ذلك، و لو كان ذلك حقا و أمرا مأخوذا عينا لوجب علمنا به و ذكرنا له، و هذا باطل من تعلّقهم من وجوه: أحدها: أنّه لا- يجب ذكرنا لأخذ الإقرار علينا، و إن كنّا إذ ذاك عالمين به، لأنّ اللّه سبحانه أنسانا ذلك فأذهب ذكره و حفظه عن قلوبنا و فعل من الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۶ ذلك ما شاء، و قد ينسى الإنسان أشياء كثيرة كان رآها و سمعها، و أمورا كانت منه و من غيره إذا تطاول بها الدهر، و إذا كان ذلك كذلك لم ينكر ما ذكره تعالى و أخبر به من أخذه الإقرار عليهم بالربوبيّة على أنّه لو كانت العادة جارية بأنّ مثل هذا لا ينسى فى وقتنا و عادتنا لم يجب أن يكون مثله لا تنساه الذريّة، لأنّ العادة المتقررة فى وقت من الأوقات لا يجب أن تكون مقرّرة مستمرة أبد الدهر و فى سالفه، و لا يجب أن تكون العادة لقوم عادة لغيرهم إلا فيما ساوى اللّه فيه بين أحوال الناس على اختلافهم، و إذا كان ذلك كذلك لم يجب أن تكون عادة الذريّة أن لا ينسى ما كان من إقرارها و أخذه عليها و شهادة أنفسهم عليهم. فإن قالوا: فأنتم خاصة تذهبون إلى أنّهم استخرجوا من ظهر آدم عليه السلام كأمثال الذرّ صغرا مستضعفين، و من هذه حاله لا يصحّ كمال عقله و تمام/ فكرته و وقوع النظر منه، لأنّ العقل و النظر يحتاج إلى بنية و بلّة و ذاك متعذر فى الذرّة، فبطل ما قلتم. يقال لهم: العلم و الأقدار و الكلام و النظر، و الاستدلال لا يحتاج شىء منه و لا من غيره من الصفات إلى بنية و بلّة على ما بيّناه فى غير هذا الكتاب، فبطل ما قالوه، على أنّه إن احتاج إلى ذلك فلا يمنع أن تبنى الذرّة و ما فى قدرها بنية تحتمل العلم كما بنيت بنية تحتمل الحياة و الإدراك و الإحساس، و نحن نجد الذرّة و النمل و البعوض حيا مدركا ملهما لأمور ادّخار الأقوات و حفظها و إظهارها و نفى ما يزيل العفن و الفساد عنها إلى غير ذلك من عجيب أفعالها، فيجوز أيضا

إكمال عقل الذرّة و ما هو أصغر منها. فإن قالوا: فيجوز أن ينطق و يسأل و يجيب، قيل كل ذلك صحيح فى المقدور، و إن لم تجريه عادة، فإن قالوا: فيجوز أن تقدر الذرّة على حمل الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۷ الجبال و الأرضين و السموات كما يجوز ما قلتم، يقال لهم: المحدثات بأسرها ما عظم جرمه و ما صغر من ملك و إنسان و شيطان لا يصحّ أن يفعل فى المحمول حملا و أكوانا تتحرك و ترتفع بها، و إنّما يفعل الحمل فى نفسه و هو حركاته و اعتماداته التى يفعل اللّه عندها ارتفاع الأجسام المرفوعة، و لو سكّن الخردلة عند اجتهاد جبريل فى دفعها لم ترتفع، و لو رفع الجبال الثقال عند محاولة الطفل و البعوض لرفعها لارتفعت، و إذا كان ذلك كذلك بطل هذا التعجّب و وجب إثبات الخبر باستخراج الذّرة و أخذ الإقرار عليهم، و إكمال عقولهم و نظرهم. و قد قال قوم: إنّهم إذ ذاك كانوا ملهمين و مضطرّين إلى المعرفة و الإقرار، و الأولى أن يكونوا مكتسبين لذلك؛ لأنّ الكلام خارج مخرج الاحتجاج عليهم فى الآخرة بما كان من إقرارهم و إشهادهم أنفسهم عليهم/، و قد قال سبحانه: شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ [الأعراف: ۱۷۲]، فأخبر أنّهم يخبرون بغفلتهم عن ذلك و نسيانهم له و قال: وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [الأعراف: ۱۷۲]، فالآية كلّها تدلّ و تشهد بما يذهب إليه أهل الحقّ و دهماء الأمّة. فإن قالوا: فقد قال اللّه عز و جل: وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً [النحل: ۷۸]، فإذا لم يعلموا و هم أطفال كاملوا البنية و الحواسّ كانوا عن العلم و الأمور و التوحيد إذا كانوا كالذرّ مستخرجين من صلب آدم أولى. يقال لهم: لا حجّة فيما تعلّقتم به، لأنّه لا يمتنع أن يمنعهم من العلم إذا كانوا أطفالا و يعطيهم ذلك إذا كانوا كالذرّ، و قد أعطى اللّه عزّ و جلّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۸ عيسى بن مريم النطق و هو صبىّ ساعة ولد، و أعطى يحيى بن زكريا الحكم صبيّا، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما اعترضوا به. و قد قال قوم من مدّعى الأمّة إنّه ليس معنى الآية ما طعن به الملحدون و لا صحّ الحديث باستخراج الذّريّة، بل ظاهر الآية يوجب أخذ الإقرار من بنى آدم فى كلّ حين يبلغون فيه حدّ التكليف، لأنّه قال: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ [الأعراف: ۱۷۲]، و لم يقل من آدم و قال من ظهورهم، و لم يقل من ظهره، و قال ذريّاتهم و لم يقل ذريّته، قالوا: فهذا يوجب أن يكون الإقرار مأخوذا على ذرّيّة آدم فى كلّ حين (حين) «۱» بلوغهم حدّ التكليف. قالوا: و كذلك قال: أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ [الأعراف: ۱۷۳] و لم يقل أبونا، و كنّا ذريّة من بعدهم، يقول: إنّنى لو أمتّهم أطفالا لقالوا: إنّما أشرك آباؤنا و كنّا نحن أطفالا لم نبلغ حدّ التكليف و تلقّى الدعوة، فأراد اللّه تعالى الإخبار بأنّه بلّغهم حدّ من أشرك من آبائهم قبل شركهم، و إذا كان ذلك كذلك فقد زال طعن الملحدين عن أصحاب هذا الجواب. و الجواب الأوّل هو الحقّ لأنّ اللّه تعالى قد أخبر عن الذّريّة/ أنّها أقرّت بالرّبوبيّة، و قالت بلى، و نحن نعلم أنّ كثيرا من بنى آدم المكلّفين لم يقولوا عند التكليف: بلى أنت ربنا، و لا أقرّوا بذلك، و أنّهم ماتوا و هم كفّار جاحدون مكذّبون فبطل الجواب الثانى. فإن قالوا: لم يرد بقوله: قالُوا بَلى القول المسموع و كذلك قوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ، ليس هو من القول المسموع و إنّما أراد أنّه ألزمهم آثار الصنعة و الحدوث و الالتجاء إلى صانع صنعهم فعبّر عن ذلك بقوله: أَ لَسْتُ

____

(۱) ما بين القوسين ساقط من الأصل،

و لا يستقيم الكلام إلّا بإثباته. اه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۴۹ بِرَبِّكُمْ يريد إلزامى لكم صفات المربوبين، و قوله: بلى، أى لم يمتنعوا من أمارات الحدث، و لم يستطيعوا الانفكاك منها فأقام لزومها لهم مقام قولهم لم يطيقوا و صدّقوا بلى، و قوله: وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ معناه ما أوجده فى أنفسهم و أراهم إياه بعد النسيان و القوة من تغيّر الحالات و الزيادة و النقصان و الكبر و الهرم بعد الشباب و القوّة من الخبر إلى غير ذلك. يقال لهم: كلّ هذا الذى قلتموه إن ساغ استعماله فى اللغة فإنّه مجاز و اتّساع و ليس بحقيقة و لا وجه للعدول بالكلام عن ظاهره فى إخباره عن قوله لهم و جوابهم ببلى بغير حجّة و لا دليل بل الواجب التمسّك بظاهر الكلام، فإن قيل: الذى يدلّ على ذلك استحالة نطق الذرّ و علمه فقد بيّنّا فساد ذلك بما يغنى عن ردّه، فدعواهم لذلك باطل. فإن قالوا: فقد قال من بنى آدم و أنتم تقولون من آدم، يقال لهم: الخبر الثابت عن الرسول صلّى اللّه عليه أنّه استخرجها من آدم فيجب إثباته، و ذلك لا ينافى قوله من بنى آدم، لأنّه استخرجها من آدم عليه السلام كما ورد به الخبر، ثم استخرج بعضهم من بعض، فاستخرج من المستخرج

ذريّة، و من الذريّة ذريّة أخرى إلى آخرهم، و أحصاهم و عدّهم عدا، و إذا كان ذلك كذلك ثبت الاستخراج من صلب آدم بالخبر و الاستخراج/ من الذريّة المستخرجة منه بالقرآن، و إذا كان ذلک کذلک بطل ما قالته القدريّة و ما تعلّقت به الملحدة و باللّه التوفيق. قالوا: و مما لا معنى له أيضا قوله تعالى: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [الأعراف: ۱۷۶]، قالوا: فأيّ فائدة فى تمثيل الكافر بالكلب فى هذا المعنى؟ و ليس الأمر على ما توهّموه لأجل أنّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۰ اللّه عزّ و جلّ ضرب هذا المثل للكافر الذى إن وعظ و زجر نفر و كفر، و إن ترک أو رفق به استكبر و كفر فهو مع العظة و التذكرة ضالّ معرض، و مع الترک ضالّ معرض، و كذلک الكلب حاله تخالف سائر الحيوان لأنّ كلّ ما يلهث من الحيوان فإنّما يلهث لمرض و تعب و كلال و عارض يزول اللّهث بزواله، و الكلب يلهث فى جميع حالته فى صحّته و مرضه و راحته و كلاله و ريّه و عطشه، فلا مثال لمن ذكر اللّه حاله من الكفّار من جميع الحيوان إلا الكلب، و إذا كان ذلک کذلک سقط ما قالوه. قالوا: و من هذا أيضا قوله تعالى: قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: ۱۸۸]، قالوا: فكيف أمره بأن يقول: قل لا أملك لنفسى نفعا و لا ضرّا إلا ما شاء اللّه، و هو يملك تصرّفه و جميع أفعاله، و يتصرّف فيها بإرادته و ما معنى قوله: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ، و قد استكثر من الخير من لا يعلم الغيب. يقال لهم: ليس الأمر على ما توهّمتم لأنّ النبىّ عليه السلام و غيره لا يملک لنفسه نفعا و لا ضرّا، و إنّما مالک نفعه و ضرّه اللّه عزّ و جلّ الخالق لعين النفع و الضرّ القادر على إيجادهما، و الخلق لا يقدرون على ذلک و لا يتصرّفون فيما يريدون أو يكرهون إلا بأن يشاء اللّه تصرّفهم. و فى هذه الآية دلالة بيّنة واضحة على أنّ اللّه خالق أفعال عباده و ما يضرّهم/ منها و ما ينفعهم، فإنّه مالک لها و قادر عليها و موجد لها إذا وجدت، و هى مقدورة له، لأنّ مالک الشىء و القادر عليه فاعل له إذا وجد مقدوره و مملوكه، و ليس يكون فاعلا لمقدوره إلا لوجوده فقط. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۱ و أمّا التعلّق بقوله: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ فمعناه- و اللّه أعلم- أنّنى لو كنت أعلم الغيب لكنت إلها قديما، و القديم لا يناله السوء و لا يلحقه نقص و لا تغيير. و يمكن أن يكون أراد أنّنى لو كنت أعلم الغيب لنجوت من الحوادث و النّوازل أو اعتددت لكلّ أمر عتاده و ما يدفعه و يزيله. و يحتمل أيضا أن يكون أراد أنّنى لو كنت أعلم أجلى و وقت موتى و قربه لأكثرت الطاعة للّه و الجهاد فى سبيله، و إنّما أؤخّر بعض ذلک لإخفاء وقت أجلى، و ليس يمتنع أن يستكثر من الخير من لا يعلم الغيب على غلبة ظنّه و قوّة حدسه أو الاحتياط و التحرّر، و إن صحّ أن يستكثر من الخير من قد علم حاله و اطّلع على ما يكون منه فلا تناقض فى هذا. و قد قيل إنّ السوء المذكور هاهنا هو الخبال و الجنون، و منه قوله تعالى: إِلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ [هود: ۵۴] قيل: بخبال و جنون نسبوه إليه فكأنّه قال: لو كنت أعلم الغيب ما مسّنى من المرض و النوم و الآفات المستغرقة القاطعة عن التمييز و ما يجرى مجرى السوء الذى هو الخبال. قالوا: و من هذا أيضا قوله: رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [المؤمنون: ۹۴]، و كيف يجعله مع الظالمين و هو قد نهاه عن الظلم و عن الكون مع الظالمين، يقال لهم: قد بيّنا الكلام فى هذا فى باب خلق الأفعال و التعديل و التجويز بما يغنى الناظر فيه، و قد يجوز أن يجعله اللّه مع الظالمين بأن يضلّه و لا يلطف له و يحرمه التوفيق، و ذلک عدل منه و صواب فى حكمته، و إنّما أمره بأن يرغب إليه فى التثبيت على الإيمان و أن لا/ يزيغ قلبه بجواز وقوع ذلک منه تعالى. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۲ و لا وجه لجواب القدريّة عن هذا، فإنّه أقرّ له بالدّعاء ليزيد فى ثوابه، لا أنّه يجوز أن يجعله مع الظالمين، لأنّ اللّه لا يأمر برغبة لا معنى عنها، و بأن نرغب إليه فى أن لا يفعل ما إذا فعله به كان سفيها عند القدريّة، فإن كان رغب إليه فى أن لا يضلّه و لا يخلق ضلاله فتلک عندهم رغبة باطلة، و إن كان يرغب إليه فى أن لا يجازيه على ظلمه و أن يحكم بثوابه و لا يحكم بعقابه، فذلک أيضا سؤال باطل لا وجه له فبطل جواب القدريّة عن الآية. قالوا: و من الأخبار الباطلة فى القرآن قوله: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ [المؤمنون: ۱۰۱]، و كيف لا يكون بينهم أنساب مع ثبوت أنسابهم، و كون بعضهم ابن بعض و أباه و أخاه و أمّه، و كيف لا يتساءلون مع قوله: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ «۱» [الصافات: ۵۰]. و قد قدّمنا الجواب عن هذا، و قلنا إنّهم لا يتساءلون تارة و يتساءلون أخرى، و يمكن أن يكون أراد لا يتساءلون ساعة

النفخ فى الصور و انتشارهم من القبور، فإذا نفخ فيه أخرى قاموا ينظرون، و أقبل بعضهم على بعضهم يتساءلون و قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا [يس: ۵۲]، و يسألون إذ ذاك عمّا هم فيه، و قد روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال لعائشة رضى اللّه عنها، و قد سألته عن هذه الآية «هى ثلاث مواطن يذهل الناس فيها: وقت إلقاء كتاب كلّ إنسان إليه، و وقت نصب الموازين و عند الجواز على جسر جهنّم» «۲»، فهذه الثلاث مواطن لا معارف فيهنّ لأحد، و لا يتساءلون.

(۱) فى الأصل: و أقبل بعضهم، و الصواب: ما أثبتناه فى أصل التحقيق. (۲) رواه الإمام أحمد فى «المسند» بنحوه من حديث عائشة رضى اللّه عنها، (۹: ۴۱۵، برقم ۲۴۸۴۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۳ فأمّا قوله: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يعنى فلا يتعارفون فى هذه المواطن أنسابهم، و على هذا دلّ قوله: يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ [الحج: ۲]، و يحتمل أن يكون أراد بقوله: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ، فلا أنساب بينهم نافعة لهم، و لا أنساب بينهم يتراحمون و يتعاطفون بها كتعاطف ذوى الأنساب/ بعضهم على بعض فى الدنيا، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه. قالوا: و من هذا أيضا قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ [النور: ۲۵]، و قد علم أنّ أكثر الأديان التى يوفّيها أهلها ليست بحقّ، و هذا أيضا باطل من توهّمهم، لأنّه لم يرد تعالى بالدين هاهنا الدينونة بالمذاهب و التديّن بالأقوال و إنّما أراد الحساب و الجزاء، من قولهم: كما تدين تدان، أى كما تفعل يفعل بك، و منه: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: ۴]، يعنى يوم الجزاء و الحساب، و منه قوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ... (إلى قوله) ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [التوبة: ۳۶] أى: الحساب الصحيح، و فى قوله: يوفّيهم اللّه دليل على ذلك، لأنّه إنّما يوفّى العالمين جزاء اكتسابهم من ثواب أو عقاب. قالوا: و مما لا معنى له قوله تعالى: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال: ۱۷]، و كيف يكون اللّه هو الرامى و الرسول لم يرم، و هو الرامى على الحقيقة، فيثبت الرمى لمن لم يكن منه و ينفيه عمّن وقع منه، يقال لهم: إنّما أراد بذلك- و اللّه أعلم- أنّنى أنا المقدّر لك على الرمى و الموفّق لك فيه، و التبليغ برميك ما لم تظنّ أنّك تبلغه بها، فأضاف الرمى إلى نفسه على هذا التأويل، و نفاه عن نبيّه على معنى نفى إقداره لنفسه و توفيقه لها و بلوغه بالرّمية ما قيّضه اللّه من هزيمة العسكر يوم بدر، و ذلك أنّ النبىّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۴ صلّى اللّه عليه و سلّم حين حمى الوطيس فى ذلك اليوم قبض قبضة من تراب و حثاه فى وجوه المشركين و قال «شاهت الوجوه» فانهزم القوم بإذن اللّه، و لم يقدر النبىّ عليه السلام أن يبلّغ رميته تلك ما بلغ، و إنّ القوم ينهزمون و نظير هذا قول الرجل لغيره: ما أنت عملت ما عملت، و لا أنت كلّمتنى و لقيتنى بهذا، و إنّما فلان فعله بى، و أنا فعلته بنفسى إذا كان قد أرشد إلى ذلك و مكّن منه و أعان عليه، و مهّد أسبابه و إذا كان ذلك كذلك سقط ما توهّموه سقوطا/ بيّنا ظاهرا. قالوا: و ممّا ورد فى القرآن من الإحالة قوله: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ ما يَشاءُ [النور: ۴۵] قال الملحدون: و فى هذه الآية إحالة من وجوه. أحدها: قوله أنّه خلق كلّ دابّة من ماء، و ليس الأمر كذلك لأنّ منها ما خلق من البيض و التراب دون النّطف و الماء الدافق، فبطل أن تكون كل دابّة من ماء. و منها حصره مشى جميعها على بطنها أو على رجلين أو على أربع، و ليس الأمر كذلك، لأنّ فيها كثيرا يمشى على أكثر من أربع كالعنكبوت و كرخان الأذن و السرطان و غير ذلك فلا وجه لحصره المشى على قدر ما ذكره. و منها أنّه لا فائدة فى ذكر هذا و إعلامنا إيّاه لأنّنا قد علمنا أنّ الدوابّ تمشى كذلك، و أىّ فائدة فى ذكره إلّا الحشو به و التشاغل بما لا معنى له، قالوا على أنّه قال فمنهم، و هذا كناية عن العقلاء، و قوله: كلّ دابّة يدخل فيها ما يعقل و ما لا يعقل. يقال لهم: جميع ما ذكرتم لا يوجب القدح فى القرآن. فأمّا قوله: كُلَّ دَابَّةٍ، فإنّ لفظة كل ليست موضوعة للاستغراق و العموم بل هى معرّضة للعموم و الخصوص، و كذلك جميع و سائر و أىّ و من، و كلّ لفظ يدّعى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۵ القائلون بالعموم أنّه موضوع هو محتمل للعموم و الخصوص، و قد بيّنّا ذلك فى أصول الفقه و غيره بما يغنى الناظر فيه، فبطل تعلّقهم بالعموم و لو ثبت أيضا لجاز تخصيصه بدليل فإذا علمنا أنّ منه ما لم يخلق من ماء قلنا أراد بقوله كلّ دابّة ذكرها، و كلّ ما يمشى على بطنه أو على رجلين أو على أربع دون ما عدا ذلك، على أنّه لم يقل من ماء دافق، و إنّما قال من ماء، و كلّ دابّة مخلوقة مما فيه صور من البلّة

و الرّطوبـة، فإنّ الأصول عنـد كثير منهم الماء و الأرض و الهواء و النار هـذه هى أصول الأشـياء التى منها تنمو، أو إليها تنحلّ و تفسـد فكلّ دابّة مركّبة/ من أصل فيه بلّة و رطوبة و جزء من المائية فبطل ما قالوه. فأمّا قولهم فمنهم فإن ابتدأ فقال كلّ دابّة و هو لفظ يصـلح تنـاوله للنـاس و غيرهم، و يجب عنـد قوم تناوله لـذلك، ثم فصّل و ذكر الناس منهم فقال منهم: فكنّى عنهم كنايـة العقلاء و قال على بطنه يريد الحيّة و ما يجرى مجراها، و العرب تقول: لا يكون المشـى (إلّا) «۱» لما له قوائم يمشـى بها المعتمد عليها، و لكنّها مع ذلك إذا خلطت مـا لاـ يمشـى مع الماشـى وصف الجميع بأنّه يمشـى كما يقول: أكلت خبزا و لبنا، و الخبز هو الـذى يقال أنّه يؤكل و اللّبن يشـرب فيقولون أكلت خبزا و لبنـا لجمعهم لهمـا فى الـذكر، و لاـ يقولون: أكلت لبنـا فكـذلك يقولون: الحيّـة و الإنسان يمشيان و لا يقولون الحيّة تمشـى و كذلك العرب تتبر عمّا لا يعقل إذا ذكر مع العاقل فى اللفظ الموضوع لما يعقل فيقولون: الرجل و إبله مقبلون، و لاـ يقولون ذلـك فى الإبـل وحـدها، و يقولون فى الإنسان و غيره هـذان مقبلان، و هـذان الشـخصان مقبلان، و لا يقولون ذلك فى اثنيـــــن لاـــــــ عاقـــــــل فيهمـــــــا، و إذا كـــــــان ذلـــــــك كـــــــذلك بطـــــــل مـــــــا قـــــــالوه.

(____۱) ما بين القوسين ساقط من الأصل،

و لاـ تستقيم العبارة إلا به. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۶ فأمّا قولهم إنّه حصـر مشـى جميع الدواب على أربع و فيها ما يمشـى على أكثر من ذلك، فإنه باطل لأنّه لم يحصـر ذلك و لا قال لا شـىء من الدوابّ، و إنّ كلّ الدوابّ تمشى على أربع، و إنّما قال فمنها من يمشـى كذا، و منها من يمشى كذا، و منهم من يمشـى كذا، و لا شكّ أنّ منهم من يمشـى على ما ذكر فهذا لا ينقض أن يكون منهم من يمشـى على أكثر من ذلك و لا كون من يمشـى على أكثر من أربع قوائم ناقضا بمشـى ما يمشـى على أربع و أقلّ منها، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه. على أنّه قد قال كثير من الملحدين إنّ كلّ حيوان إذا سـعى و مشى فإنّه لا يمشى إلا على أربع من قوائمه، و يكون معتمـدا عليهـا فى أربع جهـات لاـ على أكثر منهـا، فإن كان ذلك/ كما قالوه، فما يمشـى حيوان و إن زادت قوائمه على أربع على أكثر من أربع منهـا، و بطـل مـا قـالوه. و أمّـا قولهم فلاـ معنى لـذكر ذلـك إذا علم قبل خبره، فإنّه باطل لأنّ معنى ذلك إخبارهم بقدرته على إقدارهم على المشـى مع اختلاف آلة المشـى، و أنّه لو شاء أن يجعلها كلّها تمشـى على بطونها أو على قوائم تعتمد عليها لفعل ذلك، فكأنّه يقول: انظروا أ فليس فى الحيوان ما يمشـى كـذلك لجنسه أو إيجاب خلقته أو لصورته، و إنّما ذلك بتقـدير العزيز العليم الـذى يعطى القـدرة على المشـى على وجه واحـد تقطع به المسافة مع اختلاف الآلـة، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما توهّموه. قـالوا: و من هـذا أيضـا قوله عزّ و جلّ: ما «۱» كـانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيـدُونَ عَرَضَ الـدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۷ (____) ۱) فى

الأصـل: «و ما»، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۷ لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (۶۸) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنفـال: ۶۷- ۶۹]، قالوا: و فى هـذه الآية ضـروب من الإحالة. فمنها لومه للنبيّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم، و عتـابه له على أخـذه الفـداء، و قوله إنّ ذلك ليس له منع قولكم بأنّه معصوم فى الأداء عن اللّه و وضـع الشـرع و إخباره تعالى بأنّه مصـطفىّ معصوم. و منها تغليظ فى العتاب له و لهم بقوله: تُرِيـدُونَ عَرَضَ الـدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيـدُ الْآخِرَةَ، و هذا نصّ منـه على عصـيان رسـوله و عصـيان متّبعيه على رأيه، و إنّهم خـالفوا بمـا صـنعوا من ذلـك حكمه و مراده، و اتّبعـوا عرض الـدنيا مؤثرين له على ثواب الآخرة. و منها الزيادة فى بيان اقترافه و إيّاهم الـذنب فى أخذ الفداء بقوله: لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ، و هذا تعظيم منه لشأن معصيتهم و قبح تجرّمهم. و منها أنّه قال عقيب ذلك: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً، قال: و كيف يأكلونه حلالا/ طيّبا و هم قد خالفوا فيما أخذوه و عدلوا عن نصـرة الدين إلى أخذ عرض من الدنيا يسير فشتّان بين الإخبار عن أكلهم له حلالاـ طيّبـا و بين الإخبـار عن قصـدهم به تحصـيل عرض الـدنيا و الإـعراض عن ثواب الآـخرة، ليوافقه أمره فى الإثخان فى القتل، قالوا: و هذا كلّه متناقض جدّا. فيقال لهم: لا تعلّق لكم فى شىء مما ذكرتم. فأمّا قول اللّه تعالى: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ فليس بعتاب للنبيّ صـلّى اللّه عليه و اللّه أعلم، و لا لوم منه له على ذلك لخطأ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۸

كان منه فی أخذ الفداء، لأنّ الناس فی أخذه الفداء و قتل من قتل، و منّه علی من أطلق علی أقاویل. فمنهم من یقول کان قد نصّ له علیه السلام علی التخییر بین القتل أو المنّ أو أخذ الفداء، و القائلون بهذا لا یسوّغ لهم القول بأنّه لم یکن له أخذ الفداء مع نصّه له علیه و منهم من یقول لم یکن عنده نصّ فی ذلک و إنّما فعله باجتهاده و عضّده مشورهٔ أبی بکر و من کان علی مثل رأیه فی المنّ و أخذ الفداء و هؤلاء علی قسمین. فمنهم من یقول إنّ الرسول لا یجوز علیه الخطأ فی الاجتهاد، فکیف لا یکون له فعل ما أدّاه إلیه الاجتهاد، و هو فرضه و صواب مقطوع علیه إذا فعله، و منهم من یقول یجوز علی النبیّ صلّی اللّه علیه الخطأ فی الاجتهاد غیر أنّ المأثم عنه فی ذلک موضوع، و فرضه الحکم بما أدّاه إلیه الاجتهاد، و لا یجوز لقائل هذا أن یقول: إن لم یکن للنبی علیه السلام أخذ الفداء ممّن رأی أخذه منه، مع قوله: إنّ ذلک فرضه علیه السلام إذا رآه، و کان جهد ما عنده لأنّ ذلک تناقض من القول لا شبههٔ فیه علی أحد، فعلم أنّه لا عتب علی النبیّ علیه السلام فی ذلک إن کان منصوصا له علی جواز ما فعله و التخییر له بینه و بین غیره، أو کان ذلک بقیاسه و جهد رأیه و إذا کان ذلک علم أنّه/ لیس التأویل فی الآیهٔ علی ما توهّموه. و قد زعم قوم من ضعفهٔ المفسّرین و من الفقهاء و المتکلّمین أنّ النبی صلّی اللّه علیه إنّما عوتب لأنّه أخذ الفداء من غیر تقدّم من اللّه عزّ و جلّ إلیه فی ذلک و لا أذن له فیه، لا من جههٔ نصّ له علی التخییر فی ذلک، و لا من جههٔ الاجتهاد المؤدّی إلی أنّ الواجب فی الحکم أخذه، و إذا کان ذلک أنظر للأمّهٔ و أبصر للدّین، و هذا القول خطأ من قائله، لأنّه غایهٔ الطعن علی الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۵۹ الرسول و القدح فی عدالته، لأنّه إذا فعل من ذلک ما لم یأذن اللّه له فیه من جههٔ نصّ أو اجتهاد، فقد عصی اللّه بذلک، و تقدّم بین یدیه و افتات فی دین اللّه و حکم فیه بهواه و ذلک نقیض وصفه عزّ و جلّ له فی قوله: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی [النجم: ۳- ۴]، و إن جاز ذلک علیه لم نأمنه منه فی جمیع ما أدّاه و وضعه من الشرع. و لیس یجوز لمسلم أن یقطع علی تخطئهٔ أدنی المؤمنین منزلهٔ فی قول أو فعل و هو یجد سبیلا إلی حمل ذلک منه علی تأویل یخرجه عن الخطأ و العصیان، فضلا عن الرسول علیه السلام و نحن نجد للآیهٔ من التأویل ما یوجب نفی ما قالوه عن الرسول علیه السلام، و علی کلّ حال فلا بدّ من أن یکون له فی الأسری حکم شرعی أو حکم عقلیّ، فإن کان له حکم شرعیّ فی ملّهٔ الرسول علیه السلام فلا یجوز أن یخفی ذلک علیه باتفاق. و إن لم یکن له فی ذلک حکم شرعیّ وجب تبقیتهم فی أنفسهم و أموالهم علی حکم العقل، فإمّا أن تکون أنفسهم فی العقل و أموالهم مباحهٔ أو محظورهٔ، و کلّ ذلک لا یوصف بأنّه مباح و لا محظور، و لا بدّ أن یکون النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أعلم الناس به، و إن کان ذلک مباحا فی العقل أو غیر محظور فیه، و إن لم یوصف بإباحهٔ و لا حظر لم یکن فی أخذ الأموال منهم جرم، لأنّ حکم العقل الواجب التمسّک به إلی حین نقل السمع له إلی غیره، فلا عیب علی فاعله، و إن کان ذلک/ محظورا فی العقل و لم یرد السمع علی الرسول بإطلاقه و تغییر حکمه فقد رکب علیه السلام محظورا مخالفا لحکم اللّه و ذلک منتف عنه صلّی اللّه علیه و سلّم و إذا کان ذلک کذلک بطل قول من زعم أنّه فعل من ذلک ما لم یکن له بنصّ و لا اجتهاد. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۰ و قد اعتذر قوم منهم فی هذا بأن قالوا: ما فعله الرسول من أخذ الفداء ممن أخذه، کان هو الصواب عند اللّه و الأنظر للأمّهٔ و الأقوی و الأصلح فی باب الدّین، و لکن إنّما عاتبه لأنّه فعل الذی هو الأصلح و الأولی من غیر أن یأمر اللّه به، فلامه و عنّفه علی ذلک لفعله قبل أمره، و إن کان لو أمره لم یأمره إلا بذلک بعینه. قالوا: و علی هذا نجد کثیرا من السّادهٔ یلومون من تحت طاعتهم علی فعل الأصلح و الأصوب الذی لو أمروهم لم یأمروهم إلا به، لأجل فعلهم له بغیر إذن منهم، و هذا الاعتذار غیر مخلّص لهم مما ألزمناهم و إن کان ما فعله النبیّ هو الأنظر للدّین و المسلمین، لأنّه لا بدّ إذا لم یکن أمره به من أن یکون قد نهاه عنه، و حظره علیه فی عقل أو سمع، أو لا یکون ناهیا له عنه، و إن کان ناهیا له عنه، فقد أخطأ و اعتمد ترک الصواب، و مخالفهٔ النهی، و هذا تصریح بالقدح فیه و الطعن فی عدالته و أمانته حاشاه من ذلک، و إن کان غیر ناه له عنه و لا محرّم لفعله فی عقل و لا سمع فلا عیب علیه و لا وجه لقوله: ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری و هو قد جعل له ذلک، و هذا ما لا مخرج لهم منه. و قد احتجّ قوم بهذه الآیهٔ فی إبطال الاجتهاد جملهٔ، و احتجّ بها آخرون فی إبطال اجتهاد النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم و أنّه لم یکن مأمورا بذلک، و هذا الاحتجاج باطل من قولهم، و ذلک أنّه لا یخلو النبی صلّی اللّه

عليه و سلّم من أن يكون اجتهد، أو لم يجتهد و إن كان لم يجتهد فلم يبطل اللّه اجتهادا له و لا لامه عليه و لا خطأه فيه، و إن كان قد/ اجتهد و حكم برأيه، فقد أقرّوا أنّه كان مجتهدا. فإن قالوا: كان مأمورا بالاجتهاد فقد أبطلوا قولهم، و إن كان منهيّا عن ذلك، و محظورا عليه الحكم به ففعل من هذا ما نهى عنه عاد بهم الأمر إلى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۱ الطعن على الرسول و القدح فى أمانته و الجرح لعدالته فبطل ما قالوه. و لو صحّ أنّ النّبيّ عليه السلام منهيّ عن الحكم بالاجتهاد، لم يدلّ ذلك على نهى الأمّة عن ذلك و منعهم منه، و أنّ أكثر القائسين يقولون إنّه كان محظورا عليه الاجتهاد، و إن كان مفروضا على الأمّة لعلل قد ذكرناها فى أصول الفقه بما يغنى الناظر فيها و فى الاعتراض عليها. و إذا كان ذلك كذلك بطل التعلّق بالآية فى إبطال أمر النبيّ عليه السلام بالاجتهاد و أمر الأمة به و لو ثبت أنّ النبيّ عليه السلام أخطأ فى اجتهاده فى هذا الحكم- و حاشاه من ذلك- لم يوجب خطأه فيه أن يكون فى الأصل منهيّا عن الاجتهاد، فهذا بعيد من المعتلّ به فى إبطال القياس، ثم رجع بنا الكلام إلى تأويل الآية على وجه ينفى الخطأ و العصيان و العيب عن الرسول عليه السلام. فإن قال الملحدون، أو بعض من ذكرناه من ضعفة المسلمين: فما معنى الآية عندكم؟ قيل لهم: يحتمل- و اللّه أعلم- أن يكون أراد بقوله: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ، أى: لم يكن ذلك لنبيّ من قبلك، و إنما خصصناك أنت بذلك تخفيفا عن الأمة التى بعثت إليها و تكرمة لذلك بتمييز قومك و أهل عصرك بتحليل العفو عنهم، و أخذ الفداء منهم، فكأنّه قال ما كان لنبيّ غيرك فحذف ذكر الغير و ما يقوم مقامه لكونه مما يفهم و يعلم من حال الرسول. و يحتمل أيضا أن يكون أراد ما كان لنبيّ أن يفعل ذلك، إذا كان الإثخان فى القتل هو الأحوط فى باب نصرة الدّين، و الأصلح الأنظر للمسلمين، و لم يقل إنّ ذلك ليس لنبيّ على الإطلاق، و لكن بهذه الشريطة،/ لأنّ كلّ نبيّ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۲ مبعوث بما هو الأحوط للملّة فى نظام أمر الشريعة، فكأنّه قال: ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى و أخذ فداء دون القتل، و القتل عنده أحظّ، و ما فعلت من ذلك إلا الأحظّ الأصلح فى باب الدين و هو أليق بالنبيّ صلّى اللّه عليه و غيره من النبيين، و يدلك على صحّة هذا التأويل أنّه قد يقوى المسلمين بأخذ الفداء، و أنّه قد أمّن عليه من أولئك الأسرى، و آمن خلق من نسلهم و ولدوا أنصارا للدين و المسلمين، و لا يجوز عند كثير من الأمّة أن يأمر اللّه بقتل من فى المعلوم أنّه إن بقّاه آمن و أسلم، و نسل أذكياء طاهرين، و أنصارا للدين و المؤمنين، حتى خلطوا و ضاقوا ذرعا فى جواب هذا السؤال لمّا طولبوا به. فقالوا: كان الأصلح أن لا يقتل من أخذ منه الفداء، و لكن لم يجز للنبى عليه السلام أن يفعل هذا الأصلح الأصوب إلا بإذن اللّه، و حتى يكون هذا الذى يشرعه له و يأمره به، فيكون الأصلح للنبيّ أن لا يأخذ الفداء، و أن ينتهى عن أخذه حتى يأتيه أمر من اللّه عز و جل بذلك. و هذا يؤول بهم إلى أنّ النبيّ عليه السلام قد كان فعل ما هو الأصلح الأصوب عند اللّه، و لكنّه فعله بغير أمره و تقدّم بذلك بين يديه، و هو لا يعلم ما الأصلح من ذلك عند اللّه، فإن كان قد نهاه عن أخذ الفداء بعقل أو سمع إلا بأن يأمره بأخذه، فأخذ بغير أمره فقد عصا و اعتمد الخطأ و حاشاه من ذلك، و إن كان لم ينهه عنه فلا معنى لقولهم ليس له فعل ذلك حتى يأذن له فيه، و لغيرهم أن يقول لهم و ليس له الامتناع من أخذه، و إن كان ذلك الأضرّ فى باب الدين، حتى يحظر اللّه عليه فعل ذلك، حتى يكون هو النّاهى له عنه و المنزل فيه و حيا، و هذا جواب من قال منهم قد فعل الأصلح عنده من غير أن يأذن له فيه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۳ و قد تحتمل الآية أن يقولوا فى جوابها و جواب هذه المطالبة،/ إنّما أراد فى الجملة أنّه ليس لنبيّ أن يكون له أسرى، و إن كان ذلك هو الأصلح عند اللّه، إلا بأذن اللّه دون أمره، و لم يخبر اللّه أنّ رسوله فعل من ذلك شيئا بغير أمره، و إنّما ذكر هذه الجملة فقط، فكلّ هذا يبين صحّة التأويلين اللذين ذهبنا إليهما دون الحكم بتخطئة الرسول فى نص أو اجتهاد. فإن قالوا: فما معنى قوله: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ قيل لهم: أراد بذلك- و هو أعلم- إنّ منكم من أخذ ذلك تعجّلا لعرض الدنيا، و لم يقصد به نصرة الدين و الأحظّ للمؤمنين، و أنّه أخذه مع الغناء عنه، فإمّا أن تكون هذه صفة للرسول عليه السلام و أبى بكر و علية المؤمنين الذين قالوا إنّ أخذه منهم فداء قوة للدين، و لعلّهم أن يؤمنوا فيكثروا المسلمين، فمعاذ اللّه أن يكون قصد من هذه سبيله ابتغاء عرض الدنيا، و أن يخلوا أمة و أهل عصر نبيّ و عسكر إمام و خليفة نبى و إمام من قوم تكون الدنيا عندهم و تعجيل أعراضها آثر من ثواب الآخرة، و يكونون إليها أميل، و اللّه

سبحانه إنّما عاتب هذه الطبقة دون من عداها و هذا بيّن فی سقوط ما قالوه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۴

فصل

فصل فإن قالوا: فما وجه قوله: لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ [الأنفال: ۶۸] قيل له: معنى ذلك أنه لو لا سبق حكمی و أمری بإطلاق أخذ الفداء لكم و تحليل أكل غنائم المشركين من محاربتكم، و أننی فرّقت فی ذلك بينكم و بين من عداكم من الأمم السالفة، لنا لكم و مسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم، لأنّه قد روی فی السيرة و ذكر المفسرون أنّه لم تحلّ الغنائم لأمة نبیّ قبل نبينا عليه السلام و أمة قبل أمّتنا، و أنّهم كانوا إذا أخذوا الغنائم حازوها و لم يردّوها على المشركين، و لم ينتفعوا بها و لكن يحرّقونها بالنار، فأكرم اللّه هذه الأمة و زاد فی تفضيله عليها، و التوسعة فی أحوالها؛ لتحليله لها أخذ الغنائم/ و الانتفاع بها فی وجوه التصرف من الأكل و غيره، فهذا تأويل قوله: لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ، يعنی سبق حكمه بإطلاق ذلك. فأمّا قوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً [الأنفال: ۶۹] فهذا هو الدال على صحّة ما قلناه، من أنّنی قد أحللت لكم ذلك بعد أن كنت حرمته على سائر الأمم قبلكم، فسلمتم بأخذه مع التحليل بسبق الكتاب به من العذاب، ثم أكّد تحليله و إطلاقه و بيان الفرق فی ذلك بيننا و بين من سلف من الأمم بقوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّباً أی: لستم فی أكله و لحوق مأثم بكم فيه كمن قبلكم، ممّن حرّمت ذلك عليه، و إذا كان ذلك كذلك بان سقوط قدحهم فی القرآن بهذا الضرب من الاعتراض. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۵ فإن قال قائل من الملحدة و القادحين فی أخبار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و غيرهم من ضعفاء الأمة و مبتدعيها و الطاعنين على سلفها، فما معنى ما روی من قول النبی عليه السلام «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منّا إلا عمر ابن الخطاب». قيل له: أراد بذلك أنّه لم يكن ينجو إلا هو، و من كان على مثل رأيه و صدّق نبيّه فی مناصحة الرسول و نصرة الدين، و الاحتياط على المسلمين، و إنّما خصّه بالذكر لما كان أظهر نفسه و إشهاره بالسيف، و سؤاله للرسول بأن يسلّم إلى كل رجل أقرب الناس إليه ليضرب عنقه، و قوله افعل يا رسول اللّه و اقطع شأفة الكفر، فهؤلاء الذين أخرجونا من مكة و فعلوا و فعلوا، فلما كان أكثرهم حرصا على ذلك، و إظهار القول فيه نسب أهل رأيه من الأمة إليه، فقال عند ذلك: لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه أی من الأمة إلا من كان على مثل رأی عمر فی منصاحته الدين ممن أشار بالقتل و استئصال شأفة الكفر، و ممن أشار بالمنّ و أخذ الفداء إذا كان ذلك هو الأصلح الأنظر للأمة، و ليسوا مطالبين بها/ عند اللّه فی هذا الباب، و إنما يطالب كلّ واحد منهم بأن يشير و يقول بما هو عنده الأحظّ للدين، سواء كان هو الأحظّ عند اللّه أم لا، و حرام على من الرأی عنده أخذ الفداء و المنّ أن يشير بالقتل، و حرام على من رأی الأحوط للدين و المؤمنين بالقتل أن يشير بأخذ الفداء و المنّ، لأنّ فرض كلّ واحد من المشيرين و أهل الرأی، خلاف فرض غيره إذا اختلفت عندهم الآراء و وجوه الصواب، و إن كانوا إذا اتفقوا على الرأی صار فرضهم واحدا كمشاهدی القبلة و الذين يغلب على ظنّهم كونها فی جهة واحدة فی تساوی فرضهم و وجوب اختلاف فرائض من اختلف فی اجتهاداتهم و آرائهم فی جهة القبلة. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۶۶ فإذا كان ذلك كذلك بأن الرسول عليه السلام لم يرد بهذا القول إن ثبت جميع الأمة، و هو منهم كانوا مستوجبين للعذاب لو نزل إلا عمر بن الخطاب، فهذا بعيد من الصواب، و لكنّه أراد عليه السلام أنّه هو و من كان على مثل رأيه هم الناجون. فإن قيل: و ما معنى نزول العذاب على قوم قد أشار كلّ واحد منهم بما عنده و ما هو فرضه، و الأولى فی الدين أن يشير به، فكلّهم إذا كانوا كذلك بمثابة عمر بن الخطاب، فی رأيه و مشورته و أدائه بما أشار به لفرضه. يقال لهم: لم يعن الرسول عليه السلام أحدا بذلك ممن ذكرتم، و كانت حاله فی الاحتياط للدين و المسلمين كحال عمر بن الخطاب، لأنّهم كلّهم على ما ذكرتم بمنزلة واحدة فی درجة من الحق و الصواب متساوية، و لكنّه علم عليه السلام أنّ فيهم قوما منافقين قصدهم بما يذكرونه من الرأی إضعاف الدين و توهين المسلمين، و منهم أيضا طبقة من المسلمين هم إلى جمع الأموال و تعجل عرض الدنيا أميل منهم إلى ثواب/ الآخرة لعاجل النفع و مركب الميل و الطبع، فهم بذلك عصاة غير كفار، و إن كانوا ليسوا من أهل القوة و البصائر فی الدين، و

تحصيل وافر الحظ من ثواب اللّه عزّ و جلّ، فإذا كان ذلك عنده عليه السلام متقرّرا ساغ أن يقول مثل هذا القول فى عمر و موافقته و طبقته تحذيرا من قلّة المناصحة فى الدين و المثابرة عن نيل قطعة من الدنيا و فان حقير، و هذا بيّن واضح فى إبطال ما تعلقوا به، و باللّه التأييد. قالوا: و مما ورد من الإحالة فى القرآن قوله عز و جل: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ [التوبة: الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۶۷ ۲۹]، فمن الإحالة فى الآية أمره لهم بإعطاء الجزية و أمرنا بأخذها منهم، و إن كانوا يمتنعون بإعطائها من الإيمان به و يقيمون بها على الكفر؛ فلا يخلوا إعطاؤهم الجزية من أن يكون طاعة للّه أو معصية له، فإن كان معصية له لأنّه طريق الامتناع من الإيمان و الاعتصام به مع المقام على الكفر، فكيف يأمرهم بما هو معصية له؟ و المعصية هى ما نهى عنه فهذا يوجب أن يكون أداء الجزية طاعة منهم من حيث أمروا به، و معصية من حيث امتنعوا به من الإيمان، و الإقرار بالرسول عليه السلام و هذا هو الاحالة، و إن كان أداء الجزية طاعة منهم و ليس بمعصية فكيف يكون طاعة لهم و هو ممتنع به من الإيمان به، هذا أيضا إحالة من القول. قالوا: و كذلك إن كنّا نحن و الرسول مطيعين فى أخذ الجزية منهم؛ وجب أن نكون مطيعين بأخذ ما يمتنعون به من الإيمان باللّه، و ذلك محال لأن الواجب علينا ترك (كلّما) يؤدى فعله إلى الصدّ عن الإيمان به. قالوا: و من/ الإحالة فى الآية أيضا قوله تعالى فى أهل الكتاب أنهم: لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، و ليست هذه صفة أهل الكتاب، لأنّهم يؤمنون باللّه و بالثواب و العقاب و اليوم الآخر، فهذا- زعموا- تقوّل عليهم و وصف لهم بغير صفتهم. فيقال لهم: لا تعلّق لكم فى شيء مما وصفتم و ذكرتم، فأمّا قولكم إنّهم مأمورون بدفع الجزية إلينا فإنه باطل، لأنّهم مأمورون بفعل الإيمان باللّه و رسوله و بترك ما يمتنعون به من ذلك، فإن كانوا يمتنعون بأداء الجزية من الإيمان فهم مأمورون بترك الأداء، و لكن ليس أداء الجزية مما يمتنعون به الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۶۸ من الإيمان باللّه و تصديق رسوله، و إنما يمتنعون به من قتلنا لهم و قتالنا إيّاهم، فإنما يأخذها منهم بدلا من قتلهم و قتالهم لا من الإيمان باللّه و برسوله، و لو آمنوا بهما لزال فرض قتالهم، و إذا زال فرضه لم يجز إثبات بدل منه يقوم مقامه، فبان بذلك أنّ الجزية ليست ببدل من إيمانهم. و أما قولكم: إنّهم مأمورون بأدائها مع المقام على الكفر باللّه و برسوله، فإنّه أيضا كلام باطل محال، لأن الكافر لا علم له باللّه، و لا إيمان فيه به و قد أقمنا أوضح الدليل على ذلك فى باب الكلام فى الوعيد و الأسماء و الأحكام، و إذا ثبت ذلك، ثبت أنّ اللّه سبحانه لا يجوز أن يأمر الكافر به بأن يفعل طاعة لوجهه، من أداء جزية أو صدقة أو بر أو شيء من القرب مع المقام على الكفر به و الجحد له و لرسله، لأنّه لا يجوز وقوع طاعة من الكافر يصحّ أن يراد اللّه بها، و أن لا يراد بفعلها من المقام على الجهل، و الكافر كذلك عندنا غير مأمور مع المقام على جهله باللّه و كفره بشيء من القرب إلى اللّه عزّ و جلّ، و كيف يؤمر بالقرب إلى اللّه سبحانه و فعل طاعته لوجهه من/ يجحد اللّه و لا يعرفه؟! و اليهود و كلّ كافر باللّه و جاحد لنبوة بعض أنبيائه غير عارف باللّه و لا إيمان فيه به على ما بيّناه فى غير هذا الكتاب، و إذا صحّ ذلك بطل أن يكون الكافر مأمورا مع المقام على كفره بشيء من القرب إلى اللّه عزّ و جلّ، و إنّما يؤمر الكافر بفعل الطاعة و العبادات بشريطة تقديمه فعل الإيمان باللّه، ثم التقرّب إليه بفعل الطاعة له، و قد علم أن أهل الكتاب لو آمنوا باللّه و برسوله لم يجب قتالهم و قتلهم و لم يلزمهم أداء الجزية إلينا، يكون بدلا من قتلهم و قتالهم، لأنّ ذلك محظورا علينا إذا آمنوا باللّه و برسوله؛ فسقط بذلك ما ظنّوه من أمر الكافر بأداء الجزية. الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۶۹ و قد قال من خالف أهل الحق من القدرية: إنّ أهل الكتاب مأمورون بأداء الجزية إذا أقاموا على كفرهم و لم يؤمنوا باللّه و برسوله، و أنّهم لم يؤمروا بأدائها ليمتنعوا بها من الإيمان، و لكن يمتنعون به من قتلهم و قتالهم. قالوا: و هم مطيعون للّه بهذا الفعل و ببر الوالدين و كثير من القرب، غير أنّهم غير مثابين على فعل هذه الطاعات فى الآخرة لامتناعهم من الإيمان الذى بفعله يصلون إلى ثواب أعمالهم، و ذلك معرض لهم لو أرادوا الوصول إليه بأن يؤمنوا ليصلوا بذلك إلى ثواب طاعاتهم، فقدّر أصحاب هذا الجواب على أنّهم مأمورون بأداء الجزية و غير ذلك مما إذا فعلوه كانوا مطيعين به، غير أنّهم ليسوا بمثابين على طاعاتهم، فلا سؤال لهم عليه من حيث طعنوا. و لكن يجب البيان للقدرية بأنّهم مخبّطون فى قولهم على أصولهم الفاسدة بأنهم مأمورون بما لا ثواب لهم عليه، لأنّ ذلك جور على

أصولهم، لأنّ الأمر بالطاعة و العبادة أمر بإدخال ضرر على النفس و ألم و كدّ مع المقام على/ الجحد، فإن كان لا ثواب عليه و فى تركه عقاب، فكان الكافر و الفاسق المصرّ عندهم مأمورين بفعل الطاعة للّه مع المقام على الكفر و الفسق، و معروف أنّهم غير مثابين على الضرر الداخل عليهم بفعل العبادة إذا فعلوها، و إنّ عليهم فى ترك ذلك عقابا فهذا عندهم نفس الظلم و العدوان، و القول بجواز إدخال ألم و ضرر على المكلف، لا نفع له فيه فى عاجل و لا آجل، و لا هو مستحقّ و لا مقصود به النفع، و هذا عندهم حدّ الظلم و حقيقته، فكأنّ الكافر و الفاسق إنما يجب أن يطيعا اللّه عز و جل خوفا من عقابه فقط، لا لرجاء ثوابه، و ليس بعادل و لا حكيم عندهم المطاع الذى هذه صفته، فهذا نقض لأصولهم بيّن. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۰ فأمّا نحن فإنّنا مأمورون لا محالة بأخذ الجزية من أهل الكتاب بما أقاموا، على كفرهم و مطيعون بذلك، لأنّه مأخوذ علينا ذلك فيهم، سواء امتنعوا من أدائها إلينا من الإيمان، أو من قتلنا لهم و القتال، و لو قال لنا سبحانه صريحا خذوا الجزية ممن يمتنع بأخذكم لها من الإيمان بى؛ لوجب أن نكون بأخذها طائعين، و إن كانوا هم بالمقام على أدائها و الامتناع من الإيمان عاصين، كما نكون نحن طائعين بطاعة الإمام إذا أمرنا بتنفيذ حكم يقول لنا قد علمت وجوبه، أو قامت البيّنة عندى به، و أنتم لا تعرفونها، و إن كان هو عاصيا بالأمر بإنفاذ الحكم إذا علم من جرح الشهود ما لم يعلمه، و كان غير عالم بما ادّعى العلم به، و كما يجب على المستفتى قبول قول المفتى، و إن كان المفتى له عاصيا بفتواه له بغير دين اللّه، و إن لم يفعل ذلك العامى، و إذا كان ذلك كذلك! لم يستحيل أن يكون فعل الشىء من غير المكلف معصية، و يكون اتّباعه عليه و الانقياد له منا طاعة و بطل بذلك كل ما قالوه فى هذا/ الفصل. فأما قوله عزّ و جلّ فى صفة أهل الكتاب بأنّهم لا يؤمنون باللّه و لا باليوم الآخر، فإنّه صحيح على أصول أهل الحق خاصة، لأنّهم كفار باللّه، و الكافر باللّه غير مؤمن به من وجه، و قول اللّه بأنّهم غير مؤمنين أصدق من إخبارهم عن أنفسهم بأنهم مؤمنين باللّه، و لو علم أنهم مؤمنون به لما قال إنهم كافرون به، لأنّ ذلك تحيّف لهم، و وصف بغير صفتهم، و لم يقل إنّ الجاحد لنبوة الرسل يجب كونه كافرا باللّه و غير مؤمن به، لأجل إيجاب العقل ليضمن الجهل بالنبوّة لعدم العلم باللّه، و الإقرار بوجوده و قدمه و ربوبيته، لكن لأجل ورود السمع بأنّ جاحدها كافر باللّه، فصار جحد النبوة أحد الأعلام و الأدلة على كفر الجاحد لها باللّه، و بمثابة كون دخول الدار الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۱ علامة على الكفر و الإيمان إذا قال الرسول لا يدخل هذه الدار إلا مؤمن باللّه و برسوله، أو كافر باللّه و برسوله، لا لأجل تضمّن الأكوان التى هى دخول الدار لوجود الإيمان باللّه أو الكفر به على ما بيناه فى غير أهل الكتاب، و كل مخبر من أهل الكتاب المظهر لليهودية و غيرها من الملل، إما أن يكون جاحدا بقلبه و مظهرا بلسانه ما ليس فيه أو يكون مخبرا عن اعتقاد موطن لوجود البارى و قدمه و توحيده، و تقليد منه فى ذلك، و هو يظنّه علما، فيكون لذلك جاهلا باللّه و غير مؤمن به، و إذا كان ذلك كذلك بطل قولهم إنّ اليهودىّ مؤمن باللّه و اليوم الآخر، هذا جوابنا. و قد أجاب قوم عن ذلك بأن قالوا إنما أراد بقوله فى صفة اليهود و أهل الكتاب بعد قوله: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا [التوبة: ۲۸]، بأنهم لا يؤمنون باللّه أنّ أفعالهم، أفعال من لا يؤمن باللّه و يضاهون أفعالهم و طرائقهم، فيكون/ ذلك على طريقة التشبيه لهم بمن لا يؤمن باللّه، لا على نفى الإيمان عنهم على التحقيق، كما يقول القائل: هذا الظالم الجبار لا يؤمن باللّه، أى: فعله و طريقته فعل من لا يؤمن باللّه على مذهب التشبيه. و أجاب آخرون عن ذلك بأنهم قالوا: إنما عنى بقوله: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الذين ابتدأ بذكرهم فى قوله: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا، فقال: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ، فحذف تكرار لفظة الذين، و قد يكرّر هذا اللفظ تارة و يستثقل تكراره أخرى، و يقتصر على ذكره دفعة واحدة على وجه الحذف و الاختصار و إذا كان ذلك كذلك بطل ما تعلّقوا به فى هذه الآية من جميع الوجوه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۲ قالوا: و من الإحالة الواردة فى القرآن فى صفة اليهود قوله عزّ و جلّ: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ [التوبة: ۳۰]، قالوا: و اليهود جميعا تنكر ذلك، و قد علم أن هذا ليس من دينها. فيقال لهم: صيغة الظاهر لا توجب استغراق جميع اليهود، و قولهم كلّهم بذلك و تناوله لمن مضى منهم و من فى الحال، و من هو آت بل هو قول

محتمل للخصوص و العموم، و ظاهره أيضا مفيد لفعل ماض من قوم قالوا ذلك و سلفوا من اليهود، و ليس يخبر عمّن يأتى بعد النّبى عليه السلام من أهل عصرنا و غيرهم من أهل الأعصار، و إذا كان ذلك كذلك و كان اللّه عز و جل أصدق منهم و كان المؤدى لهذا القول عنه من قامت الحجة القاهرة بثبوت نبوته، وجب حمل الآية على أنّ طائفة منهم ممن سلف قال ذلك و اعتقده، أو رئيس من رؤسائهم وداع من دعاتهم، و قد ورد فى الآثار عن بعض السلف أن الذى قال ذلك واحد منهم، هو المسمى فنحاص، و يجوز أن يكون/ هو الذى ابتدأ القول بذلك و اتبعه عليه قوم منهم فقال: و قالت اليهود، و هو يريد البعض منهم، إما رئيس منهم أو طائفة منهم، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما تعلّقوا به. و أما قوله تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [النساء: ۸۲]، فإنما أراد- و هو أعلم- أنّهم كانوا يجدون فيه تنافيا و تناقضا كثيرا لا معنى له، و لا يسوغ و يجوز استعمال مثله فى اللغة العربية و لو وجد نظمه مختلفا متنافيا من ضروب من أوزان كلام العرب، لا يخرج عما يعرفونه و لوجدوا فيه الثقيل الجزل الرصين، و الخفيف المستغثّ السخيف، كما يوجد ذلك أجمع فى كلام جميع العرب من أهل النظم و النثر، و لم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۳ يجدوه على حد واحد و نمط غير مختلف و لا متزايد فى جزالة اللفظ، و حسن النظم و الفصاحة، و البراعة الخارقة للعادة. و لم يعن بقوله: لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً اختلاف قراءته و اختلافا فى تأويله و أحكامه الغامضة، فكيف يريد ذلك و هو تعالى قد أنزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف، و قد تظاهرت الأخبار بذلك عن الرسول عليه السلام و أنّه أقرأهم قراءات مختلفة و صوّبهم، فلم يقل له قائل منهم هذا اختلاف فى التنزيل. و لو كان الأمر على ما ادّعوه لم يذهب ذلك على الصحابة، و لم يجز فى مستقر العادة إضرابهم عن ذكر هذه الموافقة، و كذلك لا يجوز أن يكون على اختلافه فى الأحكام و التأويل، لأنّ ذلك لا يجعل القرآن نفسه مختلفا، و اللّه قال: لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً، و الاختلاف فى تأويله غير الاختلاف فى تنزيله و لا خلاف بين أهل اللغة أن التناقض و الكذب يسمى مختلفا و خلفا من القول، و لذلك يقولون فيمن اعتقدوا فيه الكذب حديثه مختلف، و قد اختلفت روايته و قوله فى هذا، و هذا خلف من الكلام، و اللّه تعالى إنما نفى عن كلامه هذا/ الاختلاف لأنّ ذلك يوجب أن يكون نفس كلامه مختلفا، و ليس الاختلاف فى تأويل كلامه اختلافا فيه، لأنّ اللّه تعالى قد نصب الأدلة القاطعة على مراده بالمحتمل؛ إما ببيانه فى آية أخرى أو سنة ثابتة أو إجماع من الأمة، أو دليل عقل و خبر جلّ ثناؤه فيما احتمل أمورا كثيرة من الأحكام الشرعية نحو قوله: وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ [البقرة: ۲۲۸]، و قوله: أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ [البقرة: ۲۳۷]، و قوله: أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ [النساء: ۴۳]، و أمثال ذلك. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۴ و ليس يجب إذا اختلف العلماء فى ذلك و خيّروا فيه، إذا استوت عندهم التأويلات، و خيّرت العامة فى استفتاء من شاءوا منهم أن يكون ذلك مصيّرا لكتابه مختلفا، كما أنّه لا يجب إذا خير العلماء و العامة فى الكفارات الثلاثة أن يصير حكمه مختلفا، فإذا كان ذلك كذلك ثبت أن التأويل فى نفى الاختلاف ما قلناه دون ما ظنوه. و قد يمكن أيضا أن يكون تعالى عنى بقوله: لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً عاريا من دليل قائم على صحيح ما اختلف فيه من فاسده، حتى يصير لعروّه من ذلك مشكلا ملبسا لا سبيل إلى معرفة المراد بتأويله و القصد به، و لم يرد نفى الاختلاف الذى قام الدليل على صحّة صحيحه و بطلان فاسده، فإذا كان ذلك كذلك زال ما تعلقوا به. فأما قوله تعالى: تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ [الفيل: ۴]، و لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ [الذاريات: ۳۳] «۱»، و قوله: قَوارِيرَا (۱۵) قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً [الإنسان: ۱۵- ۱۶] فإننا قد أبنّا الجواب عنه و المراد به فيما سلف بما يغنى عن رده. فأما قوله تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ [يونس: ۹۴]، مع قوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ [البقرة: ۲۸۵]، و الخطاب له عند كافة أهل التأويل، و المراد به أمته، و هذا مما يسوغ و يجوز فى اللغة، و مثله قوله: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: ۶۵]، الخطاب له و المقصد به غيره، على أنه قد يجوز أن يقول القائل لغيره فى الأمر الذى يعلم أنه يحقه و يعرفه (______________________________/ ۱) هكذا الآية، و قد وردت فى الأصل: «و أرسل عليهم حجارة من طين» و ليس فى القرآن آية على هذا النسق، و الصواب ما أثبتناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۵ يقينا فإن كنت فى شكّ مما قد أخبرتك به و ريب مما قلته فسل فلانا، و سل غيرى، و إنّما يورد ذلك على وجه التأكيد و

التثبيت للعارف بما يقوله، لا على أنّه فى الحقيقة شاكّ مرتاب فى خبره، و كذلك قد يهدد المرء من يعلم أنه لا يخالفه و لا يعصيه و يقول له: إن عصيتنى عاقبتك، إذا علم أنّ ذلك لطف له فى التمسّك بطاعته و الانزجار عن معصيته و إذا علم أنّ سامعى توعّده يصلحون و يرهبون سماع ذلك الوعيد، و إذا كان ذلك كذلك زال تعلّقهم بالآية. و أمّا قوله تعالى: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ۸۹]، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام: ۳۸]، و قوله: هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ [آل عمران: ۱۳۸]، فلا منافاة بينه و بين قوله: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ [آل عمران: ۷] لأمور: أحدها: أنّه يمكن أن يكون المراد بقوله تبيانا لكلّ شيء، و هذا بيان للناس على قول من وقف على قوله: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ۷]، و جعل قوله: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران: ۷] واو استئناف، أنّه سبحانه ما فرّط فيه من شيء فرض على المكلّفين علمه و العمل به و المصير إلى موجبه، و جعلهم فى حرج و مأثم فى الجهل به، أو رعاهم و ندبهم على سبيل القصد إلى معرفته، و كذلك قوله: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ و بَيانٌ لِلنَّاسِ، إنما أراد به أنّه لما ألزموه و كلفوه و أخذوا بمعرفته، و لم يرد تعالى أنه بيان لما لا نهاية له من معلوماته على وجه التفصيل، و لا أنّه بيان لجميع ما تعبّد به من شرائع من سلف من النبيين و مشتمل على شرح جميع سنن المتقدمين و أقاصيص الأولين. و لذلك قال: وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ [النساء: ۱۶۴]، و لا أراد أنه بيان لتأويل ما لا يعلم تأويله إلا اللّه الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۶ وحده، و بمعنى قوله: كهيعص [مريم: ۱] و غير ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور و غيرها من الكلمات التى لا يعلم معناها/ إلا اللّه تعالى على قول من وقف عند قوله: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ قالوا: لأنّ القرآن خاصّ و عام، و كذلك قوله: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ، مخصوص فيما ألزم الناس معرفته دون ما أسقط اللّه عنهم فرض العمل به من المتشابه و هو بمثابة قوله: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [الرعد: ۱۶]، و يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ [القصص: ۵۷]، وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ۲۳]، و تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ [الأحقاف: ۲۵]، و كلّ ذلك على الخصوص، و إن كان واردا بلفظ العموم، و إذا ثبت هذا بطل ما تعلقوا به. فأمّا نحن و كثير من أماثل أهل العلم، فإنّنا لا نعتقد أنّ للعموم صيغة تثبت له، و نقول إنه يجب التوقيف و التثبت فى قوله: تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ، و ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ، و هل أراد به الخصوص أو العموم، لأنّه عندنا كلام محتمل للأمرين جميعا فلا مطالبة لهم علينا، و الذى نختاره و نذهب إليه فى تأويل قوله: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ أنّه ما اشتبه ظاهره، و احتمل تأويلات كثيرة مختلفة، و احتيج فى معرفة المراد به إلى فحص و تأمّل، و ردّ له إلى ظاهر آخر و دليل عقل و ما يقوم مقام ذلك، مما يكشف المراد به، و إنّ ذلك مما يعلم اللّه تأويله، و يعلمه أيضا الراسخون فى العلم، و أنّ اللّه سبحانه لم ينزل من كتابه شيئا لا يعرف تأويله، و لا طريق للعرب الذين أنزل عليهم، و لا لهم سبيل إلى العلم به، و لا يجوز أن يكلمهم بما هو سبيله مع قوله: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا [الزخرف: ۳]، و قوله: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ [إبراهيم: ۴]، و قوله: لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [النحل: ۱۰۳] فى نظائر هذه الآيات الدالة على الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۷ أنّه نزل بلسان العرب، و ما تعرفه و تعقله فى عادة خطابها، و لا نقول بالوقف على قوله: إِلَّا اللَّهُ بل الواو عندنا فى قوله: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و او نسق و عطف، و أن جميع ما روى عن بعض المفسرين و أهل اللغة أنه لا يعرف له تأويلا، فإنّه معروف المعنى و التأويل/ عند غيره، و مما قد كشف اللّه سبحانه عن المراد بواضح أدلته، و بيّن براهينه، و إذا كان ذلك كذلك بطل توهّمهم أنّ اللّه سبحانه قد أنزل فى كتابه ما لا يعرفه أهل اللغة و لا طريق للخلق جميعا إلى معرفة المراد به. فإن قالوا: فلا معنى على هذا التأويل لقوله: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، لأنّ ما قد أوضح الدليل على المراد به و عرف به معناه فليس بمتشابه. قيل لهم: ليس الأمر على ما ظننتم لأنّ ما عرف بالدليل إذا كان ظاهره محتملا لتأويلات مختلفة، فهو مشتبه على من أهمل و صدف بنفسه عن صحيح النظر، و على من نظر و اجتهد إلى أن يعلم و يعرف المراد به، و تزول الشبهة و الريب عن قلبه، و هو أيضا مشتبه على من ارتدّ عن دينه، و اعتقد الجهل و صحّة الشبهات بعد معرفته و صحيح نظره، لأنه إذا لم يكن طريق معرفة المراد بالمتشابه الضرورات و درك الحواس و تركيب الطباع و العادات، و لا صيغة للكلام بظاهره؛ جاز أن يلحق الناس فيه ما وصفناه، و كلما كان الشيء المقصود بالآية ألطف و أغمض؛ كانت معرفته أصعب و أبعد، و كان

الاشتباه فيه أكثر، و كلّما قرّب كان أجلى و أظهر، و لو كان كلّ قول إلى معرفة المراد به سبيلا و طريقا غير متشابه، لم يجز على هذا أن يكون فى كلام البلغاء و الشعراء أو الخطباء و العرب العاربة شىء متشابه، و لوجب أن تكون الخاصة و العامة فى منزلة متساوية، و طبقة واحدة من معرفة اللغة، و إثبات المعانى، و غامض الإعراب، و معرفة غريب الشعر و الحديث، و كلام الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۸ الفصحاء و نوادر اللغة، إذا لم يكن فى ذلک شىء مشتبه، و هذا جهل ممن صار إليه و حمل نفسه عليه. و إذا كان الأمر على ما وصفناه و كان كلّ ما ذكرنا حاله من غريب الكلام و مشكل الألفاظ متشابها على من لم يعرفه، و على من عرفه قبل تحقّقه، و على من جهله و شکّ/ فيه بعد العلم به، و إن كان الدليل على المراد به قائما منصوبا معرّضا لمن طلبه سقط ما قالوه، و وجب أن يكون ما هذه سبيله من كلام اللّه سبحانه متشابها و إن كان الدليل على المراد به منصوبا لائحا. فإن قالوا: أ فليس قد قال كثير من أهل التفسير إنّ الوقف واجب على قوله إِلَّا اللَّهُ و أنكروا ما قلتموه. قيل لهم: أجل، فقد غلط و وهم من قال ذلک لأنّهم لم يرووه عن اللّه تعالى و لا عن رسوله، و إنما صاروا إلى ذلک بتأويلهم و اجتهادهم و هم غير معصومين من الزلل. فإن قالوا: فقد يجوز عندكم أن تكون الواو فى قوله: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ واو استئناف لوصف المؤمنين بأنّهم يؤمنون به، و يسلمونه من غير معرفة بالمراد به، و يجوز أن تكون واو نسق و اشتراک فى الصفة. قيل لهم: يجوز ذلک عندنا و عند سائر أهل اللغة و صحة الاستعمال، غير أنّ اللّه تعالى و رسوله عليه السلام قد دلّا بما قدمنا ذكره عن الآى على أنّ اللّه سبحانه أنزل القرآن بلسان العرب، و ما تجد و تعتقد فى خطابها، فلذلک جعلنا الواو هاهنا واو نسق و اشتراک. فإن قالوا: كيف يسوغ لكم جعل الواو واو نسق، و أنتم إذا فعلتم ذلک (قطعتم الراسخون فى العلم) عن أن يقولوا آمنا به، لأنه ليس فى الكلام واو الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۷۹ نسق توجب للراسخين فعلين، و لو كان التأويل على ما ذكرتم لكان من حقه أن يقول: و ما يعلم تأويله إلا اللّه و الراسخون فى العلم، و يقولون آمنا به حتى يوجب لهم الواو الأول نسقهم على اللّه سبحانه و الواو الثانى قولهم: آمنّا به كلّ من عند ربنا، و إذا لم يفعل ذلک بطل ما قلتموه. يقال لهم: لا يجب ما طالبتم به لأنّ أهل اللغة قالوا: إنّ يقولون هاهنا فى معنى الحال و اسم الحال، و بمثابة قوله لو قال و الراسخون فى العلم قائلون آمنا به لأنّهم يحلون الفعل المضارع محلّ الاسم من وجوه: أحدها: إنّک تقول مررت برجل يأكل، و يقوم و يقول، فيحلّه محلّ قولک مررت برجل/ قائم، و قائل هذا- زعموا- أحد وجوه المضارعة بين الاسم و الفعل، و يوضّح ذلک و يبيّنه أنهم يقولون: لا يأتيک إلا عبد اللّه زيد يقول: أنا مسرور بزيارتک، يعنون لا- يأتيک إلا- عبد اللّه زيد قائلا- أنا مسرور بزيارتک، فجعلوا يقول بمنزلة قولهم: قائل مسرور. قال الحميدى يرثى رجلا- فى قصيدة أولها: أصرمت حبلک من أمامة بعد أيام برامه الريح تبكى شجوه و البرق يلمع فى غمامه يعنى بذلک البرق لامعا فى غمامة تبكى شجوه أيضا، لأنّه لو لم يرد أنّ البرق يبكى شجوه، كما أنّ الريح تبكى شجوه لكان هاذيا، و لكان قوله: و البرق يلمع فى غمامة كلاما متقطعا أجنبيا مما قاله، و لم يكن لذكر لمعان البرق معنى، لأنه لا تعلّق بين لمعان البرق و بكاء الريح شجوا من بكائه و كأنّه رجل، قال: و الريح تبكى شجوه و زيد راكب أتانته، و أىّ تعلّق بين بكاء الريح و ركوب زيد، فدلّ ذلک على أنّه أراد بقوله: و البرق يلمع فى الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۰ غمامة أنه لامع فى غمامة تبكى أيضا شجوه و لم يحتج أن يقول الريح تبكى شجوه و البرق يلمع فى غمامه، و إذا كان ذلک كذلک بطلت هذه الشبهة، و صحّ أنّ التأويل على ما وصفناه. و قد اختلف الناس فى معنى وصف الخطاب بأنّه متشابه و محكم، فأمّا معنى وصفه بأنّه محكم فإنّه منصرف إلى معنيين: أحدهما أن يكون ظاهرا مبيّنا عن المراد بنفسه و ظاهره، نحو قوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [الفتح: ۲۹]، يا أَيُّهَا النَّبِيُّ [التحريم: ۱]، حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ [النساء: ۲۳]، وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً [الإسراء: ۳۲] و نحو ذلک. و قد يوصف أنّه محكم على معنى إحكام النّظم و التأليف، و تضمنه للمعنى الصحيح من غير اختلاف و لا تناقض و لا غيره من معنى يصح أن يقصد بالخطاب إليه، و كذلک صار غريب حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و صحابته، و مشكل كلامهم و كلام البلغاء من الشعراء و الخطباء/ و المترسلين محكما، و إن كان غامضا يحتاج إلى تفسير و تأويل. فأما معنى وصف الخطاب بأنّه متشابه، فقد اختلف فيه، فقال قائلون: المتشابه هو المنسوخ من الآية، و أن المحكم هو الناسخ، و قال آخرون: المتشابه هو مثل قوله: الم الر، كهيعص، طسم، حم، عسق و نحو ذلک من الحروف

المقطعة فی أوائل السور، و ما عدا ذلک فهو محکم بأسره. و قال قائلون: المحکم الذی یعرف المراد به من نفس ظاهره من غیر تأویل و لا نظر و اجتهاد ورد له إلی غیره، و المتشابه: ما کان المراد به فی تأویله دون لفظه، و المحکم تأویله هو تنزیله من غیر صرف له عن ظاهره و تطلّب لمعناه، و قال آخرون: المتشابه ما اشتبه لفظه و اختلف معناه. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۱ و الذی نختاره فی ذلک أن المتشابه هو کلّ ما أشکل و التبس المراد به و احتیج فی معرفهٔ معناه إلی طلب التأویل، و سواء کان مشتبه اللفظ و إن اختلف معناه، أو کان لفظا غیر مشبه للفظ آخر، غیر أنّ المراد به لا یعرف و لا یوصل إلیه من نفس ظاهره و فحواه و لحنه، و لکن بالتأمل و الاستخراج، و إنما سمی ما هذه سبیله متشابها لاشتباه معناه و اختلاطه و التباسه بغیره عند من لم یعرفه و لم یوف النظر حقّه. و أصل المتشابه فی الکلام أن یشبه اللفظ اللفظ فی صیغته و صورته، و إن اختلف معناهما، و منه قوله: تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ [البقرهٔ: ۱۱۸] أی: أشبه بعضها بعضا فی الکفر و الإصرار و العتو، و منه قوله تعالی فی ثمر الجنهٔ: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً [البقرهٔ: ۲۵]، یعنی فی الصورهٔ و اللون و الهیئهٔ، و إن اختلفت الروائح و الطعوم، و منه قولهم: أشبه زید عمرا فی خلقته و حسن هدیه و طرائقه، و قولهم: اشتبه علیّ الأمر إذا ألبس بغیره، و منه سمّیت الشّبههٔ المصوّرهٔ للباطل بصورهٔ الحق شبههٔ، و منه سمّی نصار الباطل، و أصحاب الحیل و النارنجیات أصحاب الشبه،/ هذا أصل التشابه فی اللغهٔ، و قد یکون المشتبه من کتاب اللّه مشتبها بأن یتفق لفظه و صورته و یختلف معناه، و قد یکون بأن یغمض و یدقّ و یخفی معناه، فلا بدّ من تبیین الإمعان بالنظر، و البحث عنه، و لیس فیه إلا ما قد عرف أهل العلم تأویله، و المراد بحجّته و دلیله و لیس فی أهل التأویل من قال: إنی لا أعرف معنی هذه الکلمهٔ و الآیهٔ منه، بل قد فسّروا سائره و بیّنوه و کشفوا عنه، و کلّ ما یروی عن أحد منهم من السلف، و من بعدهم أنه لاـ یعرف معنی شیء منه، فإنّه لا معتبر به، لأنّه خبر واحد و یجب صرفه إلی أنه قد عرفه و فسّره بعد أن کان لا یعرفه، أو إلی أنّه هو وحده لا یعرف ذلک دون رسول اللّه و صحابته، الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۲ و الراسخون فی العلم، و لیس یحفظ عن أحد منهم أنه قال: لست أعرف معنی هذه الکلمهٔ و لا رسول اللّه، و لا أحد من علماء الأمهٔ، و إذا کان ذلک کذلک بطل شغبهم و زال توهّمهم. فأما قوله: الم، الر، حم، عسق، کهیعص، و نحوه من الحروف المقطّعهٔ فی أوائل السور، فقد اختلف الناس فی تأویلها، فقال بعضهم: إنها من المتشابه الذی لا یعلم تأویله إلا اللّه سبحانه، و هذا باطل بما قدمناه من قبل، و من قال إن معناه معروف عند أهل العلم فی ذلک أقاویل. فقال بعضهم: هی أسماء السور و بمثابهٔ الأسماء الأعلام الموضوعهٔ للأشخاص. و قال آخرون: إنها أقسام أقسم اللّه بها لأجل تضمّنها لأجل ما سنصفه بعد ذکر الخلاف، و قال آخرون: هی حروف مأخوذهٔ من أسماء اللّه تعالی و صفاته، و کلّ حرف منها کنایهٔ عن اسم هو منه. و قال بعض من تکلّم فی هذا الباب: هذه الحروف کنایهٔ عن حساب کحساب الجمّل، و أنّ کلّ حرف منها لقدر من عدد سنیّ بقاء أمهٔ محمد صلّی اللّه علیه، و قال آخرون: معنی التکلّم بها و جعلها فی أوائل السور/ أن قوم الرسول صلّی اللّه علیه کانوا یلغون فی القرآن و لا یسمعون له و یصدّون عن سماعه و فهمه قصدا للطعن فیه و الصّدف عنه، فأراد اللّه أن یبدأهم بهذه الحروف المقطّعهٔ، لیفرغوا لذلک و یصغوا إلیه و یستکثروه و یطمعوا فی أن یقول بعضهم لبعض اسمعوا ما یقوله و یهذی به، و إذا نصتوا له أقبل علیهم بالقرآن و والی حکم الکلام و فصیح الخطاب بعد ما صرفهم بالحروف المقطّعهٔ عن اللغو و الإعراض. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۳ و قال آخرون: إنه لا معنی لهذه الحروف أکثر من ابتداء الکلام بها و تقدیمها أمامه، لأنّ ذلک من شأن العرب و عادتهم عند التکلم، لأنّها تبدأ بالحرف و الحرفین، فیقول القائل منهم: ألا إنی ذاهب، إلی قائل لفلان کذا و کذا. هذه جملهٔ ما یعلم أنّه قیل فی تأویلها، و لیس یخرج عن أن یکون بعض ما قیل فی ذلک. فأمّا من قال: إنها أسماء أعلام السور التی هی فی أولها، فلیس ببعید لأن صاد و قاف و نون قد صارت أسماء أعلام لهذه السّور کزید و عمرو، لأنّه قد علم من قول القائل: إنی قرأت صاد أنه قرأ السورهٔ إلی آخرها، التی هذه الحروف فی أولها، و یجب علی هذا أن یقال إن اللّه سبحانه قد أحدث فی الشریعهٔ أسماء لهذه السّور لم تکن من قبل أسماء لشیء فی اللغهٔ، و لیس هذا من تغییر الأسماء اللغویهٔ فی شیء، لأن تغییر الاسم عن وضع اللغهٔ إنما هو نقله إلی غیر ما وضع له، و هذه الحروف لم تکن فی اللغهٔ أسماء لأشیاء، ثم صارت أسماء فی الشریعهٔ لغیرها، فلم یکن لذلک تغییر اللغهٔ، و علی أنّ فی الناس من أجاز تغییر الأسماء

اللغوية، و وضعها فی الشريعة لإفادة ما لم تكن مفيدة فی اللغة، و لا سؤال عليهم فی ذلك. فإن قيل: أو ليس قد وقع بعض هذه الحروف مشتركا نحو حم اللتين هما فی أوائل الحواميم السبعة، فكيف يجوز أن تكون أعلاما؟ قيل لهم: إذا اتفق ذلك ضمّ إليها شیء تصير مع ذكره/ مميزة لما بقی له، فيقال: قرأت حم السجدة، و حم المؤمن، و حم الأحقاف، و ذلك بمثابة الأسماء المشتركة التی تكون أعلاما مميزة مع ضمّها إلی نعوت أصحابها و صفاتهم و غير ذلك. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۴ فأما من قال: معناها أنها أقسام أقسم اللّه سبحانه بها فإنه أيضا غير بعيد، و وجه القسم بها أمران: أحدهما: تعظيم هذه الحروف و تفخيم شأنها، و إنّما عظّمها بالقسم لأنّها مبادئ كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة و مبادئ أسمائه الحسنی و صفاته العلی، و أصول كلام الأمم التی بها يتفاهمون و يتخاطبون و يوحدون اللّه سبحانه، و يسبّحونه، و موقع الانتفاع بها عظيم خطير، و الجهل بها ضرر عظيم، فكأنّه أراد بهذا التأويل بحم عسق، أی و حروف المعجم لهو الكتاب لا ريب فيه، و حروف المعجم لهو كتاب أنزل إليك فلا يكن فی صدرك حرج منه، و العرب قد تكنی عن جميع الشیء بكلمة منه و تذكر بعضه، فيقول القائل: قرأت البقرة و الحمد، و أنشدت قفا نبك، يريد بذلك جميع السور و القصيدة، كما يقول القائل: تعلمت أ ب ت ث يريد جميع المعجم لا هذه الأربعة أحرف فقط. قال الشاعر: لما رأيت أمرها فی حطّی و أزمعت فی لددی و لطی أخذت منها بفروق شمط و لم يرد حطی فقط، و إنّما كنّا بذكر حطی عن أبی جاد التی منها حطی، لأنّه قصد بذلك التمثيل لعودها إلی أول ما تكرهه، كتبدی الصبی بتعلم أبی جاد. فأما قول من قال: إنها مأخوذة من أسماء اللّه و صفاته و كناية بكلّ حرف عن الاسم الذی هو فيه فليس بمستنكر أيضا، و قد روی عن عبد اللّه بن الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۵ عباس: «أنّه قال فی كهيعص: إن الكاف من كاف و الهاء من هاد و الياء من حكيم و العين من عليم و الصاد من صادق» «۱». و العرب تستعمل الترخيم فی كلامها، و يكنّی ببعض حروف الاسم و الفعل عن جميعها فيقولونك يا حار يريدون يا حارث، و يا صاح/ يريدون يا صاحب، و يقولون عم صباحا أی: أنعم صباحا، و قال بعض القراء: «و نادوا يا مال ليقض علينا ربك»، يعنی: يا ملك، فرخّم، قالوا: و العرب تقول أمسك فلان عن فل يعنون عن فلان، و أنشدوا قول الشاعر: فواطبا مكة من ورق الحمی يعنی الحمام. و قال آخر: فقلت لها قفی فقالت قاف أی وقفت و أومأت بالقاف عن اسم الوقوف، و هذا فی كلامهم أكثر من أن يحصی، و إذا جاز ذلك و ساغ فی اللسان جاز أن يكنی اللّه تعالی بكل حرف من هذه الحروف عن اسم من أسمائه هو من جملته علی وجه الحذف و الاختصار، فكأنّه قال: الكافی الهادی الحكيم العليم الصادق الذی أنزل عليك الكتاب، و قد يجوز أن يكون أقسم بالأسماء و الصفات التی هذه الحروف منها، فكأنّه قال: و العليم الحكيم و صاحب هذه الأسماء، لقد أنزل عليك الكتاب. (____ ۱) أخرجه البيهقی فی «الأسماء و الصفات» ص ۱۱۹، باب ما جاء فی حروف المقطعات فی فواتح السور أنها من أسماء اللّه عز و جل، و أخرجه الحاكم فی «المستدرك» (۲: ۳۷۱) كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، و رواه الطبری فی «تفسيره»، لكنه أفرد لكل حرف رواية عن ابن عباس (۱۶: ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۸۶ فأما قول من قال: إنها حروف وضعت لحساب قدر بقاء الأمة فقد يجوز ذلك إذا أطلع اللّه نبيه عليه، أو بعض ملائكته بأن يعرّفه أن كلّ حرف منها لقدر من السنين كما قيل: ألف واحد و ياء اثنين، و كذلك فی سائر حروف الجمل. فأما قول من قال: إنها ابتدئت فی أوائل السور ليروعهم سماعها و تنصرف هممهم إلی الإصغاء إليها، فليس ببعيد أيضا، لأنه يمكن أن يقصد ذلك، و لكن لا بدّ لها من معنی هو القسم بها أو بأسماء اللّه التی هی من جملتها أو توقيف علی وضعها بحساب السنين، و إلا عريت من فائدة، و ليس يجوز أن يلهيهم عن لغوهم و صدفهم عن سماع القرآن بأصوات و أمور لا معنی لها. و إذا كان الأمر فی تأويل هذه الأحرف علی ما وصفناه زال و بطل تعلّقهم بها و قولهم إنّه لا يعرف معناها و لا وجه للخطاب بها و ثبت بذلك أنّ جميع ما أنزله اللّه من محكم و متشابه معلوم معروف المعنی. و قوله تعالی: وَ فاكِهَةً/ وَ أَبًّا [عبس: ۳۱] إنّما أراد به الحشيش لأن أبّا اسم الحشيش علی ما ذكر، و ليس من شیء ذكره اللّه تعالی إلا و معناه معروف و إليه سبيل، و إن جهله أهل التفسير و من لا إغراق له فی البحث و التأمل. فإن قالوا: فما الذی أراد بإنزال المتشابه؟ قيل لهم: أراد بذلك امتحان عباده و اختبارهم و تفضيل الذين

أوتوا العلم درجات، و أن ينفع بذلك من يعلم قوة يقينه و استبصاره بمعرفة المتشابه و أن يضلّ به و يضرّ من علم أنّه يصدف عن تأويله و يلحد فيه و يستبصر و يعمى عند إنزاله بصيرته و يصير الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۸۷ طريقا و سبيلا إلى تعلقه به، و إيثار الفتنة به و سوء التأويل فيه، كما وصفهم بذلك في ظاهر التنزيل، فلا سؤال علينا في ذلك و لا مطعن. قالوا: و مما يدلّ أيضا على وقوع الخلل و التخليط في القرآن ما نجده فيها من الحشو للكلام الذى لا معنى له نحو ما فيه من قوله: يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [آل عمران: ۱۶۷]، و القول لا يكون إلا بالفم، و قوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ [البقرة: ۷۹]، و الكتابة لا تكون إلا باليد، و قوله: وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ [الأنعام: ۳۸]، و الطائر لا يطير إلا بجناحيه، و قوله: فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج: ۴۶]، و قوله: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل: ۲۶] و السقف لا يخرّ إلا من فوقهم، و قوله: فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ [الصافات: ۹۳] و لا معنى لذكر اليمين دون الشمال، و قوله: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ [البقرة: ۱۹۶]، و أغبى الناس و أقلهم ذهنا و بصيرة يعلم أن ثلاثة و سبعة عشرة، فلا معنى لهذا الكلام. فيقال لهم: لا تعلّق لكم في شيء مما ذكرتم لأمرين: أحدهما: أنّ العرب قد تكرر و تريد اللفظة التي معناها معنى ما قبلها للتوكيد، و تستجيز ذلك و تستحسنه في عادتها و صرف خطابها، و لذلك يقول القائل منهم: رأى عينيّ و سمع أذنى، و كلمته من فمى، و سمعته من فيه، على وجه التأكيد للخبر، و كذلك قولهم:/ عجّل عجّل، و قم قم، فإذا ساغ ذلك و جاز تكرار الكلمة لتوكيد، كان تكراره بلفظين مختلفين أحسن و أولى، و اللّه سبحانه إنما خاطب العرب على عادتها، و المألوف من خطابها، فسقط بذلك ما قلتم. و الوجه الآخر: أنّ لكلّ شيء مما أوردتموه معنى زائدا صحيحا. الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۸۸ فأمّا قوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ فإنّما المراد به أنّهم قالوا ذلك بأنفسهم و أفواههم بغير إشارة و لا كتاب و لا مراسلة لأنّ القائل قد يقول: قلت لزيد كذا و هو يعنى أمرت من يقول له، و راسلته به، و كتبت بذلك إليه، و أشرت إشارة و رمزت رمزا، قال اللّه تعالى: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ «ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» إِلَّا رَمْزاً [آل عمران: ۴۱]، و قال الشاعر: و قالت له العينان سمعا و طاعة و حدرتا كالدّر لما ينظم و قال آخر: و تخبرنى العينان ما القلب كاتم فإذا قال له قلت له بفمى و لسانى زالت التأويلات. و كذلك الجواب في قوله: يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ لأنّه أراد أنّهم تولّوا خطّه بأيديهم لا بواسطة و أمر منهم، و على وجه ما يقول القائل: كتب رسول اللّه إلى النجاشيّ، و كتب الخليفة إلى فلان، أى أمر بالكتاب إليه. فأمّا قوله تعالى: وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ، فإنّه أراد جنس الطيران دون السرعة في الأمر و القصد لأنّ القائل من العرب قد يقول لمن يأمره طر و أسرع في هذا الأمر، أى بادر، و يقول: طرت إلى فلان، أى أسرعت، فإذا قيل طار الشيء بجناحيه انصرف إلى جنس الطيران بالجناح الذى هو الأصل الذى يشبّه به السرعة في القصد و الأمر. فأمّا قوله: وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ فإنما أورده تعالى على مذهبهم في قولهم نفسى التي بين جنبيّ، و نفسه لا تكون إلا بين جنبيه. فأمّا قوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ، فهو لأنّ السقف قد يخرّ عليهم من/ تحتهم إذا كانوا في الغرف، و قد يقول القائل: خرّ عليّ في الإنتصار للقرآن، ج ۲، ص: ۷۸۹ بيتى سقف، و إن كان تحته، و قد يخرّ عليهم السقف أيضا و إن لم يكونوا تحته و لا فوقه، كما يقول القائل: خرّ علينا في الدار سقف، و إن لم يكونوا تحته و لا فوقه، و إنما يقصد الإخبار عن سقوط السقف فقط في ملكه و داره، أو قربه و جواره، فإذا قال: من فوقى أفاد أنّه كان تحته. و أمّا قوله تعالى: فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ، فإنّما ذكر اليمين لأنّه بها وقع دون الشمال، و قد يقع الضرب بالشمال كما يقع باليمين و لأنّ اليمين أكثر قوة و أشدّ تمكنا و بطشا من الشمال. قال الشماخ «۱»: إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين أى أخذها بقوة و بطش و تبسط في الكرم. و أمّا قوله تعالى: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ [البقرة: ۱۹۶] ففيه وجوه: أحدها: أن ذلك عادة العرب في كلامها و إكمالها للعدد الذى تفصله قال الشاعر «۲»: تجمّعن من شتى ثلاث و أربع و واحدة حتى كملن ثمانيا

____
(۱) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان الغطفانى، يكنى أبا سعيد، كان شاعرا مشهورا، أدرك الجاهلية و الإسلام، و الشماخ لقب، و اسمه معقل، و قيل الهيثم، و هو من طبقة لبيد، أسلم و حسن إسلامه و شهد القادسية، و بيته هذا في عرابة الأوسى و قبله بيت يقول فيه: رأيت عرابة الأوسيّ يسمو إلى

الخيرات منقطع القرين الإصابة (۳: ۳۵۵). (۲) اسمه الرّاعى. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۰ و قال آخر: ثلاث و اثنتان فهنّ خمس و سادسة تميل إلى ثمان و لم يستهجن هذا أحد فى تخاطب أهل اللسان و عادتهم، و كذلك حكم قوله: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ، و قوله تعالى:* وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [الأعراف: ۱۴۲]. و الوجه الآخر: أنه قال تلك عشرة كاملة، أخرج الواو هاهنا عن أن تكون بمعنى التخيير و بمثابة قوله أو سبعة إذا رجعتم، كما قال: مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ [النساء: ۳] يعنى أو ثلاث أو رباع، فكان يجوز أن يظنّ ظانّ أو السبعة فى الحضر بدل من صيام الثلاثة فى السفر، و أنه للتخيير و بمعنى أو، فرفع سبحانه جواز ذلك و قطعه بقوله تلك عشرة كاملة. و يحتمل أيضا أن يكون إنما أراد تلك عشرة كاملة، ليدلّ بذلك أنّ السبعة فى الحضر/ هى أيام أيضا، لأنه لو قال فصيام ثلاثة أيام فى الحج و سبعة إذا رجعتم، و قال: أردت سبعة أشهر أو سبع سنين أو أسابيع لساغ ذلك، فلما قال: تلك عشرة كاملة دلّ بذكر العشرة و الكمال على أن السبعة أيام، لا يحسن أن يقال ثلاثة أيام و سبع سنين، أو سبعة أرطال عشرة كاملة، و إنما دخل ذكر التكميل فى جنس المعدود. و يحتمل أيضا قوله كاملة أنها كاملة الأجر و الثواب، و إذا كان ذلك كذلك سقط جميع ما يتعلقون به من هذا الجنس سقوطا بيّنا. قالوا: و مما يدلّ أيضا على وقوع الفساد و التخليط من القوم فى القرآن، و دخول الخلل فى الكتاب ما نجده فيه من الكلام المنقطع عن تمامه و نظامه و المتصل بما ليس من معناه فى شيء، نحو قوله فى العنكبوت فى قصة الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۱ إبراهيم عليه السلام و وعظه لقومه فى قوله: اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۶) إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [العنكبوت: ۱۶- ۱۷]، و يجب أن يتصل بذلك: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [العنكبوت: ۲۴] فقطعوا تمام القصة و بتروها و وصلوا بقوله إليه ترجعون قصة محمّد صلّى اللّه عليه و ما يخرج عن قصة إبراهيم، و هو قوله: وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۱۸) أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۱۹) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۰) يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۲۲)/ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ [العنكبوت: ۱۸- ۲۳]، ثم أتبعوا ذلك بقوله: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ [العنكبوت: ۲۴]، و هذا تمام قول إبراهيم لهم: فابتغوا عند اللّه الرزق، و اعبدوا و اشكروا له إليه ترجعون، و هذا زعموا تخليط ظاهر و بتر للكلام و قطع له عن صلته و خلطه بما ليس منه بسبيل. فيقال لهم: ليس الأمر فى هذا على ما توهمتم، و ذلك أن اللّه سبحانه هو الذى رتبه كذلك، و رسوله صلّى اللّه عليه على ما بيناه من قبل و ما سنوضّحه فيما بعد، فأما ظنّكم أن هذا بتر للكلام و إفساد له فإنّه جهل و ذهاب عن معرفة فضل الفصاحة و القدرة على التصرف فى الكلام، لأنّ أهل اللغة يعدّون هذا الباب من ضروب الفصاحة و البلاغة و القدرة على الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۲ التبسط فى الكلام، و الخروج عنه إلى نعت ما يعرض فيه و وصفه، ثم العود إليه على وجه غير مستهجن و لا مستثقل، و يصفون من صنع ذلك فى خطبته و شعره بالاقتدار على الكلام. و يسمّون هذا النمط فى الشّعر الاستطراد، و معنى ذلك أن يكون فى وصف شيء و نعته فيعرض عن ذكره إلى ذكر غيره الذى عرض ذكره فيما كان فيه، أو لم يعرض ثم يعود إلى صفة ما كان فيه و استيفاء ما قصده عن الإخبار عن معانيه بالكلام السهل و الرجوع المسلسل المتناسب، و يسمّونه الالتفات، و هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار و غير ذلك من الالتفات، و هو الخروج من معنى يكون فيه إلى معنى آخر، و ليس يقدر على مثل ذلك كلّ فصيح لسن حتى يكون ذلك مع فصاحته قادرا منبسطا فى الكلام، لأنّ إتمام القصة و حكايتها إذا طالت ربما تعذّر نظمه على وجه الفصاحة و البراعة على أهل البلاغة و اللسن، و ربما احتاجوا فى ذلك إلى تكلّف شديد مختلف فيه كلامهم، حتى يكون منه الجزل الرصين، و منه اللين الخفيف، و كيف/ بالخروج عن قصة إلى غيرها ثم العود إليها، لأنّ ذلك أشدّ و أصعب عند كل متكلم بلغة، و متعاط لنظم حكايات السير و القصص و ضروب الأمثال، و محاولة البلاغة فى الكلام، و هذا النمط

من الخروج عن كلام إلى غيره و ما ليس من معناه و لا مما قصد بافتتاح الكلام ثم العود إلى ما ابتدأ بالكلام فيه و قصد إليه كثير معروف، و من الاستطراد قول حسان بن ثابت «۱» رحمه اللّه:

(______________________________ ۱) هذان البيتان لحسّان بن ثابت يعيّر فيهما الحارث بن هشام و كان قد شهد بدرا مع المشركين فانهزم فيمن انهزم، فكتب الحارث بن هشام أبياتا يعتذر عن فراره يوم بدر و أنّه لم يجبن، و قد أسلم الحارث بعد ذلك و حسن إسلامه، روى ذلك الحاكم فى «المستدرك» (۳: ۳۱۳). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۳ إن كنت كاذبة التى حدثتنى فنجوت، منجى الحارث بن هشام ترك الأحبّة أن يقاتل عنهم و نجا برأس طميرة و لجام و قد علم أنّ حسان لم يقصد بابتداء الكلام و التحذير من الكذب فى الحديث إلى ذكر هرب الحارث بن هشام و فشله و تعييره به، و إنّما قصد شيئا غير ذلك، و إن كان قد أدخله فى كلامه، و خرج به عما ابتدأ الكلام لأجله، و قال أبو تمام الطائى «۱»: صبّ الفراق علينا صبّ من كثب عليه إسحاق بعد الروع منتقما و قد عرف أيضا كلّ سامع لهذا الشعر أن الشاعر لم يقصد بابتداء الكلام الإخبار عن انتقام إسحاق ممن انتقم منه بعد ترويعه، و إنما قصد الإخبار عن صفة الفراق و شدته فقط، ثم خرج إلى الدعاء عليه بانتقام إسحاق، فخرج من معنى إلى غيره. و قال البخترى فى صفة فرس كريم سهل الأخلاق: سهل موارده و لو أوردته يوما خلائق حمدويه الأحول و قد علم أن البحترى لم يقصد فى هذا الكلام وصفه خلائق حمدويه و سجيّته، و إنما قصد غير ذلك، ثم عاد إلى ذكره. و قال سرىّ الرفّاء: نزع الوشاة لها بسهم قطيعة يرمى بسهم البين من يرمى به

(______________________________ ۱) اسمه حبيب بن أوس الطائى، نشأ فى مصر، و قال الشعر فأجاد و بلغ المعتصم خبره، فطلبه إليه، فجاءه و هو بسرّ من رأى و قال فيه قصائد، كان موصوفا بالظرف و حسن الأخلاق و كرم النفس، أقام بها و بالموصل أقل من سنتين و مات سنة إحدى و ثلاثين و مائتين و كان مولده سنة تسعين و مائة. «تاريخ بغداد» (۸: ۲۵۲). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۴ ليت الزمان أصاب حبّ قلوبهم بفتى بن عبد اللّه أو بحرابه/ بسلاح معتقل السلاح و إنّما يعتلّ بين طعانه و ضرابه و قد علم أيضا أن الشاعر لم يقصد بما شرع فيه إلى وصف سلاح ابن عبد اللّه و اعتلاله، و ما لأجله يعتلّ من الضرب و الطعن، و إنما قصد إلى ذمّ الوشاة و ما حاولوه من الأمور الموجبة للضّرر و القطعية، و إن كان قد خرج بين ذلك إلى الدعاء عليهم بقتال ابن عبد اللّه و حرابه و بعث السلاح، و ما لم يبتدئ بالكلام لأجله، فأمّا الالتفات فى الكلام الذى هو خروج من معنى كان فيه إلى معنى آخر ما على أن يعود إليه بعد ذكر ما يعرض و نعته، أو بأن يضرب عنه جملة، فإنّه كثير فى كتاب اللّه و فى كلام العرب و شعر الفصحاء، و أظهر من أن يحتاج معه إلى إغراق، قال اللّه تعالى: حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ [يونس: ۲۲] فعدل عن خطاب الحاضر إلى ما هو كناية عن الغائب، و سواء كنّى عن الحاضر الذى ابتدأ بخطابه أو غير الحاضر فقد خرج، و قال اللّه تعالى: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (۱۹) وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [إبراهيم: ۱۹]، ثم قال: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً [إبراهيم: ۲۱] و ذلك كثير. و قال جرير فى هذا المعنى: متى كان الخيام بذى طلوع سقيت الغيث أيتها الخيام أ ننسى يوم تصقل عارضيها بفرع بشامة سقى البشام و لو لم يخرج من معنى إلى غيره لكان من حقه أن يقول: متى كان الخيام بذى طلوع أيتها الخيام، لأنّ هذا هو تمام ما ابتدأ به من الكلام فقط، فأمّا الدعاء للخيام بسقى الغيث، و وصف عارضى صاحبته و فرعها، فليس الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۵ مما ابتدئ الكلام لأجله، و شرع فيه بسبيل، غير أنّه اقتدار فى البلاغة و حسن الفصاحة. و قال أيضا الطائى: و أنجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع أنجدى على ساكنى نجد/ فخرج عن الإخبار بانتقالهم من نجد إلى تهامة، إلى التحزن و استدعاء الدمع، و قال أهل اللغة و من جنس البلاغة و التمكن من الخروج عن الشيء إلى غيره ثم العود إليه اعتراض الكلام فى كلام لم يتم معناه ثم العود إليه. و أنشدوا قول النابغة الجعدى: أ لا زعمت بنو سعد بأنّى ألا كذبوا كبير السّن أنّى «۱» فاعترض فى كلامه و خبّر أخبارا عنهم بأنهم كذبوا فخرج عن الإخبار عن قولهم قبل تمامه إلى الإخبار بكذبهم عليه، ثم عاد إلى تمام الإخبار عنهم، و إلا فقد كان يكفيه أن يقول: زعمت بنو سعد بأنى كبير السّن أنى. و قال كثير عزة: لو أنّ الباخلين و أنت منهم رأوك تعلّموا

منک المطالا_ (______________________________________ ۱) هـذا البيت للنـابغة مناسبته أنه قال الشعر بحضرة النبی صلّی اللّه عليه و سلّم فقال له الرسول: أجـدت لا يفضـض اللّه فاک. و عاش النابغة بدعوة النبی صلّی اللّه عليه و سلّم حتی أتت عليه مائة و اثنتا عشـرة سـنة فقال فی ذلک: أتيت مائة لعام ولدت فيه و عشـر بعد ذلک و اثنتان و قد أبقت صـروف الدهر منی کما أبقت من الذّکر اليمانی أ لا زعمت بنو سعد بأنی و ما کذبوا کبير السّن فإنی قال ابن عبد البر: قد روينا هـذا الخبر من وجوه .. و هذه أتمها و أحسـنها. «الاستيعاب» (۸: ۱۵۱۷). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۶ فأعرض فی ذکر الإخبار بأنّ البـاخلين لـو رأوه لتعلّموا منه المطـال إخبـاره بـأنّه من جملـة البـاخلين، و لو لم يعرض ذلـک لکـان من حقه أن يقول: لو أنّ البـاخلين رأوک لتعلموا منـک المطالا_ و قال آخر: ظلموا بيوم دع أخاک بمثله علی مشـرع يروی و لما يصـرد و لو لم يعرض فی الکلام طلب ترک أخيه لمثله لقـال: ظلموا بيوم علی مشـرع تروی و لمـا يصـرد، و هـذا أکثر من أن يتتبع. قـال أبو حيـة البحتری: ألا_حیّ من أجل الحبيب الغوانيا لبسن البلی مما لبسن اللياليا ثم رجع بعد قوله لبسن بما لبسن اللياليا، أی تتميم ما شـرع فيه. و أکد من هذا أجمع و أبين قوله تعالی: ص وَ الْقُرْآنِ ذِی الذِّکْرِ [ص: ۱] ثم أضرب عن ذلک، و خرج منه إلی غيره، فقال: بَلِ الَّذِينَ کَفَرُوا فِی عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ [ص: ۲] فعـدل عما بدأ بذکره إلی غيره اقتدارا علی الکلام و البلاغة و إذا کان هذا أجمع و أمثاله ما قد عدّ فی الفصاحة و البلاغة و القدرة علی التبسّـط فی الکلام. و کان ما خاطب اللّه سـبحانه/ به و رسوله عليه السّـلام مما تعلّقوا به أقرب من کثير مما ذکرنا و أشـبه و أشـدّ تلاوة، إلا_ أنّه خرج من قصـة رسول اللّه و حکايـة کلامـ قومه إلی قصـة رسول اللّه هو مخـاطب له، و إلی تفنيـد قومه من قريش علی تکـذيبهم و ردّهم، تثبيتـا للنبی عليه السّـلام و حثا له علی الصبر و قوة العزم، و کلّ هـذا مناسب، لأنّه قصّ علی رسول اللّه قصـة رسول قبله و خطـابه لأمّته، ثم خرج من ذلک إلی أن ذکر قريشا فی تکـذيبهم لرسوله و تشبيه ذلک بتکـذيب الأمم قبلهم و صبر أولی العزم من الرسل علی ردّهم و مکارههم، ثم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۷ خرج من ذلک إلی تنبيههم علی آثار قدرته و شواهد ربوبيته، و حـذّرهم عقابه، ثم عاد بأحسن الرجوع و النظم إلی إخبار رسوله بخوافی قوم إبراهيم، و کلّ هذا اقتدار علی النظم لا خفاء به، و مما يتعـذر علی أکثر أهـل العلم و الخطابـة و النثر و لا_ يسـهل و لا يتأتی إلا للقليل منهم، فمن توهّم إفساد الکلام به و إخراجه عن طريقة البلاغـة و عادة أهل اللغـة، فقد ظنّ عجزا و تقصـيرا. و کذلک الجواب عن کلّ ما خرج اللّه تعالی فی قصة من حکايتها و ذکرها، إلی شیء غيرها، ثم عاد إلی تمامها و استيعابها، و لا تعلّق لهم بهـذا و نحوه. قالوا: و ما يـدلّ أيضا علی فساد کثير من المودع بين الدّفتين و تغييره و خروجه عن سـنن الحکمـة و جودنا فيه ما لا فائـدة و لا غرض فی ذکره و لا معنی له معقول يجری إلی إفادته نحو قوله: فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ يَلْهَثْ [الأعراف: ۱۷۶] و ما لهـذا الکلام و المثل معنی يعرف، و نحو قوله: وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْـرٍ مَشِيدٍ [الحج: ۴۵]، و قـوله: * وَ تَرَی الشَّمْسَ إِذا طَلَعَـتْ تَـتَزاوَرُ عَـنْ کَهْفِهِـمْ ذاتَ الْيَمِيـنِ وَ إِذا غَرَبَـتْ تَقْرِضُـهُمْ ذاتَ الشِّمـالِ [الکهف: ۱۷] و لا فائدة تعرف فی الإخبار عن تزاور الشـمس عن کهفهم ذات اليمين و انقراضـها ذات الشـمال، و أمثال هذا ما يطول تتبعه، و قسـمه بـالتين/ و الزيتون، و بمواقع النجوم و بـالنفس و مـا سواها و بالفجر، و غير ذلک مما لا معنی للقسم به. فيقال لهـم: ليس شیء مما تتعلقون به و تظنون أنه لا فائـدة فيه إلّا و فيه من الفوائـد و ضـروب الحکمـة ما يبطل توهّمکم. فأما قوله: فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ يَلْهَثْ، فإنّ اللّه سـبحانه ضـرب بذلک مثلا للکافر الذی لا يرجع و يرعوی و ينزجر إن وعظ و دعی إلی طاعـة اللّه، و ذکّر بآلا_ئه و نعمـه، و إن ترک و لم الإنتصـار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۸ يوعـظ فهو فی ذلـک کالکلب الـذی يلهث عند التعب، و الإعيـاء و العطش، و يلهث فی حـال الراحـة و الصـحة و الشّبع و الریّ، و کـلّ مـا سواه من الحيوان إنّما يلهث عنـد الإعياء و المرض و العطش، فمثـل الکـافر فی عـدم انتفـاعه بالعظـة و ترکهـا کـالکلب الـذی يلهث کيف تصـرّفت به الحـال. و أما قوله: وَ تَرَی الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ کَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُـهُمْ ذاتَ الشِّمـالِ، فإنّ المقصـد به تعريف اللّه سـبحانه إيّانا حسـن اختيـاره لهم أصلـح المواضع، و أنّه تعـالی بوأهم کهفـا فی مغنـاة من الجبـل مسـتقبلا بنات نعش، و أنها إذا طلعت تزاور عنهم يمينا و تسـتدبرهم فی کهفهم طالعـة و جارية و غاربة، و لا تصل إليهم و تدخل کهفهم فتؤذيهم بحرّها و سـمومها، و تشـحب ألوانهم و تبلی

ثيابهم، و أنّهم مع ذلك كانوا فى فجوة من الكهف و هو المتّسع منه، ينالهم فيه نسيم الريح و بردها و ينفى عنهم غمة الغار و كربه، فهذا هو الفائدة فى ذكر طلوع الشمس و تزاورها، و الفجرة من الغار و ما فى ذلك من حسن الصنيع و اللطف و الاختيار.و أما قوله تعالى: وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ، فإنّه أراد به تخويف الكافرين و عظتهم، و التنبيه لهم على انقراضهم و تعطيل مساكنهم و لحوقهم بالأمم قبلهم فيتعظون و يعتبرون بالنظر إلى آثار من كان قبلهم و خلوّ مساكنهم/ و انهدام قصورهم فيتعظون عند رؤيتهم لبيوت من سلف قبلهم خاوية قد سقطت على عروشها، و بئر كانت يشرب أهلها قد غار معينها، و عطّل غشاؤها، و العرب أبدا تبكى الآثار و تندب الديار و تصف الدّمن و الأطلال و تقول: يا دار أين ساكنوك و بانوك و عامروك، قال اللّه سبحانه: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا [النمل: ۵۲]، و قال: فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا [القصص: ۵۸]، و قال: هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۷۹۹ رِكْزاً [مريم: ۹۸]، و كل هذا وعظ و تحذير من اللّه سبحانه عذابه و نزول نقمه و مذكّرة العمل للدار الباقية، و قال الأسود بن يعفر: جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد فأرى النعيم و كلّ ما يلها به يوما يصير إلى بلى و نفاد «۱» و ما ذكره اللّه تعالى أبلغ فى الموعظة و أوجز و أبدع نظما و أجدر أن يلوذ به سامعه و يعمل لمعاده. فأمّا قوله تعالى: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها (۱) ... (إلى قوله) وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها [الشمس: ۱- ۷]، وَ الْفَجْرِ (۱) وَ لَيالٍ عَشْرٍ [الفجر: ۱- ۲]، وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ [التين: ۱]، و كلّ شيء أقسم بذكره فإنّما المراد به- و اللّه أعلم- القسم بخالقه تعالى و مقدره و النافع به و المحكم لعجيب صنعه و تدبيره، فحذف ذكر الخالق لذلك اقتصارا و اختصارا، و قد يمكن القسم بنفس الشيء العظيم النّفع به و لذلك أقسم بالتين و الزيتون، لأنّ الانتفاع بهما و بما يعتصر من زيت الزيتون كثير، و قد قيل إن التين و الزيتون جبلان: أحدهما: الجوديّ الذى نزل عليه نوح، و الآخر جبل طور سيناء، و قيل غير ذلك من المواضع الشريفة، و قيل هما مسجد بيت المقدس و مسجد مكة، و قوله: وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ يعنى مكة، و قد يجوز القسم بالمواضع الشريفة على وجه التعظيم، كما يجوز القسم باللّه تعالى، و ليس يقسم بالشيء إلا على وجه التعظيم/ إما لكونه خالقا إلها أو لكونه رسولا له أو لعظم الانتفاع به أو لغير ذلك مما يوجب تعظيمه، و إذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه و باللّه التوفيق (______________________________ ۱) أورد هذه الأبيات ياقوت فى «معجم البلدان» ضمن قصيدة طويلة، و كذلك أوردها الخطيب فى «تاريخه» بشيء من الخلاف، بدلا من فكأنهم قال: فكأنّما، و بدلا من فأرى النعيم، قال: و إذا النعيم. «تاريخ بغداد» (۱: ۱۳۲). الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۰

باب الكلام فى معنى التكرار و فوائده و نقض ما يتعلقون به فيه

باب الكلام فى معنى التكرار و فوائده و نقض ما يتعلقون به فيه قالوا: و مما يدلّ على فساد نظم القرآن و وقوع التخليط فيه كثرة ما فيه من تكرار القصة بعينها مرة بعد مرة و تكرار مثلها، و ما هو بمعناها و تكرار اللفظ و الكلمة بعينها مرات كثيرة متتابعة، و الإطالة بذلك، و ذلك- زعموا- عىّ و حشو للكلام بما لا معنى له و استعمال له على وجه قبيح ضعيف مستغيث فى اللغة، قالوا: و إن لم يكن الأمر على ما وصفناه فخبرونا ما الفائدة بتكرار القصة الواحدة و القصص المتماثلة. يقال لهم: ليس الأمر فى ذلك على ما قدّرتم، و للتكرار فوائد نحن ذاكروها- إن شاء اللّه- فمنها أنّ اللّه سبحانه لما خاطب العرب بلسانها على وجه ما تستعملها فى خطابها، و كانت تستجيز الإطالة و التكرار تارة إذا ظنوا أن ذلك أبلغ فى مرادها و أنجع، و تقتصر على الاختصار أخرى فى مواطن الاختصار، خاطبهم اللّه سبحانه على ما جرت عليه عادتهم، و العرب تقول: عجّل عجّل و قم قم، فتقول: و اللّه لا أفعله، ثم و اللّه لا أفعله، إذا أرادت التوكيد و حسم الطمع فى فعله، و تقول تارة: و اللّه أفعله بإسقاط لا- فتختصر مرة و تطوّله أخرى، و يقول قائلهم: آمرك بالوفاء و أنهاك عن الغدر، و آمرك بطاعة اللّه و أنهاك عن معصيته، و الأمر بالوفاء نهى عن الغدر، و الأمر بطاعة اللّه نهى عن معصيته. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۱ و قال الشاعر: كم نعمة كانت لنا كم كم و كم و قال آخر: هلا سألت جموع كندة حين قوم ولّوا أين أينا و قال عوف بن الجزع: و كادت فزارة تصلّى بنا و أولى فزارة أولى فزارا/ و ذلك كثير لو تتبع، فعلى هذا الوجه من الكلام جاء قول اللّه تعالى:

أَوْلى لَکَ فَأَوْلى (۳۴) ثُمَّ أَوْلى لَکَ فَأَوْلى [القیامة: ۳۴- ۳۵]، و کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳) ثُمَّ کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ [التکاثر: ۳- ۴]، و قوله: وَ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ (۱۷) ثُمَّ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ الدِّینِ [الانفطار: ۱۷- ۱۸]، و قوله: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً [الشرح: ۵- ۶]، علی أنّه یحتمل أن یکون معنی قوله: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ یُسْراً إنّ عسرا کان معه یسرا، ثم إنّ مع العسر یسرا عسرا آخر غیر الأول. و یحتمل قوله تعالی: کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ إذا حضرتم و عاینتم الملائکة، کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳) ثُمَّ کَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ إذا حشرتم و حوسبتم، و رأیتم أهل الجنة و أهل النار فیکون ذلک فی وقتین، و متعلقا بشیئین. و وجه آخر فی حسن التکرار من اللّه عز و جلّ، و هو أنّ فی ذلک مرة بعد مرة من التثبیت لرسوله علیه السّلام و المؤمنین، و المواعظة و التخویف لهم و الرغبة فی طاعة اللّه و الانزجار عن معصیته عند تکرار الکلام؛ و إعادة القصص و ضرب الأمثال ما لیس فی المرة الواحدة و لا شبهة علی أحد فی تعاظم النفع بتکریر الزجر و الوعظ و عظیم موقعه من النفس و توفیقه للقلب و التثبیت علی طاعة اللّه، و الإذکار لجنته و ناره، قال اللّه سبحانه: وَ قالَ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۲ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا [الفرقان: ۳۲]، فأخبر أنّ إنزاله أجزاء و نجوما و تکراره علیه فی الأوقات المتراخیة تثبیتا له و للمؤمنین لأنّهم إذا سمعوا ما أخبر اللّه سبحانه من إهلاکه العاصین و تنجیته المؤمنین کانوا أقرب إلی طاعته و أشدّ انزجارا عن معصیته. و وجه آخر فی حسن ذلک، و هو أنّ اللّه سبحانه أنزل المتکرر فی أوقات متغایرة، و أسباب مختلفة فحسن منه تکرار القصة للزجر و الموعظة، کما یحسن ذلک من الخطیب إذا خطب و تکلّم فی/ المحافل و یوم المجتمع، و دعی إلی حقن الدّماء و نصرة الجار، أو التطوّل و الإفضال، فقد یجوز و یحسن أن یکون فی هذه المواقف إذا تغایرت و اختلفت أسبابه و خطبه و قیامه فی الناس ببعض ما کان ذکره فی غیر ذلک الموقف، و إنما یستثقل و یستغث التکرار إذا کان فی موقف واحد، و سبب واحد، و اللّه سبحانه إنما کرّر بعض القصص و الوعد و الوعید فی أوقات متغایرة و لأسباب مختلفة فحسن ذلک منه تعالی و ساغ علی عادة أهل اللسان. و وجه آخر أیضا یوجب حسن ذلک من القدیم تعالی، و هو أنّ النبی علیه السّلام کان یحتاج إلی إنفاذ الرسل و الدعاة إلی النواحی و البلدان لیدعوا إلی الحق و إلی طاعة اللّه و لیقرءوا علیهم القرآن فأنزل اللّه سیرة نبی بعد نبی و قصة بعد قصة، و القصة واحدة بألفاظ مختلفة لتقرأ کلّ قصة علی أهل ناحیة، و لتقرأ القصة الواحدة بالألفاظ المختلفة علی أهل الأطراف و النواحی المختلفة، و ربما علم أنّ سماع أهل النواحی المتغایرة القصة الواحدة یکون لطفا لهم فی الانزجار و الانقیاد إلی الإیمان فکرّرها و أنزلها بألفاظ مختلفة علی قدر ما أراده تعالی و علمه من اللطف، ثم علی سماعه لتلک القصة بالألفاظ المختلفة، و ربما کان لطف أهل الناحیتین و المصیرین الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۳ فی استماع قصتین من قصص الرسل و الإخبار بنوعین من العقاب، و إن کانت سیرة النّبیّین مع قومهما سواء، و إذا کان ذلک کذلک ساغ و حسن منه تعالی تکرار القصص و القصة الواحدة علی سبیل ما وصفناه. و من الفوائد فی تکرار القصة و القصص المتماثلة بالألفاظ المختلفة علی الوزن الواحد، أنّه تعالی إنما کرّر ذلک لأن لا تقول قریش أو بعضها للنبی صلّی اللّه علیه کیف تتحدانا أن نأتی بمثل هذا الکلام الذی حکیت به قصة نوح و موسی و إبراهیم، و لیس له لفظ یحکی به و یورده من البحر/ و الوزن الذی أوردته إلا اللفظ الذی بدأت به و سعیت إلیه، فإن أوردناه بعینه، قلت: هذا نفس ما تلوته علیکم و تحدّیتکم بمثله، و إن طالبتنا بمحاولة لفظ غیره، فلیس للقصة و المعنی الذی عبّرت عنه بهذا الوزن من الکلام لفظ غیر الذی أوردته و سبقت إلیه فکأنّک إذا تطالبنا بالمحال و هذه شبهة کما تری، فأراد اللّه تعالی حسم أطماع العرب فی التعلّق بذلک فکرر القصة الواحدة، و القصص المتماثلة و المعنی الواحد بألفاظ مختلفة من بحر واحد و علی وزن واحد هو وزن القرآن الخارج عن جمیع النظوم و الأوزان لیعلمهم اقتداره و عظم البلاغة فی کلامه و یعرفهم عجزهم عن ذلک و یقطع به شعثهم و شبههم، و هذا من جیّد ما یعتمد علیه فی فوائد التکرار. فإن قالوا: فما الفائدة فی تکرار: قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ [الکافرون: ۱] قیل لهم: قد ذکر فی ذلک وجوه. فمنها أنه أراد یأیها الکافرون لا أعبد الآن ما تعبدون، و لا أنتم الآن عابدون ما أعبد و لا أنا عابد ما عبدتم فی المستقبل، و لا أنتم عابدون ما أعبد فی المستقبل و إنما أنزلت السورة فی قوم المعلوم عند اللّه من حالهم الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۴ أنّهم لا یؤمنون و لا یعبدون اللّه أبدا و إذا کان ذلک کذلک خرج

الكلام على هذا التأويل عن أن يكون تكرارا. و يحتمل أيضا أن يكون أراد لا أعبد ما تعبدون مع عبادتى اللّه بل أفرده بالعبادة وحده، و لا أنتم عابدون ما أعبد مع عبادتكم الأصنام و لا أنا عابد ما عبدتم مفردا لعبادته و لا قارنا بينها و بين عبادة اللّه تعالى و هذا أيضا يخرج الكلام عن التكرار. و يحتمل أيضا أن يكونوا قالوا له: أعبد بعض آلهتنا حتى نعبد إلهك فقال: لا أعبد ما تعبدون و لا أسلّمه، و لا أنتم عابدون ما أعبد، يريد إن لم تؤمنوا حتى أعبد أنا بعض آلهتكم، و هذا أيضا يخرج الكلام من التكرار. و يحتمل أيضا أن يكونوا قالوا له: أعبد آلهتنا يوما واحدا أو شهرا واحدا حتى نعبد إلهك يوما/ أو شهرا أو حولا، فأنزل اللّه تعالى: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ (۴) وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ [الكافرون: ۴- ۵]، على شريطة أن تؤمنوا به فى وقت و تشركوا به فى وقت آخر، و هذا أيضا يزيل معنى التكرار. و قد قيل أيضا إنّ قريشا أرادت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على عبادة آلهتها ليعبدوا ما يعبد و أنّهم كرّروا هذا القول و أبدوا و أعادوا به، فكرر اللّه سبحانه جوابه، و أبدى و أعاده لكى يقطع بذلك أطماعهم فيما أرادوه منه. قالوا و هو تأويل قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ [القلم: ۹] أى: تلين لهم فيلينون فى أذاهم، و هذا أيضا فائدة أخرى فى جنس التكرار فى هذه السورة و ترداد الكلام فبطل تعلّقهم بهذا و إعظامهم الأمر فيه. و إن قالوا فما معنى تكرار: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: ۱۵]، و قوله: فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [القمر: ۳۲]، و قوله فى سورة الرحمن: فَبِأَيِّ آلاءِ الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۵ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [الرحمن: ۱۳]، قيل لهم: فليس فى هذا شىء من التكرار المستكره بل هو الفصاحة و ما عليه عادة أهل الخطاب. فأما قوله تعالى فى المرسلات: فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فهو: أنّه ذكر فيها تعالى أمرا بعد أمر من خلقهم و أهل الكفر و الطغيان من عباده خلفهم بسلفهم ثم قال عقيب كل شىء يذكره من ذلك فويل يومئذ للمكذبين بهذا الشىء الأول، الذى ذكرته، ثم ويل يومئذ للمكذبين بالشىء الثانى الذى ذكرته، فالويل الثانى غير الويل الأول و ربما كان لغير من له الويل الأول كأنّ المكذب بالويل الأول مما ذكره غير المكذب الثانى، لأنّه تعالى قال: أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (۱۶) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (۱۷) كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (۱۸) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: ۱۶- ۱۹] بإهلاكنا الأولين و إلحاقنا بهم الآخرين، ثم قال: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۲) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (۲۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: ۲۰- ۲۴]، ثم كذلك أخبر بالويل لمكذّب كل شىء عدّه و وصفه من نعمه و نقمه و وجوب/ أفضاله و حكمه، فخرج ذلك عن أن يكون تكرارا لأنّ القائل قد يقول لغيره، أ لم ننعم عليك بإيوائك و أنت طريد، أ تكذب بهذا؟ أ لم أهلك عدوك و أنصر وليّك و من نصرك، أ تكذّب بهذا؟ و يقول: ويل لمن كفر نعمتى و ويل لمن جحد حقّى، و ويل لمن ظلمنى و ويل لمن كذب علىّ، فى أمثال ذلك مما لا يعدّه أحد من أهل اللسان عيّا و لا لكنا و إطالة و تكرارا. و أمّا قوله تعالى فى سورة القمر: فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ فهو جار أيضا على هذه السبيل، لأنه تعالى عدّد فيها نعما و أفضالا و عقابا و انتقاما و أمورا متغايرة، ثم قال عقيب كل شىء من ذلك: فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ يعنى متّعظ و منزجر بهذا لأنّه قال تعالى: وَ حَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَ دُسُرٍ (۱۳) تَجْرِي بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ (۱۴) الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۶ وَ لَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [القمر: ۱۳- ۱۵] ثم قال: فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ (۱۶) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [القمر: ۱۶- ۱۷]، و تيسير القرآن غير الآية و السفينة و الغرق، ثم قال فى آخرها: وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ [القمر: ۵۱] يعنى أشياع أهل الكفر و الخلاف على النبى صلّى اللّه عليه و ذلك غير القصص الأولة فكانّه قال: فهل من مدّكر منكم بما كان من إهلاكى لمن كان قبلكم و أشياعكم. فأمّا قوله فى مواضع من هذه السورة: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، فإنّه تعالى إنّما قال ذلك لأنّه أودع فى القرآن أقاصيص الأوّلين و سير المتقدمين، و ما كان من تفضّله على المؤمنين و إهلاكه للكافرين بضروب الهلاك و الانتقام، و قال عقيب كلّ قصة من تلك القصص، و لقد يسرنا لكم قراءة القرآن و حفظ القصص المتغايرة التى أودعناها فهل من مدّكر، و متعظ بتيسيرنا لذلك و سماعه و حفظه له. و قد يقول القائل: لقد يسّرت/ سبيل هذا الباب من العلم فاسلكه و اعرفه، ثم يقول فى غيره أيضا: و لقد سهّلت لك هذا الباب الآخر من العلم فاضبطه و حصّله ثم كذلك شأن ما نبّه عليه و سهّل السبيل إليه، و كذلك لما أودع اللّه سبحانه كلّ شىء من القرآن و موعظة و قصة غير الأخرى جاز أن يقول: و لقد يسّرنا القرآن الذى فيه ذكر هذه القصة فهل من مدّكر بها، ثم يقول: و لقد يسّرنا أيضا القرآن الذى فيه

ذكر القصة الثانية و الثالثة و ما بعدها فهل من مدّكر بذلك، و إذا كان هذا كذا لم يكن ذلك من المعنى و التكرار بسبيل. و كذلك حكم قوله تعالى فى النّمل: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۷ شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ ثم قال: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ [النمل: ۶۰- ۶۱]، يقول اللّه تعالى مع ذكر كل نعمة من نعمه و أنه من آثار قدرته و شواهد ربوبيته: هل مع اللّه إله يفعل ذلك أو يقدر، على وجه التنبيه لهم و الإذكار بنعمه و الدعاء إلى الاستدلال على وحدانيته، و ليس هذا و نحوه من العىّ و التكرار فى شىء. فأمّا تكراره فى سورة الرحمن: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فإنّه أيضا ليس بتكرار، لأنّه عدّد لهم ضروبا من الإنعام مختلفة، ثم قال للإنس و الجنّ عقيب ذكر نعمه، فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان، أى بأىّ هذا تكذبان أم بهذا أم بهذا، فيدلّهم بذلك على كثرة نعمه عليهم، و أنه لا ينبغى أن يكفروا و يجحدوا شيئا من ذلك. و قد تقول العرب لمن تنهاه عن البغى و الفساد فى الأرض، أ تقتل فلانا و أنت تعلم براءة ساحته، و تقتل فلانا و أنت تعرف نسكه و دينه، و تقتل فلانا و أنت تعلم إجابة دعوته، و حسن قبوله فى الناس، و لا يزال يعدد عليه أوصاف/ من ينهاه عن قتله، و يعتقد انزجاره بذكر صفاته، و يكرر ذكر القتل و ليس ذلك بعى و لا تكرار من القول بل هو نفس تعبير البراعة، و حسن اللّسن، فسقط ما تعلّقوا به. فإن قالوا: فإن اللّه تعالى قد كرّر فى هذه السورة قوله: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ، عند ذكر ما ليس من النّعم و الإفضال فى شىء، فقال: هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (۴۳) يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (۴۴) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [الرحمن: ۴۳- ۴۵]، و قال: يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (۳۵) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [الرحمن: ۳۵- ۳۶]. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۸ يقال لهم: إنّ ذكره للمؤمنين و إعلامه أيّامهم ما أعدّه لأهل الكفر من عذاب السعير و وصفه لجهنّم و شواظها و شرّها نعمة له على المؤمنين الذين علم أنّهم ينتفعون بهذا الوعظ و التحذير، و أنّهم ينهون بذلك عنه و يعرفون مراده و يخافون سطوته و عقابه و يرجون رحمته و ثوابه، لأنّ ذلك لطفا و داع إلى الطاعة و حسن الانقياد للّه المفضى لهم إلى الخلود فى العيش السليم و النعيم الدائم المقيم فذكر الوعيد للمؤمنين و وصف جهنّم و حرّها و شدة نكالها من أعظم النعم على المؤمنين من الجن و الإنس، و إذا كان ذلك كذلك صحّ ما قلناه و اضمحلّ ما تعلقوا به. فأما قوله تعالى: يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ [التوبة: ۷۸] فليس بتكرار، لأنّه قيل إنّ السرّ ما أسرّوه فى أنفسهم، و النّجوى ما أبدوه و تناجوا به بينهم، و لو كان السرّ هو النّجوى لجاز أن يذكره مكررا بلفظين معناهما واحد كما يقول القائل: آمرك ببر و الديك و أنهاك عن عقوقهم، و آمرك بالوفاء و أنهاك عن الغدر، و معنى اللفظين واحد، و لا تعلّق لهم فى هذا أيضا، و هذه جمل تكشف عن نقض ما ذكرناه من مطاعنهم فى كتاب اللّه عز و جل من جهة اللغة، و تنبّه على طريق الجواب عما أضربنا عن ذكره إن شاء اللّه تعالى. انتهى المجلدة الأوّلة، يتلوه فى المجلدة باب الكلام على من زعم من الرافضة أن القرآن قد نقص منه و لم يزد فيه شىء، و لا يجوز الزيادة فيه. و باللّه التأييد و الحمد للّه ربّ العالمين و صلواته على سيدنا محمّد النبى و آله الطاهرين و سلامه. و فرغ منه كاتبه حامدا اللّه تعالى و مصلّيا على رسوله محمّد و آله و صحابته و حسبنا اللّه و نعم الوكيل. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۰۹

ثبت المصادر المراجع

ثبت المصادر المراجع ۱- إتقان البرهان فى علوم القرآن: أ. د. فضل حسن عباس، عمان، دار الفرقان، ۱۹۹۷. ۲- الإتقان فى علوم القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ۱۹۷۴. ۳- الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان: الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى، تحقيق: الأستاذ شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م. ۴- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن مفلح المقدسى، بيروت، مكتبة خياط، ۱۹۰۶. ۵- أسد الغابة فى معرفة الصحابة: عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن بن على بن محمد الجزرى، تحقيق و تعليق: على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۹۹۴. ۶- الإصابة فى تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلانى، دار الكتب

العلمية، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۶۶ م. ۷- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، القاهرة، المكتبة السلفية، ۱۹۳۰. ۸- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ۱۰، ۱۹۹۲ م. ۹- الباقلاني و آراؤه الكلامية: د. محمد رمضان عبد اللّه، مطبعة الأمة، بغداد، ۱۹۸۶، توزيع وزارة الأوقاف، بغداد. ۱۰- البداية و النهاية: ابن كثير، تحقيق: عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ط ۱، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م. ۱۱- البرهان فی علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه الزركشي، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ۱۲- تاريخ بغداد (أو مدينة السلام): لأبی بكر أحمد بن علی الخطيب، القاهرة، مكتبة الخانجی، ۱۹۳۱ م. ۱۳- تاريخ الحكماء: جمال الدين القفطی، مكتبة المثنی، بغداد، مؤسسة الخارجی، مصر. ۱۴- تاريخ الطبری: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ۱۹۹۶ م. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۰ ۱۵- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاری، دار المعارف العثمانية، ۱۹۴۲ م. ۱۶- تاريخ دمشق: ابن عساكر، تحقيق: محيی الدين العموری، دار الفكر، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م. ۱۷- تبيين كذب المفتری فيما نسب إلی الإمام أبی الحسن الأشعری: أبو القاسم علی بن الحسن هبة اللّه بن عساكر الدمشقی، تعليق العلامة محمد زاهد الكوثری، نشر حسام الدين القدسی، دمشق، ۱۹۲۸ م. ۱۸- تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی: لأبی العلی محمد بن عبد الرحمن المباركفوری، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ۳، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ۱۹۸۷ م. ۱۹- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عبد اللّه الذهبی، دار الكتب العلمية، بيروت. ۲۰- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: أبو الفضل أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ۱۹۰۶ م. ۲۱- التعريفات: علی بن محمد الجرجانی، القاهرة، مكتبة مصطفی البابی الحلبی. ۲۲- تفسير أبی السعود (المسمی: إرشاد العقل السليم إلی مزايا القرآن الكريم): لقاضی القضاة الإمام أبی السعود محمد بن محمد العمادی، دار إحياء التراث، بيروت. ۲۳- تفسير القرآن العظيم: شهاب الدين أبو الثناء الألوسی، بيروت. ۲۴- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلانی، دراسة و تحقيق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۳۳ م. ۲۵- تكملة الإكمال فی الأنساب و الأسماء و الألقاب: جمال الدين أبو حامد محمد بن علی المحمودی المعروف بابن الصابونی، بيروت، عالم الكتب، ۱۹۸۶ م. ۲۶- التمهيد: لأبی بكر محمد بن الطيب الباقلانی، المكتبة الشرقية. ۲۷- تهذيب الكمال فی أسماء الرجال: للمزی جمال الدين أبی الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، تحقيق و ضبط: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة. ۲۸- الثقات من الصحابة و التابعين و أتباع التابعين: الحافظ ابن حبان، تحقيق: عبد الخالق الأفغانی، حيدرآباد، ۱۹۸۶ م. ۲۹- جامع البيان عن تأويل آی القرآن: الإمام الطبری، دار الفكر، بيروت. ۳۰- الجامع لأحكام القرآن: لأبی عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی، تصوير مؤسسة مناهل العرفان و مكتبة الغزالی عن الطبعة المصرية. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۱ ۳۱- الجامع لأخلاق الراوی و آداب السامع: أبو بكر أحمد بن علی بن ثابت الخطيب البغدادی، قدم له و حققه: محمد عجاج الخطيب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ۱۹۹۷ م. ۳۲- الجرح و التعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازی، حيدرآباد، دائرة المعارف العثمانية، ۱۹۵۲ م. ۳۳- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء: لأبی نعيم الأصفهانی، تحقيق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ۱، ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۶ م. ۳۴- دراسات فی الفرق و العقائد الإسلامية: د. عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، ط ۱، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م. ۳۵- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعی، تحقيق: محمد أحمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت. ۳۶- الزهد: ابن المبارك، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الأعظمی، الهند، مجلس إحياء المعارف، ۱۹۶۶ م. ۳۷- سنن ابن ماجة: أبو عبد اللّه محمد بن يزيد القزوينی، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقی، دار إحياء التراث العربی، ۱۳۹۵ ه- ۱۹۷۵ م. ۳۸- سنن أبی داود: سليمان بن الأشعث السجستانی، تحقيق: محمد محمد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت. ۳۹- سنن البيهقی: أبو بكر أحمد بن الحسين، بيروت، دار الجيل، ۱۹۹۵ م. ۴۰- سنن الترمذی: أبو عيسی محمد بن عيسی السلمی، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت. ۴۱- سنن الدارمی: أبو محمد عبد اللّه السمرقندی، بيروت، دار إحياء السنة، ۱۹۹۰ م. ۴۲- سنن سعيد بن منصور: أبو عثمان بن منصور بن شعبة الخراسانی، حققه و علق عليه: حبيب الرحمن الأعظمی، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۹۸۵ م. ۴۳- السنن الكبری:

الإمام النسائی، تحقیق: عبد الغفار سلیمان البغدادی، سید کردی حسن، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۱ ه. ۴۴- سیر أعلام النبلاء: الإمام الذهبی، تحقیق و تخریج الأستاذ شعیب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۶ م. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۲ ۴۵- سیرة ابن هشام: السیرة النبویة، أبو محمد عبد الملک بن هشام المعافری، تحقیق: مصطفی السقا و جماعة، ضمن سلسلة تراث الإسلام. ۴۶- السیرة النبویة: محمد أبو شهبة. ۴۷- شرح السنة: الإمام البغوی، تحقیق: علی محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م. ۴۸- شرح مشکل الآثار: الإمام الطحاوی، تحقیق: الأستاذ شعیب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، ط ۱، ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۵ م. ۴۹- شرح معانی الآثار: الإمام الطحاوی، تحقیق: محمد زهری النجار، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م. ۵۰- شرح المعلقات السبع: الزوزنی أبو عبد اللّه الحسین بن أحمد بن الحسن، القاهرة، المطبعة الأزهریة، ۱۹۲۱ م. ۵۱- شعب الإیمان: القزوینی أبو القاسم بن عبد الرحمن، القاهرة، إدارة الطباعة المنیریة. ۵۲- صحیح ابن حبان: تحقیق: الدکتور محمد مصطفی الأعظمی، المکتب الإسلامی، بیروت، ط ۲، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م. ۵۳- صحیح ابن خزیمة: أبو بکر محمد بن إسحاق بن خزیمة السلمی، تحقیق: مصطفی الأعظمی، بیروت، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م. ۵۴- صحیح البخاری: محمد بن إسماعیل، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م. ۵۵- الکامل فی ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبد اللّه بن عدی الجرجانی، دار الفکر، بیروت، ۱۹۸۴ م. ۵۶- الطبقات الکبری: محمد بن سعد، دار الفکر العربی، القاهرة. ۵۷- ظلال الجنة فی تخریج السنة: ناصر الدین الألبانی، علی هامش کتاب السنة، المکتب الإسلامی، ط ۱، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م. ۵۸- العلل المتناهیة فی الأحادیث الواهیة: ابن الجوزی، تحقیق: الشیخ خلیل المیس، دار الکتب العلمیة، ط ۱، ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م. ۵۹- عون المعبود فی شرح سنن أبی داود: أبو الطیب محمد شمس الحق العظیم آبادی، ضبط و تحقیق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدینة المنورة، المکتبة السلفیة، ۱۹۶۸. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۳ ۶۰- غایة النهایة فی طبقات القراء: ابن الجزری، شمس الدین أبو الخیر محمد بن محمد الدمشقی، تحقیق: جوتهلف برجستراس، القاهرة، مکتبة الخانجی، ۱۹۳۲ م. ۶۱- غیث النفع فی القراءات السبع: لولی اللّه علی النوری الصفاقسی، مطبوع بهامش کتاب سراج القارئ المبتدی لابن القاصح، طبعة البابی الحلبی، ۱۹۵۴ م. ۶۲- فتح الباری بشرح صحیح البخاری: ابن حجر العسقلانی، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ۱۹۸۵ م. ۶۳- الفصل فی الملل و الأهواء و النحل: لابن حزم الظاهری الأندلسی، مکتبة و مطبعة محمد علی صبیح، القاهرة. ۶۴- فضائل القرآن: أبو عبید القاسم بن سلام، تحقیق: مروان العطیة و آخرین، الطبعة الأولی، دار ابن کثیر، دمشق، ۱۹۹۵ م. ۶۵- فقه السیرة النبویة: د. محمد سعید رمضان البوطی، دار الفکر المعاصر، بیروت، دار الفکر، دمشق، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م. ۶۶- الفهرست: ابن الندیم، محمد بن إسحاق، القاهرة، المکتبة التجاریة. ۶۷- الکاشف فی معرفة من له روایة فی الکتب الستة: للإمام الذهبی، طبعة دار الکتب العلمیة، بیروت، لبنان، الطبعة الأولی، ۱۹۸۳ م. ۶۸- الکامل فی التاریخ: عز الدین أبی الحسن بن محمد الشیبانی المعروف بابن الأثیر، تحقیق: عمر عبد السلام تدمری، مکتبة الرشید، الریاض، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷ م. ۶۹- کشف الخفاء و مزیل الإلباس عما اشتهر من أحادیث علی ألسنة الناس: إسماعیل بن محمد بن عبد الهادی العجلونی، القاهرة، مکتبة القدسی، ۱۹۳۱ م. ۷۰- الکنی و الأسماء: للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة و تحقیق: عبد الرحیم القشقری، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴ م. ۷۱- کنز العمال فی سنن الأقوال و الأعمال: علاء الدین علی بن حسام الدین الهندی، مؤسسة الرسالة، بیروت، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م. ۷۲- لسان المیزان: ابن حجر العسقلانی، تحقیق: عادل أحمد عبد الموجود و علی محمد معوض، دار الکتب العلمیة، بیروت. ۷۳- مجمع الزوائد و منبع الفوائد: نور الدین علی بن أبی بکر الهیثمی، القاهرة، مکتبة القدسی، ۱۹۳۳ م. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۴ ۷۴- مختار الصحاح، زین الدین محمد بن أبی بکر الرازی، القاهرة، المطبعة الأمیریة، ۱۹۵۰ م. ۷۵- مختصر فی شواذ القرآن: أبو عبد اللّه الحسین بن أحمد بن خالویه، تحقیق: جوتهلف برجستراس، القاهرة، المطبعة الرحمانیة لجمعیة المستشرقین الألمان، ۱۹۳۴ م. ۷۶- مختصر شعب الإیمان: أبی جعفر القزوینی، صححه و علق علیه: محمد خیر الدمشقی، القاهرة، دار الطباعة المنیریة ۱۹۳۶ م. ۷۷- المدخل إلی دراسة علم الکلام: د. حسن محمود الشافعی، مکتبة و هبة، القاهرة، ط ۲، ۱۹۹۱ م. ۷۸-

مرآة الجنان: عفيف الدين أبو السعادات عبد اللّه بن أسعد اليافعى، دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، ۱۹۱۸ م. ۷۹- المستدرك على الصحيحين فى الحديث: أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه المعروف بالحاكم النيسابورى، دار المعرفة، بيروت. ۸۰- مسند أبى عوانة: يعقوب بن إسحاق الأسفراييني، دار المعرفة، بيروت، ۱۹۸۰ م. ۸۱- مسند أبى يعلى الموصلى: تحقيق: حسين أسد، دار المأمون للتراث، بيروت و دمشق، ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م. ۸۲- مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق: عبد اللّه الدرويشى، دار الفكر، ط ۱، ۱۴۲۲ ه- ۱۹۸۵ م. ۸۳- مسند الحميدى: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، المكتبة السلفية، المدينة المنورة. ۸۴- مشكل الآثار: الطحاوى، حيدرآباد، دائرة المعارف النظامية، ۱۹۱۴ م. ۸۵- المصنف فى الأحاديث و الآثار: ابن أبى شيبة، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت. ۸۶- معجم البلدان: أبو عبد اللّه ياقوت الحموى، دار صادر، بيروت. ۸۷- معجم الفرق الإسلامية: شريف يحيى الأمنى، دار الأضواء، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م. ۸۸- المعجم الكبير: الطبرانى، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق: عمر ماجد الكيال، ۱۹۹۶ م. ۸۹- المعجم الأوسط: الطبرانى، أبو القاسم سليمان بن أحمد، تحقيق: محمود محمد الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، ۱۹۸۶ م. الإنتصار للقرآن، ج۲، ص: ۸۱۵ ۹۰- المعجم الصغير: أبو القاسم الطبرانى، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۹۸۳ م. ۹۱- معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار: الذهبى، شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن أحمد بن عثمان، تحقيق: محمد سيجاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ۱۹۶۹ م. ۹۲- المغنى: موفق الدين أبى محمد بن قدامة المقدسى، دار الكتاب العربى، بيروت. ۹۳- المفردات فى غريب القرآن: الراغب الأصفهانى، تحقيق: محمد سعيد الكيلانى، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، ۱۹۶۱ م. ۹۴- المقتضب: لابن المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، ۱۳۹۹ م. ۹۵- موسوعة الإمام الشافعى، تحقيق: أحمد بدر الدين حسونة، دار قتيبة، ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م. ۹۶- الموضوعات: ابن الجوزى، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ۱، ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م. ۹۷- موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م. ۹۸- ميزان الاعتدال: الإمام الذهبى، دراسة و تحقيق: على معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م. ۹۹- النجوم الزاهرة فى أخبار مصر و القاهرة: جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ۱۹۲۹ م. ۱۰۰- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: على سامى النشار. ۱۰۱- نصب الراية لأحاديث الهداية: جمال الدين أبو محمد عبد اللّه بن يوسف الحنفى الزيلعى، المكتبة الإسلامية، بيروت، ۱۹۷۳ م. ۱۰۲- نكت الانتصار للقرآن: دراسة و تحقيق: د. محمد زغلول سلام، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية. ۱۰۳- نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن الرضى من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب، شرح محمد عبده، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار الأندلس، بيروت، ط ۱، ۱۳۸۲ ه- ۱۹۶۳ م.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – عليهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد

حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی. - من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩